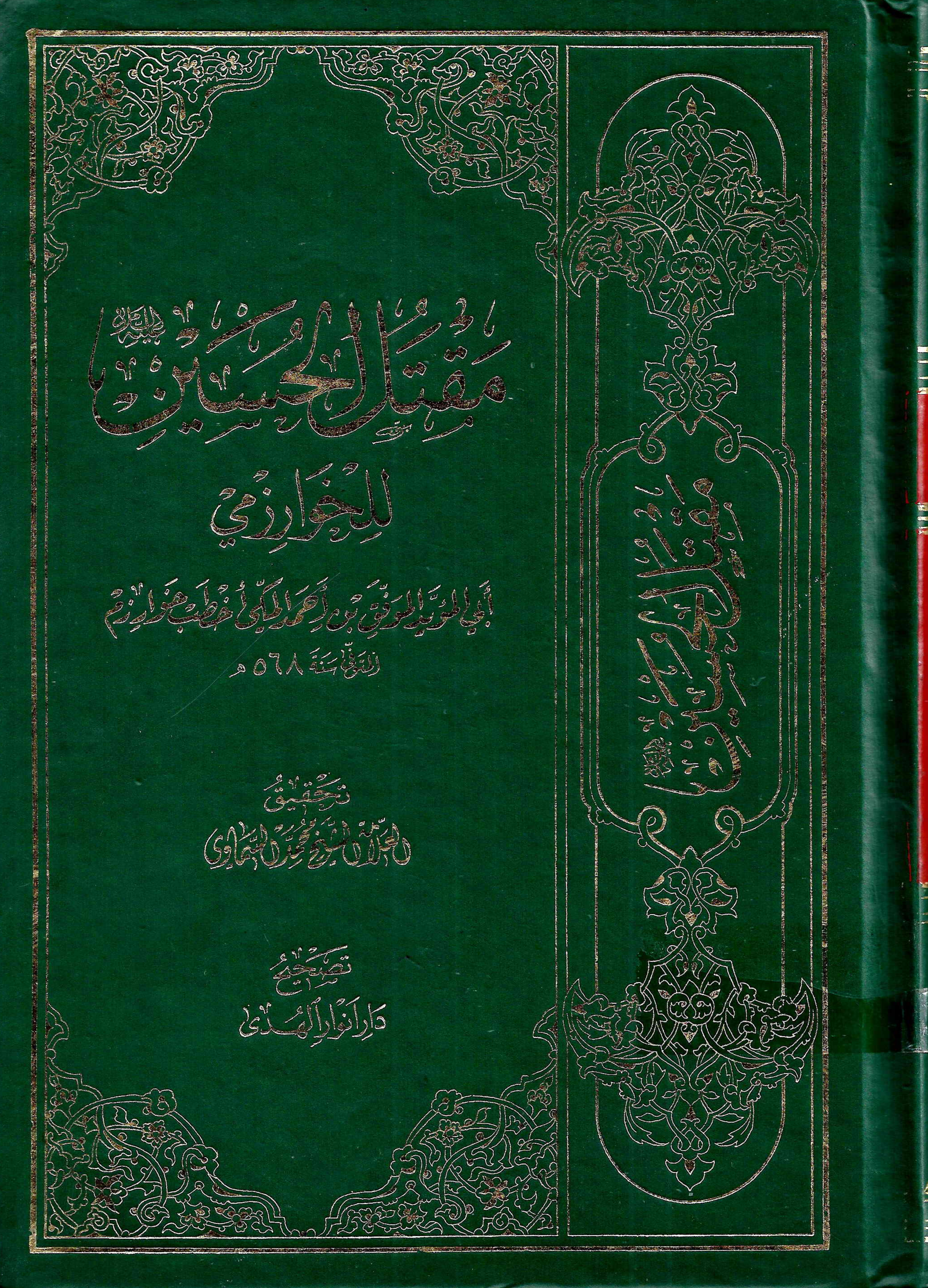
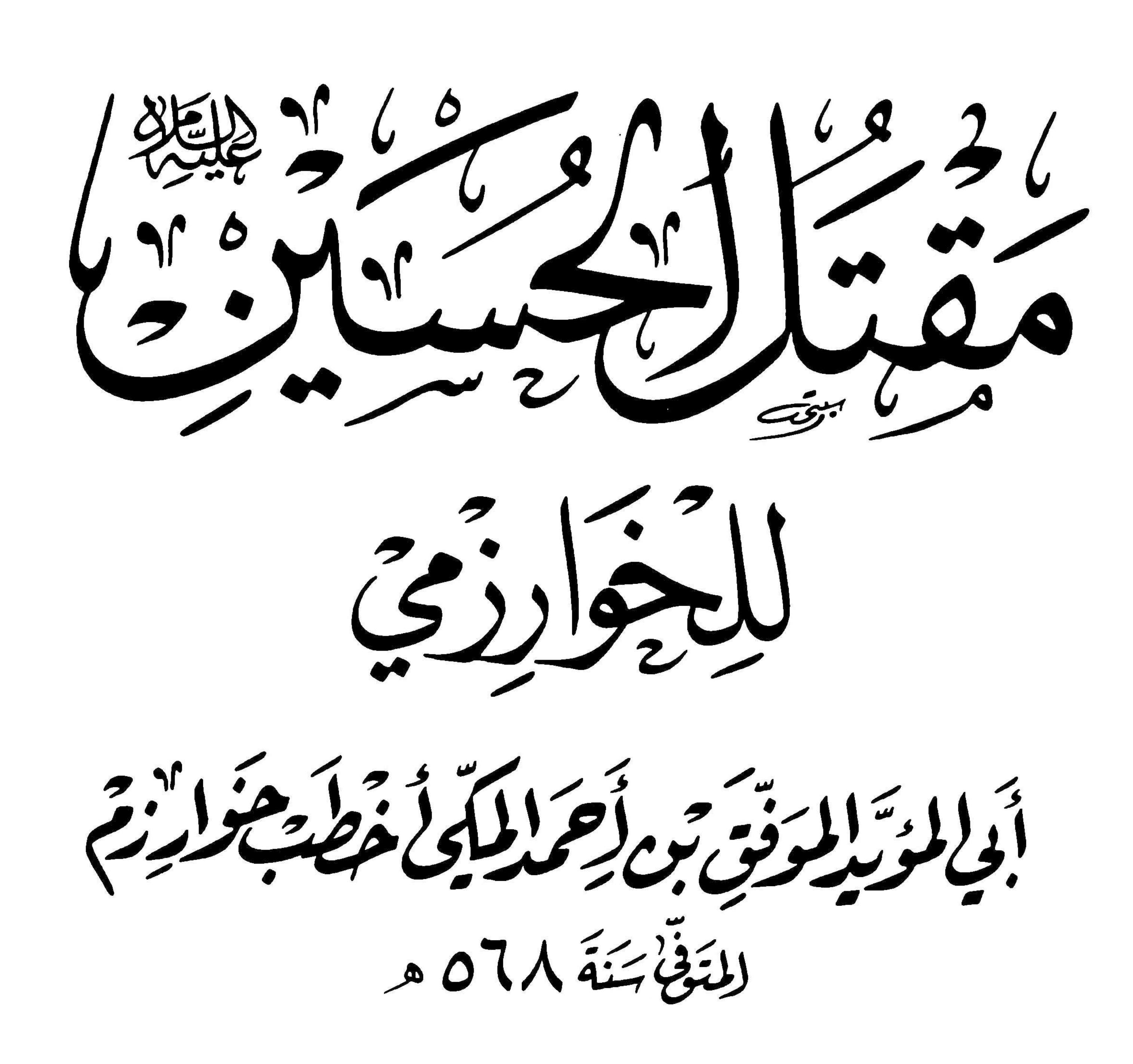

مقتل الحسين عليه السلام
للخوارزمي
أبي المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم
المتوفى سنة ٥٦٨ هـ
تحقيق
العلامة الشيخ محمد السماوي
تصحيح
دار أنوار الهدى



مقتل الحسين عليه السلام

للخوارزمي

أبي المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم

المتوفى سنة ٥٦٨ هـ

تحقيق

العلامة الشيخ محمد السماوي

تصحيح

دار أنوار الهدى



تلفن : ٧٤٢٣٤٦ فاكس : ٧٣٧٨٧٠

ايران، قم،ارم، باساج القدس الطابق الأرضي، رقم ٥٧

ص . ب ٣٧١٨٥ / ٣٧١٧

سيد حيدر الموسوي

ISBN: 964-6223-01- X

شابك: X ـ ٠١ ـ ٦٢٢٣ ـ ٩٦٤

هويّة الكتاب

اسم الكتاب : .... مقتل الخوارزمي (ج ١ ـ ج ٢)

تأليف : .... ابي المؤيد الموفق ابن احمد المكّي

تحقيق: .... شيخ محمد سماوي

الطبعة : .... الاولىٰ / ١٤١٨ هـ ق

النّاشر : .... انوار الهدىٰ

صف وتنضيد الحروف: .... قاسم عدنان الحسيني

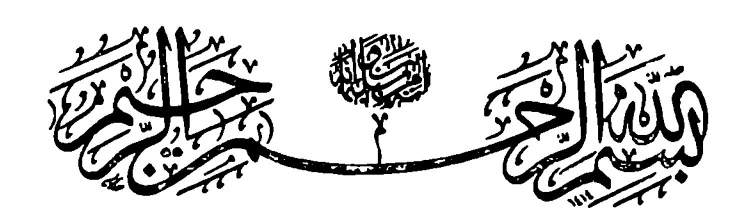
العدد : .... ١٢٠٠ نسخة

عدد الصفحات: ٦٧٠

المطبعة : .... مهر

القطع: .... وزيري

مقدمة الناشر



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي محمدﷺ خير الخلق أجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إن مأساة الامام الحسين﵇ هزّت الوجدان الانساني، وتوهجت في أحاسيس المسلمين ووعيهم الجماعي، وأحرقت ضمائرهم وأدمت قلوبهم، وجرحت مشاعرهم النبيلة، وأسالت قنوات دموعهم المتدفقة بغزارة وحرقة، وأقضّت مضاجع آل بيت الوحي والرسالة وأثارت هواجسهم، وأرقت محبيهم من كل الطوائف الاسلامية من مختلف الملل والنحل، المؤمنة برسالة جدهم المصطفى خاتم الأنبياء والمرسلينﷺ.

وقد أحدثت هذه الواقعة الشجية ـ ولازالت ـ جروحاً في النفوس النقية لاتندمل، وكلما تجدد سقف الزمن تزداد مساحة هذه المأساة أسىً ولوعة، وآفاقها سمواً وفخراً. وسبق لجده طه الأمينﷺ منقذ البشرية وقائد الأمّة الاسلامية الأعلى ان قلّده وسام استحقاق النسب الشريف والجهاد المقدس حينما قال: «حسين مني وأنا من حسين» وهذا الحديث شهادة البداية

والديمومة للدين الاسلامي الحنيف، حيث بدايته بالرسالة المحمدية المقدّسة وديمومته بالشهادة الحسينية المباركة ومآسيها والتي بعثت بتضحيته بكيانه الانساني المقدس عليه السلام وأهل بيته وخيرة أصحابه سر حياة الاسلام وبقائه. ولسان حاله يردد مع دورة الزمن (**إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني**) لأن الحسين عليه السلام حمل هموم أمنه وأوجاع الناس ومعاناتهم في قلبه ووجدانه وأحلامه وآماله الناظرة الى واقعهم السيء، والمتطلعة الى مستقبل الاسلام المشرق وإقامة حكومة العدل الإلهي، حيث عبّر عن ذلك أصدق تعبير عندما قال: (**إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، وإنّما خرجت لطلب الاصلاح في أمّة جدّي محمد صلى الله عليه وآله**). وكانت تجربة الطف الرائدة تحمل حرارة صدق الجهاد ووضوح رؤيته النضالية فكان لهذه التجربة صداها الواسع على امتداد مراحل التاريخ والتي التصقت بالحدود العالمية للجهاد الصادق واستحقت أن تتصدر عناوينه العالمية أيضاً.

إنَّ كتاب مقتل الامام الحسين عليه السلام لمؤلفه الموفق محمد بن أحمد المؤيد أبي سعيد اسحاق المكي الحنفي الخوارزمي يعتبر بحق وثيقة تأريخية ترصد أحداث الرزيّة الكربلائية وتؤرخ وقائعها المفجعة بموضوعية متميزة، لاسيما وقد سجلت بقلم مؤرخ قدير ولغوي بارع، وان القدر المتيقن في التراجم التي ترجمت له من قبل رجال الحديث المشهورين، تشهد بنزاهته وإنصافه بهذا الصدد.

وقد تضمن هذا الكتاب مآثر أهل البيت الأطهار عليهم السلام وفضائلهم في قسمه الأول وتفاصيل موجزة عن سيرتهم العطرة، وتضمن القسم الآخر صور مروّعة من مقتل السبط الشهيد وأنصاره، والذي رافق مسيرته التأريخية وخروجه من مدينة الوحي المنورة الى ساعة استشهاده على رمضاء

الالم الكربلائي التي تعبق بأريج الشهادة الفواح، والمطرزة بدماء الأحرار الأبرار، والندبة بفيض دموع الولاء والانتماء، والتي تقبع تحت خيمة الحزن السرمدي حتى قيام الساعة.

ونظراً لفضاعة المأساة وشموليتها، وأهمية هذا المقتل الجليل وإلحاح جمهور من محبي سيد الشهداء عليه السلام والمتلهفين الى طلب الاستزادة من الاغتراف من مصادر تأريخ الحدث الحسيني الجلل ليكون لهم عِبرة وعَبرة وذكرى، وينهلوا من معين الواقعة الفارحة معاني التضحية والبطولة والفداء والاصلاح الاجتماعي والوقوف بوجه الطغاة ومقارعة الظالمين في كل زمان ومكان كل هذه العوامل وغيرها وندرة المطبوع من نسخه السابقة في المكتبات، وبغية إظهاره بحلّةٍ قشيبة تتناسب وأهمية هذا الكتاب التأريخية وتيسيره للدارسين والخطباء وعشاق المنبر الحسيني المقدس، فقد بادرت دار (أنوار الهدى) الى طبعه بعد بذل الجهود الفنية في خبط نصوصه ومقابلتها مع النسخ المطبوعة سابقاً وتصحيح الأخطاء اللغوية والتأريخية قدر المستطاع وطباعته بحروف جديدة، وقد أخذت على عاتقها طبع هذا الكتاب، والذي يعتبر إضافة نوعية جديدة الى مكتبة أهل البيت عليهم السلام، والتي ما انفكت هذه الدار عن نشر كل مايتعلّق بتأريخهم وفضائلهم وعلومهم وآدابهم، أفراحهم وأتراحهم.

وستبقى هذه المأساة المؤلمة حلمنا الآتي ليوم الخلاص العظيم والآمال المتجددة للتحرير من الظلم تحت راية صاحب الأمر والزمان(عج)، والله من وراء القصد وهو المستعان في كل الأمور إنّه أرحم الراحمين.

دار
أنوار الهدى

رمضان المبارك ١٤١٨ هـ ق

مقدمة المحقق

بقلم: العلامة الجليل والمحقق الكبير
الشيخ محمد الشيخ طاهر السماوي

أما نفس الكتاب فهو غني عن التعريف لشهرته، نقل عنه جماعة منهم ابن حجر في لسان الميزان، وابن الوزير اليماني في الروض الباسم، وقال فيه: وهو عندي في جزئين، واستقصى السيد العلامة صاحب العبقات في المجلد السادس ذكر حاله ومن نقل عنه، وكل هذه الكتب مطبوعة في حيدرآباد ومصر والهند.

وأمّا نسخته فإني استجلبتها من تبريز للإستنساخ عليها وكان كتبها السيد الفاضل السيد محمد المهدي بن علي بن يوسف الحسني الطباطبائي سنة ست وثلاثمائة وألف من الهجرة على نسخة بخط السيد العالم الفاضل محمد بن الحسين العميدي النجفي، كتبها سنة ست وثمانين وتسعمائة في قزوين وكانت هذه النسخة التي بخط محمد المهدي الطباطبائي سمعت بها قبل عشر سنين وأنّها موجودة في تبريز، فكلفت جملة من الأفاضل باستنساخها لقلّة وجودها أو لعدمه في العراق فلم يتهيأ لي ذلك فبقيت

مشغوفاً بها حتى هيأ الله تعالى لي العلامة الفاضل الجليل الشيخ عبدالحسين ابن الشيخ أحمد الأميني التبريزي صاحب شهداء الفضيلة والغدير وغيرهما سلّمه الله، فذاكرته بهذا الكتاب فوعدني أن يكلّف من يستنسخه على يد والده الفاضل الشيخ أحمد الأميني سلّمه الله، ولتقاه وحبه آل بيت الله كتب إلى أبيه وأكد فما هو إلا أن استعاره أبوه للإستنساخ ثم عزم على زيارة النجف فاستأذن من صاحبه أن يصحبه ذهاباً وإياباً وضمن له سلامته فأتىٰ به وتفضل علي بأن استنسخه بيدي ويبقى مدة الإستنساخ ثم يعود به إلى صاحبه.

فاستنسختـه في شهر بحمدالله ومنه فجاءت هذه النسخة صحيحة كاملة وذلك لأن الكاتب الثاني السيد محمد المهدي كان حسن الخط والمعرفة فزاد فيها بعض أخبار نقلها من كتب ولكن كان يكتب على الخبر المزيد في أوله: قال الكاتب، ويذكر الزيادة ثم يقول انتهىٰ، ويذكر الأصل بسنده، على أنه لو لم ينبه هذا التنبيه لعلم، فإنّه يروي عن كتب معلومة لم يكن فيها سند، والمقتل مذكور بأخبار أسندها الموفق، فمن حصل له هذا الكتاب فهو مدين بالفضل لمن جاء به من تبريز والله يجزيه الجزاء الأوفىٰ عن سعيه وما ذلك على الله بعزيز.

وأمّا التعريف بمصنف هذا الكتاب فهو أبو المؤيد الملقب بصدر الأئمة، وبأخطب خوارزم، وبخليفة الزمخشري، الموفق محمّد بن أحمد المؤيد بن أبي سعيد إسحاق المؤيد المكي الخوارزمي، كما ذكر صاحب كتاب الفوائد البهية في طبقات الحنفية وصاحب التعليقات عليها المطبوعين بمطبعة الخانجي في مصر قالا فيهما: ولد سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وقرأ على ابيه وغيره وطاف في طلب الحديث بلاد فارس والعراق والحجاز ومصر والشام وكاتب

العلماء فأجازوه وأجازهم ـ كما ستطلع عليه من سند حديثه ـ وخطب في خوارزم، وتلمذ على الزمخشري في العربية، وتضلّع فيها فكان يقال له خليفة الزمخشري، وتلمذ عليه جماعة منهم: ولده أحمد المؤيد، ومنهم ناصر الدين المطرزي صاحب المغرب في اللغة المطبوع في حيدرآباد، وشرح مقامات الحريري المطبوع في إيران، وذكر في الثاني في ترجمة أويس رواية عنه مفخماً له غاية التفخيم، وكما ذكره السيوطي في البلغة المطبوعة في مطبعة الخانجي بمصر باسم الموفق.

ونقل عن القفطي والصفدي له مديحاً وإعجاباً بفضله.

ونقل عن كتابه هذا صاحب الروض الباسم، وصاحب كفاية الطالب، وصاحب الفصول المهمة، وصاحب الصواعق، وكل مطبوع متلقى بالقبول وصاحب لسان الميزان في ضمن بعض مشايخه مضعفاً له، ومن الغريب أنه يضعف مثل راوي حديث الطير، والتشبيه بالأنبياء، وباب مدينة العلم، وهذه الأحاديث يرويها كثير بطرق متعددة، وأغرب من هذا أنه يجعل سبب التضعيف الرواية نفسها.

وللموفق من المصنفات:

١ـ كتاب الأربعين في أحوال سيد المرسلين ﷺ، ذكر في هذا الكتاب.

٢ـ مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، مطبوع في إيران.

٣ـ مناقب أبي حنيفة، مطبوع في الهند في جزئين.

٤ـ مقتل الحسين عليه السلام في جزئين، وهو هذا الكتاب الذي بين يديك.

٥ـ مسانيد على البخاري وغيره، ذكرت ولم أقف عليها.

وكل من ذكر الموفق ذكره بالشعر، وأنا أذكر لك من شعره الذي ذكره هو في المناقب الأولىٰ والثانية في مديح أمير المؤمنين عليه السلام وفي مديح أبي

حنيفة النعمان بن ثابت، وما ذكره ياقوت الحموي في ترجمة بعض مشايخه منتخباً أبياتاً تستدل بها على منهجه، فمن ذلك قوله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ذكره في آخر مناقبه من قصيدة طويلة:

هل أبصرت عيناك في المحراب ... كأبي تراب من فتى محراب
لله در أبي تراب أنه ... أسد الحراب وزينة المحراب
هو ضارب وسيوفه كشواقب ... هو مطعم وجفانه كجواب
لولا علي ما اهتدى في مشكل ... عمر ولا أبدىٰ صواب جواب

وقوله في مديحه عليه السلام أيضاً من قصيدة طويلة:

ألا هل من فتى كأبي تراب ... إمام طاهر فوق التراب
إذا ما مقلتي رمدت فكحلي ... تراب مس نعل أبي تراب
هو البكاء في المحراب لكن ... هو الضحاك في يوم الحراب
هو المولى المفرق في الموالي ... خزائن قد حواها بالحراب
ونازع صهره الطير المهادي ... وكاد يرد منه عند باب

وقال في مديحه عليه السلام من قصيدة طويلة أيضاً:

لقد تجمع في الهادي أبي حسن
ما قد تفرق في الأصحاب من حسن
ولم يكن في جميع الناس من حسن
ماكان في المرتضى الهادي أبي الحسن
هل سابق مثله في السابقين فقد
جلى إماماً وما صلىٰ إلى وثن

وقال في مديح أبي حنيفة النعمان بن ثابت من قصيدة طويلة، ذكرها في مناقبه:

ما لنعمان في الأنام نظير	دوح فتيه ذو ثمار نضير
كل ذي إمرة أسير هواه	وهواه له أسير اسير
علم فتواه والهجد منه	في لياليه روضة وغدير

وقال في مديح أستاذه الحسن بن أحمد الهمداني من قصيدة ذكرها ياقوت الحموي في ترجمة الحسن المذكور:

حفظ الإمام أبي العلاء الحافظ	بالرجل ينكت هام حفظ الجاحظ
ما أن رأينا قبل بحر الشيخ من	بحر طفوح باللئالئ لامظ
كم واعظ لي أن أجاوز مدحه	لو كان ينفع في وعظ الواعظ

وله شعر كثير، وتوفي في خوارزم سنة ثمان وستين وخمسمائة أو نسع كما نقله صاحب التعليقات، ومن أراد إستقصاء حاله فعليه بالعبقات فإنّها استغرقت من صفحة (٢٧٨ إلى ٣١٢). أو بكتاب الغدير فإن العلامة الأميني في آخر المجلد الرابع قد ترجمه هنالك بما لا مزيد عليه فذكره وذكر مشايخه وتلامذته، وفصل في ذلك تفصيلا لايستغنى عنه، فليراجعه من شاء يجد ترجمته مذكورة من صفحة (٣٤٠ إلى ٣٤٩).

وأمّا ناشره بالطبع فجماعة مقدمهم الشريف الفاضل الذكي الزكي المحامي السيد محمد رضا آل السيد سلمان النجفي العريق نسباً وحسباً فإنّه من ذرية السيد العلامة المقدّس السيد هاشم الشهير بالحطاب من سلالة السيد النقيب فخار بن معد العلوي، والشيخ الفاضل الشيخ هادي نجل العالم الشيخ عباس من سلالة الشيخ أسدالله صاحب المقاييس، وصاحب مطبعة الزهراء النجفية الفاضل ميرزا الخليلي من سلالة الميرزا خليل الرازي النجفي المشتهرة بعلمي الأديان والأبدان، فجزاهم الله عن مودّة القربىٰ خير جزاء المحسنين وجعل ذلك العمل الصالح ذخيرة لهم في العقبىٰ يوم الدين

وحق لهم أن ينشروا مثل هذا المقتل المفصّل فإنّ المقاتل القديمة المفصلة كمقتل أبي مخنف لم يبق منها شيء إلا ما نقله الطبري والجزري وأمثالهما في ضمن كتبهم، فأمّا أعيانها فلم يبق منها لأن مقتل أبي مخنف لم يوجد منذ خمسة أو ستة قرون وكذلك أمثاله.

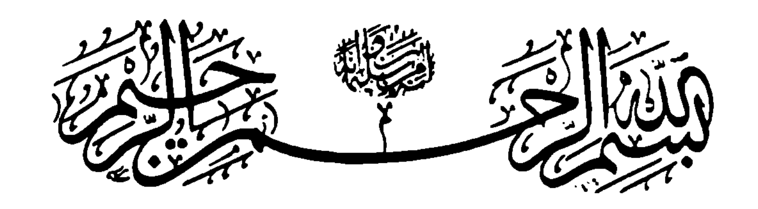
وأمّا هذا المقتل القديم، المفصل المروي بالإسناد المعنعن عن الأفضل فالأفضل، فلم يوجد بالأيدي مثله، فهو الكنز الدفين أثاروه، والكوكب الخفي أظهروه وأناروه، وهذه يد لهم على كل من احب النبي المصطفىٰ وآله الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين)، ونعمة أسدوها على محبي الحسين عليه السلام، والمتعطشين إلى ذكره على الكمال والتمام، فلنشكر يدهم البيضاء، وليدع محب الحسين لهم بأحسن الجزاء، على إسداء هذه النعماء، وقد قلت في تاريخ طبع هذا الكتاب الثمين، وأسماء ناشريه للمحبين:

أبهج قلب المصطفىٰ والمرتضىٰ ... وفاطم الزهراء محمد الرضا
بطبع تأليف الموفق الذي ... حاز به الفضل وأدرك الرضا
في مقتل الحسين سبط المصطفىٰ ... ومهجة الزهراء وقلب المرتضى
واشترك الهادي وميرزا معه ... فنهضا بما له قد نهضا
فقل لمن يسأل عن تاريخه ... (طبعه ميرزا وهاد ورضا)

سنة ١٣٦٧هـ. ق

النجف الأشرف

الشيخ محمد السماوي



مقدمة المؤلف

الحـمـدُ للّه، وَسَلامٌ على عباده الَّذينَ اصطفى، وَاَخُصُّ بالصّلاةِ والسَّلامِ نبيّه المصطفى، وأُوَجِّه الرِّضوانَ إلى ذريّته أولاد فاطمة البتول، وعليٍّ الجالد الصؤول، يوم نطاح الكباش والوعول، الَّذين لحمهم لحم الرَّسول، قَدْ جَعَلَ اللّهُ سيرهم حججه على كافه الأنام، وصيَّرهم أسنمة أئمَّة الإسلام، الداعين الى دار السَّلام، وَرَحضَ عنهم الدَّنس ووقَّرهم توقيراً، واذهب عنهم الرِّجسَ وطهَّرهم تطهيراً، وَافْتَرَضَ مودَّتهم على الخَلْقِ وَجَعَلَها مِنْ جُملَة الإيمان، وأمَرَنا بها من تارج بقدمه الحرمان، وَنَزَلَتِ الملائكةُ لنُصْرَته يَومَ التقى الجمعان، كما في سورة «الشورى» من القرآن على ما قال عَزَّ مِنْ قائل حكاية عنهم: **﴿قل لا اسالكم عليه أجراً إلاّالمودَّةَ في القربى﴾**الشورىٰ/٢٣.

روي: أنَّه لَمَّا نَزَلَت هذه الآية، قيل: يارسولَ الله مَنْ قرابتكَ هؤلاء الذين وجب علينا مودَّتهم؟ فقالﷺ: «عليٌّ وفاطمة وابناهما».

وحديث «المباهلة» يؤكدها ويعضدها ويؤيدها، وهو ما أخبرنا الشيخ الصالح العالم الأوحد عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكروخي الهروي ـ ببغداد ـ منصرفي من السفرة الحجازية على شط دجلة، عن مشايخه الثلاثة: القاضي أبي عامر محمود بن القاسم الأزدي؛ وأبي نصر عبد العزيز بن محمَّد الترياقي؛ وأبي بكر أحمد بن عبد الصمد الغورجي (رحمهم اللّه) ثلاثتهم، عن أبي محمَّد عبد الجبار بن محمَّد الجراحي، عن أبي العبّاس محمَّد بن أحمد المحبوبي، عن الإمام الحافظ أبي عيسى محمد ابن عيسى الترمذي، قال: أخبرنا قتيبة، قال: أخبرنا حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامربن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً[1] فقال: ما منعك أنْ تسبَّ أبا تُراب؟

قال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبَّه لئن يكون لي واحدة منهن أحبّ إليَّ مِنْ حُمرِ النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليٍّ وخلفه في بعض مغازيه، فقال له عليٌّ عليه السلام: «يارسول اللّه! أتخلفني مع النساء والصبيان»؟فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما ترضى أنْ تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنَّه لا نبوة بعدي»، وسمعته يوم خيبر يقول: «لأُعطين الرايةَ رجلاً يحبُّ اللّه ورسوله، ويحبُّه اللّه ورسوله» فتطاولنا لها فقال: «ادعوا لي عليّاً» فأتىٰ وبه رمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح اللّه عليه، وانزلت هذه الآية: ﴿**قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة اللّه على الكاذبين**﴾آل عمران/ ٦١، فدعا رسول اللّه صلى الله عليه وآله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً (عليهم الصلاة والسَّلام)

---

(١) هكذا في جامع الترمذي وفيه اجمال وتفصيله أمر معاوية بسبّ علي فامتنع سعد فقال له، الخ.

فقال: «اللّهُمَّ! هؤلاء أهلي».

وأخبرنا الشيخ الثقة العدل الحافظ أبو بكر محمَّد بن عبد اللّه بن نصر الزاغوني ـ بمدينه السَّلام ـ، قال: أخبرنا أبو الحسين محمَّد بن إسحاق بن إبراهيم بن مخلف الباقرحي، قال: أخبرنا أبو عبد اللّه الحسين بن الحسن بن عليّ بندار، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمَّد بن شاذان، قال: أخبرنا: أبو القاسم عبد اللّه بن أحمد بن عامر الطائي، قال: أخبرني أبي أحمد بن عامر بن سليمان، قال: حدَّثني أبو الحسن عليّ بن موسى الرِّضا عليه السلام قال: «حدَّثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدَّثني أبي جعفر بن محمَّد، قال: حدَّثني أبي محمَّد بن عليّ، قال: حدَّثني أبي عليّ ابن الحسين، قال: حدَّثني أبي الحسين بن عليّ، قال: حدَّثني أبي علي بن أبي طالب، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ياعلي! إنَّ اللّهَ قَدْ غَفَرَ لكَ ولأهْلكَ وَشيْعَتكَ، ومحبّي شِيْعَتِكَ وَمُحبّي مُحِبِّي شيعَتك، فابشِرْ فإنَّك الأنزع البطين، منزوع مِنَ الشرك، بطين من العلم».

وأخبرنا الإمام الأجل الكبير أخي سراج الدين ركن الإسلام شمس الأئمة إمام الحرمين أبو الفرج محمَّد بن أحمد المكي (رحمة اللّه عليه)، قال: أخبرنا الإمام الزاهد أبو محمَّد إسماعيل بن عليّ بن إسماعيل، قال: أخبرنا السيّد الإمام الأجل المرشد باللّه أبو الحسين يحيى بن الموفق باللّه، قال: أخبرنا أبو طاهر محمَّد بن علي بن محمَّد بن يوسف الواعظ، قال: أخبرنا أبو جعفر محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن حمَّاد المعروف بـ ـ ابن ميثم ـ، قال: أخبرنا أبو محمَّد القاسم بن جعفر بن عبد اللّه بن محمَّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب، قال: حدَّثني أبي جعفر بن محمَّد بن عبد اللّه بن محمَّد، عن أبيه محمَّد، عن أبي عبد اللّه جعفر بن محمَّد، عن أبيه محمَّد بن عليّ

الباقر، عن أبيه عليّ بن الحسين زين العابدين، عن أبيه الحسين بن عليّ الشهيد عليه السلام، قال: «سمعتُ جَدِّيَ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَن أحبَّ أن يحيى حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل الجنَّة التي وعدني ربِّي، فليتولَّ عليَّ بن أبي طالب وذرِّيته الطّاهرين، أئمة الهدى ومصابيح الدجى من بعده، فإنَّهم لَنْ يخرجوكَ مِنْ باب الهدى الى باب الضلالة».

وأخبرنا العلاَّمة فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري، قال: أخبرني الأُستاذ الأمين عليّ بن مردك الرَّازي، قال: أخبرناالشيخ الزَّاهد الحافظ أبو سعد احمد بن محمَّد المالني ـ بقراءتي عليه ـ، قال: أخبرنا أبو بكر محمَّد بن حيان الديرعاقولي، قال: أخبرنا محمَّد بن الحسين بن حفص الأشتاني، قال: أخبرنا محمَّد بن يحيى الفارسي، عن سليمان بن حرب، عن يونس بن سليمان التيمي، عن أبيه، عن زيد بن يثيع، قال: سمعت أبا بكرالصدِّيق قال: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله خيَّم خيمة، وهو يتكئ على قوس عربية، وفي الخيمة عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: «معشر المسلمين! أنا سلْمٌ لِمَنْ سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، وولي لمن والاهم، لا يحبّهم إلاّ سعيد الجد طيب المولد، ولا يبغضهم إلاّ شقي الجد رديء الولادة».

فقال رجل: يازيد! أأنت سمعت منه؟ قال: إي، وربُ الكعبة.

وأنبأني مهذب الأئمة أبو المظفر عبد الملك بن عليّ الهمداني ـ نزيل بغداد ـ، قال: أنبأنا محمَّد بن الحسين بن عليّ المقري، قال: أخبرنا محمَّد ابن محمّد بن أحمد الشَّاهد، قال: أخبرنا هلال بن محمَّد بن جعفر، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الحلواني، قال: أخبرنا محمَّد بن إسحاق المقري، قال: أخبرنا عليُّ بن حمَّاد الخشَّاب، قال: أخبرنا عليُّ بن المديني،

قال: أخبرنا وكيع بن الجرَّاح، قال: أخبرنا سليمان بن مهران، قال: أخبرناجابر، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول اللّهﷺ: «لمّا عرج بي الى السَّماء رايت على باب الجنَّة: لا إله إلاّاللّه، محمَّد رسول اللّه، عليٌّ حبيب اللّه، الحسن والحسين صفوة اللّه، فاطمة أمة اللّه، على مبغضهم لعنة اللّه».

وممّاقلته في أهل البيتﷺ:

يزيد لظى [1] قد رام انْ يتسفلوا	وانْ يتردوا في مهاوي المعاطب
وقد رشح العدل المهيمن حالهم	بمنزلة قعساء فوق الكواكب
فضائلهم ليست تُعَد فتنتهي	وإنْ عددت يوماً قطار السحائب

ومن خذلان مبغضيهم المستحكم القواعد، وادبارهم المستحصف المقاعد، وغوايتهم التي حشرتهم الى دارالبوار، وشقاوتهم التي كبّتهم على مناخرهم في دركات النار، انْ حملهم بغض أحباء اللّه وأحباء رسول اللّه، على انْ انكروا أولاد عليّ مِنْ فاطمة أولاد الرَّسول، فمن أُولئك الحجاج المحجوج، الحقود اللجوج، على ما أخبرنا الشيخ الإمام الزَّاهد الحافظ زين الدِّين والأئمَّة عَليّ بن أحمد العاصمي، قال: أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل ابن أحمد، قال: أخبرنا والدي ـ شيخ السنَّة ـ أحمد بن الحسين البيهقي، قال: أخبرنا أبو الحسين ابن بشران العدل ـ ببغداد ـ، قال: أخبرنا أبو عمرو ابن السماك، قال: أخبرنا حنبل بن إسحاق، قال: أخبرنا داود بن عمرو، قال: أخبرنا صالح بن موسى، قال: أخبرنا عاصم بن بهدلة، عن يحيى ابن يعمر العامري، قال: بعث إليَّ الحجاج فقال: يايحيى! انتَ الَّذي تزعم انَّ وُلْدَ عليٍّ مِنْ فاطمةَ ولد رسول اللّهﷺ؟ قلت له: إن امنتني تكلَّمت،

(١) بالاضافة أي يزيد النار.

قال: فانتَ آمن.

قُلتُ: أقرأ عَلَيْكَ كتابَ اللّه عزَّوجلّ إنَّ اللّه يقول: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا﴾ إلى قوله: ﴿وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾ الانعام/ ٨٤ ـ ٨٥؛ وعيسى كلمة الله وروحه ألقاها إلى البتول العذراء، وقد نسبه الله تعالى إلى إبراهيم، قال: ما دعاك إلى نشر هذا وذكره؟ قلت: ما أوجب الله تعالى على أهل العلم في علمهم: ﴿ليبيننه للناس ولايكتمونه فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً﴾ آل عمران/١٨٧ .

قال: صدقت، لا تعودن لذكرهذا ولا نشره.

وكان رسول اللّه صلى الله عليه وآله، يقول: «كل بني أم ينتمون إلى عصبتهم إلاّ ولد فاطمة فإنِّي أنا أبوهم وعصبتهم»، والأخبار في أنَّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله كان يسمي ـ الحسن والحسين ـ ابنيه، كالحصا لا تعد ولا تحصى، وقد ابتلي المكابر الحجاج، بالمحجاج ـ يحيى بن يعمر ـ المؤيَّد من اللّه بالجواب الصواب، الَّذي أُوتي عند سؤاله فصل الخطاب، ومن ثقابة فهمه، وغزارة علمه، أنْ أخذ بكظمه، حين تلاعليه آية فيها: أنَّ عيسى من ذرية إبراهيم، وهو يُدلي إليه بأُمّه، فألقمه جندلة حجته، فدمت [١] مجرى أنفاسه، وأوضح له الحجة مثل موضحة رأسه، وتركه يهيم في وادي وسواسه، لعن اللّه الحجاج وكل ملعون من نسله، وكل من انضوى الى حفله، واحتطب في حبله، من مبغضي أهل البيت، ولعن الله من لم يلعن مبغضيهم، وقاتليهم، وسافكي دمائهم، والَّذين أعانوا على قتلهم، وأشاروا إليه، ودلّوا عليه، أليس قد عرف من دين الإسلام، أنَّ من دلّ على قتل صيد الحرام، كمن قتل صيد الحرم في الأحكام فهذا حكم الله في الدّال على صيد الحرم، فكيف يكون

---

(١) لعله فكظمت.

حكم اللّه في من انتهك حرمة رسوله في الحرم، وسفك من دم سبط شفيع يوم العرض، ولم يكن حينئذ ابن بنت نبي غيره في بسيط الأرض.

وانا لمّا عجزت لتاخير زماني عن المناضلة دونه وإراقة دمي والمثول بين يديه على قدمي، احببت انْ اجمع مقتله بلعباب قلمي، واطاعن دونه ودون ذريته باللسان، إذْ لم أُطاعن دونهم بالسنان، واضارب قراهم[١] بالبيان المساعد؛ إذ لم أُضارب دونهم بالبنان والساعد، ليجدد مطالع مجموعي اللعن على قاتليهم، ويوجه اللائمة الى خاذليهم وخاتليهم؛ وليكون لي حظ في شَفَاعَةِ جدِّهم محمَّد المجتبى من بريته، مع الأولياء مِنْ ذريته، يوم ينادي المنادي من وراء حجب العرش: «ياأهل الموقف! غضوا ابصاركم لتجوز فاطمة بنت محمَّد فتمضي في عرصات القيامة متلففة بثوب مخضوب بدم الحسين؛ فتحتوي على ساق العرش، ثمَّ تقول: انت الجبار العدل اقْضِ بيني وبين قتلة ولدي، قال رسول اللّهﷺ: فيقضي الله لبنتي ورب الكعبة، ثم تقول: شفعني فيمن بكى على مصيبتي، فيشفعها الله تعالى فيهم».

وكسرت هذا المجموع على خمسة عشر فصلاً:

الفصل الأوَّل: في ذكرشيء من فضائل النبيِّﷺ.

الفصل الثاني: في فضائل خديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إيماناً باللّه ورسولهﷺ.

الفصل الثالث: في فضائل فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أُم عليّ بن ابي طالبؑ.

الفصل الرابع: في انموذج من فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبؑ

(١) لعله عداهم.

ومن فضائل ذريته الطاهرين.

الفصل الخامس: في فضائل فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

الفصل السادس: في فضائل الحسن والحسين عليهما السلام.

الفصل السابع: في فضائل الحسين عليه السلام خاصة.

الفصل الثامن: في إخبار النبي صلى الله عليه وآله عن الحسين وأحواله فكان كما أخبر صلى الله عليه وآله.

الفصل التاسع: في بيان ما جرى بينه وبين الوليد بن عتبة؛ ومروان بن الحكم، حال حياة معاوية وبعد وفاته.

الفصل العاشر: في بيان أحواله، مدة مقامه بمكة، وبيان ما ورد عليه من كتب أهل الكوفة، وإرسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة ومقتله بها.

الفصل الحادي عشر: في خروجه من مكّة إلى العراق، وما جرى عليه في طريقه، ونزوله بالطف من كربلاء ومقتله بها (صلى اللّه عليه) ورزقنا شفاعته.

الفصل الثاني عشر: في بيان عقوبة قاتليه وخاذليه (صلّى اللّه عليه) ولعن قاتليه.

الفصل الثالث عشر: في ذكر المصيبة به ومرثيته عليه السلام.

الفصل الرابع عشر: في زيارة تربته وفقنا اللّه لزيارته.

الفصل الخامس عشر: في إنتقام المختار بن أبي عبيد الثقفي (رحمه اللّه) من قاتليه وخاذليه (صلّى اللّه عليه) ولعنهم لعنة يستحقونها.

وتوخيت انْ أُودع هذا المؤلّف المعرف، ما لا يمجه سمع السماع،

وقصدت أنْ أُحلي هذا المصنف المشنَّف بما لا يرده جمع الإجماع، وأردتُ أنْ يرتفعَ مستطير الشعاع، مكشوف القناع، ولم المظه ما يرويه الغلاة، ولم أُحبِّره بما يستلذه الغواة، وختمت مجموعي هذا بقصة المختار، الذي شفى صدور الأبرار، من تلك الأوتار، وبمقتل عبيد اللّه بن زياد الأبتر، بصمصام إبراهيم بن الأشتر، لاطفىء مِنْ قُلوبِ أهل الإسلام نائرة أرثتها عصابة لا تنطفي في الآجلة نارها، واسترحض عار باغية لا يرحض في العاجلة عارها، حين استهانوا برد المعقول، وعصوا دواعي العقول، وباءوا من اللّه بالغضب والمقت، واستحقوا منه ما استحق أصحاب السبت، وإن استمرت في خلال ذلك للأشقياء جولة على السعداء، واستفحلت للبغاة وطأة على الشهداء، ليكرم الله تعالى منقلب ذريه الرسول ومآبهم. ويجزل لهم بالشهادة ثوابهم، ثمَّ إنَّ الله تعالى أرسل على عبيد الله بن زياد، صاعقة ابراهيم بن الأشتر الكمي ابن الكمي، والسري ابن السري، فأزهق نفسه، وكوَّر شمسه؛ فاذاقه شطر وبال ما احتطب، وجزاء ما اكتسب، وجعل الذي بجبينه معصوباً، والسيف على رأسه مصبوباً، وَسَلَّ عليه وعلى من انحاز إليه؛ مِنْ تِلكَ الفرقة اللعينة، وضامه من تلك الجثث الخبيثة، سيفاً دامي الغرار، يحكم على رقاب هؤلاء الاغرار، ومد يده الطويلة الباع الى اجتياحهم، وأشرع رمحاً مسبوكاً من ريقة الرقشاء الى انتهاكهم، وطهر أديم الارض من أدناس هؤلاء العارمين الالمين، وتركهم في مصابهم جاثمين، ﴿فقطع دابر القوم الَّذين ظلموا، والحمدُ للّه ربِّ العالمين﴾ الانعام/ ٤٥ .

* * *



الفصل الاول

في ذكر شيء من فضائل النبي صلى الله عليه وآله



١ـ انباني شيخ الدّين أبو الحسن عليّ بن أحمد بن حمويه الجويني، أخبرنا أحمد بن قتيبة الحروجردي، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، أخبرنا أبو بكر محمَّد بن عبد اللّه العبدي، أخبرنا محمَّد بن أحمد بن أبي العوام، أخبرنا بهلول بن المورق، أخبرنا موسى بن عبيدة، أخبرنا عمرو بن عبد اللّه بن نوفل، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن عائشة قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «قال لي جبرائيل عليه السلام: قلبت الأرض مشارقها ومغاربها، فلم أجد رجلاً أفضل مِنْ محمَّد، وقلبت الأرضَ مشارقها ومغاربها، فلم أجد بني أب أفضل مِن بني هاشم».

٢ـ وأخبرنا الشيخ الصالح العالم العدل أبوالفتح عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكروخي الهروي، عن مشايخه الثلاثة: القاضي أبي عامر محمود بن القاسم الأزدي؛ وأبي نصر عبد العزيز بن محمَّد الترياقي؛ وأبي بكر أحمد بن عبد الصمد الغورجي (رحمهم اللّه) ثلاثتهم، عن أبي محمَّد عبد الجبار بن محمَّد الجراحي، عن أبي العبَّاس محمَّد بن أحمد

المحبوبي، عن الإمام الحافظ عيسى بن محمَّد بن عيسى الترمذي، أخبرنا الحسين بن زيد الكوفي، أخبرنا عبد السلم بن حرب، عن ليث، عن الرَّبيع، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا أوَّلُ النّاس خروجاً إذا بُعثُوا، وأنا خطيبهم إذا وَفَدُوا، وأنا مُبَشِرُهُمْ إذا يَئِسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربِّي ولا فخر».

٣ـ وبهذا الإسناد عن أبي عيسى الترمذي، أخبرنا الحسين بن يزيد، أخبرنا عبد السلم بن حرب، عن يزيد بن أبي جالد، عن المنهال بن عمرو، عن أبي عبد الله بن الحرث، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا أوَّل مَنْ تنشق عنه الارض فأكسى الحلّة مِنْ حُلَلِ الجنَّةِ، ثُمَّ اقوم عن يمين العرش وليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري».

٤ـ وبهذا الإسناد عن أبي عيسى الترمذي، أخبرنا محمَّد بن بشار، اخبرنا أبو عاصم، أخبرنا سفيان الثوري، عن ليث ـ وهو ابن أبي سليم ـ حدَّثني كعب، حدَّثني: أبو هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سلوا الله لي الوسيلة» قالوا: يارسول الله! وما الوسيلة؟ قال: « أعلى درجة في الجنَّة لا ينالها إلاّ رجلٌ واحد أرجو أن أكونَ أنا».

٥ـ وبهذا الإسناد عن أبي عيسى الترمذي، أخبرنا ابن أبي عمر، أخبرنا سفيان، عن ابن جدعان، عن أبي نصرة، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «انا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيٍّ يومئذ، آدم فمن سواه إلاّ تحت لوائي، وأنا أوَّلُ مَنْ تشقّ عنه الأرض ولا فخر».

٦ـ وبهذا الإسناد عن أبي عيسى الترمذي، أخبرنا عليُّ بن نصر بن عليّ الجهضمي، أخبرنا عبد الله بن عبد المجيد، أخبرنا رفعة بن صالح، عن

سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: جلس ناس من أصحاب رسول اللّه ﷺ ينتظرونه، قال: فخرج حتّى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجباً انَّ اللّه اتَّخذَ مِنْ خَلْقهِ خليلاً اتَّخذ إبراهيم خليلاً! وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما! وقال آخر: فعيسى كلمة اللّه وروحه! وقال آخر: آدم اصطفاه اللّه!

فخرج عليهم فسلّم وقال: «قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل اللّه وهو كذلك، وموسى نجي اللّه وهو كذلك، وعيسى روح اللّه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه اللّه وهو كذلك، الا وانا حبيب اللّه ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوَّلُ شافع وأوَّل مُشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوَّلُ مَنْ يُحرك حلق الجنَّة فيفتح اللّه لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأوَّلين والآخرين ولا فخر».

٧ـ أخبرنا العلاّمة فخر خوارزم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ره)، اخبرنا الشيخ الفقيه الإمام أبو عليّ الحسن بن علي بن أبي طالب الفرزادي ـ بالري ـ، أخبرنا الشيخ الفقيه الزاهد أبو بكر طاهر بن الحسين بن عليّ السّمان، اخبرنا عمّي الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين السّمان الرَّازي، أخبرنا أبو عمر؛ وعبد الواحد ابن محمَّد بن عبد اللّه الفارسي، أخبرنا أبو محمَّد عبد اللّه بن أحمد بن إسحاق المصري، اخبرنا الرَّبيع بن سليمان المرادي، أخبرنا عبد اللّه بن وهب، أخبرني سليمان بن بلال، حدَّثني العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة: انَّ رسول اللّه ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أُعطيت جوامع الكلم، ونصرتُ بالرعب، وأُحلّت ليَّ الغنائم، وجعلت ليَّ الأرض طهوراً

ومسجداً، وأرسلت إلى النّاس كافة، وختم بيَّ الأنبياء».

٨ ـ وبهذا الإسناد، عن أبي سعد السّمان هذا، أخبرنا أبو نصر محمّد ابن عليّ بن الحسين الخفاف، وعليّ بن محمّد بن أحمد بن يعقوب ـ قراءة عليهما ـ قالا: حدَّثنا أبو عبد اللّه أحمد بن خالد، أخبرنا أبو سهل موسى ابن نصر، أخبرنا يعلى بن عبيد، عن أبي سنان، عن عبد اللّه بن مالك، عن مكحول، قال: كان لعمر على رجل من اليهود حق فأتاه فطلبه، فقال عمر: لا، والَّذي اصطفى محمَّداً على البشر لا أُفارقك وأنا أطلبك بشيء، فقال اليهودي: ما اصطفى محمَّداً على البشر.

فلطمه عمر، فقال: بيني وبينك أبو القاسم، فجاءه فقال: إنَّ عمر قال: والَّذي اصطفى محمَّداً على البشر، فقلت: ما اصطفى محمَّدا على البشر فلطمني، فقال (صلّى اللّه عليه): «أنت ياعمر! فارضه من لطمه. بلى يايهودي! آدم صفي اللّه؛ وإبراهيم خليل اللّه؛ وموسى نجي اللّه؛ وعيسى روح اللّه؛ وأنا حبيب اللّه. بلى يايهودي! تسمى اللّه باسمين سمى بهما أمتي: هو السلام وسمى أُمَّتي المسلمين، وهو المؤمن وسمى أُمَّتي المؤمنين. بلى يايهودي! طلبتم يوماً ذخر لنا اليوم، وغد لكم، وبعد غد للنصارى. بلى يايهودي !انتم الأوَّلون ونحن الآخرون السَّابقون يوم القيامة. بلى يايهودي! إنَّ الجنَّة محرمة على الأنبياء حتّى ادخلها، وهي محرمة على الأمم حتّى تدخلها أمتي».

٩ ـ قال: وفي «المراسيل» عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ في حديث طويل ـ: «إذا كان يوم القيامة فأوَّل مَنْ يقوم من قبره الصّادق النّاطق النّاصح المشفق محمَّد صلى الله عليه وآله فيأتيه جبرائيل بالبراق، وميكائيل بالتاج، وإسرافيل بالقضيب، ورضوان بالحلتين، ثُمَّ ينادي جبرائيل: أيْنَ قبر

محمَّد ﷺ؟ فتقول الأرضُ: حملتني الرياح مَعَ الجبال فدكتا دكةً واحدةً، فلا أدري أيْنَ قبر محمَّد ﷺ؟ فيرتفع مِنْ قبره عمود من نور إلى عنان السماء، فيبكي جبرائيل بكاءً شديداً، فيقول له ميكائيل: ما يبكيك؟ فيقول: وما يمنعني من البكاء وهذا محمَّد ﷺ يقوم من قبره ويسالني عن أمته، وأنا لا أدري اين أمتَّه؟

قال: ثم ينصدع القبر فإذا محمَّد ﷺ قاعد ينفض التراب من رأسه ولحيته، ثُمَّ يلتفت يميناً وشمالاً، فلا يرى من العمران شيئاً، فيقول: ياجبرائيل! بشرني، فيقول أبشِّرك بالبراق السباق الطائر في الآفاق، فيقول: بَشرني، فيقول: أبشرك بالتاج، فيقول بَشّرني، فيقول: أبشرك بالقضيب والخلتين، فيقول: بشّرني بأمتي لَعلَّكَ خلفتهم بين أطباق النيران، أو لَعَلَّكَ تركتهم على شفير جهنم، او لعلَّكَ تركتهم في أيدي الزبانية، فيقول: ما رايتهم؟ ولكنَّهم بعد في لحودهم، وما انْشَقَّتِ الأرضُ عن آدمي قبلك؟ فيقوم النبيُّ ﷺ، ويخرج من قبره، ويمسح جبرائيل الترابَ من راسه ولحيته، ويضع التّاجَ على رأسه، وياخذ القضيبَ بيده، فيدنو الى البراق ليركبها فتفرَّ عَنْهُ، فيقول جبرائيل: أما تستحين أيَّتُها البراق، فهذا محمَّد المصطفى ﷺ؟! فتقول البراق: وعزة ربِّي وجلاله، لا يركبني حتّى يضمن لي انْ أكونَ في شفاعته، فإنَّ ربِّي غضب اليوم غضباً لم يغضبه فيما مضى، ولا يغضبه فيما بقي، فيضمن لها محمَّد ﷺ شفاعته فتخضع برأسها ثُمَّ يركبها، فإذا هو ـ بيت المقدس ـ على دُرَّةٍ بيضاء، والكعبة بجنبها، والمساجد حولها.

قال: فيسجد النبيُّ ﷺ، ويثني على الله بما لم يثن عليه أحد قبلهُ، فيقول له الجبّار: يامحمَّد! فيقول: لَبيكَ وَسَعْدَيْكَ، والخيرُ بَيْنَ يَدَيْكَ؛

والمَهْدي مَنْ هَدَيْتَ، عَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، لا ملجأ ولا منجا إلاّ إليك، تباركتَ ربَّنا وتعاليتَ، وهذا هو المقام المحمود في قوله تعالى: ﴿**عسى أنْ يبعثكَ ربُّك مقاماً محموداً**﴾ الاسراء/٧٩، فيقولُ تعالى: ارفع رأسكَ، سل تعط واشفع تشفع، وإذا نداء: يارضوان! زخرف الجنان، ويامالك! سعر النيران، ويامحمَّد! قرب أُمتك الى الميزان، فيقول صلى الله عليه وآله: هلموا إلى العرض على الرحمن، فيقولون: دعنا نشبع من النظر إلى وجهكَ فقد عشنا في حُبِّكَ ومتنا في حُبِّكَ وبعثنا في حُبِّكَ؛ وإذا اكتحلنا مِنْ عزتكَ فسقنا الى من شئت، فإنَّ شوقنا إليك أكبر مِنْ شوقنا إلى الجنان والجواري والغلمان.

فينظرون إلى وجهه ساعةً ثُمَّ يسوقهم سوق الراعي الشفيق غنمه، وهو مع الملائكة جاثٍ بَيْنَ يدي الجبّار، فيتعلَّق بازاء محمَّد صلى الله عليه وآله اربعة مِنَ الرُّسل: إبراهيم خليلُ الرَّحمن؛ فيقول: لا أسالكَ ولدي؛ وموسى كليم اللّه، فيقول: لا أسالك أخي هارون؛ وداود صفي اللّه، ويقول: لاأسالكَ سليمان؛ وعيسى روح اللّه، ويقول: لا أسالك مريم؛ ومحمَّد صلى الله عليه وآله، يقول: لا أسالك نفسي أسالكَ المذنبين من أُمَّتي.

فتقول جهنم: مَنْ هذا الَّذي يشفع كلُّ إنسان لنفسه وهو يشفع لأُمته؟ فيقول جبرائيل: هذا محمَّد المصطفى، فتقول جهنم: ياربِّي وإلهي وسيِّدي! نجِّ محمَّد وأُمَّته مِنْ حرِّي وبردي وهوامي وسلاسلي وآغلالي وألوان عذابي» ـ والقصة طويلة.

١٠ـ وقال أهلُ التذكر: فُضِلَ الحَبيبُ على الخليلِ، لان الخليلَ طَلَبَ الطهارة لنفسه ولأهْلِ بيته على ما قال: ﴿**واجنبني وبني أنْ نعبدَ الأصنام**﴾ابراهيم/٣٥، والحبيب أُعطي ذلكَ من غَير مسالة على ما قال تعالى: ﴿**إنَّما يُريد اللّه ليذهب عنكم الرِّجسَ أهلَ البيت**﴾الاحزاب/٣٣.

والخليل طَلَبَ الذكْرَ على ما قال: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾الشعراء/٨٤، والحبيب كفي ذلك على ما قال تعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾الشرح/٤.

والخليلُ سأله الجنَّةَ على ما قال: ﴿واجعلني مِنْ ورثة جنة النعيم﴾الشعراء/٨٥، والحبيب أُعطي ذلك مِنْ غير مسألة على ما قال: ﴿إنَّا اعطيناكَ الكوثر﴾الكوثر/١.

والخليلُ يحتسبُ اللّهَ عِنْدَ المحنة فيقول: ﴿حسبنا اللّه﴾آل عمران/١٧٣، والحبيب كفي ذلك على ما قالَ: ﴿ياأيُّها النبيُّ حسبك اللّه﴾الانفال/٦٤.

والخليلُ يقتدى به في خصلة من خصاله على ما قال تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى﴾البقرة/١٢٥. والحبيب يقتدى به في جميع خصاله على ما قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول اللّه اسوة حسنة﴾الاحزاب/٢١.

والخليل يطلب الهداية على ما قال: ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾الصافات/٩٩، والحبيب كفي ذلك على ما قال تعالى: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾الضحىٰ/٧، ﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾الفتح/٢.

والخليل يقول: ﴿والذي أطمع أنْ يغفر لي خطيئتي يوم الدِّين﴾الشعراء/٨٢، والحبيب يقال لهُ: ﴿ليغفر لكَ اللّه ما تقدَّم مِنْ ذنبكَ وما تاخر﴾الفتح/٢.

والخليل سال الرؤية للمناسك على ما قال: ﴿وأرنا مناسكنا﴾البقرة/١٢٨، والحبيب أُري الآيات من غير مسالة على ماقال: ﴿لنريه من آياتنا﴾الإسراء/١.

وقالوا أيضاً: فضل الحبيب على الكليم؛ لان الكليم سال شرح الصدر على ما قال: ﴿ربي اشرح لي صدري﴾طه/١٢٥، والحبيب أُعطي ذلك من غير مسالة على ما قال تعالى: ﴿الم نشرح لك صدرك﴾الشرح/١.

والكليم سجدت السحرة لعصاه؛ والحبيب سجدت الأوثان لقضيبه.

والكليم قال في حقِّ قومه **﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾**المائدة/٢٥؛ والحبيب قال: **«اللّهُمَّ اهدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون»**.

والكليم حصل عند ضرب عصاه على ما قال: **﴿فكان كل فرق كالطود العظيم﴾**الشعراء/٦٣؛ والحبيب حصل عند تفرق أصابعه على ما قال: **﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾**القمر/١.

والكليم طلب رضى اللّه على ما قال: **﴿وعجلت إليكَ ربِ لترضى﴾**طه/٨٤؛ والحبيب يطلب رضاه على ما قال: **﴿ولسوف يعطيك ربُّك فترضى﴾**الضحىٰ/٥.

والكليم معراجه الى الطور؛ والحبيب معراجه الى البيت المعمور وإلى بساط النور.

والكليم ضرب الحجر فانفجر منه الماء؛ والحبيب انفجر من أصابعه الماء.

ونوح له السفينة على الماء؛ ومحمَّد له البراق الطيار في الهواء (صلّىٰ الله عليه وآله وعليهم السلام).

١١ـ أخبرنا عين الأئمة أبو الحسن عليّ بن أحمد الكرباسي، أخبرنا عماد الدِّين محمَّد بن إبراهيم الوتري، أخبرنا الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد البخاري، أخبرنا إسحاق الرَّازي، أخبرنا القاضي أبو العباس أحمد ابن محمَّد بن إبراهيم ـ بخوارزم الري ـ، أخبرنا أبو بكر محمَّد بن حمويه النيشابوري بها، أخبرنا محمَّد بن الوليد البغدادي ـ بمكة ـ، أخبرنا إبراهيم ابن صرمة، عن يحيى بن سعيد، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «فضلت على آدم بخصلتين: كان شيطاني كافراً فاعانني اللّه تعالى

عليه حتى أسلم، وأزواجي كنَّ عوناً لي، وكان شيطان آدم كافراً وزوجته كانت عوناً له على خطيئته».

١٢ـ وفي رواية أبي سعيد الخدري، عن النبيِّ ﷺ قال: جاء جبرائيل إلى النبيِّ ﷺ وقال: إنَّ ربَّك يُقْرِؤكَ السَّلام، ويقول: أتدري بما رفعت ذكرك؟ قال: «لا أدري»، قال: يقول: إذا ذكرت ذكرت معي.

١٣ـ أخبرنا الشيخ الإمام فخر الأئمَّة أبو الفضل بن عبد الرَّحمن الحفربندي إجازةً، أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمَّد الحسن بن أحمد السمرقندي، أخبرنا أبو القاسم عبد الرَّحمن بن أحمد بن محمَّد بن عبدان العطار؛ وإسماعيل بن أبي نصر عبد الرَّحمن الصابوني؛ وأحمد بن الحسين البيهقي، قالوا: أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، أخبرنا عليُّ بن حمَّاد العدل إملاءً، أخبرنا هارون بن العبّاس الهاشمي، أخبرنا جندل بن والق، أخبرنا عمرو ابن أوس الأنصاري، أخبرنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن سعيد بن المسيَّب، عن ابن عبّاس، قال: أوحى اللّه عزَّوجلَّ إلى عيسى: ياعيسى! آمن بمحمَّد، ومر مَن أدركه من أُمَّتك أنْ يؤمنوا به؛ فلولا محمَّد ما خلقت آدم، ولولا محمَّد ما خلقت الجنَّة والنّار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه: لا إله إلا اللّه مح ـ أي نصف اسم محمَّد ـ فسكن.

قال أبو عبد اللّه الحافظ: هذا حديث صحيح الإسناد؛ ولم يخرجه الشيخان.

١٤ـ وبهذا الإسناد، عن أبي عبد اللّه الحافظ، أخبرنا أبو سعد عمرو ابن محمَّد بن منصور العدل، أخبرنا أبو الحسن محمَّد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا أبو الحارث عبد اللّه بن مسلم الفهري، أخبرنا إسماعيل بن مسلمة، أخبرنا عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن

جدِّه، عن عمر بن الخطّاب قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يارب! اسالك بمحمَّد لما غفرت لي، فقال اللّه تعالى: يا آدم! كيف عرفت محمَّداً ولم أخلقه؟ قال: يارب! لأنَّك لمّا خلقتني بيدك، ونفخت فيّ مِنْ رُوحكَ؛ رفعتُ رأسي فرأيتُ على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلاّ اللّه محمَّد رسول اللّه، فعلمت أنَّك لم تضف لإسمكَ إلاّ أحبُّ الخلق إليك.

فقال اللّه عزَّوجلَّ: صدقت يا آدم! إنَّه لاحَبُّ الخلق إليَّ إذا سالتني بحقّه فقد غفرت لكَ، ولولا محمَّد ما خلقتك.

قال أبوعبد اللّه الحافظ: وهذا حديث صحيح الإسناد وَلَمْ يخرِّجه الشيخان.

١٥ـ أخبرنا الثقة أبو بكر محمَّد بن عبيد اللّه بن نصر بن الزاغوني ـ بمدينة السَّلام ـ، أخبرنا محمَّد بن إسحاق أبو الحسن الباقرحي، أخبرنا أبو عبد اللّه الحسين بن الحسن، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم، أخبرنا أبوالقاسم عبد اللّه بن أحمد بن عامر الطائي، أخبرنا أبي أحمد بن عامر، أخبرنا أبو الحسن عليّ بن موسى الرِّضا، حدَّثني أبي موسى بن جعفر، حدَّثني أبي جعفر بن محمَّد، حدَّثني أبي محمَّد بن عليّ الباقر، حدَّثني أبي عليُّ بن الحسين، حدَّثني أبي الحسين بن عليّ، حدَّثني أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إنَّ موسى سال ربَّه فقال: يارب! اجعلني من أُمَّة أحمد؟ فأوحى اللّه إليه: ياموسى! إنَّكَ لا تصل إلى ذلك».

١٦ـ أخبرنا عين الأُمَّة أبو الحسن علي بن أحمد الكرباسي، أخبرنا عماد الدِّين أبو عبد اللّه محمَّد بن إبراهيم التوبري، أخبرنا الشيخ الإمام شمس الأئمَّة أبو محمَّد عبد العزيز بن أحمد الحلواني (ره)، حدَّثنا الشيخ

الحافظ أبوعبد اللّه محمَّد بن أحمد بن محمَّد، أخبرنا الشيخ الفقيه أبو نصر أحمد بن سهل، أخبرنا ابن شهاب قال: قال عليُّ بن إبراهيم، قال مقاتل ابن سليمان ـ رفعه ـ:

إنَّما فضل اللّه تعالى نبيَّه محمَّداً ﷺ على النبيِّين عليهم السلام، وفضلَ أُمَّته على جميع الأمم لفضل منزلته عنده: إنَّه مِن أسرع النَّاس خروجاً من الأرض يومَ القيامة إذا بُعثوا، وسيِّد النبيين إذا حُشروا، وإمامهم إذا سجدوا، وخطيبهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا جنوا، وقائدهم إلى الجنَّة إذا دخلوا، وأقربهم مجلساً مِنَ اللّه تعالى إذا اجتمعوا، يتكلّم النبيّ ﷺ عند الربِّ تعالى فيصدقه، ويسأله فيعطيه، ويشفع فيشفعه، ويعطيه الحوض المورود، والشفاعة المقبولة، ويبعثه المقام المحمود، والكرم يومئذ له، ومفاتيح الجنَّة بيده، وقد اتَّخذه اللّه خليلاً، وكلَّمه تكليماً، وجعله حكيماً، وبعثه نبيّاً، واتخذه شهيداً، وغفر له ما تقدَّم مِنْ ذنبه وما تأخّر، وغفر له ما لم يَعْلَم ومما هو عامل، وعلَّمه الأسماء، وزينه بالتقوى، ودنا إليه فتدلّى عند سدرة المنتهى، وأعطاه مكان التوراة السبع المثاني، ومكان الزبور المئين، وفضله ربُّه بالحواميم والمفصل، وأعطاه جوامع الخير وفواتحه، وأعطاه اسمه الأعظم، وخواتيم سورة البقرة ـ وهو كنز الرَّحمن ـ، وأعطاه الكوثر ـ وهو نهر في الجنّة حافتاه قباب الدر ـ فيها أزواجه، وذلك النهر يطرّد مثل الشهد أشدّ بياضاً مِنَ اللبن، وأحلى مِنَ العسل، طينته مسك أذفر ورضراضه الدر.

ومما فضله اللّه تعالى به أنَّ ليلة أسرى به مثل له النبيّون عليهم السلام فصلّى بهم وهم خلفه يقتدون به، وممّا فضله اللّه تعالى به أنّه عاين تلك الليلة الجنّة والنّار فلما عرج الى السَّماء وسلَّمت عليه الملائكة عاين قوم موسى فآمنوا به وهم الَّذين من وراء الصين، وذلك انَّ بني إسرائيل حين عملوا بالمعاصي،

وقتلوا الَّذين يامرون بالقسط، دعا قوم موسى وهم بالأرض المقدَّسة، فقالوا: اللَّهم! اخرجنا مِنْ بين أظهرهم، فاستجاب اللّه لهم فجعل لهم سرباً في الأرض فدخلوا فيه، وجعل لهم نهراً يجري، وجعل لهم مصباحاً من نور بين أيديهم فساروا فيه سنة ونصفاً وذلك من بيت المقدس إلى مجلسهم الَّذي هم فيه، فاخرجهم اللّه تعالى إلى الأرض الَّتي يجتمع فيهاالهوام والبهائم والسباع مختلطين فيها ليست لهم ذنوب ولا معاصي، فأتاهم النبي صلى الله عليه وآله تلك الليلة ومعه جبرائيل فآمنوا به وصدقوه، فعلمهم الصَّلاة ثم قالوا: إنَّ موسى قد بشرهم به.

ومما فضله اللّه تعالى به أنَّه بعث إليه ملكاً يخبره بملك من كان قبله، وملك مَنْ يكون بعده الى يوم القيامة، وملك الآخرة، فقال: «اللّهُمَّ! اجمعهما لي في الآخرة».

ومَّا فضله اللّه تعالى به أنَّ ملك الموت أتاه ليقبض روحه فلم يدخل عليه إلا بإذنه، وأمر ملك الموت أن يخيره بين تركه وقبض روحه، فاستنظره النبيُّ حتّى يلقى أخاه جبرائيل ـ صلوات اللّه عليهما ـ، فعرج ملك الموت ولقي جبرائيل، فخيره جبرائيل: إما ميتة طيبة، واما حياة لا هرم فيها.

وممّا فضله اللّه تعالى به أنَّ اسرافيل هبط عليه ولم يهبط على أحد مِنَ الرُّسل قبله ولا بعده، وميكائيل عن يساره فعرض عليه: إمَّا أنْ يكون نبيّاً عبداً، وإمّا أن يكون ملكاً، فأومأ إليه جبرائيل بالتواضع، فقال نبيّاً عبداً، قال النبيُّ صلى الله عليه وآله «فرأيت بين عيني إسرافيل كلَّ شيءٍ نزل عليَّ قبل نزوله».

ومما فضله اللّه به أنَّه أعطاه خمساً لم يعطهن أحد قبله: أنَّه بعث إلى الجن والإنس الى يوم القيامة، وإنما كان يبعث الأنبياء إلى قومهم والى أرضهم، وأنَّه جعلت له الأرض طهوراً ومسجداً، وأنَّه حلت له الغنائم ولم

تكن للأنبياء والرُّسل حلالاً، وأنَّه نصر على عدوه بالرعب مسيرة شهر، وأنَّه أُعطي الشفاعة دون النبيِّين في الآخرة وتلك الشفاعة العامة، وذلك أنَّ اللّه جعل لكلِّ نبيٍّ دعوة في الدُّنيا والنبيُّ ﷺ أخرَّها في الآخرة لأمته.

وهذه الخصال لم تكن لأحد من ولد آدم.

ومما فضله اللّه به ان السماء لم تحرس ولم ترم بالكواكب قبل محمَّدﷺ فلمَّا بعث حرست الملائكة السماء، ورمت الشياطين بالشهب.

ومما فضله اللّه به أنَّه أخذ اللّه ميثاقه قبل النبيِّين وأخذ له ميثاق النبيين بالتسليم والرضا والتصديق به.

وممَّا فضله اللّه به في الآخرة أنَّه اوَّل مَنْ يُسال، واوَّل مَنْ يُدعى، واوَّل مَنْ يشفع، واوَّل مَنْ ياخذ بحلقة الجنَّة.

ومما فضله اللّه به أنَّ في الجنَّة درجة تسمى ـ الوسيلة ـ في أعلى عليين من الجنان فهي له خاصة. وكانﷺ كثيراً ما يقول: «إنَّ في الجنَّة درجة لا ينالها إلا رجل واحد ـ يعني نفسه ـ وهي الوسيلة.

وممَّا فضله اللّه به أنَّه جعل نساءه معه في الجنَّة في خير البقاع، ورفع ذكره في العالمين، فكلما ذكر اللّه عزَّوجلَّ ذكر النبيﷺ معه في: يوم الجمعة، وفي العيدين، وفي مواقف الحج والعمرة، وحول البيت والصفا والمروة، وعند الجهاد، وفي كل خطبة ـ حتّى خطبة النساء عند النكاح ـ، وفي الأذان والإقامة والصلاة، فكلَّما ذكر اللّه تعالى ذكرﷺ معه، وهو قوله: ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾الشرح/٤.

وممّا فضله اللّه به أنَّ الشيطان لم يسلط عليه في شيء.

وممّا فضله اللّه به أنَّه امر جبرائيل انْ يامر خازن النّار انْ يكشف عن باب من ابواب النّار لينظر إليها.

ومما فضله اللّه تعالى به انَّ ابليس أمر مارداً من الجن يقال له: «الأبيض» انْ يأتيه فاتى، وتمثل بصورة كأنَّه يوحى إليه وهو يصلي، فبعث اللّه جبرائيل، فلمَّا انصرف النبيُّ إذا جبرائيل بينه وبين الشيطان فدفعه جبرائيل بيده، فوقع من «مكة» إلى «الهند» فانزل اللّه فيه: ﴿**ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين**﴾التكوير/٢١، فتلك قوة جبرائيل عليه السلام.

وممّا فضله اللّه تعالى به انَّ جبرائيل أتاه بسورة الأنعام، ومعه سبعون ألف ملك ـ لهم زجل من التسبيح والتحميد ـ حتّى كادت الأرض ترج فخر النبيُّ صلى الله عليه وآله ساجداً.

ومما فضله اللّه تعالى به انَّ اللّه تعالى أمر ملائكته يحفظونه من بين يديه ومن خلفه.

ومما فضله اللّه تعالى به اِنَّ الشياطين كانوا يختلسون مِنَ الأنبياء عند الوحي، ثُمَّ تلقي الشياطين على السن الكهنة والعرافين ممَّا يستمعون من السَّماء، ثُمَّ يخبرون النّاس بما هو كائن، فإذا قال نبيُّهم: يكون كذا وكذا، قالوا: قد سمعنا هذا قبل هذا، فَعَصِمَ اللّه تعالى نبيَّه (صلواته عليه وآله) وآمنه، وحرست السماء بالملائكة، ورميت الشياطين بالشهب، وحفظت الملائكة محمَّداً صلى الله عليه وآله عند الوحي فلا يستمعون.

وممّا فضله اللّه تعالى به أنَّه لا يدخل جنَّة عدن احد قَبْلَه ـ وهي دارُ الرَّحمن وموضع عرشه ـ، وجنَّة عدن قصبة الجنَّة وهي مشرفة على الجنان، وباب جنَّة عدن لها مصراعان من زمرد من نور بينهما كما بين المشرق والمغرب.

ومما فضله اللّه تعالى به أنَّه جعلت له ليلة القدر خيراً من الف شهر يستبشربها حملة العرش.

ومما فضله اللّه تعالى به أنَّه غفر له ما تقدَّم مِنْ ذنبه وما تأخَّر، وفتح له فتحاً يسيراً، ونصره نصراً عزيزاً، وهداه صراطاً مستقيماً.

١٧ـ أخبرنا سيِّد الحفّاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي ـ فيما كَتَبَ إليَّ مِنْ همدان ـ، قال: سمعتُ في «مسند» احمد بن حنبل، و«معجم» الطبراني، باسنادهما عن عبد اللّه بن عمر قال: قال رسول اللّه ﷺ: «انا محمَّدُ النبيُّ الأمين ـ ثلاث مرات ـ ولا نبيَّ بعدي، أُوتيت فواتح الكلام وخواتمه وجوامعه، وعلمت كم خزنة النّار؟ وكم حملة العرش؟ ومحو ربِّي، وعوفيت أُمتي، فاسمعوا واطيعوا مادمت فيكم، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب اللّه، أحلّوا حلاله وحرِّموا حرامه.

١٨ـ قال: وسمعت في «المفاريد» برواية ابن عباس قال: قال رسول اللّه ﷺ: «انا حبيب اللّه ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، إنِّي لا افتخر بالعطاء والنعم، وإنَّما أفتخر بالمعطي والمنعم».

١٩ـ قال: وفي ـ رواية عائشة ـ قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «أنا أشبه بأبي آدم، وكان إبراهيم خليل الرَّحمن أشبه النّاس بيَّ خَلقاً وخُلقاً».

٢٠ـ قال: وفي ـ رواية أنس ـ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «أنا أوَّل مَنْ يأخذ بحلقة الجنَّة فأُقعقعها».

٢١ـ قال: وفي ـ رواية ابن عمر ـ وهو في «جامع» أبي عيسى، و«معجم» الطبراني، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «أنا أوَّل مَنْ تنشق عنه الارض فاجلس جالساً في قبري فينفتح لي باب الى السماء بحيال راسي حتّى أنظر إلى العرش، ثُمَّ ينفتح لي باب مِنْ تَحتي إلى الأرض السَّابعة فانظر إلى الثرى، ثُمَّ ينفتح لي باب عن يميني فانظر إلى الجنَّة ومنازل أصحابي، وانَّ الارض تحرّكت تَحتي، فقلت لها: مالك، أيتها الارض؟

قالت: إنَّ ربي امرني انْ ألقي ما في جوفي فاكون كما كُنْت إذْ لا شيء فيّ».

٢٢ـ قال: وفي ـ رواية أبي هريرة؛ وأبي سعيد ـ قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «انا اوَّل مَنْ يوضع له الصراط على النّار فَامر عليه فادخل الجنَّة».

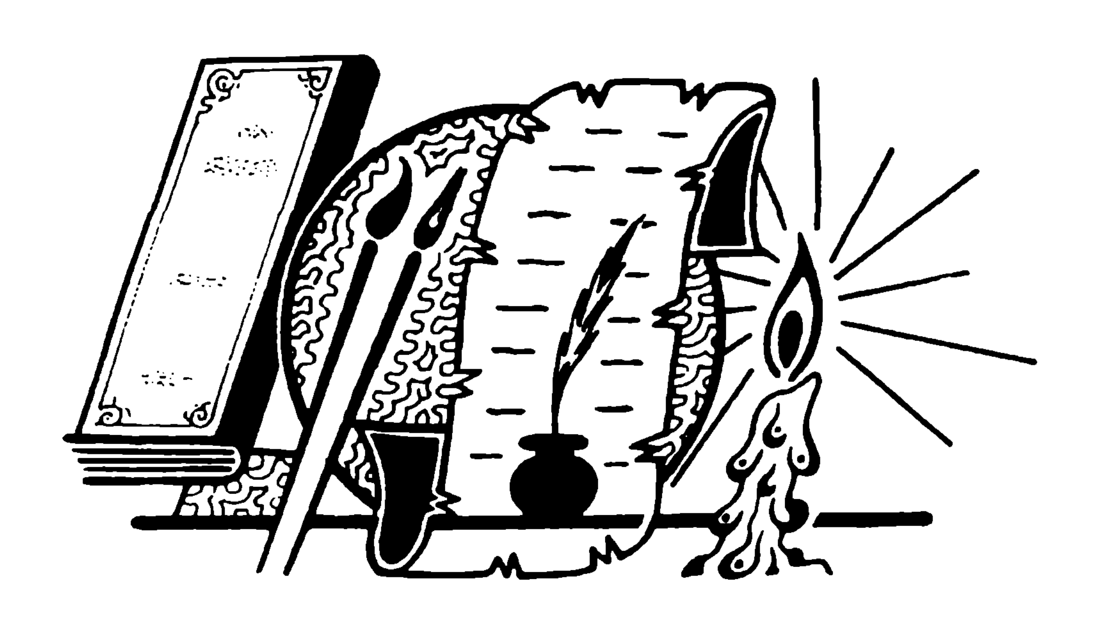
وفضائل رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر مِن أن نحيط بها، وإنَّما أشرنا إلى نبذ منها ليتبرك بيداءة الكتاب، فَمَن أراد الاكثار من ذلك فعليه بمجموعي في فضائل النبيِّ صلى الله عليه وآله في كتابي الموسوم «بالأربعين»، وصلّى الله على محمَّد وآله وسلّم.

* * *



الفصل الثانى

في فضائل خديجة بنت خويلد



١ ـ أخبرنا الإمام مجد الدِّين أبو الفتوح محمَّد بن محمَّد الطائي ـ فيما كتبه إليَّ مِنْ همدان ـ، أنباني شيخ القضاة أبو عليّ إسماعيل بن أحمد البيهقي ـ بباب المدينة بمرو ـ، أخبرنا والدي شيخ السنَّة أبو بكر أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، أخبرنا أبو العبّاس أحمد، أخبرنا يونس، عن ابن إسحاق، حدَّثني إسماعيل بن أبي الحكم ـ مولى الزبير ـ أنَّه حدَّث عن خديجة بنت خويلد، أنَّها قالت لرسول اللّه ﷺ فيما يثبته ممّا أكرمه اللّه به مِنْ نبوته: يابن عم! تستطيع ان تخبرني بصاحبك هذا الذي ياتيك إذا جاءك؟ قال: «نعم»، قالت: إذا جاءَكَ فأخبرني، فبينما رسول اللّه ﷺ عندها إذْ جاءَ جبرائيل ﷺ فرآه رسول اللّه فقال: «ياخديجة! هذا جبرائيل»، قالت: أتراه الآن؟ فقال: «نعم»، قالت: فاجلس الى شقي الأيمن فتحول فجلس فقالت: أتراه الآن؟ قال: «نعم» قالت: فتحول فاجلس في حجري، فتحول فجلس فقالت: أتراه الآن؟ قال: «نعم»، فحسرت عن رأسها وألقت خمارها، ورسول اللّه ﷺ جالس في حجرها،

فقالت: هل تراه الآن؟ قال: «لا».

قالت: ماهذا بشيطان! إن هذا لملك، يابنَ عم! فاثبت وابشر، ثُمَّ آمنت به وشهدت أنَّ الذي جاءَ به الحق.

٢ـ وبهذا الإسناد، عن ابن إسحاق، حدَّثني عبد الملك بن عبد اللّه الثقفي، عن بعض أهل العلم ـ وساق حديث المبعث بطوله ـ إلى أن قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لخديجة: «إنِّي أخاف الجنون»، فقالت له خديجة: أُعيذك باللّه ياأبا القاسم! منْ ذلك، ما كانَ اللّهُ ليفعلَ بكَ ذلكَ مع ما أعلم منْ صدْقِ حَديثكَ، وَعظم أمانتكَ، وَحُسن خُلُقكَ، وَصِلَةُ رَحمك.

وما ذاك يابن العم؟ لعلّكَ قد رأيت شيئاً أو سمعته. فأخبرها: «أنَّه رأى جبرائيل واقفاً في الهواء يقول له: ﴿اقرأ باسم ربِّكَ﴾» العلق/١.

فقالت له: أبشر يابن عم! واثبت له، فوالَّذي يُحلف به، إنِّي لأرجو أنْ تكونَ نبيَّ هذه الأُمَّة، ثُمَّ قامت فجمعت ثيابها عليها وانطلقت إلى ـ ورقة بن نوفل ـ وهو ابن عمِّها، وكان قد قرأ الكتب وتنصر، وسمع من ـ التوراة والانجيل ـ، فأخبرته الخبر وقصَّت عليه ما قصَّه رسول اللّه صلى الله عليه وآله عليها.

فقال ورقة: قدّوس قدّوس. والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقتني ياخديجة! لهو نبيّ هذه الأُمَّة، وأنَّه ليأتيه الناموس الأكبر الَّذي كان يأتي موسى، فقولي له: فليثبت.

فرجعت إلى رسول اللّه فأخبرته الخبر فسهل ذلك عليه بعض ما فيه من الهم، فلمَّا قضى رسول اللّه صلى الله عليه وآله جواره من «حرآء» بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة ـ وهو يطوف بالكعبة ـ، فقال: يابن أخي! خبّرنا بالذي رأيت وسمعت؟ فأخبره بذلك.

فقال له: إنَّك لنبيّ هذه الأُمَّة، ولتؤذين، ولتكذبن، ولتقاتلن

ولتنصرن، ولئن أدركت ذلك لأنصرنك نصراً يعلمه اللّه، ثُمَّ أدنى إليه رأسه فقبَّل يافوخه، ثُمَّ انصرف رسول اللّه ﷺ وقد زاده قول ورقة ثباتاً، وخفَّفَ عنه بعض ما كان فيه من الهم.

وقال ورقة لخديجة (رضي اللّه عنها) في ذلك:

فإن يَكُ حقّاً ياخديجة! فاعلمي حَديثُك إيَّانا فأحمد مرسلُ
يفوزُ به مَنْ فاز فيها بتوبة ويشقى به العاتي الغوي المضلَّلُ
فريقان منهم: فرقة في جناته وأُخرى برجوان الجحيم تغللُ

وقال ورقة بن نوفل في ذلك أيضاً:

ياللرِّجال! لصرفِ الدهرِ والقدرِ وما لشيءٍ قضاهُ اللّه مِنْ غيرِ
أتت خديجةُ تدعوني لأَخبرها وما لها بخفي الغيب مِنْ خَبَرِ
جاءت تسائلني عنه لأخبرها أمراً أراه سيأتي النّاس في أُخَرِ
بأنَّ أحمد يأتيه فيخبره جبريل: انَّكَ مبعوث إلى البَشَرِ
فقلتُ: عل الَّذي ترجين ينجزه لكِ الإله فرّجي الخيرَ وانتظري
وأرسليه إلينا كي نسائله عن أمره ما يرى في النوم والسَّهرِ
فقال حين أتانا: منطقاً عجباً يقفّ منه أعالي الجلد والشَّعَرِ
إنِّي رأيتُ أمينَ اللّه واجهني في صورة أُكملت مِن أهيب الصُّورِ
ثُمَّ استمر فكاد الخوف يذعرني ممّا يسلم من حولي من الشَّجَرِ
فقلت: ظَنّي وما أدري أيصدقني؟ إنْ سوفَ تبعث تتلو منزل السُّورِ
وسوف تأتيك إن أعلنت دعوتهم من الجهاد بلا مَنٍّ وَلا كَدَرِ

٣ـ أخبرنا الشيخ زين الأئمة أبو الحسن عليّ بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن احمد البيهقي، أخبرنا والدي أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو الحسن بن الفضل، أخبرنا عبد اللّه بن جعفر، أخبرنا

يعقوب بن سفيان، حدَّثني إبراهيم بن المنذر، حدَّثني عمرو بن ابي بكر، حدَّثني عبد اللّه بن أبي عبيدة، عن أبيه، عن مقسم، عن عبد اللّه بن الحرث: انَّ ـ عمّار بن ياسر ـ كان إذا سمع ما يتحدَّث به النّاس عن تزوّج رسول اللّه صلى الله عليه وآله خديجة، وما يكثرون منه، يقول: انا أعلم النّاس بذلك: كُنْتُ لَهُ ترباً وخدناً، وإنِّي خرجت معه (صلوات اللّه عليه) ذات يوم حتّى إذا كنا ـ بالحزورة ـ جزنا على أُخت خديجة وهي جالسة تبيع أدمالها، فنادتني فانصرفت إليها فقالت: أما لصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة؟

قال عمّار: فأخبرته، فقال: «بلى، لعمري» فذكرت لها قول رسول اللّه، فقالت: اغدوا علينا، فغدونا عليهم، فوجدناهم قد ذبحوا بقرة، والبسوا أبا خديجة حلَّة، وصفروا لحيته، وقد سقي خمراً، وكلَّمت أخاها فكلَّم أباه، فذكر له رسول اللّه ومكانه وسالَهُ ان يزوِّجه فزوَّجه خديجة، وصنعوا من البقرة طعاماً فاكلنا منه، ونام ابو هاشم ثُمَّ استيقظ صاحياً، وقال: ما هذه الحلَّة وهذه البقرة وهذا الطعام؟ فقالت له ابنته ـ التي كلمت عمّاراً ـ هذه حلّة كساكها محمَّد بن عبد اللّه ختنك، وبقرة أهداها لكَ فذبحناها حين زوجته خديجة، فانكر أن يكون زوّجه، وَخَرَجَ يصيحُ حتّى جاء الحجر، وخرجت ـ بنو هاشم ـ برسول اللّه صلى الله عليه وآله حتّى جاءوه فكلّموه، فلمّا نظر إلى ـ ختنه ـ قال: إنْ كنت زوجتهُ فسبيلهُ ذاكَ، وإنْ كُنت لم أفعل فقدْ زوَّجته.

قال احمد بن الحسين: المجمع عليه أنَّ عمرو بن اسد عمَّها هو الَّذي زوَّجها، وفي غير هذه الرواية: لمّا جَحَدَ التزويج، قالت له خديجة: ما تقول في نسبه؟ قال: هو أعلى منّا نسباً إلاّ انَّه في عيال عمِّه، فقالت له: لي

منَ المال ما يسعه.

وقد اختلفت الرواية في سبب تزويج خديجة، والصحيح اخبار ميسرة غلامها، اتاها بما رأى عنْدَه من الآيات العجيبة في طريق الشّام، وما أخبر به الرَّاهب بحيرا، وما رأت خديجة من اظلال الغمام على رسول اللهﷺ حين تقدَّم ليخبرها بقدوم عيرها من الشّام، (والقصَّة طويلة).

خطبة أبي طالب - رضي اللّه عنه - حين تزوَّج رسول اللّهﷺ بخديجة - رضي اللّه عنها

الحمدُ للّه الذي جَعَلَنا منْ زَرعِ إبراهيمَ خليله، ومن نسل إسماعيل صفيّه، وجعل لنا حرماً آمناً، وبيتاً محجوجاً، ياتيه النّاس منْ كلِّ فجٍ عَميق، وبَلَد سَحيق، فرفع به بيضتنا، وجمع به اُلْفتَنا، فالعزيز مَنْ وافقنا، والذليلُ مَنْ خالَفَنا.

الا وإنا قَدْ جئناكم بسيّد منْ سَاداتنا لا يدافع، وشريف من اشرافنا لا يمانع، محمَّد بن عبد اللّه، الّذي لا يوزن باحد من قُريش إلاّ رجح عليه، ولا يعدل باحد إلاّ عاد عليه، وهو يخطب إليكم كريمتكم - خديجة بنت خويلد -، ولها فيه رغبة، وله فيها اربة، فإنْ كان في المال قلَّة، فالمالُ ظلٌ حائلٌ، وَرزْقٌ زائلٌ، فزوِّجوه، ولكم عندي ما سالتموه، على انَّ لابن اخي هذا شاناً عظيماً، ونبا عالياً، ﴿**ولتعلمن نباه بعد حين**﴾ص/٨٨.

٤- وبهذا الإسناد، عن احمد بن الحسين البيهقي، اخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، اخبرنا أبو العبّاس محمَّد بن يعقوب، اخبرنا أحمد بن عبد الجبّار العطاردي، اخبرنا يونس بن بكير، عن محمَّد بن إسحاق بن يَسّار، قال: كانت أوَّل امراة تزوَّجها رسول اللّه ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد

العزى بن قصي.

٥ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبد الحافظ، أخبرنا أبو العبّاس القيم بن القاسم السيّاري ـ بمرو ـ، أخبرنا أبو الوجه، أخبرنا صدقة، أخبرنا عبدة بن سليمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: سمعت عبد اللّه بن جعفر يقول: سمعت علياً يقول: «سمعت النبيَّ ـ صلى الله عليه وآله ـ يقول: خيرة نسائها مريم ابنة عمران؛ وخيرة نسائها خديجة بنت خويلد».

قال: اتَّفق الشيخان على صحته، وسمعت الحديث أيضاً في جامع أبي عيسى ـ برواية عليٍّ عليه السلام أيضاً.

٦ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، حدَّثنا أبو عبد اللّه الحافظ، أخبرنا أحمد بن جعفر، أخبرنا عبد اللّه بن أحمد بن حنبل قال: وجدت في كتاب أبي بخطّ يده، أخبرنا سعد بن إبراهيم بن سعد، ويعقوب ابن إبراهيم قالا: حدَّثنا أبونا، عن صالح، عن ابن شهاب، عن عروة قال: قالت عائشة لفاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ألا أُبشِّرُكِ أنِّي سمعت رسول اللّه يقول: «سيدات نساء أهل الجنَّة أربع: مريم بنت عمران؛ وفاطمة بنت محمَّد؛ وخديجة بنت خويلد؛ وآسية بنت مزاحم».

وسمعت مثل هذا الحديث على عين الأئمة برواية أبيه، عن عبد اللّه بن مسعود قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله ـ في حديث طويل ـ: «إنَّ اللّه اختار مِنَ الأيام أربعة، وَمِنَ الشُّهور أربعة، وَمِنَ النساء أربعاً»، وساق الحديث إلى أنْ قال: «وأما النساء: فمريم بنت عمران؛ وخديجة بنت خويلد ـ سابقة نساء العالمين إيماناً باللّه ورسوله ـ؛ وآسية امرأة فرعون؛ وفاطمة بنت محمَّد ـ سيِّدة نساء أهل الجنَّة».

وسمعتُ هذا الحديث أيضاً في ـ جامع أبي عيسى ـ برواية أنس في غير

هذه الالفاظ، وهي: «حسبك منْ نساء العالمين: مريم بنت عمران؛ وخديجة بنت خويلد؛ وفاطمة بنت محمّد؛ وآسية بنت مزاحم ـ امرأة فرعون».

٧ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو عمرو محمّد بن عبد اللّه الأديب، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أخبرنا أبو يعلى، أخبرنا أبو بكر بن شيبة؛ وابن نمير قالا: حدَّثنا محمّد بن فضيل، عن عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: أتى جبرائيل النبيَّ ﷺ فقال: يارسول اللّه! هذه خديجة أتتك بإناءٍ فيه أدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتكَ فاقرأ عليها مِنْ ربِّها السّلام، وبشرها ببيت في الجنَّة مِنْ قَصَبٍ لا صخب فيه ولا نصب.

وزاد ابن نمير: مِنْ ربِّها السلام ومنِّي، قال: اتَّفَقَ الشيخان على صحته، وروى هذا الحديث عبد اللّه بن أبي أوفى وعائشة، وسمعت هذا الحديث في ـ جامع أبي عيسى ـ برواية عائشة قالت: ما حسدت امرأة ما حسدتُ خديجة، وما تزوجني رسول اللّه إلاّ بعدما ماتت، وذلك أنّه بشرها ـ الحديث.

٨ ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين قال: أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ؛ وأبو بكر أحمد بن الحسن قالا: أخبرنا أبو العباس محمّد بن يعقوب، أخبرنا محمّد بن الحكم الرملي، أخبرنا عتيق بن يعقوب، حدَّثني عبد اللّه ومحمّد ـ ابنا المنذر ـ، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد اللّه ابن جعفر، عن عليّ بن ابي طالب ﷺ قال: «بَشَّرَ رسول اللّه ـ ﷺ ـ خديجة بنت خويلد ببيت في الجنَّة من قصب، مفصل بالذَّهب، بعيدٌ مِنَ اللّهب، لا يسمع فيه أذى ولا نصب».

٩ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، اخبرنا أبو عمرو

البسطامي، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي، أخبرنا الحسن بن سفيان؛ وسهل ابن مردويه قالا: حدَّثنا سهل بن عثمان، أخبرنا حفص بن غياث، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ إذا ذَبَحَ الشَّاةَ يقول: «اذهبوا بذي إلى أصدقاء خديجة»، قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة، فقال: «إنِّي رزقت حبُّها»، قال: اتَّفق الشيخان على صحته.

١٠ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا محمَّد بن عبد الله الحافظ، أخبرني أحمد بن جعفر القطيعي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدَّثني أبي، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: لم يتزوَّج النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله ـ على خديجة حتّى ماتت، قالت: وما رأيت خديجة قطّ، ولا غرت على امرأة من نسائه أشد مِنْ غيرتي على خديجة، وذلك من كثرة ماكان يذكرها.

أخرجه مسلم في «الصحيح».

وسمعت هذا الحديث في ـ جامع أبي عيسى ـ، وزاد في آخره: وإنْ كان ليذبح الشَّاة فيتتبع بها صدائق خديجة فيهديها لهن.

١١ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ (ره)، أخبرنا أبو العبّاس محمَّد بن يعقوب، أخبرنا أحمد بن عبد الجبّار، أخبرنا يونس بن بكير، عن عبد الواحد بن أيمن المخزومي، أخبرنا أبو نجيح عبد الله بن أبي نجيح قال: أُهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله جزور ولحم، فأخَذَ عظماً منها فناوله الرَّسول بيده، فقال له: «اذهب بهذا إلى فلانة»، فقالت عائشة: لمَ غمرت يديك؟ فقال صلى الله عليه وآله: «إنَّ خديجة أوصتني بها»، فغارت عائشة مِنْ كلامه، وقالت: كأنَّما ليس في الأرض إمرأة إلا خديجة.

فقام رسول اللّه مغضباً، فَلَبِثَ ما شاء اللّه، ثُمَّ رَجَعَ فإذا ـ أم رومان ـ فقالت: يارسول اللّه! مالك ولعائشة إنها لحدثة؟ فقال ﷺ: «أليست القائلة: كأنَّما ليس في الأرض امرأة إلاّ خديجة، واللّه، لَقَدْ آمنت بي إذْ كَفَرَ قَوْمَكِ، وَرُزِقَتْ مني الولد وَحُرِّمتيه».

١٢ـ وبهذا الإسناد، عن أبي عبد اللّه الحافظ، اخبرنا أبو بكر محمَّد ابن احمد بالويه، أخبرنا عبد اللّه بن أحمد بن حنبل، حدَّثني محمَّد بن أحمد بن أيوب، أخبرنا إبراهيم بن سعيد، عن محمَّد بن إسحاق: أنَّ ـ أبا طالب وخديجة ـ هلكا في عامٍ واحدٍ، وذلك قَبْلَ مهاجرةِ النبيِّ ﷺ بثلاث سنين، ودفنت خديجة ـ بالحجون ـ ونزل في قبرها رسول اللّه ﷺ، وكان له يوم تزوَّجها ثمان وعشرون سنة.

قال محمَّد وكُنيَتْ خديجة أُمُّ هند، وكان لها ابن وبنت حين تزوجها رسول اللّه ﷺ، وأُمُّ خديجة ـ فاطمة بنت زائدة بن الأصم ـ وأمها ـ هالة بنت عبد مناف ـ.

١٣ـ وأخبرنا الشيخ الإمام سعيد بن محمَّد بن أبي بكر الفقيمي ـ إذناً ـ أخبرنا القاضي الإمام الأجل جمال الدِّين أبو بكر محمَّد بن أحمد بن عبد الرَّحمن الريغدموني، أخبرنا الشيخ الفقيه جدِّي أبو أحمد عبد الرَّحمن بن إسحاق بن احمد، أخبرنا الشيخ أبو يعقوب صالح بن محمَّد السنجاري، اخبرنا أبو بكر احمد بن سعد بن نصر الزَّاهد، اخبرنا أبو سهل؛ وأبي قالا: اخبرنا أبو عبد اللّه بن ابي حفص، اخبرنا يحيى بن اسحاق، اخبرنا عبد اللّه ابن المبارك، أخبرنا مجالد بن سعيد، عن مسروق، عن عائشة قالت: كان رسول اللّه ﷺ إذا ذكر ـ خديجة ـ احسن عليها الثناء، فذكرها يوماً فغرت وقلت له: لِمَ تذكرها ـ حمراء الشدق ـ وقد أبدلك اللّه خيراً منها؟

فغضبَ وقال: «ماأبدلني اللّه خيراً منها، وقد آمنت بي إذْ كَفَرَ بي النّاس، وصدَّقتني إذْ كذَّبني النّاس، وواست بمالها إذْ حرَّمني النّاس، ورزقني اللّه ولدها إذْ حرمني أولاد النساء».

١٤ـ وبهذا الإسناد، عن الشيخ الفقيه أبي أحمد عبد الرَّحمن بن إسحاق بن أحمد هذا، أخبرنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن العبّاس، أخبرنا الشيخ أبو سهل الأنماطي، أخبرنا أبو عبد اللّه محمَّد بن يوسف الرزماناخي، أخبرنا الحسين بن موسى بن أحمد القمي، أخبرنا أبو يحيى معاذ بن سليمان الهروي، أخبرنا محمَّد بن يزيد بن عبد اللّه السلمي، أخبرنا عبد المنعم بن ادريس، عن أبان، عن شعافة الخزاعي: أنَّ أبا أُمامة الباهلي قال: دخل رسول اللّه صلى الله عليه وآله على خديجة بنت خويلد امرأته وهي بالموت، فشكت إليه شدَّة كرب الموت، فبكى رسول اللّه صلى الله عليه وآله ودعا لها، ثُمَّ قال لها: «أقدمي خير مقدم ياخديجة! أنْتِ خير أُمَّهات المؤمنين وأفضلهن، وسيِّدة نساءالعالمين، إلاّ مريم بنت عمران؛ وآسية امرأة فرعون، أسلمتك ياخديجة! على كره منِّي، قد جعل اللّه للمؤمنين بالكره خيراً كثيراً، الحقي ياخديجة! بأُمِّك ـ حواء ـ في الجنة؛ وبأُختِكِ ـ سارة ـ أُمّ إسحاق آمنت باللّه جلَّ جلاله.

بعث إبراهيم عليه السلام إلى مهاجرة الأرض المقدَّسة وهي أرض الأنبياء وإليها يحشر العباد، فتزوَّجها إبراهيم فولدت له إسحاق، فما ولدت النساء ولا تلد مولوداً يسمى «إسحاق» مثله إلى يوم القيامة، وهو أبوالموالي، فما يمنع الموالي أنْ يفاخروا بأبيهم إسحاق؛ وجدِّهم إبراهيم؛ وأُمهم سارة عليها السلام الا ولا فخر إلاّ بالإسلام.

وكانت أُمُّ إسماعيل عجميَّة قبطيَّة اتَّخذها إبراهيم سرية، فولدت له

إسماعيل قبل تولد إسحاق بسبع سنين ـ فما ولدت النساء ولا تلد غلاماً اسمه «اسماعيل» مثله إلى يوم القيامة، وهو أبو العرب، فما بال العرب يفاخرون الموالي؟ وهما زوجتا ابراهيم في الجنَّة مع أزواج كثير، أنشأهنَّ اللّه تعالى من نَهرٍ سائحٍ في وسطِ الجنَّة ينفجرُ من تَحْتِ العرش وإلى العرش يعود، يرجع أوَّله إلى آخره، ويكر آخره على أوَّله.

أقدمي ياخديجة! على أُختِكِ أُمِّ موسى وهارون عليهما السلام التي ربط اللّه على قلبها بالصبر لتكون من المؤمنين، وأوحى اللّه إليها كما أوحى إلى الأنبياء والمرسلين، واسمها ـ صافية بنت الأكلب ـ، واقدمي على أُخْتِكِ كلثم بنت عمران أخت موسى وهارون الَّتي قالت لها صافية: ﴿قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون﴾القصص/١١.

أخبرني جبرائيل أنَّ ـ كلثمة ـ من أستر نساء العالمين، وأشدهنَّ حياءً، ماتت عذراء لحيائها وعبادتها، وأقدمي على أُختَيكِ ياخديجة ـ آسية ومريم ـ لا مثل لهما من نساء العالمين، جعلهما اللّه عزَّوجلَّ مثلاً للَّذين آمنوا من الرجال والنساء يقتدي بهما كلُّ مؤمن ومؤمنة، لم يحلفا باللّه تعالى يميناً قطّ وجلاً مِنَ اللّه وتعظيماً له، كانتا لا تحيضان طهَّرهما اللّهُ وفضلهما به على نساء العالَمين، وإنَّ ربي زوجنيهما ليلة أسرى بي عند ـ سدرة المنتهى ـ فهما ضرتاك ياخديجة! مع عائشة في الجنَّة[1]، وأخواتهن من أُمهات المؤمنين».

ولم يكن رسول اللّه صلى الله عليه وآله تزوَّجَ ـ عائشة ـ ولا غيرها ولا تحته يومئذ غير خديجة وحدها، فضحكت خديجة وهي ثقيلة بالموت ثُمَّ قالت له: هنيئاً، يارسولَ اللّه! بارك اللّه لهما فيكَ، وَبَارَكَ لكَ فيهما، الحمدُ للّهِ الَّذي أقرَّ

---

(١) هذا الخبر لا تذكره الشيعة لانهم لم يعرفوا شعافة خصوصاً وقد صرح بتثنية ضمير آسية ومريم ولم يجمع للثلاث.

عَينَكَ بهما، ماهما ضرتاي يارسولَ اللّه! لانّه لا غيرَة بيننا، ولكنّهما أُختاي.

فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «هذا، واللّه، الحقّ المبين، وتمام اليقين، والفضل في الدِّين»، فقيل: يارسول اللّه! افمن أُمَّهات المؤمنين هما؟ قال: «امّا في الدُّنيا فلا، لأنَّهما مضتا لسبيلهما قبل انْ أُبعَثَ في أُمَّتي وسبقني موتهما».

١٥ـ وأخبرني الحافظ سيِّد الحفّاظ ابومنصور شهردار بن شيرويه الدَّيلمي ـ فيما كتَبَ إليّ مِنْ همدان ـ، أخبرني الرئيس العالم محيي السنَّة ابو الفتح عبدوس بن عبد اللّه الهمداني ـ كتابة ـ، أخبرني أبو طالب، أخبرني ابن مردويه، أخبرني محمَّد بن عبد الرَّحمن، أخبرني الفضل بن محمَّد، اخبرني عبد الرَّحمن بن محمَّد، اخبرني عبد الرزاق، اخبرني ابو معشر المدني، عن أبي سعيد، عن أبي هريرةقال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «كُنْتُ ـ باجياد الصغير ـ أرعى الغَنَمَ قَبْلَ ان يُوحى إليَّ، فاتاني جبرائيل فبشَّرني بالنبوَّة، ثُمَّ ركض برجله الأرض ركضة فإذا بعَيْنٍ قَدْ نبعت، فتوضَّأ جبرائيل وعلَّمني الوضوءَ وصلّى وعلَّمني الصلاة، ثُمَّ انْصَرفتُ إلى منزلي فَلَم امر بحجرٍ ولا شجر إلاّ قال: السّلام عليكَ يارسولَ اللّه! حتّى أتيتُ خديجة فاريتها كما أراني جبرائيل، وعلَّمتها كما علَّمني.

فبينا نحنُ كذلك إذْ دَخَلَ علينا عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام ونحن كذلك فقال: ما هذا الدِّين ياابن عم؟ فقلت: دين اللّه ياابنَ عم! ادعوكَ إليه، فقال لي: أشاور أبا طالب، فقلت: يابن عم! إما انْ تتبعَنا وإمَّا ان تَكْتُمَ علينا، قال: فخرج ثُمَّ رجع، فقال: بل اتبعك».

قال: وكانت خديجة تقول: انا اوَّل مَن اسلم ثُمَّ عليّ، قال: وفي ـ رواية ابن مسعود ـ قال العباس بن عبد المطلب: ما أحد على وجه الأرض

يعبد اللّه إلا هؤلاءالثلاثة: رسول اللّه؛ وخديجة؛ وعليّ بن أبي طالب (صلوات اللّه عليهم).

١٦ـ واخبرنا سيِّد الحفاظ أبو منصور ـ فيما كَتَبَ إليَّ مِنْ همدان ـ، أخبرني أبو علي الحدّاد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ في كتاب «معرفة الصحابة»، قال: تزوَّج رسول اللّه ﷺ خديجة قبل نُزُولِ الوحي عليه وهو ابن خمس وعشرين سنة، وقيل: إحدى وعشرون سنة، وقيل: أربعون سنة، ولها أربعون سنة.

فمكثت عنده إلى أن مضى مِنَ النبوَّة سبع سنين، فَتُوفيَتْ قبلَ أنْ تُفرَض الصّلاة، وَقَبْلَ الهجرة بثلاث سنين بعد أبي طالب بثلاثة أيّام، ولَمْ ينكح رسول اللّه ﷺ غيرها ولا عليها حتّى تُوفيَتْ، ونزل رسول اللّه في قبرها، ولها يوم ماتت خمس وستون سنة. فكان مكثها عند رسول اللّه ﷺ خمساً وعشرين سنة.

١٧ـ وبهذا الإسناد، عن أبي نعيم هذا، أخبرني محمَّد بن أحمد، أخبرني محمَّد بن نصر، أخبرني سعيد بن سليمان، أخبرني مبارك بن فضالة، عن ثابت بن أنس، قال: كان رسول اللّه ﷺ إذا أُتي بشيءٍ قال: «اذهبوا به إلى فلانة فإنَّها كانت صديقة خديجة ـ رضي اللّه عنها ـ، اذهبوا به إلى فلانة فإنَّها كانت تُحِبُّ خديجة».

قال أبونعيم: وكانت خديجة تدعى في الجاهلية «الطاهرة».

قال (جزاه اللّه خيراً): واخبرني أبو علي الحدَّاد ـ مناقلة ـ، أخبرني أبو نعيم الحافظ «ح»، وأخبرنا محمود بن إسماعيل، أخبرني أحمد بن فادشاه قالا: أخبرنا الطبراني، عن عمرو بن طاهر، عن أبي صالح الحرَّاني، عن ابن لهيعة، عن عمرو بن الحرث، عن أبي يزيد الحميري، عن

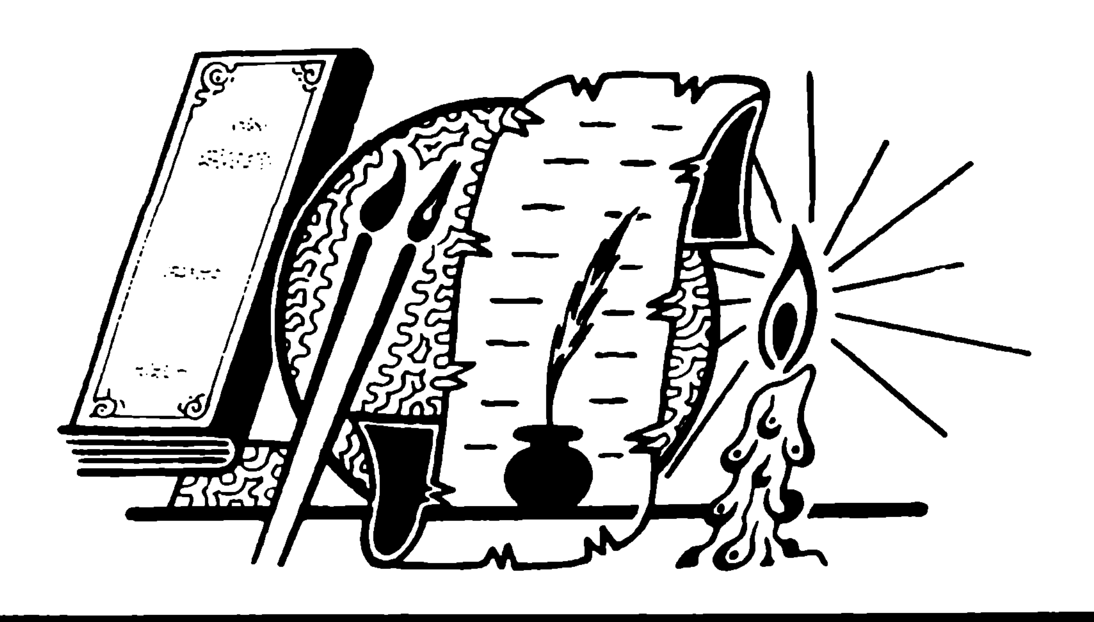
عمّار بن ياسر (رضي اللّه عنه) قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «فضلت خديجة على نساء أُمتي كما فُضِلَتْ مريم على نساء العالمين».

* * *



الفصل الثالث

في فضائل فاطمه بنت أسد



١ـ أخبرنا الحافظ صدر الحفّاظ أبو العلا الحسن بن أحمد بن الحسن العطّار الهمداني، أخبرنا محمَّد بن الحسين بن محمَّد القاضي؛ ويحيى بن الحسن بن أحمد البغدادي، قالا: أخبرنا محمَّد بن أحمد بن محمَّد المعدَّل، اخبرنا محمَّد بن عبد الرَّحمن الدهني، أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي، أخبرنا الزبير بن بكار، قال: ولد أبو طالب بن عبد المطلب: طالباً لا عقب له؛ وعقيلاً؛ وجعفراً؛ وعليّاً، كلٌّ واحدٍ منهم أسن مِنْ صاحبه بعشر سنين على الولاء، وأُمّ هاني واسمها «فاختة» وأُمُّهم كلُّهم ـ فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ـ وهي أوَّلُ هاشمية ولدت لهاشمي، وقد أسلمت وهاجرت إلى اللّه تعالى ورسوله ﷺ بالمدينة، وماتت بها. وشهدها رسول اللّه؛ وعليٌّ بن أبي طالب (صلوات اللّه عليهما).

٢ـ واخبرنا الحافظ سيِّد الحفاظ ابومنصور شهردار بن شيرويه الدَّيلمي ـ فيما كَتَبَ إليَّ مِنْ همدان ـ، اخبرنا الحافظ محيي السنَّة عبدوس بن عبد اللّه الهمداني ـ كتابة ـ في كتابه المعروف بـ«الفوز بالمطالب في فضائل علي

ابن أبي طالب عليه السلام» قال: كان الحسن والحسين يسمّيان - ابني الفواطم - لأنَّ أُمَّهما فاطمة، وجدَّتهما فاطمة بنت أسد أُمّ عليّ بن أبي طالب، وأُم خديجة جدَّتهما فاطمة بنت زائدةبن الأصم، وجدَّة جدِّهما النبي اسمها فاطمة بنت عبد اللّه بن عمرو - من بني مخزوم - وهي أُم أبي النبيِّ (صلوات اللّه عليه وسلامه).

٣- واخبرنا الشيخ الإمام الزَّاهد الحافظ زين الأئمَّة أبو الحسن علي بن احمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والدي شيخ السنَّة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا عليُّ بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد، أخبرنا الكديمي، أخبرنا الحسن بن بشر، أخبرنا سعدان بن الوليد، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: لماماتت فاطمة أُمُّ أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام بعثَ إليها رسول اللّه صلى الله عليه وآله قميصه واضطجع في قبرها، فقيل له: يارسول اللّه! لقد فعلت بهذه شيئاً لم تفعله باحد؟ فقال: «إنِّي كُنْتُ يتيماً في حجرها فاحسنت إليَّ، وكانت من أحسن النّاس إليّ صنعاً بعد أبي طالب».

٤- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا عليُّ بن أحمد بن عبدان، أخبرنا سليمان بن أحمد بن أيوب، أخبرنا أحمد بن حمّاد بن رغبة المصري، أخبرنا روح بن صلاح، أخبرنا الثوري، عن عاصم الأحول، عن انس بن مالك قال: لمّا ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أُمُّ عليٍّ بن أبي طالب دخل عليها رسول اللّه صلى الله عليه وآله فجلس عِنْدَ راسها فقال: «رحمك اللّه يا أميِّ! كُنْتِ أُمّي بَعْدَ أمي: تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني، تريدين بذلك وجه اللّه عزَّ وجلَّ والدار الآخرة».

ثُمَّ أمر أنْ تُغسَل ـ ثلاثاً ـ، فلمَّا بَلَغَ الماءُ الذي فيه الكافور سكبه رسول اللّه ﷺ بيده عليها، ثُمَّ خَلَعَ رسول اللّه ﷺ قميصة فالبسها إيّاه، وكُفِنَتْ فوقه، ثُمَّ دعا رسول اللّه ﷺ أُسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري؛ وعمر بن الخطاب؛ وغلاماً أسود، فحفروا قبرها فلمَّا بلغوا اللحد حفره رسول اللّه ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلمّا فرغ دخل رسول اللّه ﷺ فاضطجع فيه ثُمَّ قال: «ياالله! الَّذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، اغفر لأُمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجَّتها، ووسع عليها مدخلها، بحقِّ نبيِّك محمَّد، والأنبياء الَّذين من قبلي، فإنك أرحمُ الرَّاحمين» وكبَّر عليها أربعاً، وأدخلها اللحد هو؛ والعبّاس؛ وأبو بكر، لم أكتبه إلاّ مِنْ حديث ـ روح بن صلاح ـ هكذا.

٥ـ وأخبرني الحافظ سيِّد الحفاظ أبو منصور ـ فيما كَتَبَ إليَّ مِنْ همدان ـ، أخبرني أبو علي الحسن بن أحمد الحدَّاد، أخبرني أبو نعيم أحمد ابن عبد اللّه الحافظ، أخبرني ابن خلاّد، أخبرني محمَّد بن غالب، أخبرني الحسن بن بشر، أخبرني سعدان بن الوليد، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: لمّا ماتت فاطمة بنت أسد أُمُّ عليٍّ نزع رسول اللّه ﷺ قميصه فالبسها إيّاه، فلما سوى عليها التراب، قال أصحاب رسول اللّه ﷺ: رأيناك صنعت شيئاً ما صنعته باحد؟ قال: «ألبستها قميصي لتلبسَ من ثيابِ الجنّة، واضطجعت في قبرها ليخفف عنها عذاب القبر».

وقال علي عليه السلام: «قلت لأمّي فاطمة بنت أسد بن هاشم: أكفي فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ سقاية الماء والذِّهاب في الحاجة، وتكفيك خدمة الدَّاخل: الطحن والعجن».

٦ـ وبهذا الإسناد، عن أبي نعيم الحافظ، أخبرنا عبد اللّه بن محمَّد،

أخبرنا ابن أبي عاصم، أخبرنا يعقوب بن حميد، أخبرنا عمران بن عيينة، أخبرنا يزيد بن ابي زياد، عن أبي فاختة، عن جعدة بن أبي هبيرة، عن عليّ عليه السلام قال: «أُهديَ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حلّة مسيرة بحرير، فقال لي: اجعلها خمراً بين الفواطم، فشققتُ منها أربعة أخمرة: خماراً لفاطمة بنت أسد؛ وخماراً لفاطمة بنت محمّد ـ صلّى الله عليهما ـ؛ وخماراً لفاطمة بنت حمزة»، ولم يذكر الرابعة.

٧ـ وأخبرني الشيخ الإمام سيف الدِّين أبو جعفر محمَّد بن عمر بن أبي عليٍّ ـ كتابة ـ، أخبرنا الشيخ الإمام ابو الحسين زيد بن الحسن بن علي البيهقي، أخبرنا السيِّد النقيب الإمام علي بن محمّد بن جعفر الحسني، أخبرنا السيّد الإمام ابو طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسني (ره)، أخبرنا أبو العباس أحمد بن ابراهيم الحسني، أخبرنا ابو أحمد عبد الله بن أبي قتيبة الغنوي ـ بالكوفة ـ، أخبرنا محمَّد بن سليمان الخواص، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم أبو صالح الخراز، عن قدامة بن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، عن عليٍّ عليه السلام قال: «ماتت أمي فاطمة فجئت الى النبيّ صلى الله عليه وآله فقلت: ماتت أُمّي فاطمة، فقال عليه السلام: إنا للّه وإنا إليه راجعون، وأخذ عمامته ودفعها إليَّ وقال لي: كَفّنها فيها فإذا وضعتها على الأعواد فلا تحدثن شيئاً حتّى آتي، فاقبل النبيّ صلى الله عليه وآله في المهاجرين وهم يمشون ولا ينظرون إليه إعظاماً له، حتّى تقدَّم رسول الله صلى الله عليه وآله فكبر عليها أربعين تكبيرةً، ثم نزل في قبرها ووضعها في اللحد، ثُمَّ قرأ آية الكرسي.

ثُمَّ قال: اللّهُمَّ اجعل مِنْ بين يديها نوراً، وَمِنْ خلفها نوراً، وَعَنْ يمينها نوراً، وَعَنْ شمالها نوراً، اللّهُمَّ املأ قلبها[1].

---

(١) هكذا في النسخة ولعلّها املأ قلبها أو قبرها نوراً.

ثم خَرَجَ مِنْ قبرها، فقال له المهاجرون: يارسول الله! قد كَبَّرتَ على أُمِّ عليٍّ مالم تكبره على أحد؟ فقال ﷺ: كان خلفي أربعون صفاً من الملائكة فكبّرتُ لكلِّ صَف تكبيرة».

وروي: أنَّه لمَّا قبرها كان ﷺ يقول: «هذه أُمِّي من بَعدِ أُمِّي، ثُمَّ قال: ابنكِ ابنك».

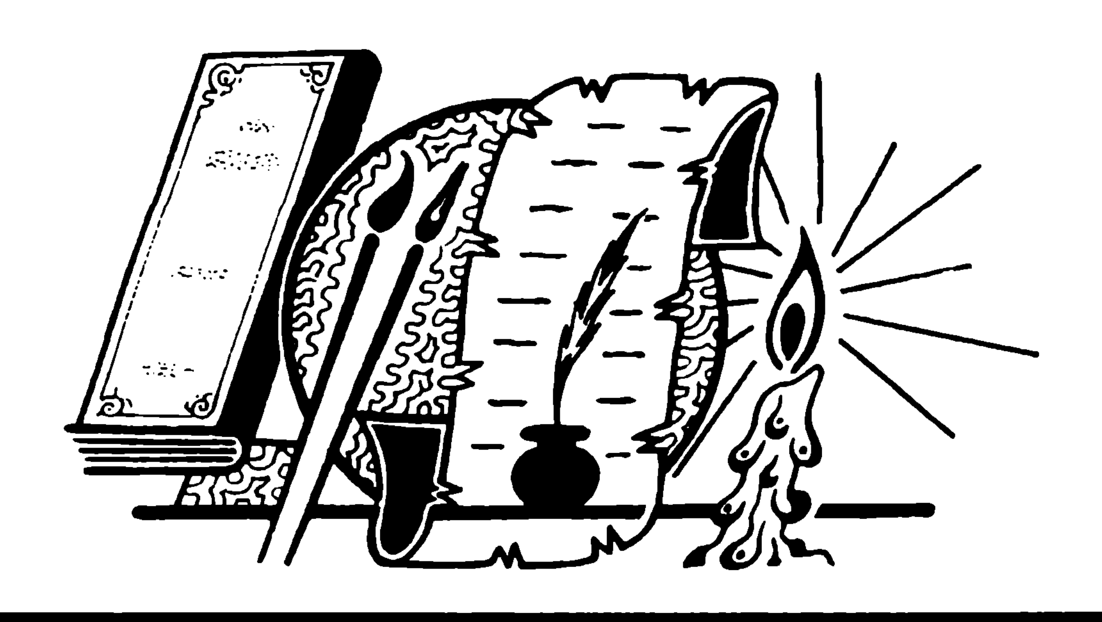
فروى أهلُ العلم: أنَّها سُئِلَت في تِلْكَ الحال: مَنْ نَبيُّكِ؟ فلقّنها رسول الله ﷺ بقول: «ابنك ابنك».

* * *



الفصل الرابع

في انموذج
من فضائل أمير المومنين عليه السلام



١ـ أنبأني الإمام الحافظ صدر الحفّاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد العطّار الهمداني بها، أخبرني الحسن بن أحمد المقري، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، اخبرنا محمَّد بن إسحاق، أخبرنا بهلول بن إسحاق، أخبرني سعيد بن منصور، أخبرني الدراوردي، عن العلاء بن عبد الرَّحمن، عن عبد خير، عن عليٍّ ﷺ قال: أُهدي إلى النبي ﷺ قنو موز، فجعل يقشر الموز ويجعله في فمي، فقال له قائل: يارسول اللّه! إنَّك تُحبُّ عليّاً؟ فقال: أوما علمت انَّ عليّاً منِّي وأنا منه».

٢ـ وانبأني أبو العلاء هذا، أخبرني أبو القاسم الواعظ، أخبرني أبو الحسين احمد بن محمَّد بن احمد، اخبرني أبو القاسم عيسى بن عليّ، اخبرني أبو القاسم عبد اللّه بن محمَّد البغوي، أخبرني عبيد اللّه بن عمر القواريري، اخبرني حرمي بن عمّار، حدَّثني الفضل بن عميرة، حدَّثني ميمون الكردي، عن أبي عثمان النهدي، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «كُنْتُ أمشي مع النبيِّ ﷺ في بعض طرق المدينة، فأتينا على حديقة،

فقلت: يارسولَ اللّه! ما احسن هذه الحديقة؟ فقال: ماأحسنها ولك في الجنَّة أحسن منها، ثُمَّ اتينا على حديقة أُخرى، فقلت: يارسولَ اللّه! ماأحسنها مِنْ حديقة؟ فقال: لَكَ في الجنَّة احسن منها، حتّى اتينا على سبع حدائق، أقول: يارسولَ اللّه! ما أحسنها؟ فيقول: لَكَ أحسن منها.

فلما خلا له الطريق اعتنقني وأجهش باكياً، فقلت: يارسولَ اللّه! ما يبكيكَ؟ فقال: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لَكَ إلاّ بعدي، فقلت: في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك».

٣ـ أخبرني الإمام الحافظ سيِّد الحفّاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الدَّيلمي ـ فيما كَتَبَ إليَّ مِنْ همدان ـ، انبأني أبو عليّ الأديب، أخبرني الحافظ أبو بكر بن مردويه، أخبرني سليمان بن أحمد، اخبرني أحمد بن رشد بن المصري، أخبرني أحمد بن ابراهيم العزي، أخبرني أحمد بن ابي الحكم، عن شريك بن عبد اللّه النخعي، عن أبي الوقّاص، عن محمَّد بن حمّاد بن ثابت، عن أبيه قال: سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ حافظي عليّ ليفخران على سائر الحفظة لكينونتهما مع عليٍّ، وذلك أنَّهما لم يصعدا الى اللّه عزَّوجلّ بشيءمنه يسخطه».

٤ـ وأخبرني سيِّد الحفاظ هذا ـ فيما كَتَبَ إليَّ ـ أخبرني أبي، أخبرني أبو الحسن الميداني الحافظ، أخبرني أبو محمَّد الخلال، أخبرني محمَّد بن عبد اللّه بن عبد المطّلب، حدَّثني أبو محمَّد الحسن بن نعيم ـ بالطّائف ـ، أخبرني عقبة بن منهال، أخبرني عبد اللّه بن حميد، حدَّثني موسى بن إسماعيل بن موسى عليه السلام، عن أبيه، عن جدِّه، عن جعفر بن محمَّد، عن أبيه، عن جابر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «جاءني جبرئيل ـ عليه السّلام ـ من عند اللّه عزَّوجلّ بورقة آس خضراء مكتوب فيها ببياض: إنِّي قد

افترضت محبَّة عليّ بن أبي طالب على خلقي فبلغهم ذلك».

٥ـ وأخبرني شهردار هذا ـ فيما كتب إليَّ ـ، أخبرني أبو الفتح الرئيس ـ كتابة ـ، أخبرني ابو طاهر الحسين بن عليّ، أخبرني الفضل بن الفضل بن العبّاس، أخبرني أبو عبد الله محمَّد بن سهل، أخبرني عبد الله بن محمَّد البلوي، حدَّثني إبراهيم بن عبد الله بن العلاء، حدَّثني أبي، عن زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام، عن أبيه، عن جدِّه عليّ عليه السلام، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال لعليّ: «ياعلي! لو أنَّ عبداً عَبَدَ الله عزَّ وجلَّ مثلما أقام نوح في قومه، وكان له مثل أُحد ذهباً فانفقه في سبيل الله، ومدّ في عمره حتّى حجَّ الف عام على قدميه، ثُمَّ قتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثُمَّ لم يوالِكَ ياعليّ! لم يشم رائحة الجنَّة ولم يدخلها».

٦ـ وأخبرني شهردار هذا ـ فيما كَتَبَ إليَّ ـ، أخبرني أبي، أخبرني أبو طالب الحسين، أخبرني أحمد بن الطبري، أخبرني أبو الفضل الشيباني، أخبرني ناصر بن الحسين، أخبرني محمَّد بن منصور، عن يحيى بن طاهر اليربوعي، أخبرني أبو معاوية، عن ليث بن أبي سليم، عن طاووس، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو اجتمع النّاس على حبِّ عليٍّ لما خلق الله تعالى النار».

٧ـ وأخبرني سيِّد الحفاظ شهردار هذا ـ فيما كَتَبَ إليَّ من همدان ـ، أخبرني محمود بن إسماعيل، أخبرني أحمد بن الحسين، أخبرني الطبراني، عن محمَّد بن عثمان، عن زكريا بن يحيى، عن أشعث، عن مسعر، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مكتوب على باب الجنَّة: محمَّد رسول الله، علي بن أبي طالب أخو رسول الله، قبلَ أنْ يخلق السماوات والأرض بالفي عام».

٨ ـ وأخبرني سيّد الحفاظ هذا، أخبرني أبو الفتح ـ كتابة ـ، أخبرني أبو طاهر، أخبرني أبو الفرج، حدَّثني الحسن بن عليّ، حدَّثني صهيب بن عبّاد، حدَّثني أبي، عن جعفر بن محمَّد، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أتاني جبرئيل وقد نشر جناحيه، فإذا فيهما مكتوب على أحدهما: لا إله إلاّ اللّه، محمَّد النبيّ، وعلى الآخر: لا إله إلاّ اللّه عليٌّ الوصيّ».

٩ـ أخبرني شهاب الدين أبو النجيب سعد بن عبد اللّه الهمداني ـ فيما كَتَبَ إليَّ مِنْ همدان ـ، أخبرني الحافظ أبو عليّ الحدَّاد ـ إجازة ـ، أخبرني الأديب أبو يعلى عبد الرَّزاق بن عمر الطبراني، أخبرني الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أخبرني عبد الرَّحمن بن محمَّد، أخبرني القاسم بن عليّ الطائي، أخبرني إسماعيل بن أبان، أخبرني عبد اللّه بن مسلم الملائي، عن أبيه، عن إبراهيم، عن علقمة؛ والأسود، عن عائشة قالت: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وهو في بيتي لما حضره الموت: «ادعوا لي حبيبي»؟ فدعوت أبا بكر فنظر إليه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) ووضع رأسه، ثُمَّ قال: «ادعوا لي حبيبي»؟ فقلت: ويلكم، ادعوا له عليّ بن أبي طالب، فرأيته ما يُريد غيره، فلمَّا رآه فرج الثوب الَّذي كان عليه، ثُمَّ أدخله فيه، فلم يزل يحتضنه حتّى قُبِضَ ويده عليه.

١٠ـ وذكر الإمام محمَّد بن أحمد بن عليّ بن شاذان، حدَّثني محمَّد ابن حميد الخراز، عن الحسن بن عبد الصمد، عن يحيى بن محمَّد بن القاسم القزويني، عن محمَّد بن الحسن الحافظ، عن أحمد بن محمَّد، عن هدبة بن خالد، عن حمّاد بن سلمة، عن ثابت، عن أبيه، عن أنس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «خلق اللّه من نور وجه عليّ بن أبي طالب عليه السلام سبعين

ألف ملك يستغفرون له ولمحبيه إلى يوم القيامة».

١١ـ وذكر محمَّد بن أحمدبن عليّ بن شاذان هذا، أخبرني محمَّد بن حمَّاد التستري، عن محمَّد بن أحمد بن ادريس، عن محمَّد بن عبد اللّه الإصبهاني، عن أبيه عن هشيم، عن يونس بن عبيد، عن الحسن البصري، عن عبد اللّه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة يقعد عليٌّ بن أبي طالب على الفردوس ـ وهو جبل قد علا على الجنَّة ـ، وفوقه عرش ربّ العالمين، ومن سفحه تنفجر أنهار الجنَّة، وتتفرق في الجنان، وهو جالس على كرسي من نور تجري بين يديه التسنيم، فلا يجوز أحد الصراط إلاّ ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته، يشرف فيدخل محبيّه الجنّة ومبغضيه النار».

١٢ـ وذكر محمَّد بن أحمد بن شاذان هذا، أخبرني الحسن بن أحمد ابن سختويه المجاور، عن محمَّد بن أحمد البغدادي، عن عيسى بن مهران، عن يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد اللّه بن مسعود قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «أوَّل مَن اتَّخَذَ عليَّ بن أبي طالب أخاً من أهل السّماء إسرافيل؛ ثُمَّ ميكائيل؛ ثُمَّ جبرئيل، وأوَّل مَن أحبّه من أهل السماء حملة العرش؛ ثُمَّ رضوان خازن الجنَّة؛ ثُمَّ ملك الموت، وأنَّ ملك الموت يترحم على محبي عليّ بن أبي طالب كما يترحم على الأنبياء».

١٣ـ وذكر محمَّد بن أحمد بن شاذان هذا، أخبرنا طلحة بن محمَّد النيشابوري، عن سابور بن عبد الرَّحمن، عن عليّ بن عبد اللّه، عن هشيم، عن شعبة، عن عَدي بن ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: «ليلة أُسري بي إلى السّماء أُدخلت الجنَّة فرأيتُ نوراً ضرب به وجهي، فقلت لجبرئيل: ما هذا النور الذي رأيته؟

قال: يامحمَّد! ليس هذا نور الشمس ولا نور القمر، ولكن جارية من جواري عليّ بن أبي طالب عليه السلام اطلعت من قصورها، فنظرت إليك وضحكت، فهذا النور خرج من فيها وهي تدور في الجنَّة إلى أنْ يدخلها أمير المؤمنين».

١٤ـ وذكر محمَّد بن أحمد بن شاذان هذا، حدَّثني أحمد بن محمَّد ابن موسى، عن محمَّد بن عثمان المعدل، عن محمَّد بن عبد الملك، عن يزيد بن هارون، عن حمَّاد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لي: «ياأنس! ما حَمَلَكَ على أن لا تؤدي ما سمعت مني في علي بن أبي طالب؟ حتّى أدركتك العقوبة، ولولا استغفار عليّ بن أبي طالب لَكَ ما شممت رائحة الجنَّة أبداً، ولكن أبشر في بقية عمرك أنَّ علياً وذرِّيته ومحبيِّهم السّابقون الأوَّلون إلى الجنَّة وهم جيران أولياء اللّه، وأولياء اللّه: حمزة؛ وجعفر؛ والحسن؛ والحسين، وأمّا عليّ فهو الصدِّيق الأكبر، لا يخشى يوم القيامة مَن أحبَّه».

١٥ـ وذكر محمَّد بن أحمد بن شاذان هذا، حدَّثني القاضي أبو محمَّد الحسن بن محمَّد بن موسى، عن عليّ بن ثابت، عن حفص بن عمر، عن يحيى بن جعفر، عن عبد الرَّحمن بن إبراهيم، عن مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «مَن احبَّ علياً قَبلَ اللّه صلاته وصيامه واستجاب دعاءهُ، الا وَمَن احبَّ علياً أعطاه اللّه في كلِّ عرق في بدنه مدينة في الجنَّة، الا وَمَن احبَّ آل محمَّد امِنَ مِنَ الحساب والميزان والصراط، الا وَمَن مات على حبِّ آل محمَّد فانا كَفيله بالجنَّة مع الأنبياء، الا وَمَن مات على بغض آل محمَّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة اللّه».

١٦ـ وذكر محمَّد بن أحمد بن شاذان هذا، أخبرني أحمد بن الفضل الأهوازي، أخبرني بكر بن أحمد، عن محمَّد بن عليّ، عن فاطمة بنت الحسين عليه السلام، عن أبيها؛ وعمِّها الحسن بن عليّ عليه السلام قالا: «أخبرنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: لمّا دخلت الجنَّة رأيت فيها شجرة تحمل الحلي والحلل: أسفلها خيل بلق، وأوسطها حور العين، وفي أعلاها الرضوان، فقلت: ياجبرائيل! لمن هذه الشجرة؟ قال: هذه لابن عمِّكَ أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب، إذا أمر اللّه الخليقة بالدخول إلى الجنَّة يُؤتى بشيعة عليٍّ حتّى ينتهى بهم إلى هذه الشجرة، فيلبسون الحلي والحلل، ويركبون الخيل البلق، وينادي مناد: هؤلاء شيعة علي صبروا في الدُّنيا على الأذى فحسبوا اليوم».

١٧ـ وذكر محمَّد بن أحمد بن شاذان هذا، أخبرني محمَّد بن محمَّد ابن مرَّة، عن الحسن بن عليّ العاصمي، عن محمَّد بن عبد الملك، عن جعفر بن سليمان الضبعي، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ قال: سُئِلَ سلمان الفارسي عَنْ عليّ بن أبي طالب وفاطمة عليهما السلام فقال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: «عليكم بعليٍّ بن أبي طالب فإنَّه مولاكم فأحبُّوه، وكبيركم فاكرموه، وعالمكم فاتبعوه، وقائدكم الى الجنَّة فعززوه. إذا دعاكم فاجيبوه، وإذا أمركم فاطيعوه، أحبُّوه بحبي، وأكرموه بكرامتي. ما قلت لكم في عليّ إلاّ ما أمرني به ربي جلت عظمته».

١٨ـ وأخبرنا القاضي الإمام عين الأئمة أبو الحسن عليُّ بن أحمد الكرباسي (ره)، أخبرنا القاضي الإمام أحمد بن عبد الرَّحمن، أخبرنا محمَّد بن إبراهيم، أخبرنا أبو محمَّد عبد اللّه بن محمَّد الأسدي، أخبرنا أبو بكر محمَّد بن الحسن المقري، اخبرنا محمَّد بن الحسين الخثعمي؛ وأبو

الطيب الورّاق قالا: أخبرنا محمّد بن الوليد العقيلي، أخبرنا عليّ بن سليمان المصري، أخبرنا عياش، عن ابن لهيعة، عن الحرث بن يزيد، عن أبي علقمة ـ مولى بني هاشم ـ قال: صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله الصبح ثُمَّ التفت إلينا فقال: «معاشر أصحابي! رأيت البارحة عمّي حمزة بن عبد المطلب؛ وأخي جعفر بن أبي طالب، وبين أيديهما طبق من نبق فأكلا ساعةً ثُمَّ تَحَوَّلَ النبق عنباً، فأكلا ساعةً ثُمَّ تَحَوَّلَ العنب رطباً، فأكلا ساعة فدنوت منهما، فقلت: بأبي أنتما، أي الأعمال وجدتما أفضل؟ قالا: فديناك بالآباء والأمهات، وجدنا أفضل الأعمال: الصلاة عليكَ، وسقي الماء، وحبُّ عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام».

١٩ـ وأنباني مهذب الأئمَّة أبو المظفر عبد الملك بن عليّ الهمداني، أخبرني شجاع بن المظفر، أخبرني أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري، أخبرني الحاكم أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو بكر بن أبي دارم الكوفي الحافظ، أخبرني المنذر بن محمَّد بن المنذر القابوسي، حدَّثني أبي، حدَّثني عمِّي الحسين بن سعيد، عن أبان بن تغلب، عن نفيع بن الحرث، حدَّثني أبو برزة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن جلوس ذات يوم: «والَّذي نفسي بيده، لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتّى يسأله الله تعالى عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله ممّا كسبه وفيما انفقه، وعن حبِّنا أهل البيت». فقال عمر: فما آية حبّكم من بعدكم؟ قال: فوضع يده على رأس عليّ وهو إلى جانبه (صلوات الله عليهما) وقال: «إنَّ آية حبِّي من بعدي حبّ هذا».

٢٠ـ وأنباني مهذّب الأئمّة هذا، أخبرنا أبو القاسم نصر بن محمَّد المقري، أخبرنا والدي قال: قال أبوعلي عبدالرحمٰن بن محمّد النيشابوري:

اخبرني احمد بن محمَّد البغدادي ـ من حفظه بالدينور ـ، أخبرنا محمَّد بن جرير الطبري، حدَّثني محمَّد بن حميد الرَّازي، أخبرني العلاء بن الحسين الهمداني، أخبرني أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي، عن عبد اللّه بن عمر قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله ـ وسئل باي لغة خاطبكَ ربُّك؟ ـ قال: «خاطبني بلغة عليٍّ بن أبي طالب فألهمت انْ قُلْتُ: يارب! خاطبتني أم عليّ؟ فقال عزَّ وجلَّ: ياأحمد! أنا شيء لا كالأشياء، لا أُقاس بالنّاس، ولا أُوصف بالشبهات، خلقتكَ مِنْ نوري وخلقت علياً مِنْ نوركَ، فاطلعت على سرائر قلبكَ فلم أجد في قلبكَ أحبَّ إليكَ مِنْ عليّ بن أبي طالب عليه السلام فخاطبتكَ بلسانه كيما يطمئن قلبك».

٢١ـ واخبرني سيِّد الحفاظ أبو منصور الدَّيلمي ـ فيما كَتَبَ إليَّ مِن هَمدان ـ، أخبرني أبو إسحاق القفال ـ باصفهان ـ، أخبرني أبو إسحاق بن خرشيد قال: أخبرني أبو سعيد أحمد بن زياد بن الأعرابي، أخبرني بخيع ابن إبراهيم، أخبرني أبو نعيم ضرار بن صرد، أخبرني عليُّ بن هاشم، أخبرني محمَّد بن عبد الله الهاشمي، عن أبي بكر محمَّد بن عمرو بن حزم، عن عبَّاد بن عبد اللّه، عن سلمان (رضي اللّه عنه) عن النبيِّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «أعلم أُمَّتي من بعدي عليّ بن أبي طالب عليه السلام».

٢٢ـ واخبرني سيِّد الحفّاظ الدَّيلمي هذا ـ فيما كَتَبَ إليّ ـ أخبرني أبي، أخبرني الميداني الحافظ، اخبرني أبو محمَّد الخلال، اخبرني محمَّد بن العباس، اخبرني الحسين بن عليٍّ الدَّهان، اخبرني محمَّد بن عبيد الكندي، أخبرني أبو هاشم محمَّد بن علي الدُّهني، اخبرني أحمد بن عمران، عن سفيان بن سعيد، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد اللّه بن مسعود قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «قسمت الحكمة على عشرة أجزاء:

فأعطي عليٌّ تسعةَ أجزاء، والنّاس جزءاً واحداً».

٢٣ـ وأخبرني سيِّد الحفاظ هذا ـ فيما كَتَبَ إليَّ ـ، اخبرني عبدوس بن عبد اللّه ـ إذناً ـ، عن الشريف أبي طالب الجعفري ـ باصبهان ـ، عن الحافظ أبي بكر بن مردويه الاصبهاني، اخبرني أحمد بن محمَّد بن عبد اللّه، اخبرني الحسين بن الهيثم، اخبرني محمَّد بن الصباح، أخبرني هشيم[1]، عن حجاج بن ارطاة، عن عمرو بن شعيب، عن جدِّه قال: قالت عائشة للنبيِّ صلى الله عليه وآله: مَنْ خير النّاس بعدك يارسول اللّه؟ قال: «ابو بكر»، قالت: فَمَن خير النّاس بعد أبي بكر؟ قال: «عمر».

فقالت فاطمة: «لم تقل في عليٍّ شيئاً؟ قال: عليٌّ نفسي فمن رأيته يقول في نفسه شيئاً»؟!

٢٤ـ واخبرنا الشيخ الزَّاهد الحافظ أبو الحسن عليّ بن احمد العاصمي، أخبرني شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد الواعظ، اخبرني أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرني أبو الحسن محمَّد بن الحسن العلوي، اخبرني محمَّد بن محمَّد بن سعد الهروي، اخبرني محمَّد بن عبد الرحمن، اخبرني أبو الصلت الهروي، أخبرني ابو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «انا مدينة العلم، وعليٌّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب».

٢٥ـ وبهذا الإسناد عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرني ابو عبد اللّه الحافظ، أخبرني أبو جعفر بن محمَّد بن أحمد، أخبرني محمَّد بن مسلم بن دارة، أخبرني عبد اللّه بن موسى العبسي، اخبرني أبو عمرو الأزدي، عن أبي راشد، عن أبي الحمراء قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «مَن أراد أنْ ينظر إلى

---

(١) في رجال السند جملة مقدوح فيهم بالوضع أشهرهم هشيم.

آدم في علمه؛ وإلى نوح في فهمه؛ وإلى يحيى بن زكريا في زهده؛ وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام.

٢٦ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرني أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو محمَّد أحمد بن عبد اللّه المزكي ـ إملاءً ـ أخبرني أحمد ابن محمَّد بن حرب، أخبرني أبو طاهر أحمد بن عيسى بن محمَّد، أخبرني يحيى بن عبد اللّه العلويّ ـ خال جعفر بن محمَّد ـ، أخبرني نوح بن قيس، عَن الأعمش، عن عمرو بن مرَّة، عَن أبي البختري قال: رأيتُ علياً عليه السلام صعد المنبر ـ بالكوفة ـ وعليه مدرعة كانت لرسول اللّه صلى الله عليه وآله، متقلداً بسيف رسول اللّه صلى الله عليه وآله، ومعتماً بعمامة رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وفي اصبعه خاتم رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فقعد على المنبر وكشف عن بطنه وقال: «سلوني قَبْلَ أنْ تفقدوني، فإنَّما بين الجوانح عِلمٌ جَمّ، هذا سَفَطُ العلْمِ، هذا لُعابُ رسول اللّه صلى الله عليه وآله، هذا ما زقَّني رسول اللّه صلى الله عليه وآله زقاً من غير وحي أُوحي إليَّ.

فواللّه، لو ثُنيَت لي الوسادة، وجلست عليها، لأفتيت لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم، حتّى ينطق اللّه التوراة والإنجيل، فيقولا: صدق عليٌّ قد أفتاكم بما أُنزل فينا، وأنتم تتلون الكتاب فلا تعقلون».

٢٧ـ وأخبرنا عين الأئمة ابوالحسن عليّ بن أحمد الكرباسي، أخبرنا شمس القضاة أحمد بن عبد الرَّحمن بن إسحاق، أخبرنا الفقيه أبو سهل محمَّد بن إبراهيم، أخبرنا محمَّد بن جعفر بن هارون الكوفي، أخبرنا أبو القاسم عبد الرَّحمن بن حامد التميمي، حدَّثني حميد بن مسعدة، أخبرني يونس بن أرقم، أخبرنا الجارود، عن عَديّ بن ثابت، عن ابن عباس (ره) قال: العلم ستة أسداس: فلعلي بن أبي طالب من ذلك خمسة أسداس،

وللناس سدس، ولقد شاركنا في سدسنا حتّى هو أعلم به منا.

٢٨ـ أخبرنا العلاّمة فخر خوارزم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أخبرنا الأُستاذ الامين أبو الحسن عليّ بن الحسين بن مردك الرّازي، أخبرنا أبو عبد اللّه الحسن بن يحيى بن الحسين العاصمي، أخبرنا أبو بكر محمَّد بن أبي صفوان الثقفي، أخبرنا مومل بن إسماعيل، عن ابن عُيينة، عن يحيى بن سعيد بن المسيب، قال: سمعت عمر يقول: اللّهُمَّ لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب حيّاً.

٢٩ـ وبهذا الإسناد عن أبي سعد السَّمان هذا، أخبرنا أبو القاسم عليّ ابن محمَّد البزاز ـ بقراءتي عليه ـ، أخبرنا عبد الباقي بن قانع، أخبرنا ابن أبي شيبة، أخبرنا جندل بن والق، أخبرنا محمَّد بن عمر المازني، عن عبّاد الكلبي، عن جعفر بن محمَّد، عن أبيه، عن جابر قال: قال عمر: كانت لاصحاب محمَّد صلى الله عليه وآله ثماني عشرة سابقة: فخص عليٌّ منها بثلاث عشرة، وشركنا في خمس.

٣٠ـ أخبرنا الإمام الحافظ أبو الفتح عبد الواحد بن الحسن الباقرحي، أخبرنا أبو عبد اللّه محمَّد بن محمَّد الجويني قال: قرأت على أبي الحسن عليّ بن أحمد الواحدي، أخبرنا عبد الرَّحمن بن حمدان السعدي، أخبرنا لؤلؤ القيصري، أخبرنا إبراهيم بن محمَّد الصوفي، أخبرنا أبو عبد اللّه الحسين بن الحسن بن شدّاد، حدَّثني محمَّد بن سنان الحنظلي، أخبرنا إسحاق بن بشر القرشي، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدِّه، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله انّه قال «لمبارزة عليّ بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود ـ يوم الخندق ـ أفضل من عمل أُمتي إلى يوم القيامة».

٣١ـ أخبرنا سيّد الحفّاظ أبو منصور ـ فيما كَتَبَ إليَّ من همدان ـ،

أخبرنا محمود بن إسماعيل، أخبرنا أحمد بن فادشاه، أخبرنا الطبراني، عن أحمد بن محمَّد القنطري، عن حرب بن الحسين، عن يحيى بن يعلى، عن محمَّد بن عبيد اللّه بن أبي رافع قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «ياعلي! والذي نفسي بيده، لولا أنْ يقول فيك طوائفٌ مِن أُمَّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمر بأحد من المسلمين إلاّ أخذ التراب من أثر قدميك يطلبون به البركة».

٣٢ـ وأخبرنا شهاب الدِّين أبو النجيب سعد بن عبد اللّه الهمداني ـ فيما كَتَبَ إليَّ مِنْ همدان ـ أنبأنا أبو عليّ الحدَّاد، أخبرنا أبو يعلى الأديب الطبراني، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أخبرنا محمَّد بن الحسن، أخبرنا أحمد بن محمَّد بن عبد الرَّحمن، أخبرنا جعفر بن محمَّد بن سعيد، اخبرنا محول بن إبراهيم، أخبرنا أبو داود الطبري، أخبرنا عبد الأعلى التَغلبي، عن انس قال: أُتي رسول اللّه صلى الله عليه وآله ـ بطائر ـ، فوضع بين يديه فقال: «اللّهُمَّ! ائتني بأحبِّ خَلْقِكَ إليكَ يأكل معي من هذا الطير» فقرع الباب فقلت: اللّهُمَّ! اجعله رجلاً مِنَ الانصار، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، فقلت: سبحان اللّه! سأل نبي اللّه ربَّه أنْ يأتيه بأحبِّ خلقه إليه. قال: ففتحتُ البابَ فلمَّا دخل مَسَحَ رسول اللّه وجهه، ثُمَّ مسحه رسول اللّه بوجه عليٍّ، ثُمَّ مسح وجه عليٍّ فمسحه بوجهه ـ فعل ذلك ثلاث مرات ـ فبكى عليٌّ، ثُمَّ قال: «ما هذا يارسول الله؟ فقال: وَلِمَ لا أفعل بكَ هذا؟ وأنت تسمع صوتي، وتؤدي عنّي، وتبيِّن لهم ما اختلفوا فيه من بعدي».

ثُمَّ قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «اللّهُمَّ! إني سألتك أن تأتيني بأحبِّ خلقكَ إليك يأكل معي مِن هذا الطير فجئت به؛ اللّهُمَّ! وانَّه أحبّ خلقك إليَّ».

أخرج الحافظ ابن مردويه هذا الحديث بمائة وعشرين إسناداً، وقال أبو عبد اللّه الحافظ: صحّ ـ حديث الطير ـ وإنْ لم يخرِّجاه، يعني: البخاري ومسلماً.

٣٣ـ وذكر الإمام محمَّد بن أحمد بن شاذان، أخبرنا سهل بن أحمد، عن أبي جعفر محمَّد بن جرير الطبري، عن هناد بن السري، عن محمَّد بن هشام، عن سعيد بن أبي سعيد، عن محمَّد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «إنَّ اللّه لما خلق السماوات والأرض دعاهن فأجبنه، وعرض عَلَيهنَّ نبوَّتي وولاية عليّ بن ابي طالب فقبلتاهما، ثُمَّ خَلَقَ الخلقَ وفوَّض إلينا أمر الدِّين، فالسعيدُ مَنْ سعد بنا، والشقيُّ من شقي بنا، نحن المحلّون لحلاله، والمحرِّمون لحرامه».

٣٤ـ وذكر ابن شاذان هذا، أخبرنا عبد اللّه بن يوسف، عن حامد بن محمَّد الهروي، عن عليّ بن محمَّد بن عيسى، عن محمَّد بن عكاشة، عن محمَّد بن الحسن، عن محمَّد بن سلمة، عن خصيف، عن مجاهد قال: قيل لابن عبّاس: ما تقول في عليٍّ بن أبي طالب؟ فقال: ذكرت واللّه، أحد الثقلين، سبق بالشهادتين، وصلّى القبلتين، وبايع البيعتين، وأُعطي السبطين ـ الحسن والحسين ـ، وردَّت عليه الشمس مرَّتين، بعدما غابت عن المقلتين، وجرَّد السيف تارتين، وهو صاحب الكرَّتين؛ فمثله في الأمَّة مثل ـذي القرنينـ، ذلك مولاي عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٣٥ـ وأخبرني سيِّد الحفاظ ـ فيما كتَبَ إليَّ من همدان ـ، أخبرني الرئيس أبو الفتح ـ كتابة ـ، أخبرني عبد اللّه بن إسحاق البغوي، أخبرني الحسن بن عليّ الغنوي، أخبرني محمَّد بن عبد الرَّحمن الذارع، أخبرني قيس بن حفص، حدَّثني عليُّ بن الحسين العبدي، عن أبي هارون العبدي،

عن أبي سعيد الخدري: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله يوم دعا النّاس إلى عليٍّ في ـ غدير خُم ـ أمر بما كانت الشجرة من شوك فقم [(١)] وذلك يوم الخميس، ثُمَّ دَعا النَّاس إلى عليٍّ فأخذَ بضبعه، ثُمَّ رفعه حتّى نظر النّاس إلى بياض أبطيه (صلّى اللّه عليه)، ثُمَّ لَمْ يتفرقا حتّى نزلت هذه الآية: ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾المائدة/٣.

فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «اللّه أكبر على إكمال الدِّين وإتمام النعمة، ورضا الربِّ برسالتي، والولاية لعليٍّ، ثُمَّ قال: اللّهُمَّ! وَالِ مَنْ والاه، وَعَادِ مَنْ عاداه، وانصر مَنْ نَصَرَه، واخْذُل مَنْ خَذَلَه».

فقال حسان بن ثابت: يارسول اللّه! ائذن لي أقل، قال: «قل ببركة اللّه» فقال حسان: مامشيخة قريش! اسمعوا شهادة رسول اللّه، ثُمَّ أنشا يقول:

يُناديهم يَوْمَ الغدير نَبيُّهم	بخُمّ واسمع بالنبيِّ مُناديا
ألست أنا مولاكم ووليكم؟	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وانت ولينا	ولا تجدن في الخلق للأمر عاصيا
فقال له: قم ياعليُّ! فإنَّني	رضيتك مِنْ بعدي ولياً وهاديا

روي هذا الحديث بدون الأبيات من الصحابة: عمر؛ وعليّ؛ والبرآء ابن عازب؛ وسعد بن أبي وقاص؛ وطلحة بن عبيد الله؛ والحسين بن عليّ، وابن مسعود وعمار بن ياسر؛ وأبوذر؛ وأبو أيوب؛ وابن عمر؛ وعمران ابن حصين؛ وبريدة بن الحصيب؛ وأبو هريرة؛ وجابر بن عبداللّه؛ وأبو رافع ـ مولى رسول اللّه ـ واسمه أسلم؛ وحبشي بن جنادة؛ وزيد بن شراحيل؛ وجرير بن عبد الله؛ وأنس؛ وحذيفة بن أسيد الغفاري؛ وزيد بن

---

(١) يعني: كنس.

أرقم؛ وعبد الرحمن بن يعمر الدؤلي؛ وعمرو بن الحمق؛ وعمر بن شرحبيل؛ وناجية بن عمر؛ وجابر بن سمرة؛ ومالك بن الحويرث؛ وأبو ذويب الشاعر؛ وعبد اللّه بن ربيعة (رضي اللّه عنهم).

وروى حديث «أنتَ منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنَّه لا نبيَّ بعدي» من الصحابة: عليٌّ؛ وعمر؛ وعامر بن سعد؛ وسعد بن أبي وقاص؛ وأُم سلمة؛ وأبو سعيد؛ وابن عباس؛ وجابر؛ وأبو هريرة؛ وجابر بن سمرة؛ وحبشي بن جنادة؛ وأنس؛ ومالك بن الحويرث؛ وأبو أيوب؛ ويزيد بن أبي أوفى؛ وأبو رافع؛ وزيد بن أرقم؛ والبرآء؛ وعبد اللّه بن أبي أوفى؛ ومعاوية بن أبي سفيان؛ وابن عمر؛ وبريدة بن الحصيب؛ وخالد بن عرفطة؛ وحذيفة بن أسد؛ وأبو الطفيل؛ وأسماء بنت عميس؛ وفاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب (رضي اللّه عنهم)، وأخرجه الشيخان في «صحيحيهما».

٣٦ـ وأنبأني مهذّب الأئمَّة عبد الملك بن عليّ الهمداني، أخبرني أبو طالب عبد القادر بن محمَّد ـ إذناً ـ، أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي، أخبرنا أحمد بن جعفر بن مالك، أخبرنا الحسن بن عليّ البصري، أخبرنا الحسن بن راشد الطفاوي، أخبرنا قيس بن الربيع، أخبرنا سعد بن الخفَّاف، عن عطية، عن محدوج بن زيد الالهاني: أنَّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله آخى بين المسلمين، ثُمَّ قال: «ياعليُّ! أنت أخي، وأنتَ مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنَّه لا نبيَّ بعدي، أمَّا علمت ياعليُّ! أنِّي أوَّلُ مَنْ يدعى بي ـ يوم القيامة ـ فاقوم عن يمين العرش وظله، فأُكسى حلَّة خضراء من حلل الجنَّة، ثُمَّ يدعى بالنبيين بعضهم على أثر بعض فيقومون سماطين عن يمين العرش، ويكسون حلل خُضراً من حلل الجنّة.

الا وإنّي أخبرك ياعليّ! إنّ أُمّتي أوّل الأمم يحاسبون يوم القيامة، ثُمَّ أنتَ أوّل مَنْ يدعى لقرابتكَ منّي ومنزلتك عندي، ويدفع إليك لوائي ـ وهو لواء الحمد ـ، فتسير به بين السماطين.

فآدم وجميع خلق اللّه يستظلون بظل لوائي يوم القيامة، وطوله مسيرة ألف سنة: سنانه ياقوتة حمراء، وقصبته فضة بيضاء، وزجه درة خضراء، له ثلاث ذوائب من نور: ذؤابة في المشرق، وذؤابة في المغرب، والثالثة وسط الدُّنيا مكتوب عليه ثلاثة أسطر: الأوّل ـ بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم، والثاني ـ الحمد للّه ربِّ العالمين، والثالث ـ لاإله إلاّ اللّه محمَّد رسول اللّه.

طول كلّ سطر ألف سنة وعرضه مسيرة ألف سنة، تسير بلوائي: الحسن عن يمينك، والحسين عن يسارك، حتّى تَقفَ بيني وبين إبراهيم في ظل العرش، ثُمَّ تكسى حلّة خضراء من الجنَّة، ثُمَّ ينادي مناد من تحت العرش: نِعْمَ الأب أبوكَ إبراهيم، وَنِعْمَ الأخ أخوك عليّ، أبشر ياعلي! إنَّك تكسى إذا كسيت وتحبى إذا حبيت».

٣٧ـ واخبرني سيد الحفاظ أبو منصور الديلمي فيما كتب إلي من همدان، أخبرني الحافظ عبدوس بن عبدالله كتابة، أخبرني أبو الفرج أحمد ابن سهل، أخبرني أبو العباس أحمد بن إبراهيم، أخبرني زكريا بن عثمان، أخبرني محمَّد بن زكريا الغلابي، أخبرني الحسن بن موسى، أخبرني عبد الرَّحمن بن القاسم الهمداني، أخبرني ابو حاتم محمَّد بن محمَّد الطالقاني، عن الخالص الحسن بن عليّ بن محمَّد، عن أبيه الناصح عليّ بن محمَّد بن عليّ، عن أبيه النقي محمَّد بن علي بن موسى، عن أبيه الرِّضا عليّ، عن أبيه الامين موسى بن جعفر، عن أبيه الصّادق جعفر بن محمَّد عن أبيه الباقر محمَّد، عن أبيه زين العابدين عليّ بن الحسين، عن أبيه البر الشهيد الحسين

ابن عليّ، عن أبيه المرتضى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن المصطفى محمَّد الأمين سيِّد الأوَّلين والآخرين صلى الله عليه وآله انَّه قال لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام: «ياأبا الحسن! كلّم الشمس فإنَّها تكلّمكَ؟ فقال عليٌّ عليه السلام: السّلامُ عليك، أيُّها العبدُ المطيع للّه! فقالت الشمسُ: وعليك السَّلام، ياأمير المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغرِّ المحجلين، ياعليّ! أنتَ وشيعتك في الجنَّة، ياعليٌّ! أوَّل مَنْ تنشق عنه الأرض محمَّد ثُمَّ أنْتَ، وأوَّلُ مَن يحيى محمَّد ثُمَّ أنتَ، وَاولُ مَنْ يُكسى محمَّد ثُمَّ أنت، فانكبَّ عليٌّ ساجداً وعيناه تذرفان دموعاً، فانكبَّ عليه النبيُّ صلى الله عليه وآله، وقال: ياأخي وحبيبي! ارفع رأسك فقد باهى اللّه بكَ أهل سبع سماوات».

٣٨ـ وأخبرني سيِّد الحفّاظ هذا ـ فيما كَتَبَ إليَّ مِنْ همدان ـ، اخبرني أبو الفتح ـ كتابة ـ، أخبرني الشريف أبو طالب، أخبرني الحافظ بن مردويه، أخبرني إسحاق بن محمَّد، أخبرني أحمد بن زكريا، أخبرني ابن طهمان، أخبرني محمَّد بن خالد، أخبرني الحسن بن إسماعيل، عن أبيه، عن زيد بن المنذر، عن محمَّد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدِّه عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: كنتُ أنا وعليّ نوراً بين يدي اللّه تعالى مِنْ قَبْلِ أنْ يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمَّا خلق اللّه آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل اللّه ينقله من صلب إلى صلب، حتّى أقرَّه في صلب عبد المطلب، ثُمَّ أخرجه من صلب عبد المطلب، وقسَّمه قسمين: قسماً في صلب عبد اللّه؛ وَقسماً في صلب ابي طالب، فعليٌّ مني وأنا منه، لحمه لحمي ودمه دمي، فَمَن أحبَّه فبحبي أحبّه، ومَن أبغضه فببغضي أبغضه».

٣٩ ـ وأخبرني سيِّد الحفّاظ هذا ـ كتابة ـ، أخبرني الميداني، أخبرني الخلال: كتب إليّ محمَّد بن يزيد، أخبرني محمَّد ، حدَّثني محمَّد بن

إسماعيل، حدَّثني الحسين بن موسى، عن أبيه، عن جدِّه، عن عليٍّ بن الحسين، عن أبيه، عن عليٍّ عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الخندق: اللّهُمَّ إنَّكَ أخذت مني عبيدة بن الحرث ـ يوم بدر ـ؛ وحمزة بن عبد المطلب ـ يوم أُحد ـ، وهذا عليٌّ فلا تدعني فرداً وأنتَ خيرُ الوارثين».

وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام أكثر مِن أن يحملها هذا «الفصل» فَمَن أرادَ الاستقصاء فيها، والإحاطة بها، فعليه ـ بمجموعي ـ في فضائله الموسوم: «بالأربعين».

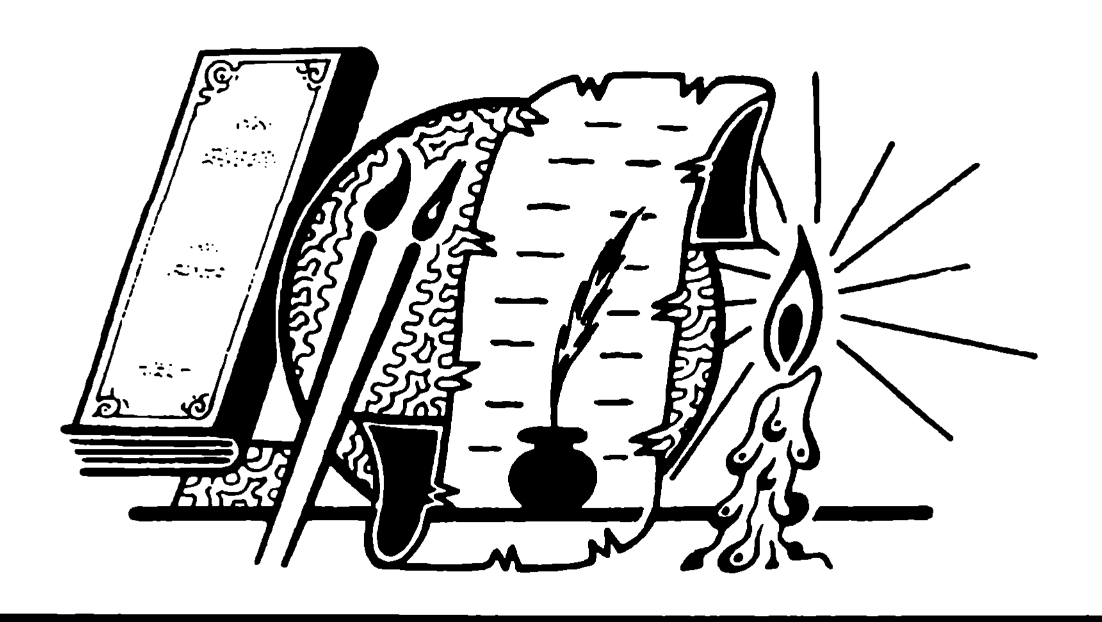
* * *



الفصل الخامس

في فضائل

فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله



١ـ أخبـرنا الشيخ الإمـام الزَّاهد الحـافظ أبـو الحسن عليّ بن أحـمـد
العاصـمي (ره)، أخبرنا شيخ القـضاة أبو عليّ إسماعـيل بن أحمد البيـهقي،
أخبرنـا والدي شيخ السنَّة أبو بكر أحمد بن الحسين الحافظ، أخبرنا أبـو عبد
اللّه الحـافظ، أخبـرنا إبراهيم بن يـحيى المزكى؛ وأبو الحسين بن يعقـوب،
أخبرنا محمَّد بن إسحاق بن إبراهيم: سمعتُ عبد اللّه بن محمَّد بن سليمان
ابن جعـفر الهاشـمي ـ يذكر ـ، عن أبيـه، عن جدِّه قال: ولدت فـاطمة سنة ـ
إحدى وأربعين ـ منْ مَولدِ النبيِّ ﷺ.

وزعم محمَّد بن إسحاق بن يسّار: أنَّ فاطمة ولدت قَبْلَ أن يوحى إلى
النبيِّ ﷺ، وكذلك سائر أولاده من خديجة (رضي اللّه عنها).

في روايتي عن الحـافظ أبي منصـور الدَّيلمي ـ بروايتـه ـ، عن أبي علي
الحدَّاد، عن أبي نعيم الحافظ فـي كتابه«مـعرفـة الصحـابة»: أنَّ فاطمـة كانت
أصغر بنات رسول اللّه ﷺ سناً، ولدت وقريش تبني الكعبة، وكـانت فيما
قبل تكنى: «أم اسماء».

٢ـ وباسنادي، عن أحمد بن الحسين الحافظ، أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمَّد بن حبيب بن المعزا، أخبرنا أبو بكر محمَّد ابن عبد اللّه، أخبرنا أبو القاسم عبد اللّه بن أحمد بن عامر الطائي ـ في البصرة ـ، قال: حدَّثني أبي قال: حدَّثني عليٌّ بن موسى، حدَّثني موسى بن جعفر، حدَّثني ابي جعفر بن محمَّد، حدثني ابي محمَّد بن علي، حدَّثني ابي علي بن الحسين، حدَّثني أبي الحسين بن عليّ، حدَّثني أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إنَّما سميت ابنتي ـ فاطمة ـ لان اللّه عزَّوجلَّ فطمها وفطم مَن أحبَّها من النار»، وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله «إنَّ اللّه عزَّوجلَّ يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها».

٣ـ واخبرنا الشيخ الإمام الثقة أبو بكر محمَّد بن عبد اللّه بن نصر الزاغوني ـ بمدينة السَّلام ـ منصرفي من السفرة الحجازية، أخبرنا الشيخ الجليل أبو الحسن محمَّد بن إسحاق الباقرحي، أخبرنا أبو عبد اللّه الحسين ابن الحسين بن عليّ بن بندار، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمَّد بن شاذان البزاز، أخبرنا أبو القاسم عبد اللّه بن أحمد بن عامر الطائي، حدَّثني أبي أحمد بن عامر، أخبرنا أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا، حدَّثني أبي موسى بن جعفر، حدَّثني أبي جعفر بن محمَّد، حدَّثني ابي محمَّد بن علي، حدَّثني ابي عليّ بن الحسين، حدَّثني أبي الحسين بن عليّ، حدَّثني ابي عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: تُحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة، ومعها ثياب مصبوغة بدم، فتتعلَّق بقائمة من قوائم العرش، فتقول: ياعدل! ياجبّار! أُحكم بيني وبين قاتل ولدي، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: فيحكم اللّه لابنتي وربّ الكعبة».

٤ـ وبهذا الإسناد: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: تُحشر ابنتي فاطمة، عليها

حلّة الكرامة قد عجنت بماء الحيوان، فتنظر إليها الخلائق فيتعجبون منها، ثُمَّ تكسى ايضاً حلّة من حلل الجنَّة ـ وهي الف حلة ـ مكتوب على كلِّ حلّة بخط اخضر: ادخلوا ابنة محمَّد الجنَّة، على احسن الصورة، واحسن الكرامة، واحسن المنظر، فتزف إلى الجنَّة كما تزف العروس، ويوكَّل بها سبعون الف جارية».

٥ـ وأخبرنا الشيخ الإمام الزَّاهد الحافظ أبو الحسن عليّ بن احمد العاصمي (ره)، أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والدي أحمد بن الحسين، أخبرنا ابو بكر احمد بن الحسن القاضي، أخبرنا محمَّد بن جعفر الأنباري، أخبرنا محمَّد بن أحمد بن أبي العوام، أخبرنا عبد الوهاب، أخبرنا عوف، عن عطية الطفاوي، أخبرنا أبي، عن أُمّ سلمة ـ زوج النبي ﷺ قالت: بينما رسول اللّه ﷺ في بيتي إذْ اقبل عليٌّ وفاطمة بالسدة، فقال: «قومي عن أهل بيتي»؟ فقمت فتنحيت في ناحية البيت قريباً.

فدخلَ عليٌّ وفاطمة ومعهما الحسن والحسين ـ وهما صبيان صغيران ـ فاخذَ الصبيِّين فقبلهما ووضعهما في حجره، واعتنق عليّاً وفاطمة، ثُمَّ اغدف عليهم ببردة له، وقال: «اللّهُمَّ! إليك لا إلى النّار أنا وأهل بيتي»، قالت: فقلت: يارسول اللّه! وأنا فقال: «وأنت».

٦ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عليّ الرودبادي، أخبرنا ابو بكر محمَّد بن داسة، أخبرنا أبو داود، أخبرنا محمَّد ابن يونس، أخبرنا الليث بن سعد، حدَّثني عبد اللّه بن عبيد اللّه القرشي: انَّ المسور بن مخرمة حدَّثه: انَّه سمع رسول اللّه ﷺ على المنبر يقول: «إنَّ بني هاشم بن المغيرة استاذنوني ان ينكحوا ابنتهم من عليّ بن أبي طالب فلا

إذن لهم، ثُمَّ لا إذن له، إلاّ أن يُريد ابن أبي طالب ان يطلّق ابنتي، وينكح ابنتهم، فإنّما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها»[١].

وسمعتُ ـ هذا الحديث ـ على الإمام الأجل ركن الإسلام أبي الفضل الكرماني في «أمالي» فخر القضاة الأرسابندي ـ برواية ـ المسور بن مخرمة أيضاً، وقال: هذا حديث متَّفق على صحته.

وسمعته أيضاً في ـ جامع أبي عيسى ـ بهذاالسياق مختصراً، وفي رواية عليّ بن الحسين، عن المسور بن مخرمة، عن عليّ أنَّه خطب بنت ابي جهل وعنده فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله فلمَّا سمعت بذلك فاطمة أتت رسول اللّه، فقالت له: «إنَّ قومكَ يتحدَّثون بأنَّكَ لا تغضب لبناتكَ، وهذا عليّ ناكح بنت أبي جهل».

قال المسور: فقام رسول اللّه صلى الله عليه وآله فسمعته يخطب حتى تشهد، ثُمَّ قال: «أما بعد ـ فإني انكحت أبا العاص بن الربيع، فحدَّثني فصدَّقني، وانَّ فاطمة بضعة مني وأنا اكره انْ يفتنوها، وأنَّه واللّه، لا تجتمع بنت رسول اللّه وبنت عدو اللّه عند رجل أبداً». فترك علي الخطبة، اجتمع الشيخان على صحته.

٧ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عمرو محمَّد ابن عبد اللّه الاديب، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي، أخبرني الحسن بن سفيان، أخبرني أبو كامل، أخبرني أبو عوانة، عن فراس، عن عامر، عن مسروق، عن عائشة قالت: كنّا أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله عنده لم يغادر منهنَّ واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطىء مشيتها من مشية رسول اللّه صلى الله عليه وآله

---

(١) هذا الحديث وما بعده وضعهما المسور ببذل بني امية له المال، كما ذكر ذلك المرتضى في الشافي، وكيف يخطب علي على فاطمة وهي أجمل النساء وفتاة والله تعالى هو الذي زوجه بها في السماء؟! كما ذكر المصنف الروايات في ذلك، إن هذا لغريب!!

شيئاً فلما رآها رحّبَ بها، وقال: «مرحباً بابنتي» ثُمَّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثُمَّ سارها فبكت بكاء شديداً، فلمَّا رأى جزعها سارها ثانياً فضحكت، فقلنا لها: خصك رسول اللّه بين نسائه بالسرار، ثُمَّ أنتِ تبكين؟

فلما قام رسول اللّه ﷺ سألتها: ما قال رسول اللّه؟ فقالت: «ماكُنْتُ لأفشي على رسول اللّه سرَّه»، فلمّا تُوفي رسول اللّه قلت لها: عزمت عليك بما لي من الحقِّ لما حدَّثتني ما قال رسول اللّه، قالت: «أما الآن فنعم، أمَّا حين سارني في المرَّة الأُولى فأخبرني: أنَّ جبرائيل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرَّة، وأنَّه عارضه العام مرتين، وإنِّي لا أرى الأجل إلاّ قد اقترب، فاتقي اللّه واصبري، فإنَّه نعم السلف أنا لكِ، قالت: فبكيت بكائي الَّذي رأيتِ، فلمَّا رأى جزعي سارني الثانية، فقال: يافاطمة! أما ترضين أنْ تكوني سيدة نساء العالمين أو سيِّدة نساء هذه الأمَّة فضحكت ضحكي الَّذي رأيتِ».

وفي ـ رواية ـ بنت طلحة، عن عائشة: أنَّها قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً منْ فاطمة برسول اللّه (صلّى اللّه عليهما)، وكانت إذا دخلت عليه رَحَّبَ بها وقام إليها فأخذ بيدها فقبَّلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دَخَلَ عليها رحبت به وقامت إليه فأخذت بيده فقبَّلتها وأجلسته في مجلسها، ثُمَّ ساق الحديث.

وسمعت ـ هذا الحديث ـ في جامع أبي عيسى، وزاد فيه عند قوله: فلمّا رآها رَحَّبَ بها، قالت عائشة: فلمَّا مَرِضَ النبيُّ ﷺ دَخَلَت فاطمة عليه فاكبت عليه فقبَّلته، ثُمَّ رفعت رأسها فبكت، ثُمَّ اكبت، ثُمَّ رفعت رأسها فضحكت، فقلت: إنِّي كُنْتُ لاظنّ إنَّ هذه من أعقل نسائنا، فإذا هي من النساء، ثم ساق الحديث.

٨ ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا محمَّد بن يعقوب، أخبرنا الحسن بن عليّ، أخبرنا إسحاق ابن منصور، أخبرنا إسرائيل، عن ميسرة بن حبيب، عن منهال بن عمرو، عن زر بن حبيش، عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نَزَلَ مَلَكٌ من السّماء فاستأذن الله تعالى ان يسلّم عليَّ لم ينزل قبلها، فبشّرني: انَّ فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنة».

٩ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أخبرنا محمَّد بن الحسن السّراج، أخبرنا مطين، أخبرنا محمَّد بن العلا، أخبرنا معاوية بن هشام، عن عمرو بن غياث، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله وذرِّيتها على النار».

١٠ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا ابن بابويه، أخبرنا محمَّد بن عثمان، أخبرنا محمَّد بن عبد الله بن نمير، أخبرنا أبو مسلم ـ قائد الأعمش ـ، عن الأعمش، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تبعث الانبياء يوم القيامة على الدواب ليوافوا بالمؤمنين من قومهم المحشر، ويبعث صالح عليه السلام على ناقته، وأُبعث على البراق خطوها عند أقصى طرفها، وتبعث فاطمة أمامي».

١١ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا محمَّد بن الحسين العلوي (ره)، أخبرنا محمَّد بن عمر الأزدي، أخبرنا محمَّد بن يونس بن موسى، أخبرنا الحسين بن الحسن الفزاري، أخبرنا قيس بن الرَّبيع، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، عن أبي أيوب

الانصاري قال: قال رسول اللّه ﷺ: «ينادي مناد من بطنان العرش: ياأهل الجمع! نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم حتّى تجوز فاطمة بنت محمَّد على الصراط، قال: فتمرّ ومعها سبعون ألف جارية من الحور العين كالبرق اللامع».

وسمعت ـ هذا الحديث ـ، عن الشيخ الإمام عبد الحميد البراتقيني ـ مختصراً ـ في «أمالي» الريغدموني، برواية عليٍّ عليه السلام.

١٢ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد هذا، أخبرني محمَّد بن الحسن بن فورك، أخبرني عبد اللّه بن جعفر، أخبرني يونس بن حبيب، أخبرني أبو داود الطيالسي، أخبرني أبو عوانة، عن عمرو بن أبي سلمة، عن أُمّه، عن أُسامة قال: مررتُ بعليٍّ والعبّاس وهما قاعدان في المسجد، فقالا: «ياأُسامة! استأذن لنا على رسول اللّه ﷺ»، فقلت: يارسول اللّه! هذا عليٌّ والعبّاس يستأذنان. فقال: «هل تدري ما جاء بهما»؟ قلت: لا واللّه، ما أدري؟ قال: «لكنّي أدري ما جاء بهما فاذن لهما»، فدخلا وسلّما وقعدا وقالا: «يارسول اللّه! أيّ أهلكَ أحبُّ إليكَ»؟ فقال عليه السلام: «فاطمة».

١٣ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد هذا، أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، أخبرنا مكرم بن أحمد، أخبرنا أحمد بن يوسف، أخبرنا عبد المؤمن بن عليّ: حدَّثني عبد السلام بن حرب، عن عبد اللّه بن عمر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، أنَّه دخل على فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ فقال: يافاطمة! واللّه، ما رأيت أحداً أحبُّ إلى رسول اللّه منِك، واللّه، ما كان أحد من النّاس بعد أبيك أحَبُّ إليَّ منِك.

١٤ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد هذا، حدَّثني أبو عبد اللّه الحافظ: حدَّثني محمَّد بن يعقوب، حدَّثني عبّاس بن محمَّد الدوري، حدَّثني يحيى

ابن إسماعيل، حدَّثني محمَّد بن فضيل، عن العلاء بن المسيّب، عن إبراهيم بن قعيس، عن نافع، عن ابن عمر: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله كان إذا سافر كان آخر الناس به عهداً فاطمة، فإذا قَدِمَ من سفره كَانَ أوَّل النّاس به عهداً فاطمة.

١٥ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد هذا، أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، حدَّثني محمَّد بن أحمد الفقيه ـ بمرو ـ، حدَّثني جعفر بن محمَّد النيسابوري ـ بمرو ـ، حدَّثني علي بن مهران، حدَّثني سلمة بن الفضل، حدَّثني محمد ابن إسحاق، عن يحيى بن عبَّاد بن عبد اللّه بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة: أنَّها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله قالت: «ما رأيت أحداً أصدق لهجة منها إلاّ أنْ يكون الَّذي ولدها».

وفي ـ رواية ـ أبي العلاء ـ وكان بينهما شيء ـ، فقالت: يارسولَ اللّه! سلها، فإنَّها لا تكذب.

١٦ـ وأنبأني الحافظ صدر الحفّاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني، أخبرني زاهر بن طاهر الكاتب، أخبرنا محمَّد بن عبد الرحمن، أخبرنا محمَّد بن أحمد، أخبرنا أحمد بن عليّ التميمي، أخبرنا إبراهيم بن سعيد، أخبرنا حسين بن محمَّد، عن عمرو بن ثابت، عن أبي فاختة، عن علي عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام إنِّي وإياك وهذا ـ يعني علي ـ وهذين ـ يعني الحسن والحسين ـ يوم القيامة في مكان واحد».

١٧ـ وأنبأني أبو العلاء هذا، أخبرنا محمَّد بن إسماعيل الصيرفي، أخبرنا أحمد بن محمَّد بن الحسين، أخبرنا سليمان بن أحمد، أخبرنا محمد ابن عبد اللّه، أخبرنا جرير بن الحسين، أخبرنا حسين الأشقر، عن قيس بن الرَّبيع، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال: لما نزلت:

﴿قل لا أسالكم عليه أجراً إلاّ المودَّة في القربى﴾ الشورى/٢٣، **قالوا: يارسول الله! من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال ﷺ: «عليّ وفاطمة وابناهما عليهم السلام».**

١٨ـ وأخبرنا الإمام الأجل ركن الإسلام أبو الفضل عبد الرحمن بن محمَّد الكرماني، أخبرنا إمام الأئمَّة أبو بكر محمَّد بن الحسين الأرسابندي (ره)، أخبرنا القاضي الإمام أبو الحسن علي بن الحسين السعدي، أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمَّد بن أحمد، أخبرنا محمَّد بن محمَّد بن علي الطوسي، أخبرنا محمَّد بن إسحاق الثَّقفي، أخبرني الحسن بن يزيد الطحان، أخبرني عبد السّلام بن حرب، عن داود بن أبي عوف، عن جميع ابن عمير قال: دخلت مع عليّ بن أبي طالب على عائشة، فسالت: أيُّ النّاس كان أحَبّ إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: فاطمة، قيل: فمن الرِّجال؟ قالت: زوجها.

وسمعت ـ هذا الحديث ـ أيضاً في جامع أبي عيسى، بهذا السياق إلاّ أنَّه زاد في خبره: إنْ كان ما علمتُ صوَّاماً قوَّاماً ـ تعني عليّاً عليه السلام.

١٩ـ وأخبرنا القاضي الأجل ظهير الإسلام أبو الفتح عبد الواحد بن الحسن الباقرحي، أخبرنا أبو الفضل العبّاس بن أبي العبّاس الشفائي ـ قراءة عليه ـ، أخبرنا الإمام أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحدي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمَّد الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو محمَّد المزني، أخبرنا أبو يعلى الموصلي، أخبرنا سهل بن زنجلة الرَّازي، أخبرنا عبد الله بن صالح، أخبرني ابن لهيعة، عن محمّد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله: **انَّ النبيَّ ﷺ اقام ايّاماً لم يطعم طعاماً حتّى شقّ ذلك عليه، وطاف في منازل أزواجه فلم يصب عند واحدة شيئاً، فاتى فاطمة عليها السلام فقال:**

«يابنيـة! هل عندك شيء آكله فـاني جـائع؟ فقـالـت: لا، واللّه، بأبي أنْتَ وأُمي».

فلما خرج من عندها بعثت إليها جاريتها برغيفين وقطعة لحم، فاخذته منهـا ووضـعتـه في جـفنة لهـا وغطت عليـهـا، وقالت: «لأوثرن بـها رسـول اللّه صلى الله عليه وآله على نفسي ومن عندي».

وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبعـة طعام، وبعثت حسناً وحسيناً عليهما السلام إلى رسـول اللّه فـرجع إليـهـا فقـالت: «بأبـي أنتَ وأُمي، قـد آتانا اللّه بشيء فخبأته، قال: هلمي».

فـأتته فكشـفت عن الجـفنة، فإذا هي مملوءة خبـزاً ولحمـاً، فلمّا نظرت إليـه بهتت فـعرفت أنَّهـا كرامـة من اللّه تعـالى، فحمدت اللّه تعـالى وصلّت على نبيِّه، فقال صلى الله عليه وآله «أنّى لكِ هذا بنيـة؟ قـالت: هوَ منْ عند اللّه إنَّ اللّه يرزق مَنْ يشـاء بغيـر حسـاب، فقالَ: الحـمدُ لـلّه الَّذي جَعَلَكِ شبيـهة بسيدة نـساء العـالمين في نساء بني إسـرائيل في وقـتـهم، فإنَّهـا كانت إذا رزقـهـا اللّه تعـالى فسئلت، قالت: هو من عند اللّه إنَّ اللّه يرزق مَنْ يشاء بغير حساب».

فبعث رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلى عليٍّ فأكلَ رسول اللّه هو؛ وعليّ؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين؛ وجميع نساء النبيِّ؛ وأهل بيته جميعاً؛ وشبعوا وبقيت الجفنة كما هي، قالت فاطمة عليها السلام: «فأوسعت منها على جميع جيراني فجعل اللّه فيها البركة والخير، كما فعل اللّه عزَّ وجل لمريم عليها السلام».

وسـمعت ـ هذا الحديث، عن الشـيخ الإمـام عبـد الحـميـد البـرايقني ـ مختصراً ـ برواية جابر بن عبد اللّه أيضاً.

٢٠ ـ أخبرنا جار اللّه العلاّمة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أخبـرنا الأُستـاذ الأمين ابو الحسن علي بن مـردك الرَّازي ـ بالري ـ، أخبـرنا

الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسن السّمان الرّازي، أخبرنا عبد الرَّحمن بن محمَّد النيسابوري ـ بقراءتي عليه ـ، أخبرنا عبدالله بن محمَّد الحلواني، أخبرنا أبو محمَّد عبد اللّه بن محمَّد، أخبرنا هارون بن محمَّد، أخبرنا عثمان بن طالوت، أخبرنا بشر بن أبي عمرو، أخبرنا أبي، أخبرنا عبد اللّه بن عمر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطّاب، أنَّه دخل على فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ فقال: يافاطمة! إنَّه واللّه، ما كان أحد مِن النّاس بعد رسول اللّه ﷺ أعزّ عليَّ مِنْكِ، وفي رواية أُخرى: أكرم عليَّ بعد أبيك منْك.

٢١ـ وذكر الإمام محمَّد بن أحمد بن عليّ بن شاذان، أخبرني الحسن ابن حمزة، عن علي بن محمّد بن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن محمّد ابن زياد، عن حميد بن صالح، عن جعفر بن محمَّد عليه السلام قال: «حدَّثني أبي، عن أبيه، عن الحسين عليه السلام، قال: قال رسول اللّه ﷺ: فاطمة بهجة قلبي، وإبناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمة مِنْ ولدها أُمناء ربِّي، وحبله الممدود بينه وبين خلقه، مَنِ اعتَصَمَ بهم نجا، وَمَنْ تخلَّف عنهم هوى».

٢٢ـ وذكر محمَّد بن شاذان هذا، أخبرنا أبو عبد اللّه الحسن بن محمد بالمحمدية، عن الحسين بن جعفر، عن محمّد بن يعقوب، عن محمّد بن عيسىٰ، عن نصر بن حماد، عن شعبة بن الحجاج، عن أيوب السختياني، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَن أراد التوكل على اللّه فَليُحِبّ أهل بيتي، وَمَن أراد أن ينجو مِنْ عَذاب القبر فَليُحِبّ أهل بيتي، وَمَن أراد الحكمة فليُحبّ أهل بيتي، وَمَن أراد دخول الجنّة بغير حساب فليُحِبّ أهل بيتي، فواللّه، ما أحبَّهم أحد إلاّ رَبِحَ الدُّنيا والآخرة».

٢٣ـ وذكر محمَّد بن شاذان هذا، أخبرنا أبو الطيب محمَّد بن الحسن التيملي، عن علي بن العبّاس، عن بكار بن محمّد، عن نصر بن مزاحم، عن زياد بن المنذر، عن زاذان، عن سلمان قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «ياسلمان! مَن أحَبَّ فاطمة ابنتي فهو في الجنَّة معي، ومَن أبغضها فهو في النّار.

ياسلمان! حُبُّ فاطمة ينفع في مائة من المواطن، أيسر تلك المواطن: الموت؛ والقبر؛ والميزان؛ والمحشر؛ والصراط؛ والمحاسبة، فَمَنْ رضيت عنه ابنتي فاطمة رضيتُ عنه، ومَنْ رضيتُ عنه رضي اللّه عنه، ومن غضبت عليه ابنتي فاطمة غضبتُ عليه، ومَن غضبتُ عليه غضب اللّه عليه.

ياسلمان! ويلٌ لمن يظلمها ويظلم بعلها أمير المؤمنين عليّاً، وويلٌ لِمَنْ يظلم ذرِّيتها وشيعتها».

٢٤ـ وذكر ابن شاذان هذا، حدَّثني النقيب أبو الحسن محمَّد بن محمَّد الحسني، عن أحمد بن إبراهيم، عن محمَّد بن زكريا، عن العبّاس ابن بكار، عن أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لعبد الرَّحمن ابن عوف: «ياعبد الرَّحمن! أنتم أصحابي، وعليُّ بن أبي طالب منِّي، وأنا مِنْ عليّ، فَمَنْ قاسه بغيره فقد جفاني، ومَنْ جفاني آذاني، ومَن آذاني فعليه لعنة ربِّي.

ياعبد الرَّحمن! إنَّ اللّه أنزلَ عليّ كتاباً مبيناً، وأمرني أنْ أُبين للنّاس ما نَزَلَ إليهم، ما خلا عليّ بن أبي طالب فإنَّه لَمْ يحتج إلى بيان، لأنَّ اللّه تعالى جعل فصاحته كفصاحتي، ودرايته كدرايتي. ولو كان الحلم رجلاً لكان علياً، ولو كان العقل رجلاً لكان حسناً، ولو كان السخاء رجلاً لكان حسيناً، ولو كان الحسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم، إنَّ فاطمة

ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً».

٢٥ـ وذكر ابن شاذان هذا، أخبرني إبراهيم بن محمَّد الدَّاري، عن أحمد بن محمَّد بن سعيد، عن أحمد بن عليل، عن عبد اللّه بن داود الانصاري، عن موسى بن عليّ القرشي، عن قنبر بن أحمد، عن بلال بن حمامة قال: طلع علينا النبيُّ ﷺ ذات يوم ووجهه مشرق كدارة القمر، فقام عبد الرَّحمن بن عوف فقال: يارسول اللّه! ما هذا النور؟ فقال: «بشارة أتتني مِنْ ربِّي في أخي وابن عمِّي وابنتي، فإنَّ اللّه زوَّج عليّاً من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان فهزَّ شجرة طوبى فحملت رقاعاً ـ يعني صكاكاً ـ بعدد محبّي أهل بيتي، وأنشأ مِن تحتها ملائكة من نور، ودفع إلى كلِّ ملك صكّاً، فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق فلا تلقي محبّاً لنا أهل البيت إلاّ دفعت إليه صكّاً فيه فكاكه من النّار، فأخي وابن عمِّي وابنتي، بهم فكاك رقاب رجال ونساء مِن أُمَّتي مِنَ النّار».

٢٦ـ وأخبرني الشيخ الصالح أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي ـ بمدينة السّلام ـ، عن مشايخه الثلاثة: القاضي أبي عامر محمود ابن القاسم الأزدي؛ وأبي نصر بن عبد العزيز بن محمَّد الترياقي؛ وأبي بكر احمد بن عبد الصمد الفورجي ـ ثلاثتهم ـ، عن أبي محمَّد عبد الجبّار بن محمّد الجراحي، عن أبي العباس محمَّد بن احمد المحبوبي، عن الحافظ أبي عيسى الترمذي، أخبرنا عليُّ بن قادم، أخبرنا أسباط بن نصر، عن السدِّي، عن صبيح ـ مولى أُمِّ سلمة ـ، عن زيد بن أرقم: أنَّ رسول اللّه ﷺ قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: «أنا سِلْمٌ لِمَنْ سالمتم، وَحَربٌ لِمن حاربتم».

٢٧ـ وأنباني الحافظ صدر الحفاظ أبو العلاءبن الحسن الهمداني،

أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن احمد، أخبرنا إسماعيل بن مسعدة الجرجاني، اخبرنا حمزة بن يوسف، أخبرنا عبد اللّه بن عَديّ الحافظ، أخبرنا عمر بن سنان، أخبرنا الحسن بن عليّ الأزدي، أخبرنا أبو عبد اللّه المفتي، أخبرنا عبد الرَّزاق، عن أبيه، عن مينا بن أبي مينا ـ مولى عبد الرحمن بن عوف ـ أنّه قال: ألا تسالوني قبل ان تُشاب الأحاديث بالأباطيل، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «أنا شجرةٌ، وفاطمةُ فرعها، وعليٌ لقاحها، والحسن والحسينُ ثمرتها، وشيعتنا ورقها، فالشجرة أصلها في جنّة عدن، والأصل والفرع واللقاح والثمر والورق في الجنّة»؟

ولأحد الشعراء في هذا المعنى قوله:

ياحبَّذا دوحة في الخلد نابتة	ما مثلها نبتت في الخلد منْ شجرِ
المصطفى أصلها والفرع فاطمة	ثُمَّ اللقاح عليٌّ سيِّدَ البشرِ
والهاشميان سبطاه لها ثمر	والشيعة الورق الملتف بالثَّمرِ
إنِّي بحبِّهم أرجو النجاة غداً	والفوزُ في زمرةِ من أفضل الزمرِ
هذا مقالُ رسولِ اللّه جاءَ به	أهل الرواية في العالي منَ الخَبرِ

٢٨ ـ وبهذا الإسناد، عن أبي العلاء، أخبرنا محمود بن إسماعيل، أخبرنا أحمد بن محمَّد، أخبرنا الطبراني، أخبرنا عليٌّ بن عبد العزيز، أخبرنا أبو نعيم، أخبرنا ابن أبي عتبة، عن أبي الخطاب الهجري، عن محدوج الباهلي، عن جسرة قالت: أخبرتني أُمٌّ سلمة قالت: خرج رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلى هذا المسجد، فقال باعلى صوته: «الا إنَّ هذا المسجد لا يحل لجنب، ولا لحائض، إلاّ للنبيٍّ وأزواجه، وفاطمة وعليّ، الا بينت لكم أنْ تضلوا»[1].

(١) في هذا الحديث زيادات لعلّها من محدوج فإنّه مجهول كما في التقريب.

٢٩ـ وبهذا الإسناد، عن أبي العلاء، أخبرنا أبو عليّ الحدَّاد، أخبرنا أبو نعيم، أخبرنا إبراهيم بن أحمد، أخبرنا جدِّي أبو حصين، أخبرنا يحيى الحماني، أخبرنا قيس، عن عبد اللّه بن عمران، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيَّب، عن علي عليه السلام أنَّه قال لفاطمة عليها السلام: «ما خير النساء؟ قالت: أنْ لا يُرين الرِّجال ولا يرونهنَّ» فذكر ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «إنَّما فاطمة بضعةٌ منِّي».

٣٠ـ وبه، عن أبي نعيم هذا، أخبرنا سليمان بن أبي أحمد، أخبرنا عليّ بن سعيد، أخبرنا عبد اللّه بن عمر بن أبان، أخبرنا مسهر بن عبد الملك، أخبرنا عتبة أبو معاذ البصري، عن عكرمة، عن عمران بن الحصين قال: إنِّي لجالس عند النبيِّ ﷺ إذْ أقبلت فاطمة فقامت بحذاء النبيِّ مقابلة، فقال: «ادني يافاطمة!» فدنت دنوة، ثُمَّ قال: «ادني يافاطمة» فدنت حتّى قامت بين يديه.

قال عمران: فرأيتُ صفرةً قد ظهرت على وجهها وذهب الدم، فبسط رسول اللّه بين أصابعه ثُمَّ وضع كفَّه بين ترائبها، ثُمَّ قال: «اللّهُمَّ مشبع الجوعة، وقاضي الحاجة، ورافع الوضعة، لاتجع فاطمة بنت محمَّد» فرأيتُ صفرة الجوع قد ذهبت عن وجهها وظهر الدم، ثُمَّ سالتها بعد ذلك فقالت: «ماجعتُ بعد ذلك ياعمران»!.

٣١ـ وبه، عن أبي نعيم هذا، أخبرنا أبو بكر بن خلاّد، أخبرنا محمَّد ابن يونس، أخبرنا حمّاد بن عيسى، أخبرنا جعفر، عن أبيه عليه السلام، عن جابر قال: سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول لعليّ بن أبي طالب عليه السلام قبل موته بثلاث: «سلامُ اللّه عليك أبا الريحانتين! أُوصيكَ بريحانتي مِنَ الدُّنيا، فعن قليل ينهد ركناك، واللّه خليفتي عليك».

فلما قُبِضَ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال عليّ عليه السلام: «هذا أحد ركنيّ الّذي قال لي رسول اللّه».

فلمّا ماتت فاطمة عليها السلام قال عليّ عليه السلام: «هذا الثاني الّذي قال لي رسول اللّه صلى الله عليه وآله».

٣٢ـ وأخبرني الشيخ الإمام فخر الائمّة ابو الفضل بن عبد الرّحمن الحفربندي، أخبرنا أبو محمّد الحسن بن محمّد السمرقندي، أخبرنا أبو القاسم عبد الرّحمن بن أحمد العطّار؛ وإسماعيل بن أبي نصر الصابوني؛ واحمد بن الحسين البيهقي؛ قالوا: أخبرنا ابو عبد اللّه الحافظ، أخبرنا أبو أحمد الحسين بن علي التميمي، أخبرنا عبد اللّه بن محمّد البغوي، أخبرنا سعيد بن يحيى الأموي، حدّثني ابي، حدّثني يزيد بن سنان، أخبرنا عتبة ابن رويم: سمعتُ أبا ثعلبة الخشني يقول: كان رسول اللّه إذا رجع من غزاة وسفر أتى المسجد فصلّى ركعتين، ثُمَّ ثنّى بفاطمة، ثُمَّ ياتي ازواجه، فلمّا رجع خرج من المسجد تلقته فاطمة عند البيت تلثم فاه وعيناها تبكي، فقال: «يابنيّة! ما يبكيك؟ قالت: يارسولَ اللّه! أراكَ شعثاً نصباً قد اخلولقت ثيابك؟ فقال: لا تبكي، فإنَّ اللّه عزّوجل بَعَثَ أباك لامر لا يبقى على ظهر الارض بيت مدر ولا شعر إلاّ ادخل اللّه عزّوجلّ به عزّاً او ذُلاً حتّى يبلغ حيث بلغ الليل».

٣٣ـ وأخبرني الإمام الحافظ ابو منصور شهردار بن شيرويه الدّيلمي ـ فيما كتَبَ إليّ مِنْ همدان ـ، أخبرنا محمود بن إسماعيل، أخبرني أحمد بن فادشاه [ح]؛ وأخبرنا أبو عليّ الحدّاد ـ مناولةً ـ، أخبرنا أبو نعيم الحافظ قالا: أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني، عن عبد اللّه بن سعد الرّقي، عن أحمد بن شيبة، عن أبي قتادة الحرّاني، عن سفيان الثوري، عن هشام بن

عروة، عن أبيه عن عائشة قالت: كُنتُ أرى رسول اللّه ﷺ يُقَبِّل فاطمة، فقلت: يارسول اللّه! إنّي أراكَ تفعل شيئاً ما كُنتُ أراكَ تفعله مِنْ قَبْلُ؟

فقال: «ياحميراء! إنَّه لما كان ليلة أسري بي إلى السّماء أُدخلتُ الجنَّة فوقفت على شجرة من شجر الجنَّة لَمْ أرَ في الجنةِ شجرةً هي أحسن حسناً ولا أبضّ منها ورقة، ولا أطيب ثمرة، فتناولتُ ثمرةً مِنْ ثمرتها فأكلتها فصارت نطفة في صلبي، فلمَّا هبطتُ إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فإذا اشتقتُ إلى رائحة الجنَّة شممت رائحة فاطمة.

ياحميراء! إنَّ فاطمة ليست كنساء الآدميين ولاتعتل كما يعتللن».

وأورد ـ هذا الحديث ـ أبو عبد اللّه في «المستدرك» مختصراً، عن سعد ابن مالك قال: قال رسول اللّه ﷺ: «ليلة أُسري بي إلى السماء أتاني جبرائيل عليه السلام بسفرجلة مِن الجنَّة فأكلتها فعلقت خديجة بفاطمة، فكنتُ إذا اشتقتُ إلى رائحة الجنة شممتُ رقبة فاطمة».

٣٤ـ وأخبرني سيِّد الحفاظ أبومنصور هذا ـ فيما كتَبَ إليَّ من همدان ـ، أخبرنا أبو العلاء أحمد بن نصر المؤدّب ووالدي (ره) بقراءتي عليهما قالا: أخبرنا أبو الفرج عليّ بن محمَّد البجلي، أخبرنا أبو بكر أحمد ابن عليّ بن بلال الفقيه، أخبرنا أحمد بن كامل، أخبرنا محمَّد بن يونس، أخبرنا حمَّاد بن عيسى، أخبرنا جعفر بن محمَّد عليه السلام، عن أبيه، عن جابر ابن عبد اللّه الانصاري قال: رأى رسول اللّه ﷺ على فاطمة كساءً من أوبار الابل وهي تطحن فبكى، وقال: «يافاطمة! اصبري على مرارة الدُّنيا، لنعم الآخرة غداً» قال: فنزلت عند ذلك الآية ﴿ولسوف يعطيك ربُّك فترضى﴾ الضحى/ ٥.

٣٥ـ وأخبرني سيِّد الحفَّاظ هذا ـ فيما كتَبَ إليّ ـ، أخبرنا أبو عليّ

الحسن بن احمد الحدّاد، اخبرنا أبو نعيم الحافظ، عن محمّد بن عمر السلفي، عن أبيه، عن محمّد بن موسى، عن الثوري، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد اللّه بن مسعود قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «يافاطمة! زوّجتُك سيِّداً في الدُّنيا وإنَّه في الآخرة لَمِنَ الصالحين.

لما اراد اللّه عزوجل انْ أُملكك امر جبرائيل فقام في السّماء الرابعة وصفَّ الملائكة صفوفاً، ثُمَّ خَطَبَ عليهم فزوَّجَكِ مِنْ عليٍّ، ثُمَّ امر اللّه شَجَرَ الجنان فحمل الحلي والحلل فنثرت على الملائكة، فَمَن اخذ منهم شيئاً أكثر مما أخذه غيره افتخر به إلى يوم القيامة».

٣٦ـ اخبرنا عين الائمة أبو الحسن عليّ بن احمد الكرباسي، اخبرنا القاضي الإمام احمد بن عبد الرَّحمن الريغدموني، اخبرنا ابي، اخبرنا أبو بكر محمَّد بن أحمد الثعالبي، أخبرنا ابو بكر محمَّد بن جعفر البغدادي ـ بمرو ـ، أخبرنا أبو القاسم عبد اللّه بن أحمد بن عامر الطائي ـ بواسط ـ، حدَّثني أبو الحسن عليّ بن موسى الرِّضا، حدَّثني أبي موسى بن جعفر، حدَّثني أبي جعفر بن محمَّد، حدَّثني أبي محمَّد بن عليّ، حدَّثني أبي عليّ ابن الحسين، حدَّثني أبي الحسين بن علي، حدَّثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أتاني ملك الموت، فقال: يامحمَّد! إنَّ اللّه يقرأ عليك السّلام، ويقول: قد زوجتُ فاطمة من عليّ فزوِّجها منه، وقد أمرت شجرة طوبى أن تحمل الدرَّ والياقوت والمرجان، وإنَّ أهل السماء قد فرحوا بذلك، وسيولد لهما ولدان سيِّدا شباب أهل الجنة، فابشر يامحمَّد! فإنَّكَ خير الأوَّلين والآخرين».

٣٧ـ واخبرني ثقة الحفاظ أبو داود محمود بن سليمان بن محمَّد الهمداني ـ فيما كتَبَ إليَّ مِنْ همدان ـ، أخبرني أبو بكر محمَّد بن عبد

الباقي؛ ويحيى بن الحسن البناء ـ ببغداد ـ قالا: أخبرنا القاضي الشريف أبو الحسين محمَّد بن عليّ بن محمَّد بن المهتدي بالله، اخبرنا أبو حفص عمر ابن أحمد بن عثمان بن شاهين الواعظ، أخبرنا عبد الله بن محمَّد بن جعفر ابن شاذان ـ في تربة نزلها عند حفيرة الخيزران ـ، أخبرنا أحمد بن محمَّد بن مهران، حدَّثني مولاي الحسن بن عليّ ـ صاحب العسكر ـ، حدَّثني أبي عليّ ابن محمَّد، حدَّثني أبي محمَّد بن عليّ، حدَّثني أبي علي بن موسى، حدَّثني أبي موسى بن جعفر، حدَّثني أبي جعفر بن محمَّد، حدَّثني أبي محمَّد بن علي عليه السلام قال: «حدَّثني جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: لمّا خلق الله تعالى آدم وحوا تبخترا بالجنّة، وقالا: ما خلق الله خلقاً أحسن منّا، فبينا هما كذلك إذا هما بصورة جارية لم يَر الرآؤون أحسن منها، لها نور شعشعاني يكاد يطفىء الأبصار، على رأسها تاج، وفي أُذنيها قرطان، فقالا: ياربّ! ما هذه الجارية؟ قال: صورة فاطمة بنت محمَّد سيِّد ولدك، فقالا: ما هذا التاج على رأسها؟ قال: هذا بعلها عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقالا: ما هذا القرطان؟ قال: إبناهما الحسن والحسين، وجد ذلك في غامض علمي قَبل ان اخلقكما بالفي عام».

٣٨ـ واخبرني سيّد الحفاظ ـ فيما كتَبَ إليَّ ـ قال: وممّا سمعته في «المفاريد» باسنادي، عن أُمِّ سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لو لَمْ يكن عليّ ما كان لفاطمة كفؤ».

قال: ومما سمعته في «المفاريد» باسنادي، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «ياعليّ! إنَّ الله تعالى زوَّجك فاطمة، وجعل صداقها الارض، فَمَنْ مشى عليها مبغضاً لها مشى حراماً».

٣٩ـ قال سيد الحفاظ هذا: واخبرنا ابو الفتح بن عبد الله ـ كتابة ـ

أخبرنا أبو الفضل بن عبدان، أخبرنا عليّ بن الحسن الرّازي، اخبرنا احمد ابن محمَّد، أخبرنا عبّاد بن يعقوب، أخبرنا يحيى بن سالم، عن إسرائيل، عن ميسرة بن حبيب، عن المنهال بن عمرو، عن حذيفة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا ينام حتى يقبّل عرض[1] وجه فاطمة وبين ثديها.

٤٠ـ وبه، عن أبي الفضل بن عبدان، أخبرنا محمَّد بن عمر، أخبرنا عبد الله بن محمَّد، أخبرنا الحسين بن علي الصوفي، أخبرنا أحمد بن محمَّد بن مخلد، اخبرنا يحيى بن حمّاد، أخبرنا أبو عوانة، عن العلاء بن المسيَّب، عن ابراهيم، عن يعيش، عن نافع، عن ابن عمر: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قَبَّل راس فاطمة، وقال: «فداك أبوكِ كما كُنْتِ فكوني».

٤١ـ قال سيّد الحفّاظ هذا (جزاه الله عنّا خيراً): وأخبرنا محيي السنَّة عبدوس بن عبد الله ـ اجازة ـ أخبرنا أبو طاهر، أخبرنا محمَّدبن إبراهيم العاصمي، أخبرنا المفضل بن محمَّد، أخبرنا توبة بن علوان، أخبرنا شعبة، عن أبي حمزة، عن ابن عباس قال: لمّا ان كانت ليلة زُفت فيها فاطمة إلى عليّ بن أبي طالب، كان النبيُّ صلى الله عليه وآله قدّامها، وجبرائيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك من ورائها يُسبحون الله ويقدِّسونه، حتّى طلع الفجر.

٤٢ـ وبه، عن محيي السنَّة هذا، أخبرنا أبو طاهر الحسين بن عليّ، اخبرنا الفضل بن الفضل، أخبرنا محمَّد بن سهل، أخبرنا عبد الله بن محمَّد البلوي، حدَّثني إبراهيم بن عبد الله، حدَّثني أبي، عن زيد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على عليّ وفاطمة وأخذ بعضادتي

---

(١) كذا في النسخة ولعلّه عارضي وجه فاطمة.

الباب، وقال: السَّلام عليكم، ياأهل بيت الرحمة! وموضع الرسالة، ومنزل الملائكة، يابنية! إنَّ اللّه سبحانه وتعالى اطلع على أهل الأرض اطلاعةً فاختارَ أباك، فجعله نبياً، ثُمَّ اطلع الثانية، فاختار منهم زوجكِ علياً، فجعله لي أخاً ووصياً، ثُمَّ اطلع الثالثة، فاختاركِ وأُمَّكِ، فجعلكما سيِّدتي نساء العالمين، ثُمَّ اطلع الرابعة، فاختار ابنيكِ فجعلهما سيِّدي شباب أهل الجنَّة.

فقال العرش: أي ربِّي، ابني نبيّكَ، وابني وصيّ نبيِّكَ، زيني بهما فهما يوم القيامة في ضفتي العرش بمنزلة الشنفين منَ الوجه، ومَدَّ رسول اللّه ﷺ شحمتي أُذنيها حتّى احمرتا».

٤٣ـ وبه، عن محيي السنَّة هذا، أخبرنا الشَّريف المفضل بن محمَّد الجعفري ـ بأصبهان ـ في سكة الخوز، أخبرنا الحافظ أبو بكر احمد بن موسى بن مردويه، أخبرنا عبد الباقي بن قانع، أخبرنا محمَّد بن زكريا بن دينار، أخبرنا عمير بن عمران، أخبرنا سليمان بن عمرو النخعي، عن ربعي ابن خراش، عن حذيفة قال: رأيتُ رسول اللّه ﷺ آخذٌ بيد الحسين بن عليّ، فقال: «أيُّها النّاس! جدُّ الحسين أكرم على اللّه مِنْ جدِّ يوسف بن يعقوب، وأنَّ الحسين في الجنَّة، وأباه في الجنَّة، وأمه في الجنة، وأخاه في الجنّة، ومحبَّهم في الجنّة، ومحبَّ محبِّهم في الجنَّة».

٤٤ـ وبه، عن الحافظ أبي بكر بن مردويه، أخبرنا عبد اللّه بن محمَّد ابن عيسى، أخبرنا الحسين بن معاذ بن حرب، أخبرنا عبد الحميد بن بحر، أخبرنا شريك، عن أبي إسحاق، عن الحرث، عن علي ﵇، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «في الجنَّة درجة تدعى ـ الوسيلة ـ فإذا سالتم اللّه تعالى فاسالوه لي الوسيلة، قالوا: يارسول اللّه! مَنْ يسكن مَعَكَ فيها؟ قال: عليٌّ؛ وفاطمة؛

والحسن؛ والحسين».

٤٥ـ قال سيّد الحفّاظ هذا (جزاه الله عنّا خيراً): أخبرنا والدي (ره)، أخبرنا أبو بكر أحمد بن عمر البزاز، أخبرنا أبو منصور محمّد بن عيسى، أخبرنا صالح بن أحمد الحافظ، أخبرنا القاسم بن أبي صالح، أخبرنا إبراهيم بن الحسين، أخبرنا سويد بن سعيد، أخبرنا محمّد بن عمر الكلاعي، أخبرنا عامر الشعبي، عن ميمونة بنت الحرث: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قال لها: «اذهبي بهذا الصاع إلى فاطمة تطحنه لنا».

فبينما هي تطحن إذْ غلبتها عينها فذهب بها النوم، فقال نبيُّ اللّه صلى الله عليه وآله: «قدْ أبطأ علينا طعامنا فانظري ما حبسها»؟

فذهبت ميمونة فاطلعت من الباب فإذا الرحى تدور وإذا فاطمة نائمة فرجعت إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقالت: رأيتُ فاطمة نائمةً والرحى تدور، فقال: «ما أحد يديرها»؟ قالت: ما أحد يديرها، فقال: «رحم اللّه ـ جل جلاله ـ أمته حيث رأى ضعفها، فأوحى اللّه إلى الرحى فدارت» فجاءت ميمونة إلى طعامها وقد فرغ الرحى من طحنه.

٤٦ـ قال سيِّد الحفاظ هذا: وأخبرني والدي (ره)، أخبرنا أبو منصور محمَّد بن الحسين المقري ـ بقزوين ـ، أخبرنا الحسن بن الحسين الراشدي، أخبرنا محمَّد بن عيسى، أخبرنا أبو بكر الشعفي ـ ببغداد ـ حدَّثتنا سمانة بنت حمدان بن موسى، حدَّثني أبي، حدَّثني عمرو بن زياد الثوباني، أخبرنا عبد العزيز بن محمَّد، حدَّثني زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «لما أنْ ماتَ ولدي من خديجة أوحى اللّه إليَّ أنْ أمسك عن خديجة وكنت لها عاشقاً، فسألتُ اللّه أن يجمع بيني وبينها، فأتاني جبرئيل في ـ شهر رمضان ليلة جمعة لأربع وعشرين ـ، ومعه

طبق من رطب الجنَّة، فقال لي: يامحمَّد! كل هذا وواقع خديجة الليلة، ففعلت فحملت بفاطمة، فما لثمت فاطمة إلاّ وجدتُ ريح ذلك الرطب، وهو في عترتها الى يوم القيامة».

٤٧ـ أخبرني شهاب الدِّين أبو النجيب سعد بن عبد اللّه ـ فيما كتب إليَّ مِنْ همدان ـ، أخبرنا الحافظ أبو عليّ الحسن بن أحمد الحدَّاد ـ إذناً ـ، أخبرنا الأديب أبو يعلى عبد الرزاق بن عمر الطبراني، أخبرنا الإمام الحافظ طراز المحدِّثين أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أخبرنا سليمان بن أحمد، أخبرنا محمَّد بن موسى، أخبرنا الحسن بن كثير، أخبرنا سليمان بن عقبة، أخبرنا عكرمة بن عمّار، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال عليُّ بن أبي طالب عليه السلام: «يارسولَ اللّه! أيما أحبُّ إليكَ أنا أم فاطمة؟، قال: فاطمة أحبُّ إليَّ مِنْكَ، وأنتَ أعزُّ عليَّ منها، وكأنِّي بِكَ وأنتَ على حوضي تذود عنه النّاس، وأنَّ عليه الأباريق مثل عدد نجوم السَّماء، وإنِّي وأنتَ والحسن والحسين وفاطمة وعقيلاً وجعفراً في الجنة، إخواناً على سرر متقابلين لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه».

٤٨ـ وأخبرني أبو النجيب هذا ـ فيما كَتَبَ إليَّ ـ بإسناده عن الحافظ أبي بكر بن مردويه، أخبرنا إبراهيم بن أبان بن رستة، أخبرنا إبراهيم بن عبداللّه، أخبرنا عبد الرَّحمن بن حمَّاد، أخبرنا أبو عبد الرَّحمن المدني، عن محمَّد بن عليّ، عن أبيه عليه السلام أنه ذكر تزويج فاطمة عليها السلام، ثُمَّ ذكر أنَّ فاطمة سالت من رسول اللّه ﷺ خادماً... إلى انْ قال: «ثُمَّ غزا رسول اللّه ﷺ ساحل البحر، فأصاب سبياً فقسمه فامسك امرأتين: إحداهما شابة والأُخرى امرأة قد دخلت في السن ليست بشابة، فبعث إلى فاطمة وأخذ

بيد المرأة فوضعها في يد فاطمة، وقال: يافاطمة! هذه لَكِ ولا تضربيها، فإنِّي رأيتها تصلّي وأنَّ جبرئيل نهاني أنْ أضرب المصلِّين، وجعل رسول اللّه يوصيها بها، فلمَّا رأت فاطمة ما يوصيها بها التفتت إلى رسول اللّه ﷺ، وقالت: يارسول اللّه! عليَّ يوم وعليها يوم، ففاضت عينا رسول اللّه بالبكاء وقال: اللّه أعلم حيثُ يجعل رسالته، ذرِّية بعضها من بعض واللّه سميع عليم».

٤٩ـ وبهذا الإسناد، عن [ابن] مردويه هذا، أخبرنا عثمان بن محمَّد البصري، حدَّثنا محمَّد بن الحسين: سمعتُ الحسن بن عبد العزيز: سمعتُ عبيد اللّه القواريري يقول: اختلف أصحابنا ـ يعني ـ يحيى بن سعيد؛ وعبد الرَّحمن بن مهدي، في ـ عائشة وفاطمة ـ أيتهما أفضل؟ فأرسلوني إلى عبد اللّه بن داود الخريبي، فسألته، فقال: أمَّا فاطمة فإن النبيَّ ﷺ قال: «إنَّما فاطمة بضعة منِّي»، ولم أكن أُفضل على بضعة من رسول اللّه أحداً.

٥٠ـ أنباني الإمام فخر الأئمَّة أبو الفضل الحفربندي، أخبرنا الحسن بن أحمد السمرقندي، أخبرنا أبو القاسم بن أحمد؛ وإسماعيل بن أبي نصر؛ وأحمد بن الحسين قالوا: أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، أخبرنا الحسن بن محمَّد، حدَّثنا محمَّد بن زكريا، حدَّثنا عبد اللّه بن المثنى، عن ثمامة بن عبد اللّه بن أنس، عن أنس بن مالك قال: سألتُ أُمِّي عن فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ فقالت: كانت كالقمر ليلة البدر، أو كالشَّمس كفر عاما[1] إذا خرجت منَ السحاب، بيضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشدِّ النّاس برسول اللّه ﷺ شبهاً، كانت واللّه، كما قال الشاعر:

بيضاء وتسحب من قيام شعرها ... وتغيب فيه وهو جثل أسحم

---

(١) كذا في النسخة ولعل الأصل أو كالشمس كفرها الغمام.

فكأنَّها فيه نهار مشرق وكأنَّه ليل عليها مُظلم

٥١ـ أخبرنا سيِّد الحفَّاظ الدَّيلمي ـ فيما كتَبَ إليَّ مِنْ همدان ـ أخبرنا الحسن بن محمد المقري ـ إذناً ـ، أخبرنا عبد الرَّزاق بن عمر، أخبرنا أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، حدَّثني محمَّد بن إبراهيم، حدَّثني إبراهيم بن إسماعيل، حدَّثني محمَّد بن خلف، حدَّثني محمَّد بن أبي السري، حدَّثني عبد الرَّزاق بن معمر، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول اللّه ﷺ: «بينما أهل الجنَّة في الجنَّة ينعمون، وأهل النّار في النّار يُعذَّبون، إذْ لأهل الجنَّة نور ساطع فيقول بَعْضُهم لِبَعض: ما هذا النور؟ لعلَّه ربّ العزَّة اطلع فنظر إلينا، فيقول لهم رضوان: لا، ولكن عليّ ﷺ مازح فاطمة ﷺ فتبسمت فأضاء ذلك النور من ثناياها».

٥٢ـ قال سيِّد الحفّاظ: وأخبرنا محيي السنَّة أبو الفتح عبدوس بن عبد اللّه الهمداني ـ إجازةً ـ، حدَّثنا القاضي أبو نصر شعيب بن عليّ، حدَّثنا موسى بن سعيد، حدَّثنا الوليد بن عليّ، حدَّثنا عبَّاد بن يعقوب، حدَّثنا عليّ بن عياش، عن فضيل، عن عطية، عن أبي سعيد قال: لمّا نزلت آية: ﴿وآت ذا القربى حقَّه﴾الاسراء/٢٦، دعا رسول اللّه ﷺ فاطمة ﷺ فأعطاها «فدكاً».

٥٣ـ قال سيد الحفاظ هذا: أخبرنا محيي السنَّة هذا إجازةً، أخبرنا أبو الفرج، حدثنا عبد الرحمن بن أحمد، حدثنا أبو علي الدقيقي، حدثنا إبراهيم بن الحسين، حدثنا إسماعيل بن موسى، حدثنا عمر بن سعيد، حدثني عبد العزيز؛ ويحيى بن سليم؛ وسليمان الأعمش، عن عطاء بن السائب ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ، عن علي ﷺ، وابن عبّاس (ره) قالا: «لما أُسري برسول اللّه ﷺ إلى السماء بلغ السماء الرابعة، وهي من

ذهب صفراء اسمها «الماهون»، وخازنها مومن باليل، وفيها ادريس النبي»، وذكر فيها قصَّة مريم وقصرها؛ وآسيا بنت مزاحم وقصرها؛ وخديجة بنت خويلد وقصرها، إلى أن بلغ فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله فذكر قصرها.

قالا: فرأى سبعين قصراً من مرجانة حمراء، مكللة باللؤلؤ، أبوابها وحيطانها وأسرَّتها من عرق واحد».

٥٤ـ وحدثنا أخي الإمام الأجل سراج الدين شمس الأئمة إمام الحرمين أبو الفرج محمَّد بن أحمد المكي ـ إملاءً ـ (جزاه اللّه عني خيراً)، حدثنا القاضي الإمام الأجل جمال القضاة أبو الفتح المظفر بن أحمد بن عبد الواحد ـ بحلوان ـ، في شهر اللّه المبارك رمضان سنة عشر وخمسمائة، أخبرنا الشيخ الفقيه أبو بكر محمد بن علي الحلواني في جامع حلوان في جمادى الأُولى سنة أربع وستين واربعمائة، أخبرتنا كريمة بنت أحمد بن محمد المروزي ـ بمكة ـ حرسها اللّه سنة خمس وخمسين واربعمائة ـ قراءةً عليها ـ وأنا حاضر أسمع.

[ح] وأخبرني بهذا الحديث عالياً قاضي القضاة نجم الدين أبو منصور محمد بن الحسين بن محمد البغدادي فيما كتب إليَّ مِن همدان، بروايته عن الإمام نور الهدى أبي طالب الحسين بن محمد بن علي الزينبي بروايته عن الكريمة فاطمة بنت أحمد بن محمد المروزية بمكة حرسها اللّه، بهذا الإسناد هذه السياقة، قيل لها: أخبركم الشيخ الإمام أبو عليّ زاهر بن أحمد، حدثنا معاذ بن يوسف الجرجاني، حدثنا أحمد بن محمد بن غالب، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا نمير، عن مجالد، عن ابن عبّاس قال: خرج أعرابي من ـ بني سليم ـ يبتدئ في البرية، فإذا هو بضب قد نفر من بين يديه، فسعى وراءه حتّى اصطاده، ثم جعله في كمه وأقبل يزدلف نحو

النبي ﷺ فلما وقف بازائه ناداه: يامحمد! يامحمد! وكان من أخلاق رسول الله ﷺ إذا قيل له: يامحمد! قال: «يامحمد!»، وإذا قيل له: ياأحمد قال: «ياأحمد»، وإذا قيل له: ياأبا القاسم قال: «ياأبا القاسم»، وإذا قيل له: يارسول الله قال «لبيك وسعديك»، ويتهلل وجهه. فلما أن ناداه الأعرابيُّ: يامحمد يامحمد! قال النبي ﷺ: «يامحمد يامحمد»، فقال له: أنت الساحر الكذاب الذي ما أظلَّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أكذب منك؟ أنت الذي تزعم أنَّ لك في هذه الخضراء إلهاً بعثَ بك إلى الأسود والأبيض؟ فواللات والعزى، لولا أني أخاف أن يسميني قومي «العجول» لضربتك بسيفي هذا ضربة أقتلك فيها فأسود بِك الاولين والآخرين؟

فوثب إليه عمر بن الخطاب ليبطش به، فقال له النبيُّ ﷺ: «اجلس أبا حفص! فقد كاد الحليم أن يكون نبياً»، ثم التفت النبي إلى الأعرابي، فقال له: «ياأخا بني سليم أهكذا تفعل العرب؟ يتهجمون علينا في مجالسنا ويجاهروننا بالكلام الغليظ، ياأعرابي والذي بعثني بالحقِّ نبيّاً، إنَّ أهل السماء السابعة ليسمونني «أحمد الصّادق»، ياأعرابي أسلم تسلم مِن النار، ويكون لك مالنا، وعليك ماعلينا، وتكون أخانا في الإسلام». قال: فغضب الاعرابي وقال: واللات والعزى، لا أؤمن بك يامحمد! أو يؤمن هذا الضبّ، ورمى بالضبٍّ عن كمه، فلما وقع الضبُّ ولى هارباً، فناداه النبيُّ ﷺ «أيها الضب أقبل إليَّ»، فأقبل الضبُّ ينظر إلى النبي، فقال له النبيُّ: «أيها الضبُّ من أنا»؟ فإذا هو ينطق بلسان فصيح ذرب غير متلكىء، ويقول: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. فقال له النبي: «من تعبد»؟ فقال: أعبد الله عزوجلّ الذي فلقَ الحبة، وبرأ

النسمة، واتخذ إبراهيم خليلاً، واصطفاك يامحمد حبيباً، ثُم أطبق على فم الضب فلم يحر جواباً، فلما نظر الاعرابي إلى ذلك، قال: واعجبا ضبٌ اصطدته من البرية، ثم أتيت به في كمي لا يفقه، ولا ينقه، ولا يعقل، يكلم محمداً بهذا الكلام، ويشهد له بهذه الشهادة، لا أطلب أثراً بعد عين، مدّ يمينك فأنا أشهدُ أن لا إله إلاّ اللّه، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، فأسلم وحسن إسلامه، ثُمَّ أنشأ شعراً في ذلك وقال:

ألا يارسول اللّه! أنَّك صادقٌ فبوركت مهدياً وبوركت هاديا
شرعت لنا دين الحنيفة بعدما عبدنا كأمثال الحمير الطواغيا
فيا خيرَ مدعو! وياخير مرسل إلى إنسها والجن لبيك داعيا
أتيت ببرهانٍ من اللّه واضح فأصبحت فينا صادق القول زاكيا
فبوركت في الأحوال حياً وميتاً وبوركت مولوداً وبوركت ناشيا
ونحن أُناس من سليم وأننا أتيناك نرجو أن ننال العواليا

قال: فالتفت النبيُّ صلى الله عليه وآله إلى أصحابه، وقال: «علموا الأعرابي سوراً من القرآن» فلما عَلِم الأعرابيُّ شيئاً من القرآن، قال له النبيُّ صلى الله عليه وآله: «هل لك شيء من المال؟» قال: والذي بعثك بالحق نبياً، إنَّ بني سليم أربعة آلاف رجل مافيهم أفقر مني، ولا أقل مالاً، فالتفت النبي صلى الله عليه وآله إلى أصحابه، وقال لهم: «من يحمل الأعرابي على ناقة وأنا أضمن له على اللّه ناقة من نوق الجنَّة؟»

فوثب عبدالرحمن بن عوف فقال: فداك أبي وأمي، عندي ناقة حمراء عشراء، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «الا أصف لك الناقة التي تعطاها بدلاً من ناقة الأعرابي»؟ قال: بلى، فداك أبي وأُمي، فقال: «ياعبد الرحمن! ناقة من ذهب أحمر، قوامها من العنبر، ووبرها من الزعفران، وعيناها من

ياقوت احمر، وعنقها من زبرجد أخضر، وسنامها من كافور أشهب، ودفتها من الدر وخطامها من اللؤلؤ الرطب، عليها قبَّة من درَّة بيضاء يرى باطنها من ظاهرها، وظاهرها من باطنها، تطير بك في الجنَّة».

ثم التفت النبيُّ ﷺ إلى أصحابه فقال: «من يتوج الأعرابي وأنا أضمن له على اللّه تاج التقى»؟ فوثب إليه علي بن أبي طالب ﵇ فقال: «فداك أبي وأمي، وما تاج التقى»؟ فذكر صفته فنزع علي ﵇ عمامته فعمَّم بها الأعرابي، ثُم التفت النبي ﷺ فقال: «من يزود الأعرابي وأنا اضمن له على اللّه زاد التقوى»؟ فوثب إليه سلمان وقال: فداك أبي وأُمي، وما زاد التقوى؟ فقال: «ياسلمان إذا كان آخر يوم من الدنيا لقنك اللّه شهادة أن لا إله إلاّ اللّه وأن محمداً رسول اللّه، فإن أنت قلتها لقيتني ولقيتك، وإن أنت لم تقلها لم تلقني ولم القك أبداً».

قال: فمضى سلمان حتى طاف تسعة أبيات من بيوت رسول اللّه (صلوات اللّه عليه) فلم يجد عندهن شيئاً، فلمَّا ولى راجعاً نظر إلى حجرة فاطمة، فقال: إن يكن خير فمن منزل فاطمة، فقرع الباب فأجابته من وراء الباب: «من بالباب»؟ فقال: أنا سلمان الفارسي، فقالت: «وماتريد»؟ فشرح لها قصة الأعرابي والضب وما ضمنه النبي ﷺ لزاده، فقالت: «ياسلمان والذي بعث بالحق محمداً نبياً، إن لنا ثلاثاً ماطعمنا، وانَّ الحسن والحسين قد اضطربا عليَّ من شدة الجوع، ثم رقدا كانهما فرخان منتوفان، ولكن ياسلمان لا ارد الخير ياتي، خذ درعي هذا ثُم امض به إلى شمعون اليهود، وقل له: تقول فاطمة بنت محمد: اقرضني عليه صاعاً من تمر، وصاعاً من شعير، أرده عليكَ إن شاء اللّه تعالى».

فاخذ سلمان الدرع، وأتى به إلى شمعون اليهودي، فأخذ شمعون

الدرع وجعل يقلبه في كفه وعيناه تذرفان بالدموع، وهو يقول: ياسلمان هذا هو الزهد في الدنيا، هذا الذي أخبرنا به موسى بن عمران في «التوراة»، فأنا أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، فأسلم وحسن إسلامه، ودفع لسلمان صاعاً من تمر، وصاعاً من شعير، فاتى به سلمان إلى فاطمة فطحنته بيدها واختبزته، وأتت به إلى سلمان، وقالت له: «خذه وامض به الى النبي صلى الله عليه وآله»، فقال سلمان: يافاطمة خذي منه قرصاً تعللين به الحسن والحسين؟ فقالت: «ياسلمان! هذا شيء أمضيناه للّه عزَّوجلّ، فلسنا نأخذُ منه شيئاً»، فاخذهُ سلمان وأتى النبي، فلما نظرهُ صلى الله عليه وآله قال: «ياسلمان من أين لك هذا»؟ قال: من منزل ابنتك فاطمة.

قال: وكان النبيُّ صلى الله عليه وآله لم يُطعم طعاماً منذ ـ ثلاث ـ، فقام حتى أتى حجرة فاطمة فقرع الباب، وكان إذا قرع الباب لا يفتح له إلاّ فاطمة فلمَّا فتحت له نظر إلى صفرة وجهها وتغير حدقتيها، فقال: «يابنية! ما الذي اراه من صفرة وجهك، وتغير حدقتيك» قالت: «ياأبة إن لنا ـ ثلاثاً ـ ماطَعمنا، وأنَّ الحسن والحسين اضطربا عليَّ من شدة الجوع، ثم رقدا كانهما فرخان منتوفان».

قال: فنبههما النبي صلى الله عليه وآله وأجلس واحداً على فخذه الايمن، وواحداً على فخذه الأيسر، وأجلس فاطمة بين يديه، واعتنقهم، فدخل عليٌّ بن أبي طالب فاعتنق النبي من ورائه، ثم رفع النبيُّ طرفه إلى السماء، وقال: «إلهي وسيدي ومولاي هؤلاء أهل بيتي، اللّهمَّ فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، ثم وثبت فاطمة إلى مخدعها فصفت قدميها وصلّت ركعتين، ثم رفعت باطن كفيها إلى السماء، وقالت: «إلهي وسيدي هذا نبيك محمد؛ وهذا عليّ ابن عم نبيك؛ وهذان الحسن والحسين سبطا نبيك،

إلهي! فانزل علينا مائدة كما أنزلتها على ـ بني إسرائيل ـ أكلوا منها وكفروا بها، اللّهُمَّ فانزلها فإنا بها مؤمنون».

قال ابن عباس: فوالله، ما استتمت الدَّعوة إلاّ وهي ترى جفنة مِن ورائها يفوح قتارها، وإذا قتارها أذكى مِن المسك الأذفر فاحتضنتها، وأتت بها إلى النبي ﷺ؛ وعلي؛ والحسن؛ والحسين عليهما السلام فلما نظرها عليّ، قال: «يافاطمة أنى لكِ هذا»؟ ولم يكن يعهد عندها شيئاً، فقال النبيُّ: «كُل ياابا الحسن ولا تسل، الحمدُ للّه الذي لم يمتني حتى رزقني ولداً مثله، مثل مريم ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يامريم أنى لكِ هذا قالت هو من عند الله إنَّ الله يرزق مَن يشاء بغير حساب﴾» آل عمران/٣٧.

قال: فأكل النبي؛ وعليّ؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين عليهما السلام، وخرج النبيُّ وتزودَ الأعرابي فاستوى على راحلته، وأتى بني سليم وهم يومئذ أربعة آلاف رجل، فلما حلَّ في وسطهم، ناداهم بأعلى صوته: قولوا: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله.

فلمَّا سمعوا هذه المقالة أسرعوا إلى سيوفهم فجرَّدوها، وقالوا: صبوت إلى دين محمد الساحر الكذاب؟ فقال لهم: والله، يابني سليم ما هو بساحر ولا كذاب، إنَّ إله محمد خير إله، وانَّ محمداً خير نبي أتيته جائعاً فاطعمني، وعارياً فكساني، وراجلاً فحملني، ثمَّ شرح لهم ـ قصَّة الضب ـ وما قاله، وقال لهم: يامعشر بني سليم أسلموا تسلموا مِن النار، فاسلم ذلك اليوم أربعة آلاف رجل ـ وهم أصحاب الرايات الخضر حول رسول الله ﷺ.

٥٥ـ وروي في «المراسيل» أن ـ الحسن والحسين ـ كان عليهما ثوبان خلقان وقد قرب العيد، فقالا لأمهما فاطمة: إنَّ بني فلان خيطت لهم ثياب

فاخرة للعيد، أفلا تخيطين ياأمّاه لنا ثياباً للعيد؟ فقالت لهما: يخاط لكما إن شاء اللّه. فلمّا جاء العيد جاء جبرائيل بقميصين من حلل الجنّة إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقال له رسول اللّه: «ماهذان ياأخي ياجبرائيل؟» فأخبره بقول الحسن والحسين لفاطمة، وبقول فاطمة: «يخاط لكما إن شاء اللّه»، قال جبرائيل: فلما سمع اللّه قولها قال: «لا تكذبن فاطمة بقولها فقد شئت».

٥٦ـ وعن أبي هريرة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «أول شخص يدخل عليّ الجنّة فاطمة، مثلها في هذه الأمة كمثل مريم بنت عمران في بني إسرائيل».

٥٧ـ وأخبرنا سيد الحفاظ ابو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي ـ فيما كتب إليّ من همدان ـ (جزاه اللّه خيراً)، أخبرنا محيي السنّة أبو الفتح عبدوس بن عبد اللّه الهمداني كتابة، أخبرنا أبو منصور، أخبرنا عليّ بن مكي، أخبرنا القاسم، أخبرنا إبراهيم، أخبرنا إسماعيل بن بنت السدّي، أخبرنا بشر بن الوليد الهاشمي، أخبرنا عبد النور المسمعي، عن شعبة بن الحجاج، عن عمرو بن مرّة، عن إبراهيم بن علي، عن مسروق قال: لما قدم علينا عبداللّه بن مسعود ـ الكوفة ـ قلنا له: حدثنا عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله فذكر الجنَّة، ثم قال: سأحدثكم بحديث سمعتهُ من رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

فلم أزل أطلب الشهادة للحديث فلم أرزقها، سمعتهُ يقول في ـ غزوة تبوك ـ ونحن نسير معه، يقول: «إنَّ اللّه أمرني أن أُزوج فاطمة مِن علي ففعلت، فقال لي جبرائيل: إنَّ اللّه قد بنى جنة عدن من لؤلؤ قصب رطب، بين كلِّ قصبة إلى قصبة لؤلؤة من ياقوت مشذرة بالذهب، فلبنة من در، ولبنة من ياقوت، ولبنة من زبرجد، ثم جعل فيها عيوناً تنبع في نواحيها وحيطت بالانهار، وجعل الأنهار قباباً قد شعبت بسلاسل الذهب، وحفَّت بانواع الشجر، وبين كلِّ غصنين بيت، وجعل في كلِّ أريكة مِن درَّة بيضاء

غشاؤها السندس والاستبرق، وَفُرشت أرضها بالزعفران وفتيق المسك والعنبر، وجعل في كلٍّ قبة حوراء، والقبة لها مائة باب على كلٍّ باب جاريتان وشجرتان، وفي كل قبَّة مفرش وكتاب مكتوب حول القباب ـ آية الكرسي ـ فقلت: ياجبرائيل! لمن بنى اللّه هذه الجنَّة؟ فقال: هذه جنَّة بناها اللّه لعليٍّ وفاطمة ابنتك، سوى جنانهما تحفة لهما أتحفها اللّه بها يامحمَّد».

٥٨ـ وأخبرني الإمام شهاب الإسلام أبو النجيب سعد بن عبد اللّه الهمداني ـ فيما كتب إليَّ من همدان ـ، أخبرني الحافظ سليمان بن إبراهيم ـ فيما كتبَ إليَّ من أصبهان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ـ، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، فيما أذن لي قال: حدثت عن جعفر بن محمَّد بن مروان، أخبرنا أبي، أخبرنا سعيد بن محمد الجرمي، أخبرنا عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن حبَّة، عن عليّ عليه السلام قال: «غسلتُ النبيَّ في قميصه فكانت فاطمة تقول: إرثي القميص فإذا شمته غشي عليها، فلمَّا رأيت ذلك غيبّته».

٥٩ـ وبهذا الإسناد، عن الحافظ أبي بكر هذا، أخبرنا عبد اللّه بن إسحاق، أخبرنا محمد بن عبيد، أخبرنا محمد بن زياد، أخبرنا شرقي بن قطامي[1]، عن صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، أنها قالت: لمّا بلغ فاطمة أن أبا بكر اظهر منعها «فدكاً» لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، واقبلت في لمة من حفدتها ونساءِ قومها تطأ ذيولها ما تخرم مشية رسول اللّه ﷺ حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، ثُمَّ أنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء، ثم أُمهلت هنيهة حتى إذا سكنت فورتهم،

(١) في السند، الشرقي بن قطامي طعن فيه ابن حجر في الميزان فالحديث مزيد فيه.

افتتحت كلامها بحمد اللّه والثناء عليه، ثم قالت: «﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾التوبة/١٢٨، فإن تعزوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، فبلغ الرسالة، صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً لحدتهم، يجذ الاصنام، وينكث الهام ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وتمت كلمة الإخلاص، وكنتم على شفا حفرة مِن النار، نهزة الطامع ومذقة الشارب، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القد، أذلة خاسئين، حتى استنقذكم اللّه ورسوله، بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني ببُهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب، وفغرت فاغرة، قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفي، حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويطفئ عادية لهبها بسيفه، وأنتم في رفاهية آمنون، وادعون حتى اذا اختار اللّه لنبيه دار أنبيائه، اطلع الشيطان رأسه، فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم غضاباً فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، إنما زعمتم خوف الفتنة، ﴿**الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين**﴾التوبة/٤٩، ثُمّ لم تلبثوا حيث تسرون حسواً في ارتغاء ونصبر منكم على مثل حز المدى، وأنتم تزعمون أنّ لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون، ﴿**ومن أحسن مِن اللّه حكماً لقوم يوقنون**﴾المائدة/٥٠.

يامعشر المسلمين أأبتز إرث أبي؟ أبى اللّه أن ترث أباك، ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً، فدونكها مرحولة مخطومة، تلقاك يوم حشرك، فنعم

الحكم اللّه، والزعيم محمد، والموعد القيامة، ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذٍ يخسر المبطلون﴾ الجاثية/٢٧. ثم انكفأت الى قبر ابيها تقول:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا

فلما فرغت من مقالتها، حمد اللّه ابو بكر، وصلّى على نبيه، ثم قال: ياخير النساء! ويابنة خير الأنبياء! واللّه، ما تجاوزت رأي أبيك رسول اللّه، ولا خالفت أمره، إن الرائد لا يكذب أهله، إني أشهد اللّه وكفى به شهيداً، إني سمعتُ رسول اللّه يقول: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة، ولا داراً ولا عقاراً، وإنما نورث الكتاب والحكمة والنبوة»؟

قالت: فلما سمعت فاطمة ذلك رضيت وانصرفت، قالوا: ولما افضى الامر إلى عليّ عليه السلام تكلّم معه ان يرد «فدكاً»، فقال: «معاذ اللّه، إني لأستحي ان اردَّ شيئاً منع منه ابو بكر وامضاه عمر»، وابى ان يردَّها.

٦٠ـ أخبرني الإمام الحافظ أبو العلاء الحسن بن احمد الهمداني ـ إجازةً بهمدان ـ، اخبرنا الحسن بن احمد المقري، اخبرنا احمد بن عبد اللّه الحافظ، اخبرنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد ابن الصباح، حدثنا علي بن هاشم، عن كثير النوا، عن عمران بن حصين: انَّ النبي ﷺ قال لي: الا تنطلق بنا نعود فاطمة فانها تشتكي؟ قلتُ: بلى، فانطلقنا حتى إذا انتهينا إلى بابها فسلّم واستأذن، فقال: أأدخل أنا ومن معي؟ قالت: نعم، ومن معك ياأبتاه فواللّه، ما عليَّ إلاّ عباءة، فقال لها: اصنعي بها كذا، واصنعي بها كذا، وعلَّمها كيف تسترها؟ فقالت: والله، ما على رأسي من خمار، فأخذ خلق ملاءة كانت عليه فقال: اختمري بها، ثُمّ أذنت لنا فدخلنا، فقال: كيف تجدينك يابنية؟ قالت: إني وجعة، وإني

ليزيدني أنه مالي طعام آكله، قال: يابنية أما ترضين انَّكِ سيدة نساء العالمين؟ فقالت: ياأبتِ فاين مريم بنت عمران؟ قال: تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء العالمين، أم والله لقد زوجتك سيداً في الدُّنيا والآخرة.

٦١ـ وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور الديلمي ـفيما كتب إليَّ من همدانـ (جزاه الله خيراً)، انبأنا الحسن بن احمد المقري، اخبرنا أحمد بن عبدالله الحافظ، حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا عبدالجبّار بن العلا، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن أبي جعفر عليه السلام قال: مارأيت فاطمة ضاحكة بعد رسول الله إلاّ يوماً افترت بطرف نابها.

٦٢ـ وقال: ومكثت بعد رسول الله ستة اشهر.

٦٣ـ وقال الحسن: ما كان في الدنيا أعبد من فاطمة عليها السلام كانت تقوم حتى تتورم قدماها.

٦٤ـ قيل: ولما دفن رسول الله رجعت فاطمة إلى بيتها واجتمع إليها نساؤها فقالت: «إنا لله وإنا إليه راجعون، انقطع عنا والله خير السماء»، ثُمَّ انشأت تقول:

اغبر آفاق البلاد وكورت ... شمس النهار واظلم العصران
والأرض من بعد النبي حزينة ... أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها ... ولتبكه مضر وكل يمان
نفسي فداؤك ما لراسك مائلاً ... ماوسدوك وسادة الوسنان

ووقفت على قبره فقالت:

ماضر من قد شم تربة احمد ... انْ لا يشم مدى الزمان غواليا
صبَّت عليَّ مصائب لو انَّها ... صبَّت على الأيام صرن لياليا

٦٥ـ اخبرني الشيخ الإمام سيف الدين أبو جعفر محمد بن عمر بن

أبي علي كتابة، أخبرنا الإمام أبو الحسين النقيب بن زيد بن الحسن البيهقي، أخبرنا علي بن محمد الحسني، حدثنا الإمام أبو جعفر محمد بن جعفر بن علي الحسني، أخبرنا السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسن الحسيني، أخبرنا أحمد بن إبراهيم الحسيني، أخبرنا محمد بن أبي عمار، حدثنا محمدبن خلف، حدثنا محمد بن إسماعيل، عن أحمد بن نوح، عن يحيى ابن علي، عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن أبيه علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إنما أنا بشر مثلكم أتزوج فيكم وأزوجكم إلاّ فاطمة فإنه نزل تزويجها مِن السماء».

٦٦ـ وأخبرنا العالم الأوحد أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي (ره)، عن مشايخه الثلاثة: القاضي أبي عامر محمود بن القاسم الأزدي؛ وأبي نصر عبد العزيز بن محمد الترياقي؛ وأبي بكر أحمد بن عبد الصمد الغورجي ثلاثتهم، عن أبي محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، عن أبي العباس محمد بن أحمد المحبوبي، عن الحافظ أبي عيسى الترمذي، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن؛ وإسحاق بن منصور قالا: حدثنا محمد ابن يوسف، عن إسرائيل، عن ميسرة بن حبيب، عن المنهال، عن زر، عن حذيفة قال: سالتني أمي قالت: متى عهدك بالنبي؟ فقلت: مالي عهد به منذ كذا وكذا، فنالت مني فقلت: دعيني آتي النبي فأُصلي معه المغرب واساله ان يستغفر لي ولكِ، فاتيت النبي فصليتُ معه المغرب، فصلّى حتى صلى العشاء، ثم انفتل فتبعته فسمع صوتي، فقال: من هذا أحذيفة؟ قلت: نعم، قال: ما حاجتك؟ غفر الله لك ولأمك، ؛إن هذا ملك لم ينزل الارض قط قبل هذه اليلة استاذن ربه ان يسلم علي ويبشرني: بانَّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنَّة».

٦٧ـ أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي (ره) قال: أخبرنا شيخ القضاة أبو عليّ إسماعيل بن أحمد البيهقي، اخبرنا والدي شيخ السنة أحمد بن الحسين البيهقي، حدثنا أبو الحسين بن بشران ـ ببغداد ـ، أخبرنا محمد بن عمرو، حدثنا الحسن بن مكرم، حدثنا أبو النصر، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، عن عبد اللّه بن علي بن أبي رافع، عن أبيه، عن أُمّه سلمى قالت: اشتكت فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله شكواها التي قبضت فيها، فكنت امرضها فاصبحت يوماً كأمثل ما رأيتها في شكواها تلك، فخرج عليّ لبعض حاجته، فقالت: ياأماه اسكبي لي غسلاً، فسكبت لها غسلاً فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل، ثم قال: يا أُماه اعطيني ثيابي الجدد، فأعطيتها فلبستها، ثم قالت: ياأُماه قدمي فراشي وسط البيت، ففعلت فاضطجعت واستقبلت القبلة، وجعلت يديها تحت خدها، ثم قالت: ياأُماه إني مقبوضة الآن وقد تطهرت فلا يكشفني أحد فقبضت مكانها، فجاء عليّ فأخبرته، فقال: واللّه، لا يكشفها أحد، فدفنها بغسلها.

٦٨ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو حازم العبدري الحافظ، أخبرنا أبو أحمد الحافظ، أخبرنا أحمد بن عمير الدمشقي، حدثنا عبد اللّه بن حمزة الزبيري، حدثنا عبد اللّه بن نافع، عن محمد بن موسى، عن عون بن محمد الهاشمي، عن أُمه، عن أسماء بنت عميس: انَّ فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله أوصت أن يغسلها زوجها عليّ، فغسلها هو وأسماء بنت عميس.

قال أحمد بن الحسين: وهذا أشبه، لانَّ غسل الميت في مذاهب أهل العلم إنما يجب بالوفاة، فلا يقوم الغسل قبلها مقامه.

٦٩ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، حدثنا أبو عبد اللّه الحافظ، أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، حدثنا جدي يحيى بن الحسن، حدثنا بكر بن عبد الوهاب، حدثنا محمد بن عمر الواقدي، حدثنا عمر بن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين، عن ابن عباس قال: كانت فاطمة مرضت مرضاً شديداً فقالت لأسماء بنت عميس: ألا ترين إلى ما بلغت أحمل على السرير ظاهراً؟ فقالت: أسماء: لا، لعمري، ولكن أصنع لك نعشاً كما رأيته يصنع ـ بأرض الحبشة ـ، قالت: فأرنيه، فأرسلت أسماء الى جرائد رطبة فقطعت من الأسواق، وجعل على السرير نعشاً، وهو أوَّل نعش كان، فتبسمت فاطمة وما رأيتها متبسمة بعد أبيها (صلوات اللّه عليه) إلاّ يومئذٍ، ثُم حملناها فدفناها ليلاً.

٧٠ـ وأخبرني سيد الحفاظ أبومنصور الديلمي ـ فيما كتب إليّ من همدان ـ، أنبأنا الحسن بن أحمد المقري، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه الحافظ، حدثنا إبراهيم بن عبد اللّه، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا محمد بن موسى المخزومي، عن عون بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن امه أم جعفر [ح] وعن عبادة بن المهاجر، عن أم جعفر: أنَّ فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ قالت: ياأسماء! إنّي قد استقبحت ما يصنع بالنساء، أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يابنت رسول اللّه ألا أُريك شيئاً رأيته ـ بالحبشة ـ؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها، ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله؟ لا تعرف به المرأة مِن الرجل، فإذا أنا مت فغسليني أنتِ وعليّ، ولا يدخل عليّ أحد، فلما توفيت غسلها عليّ وأسماء.

٧١ـ أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والدي شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا أبو الحسين بن الفضل، أخبرنا عبداللّه بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا أبو اليمان، أخبرني شعيب، عن الزهري، حدثني عروة: أنَّ عائشة أخبرته قالت: عاشت فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ بعده ستة أشهر، فلما توفيت دفنها علي بن أبي طالب عليه السلام ليلاً، ولم يؤذن بها أبو بكر، وصلّى عليها عليّ. واختلفت الروايات في وقت وفاتها، ففي رواية: أنها بقيت بعد رسول اللّه ﷺ شهرين، وفي رواية: ثلاثة أشهر، وفي رواية: مائة يوم، وفي رواية: ثمانية أشهر.

٧٢ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، حدثنا أبو عبد اللّه الحافظ، حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا الحسن بن الجهمي، حدثنا الحسين ابن الفرج، حدثنا محمد بن عمر قال: توفيت فاطمة بنت محمد (صلوات اللّه عليهما) لثلاث ليال خلون من شهر رمضان، وهي بنت تسع وعشرين أو نحوها.

٧٣ـ وذكر أبو عبد اللّه بن مندة الأصبهاني في كتاب المعرفة: أنَّ علياً تزوج فاطمة ـ بالمدينة ـ بعد سنة من الهجرة، وابتنى بها بعد ذلك بنحو من سنة، وولدت لعليّ: الحسن؛ والحسين؛ والمحسن؛ وأُم كلثوم الكبرى؛ وزينب الكبرى.

٧٤ـ قال محمد بن إسحاق: توفيت ولها من العمر ثمان وعشرون سنة، وقيل: سبع وعشرون سنة، وفي رواية: أنها ولدت على رأس سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ، فيكون سنها على هذا ثلاثاً وعشرين

سنة، والأكثر على أنها كانت بنت تسع وعشرين سنة أو ثلاثين سنة.

٧٥ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثني أحمد بن عبيد الأسدي ـ بهمدان ـ، حدثني إبراهيم بن الحسين، حدثني إسماعيل بن أبي أويس، حدثني موسى بن جعفر بن محمد ابن علي، عن أبيه، عن جده محمّد بن علي، عن أبيه، عن عليّ ﷺ: «أن فاطمة لما توفي رسول الله ﷺ كانت تقول: واأبتاه! من ربه ما أدناه، واأبتاه جنان الخلد مثواه، واأبتاه! يكرمه ربُّه إذا أتاه، واأبتاه! الربُّ والرسلُ يسلمون عليه إذا يلقاه». ولما ماتت فاطمة ﷺ قال علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) يرثيها:

لكلِّ اجتماع من خليلين فرقة ... وكلّ الذي دون الفراق قليلُ

وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد ... دليلٌ على أن لا يدوم خليلُ

وذكر الحاكم: أنَّ فاطمة ﷺ لما ماتت أنشأ علي ﷺ يقول:

نفسي على زفراتها محبوسة ... ياليتها خرجت مع الزفرات

لا خير بعدك في الحياة وإنما ... أبكي مخافة أن تطولَ حياتي

٧٦ـ أخبرنا سيد الحفاظ أبومنصور الديلمي ـ فيما كتب إليَّ من همدان ـ، أنبأني الرئيس أبو الفتح عبدوس بن عبد الله السبائي بهمدان إذناً، حدثنا أبو الحسن عليّ بن الحسن، حدثنا محمد بن الحسين الزعفراني، حدثنا أحمد بن زهير بن حرب، حدثنا الزبير بن بكار، عن محمد بن الحسن، عن إبراهيم بن أبي يحيى، عن صالح ـ مولى التوأمة ـ: أنَّ عبد الله ابن الحسن بن الحسن دخل على هشام بن عبد الملك وعنده الكلبي، فقال هشام لعبد الله بن الحسن: ياأبا محمد! كم بلغت فاطمة بنت رسول الله ﷺ من السن؟ فقال: بلغت ثلاثين، فقال للكلبي: ماتقول؟ فقال: بلغت خمساً

وثلاثين، فقال هشام لعبد الله: ألا تسمع ما يقول الكلبي وقد عني بهذا الأمر؟ فقال عبد الله بن الحسن: ياأمير المؤمنين! سلني عن أُمي فأنا أعلم بها، وسل الكلبي عن أُمِّه فهو أعلم بها.

٧٧ـ وذكر وهب بن منبّه، عن ابن عباس فصلاً طويلاً في وفاة فاطمة عليها السلام، كتبنا منه ماهو المقصود من ذلك.

ذكر أنَّ أعرابياً جاء من الشام وابن عباس كان في المسجد الحرام يفتي الناس، فساله عن أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وبناته، فاخبره أنَّ ابناءه كانوا خمسة: القاسم؛ والطاهر؛ والمطهر؛ والطيب؛ وهم من خديجة (رضي الله عنها) وابراهيم من مارية؛ وبناته كن أربعاً: زينب؛ ورقية؛ وأُم كلثوم؛ وفاطمة؛ وكن أيضاً من خديجة، وكلّهم مات في حياته (صلوات الله عليه) إلاّ فاطمة فإنها بقيت أربعين يوماً من بعده.

قال: ولما جاء فاطمة الأجل لم تحتم ولم تصدع، ولكن أخذت بيدي الحسن والحسين فذهبت بهما الى قبر النبي صلى الله عليه وآله فاجلستهما عنده، ثم وقفت فصلت بين المنبر والقبر ركعتين، ثم ضمتهما إلى صدرها والتزمتهما، وقالت: ياولدي اجلسا عند أبيكما ساعة، وعليّ عليه السلام يصلي في المسجد، ثم رجعت نحو المنزل فحملت ما فضل من حنوط النبي صلى الله عليه وآله فاغتسلت به ولبست فضل كفنه، ثم نادت: ياأسماء! وهي امرأة جعفر الطيار، فقالت لها: لبيكِ، يابنتَ رسول الله، فقالت: تعاهديني فإني أدخل هذا البيت فاضع جنبي ساعة، فإذا مضت ساعة ولم أخرج فناديني ثلاثاً فإن أجبتكِ وإلاّ فاعلمي أني لحقت برسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قامت مقام رسول الله في بيتها فصلّت ركعتين، ثم جللت وجهها بطرف ردائها وقضت نحبها.

وقيل: بل ماتت في سجدتها، فلما مضت ساعة أقبلت أسماء،

فنادت: يافاطمة الزهراء! ياأم الحسن والحسين! يابنت رسول الله ياسيدة نساء العالمين! فلم تجب، فدخلت فإذا هي ميتة.

فقال الاعرابي: كيف علمت وقت وفاتها ياابن عباس؟ قال: أعلمها ابوها، ثم شقت أسماء جيبها، وقالت: كيف اجترئ فاخبر ابني رسول الله بوفاتكِ، ثم خرجت فتلقاها الحسن والحسين، فقالا: أين أُمنا؟ فسكتت فدخلا البيت فإذا هي ممتدة فحركها الحسين فإذا هي ميتة، فقال: ياأخاه آجرك الله في أُمِّنا، وخرجا يناديان: يامحمداه! اليوم جدد لنا موتك إذْ ماتت أُمنا ثم اخبر علياً وهو في المسجد فغشي عليه حتى رشّ عليه الماء، ثمَّ أفاق فحملهما حتى أدخلهما بيت فاطمة الزهراء فرآها وعند رأسها أسماء تبكي، وتقول: وايتامى محمداه! كنا نتعزى بفاطمة ﷺ بعد موت جدكما، فبمن نتعزى بعدها؟ ثم كشف عليّ ﷺ عن وجهها فإذا برقعة عند رأسها فنظر فيها، فإذا فيها: «بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم ـ هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد، أوصت وهي تشهد أن لا إله إلاّ اللّه وأنَّ محمداً عبدهُ ورسوله، وأن الجنّة حق وأن النار حق، وأنَّ الساعة آتية لاريب فيها، وأنَّ اللّه يبعث من في القبور، ياعلي! أنا فاطمة بنت محمد زوجني اللّه منك لاكون لك في الدنيا والآخرة، فانت أولى بي من غيرك، فحنطني وكفني وغسلني بالليل، وصلِّ عليَّ وادفني بالليل ولا تعلم احداً، وأستودعك اللّه واقرأ على ولدي السلام الى يوم القيام».

فلما جن الليل غسلها عليّ ووضعها على السرير وقال للحسن: إدعُ لي أبا ذر، فدعاه فحملاها إلى المصلّى، فصلّى عليها، ثم صلّى ركعتين ورفع يديه الى السماء، ونادى: هذه بنت نبيك فاطمة أخرجها من الظلمات إلى النور، فاضاءت الارض ميلاً في ميل، فلما أراد أن يدفنها نودي من

بقعة من البقيع: إليّ إليّ فقد رفع تربتها، فنظر فإذا بقبر محفور، فحمل السرير إليه فدفنها.

فلما رجع علي؛ والحسن؛ والحسين، جلس عليّ وقال: ياارض! أستودعك وديعتي هذه بنت رسول اللّه فنودي منها: ياعلي أنا أرفق بها منِك فارجع ولاتهم، فرجع وانسد القبر واستوى في الأرض فلم يعلم أين كان إلى يوم القيامة؟

٧٨ـ وذكر الثقة وهو الذي جاء في المشاهير: أنها دفنت بين العشاء والمغرب، وشهدها أبو بكر؛ وعمر؛ والزبير؛ وابن عوف؛ وناس من الصحابة، فقال عليّ لأبي بكر: تقدم فصلِّ عليها، فقال أبو بكر: ماكُنتُ لأُصلي على فاطمة وعليّ حاضر، فقال علي: واللّه، لا يصلي عليها غيرك؟ فتقدم أبو بكر وصلّى عليها[1] ودفنوها ليلاً.

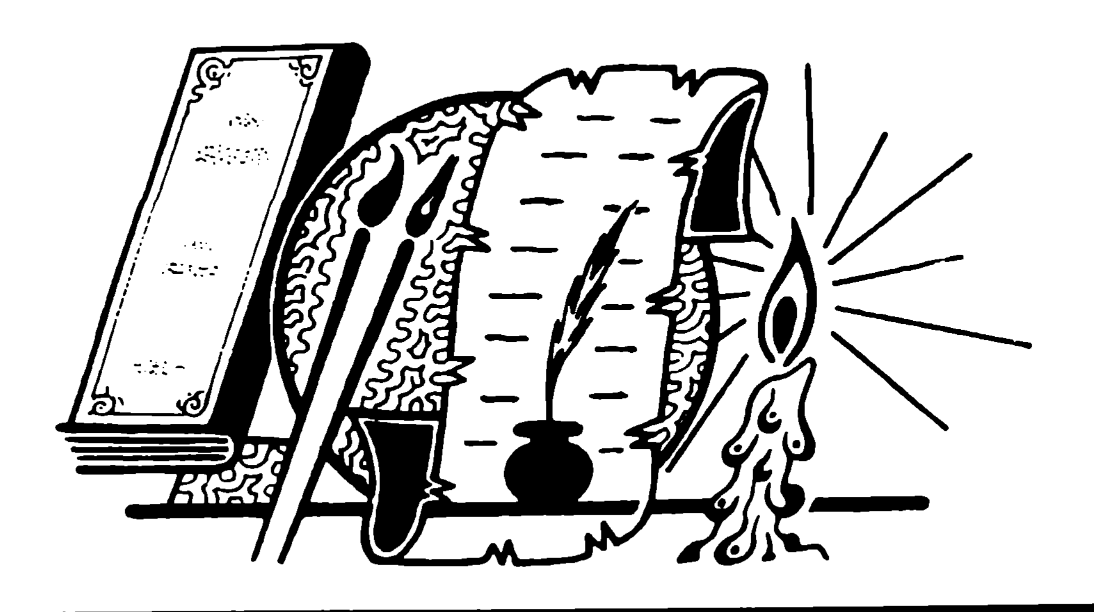
* * *

(١) هذه الرواية موضوعة إذ المعروف انها لم يصل عليها غير أمير المؤمنين عليه السلام كما تقدم.



الفصل السادس

في فضائل الحسن والحسين عليهما السلام



١ـ أخبرنا الإمام الزَّاهد الحافظ أبو الحسن عليّ بن أحمد العاصمي، أخبرنا أبو عليّ إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والدي أحمد بن الحسين، أنبأنا أبو عبد الرَّحمن السلمي، أخبرنا أبو عبدالله العكبري، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد، حدَّثني عمِّي، حدَّثنا الزبير بن بكار قال: ولد الحسن بن علي للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة.

وفي ـ رواية ـ قتادة: ولدت فاطمة حسناً بعد «أُحد» بسنتين، وكان بين وقعة «أُحد» وقدوم النبيِّ ﷺ سنتان وستة أشهر ونصف، فولدت الحسن لأربع سنين وستة أشهر ونصف من مقدمه.

وهذه الرواية تخالف أكثر الروايات في التواريخ، فإنَّهم اتفقوا على أن الحسن ولد سنة ثلاث من الهجرة.

٢ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد المفسر، أخبرنا أبو بكر محمَّد بن عبدالله الحفيد، حدَّثنا أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن عامر الطائي ـ بالبصرة ـ، حدَّثني أبي،

حدَّثني علي بن موسى، حدَّثني أبي موسى بن جعفر، حدَّثني أبي جعفر بن محمَّد، حدَّثني أبي محمَّد بن عليّ، حدَّثني ابي علي بن الحسين عليه السلام قال: «حدَّثتني أسماء بنت عميس، قالت: قبَّلت جدَّتكَ فاطمةبالحسن والحسين، فلمّا ولد الحسن جاءني النبيُّ صلى الله عليه وآله، فقال: ياأسماء! هاتي ابني، فَدَفَعتُهُ إليه في خرقة صفراء، فرمى بها النبيُّ، وقال: ياأسماء! الم أعهد إليكم انْ لا تلفوا لي الولد بخرقة صفراء، فلففته في خرقة بيضاء، ودفعته إلى النبي فاذَّن في أُذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثُمَّ قال لعليٍّ: أي شيء سمَّيتَ ابني؟ قال: ماكُنْتُ لاسبقك باسمه يارسول اللّه! كنت أُحبُّ أن أُسميه ـحرباًـ، فقال النبيُّ عليه السلام: ولا أنا أيضاً أسبق باسمه ربي عزَّوجل فَهَبطَ جبرئيل عليه السلام، فقال: السلام عليكَ يامحمد! العليُّ الأعلى يقرئك السَّلام، ويقول: عليٌّ منْكَ بمنزلة هارون مِنْ موسى ولا نبيَّ بعدك، سم ابنك هذا باسم ـ ابن هارون ـ، قال: وما اسم ابن هارون؟ قال: شبر، قال: لساني عربي، قال: سمه الحسن، قالت أسماء: فسمّاه الحسن، فلمَّا كان يوم سابعه عقَّ عنهُ النبيُّ بكبشين أملحين، فاعطى القابلة فخذاً، وحلق رأسه وتصدَّق بوزن الشعر ورقاً، وطلى رأسه بالخلوق، ثُمَّ قال: ياأسماء! الدم مِنْ فعل الجاهلية.

قالت أسماء: فلمَّا كان بعد حول من مولد الحسن ولدت الحسين فجاءني النبيُّ صلى الله عليه وآله، فقال: ياأسماء! هاتي ابني، فدفعته إليه في خرقة بيضاء فاذَّن في أُذنه اليمنى واقام في اليسرى، ثم وضعه في حجره وبكى، قالت أسماء: فقلت: فداك أبي وأُمِّي! مِمَّ بكاؤك؟ قال: على ابني هذا، قلت: إنَّه ولد الساعة، قال: ياأسماء! تقتله الفئة الباغية لا أنالهم اللّه شفاعتي، ثُمّ قال: ياأسماء! لا تخبري فاطمة بهذا فإنَّها قريبة عهد بولادته، ثُمَّ قال

لعليٍّ: أي شيء سمَّيت ابني؟ قال: ما كُنتُ لأسبقك باسمه يارسول اللّه! وقد كنتُ أُحبُّ أن أسميه ـ حرباً ـ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: ولا أنا أسبق باسمه ربِّي عزَّوجلّ، فهبط جبرئيل عليه السلام وقال: يامحمَّد! العليُّ الأعلى يقرئك السَّلام ويقول: عليّ منكَ بمنزلة هارون مِنْ موسى ولا نبيَّ بعدك، سم ابنك باسم ـ ابن هارون ـ، قال: ما اسم ابن هارون؟ قال: شبير، قال: لساني عربي ياجبرئيل! قال: سمِّه حسيناً، قالت أسماء فسمَّاه الحسين، فلمَّا كان يوم سابعه عقَّ النبيُّ صلى الله عليه وآله عنه بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذاً، وحلق رأسه؛ وتصدَّق بوزن الشعر ورقاً، وطلى رأسه بالخلوق وقال: ياأسماء الدم فعل الجاهلية.

٣ـ وبهذا الإسناد، عن عليِّ بن الحسين عليه السلام أنَّه سمي حسناً يوم سابعه، واشتق من اسم حسن الحسين، وذكر أنَّه لمْ يكن بينهما إلا الحمل.

٤ـ وبذلك الإسناد، عن أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ أخبرنا أبو محمَّد الخراساني، حدَّثنا أبو بكر بن أبي العوَّام، حدَّثنا أبي، حدَّثنا جرير بن عبد الحميد، عن شبيب بن نعيم، عن فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة الكبرى قالت: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: كلُّ بني أُمٍّ ينتمون إلى عصبة إلاّ ولد فاطمة فأنا أبوهم وعصبتهم».

وتقدَّم في ـ الباب ـ، عن جابر بن عبدالله مثله.

٥ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرنا محمَّد بن إبراهيم المزكى، حدَّثنا الحسين بن محمَّد بن زياد، حدَّثنا عمر بن عليّ عليه السلام قال: يكنى الحسن بن عليّ أبا محمَّد، ويكنى الحسين بن عليّ أبا عبد اللّه.

٦ـ أخبرنا أبو الحسين بن بشران العدل ـ ببغداد ـ، أخبرنا أبو عمرو بن

السمال، حدَّثنا حنبل بن إسحاق، حدَّثنا داود بن عمرو، حدَّثنا صالح بن موسى، حدَّثنا عاصم ـ هو ابن بهدلة ـ، عن يحيى بن يعمر العامري قال: بعث إليَّ الحجاج فقال: يايحيى! أنتَ الذي تزعم أنَّ ولد عليّ من فاطمة ولد رسول اللّه؟ فقلت له: إنْ أمنتني تكلَّمت! قال: فأنتَ آمن، فقلت له: نعم، أقرأ عليكَ كتابَ اللّه، إنَّ اللّه يقول: **﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا﴾** إلى أن قال: **﴿وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين﴾**الانعام/ ٨٤ ـ٨٥، وعيسى كلمة اللّه وروحه ألقاها إلى العذراء البتول، وقد نسبه اللّه تعالى إلى إبراهيم، قال: ما دعاك إلى نشر هذا وذكره؟ فقلت: مااستوجب اللّه على أهل العلم في علمهم ليبيننَّه للنّاس ولا يكتمونه.

قال: صدقت، فلا تعد إلى ذكر هذا ولا نشره.

٧ـ وجاء هذا ـ الحديث ـ مرسلاً، أطول من هذا، عن عامر الشعبي أنَّه قال: بَعثَ إليَّ الحجاج ذات ليلةفخشيت فقمت فتوضات وأوصيت، ثُمَّ دخلت عليه فنظرت فإذا نطع منشور وسيف مسلول، فسلمت عليه فردَّ عليّ السَّلام وقال: لا تخف، فقد أمنتك الليلة وغداً إلى الظهر، ثُمَّ أجلسني وأشار فأُتي برجل مقيد بالكبول والأغلال فوضعوه بين يديه، فقال: إنَّ هذا الشيخ يقول: إنَّ الحسن والحسين كانا ابني رسول اللّه ﷺ، فليأتني بحجة من القرآن أو لاضربن عنقه، فقلت: يجب أن يحلَّ قيده فإنَّه إنْ احتج فلا محالة يذهب، وإنْ لم يحتج فالسيف لا يقطع هذا الحديد، فحلّوا قيوده وكبوله، فنظرت فإذا هو سعيد بن جبير فحزنت له، وقلت: كيف يجد على ذلك حجَّة مِن القرآن، فقال له الحجاج: آتني بحجَّة مِنَ القرآن على مادعيت وإلاّ ضربت عنقك، فقال: انتظر، فسكت ساعة وقال له: مثل ذلك، فقال: انتظر، فسكت ساعة، وقال له: مثل ذلك، فقال: أعوذ باللّه

من الشيطان الرَّجيم، بسم اللّه الرَّحمن الرحيم، ثُمَّ قرأ ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب إلى قوله تعالى: وكذلك نجزي المحسنين﴾ وسكت ثُمَّ قال للحجاج: اقرأ ما بعده، فقرأ: ﴿وزكريا ويحيى وعيسى والياس﴾الانعام/ ٨٤ـ٨٥، ثُمَّ قال سعيد: كيف يليق عيسى هاهنا؟ فقال: إنّه كان من ذرّيته، فقال: إنْ كان عيسى مِنْ ذرية إبراهيم ولم يكن له أب بل كان ابن بنت فنسب إليه على بُعده، فالحسن والحسين أولى أن ينسبا إلى رسول اللّه ﷺ لقربهما منه، فأمر له بعشرة آلاف دينار وأمر بأن يحملوها معه إلى داره وأذن له في الرجوع.

قال الشعبي: فلمّا أصبحت، قلت في نفسي: قد وجب عليَّ أنْ آتي هذا الشيخ فأتعلم منه معاني القرآن لأني كُنتُ أظن أني أعرفها فإذا أنا لا أعرفها، فأتيته فإذا هو في المسجد وتلك الدنانير بين يديه يفرقها عشرة عشرة ويتصدق بها، ويقول: هذا كلّه ببركة الحسن والحسين عليهما السلام لئن كنّا أغممنا واحداً فقد أفرحنا ألفاً وأرضينا اللّه تعالى ورسوله.

٨ ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو بكر محمَّد ابن الحسن بن فورك، أخبرنا عبدالله بن جعفر الأصبهاني، عن يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود، حدَّثني قيس، حدَّثنا أبو إسحاق، عن هانئ بن هانئ، عن عليّ عليه السلام قال: «كان الحسن أشبه الناس بالنبي مِن وجهه إلى سرَّته، وكان الحسين أشبه النّاس بالنبيِّ مِنْ سرَّته إلى قدمه».

وسمعت ـ هذا الحديث ـ أيضاً في ـ جامع أبي عيسى ـ بهذا السياق.

٩ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدَّثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدَّثنا إبراهيم بن عبد اللّه، حدَّثنا حجاج بن منهال؛ وأبو عمرو الحوصي، حدَّثنا مهدي بن ميمون،

أخبرني محمد بن عبدالله بن أبي يعقوب، عن أبي نعيم قال: كنت عند ابن عمر فسأله رَجلٌ عن دم البعوض، فقال: ممّن انتَ؟ قال: مِنْ أهل العراق، فقال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وقد سمعت رسول اللّه يقول: «هما ريحانتاي من الدنيا».

وأخرجه البخاري في «الصحيح»، وقال: «هما ريحاني»، وفي رواية ـ شعبة ـ: كنتُ عِندَ ابن عمر فسُئِلَ عَنِ المحرم يقتل الذباب؟ فقال: ياأهل العراق! تسألوني عن المحرم يقتل الذباب، وقد قتلتم ابن بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وقد قال رسول اللّه: «هما ريحاناي من الدُّنيا».

وسمعت ـ هذا الحديث ـ في ـ جامع أبي عيسى ـ على هذا السياق.

١٠ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرني أبو الحسين بن بشران ـ ببغداد ـ أخبرنا إسماعيل بن محمَّد الصفار، حدَّثنا سعدان بن نصر، حدثنا سفيان بن عيينة، عن إبراهيم بن ميسرة، عن أبي سويد، عن عمر بن عبد العزيز قال: زعمت المرأة الصالحة ـ خولة بنت حكيم ـ إمرأة ـ عثمان بن مظعون ـ: انّ النبي صلى الله عليه وآله خرج وهو محتضن أحد ابني بنته، وهو يقول: واللّه، إنّكم لتجهلون وتجبنون وتبخلون، وإنكم لمن ريحان اللّه».

قال الفراء: الريحان في كلام العرب ـ الرزق.

١١ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، حدَّثنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرني أحمد بن جعفر القطيعي، حدَّثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدَّثني أبي، حدَّثني بن نمير، حدَّثني حجاج بن دينار الواسطي، عن جعفر بن اياس، عن عبد الرَّحمن، عن ابن مسعود، عن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول اللّه صلى الله عليه وآله ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرّة وهذا مرَّة، حتى انتهى إلينا، فقال له رجل:

يارسول اللّه! إنَّكَ تحبهما؟ فقال: «من أحبَّهما فقد أحبَّني وَمَن أبغَضَهما فقد أبغضني».

١٢ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو جعفر محمَّد بن عمرو، حدَّثنا الحسن بن سلام، حدّثنا عبدالله بن موسى، حدثنا علي بن صالح، عن عاصم، عن زرّ، عن عبدالله ابن مسعود قال: كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله إذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فأرادوا أنْ يمنعوهما، فلمّا قضى الصلاة ضمهما إليه وقال: «من أحبَّني فليحب هذين».

١٣ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرني أبو عبدالله الحافظ، أخبرني محمَّد بن يعقوب، حدَّثنا العباس بن محمَّد، حدَّثنا خالد ابن مخلد، حدّثنا موسى بن يعقوب الزمعي، عن عبدالله بن أبي بكر بن زيد، أخبرني مسلم بن أبي سهل، أخبرني الحسن بن أُسامة بن زيد بن حارثة، أخبرني أبي أُسامة قال: طرقت رسول اللّه صلى الله عليه وآله ذات ليلة لبعض الحاجة، فخرج النبيّ صلى الله عليه وآله وهو مشتمل على شيء لا أدري ماهو؟ فلمّا فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه فكشف فإذا حسن وحسين على ركبتيه، فقال: «هذان ابناي وابنا بنتي، اللّهُمَّ! تعلم أنّي أُحبُّهما فاحبهما، اللّهمَّ تعلم أنِّي أحبهما فاحبهما».

وسمعت ـ هذا الحديث ـ برواية أُسامة في ـ جامع أبي عيسى ـ إلاّ أنّه زاد في آخره: «وأحب من يحبهما»، وقال بمكان «على ركبتيه» «على وركيه».

١٤ـ وأخبرنا جار اللّه العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، حدَّثنا الأُستاذ الأمين أبو الحسن عليّ بن الحسين بن مردك الرّازي، أخبرنا الحافظ أبو سعد إسماعيل بن عليّ بن الحسين السمان،

أخبرنا أبو زكريا أحمد بن محمَّد الصوفي ـ بقراءتي عليه بدمشق ـ، حدَّثنا أحمد بن محمّد العمركي، حدثنا محمّد بن معاذ الهروي، حدّثنا احمد الفريابي، حدثنا عمرو بن جرير البجلي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن ابن مسعود، عن أبي بكر الصدّيق، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله: «ان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

وسمعت ـ هذا الحديث ـ في «الصحاح» وعلى الإمام الأجل ركن الإسلام أبي الفضل الكرماني في «أمالي» فخر القضاة الأرسابندي برواية ابن عباس.

١٥ـ وبهذا الإسناد، عن أبي سعيد السمان هذا، أخبرنا أبو سعد عبدالله بن محمَّد بن بدر ـ بقراءتي عليه ـ، حدّثنا أحمد بن محمّد القطّان، حدّثنا عبد الكريم بن أبي الهيثم، حدّثنا الحسين بن عبدالله بن حرب، حدّثنا عمر بن عطية العوفي، عن أبي سعيد: أنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله كان ذات يوم يصلّي إذْ جاء الحسن والحسين، فوثبا على ظهر نبيِّ اللّه صلى الله عليه وآله وهو ساجد، فتناولهما نبيُّ اللّه وأخذهما أخذاً رفيقاً حتّى وضعهما بازائه، قال: فلقد رأيتهما أمامينا، فقال: ورأيت أبا بكر يحملهما على عنقه ممّا قد علِمَ مِنْ حبِّ رسول اللّه إياهما.

١٦ـ وبهذا الإسناد، عن أبي سعد السَّمان هذا، أخبرنا أبو بكر محمد ابن عبدالله الحمدوني ـ بقراءتي عليه ـ، حدَّثنا أبو حاتم محمَّد بن عيسى، أخبرنا أبو حاتم محمَّد بن ادريس، حدّثنا سعيد بن سلام، حدَّثنا عمر بن سعيد، عن أبي مليكة، عن عقبة بن الحرث قال: صلّيت مع أبي بكر العصر، فخرج وهو بيني وبين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فمررنا بصبيان يَلعبون فيهم: الحسن بن عليّ، فأخذه أبو بكر فاحتمله وجعل يقول: بأبي شبيه

بالنبيّ، ليس شبيهاً بعلي، وعليّ عليه السلام يضحك مِنْ قول أبي بكر.

وأخرج هذا الحديث أبو عبدالله الحافظ في «المستدرك» بهذا السياق.

١٧ـ وبهذا الإسناد عن أبي سعد السّمان هذا، أخبرنا أبو محمَّد النخشبي ـ بقراءتي عليه بمصر ـ، حدّثنا أبو سعيد بن الاعرابي، حدّثنا أحمد ابن حازم، حدّثنا جعفر بن عون، حدَّثنا أُسامة بن زيد، عن عبد الرَّحمن الاصبهاني قال: جاء الحسن بن عليّ إلى أبي بكر وهو على منبر رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقال: «انزل عن مجلس أبي» قال: صدقت، إنَّه مجلس أبيك، ثُمَّ أجلسه في حجره وبكى، فقال عليٌّ: «واللّه، ما هذا عن أمري»؟ قال: صدقت، واللّه ما اتهمتك.

١٨ـ وبهذا الإسناد، عن أبي سعد السَّمان هذا، أخبرنا قاضي القضاة ـ بقراءتي عليه ـ، أخبرنا أبو القاسم بن أبي صالح ـ بقراءة والدي وأنا حاضر أسمع ـ، حدّثنا إبراهيم بن الحسين بن عليّ، حدّثنا موسى بن إسماعيل المنقري، حدثنا وهيب بن خالد، حدَّثنا جعفر بن محمَّد، عن أبيه عليه السلام: «أنَّه قدم على عمر بن الخطاب حلل من اليمن فكسا النّاس وراحوا في الحلل وعمر بين القبر والمنبر، وناس جلوس، وناس يأتون يسلِّمون عليه، ويدعون له، فخرج حسن وحسين من بيت فاطمة يتخطيان النّاس، وكان بيت فاطمة في جوف المسجد ليس عليهما مِن تلكَ الحلل شيء وهما بين عينيه، فقال للنّاس: واللّه، ماهناني أن أكسوكم! قالوا: لمَ ياأمير المؤمنين! كسوت رعيتك وأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيّان النّاس وليس عليهما شيء، كبرت عنهما، وصغرا عنها.

ثُمَّ كَتبَ إلى صاحب اليمن: أن ابعث إليّ حلّتين للحسن والحسين، وعجل فبعث إليه بحلتين وكساهما».

١٩ـ وبهذا الإسناد، عن أبي سعد السَّمان هذا، أخبرنا أبو محمّد الحسن بن عثمان ـ ببغداد بقراءتي عليه ـ، حدّثنا الحسن بن محمّد، حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدّثنا إبراهيم بن بشار، حدّثنا سفيان، حدّثنا عمرو، عن أبي جعفر عليه السلام: «إنَّ عمر لمّا دَوَّنَ الدواوين وأراد أن يفرض للنّاس، قال: بمن أبدأ؟ قالوا: بنفسك، ياأمير المؤمنين! فقال: قد أنكرتموني، فبدأ ببني هاشم ففرض للحسن والحسين خمسمائة دينار خمسمائة دينار.

وفي رواية ـ الليث بن سعد ـ، قالوا: بمن نبدأ ياأمير المؤمنين؟! أبكَ فإنّكَ إمام المسلمين، قال: بل رسول اللّه الإمام، فابدأوا برهطه الأقرب فالأقرب حتّى يدعى عمر في بني عدي.

٢٠ـ وأخبرني العالم الأوحد أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي، عن محمود بن القاسم الأزدي، وأبي نصرالترياقي؛ وأبي بكر الغورجي، عن أبي محمّد الجراحي، عن العبّاس المحبوبي، عن الحافظ أبي عيسى الترمذي، حدّثنا الحسين بن حريث، حدثنا عليّ بن الحسين بن واقد، حدّثني أبي، حدّثني عبدالله بن بريدة: سمعت أبي بريدة يقول: بينا كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله يخطب إذْ جاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول اللّه من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثُمَّ قال: «صدق اللّه تعالى: ﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾التغابن/١٥ نظرت هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فَلَمْ أصبر حتّى قطعت حديثي ورفعتهما».

٢١ـ وذكرالإمام محمّد بن أحمد بن عليّ بن شاذان، حدَّثنا محمّد بن عليّ بن الفضل، عن محمَّد بن القاسم، عن عباد بن يعقوب، عن موسى

ابن عثمان، عن الأعمش، حدَّثني أبو إسحاق، عن الحرث؛ وسعيد بن بشير، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا واردكم على الحوض، وأنتَ ياعليّ السّاقي؛ والحسن الذائد؛ والحسين الآمر، وعلي بن الحسين الفارط، ومحمَّد بن عليّ الناشر، وجعفر بن محمَّد السائق، وموسى بن جعفر محصي المحبين والمبغضين وقامع المنافقين، وعليّ بن موسى مزين المؤمنين، ومحمَّد بن عليّ منزل أهل الجنّة درجاتهم، وعليّ بن محمَّد خطيب شيعته ومزوّجهم الحور العين، والحسن بن عليّ سراج أهل الجنّة يستضيؤون به، والمهديّ شفيعهم يوم القيامة حيث لا يأذن الله إلاّ لمن يشاء ويرضى».

٢٢ـ وذكر ابن شاذان هذا، حدَّثنا القاضي المعافى بن زكريا، عن عبدالله بن محمّد البغوي، عن يحيى الحماني، عن محمَّد بن الفضيل، عن الكلبي، عن ابن صالح، عن ابن عباس، قال: كنتُ جالساً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم، وبين يديه: عليّ؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين عليهم السلام إذْ هبط جبرائيل ومعه تفاحة، فحييٰ بها النبيَّ فتحيى بها، وحيى عليّ بن أبي طالب بها فتحيى بها وقبّلها، وردَّها إلى رسول الله فتحيى بها، وحيى بها الحسن فتحيى بها الحسن وقبلها، وردَّها إلى رسول الله فتحيى بها، وحيى بها الحسين فتحيى بها وقبلها، وردَّها الى رسول الله فتحيى بها، وحيى بها فاطمة فتحيت بها وقبّلتها، وردَّتها إلى رسول الله فتحيى بها الرابعة، وحيى بها عليّ بن أبي طالب فتحيى بها.

ولمّا هَمَّ أن يردَّها إلى رسول الله سقطت التفاحة من بين أنامله، فانفلقت نصفين، فسطع منها نور حتى بلغ السماء الدنيا، فإذا عليها سطران مكتوبان: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم تحيَّةً مِنَ الله تعالى إلى محمَّد المصطفى،

وعليّ المرتضى، وفاطمة الزهراء، والحسن والحسين سبطي رسول الله، وأمان لمحبيهم يوم القيامة مِنَ النار.

٢٣ـ وذكر ابن شاذان هذا، حدَّثنا أحمد بن محمَّد بن عبدالله الحافظ، حدَّثني عليّ بن عليّ بن سنان الموصلي، عن أحمد بن محمد بن صالح، عن سلمان بن محمد، عن زياد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن سلامة، عن أبي سلمى ـ راعي إبل رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ليلة أُسري بي إلى السماء، قال لي الجليل جلَّ وعلا: ﴿آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربِّه﴾البقرة/ ٢٨٥، قلت: والمؤمنون، قال: صدقت يامحمَّد! مَنْ خلفت في أُمتك؟ قلت: خيرها، قال: علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم، ياربّ! قال: يامحمَّد! إنِّي اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها فشققت لك اسماً مِنْ أسمائي، فلا أذكر في موضع إلاّ ذكرت معي، فأنا المحمود وأنتَ محمَّد.

ثم اطلعت الثانية فاخترت علياً وشققت له اسماً مِنْ أسمائي، فأنا الاعلى وهو عليّ، يامحمَّد! إنِّي خلقتك؛ وخلقت علياً؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين؛ والأئمة من ولده، من سنخ نور من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السَّماوات وأهل الأرض، فَمَن قبلها كان عندي مِنَ المؤمنين، وَمَن جحدها كان عندي مِنَ الكافرين.

يامحمَّد! لو أنَّ عبداً من عبيدي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي، ثُمَّ أتاني جاحداً لولايتكم ماغفرت له حتّى يقرَّ بولايتكم.

يامحمَّد! أتحب أن تراهم؟ قلت: نعم، ياربِّ، فقال لي: التفت عن يمين العرش، فالتفت فإذا أنا: بعليّ؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين؛ وعليّ ابن الحسين؛ ومحمَّد بن عليّ؛ وجعفر بن محمَّد؛ وموسى بن جعفر؛

وعليّ بن موسى؛ ومحمَّد بن علي؛ وعليّ بن محمَّد؛ والحسن بن عليّ؛ والمهدي، في ضحضاح من نور قياماً يصلّون وهو في وسطهم ـ يعني المهدي ـ كأنه كوكب دري.

قال: يامحمَّد! هؤلاء الحجج وهو الثائر مِنْ عترتك، وعزّتي وجلالي، إنه الحجة الواجبة لأوليائي والمنتقم مِنْ أعدائي».

٢٤ـ وذكر ابن شاذان هذا، حدَّثنا أبو الطيب محمَّد بن الحسين التيملي، عن محمَّد بن عبد اللّه، عن يحيى الحماني، عن هشيم، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «ما مررت ليلة أُسري بي بشيء من ملكوت السماء، وعلى شيء مِن ملكوت الحجب فوقها، إلاّ وجدتها مشحونة بكرام ملائكة اللّه تعالى، يناجونني: هنيئاً لك يامحمَّد! فقد أُعطيت مالم يُعطه أحد قَبلَكَ، ولا يعطاه أحد بعدك، أُعطيت عليّ بن ابي طالب أخاً؛ وفاطمة زوجته ابنة؛ والحسن والحسين أولاداً؛ ومحبيهم شيعة، يامحمد! إنّك أفضل النبيِّين؛ وعليّاً أفضل الوصيِّين؛ وفاطمة سيِّدة نساء العالمين؛ والحسن والحسين أكرم مَن دَخَلَ الجنان من أولاد المرسلين، وشيعتهم أفضل مَن تضمنته عرصات القيامة، واشتملت عليه غرف الجنان وقصورها ومتنزهاتها، فلم يزالوا يقولون ذلك في مصعدي ومرجعي، فلولا أنَّ اللّه حَجبَ عنهم آذان الثقلين، لَم يبقَ أحد إلا سمعهم».

٢٥ـ وذكر محمَّد بن شاذان هذا، أخبرنا أحمد بن محمَّد بن سعيد، عن الحسين بن محفوظ، عن أحمد بن إسحاق، حدَّثنا الغطريف، عن عبد السلام ـ بصنعاء اليمن ـ، عن عبد الرَّزاق، عن معمر، عن الزهري، عن أبي بكر عبدالله بن عبد الرَّحمن قال: سمعت عثمان بن عفان قال: سمعت عمر

ابن الخطاب قال: سمعت أبا بكربن أبي قحافة قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: «إنَّ اللّه خلَقَ من نور وجه عليّ بن أبي طالب، ملائكة يسبّحون ويقدّسون، ويكتبون ثواب ذلك لمحبّيه ومحبّي ولده».

٢٦ـ وذكر ابن شاذان هذا، حدَّثني القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا ـ في جامع الرصافة ـ، عن محمَّد بن عليّ بن عبد الحميد بن زيار بن يحيى القرشي، عن عبد الرَّزاق، عن صدقة العبسي، أخبرنا زاذان، عن سلمان قال: أتيت النبيَّ صلى الله عليه وآله فسلمت عليه، ثمَّ دخلت على فاطمة فقالت: «ياأبا عبد اللّه! هذان الحسنان جائعان يبكيان، فخذ بأيديهما واخرج بهما إلى جدّهما» فأخذت بأيديهما وحملتهما حتّى أتيت بهما إلى النبي فقال: «مالكما ياحبيبيّ؟ فقالا: نشتهي طعاماً، يارسول اللّه»! فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «اللّهُمَّ! أطعمهما ـثلاثاًـ» فنظرت فإذا سفرجلة في يدي رسول اللّه صلى الله عليه وآله شبهتها بقلّة من قلال هجر أشدّ بياضاً مِنَ الثلج، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ففركها بيده وصيرها نصفين، ودفع إلى الحسن نصفاً وإلى الحسين نصفاً، فجعلت أنظرُ الى النصفين في أيديهما وأنا أشتهيهما، فقال لي: «ياسلمان! لعلّكَ تشتهيهما»؟ قلت: نعم، قال: «ياسلمان! هذا طعام منَ الجنَّة لايأكله أحد حتّى ينجو مِنَ الحساب، وإنَّكَ لعلى خير إن شاء اللّه».

٢٧ـ أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن عليّ بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والدي شيخ السنَّة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدَّثنا محمّد بن يعقوب، حدّثنا الحسن بن عليّ الحفار، حدّثنا عبيد اللّه بن موسى، حدّثنا كامل بن العلاء، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: صلّى بنا رسول اللّه صلى الله عليه وآله صلاة العشاء، وكان إذا سجد وثب الحسن والحسين على

ظهره، فإذا أراد أن يرفع رأسه أخذهما بيده فوضعهما وضعاً رفيقاً، حتى إذا عادَ عادا، حتّى قضى صلاته فوضع واحداً على فخذه الأيمن، والآخر على فخذه الآخر.

فقمت إليه وقلت: يارسول اللّه! ألا أذهب بهما، قال: «لا»، فبرقت برقة، فقال: «الحقا بأُمِّكما» فلم يزالا في ضوئها حتّى دخلا.

٢٨ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو جعفر الرزاز، حدثنا محمَّد بن إسحاق بن صالح؛ ومحمَّد بن عبيد قالا: حدَّثنا عمرو بن مرزوق، أخبرنا سهم المازني: سمعتُ الحسن يُحدِّث، عن عتبة بن غزوان قال: بينما رسول اللّه ﷺ يصلّي الضحى إذْ جاء الحسن والحسين فركبا ظهره، فانصرف ووضعهما في حجره، وجَعَلَ يقبِّل هذا مرَّة ويشم هذا مرَّة، فقال القوم: أتحبهما يارسول اللّه؟ فقال: «ومالي لا أُحِبُّ ريحانتيّ مِنَ الدنيا! أما إنَّهما سيلقيان مِن بعدي من البلاء كذا وكذا».

٢٩ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو سعد الماليني، أخبرنا أبو أحمد بن عَديّ الحافظ، أخبرنا أبو يعلى، حدَّثنا محمَّد ابن مرزوق، حدَّثني حسين الأشقر، حدَّثنا عليُّ بن هاشم أو هشيم، عن ابن أبي رافع، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر قال: رأيتُ الحسن والحسين على عاتقي رسول اللّه، فقلت: نعم الفرس تحتكما؟ فقال: «ونعم الفارسان هما».

٣٠ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، حدّثنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرنا أبو بكر بن محمَّد الصيرفي، حدَّثنا أبو الأحوص، حدثنا يزيد بن موهب، حدثنا مسروح أبو شهاب، عن سفيان الثوري، عن أبي

الزبير، عن جابر ـ ح ـ قال أبو عبدالله الحافظ: وحدَّثنا محمَّد بن صالح، حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم، حدَّثنا محمَّد بن مصفى، حدَّثنا مسروح أبو شهاب، عن سفيان الثوري، عن أبي الزبير، عن جابر قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يمشي على أربع وعلى كتفه، وفي رواية ـ ابن مصفى ـ وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول: «نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما».

وذكر الحاكم شيخ الإسلام الحنتمي: أنَّ السيِّد إسماعيل الحميري نظم ـ هذا الحديث ـ في قصيدة طويلة بمدحهما فقال:

أتى حسناً والحسين الرسول ... وقد برزا ضحوة يلعبان
فضمَّهما وتغذاهما ... وكانا لديه بذاك المكان
ومرّ وتحتهما منكباه ... فنعم المطية والراكبان

٣١ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا عليّ بن أحمد ابن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد، حدَّثنا أحمد بن علي، حدَّثنا أحمد بن حاتم الطويل، حدَّثنا تليد بن سليمان، عن أبي الجحاف، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: نظر النبيُّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين عليهم السلام، فقال: «أنا حربٌ لِمَن حاربكم، وسلم لِمَن سالمكم».

وفي رواية ـ زيد بن أرقم ـ: جاء النبي صلى الله عليه وآله إلى بيت فاطمة فأخذ بعضادتي الباب وفي البيت: عليّ؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين عليهم السلام فقال: «أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم».

٣٢ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، حدَّثنا أبو عبدالله الحافظ، حدَّثنا محمَّد بن يعقوب، حدثنا محمَّد بن النضر، حدَّثنا عياش ابن عبد العظيم العنبري، حدَّثنا النضر بن محمَّد، حدثني عكرمة بن عمّار،

حدَّثني أياس بن سلم، عن أبيه قال: لقد قدت نبيَّ اللّه ﷺ؛ والحسن؛ والحسين على بغلته الشهباء، حتى أدخلتهم حجرة النبيِّ: هذا قدامه، وهذا خلفه، وأخرجه مسلم في «الصحيح».

٣٣ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبداللّه الحافظ، حدَّثنا أبو الصقر أحمد بن الفضل الكاتب، حدثنا إبراهيم بن الحسين، حدثنا سعيد بن كثير، حدَّثنا الفضل بن مختار، عن أبان بن أبي عيّاش، عن أنس قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لا يقم أحد لأحد إلاّ للحسن والحسين وذريتهما».

قال أحمد بن الحسين: أبان بن أبي عيّاش متروك؛ والفضل ضعيف، قال: وفي رواية ـ أبي أُمامة ـ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «يقوم الرجل للرَّجل إلا بني هاشم فإنّهم لا يقومون لأحد»، قال: وهذه أيضاً رواية ضعيفة.

٣٤ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا محمد بن الحسن الحسني، أخبرنا أبو حامد الشرقي، حدَّثنا أبو الأزهر حدَّثنا أبو النضر، حدَّثنا ورقاء، عن عبيد اللّه بن أبي يزيد، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبي هريرة قال: كنت مع رسول اللّه ﷺ في سوق من أسواق المدينة، فانصرفَ وانصرفتُ معه، فجاء إلى فناء فاطمة، فنادى الحسن، فنادى: «أين لكع أثم لكع»؟ فلم يجبه أحد، فانصرف وانصرفتُ معه فجاء إلى فناء عائشة فقعد فجاء الحسن.

قال أبو هريرة: ظننتُ أنَّ أُمَّه قد حبسته لتجعل في عنقه السخاب، فلما جاء التزمه رسول اللّه ﷺ وقال: «اللّهمَّ إني أُحبه فاحبه، وأحب مَنْ يحبه ـ ثلاث مرات ـ.

٣٥ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا عبدالله بن يوسف، أخبرنا عبدالله بن محمّد الفاكهي، أخبرنا أبو يحيى عبدالله بن أحمد، أخبرنا خلاد بن يحيى، أخبرنا هشام بن سعد، أخبرنا نعيم بن المحمر قال: قال أبو هريرة: ما رأيتُ الحسن بن عليّ عليه السلام إلاّ فاضت عيناي دموعاً، وذلك انَّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله خرج يوماً وأنا في المسجد، فأخذ بيدي فاتكأ عليّ حتّى جئنا ـ سوق بني قينقاع ـ، فنظر فيه ثم رجعت معه حتى جلس في المسجد فاحتبى، ثم قال لي: «ادع لكع»، قال: فأتاه ـ حسن ـ يشتدُّ حتّى وقع في حجره، ثم جعلَ يقول ويده في لحية رسول اللّه صلى الله عليه وآله وجعل رسول اللّه يفرح، ثمَّ يدخل فمه في فمه، ويقول: «اللّهُمَّ! إني أحبه فأحبه ـ ثلاث مرات يقولها ـ».

وسمعت ـ هذا الحديث ـ من قوله: «اللّهمَّ! إني أحبه فأحبه» ـ في جامع أبي عيسى ـ ولم يذكر فيه: «ثلاث مرات».

٣٦ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدَّثنا محمَّد بن يعقوب، حدَّثنا الخضر بن أبان، حدَّثنا أزهر السّمان، عن ابن عون، عن أبي محمَّد عمير بن إسحاق، عن أبي هريرة ولقي الحسن بن عليّ عليه السلام فقال: رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله قبَّل بطنك، فاكشف الموضع الذي قبّله رسول اللّه حتّى أُقبله؟ قال: فكشف له الحسن فقبَّله.

٣٧ـ وبهذا الإسناد قال: أخبرنا محمد بن موسى بن الفضل قال: أخبرنا أبو عبدالله الصفار، حدّثنا محمّد بن غالب، حدثنا عبدالله بن مسلمة، حدثنا عليّ بن عابس، عن يزيد بن أبي زياد، عن البهي ـ مولى الزبير ـ قال: تذاكرنا: مَن أشبه النّاس به من أهله ـ يعني بالنبي صلى الله عليه وآله، فدخل علينا عبدالله بن الزبير، فقال عبد اللّه: انا أُحدثكم باشبه أهله به، وأحبَّهم

إليه ـ الحسن بن عليّ ـ فقد رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته ـ أو قال: ظهره ـ فما ينزلهُ حتّى هو الذي ينزل، ولقد رأيته وهو يجيء وهو راكع فيفرج له رجليه حتّى يخرج مِنَ الجانب الآخر.

٣٨ـ وبهذا الإسناد، قال: أخبرنا أبو محمد جناح بن نذير المحاربي ـ بالكوفة ـ، حدثنا محمّد بن علي الشيباني، حدثنا إبراهيم بن إسحاق، حدثنا جعفر بن عون، عن معاوية بن أبي مزرد، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: بصرت عيناي هاتان، وسمعت أُذناي هاتان، رسول اللّه صلى الله عليه وآله آخذاً بيدي ـ الحسن والحسين ـ، وهو يقول: «ترقه عين بقه».

قال: فيضع الغلام قدمه على قدم النبيّ، فيرفعه إلى صدره، قال: ثُمَّ قال له: «افتح فاكَ» ففتح فاه فقبَّله النبي، ثُم قال: «اللّهمَّ! إني احبه فأحبه».

ورواه غيره فزادَ فيه: «حزقه حزقه، ترقه عين بقه» ـ يريد ضعفه، وشبَّه عينه في الصغر بعين بقه.

٣٩ـ وبهذا الإسناد، أخبرنا عبدالله بن يوسف الأصبهاني، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن، حدّثنا أبو ميسرة، حدثنا وهب بن بقية، حدَّثنا خالد بن عبد اللّه، عن محمَّد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله يلدع لسانه للحسن، فيرى الصبي حمرةَ لسانه، فيهش إليه، فقال له عييّة بن بدر: الا اراكَ تضع هذا بهذا، فواللّه، إنه ليكون لي ابن، قد خرج وجهه، وما قبَّلته قط.

فقال له رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «مَن لا يرحم لا يُرحم».

٤٠ـ وسمعت مثل هذا الحديث، عن الإمام الأجل ركن الإسلام أبي الفضل بن محمد الكرماني، بروايته عن الإمام الأجل فخر القضاة محمَّد

ابن الحسين الارسابندي، عن الحافظ أبي محمَّد التميمي، عن أبي عمرو عبد الواحد بن محمّد، عن أبي عبدالله محمَّد بن مخلد بن حميد بن الربيع، عن هشيم، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: دخل الأقرع بن حابس على النبيّ صلى الله عليه وآله فرآه يقبل: إما حسناً أو حسيناً، فقال: تقبِّلهُ ولي عشرة من الولد ما قبلتُ واحداً منهم؟

فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «إنَّه من لا يَرحَم لا يُرحَم».

هذا الحديث صحيح أخرجه مسلم في «صحيحه»، وفي رواية الزبير: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «إنْ كان اللّه نَزَعَ الرحمةَ من قلبكَ فما ذنبي».

٤١ـ وبالإسناد ـ الذي مرَّ آنفاً، عن أحمد بن الحسين هذا، قال: اخبرنا ابو عبدالله الحافظ، اخبرنا محمَّد بن يعقوب، حدثنا إبراهيم بن أبي طالب، حدثنا ابن أبي عمر، حدَّثنا سفيان، حدثنا إسرائيل، عن الحسن: سمعتُ أبا بكر يقول: رايتُ رسول اللّه صلى الله عليه وآله على المنبر، والحسن بن عليّ إلى جنبه، وهو يلتفت إلى النّاس مرَّة وإليه مرَّة، ويقول: «إنَّ ابني هذا سيِّد، ولعلَّ اللّه ان يصلح به بين فئتين من المسلمين».

اخرجه البخاري في «الصحيح»، وفي الباب، عن جابر بن عبد اللّه.

٤٢ـ وبهذا الإسناد، قال: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا محمَّد بن يعقوب، حدّثنا محمَّد بن عبد الوهاب، أخبرنا يعلى بن عبيد، حدثنا عبدالله بن الوليد، عن عبدالله بن عبيد، عن عمير قال: لقد حجَّ ـ الحسن بن علي ـ خمساً وعشرين حجة ماشياً، وانّ النجائب لتقاد معه.

قال: وفي رواية أخرى: ولقد قاسم اللّه تعالى ماله ثلاث مرات، حتّى أنّه يُعطي الخفَ ويَمسك النعلَ.

٤٣ـ وبهذا الإسناد قال: أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان، أخبرنا

أحمد بن عبيد الصفار، حدّثنا محمَّد بن يونس، حدثنا علي بن مرَّة، حدثني أبي، حدثني نجيح القصاب قال: رأيت ـ الحسن بن عليّ ـ يأكل، وبين يديه كلب كلَّما أكلَ لُقمةً طرحَ للكلبِ مثلها، فقلتُ له: يابن رسول اللّه! الا أرجم هذا الكلب عَن طعامكَ؟ فقال: «دعه، إني لأستحيي من اللّه عزوجلّ أن يكون ذو روح، ينظر في وجهي، وأنا آكل ثُمَّ لا أُطعمه».

٤٤ـ أنباني الإمام الحافظ صدرُ الحفّاظ أبوالعلاء الحسن بن أحمد الهمداني، أخبرنا الحسن بن أحمد المقري، أخبرنا أحمد بن عبدالله الحافظ، أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني، حدَّثنا محمَّد بن نوح بن حرب، حدَّثنا منير بن ميمون البصري، حدثنا عبّادبن صهيب، حدثنا سلمان بن المغيرة، عن المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «فَخَرَت الجنَّة على النّار، فقالت: انا خيرٌ منك، فقالت النّار: بل، أنا خيرٌ منْك، فقالت لها الجنَّة استفهاماً: وَمِمَ؟ قالَت: لان فيَّ: الجبابرة؛ وفرعون؛ ونمرود، فأسكتت، فاوحى اللّه تباركَ وتعالى إليها: لا تَخضَعَنَّ لأُزَيننَ رُكنيكِ بالحسن والحسين، فماستْ كما تميس العَروسُ في خدرها».

٤٥ـ وأنباني الحافظ أبو العلاء هذا، أخبرنا محمود بن إسماعيل الاصبهاني، اخبرنا أحمد بن محمَّد بن الحسين، أخبرنا سلمان بن أحمد الطبراني، حدّثنا محمَّد بن حيان المازني، حدثنا كثير بن يحيى، حدَّثنا سعيد بن عبد الكريم بن سليط الجعفي، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، عن أبي فاختة، عن علي عليه السلام قال: «دَخلَ علينا النبيُّ صلى الله عليه وآله وأنا نائم، فاستسقى الحسنَ فقام إلى منيحة لنا بكية، فنض منها ثم جاء بالإناء فقام إليه الحسين يستسقيه، فقال: أخوكَ استسقى قَبلَكَ يشرب ثُم تشرب.

فقالت فاطمة: كأنَّه أحبهما إليكَ، فقال: ما هوَ باحبَّهما إلي؟ وإنما

هما عندي لبمكان واحد، وإني وإياك وهما وهذا الراقد لفي مكان واحد».

٤٦ـ وبهذا الإسناد، عن الطبراني، حدثنا الحسين بن محمد، حدثنا أحمد بن رشيد بن خثيم، حدَّثنا عمي سعيد بن خثيم، حدثنا مسلم الملائي، عن حبَّة العرني؛ وأبي البختري، عن سلمان قال: كُنا حَولَ النبي صلى الله عليه وآله فجاءت ـ أم أيمن ـ، فقالت: يارسول الله! ضَلَّ ـ الحسن والحسين ـ، قال: وذلك راد النهار (يقول: ارتفاع النهار). فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «قوموا، فاطلبوا ابنيَّ»، فأخذَ كلُّ رجلٍ تجاه وجهه، فاخذتُ نحوَ النبيِّ، فَلَم نَزَلْ حتّى أتى سفح الجبل وإذا ـ الحسن والحسين عليهما السلام ـ، ملتزقٌ كلّ واحدٍ منهما صاحبَهُ، وإذا شجاعٌ قائمٌ على ذنبه، يخرجُ من فيهِ شبه النّار.

فاسرع إليه رسول اللّه صلى الله عليه وآله فالتفت مخاطباً إلى رسول اللّه، ثم انسابَ فَدخلَ بَعضُ الجحرة، ثُم أتاهما فافرق بينهما ومسح وجوههما، وقال: «بأبي وأمي أنتما، ما أكرمكما على اللّه تعالى»؟ ثم حَملَ أحدهما على عاتقه الأيمن، والآخر على عاتقه الأيسر، فقلتُ: طوبى لكما! نعم المطية مطيتكما، فقال صلى الله عليه وآله: «وَنِعمَ الراكبان هما، وأبوهما خير منهما».

٤٧ـ وأنباني الحافظ أبو العلاء هذا، أخبرنا زاهر بن طاهر، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن، أخبرنا محمد بن محمد الحيري، أخبرنا محمد بن الموصلي، حدثنا بشر بن الوليد، عن محمّد بن طلحة، عن الأعمش، عن عطية بن سعد، عن أبي سعيد: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قال: «إني أوشك أنْ أُدعى فأُجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتابَ اللّه حبل ممدود بين السماء والأرض؛ وعترتي أهل بيتي، الا وإن اللطيف الخبير، أخبرني: أنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا ماتخلفوني فيهما».

٤٨ـ وبإسناده الذي تقدم عن الطبراني، حدّثنا عليّ بن عبد العزيز،

حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدَّثنا الحسن بن أبي جعفر، حدَّثنا عليّ بن زيد ابن جدعان، عن سعيد بن المسيَّب، عن أبي ذر قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مثلُ أهل بيتي مثل سفينة نوح؛ مَن ركب فيها نجا، وَمن تَخلفَ عنها غرق، وَمَن قاتلنا في آخر الزمان فكأنما قاتل في الدَّجال».

٤٩ـ وأنبأني الحافظ أبو العلاء هذا، أخبرنا عبد القادر بن محمَّد البغدادي، أخبرنا الحسنُ بن عليّ الجوهري، أخبرنا محمَّد بن العبّاس، أخبرنا محمد بن معروف، حدثنا حسين بن محمَّد، حدَّثنا محمَّد بن سعد، أخبرنا عليُّ بن محمَّد، عن حمّاد بن سلمة، عن عمّار بن أبي عمّار، عن ابن عبّاس قال: انتجد[1] الحسنُ والحسينُ عندَ النبي ﷺ فجعل يقول: «هيه، ياحسن! خُذ ياحسن!» فقالت عائشة: تعينُ الكبيرَ على الصغير؟ فقال: «إنَّ جبرئيل يقول: خذ ياحسين!».

وسمعت ـ هذا الحديث ـ على فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري، رواه عن أنس بن مالك ـ بهذا السياق.

٥٠ـ وبإسناده، عن السيد أبي طالب، بإسناده إلى عليّ قال: «اصطرع ـ الحسن والحسين ـ بين يدي رسول اللّه ﷺ فقال رسول اللّه: هيه، ياحسن! فخذ حسيناً، فقالت فاطمة: تستنهض الكبير على الصغير؟ فقال: هذا جبرئيل يقول: هيه ياحسين! فخذ حسناً، فَلم يصرع واحد منهما صاحبه».

٥١ـ قال أبو العلاء: وأخبرنا أبو عليّ الحداد قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا الطبراني، حدثنا الحسين بن إسحاق، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبد الأعلى، عن هشام بن حسّان، عن ابن سيرين قال: تزوَّج

---

(١) انتجد: بمعنى استبق أي تسابقا في عدوٍ أو صراع.

الحسن بن عليّ امرأة فأرسل إليها مائة جارية مع كل جارية ألف درهم.

٥٢ـ وبه، عن الطبراني، حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم، عن عبد الرَّزاق، عن سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن عبد اللّه، عن أبيه، عن الحسن بن سعد، عن أبيه قال: متع الحسن امرأتين بعشرين ألفا وزقاق من عسل، فقالت إحداهما ـ وأراها الحنفية ـ: متاعٌ قليلٌ من حبيب مفارق.

٥٣ـ وأنبأني الحافظ أبو العلاء هذا، أخبرنا محمَّد بن محمَّد الفقيه، أخبرنا محمَّد بن أحمد المعدل، أخبرنا محمد بن عبد الرَّحمن، أخبرنا أحمد ابن سليمان، أخبرنا الزبير بن بكار، حدَّثني إبراهيم بن حمزة، عن إبراهيم ابن عليّ الرافعي، عن أبيه، عن جدَّته زينب بنت أبي رافع قالت: أتت فاطمة بنت محمَّد صلى الله عليه وآله بابنيها إلى رسول اللّه في شكواه التي توفيَ فيها فقالت: «يارسول اللّه! هذان ابناك فورِّثهما شيئاً؟ فقال: أما حسن فإنَّ لهُ هيبتي وسؤددي، وأمّا حسين فإنَّ لهُ جراتي وجودي».

٥٤ـ قال: وفي روايتي، عن السيِّد الحافظ أبي منصور الديلمي بإسناده إلى ـ أُم أيمن ـ قالت: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «نحلتُ هذا الكبير المهابة، ونحلت الصغير المحبَّة والرِّضا».

٥٥ـ قال أبو العلاء: وأخبرنا عبد القادر بن محمَّد البغدادي، أخبرنا الحسن بن عليّ الجوهري، أخبرنا محمَّد بن العبّاس، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا حسين بن محمَّد، أخبرنا محمَّد بن سعد، أخبرنا مسلم بن إبراهيم، أخبرنا ديلم بن غزوان، حدَّثنا وهب بن أبي ذبي الهنائي، عن أبي حرب ـ أو أبي الطفيل ـ قال: قال الحسن بن عليّ: «مابينَ جابلقا وجابرسا رجل جدَّه نبيّ غيري، ولقد سقيت السمَّ مرّتين».

٥٦ـ وبه، عن الحسن بن عليّ الجوهري، أخبرنا أحمد بن جعفر

القطيعي، حدَّثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدّثنا هاشم بن القاسم، حدّثنا جرير، عن عبد الرحمن بن عوف: أنَّ معاوية قال: رأيت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يَمصُّ لسانه ـ أو قال: شفته ـ يعني: الحسن بن عليّ، وأنَّه لَم يعذّب لسان أو شفتان مصّهما رسول اللّه.

٥٧ـ وأخبرنا الشيخ الفقيه العدل الحافظ أبو بكر محمَّد بن عبدالله بن نصر الزاغوني ـ بمدينة السلام ـ منصرفي مِنَ السفرة الحجازية، أخبرنا الشيخ الجليل الإمام أبو الحسن محمَّد بن إسحاق الباقرحي، أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن الحسن بن عليّ بن بندار، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمَّد بن شاذان البزاز، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن عامر بن سليمان ـ ببغداد ـ في باب المحوَّل، حدَّثني أبي أحمد بن عامر بن سليمان الطائي، حدَّثنا أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا، حدَّثني أبي موسى ابن جعفر، حدَّثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمّد بن علي، حدّثني أبي عليّ بن الحسين، حدثني أبي الحسين بن علي، حدثني أبي علي ابن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة اللّه، وأخذتَ ياعلي! بحجزتي، وأخذ ولدك بحجزتك، وأخذ شيعةُ ولدكَ بحجزهم، فترى أين يؤمر بنا»؟

قال أبو القاسم: سألت أبا العبّاس ثعلباً عن الحجزة، فقال: هو السبب.

٥٨ـ وبهذا الإسناد قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة كنتَ وولدك على خيل بلق، متوَّجين بالدر والياقوت، فيأمرُ اللّه بكم إلى الجنّة، والنّاس ينظرون».

٥٩ـ وأخبرني الإمام الحافظ سيد الحفّاظ أبو منصور شهردار بن

شيرويه الديلمي ـ فيما كَتَبَ إليَّ من همدان ـ، أخبرنا أبو عليّ المقري، أخبرنا أبو نعيم الأصبهاني، أخبرتُ عن الحسين بن الحكم الحيري، حدَّثنا حسن بن حسين العرني، حدثني عيسى بن عبدالله بن عمر بن عليّ، عن أبيه، عن جدِّه عليه السلام قال: «ماسمّاني الحسن والحسين ياأبتي! حتّى تُوفيَ رسول اللّه صلى الله عليه وآله كانا يقولان لرسول اللّه: ياأبتي! وكان الحسن يقول لي: ياأبا الحسين! وكان الحسين يقول لي: ياأبا الحسن!».

٦٠ـ وأخبرني سيد الحفاظ هذا ـ فيما كَتَبَ إليّ ـ، أخبرني والدي، أخبرني أبو خلف عبد الرحيم بن محمَّد الفقيه ـ بالرّي ـ، ـوسألني أن لا أبذله ـ، حدَّثني أبو الفتح عبيد بن مردك الرَّازي، ـوسألني أنْ لا أبذله ـ، حدَّثني يوسف بن عبدالله ـ بأردبيل ـ، ـوسألني أن لا أبذله ـ، حدَّثني الحسين بن صدقة الشيباني، ـوسألني أنْ لا أبذله ـ، أخبرني أبي؛ وسليمان ابن نصر، ـوسألاني أن لا أبذله ـ، حدثني إسحاق بن سيّار، ـواستحلفني أن لا أبذله ـ، حدَّثني عبدالله بن موسى، ـواستحلفني أن لا أبذله ـ، حدَّثني الأعمش، ـواستحلفني أن لا أبذله ـ، حدثني مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «أنا ميزان العلم؛ وعليّ كفّتاه؛ والحسن والحسين خيوطه؛ وفاطمة علاقته؛ والأئمة مِنْ أُمتي عموده، يوزن فيه أعمال المحبين لنا، والمبغضين لنا».

٦١ـ وأخبرني سيد الحفاظ هذا ـ فيما كَتَبَ إليّ ـ، أخبرني الإمام أبوبكر أحمد بن محمّد بن زنجويه بزنجان سنة خمسمائة، أخبرني الحسين بن الغلابي، أخبرني أحمد بن جعفر القطيعي، أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، أخبرني أبي، عن حياة بن شريح، عن بقيّة، عن بحير بن سعيد، عن خالد بن معدان، عن المقدام بن معدي كرب قال: قال

رسول الله ﷺ: «الحسن مني والحسين من عليّ».

٦٢ـ قال (جزاه اللّه عني خيراً): وأخبرني محمود بن إسماعيل، أخبرني أحمد بن فادشاه [ح]؛ وأخبرني عليّ مناولة، عن أبي نعيم قالا: أخبرنا الطبراني، عن أحمد بن رشد بن حميد بن عليّ البجلي، عن ابن لهيعة، عن أبي عشانة، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول اللّه ﷺ: «الحسن والحسين يوم القيامة عن جنبي عرش الرحمن بمنزلة الشنفين من الوجه».

قال: والشنف: القرط المعلَّق في الأذن.

٦٣ـ قال (جزاه اللّه عني خيراً): وأخبرنا أبو الفتح عبدوس بن عبدالله ـ إجازة ـ، أخبرنا الشريف أبو طالب المفضل بن محمَّد الجعفري، أخبرنا الحافظ أبو بكر محمَّد بن موسى بن مردويه، حدَّثني جدِّي، حدثني محمَّد ابن عليّ، حدثني عليّ بن شهمرد، حدثني جعفر بن أحمد، حدثني موسى ابن إسماعيل بن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدِّه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمَّد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول اللّه ﷺ: لما أُسري بي إلى السماء، رأيت على باب الجنَّة مكتوباً بالذهب: لا إله إلاّ اللّه، محمَّد حبيب اللّه، عليّ وليّ اللّه، فاطمة أمة اللّه، الحسن والحسين صفوة اللّه، على مبغضيهم لعنة اللّه».

٦٤ـ قال (جزاه اللّه عني خيراً): أخبرنا أبو عليّ الحداد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، أخبرنا محمَّد بن جعفر، حدثني عليّ بن محمَّد، حدثنا عبدالله بن الحسن، حدثنا عبد الملك بن قريب الأصمعي، حدَّثنا كرام بن مسعر بن كرام، عن أبيه، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«نحن بني عبد المطلب سادات أهل الجنَّة: أنا؛ وعليّ؛ وحمزة؛ وجعفر؛ والحسن؛ والحسين؛ والمهدي».

٦٥ـ قال (جزاه اللّه عني خيراً): ومما سمعته في «المفاريد»، بإسنادي عن عليّ؛ وابن عبّاس قالا: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: النجوم أمان لأهلِ السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذَهبَ أهلُ بيتي ذهب أهلُ الأرض».

٦٦ـ قال (جزاه اللّه عني خيراً): أخبرني الحسين بن أحمد، اخبرنا أحمد بن عبدالله الحافظ، حدَّثنا محمَّد بن احمد، حدّثنا يحيى بن محمد الحناني، حدثنا عثمان بن عبدالله القرشي، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لعلي: «ياعلي! ادنُ مني وضع خمسك في خمسي، ياعليّ! خلقت أنا وأنت من شجرة: أنا أصلها؛ وأنتَ فرعها، والحسن والحسين أغصانها، مَنْ تعلَّق بغصن منها أدخله الله الجنَّة».

٦٧ـ قال (جزاه اللّه عنِّي خيراً): وأخبرنا أبو عليّ، أخبرنا أبو نعيم، أخبرنا الطبراني، عن أحمد بن محمَّد القنطري، بإسناده إلى أبي رافع قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «ياعليُّ! أوَّل مَن يدخلُ الجنَّة أربعة: أنا؛ وأنتَ؛ والحسن؛ والحسين؛ وذرارينا خلف ظهورنا؛ وأزواجنا خلف ذرارينا؛ وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا».

٦٨ـ قال (جزاه اللّه عني خيراً): وأخبرنا أبو الفتح بن عبدالله ـ كتابة ـ أخبرنا المفضل الجعفري، حدّثنا أبو بكر بن مردويه، حدثنا محمَّد بن عبدالله ابن سعيد، حدّثنا عبدالله بن أحمد بن عامر، حدثني أبي أحمد بن عامر الطائي، حدَّثني عليّ بن موسى، حدَّثني أبي موسى بن جعفر، حدَّثني أبي جعفر بن محمد، حدّثني أبي محمَّد بن عليّ، حدَّثني أبي عليّ بن الحسين،

حدّثني أبي الحسين، حدَّثني أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ياعلي! أُعطيتَ ثلاث خصال، فقلتُ: فداك أبي وأُمي! ما أُعطيت؟ قال: أعطيت صهراً مثلي، وأُعطيت زوجة مثل فاطمة، وأُعطيت ولدين مثل الحسن والحسن صلوات الله عليهم أجمعين».

وسمعت هذا الحديث في «الصحيفة» من طريق ابن الزاغوني.

٦٩ـ قال (جزاه الله عنِّي خيراً): وأخبرنا أبو الفتح هذا ـ كتابة ـ، حدَّثنا أبو طاهر الحسين بن عليّ بن سلمة من «مسند» زيد بن علي عليه السلام، حدَّثنا الفضل بن الفضل بن عبّاس، حدّثنا محمَّد بن سهل، حدّثنا عبدالله ابن محمَّد البلوي، حدَّثني إبراهيم بن عبيد الله، حدَّثني أبي، عن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن أبيه، عن جدِّه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده، لا تفارق روحٌ جَسَدَ صاحِبها حتّى يأكل من ثمر الجنَّة، أو من شجر الزقوم، وحتّى يرى ملك الموت، ويراني؛ ويرى عليّاً؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين؛ فإن كانَ يحبُّنا، قلت: ياملك الموت! ارفق به، فإنه كان يحبُّني وأهلَ بيتي، وإن كان يبغضني ويبغض أهل بيتي، قلت: ياملكَ الموت! شدد عليه، فإنَّه كانَ يبغضني ويبغض أهل بيتي، لا يحبُّنا إلاّ مؤمن، ولا يبغضنا إلاّ منافق شقيّ».

٧٠ـ قال (جزاه الله عنِّي خيراً): وأخبرني والدي، حدَّثنا أبو بكر محمّد بن إبراهيم الإمام، أخبرنا قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبّار بن أحمد الأسدآبادي، حدّثنا أبو حاتم أحمد بن الحسن بن هارون ـ بالرَّي ـ، حدّثنا عبدالله بن محمّد البغدادي، حدّثنا محمّد بن سهل مولىٰ عمر بن عبدالعزيز، حدّثنا عمرو بن عبد الجبار، عن أبيه، عن موسى بن جعفر، عن

أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ عليه السلام: «أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان إذا عطس، قال له عليّ: أعلى اللّه ذكركَ يارسول اللّه! وإذا عطسَ عليّ عليه السلام قال له رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أعلى اللّه عقبك ياعلي».

٧١ـ قال (جزاه اللّه عني خيراً): وأخبرني والدي، أخبرنا أبو الفتح إسماعيل بن عثمان ـ ببروجرد ـ، أخبرنا أبو الفرج الحسن بن عليّ التميمي ـبالكرج ـ، حدّثنا أبو يعقوب يوسف بن مكي الزنجاني ـ بهمدان في الجامع ـ، حدَّثنا أبو بكر محمَّد بن سلمان ـ ببغداد ـ، قال: قرئ على هلال ابن العلاء الرقي ـ وأنا أسمع ـ، حدَّثني أبي، عن الدراوردي، عن مكحول، عن محمّد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله الانصاري قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «اهتدوا بالشَّمس، فإذا غابت الشَّمسُ فاهتدوا بالقمر، فإذا غابَ القمرُ فاهتدوا بالزهرة، فإذا غابت الزهرة فاهتدوا بالفرقدين»، فقيل: يارسول اللّه! ما الشمس؟ وما القمر؟ وما الزهرة؟ وما الفرقدان؟ قال: «الشمسُ أنا؛ والقمرُ عليّ؛ والزهرةُ فاطمة؛ والفرقدان الحسن والحسين».

٧٢ـ أخبرنا شهاب الإسلام أبو النجيب سعد بن عبدالله الهمداني ـفيما كتب إلي من أصبهان ـ، حدَّثنا الحافظ أبو بكر بن مردويه، حدَّثنا محمَّد بن عبد اللّه، حدثنا أحمد بن خالد، حدَّثنا يحيى بن هاشم، حدّثنا زياد بن المنذر، عن الأصبغ بن نباتة، عن عليّ عليه السلام قال: «إنَّ لكل شيء ذروة، وأنَّ ذروة الجنان الفردوس في بطنان العرش، فيها قصران من لؤلؤتين: واحدة بيضاء، وواحدة صفراء، وأنَّ في البيضاء: لسبعين ألف قصر ـ مسكن محمَّد وآل محمَّد ـ، وأنَّ في الصفراء: لسبعين ألف قصر

ـ مسكن إبراهيم وآل إبراهيم ـ، فإذا صلَّيتُم على محمَّد وآل محمّد، فصلّوا على إبراهيم وآل إبراهيم.

٧٣ـ وبهذا الإسناد، عن أبي بكر بن مردويه، حدثنا سليمان بن أحمد، حدَّثنا محمَّد بن عبدالله الحضرمي، حدَّثنا جندل بن والق، حدثنا محمّد بن حبيب، عن إبراهيم بن حسن، عن زياد بن المنذر، عن عبد الرحمن بن مسعود، عن عويم، عن سلمان قال: انزلوا آل محمَّد بمنزلة الرأس مِنَ الجسد، وبمنزلة العين من الرأس، فإنَّ الجسد لا يهتدي إلاّ بالرأس، وان الرأس لا يهتدي إلا بالعين».

٧٤ـ أخبرنا الإمام الزاهد برهان الدين أبو الحسن علي بن الحسن الغزنوي ـ بمدينة السَّلام في داره سلخ ربيع الأول مِن سنة أربع وأربعين وخمسمائة ـ، أخبرنا الشيخ الإمام أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث السمرقندي، وأخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي ـ في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ـ، أخبرنا أبو القاسم حمزة ابن يوسف السهمي الرَّجل الصالح، أخبرنا أبو أحمد عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمَّد الحافظ، أخبرنا أبو عليّ الحسين بن عفير بن حماد بن زياد العطار ـ بمصر ـ، حدَّثنا أبو يعقوب يوسف بن عدي بن رزيق بن إسماعيل الكوفي التميمي، حدَّثنا جرير بن عبد الحميد الضبّي، حدَّثني سليمان بن مهران الأعمش في ـ حديث طويل ـ، وهو «حديث الحنوط والكفن»، كتبنا منه ما هو اللائق بهذا الباب.

قال: حدّثنا أمير المؤمنين المنصور أبو جعفر، قال: حدّثني والدي، عن أبيه، عن جدِّه، قال: كنتُ ذات يوم جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبلت فاطمة ـ بنته ـ عليها السلام، فدخلت عليه فقالت: «ياأبة! إن الحسن والحسين

خرجا مِن عندي آنفاً، وما أدري أين هما؟ فَقَد طارَ عقلي، وَقَلقَ فؤادي، وَقَل صَبري»، وبكت وشهقت حتّى علا بكاؤها، فرحمها ورقّ لها، وقال: «لا تبكي، يافاطمة! فوالذي نفسي بيده، إنَّ الذي خلقهما هو الطف بهما منك، وأرحم بصغرهما منك».

ثُم قامَ من ساعته، ورفعَ يديه إلى السماء، وقال «اللّهمَّ! إنَّهما ولداي وقرَّة عيني، وثمرة فؤادي، وأنتَ أرحمُ بهما وأعلم بموضعهما، يالطيف! بلطفك الخفي، أنتَ عالم الغيب والشهادة، اللّهمَّ! إن كانا أخذا براً وبحراً فاحفظهما وسلِّمهما حيثما كانا، وحيثما توجَّها».

فما استتم رسول اللّه دعاءه، حتّى هبط جبرئيل مِنَ السماء، ومعه عظماء الملائكة وهم يؤمِّنونَ على دعاء النبيِّ، فقال جبرئيل: ياحبيبي! يامحمد! لا تحزن، ولا تغتم، وابشر فإنَّ ولديك فاضلان في الدُّنيا، وفاضلان في الآخرة، وأبوهما خير منهما، وهما نائمان في حظيرة ـ بني النجار ـ قد وكل اللّه بهما ملكاً يحفظهما، فلما قال جبرئيل ذلك، سرى عنه، وقام ومعه أصحابه، وَهوَ فَرِح حتّى أتوا حظيرة ـ بني النجار ـ، فإذا الحسن والحسين نائمان، وإذا الحسين معانق للحسن، وإذا الملك الموكل قد وضع أحد جناحيه في الأرض، وطاء تحتهما يقيهما من حرِّ الأرض، وجللهما بالجناح الآخر، غطاء يقيهما حرَّ الشمس، فانكبَّ عليهما النبيُّ صلى الله عليه وآله يقبلهما واحداً فواحداً، ويمسحهما بيده حتّى أيقظهما مِن نومهما، فلما أيقظهما حَمَلَ النبيُّ الحسن على عاتقه، وحملَ جبرئيل الحسين على ريشة مِن جناحه، حتّى خرجا بهما من الحظيرة، والنبيُّ صلى الله عليه وآله يقول: «واللّه لأشرّفنكما اليوم كما شرّفكما اللّه تعالى في سماواته».

فبينما النبيّ وجبرائيل يمشيان حاملين لهما، وقد تمثَّل جبرائيل ـ بدحية

الكلبي ـ، إذْ أقبل ابو بكر، فقال: يارسول اللّه! ناولني أحد الصبيين أُخفف عَنكَ أوعن صاحِبكَ، وأنا أحفظه حتى أُوديه إليك، فقال له: «لا، ياأبا بكر! دعهما، فَنِعم الحاملان نحن، ونعمَ الراكبانِ هما، وأبوهما خير منهما».

فجاءا يحملانهما وأبو بكر معهما حتّى أتوا بهما الى ـ مسجد المدينة ـ، وأقبل بلال، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «هلم، يابلال! ونادِ في النّاس واجمعهم لي في المسجد». فلمّا اجتمعوا قام على قدميه، وخطبَ النّاسَ بخطبة أبلغَ فيها، حمد اللّه وأثنى عليه بما هو أهله ومستحقه.

ثم قال: «يامعشر المسلمين! هل أُدلكم على خير النّاس جدّاً وجدة»؟ قالوا: بلى، يارسول اللّه! قال: «عليكم بالحسن والحسين، فإن جدَّهما محمَّد؛ وجدتهما خديجة بنت خويلد: سيِّدة نساء أهل الجنة، وأوّل من سارعت الى تصديق ما أنزل اللّه على نبيه محمَّد، وإلى الايمان باللّه وبرسوله، يامعشر المسلمين! هل أُدلكم على خير النّاس أباً وأُماً»؟ قالوا: بلى، يارسول اللّه! قال: «عليكم بالحسن والحسين، فإنَّ أباهما عليّ بن أبي طالب: يحبُّ اللّه ورسوله، ويحبه اللّه ورسوله، وأُمّهما فاطمة بنت رسول اللّه شرّفها اللّه في سماواته وأرضه».

ثُمّ قال: «يامعشر المسلمين! هل أُدلكم على خير النّاس خالا وخالة»؟، قالوا: بلى، يارسول اللّه! قال: «عليكم بالحسن والحسين، فإنَّ خالهما القاسم بن رسول اللّه، وخالتهما زينب بنت رسول اللّه»، ثُمَّ قال: «يامعشر المسلمين! هل أُدلكم على خير الناس عمّاً وعمّة»؟ قالوا: بلى، يارسول اللّه! قال: «عليكم بالحسن والحسين، فإنَّ عمهما جعفر ذو الجناحين: الطيار مع الملائكة في الجنَّة؛ وعمتهما أُم هانئ بنت أبي طالب»، ثم قال: «اللّهمَّ! إنكَ تعلم أنّ الحسن والحسين في الجنَّة؛ وجدَّهما في الجنَّة؛

وجدتهما في الجنّة؛ وأباهما في الجنّة؛ وأمهما في الجنّة؛ وخالهما في الجنّة؛ وخالتهما في الجنّة؛ وعمهما في الجنّة؛ وعمتهما في الجنّة؛ وَمن يحبُّهما في الجنّة؛ وَمن يبغضهما في النّار».

٧٥ـ وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الدَّيلمي ـ فيما كتبَ إليَّ مِنْ همدان ـ، حدثنا الرئيس أبو الفتح بن عبدالله الهمداني ـ كتابة ـ، حدثنا الإمام عبدالله بن عبدان، حدّثنا أبو عبدالله نافع بن عليّ، حدثنا علي بن إبراهيم القطّان، حدثنا أحمد بن حمَّاد الكوفي، حدثنا محمَّد بن زيدان الهاشمي، حدثنا عبدالله بن عبد الرحمن الموصلي، حدثنا محمَّد بن يوسف الفريابي، عن سفيان بن سعيد الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿**مرج البحرين يلتقيان**﴾الرحمن/١٩، قال: عليّ وفاطمة، ﴿**بينهما برزخ لا يبغيان**﴾الرحمن/ ٢٠ قال: ودّ لا يتباغضان ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾الرحمن/٢٢ قال: الحسن والحسين.

٧٦ـ وأخبرني المبارك بن محمَّد السقطي ـ بقراءتي عليه بدير العاقول ـ، حدثنا أبو بكر محمَّد بن عبدالله ـ ببغداد ـ، حدثنا محمَّد بن إسماعيل السلمي، حدثنا أصبغ بن الفرج، حدّثنا عبدالله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحرث: أنَّ بكر بن سوادة حدَّثه، عن عبد الرَّحمن بن جبير بن نفير، عن عبدالله بن عمر، قال: دخل الحسن والحسين على ـ عائشة ـ، وعليها خمارها، فشقته نصفين: ووشحت الحسن بأحدهما؛ والحسين بالآخر، ودفعت إليهما ديناراً، فانطلقا إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال لهما «ياولديّ من برّكما بهذا؟» قالا: «دفعته إلينا أمنا عائشة»، فقال رسول الله: «صدقتما، هي أُمكما وأُم أُمكما برَّ الله مَنْ برّكما، وقطع مَن قطعكما، ووصل من وصلكما».

قال: في روايتي في «فضائل الصحابة»، عن مسروق، عن عائشة، أنها قالت: فواللّه، ما صنعت وما سمعت من رسول اللّه ﷺ أحبّ. قال احسب قالت: أحب إليّ من الدنيا وما فيها.

٧٧ـ وأخبرني الشيخ الإمام سيف الدين أبو جعفر محمَّد بن عمر ـ كتابة ـ، أخبرنا الإمام زيد بن الحسين البيهقي، أخبرنا النقيب عليّ بن محمَّد الحسني، أخبرنا السيد الإمام أبو جعفر محمَّد بن جعفر الحسيني، أخبرنا السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الحسني، حدثنا أحمد بن محمَّد البغدادي، حدَّثنا عبد العزيز بن إسحاق، حدثنا علي بن محمَّد النخعي، حدثني سليمان بن إبراهيم، حدثني نصر بن مزاحم، حدَّثني إبراهيم بن الزبرقان، حدَّثنا أبو خالد الواسطي، حدَّثني زيد بن عليّ، عن أبيه، عن جدِّه الحسين، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «لمّا ثقل رسول الله ﷺ في مرضه والبيت غاصّ بمن فيه قال: «ادعوا لي ـ الحسن والحسين ـ، فجاءا فجعل يلثمهما حتّى أُغمي عليه، فجعل عليّ يرفعهما عن وجه رسول اللّه، ففتح عينيه وقال: دعهما يتمتعا مني وأتمتَّعُ منهما، فستصيبهما بعدي أثرة.

ثُمَّ قال: أيها النّاس! قد خلَّفتُ فيكم: كتاب اللّه؛ وسنتي؛ وعترتي أهل بيتي، فالمضيع لكتاب اللّه تعالى كالمضيع لسنَّتي، والمضيع لسنَّتي كالمضيع لعترتي، أما إنَّ ذلك لن يفترق حتّى اللقاء على الحوض».

٧٧ـ وروى يزيد بن ابي حبيب؛ والحرث بن يزيد؛ وابن هبيرة، قالوا: اجتمعَ عند معاوية: عمرو بن العاص؛ وعتبة بن أبي سفيان؛ والوليد بن عقبة؛ والمغيرة بن شعبة؛ فقالوا لمعاوية: أرسلنا إلى الحسن لنسبَّ أباه ونصغره بذلك؟ فقال: إني أخاف أن لا تنتصروا منه، واعلموا أنِّي إن أرسلت إليه أمرتُهُ ان يتكلم كما تتكلَّمون، قالوا: افعل، فواللّه،

لنخزينه اليوم.

فارسل إليه يدعوه، والحسن لا يدري لما دعاه، فلمّا قعد، تكلّم معاوية فقال: إنّي لم ادعكَ، ولكن هؤلاء أزعجوني حتّى ارسلت إليكَ وهم دعوكَ ليخبروك: إنَّ ـ عثمان ـ قُتِلَ مظلوماً، وإنَّ اباكَ قتلهُ، فاسمع منهم، ثم اجبهم، ولا تمنعكَ هيبتي ان تجيبهم بلسانك كلّه.

فقال له الحسن: الا اعلمتني حتّى اجيء بعدَّتهم من بني عبدالمطلب وما بي ان اكونَ مستوحشاً إلى احد، فإنَّ اللّه لمعي اليوم، وفيما قَبلَ اليوم، وفيما بعده، فليتكلّموا اسمع منهم».

فتكلم ـ عمرو بن العاص ـ، فقال: إنكم ـ بني عبد المطلب ـ لم يكن اللّه ليعطيكم الملكَ: بقتلكم الخلفاء، واستحلالكم ما حرَّم اللّه مِنَ الدماء، انتَ ياحسن! تحدِّث نفسكَ ان تكونَ أمير المؤمنين، وليس عندكَ عقل ذلك، ولا رايه، فكيفَ تراك سلبته؟ وتركتَ احمقَ قريش، وذلك من سوء عمل ابيك، فإنا دعوناك لنسبَّك وأباكَ، ثُمَّ لا ترد علينا شيئاً مما نقول، فإن كُنتَ تراني كذبتُ فردَّ عليّ وإلا فاعلم بأنَّكَ وأباك من شرِّ خلق اللّه ـ فقضى خطبته ـ.

ثم تكلَّم ـ عتبة بن ابي سفيان ـ فقال: إنكم ـ بني عبد المطلب ـ قتلة عثمان، فواللّه، إنَّ لنا فيكم دم عثمان، وإنَّ في الحق ان نقتلك به، فأما ابوكَ فقد تفرَّد اللّه به، وكفانا إياه، وأما أنتَ، فواللّه، ما علينا إن قتلناكَ ـ بعثمان ـ حرج ولا إثم ـ فقضى خطبته ـ.

ثم تكلَّم الوليد بن عقبة فقال: أنتم ـ بني عبد المطلب ـ كنتم أخوال عثمان، فنعمَ الولدُ كان لكم، وكنتم أصهاره، فنعم الصهر كان لكم، يعطيكم حقكم، ثمَّ كنتم اوَّل مَن حنق عليه وحسده، وكنتم قتلته، فكيف

ترون اللّه طالب دمه ـ فقضى خطبته ـ.

ثم تكلم ـ المغيرة بن شعبة ـ، فقال: إنَّ علياً ناصب رسول اللّه صلى الله عليه وآله في حياته، وأجلب عليه قبل موته، وأراد قتله، فعلم ذلك مِن أمره رسول اللّه، ثمَّ كَرِهَ ان يبايع ـ أبا بكر ـ حتَّى أتى به قوداً، ثم نازعَ ـ عمر ـ حتّى هم أن يضربَ عنقه، ثم طعن على ـ عثمان ـ حتّى قتله، وقد جعل اللّه سلطاناً لولي المقتول في كتابه المنزَّل، فمعاوية وليُّ المقتول بغير حق، فلو قتلناكَ وأخاك كان مِنَ الحقِّ، فواللّه ما ـ دم ولد عليّ ـ عندنا بخير من ـ دم عثمان ـ، وما كان اللّه ليجمع فيكم الملكَ معَ النبوَّة ـ فقضى خطبته ـ.

فتكلَّم ـ الحسن بن عليّ ـ، فقال: «الحمدُ للّه الذي هدى أوَّلكم بأوَّلنا، وآخركم بآخرنا، اسمعو مني مقالتي، وأعيروني فهمكم، وَبكَ أبدأ يامعاوية! فواللّه، ما هؤلاء سبُّوني؟ ولكنَّكَ يامعاوية! سببتني فحشاً، وخلقاً سيئاً، وبغياً علينا، وعداوة لمحمَّد صلى الله عليه وآله ولاهل بيته عليهم السلام قديماً وحديثاً، وايمُ اللّه، لو أني وإياهم في مسجد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وحولنا أهل المدينة، ما استطاعوا أن يتكلَّموا بما تكلموا به.

ولكن بِكَ يامعاوية! أبدأ، فاسمع مني، وليسمع الملأ، فاسمعوا أيُّها الملأ: ولا تكتموا حقاً علمتوه، ولا تصدِّقوا باطلاً إن نطقت به، أُنشدكم اللّه، هل تعلمونَ انَّ الرجل الذي تشتمونه صلّى القبلتين كلتيهما، وأنت يامعاوية! كافر بهما تراهما ضلالاً، وتعبد اللاتَ والعزى، وبايعَ البيعتين كلتيهما ـ بيعة الفتح وبيعة الرضوان ـ، وأنت يامعاوية بالأولى كافر، وبالثانية ناكث.

ثم أُنشدكم اللّه، هل تعلمون، انَّ نبي اللّه صلى الله عليه وآله لعنكم يوم «بدر» ومع عليّ راية النبيِّ والمؤمنين، ولعنكم يوم «الاحزاب» ومع علي راية النبي

والمؤمنين، وَمعكَ يامعاوية! راية المشركين من ـ بني أُميّة ـ؟ فعليٌّ بذلك يفلج اللّه حجته، ويحقُّ اللّه دعوته، وينصر دينه، ويصدق حديثه، وعليّ بذلك رسول اللّه راضٍ عنه والمسلمون عنه راضون.

ثُمَّ أنشدكم اللّه، هل تعلمون أنَّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله حاصر ـ أهل خيبر ـ فبعث ـ عمر بن الخطاب ـ براية المهاجرين؛ وبعث ـ سعد بن معاذ ـ براية الأنصار؟ فأما سعد فجيء به جريحاً، وأما عمر فجاء يجبن أصحابه حتّى قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّه اللّه ورسوله؛ ويحبُّ اللّه ورسوله، ثمَّ لا ينثني حتّى يفتح اللّه له إن شاء اللّه، فتعرَّض لها: ابوبكر؛ وعمر؛ ومن ثمَّ المهاجرين والأنصار، وعليّ يومئذ أرمد شديد الرَّمد، فدعاه رسول اللّه فتفل في عينيه وأعطاه الراية، وقال: اللّهمَّ! قه الحرَّ والبردَ، فلم ينثنِ حتّى فتح اللّه له، واستنزلهم على حُكم اللّه، وحكم رسوله، وأنت يومئذ يامعاوية! مشرك بمكة عدوٌّ للّه ولرسوله.

ثم أُنشدكم اللّه، هل تعلمون أنَّ علياً ممن حرّم الشهوات من أصحاب محمَّد صلى الله عليه وآله فانزل اللّه فيه: ﴿**ياايها الَّذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ اللّه لكم**﴾المائدة/٨٧، وأمَّا أنتَ يامعاوية! فلا أذكر لك إلا حقّاً قد علمته، وعلمه أصحابكَ الَّذين حَولك، إنَّكَ كنتَ ذات يوم تسوق بابيك، ويقود به أخوك ـ هذا القاعد ـ وهو على جملٍ احمر بعدما عمي أبو سفيان، فلعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله الجمل؛ وراكبه؛ وقائده؛ وسائقه؛ وكان أبوك الراكب؛ وأخوك القائد؛ وأنتَ السائق.

ثُم أُنشدكم اللّه، هل تعلمون أنَّ معاوية كان يكتب بين يدي رسول اللّه فارسل إليه ذات يوم ليكتب إلى ـ بني خليد ـ، فقالوا: إنَّه يأكل، فقال: لا اشبعَ اللّه بَطنهُ؟ وأُنشدكَ اللّه يامعاوية! هل تعرف تلك الدعوة في أكلك،

ونهمتك، ورغبتك؟ ثُمَّ أُنشدكم اللّه، هل تعلمون أنَّ رسول اللّه ﷺ لعن أبا سفيان في سبعة مواطن:

أولهن: يوم خرج إلى المدينة فلعنه.

والثانية: يوم العير حين طردها ليحرزها من رسول اللّه.

والثالثة: يوم أُحد إذْ قال: (اعلِ هُبَل اعلِ هُبل) فقال رسول اللّه: اللّه أعلى وأجل، فقال: (إنَّ لنا عزّى ولا عزى لكم)، فقال رسول اللّه: اللّه مولانا ولا مولى لكم، فلعنه اللّه يومئذ ورسوله والمؤمنون.

والرابعة: يوم الأحزاب حين جاء أبو سفيان بجميع قريش، فانزل اللّه آيتين في ـ سورة الأحزاب ـ كل آية منها يسمّي ـ أبا سفيان وأصحابه ـ: الذين كفروا.

والخامسة: يوم الهدي معكوفاً أن يبلغ محلّه، إذ رددتم رسول اللّه ﷺ أنتَ ومشركو قريش عن المسجد الحرام، فرجع لم يقضِ نسكه، ولَم يطف بالبيت.

والسادسة: يوم جاء أبو سفيان بجميع قريش؛ وعيينة بن حصن بجميع غطفان، فلعن رسول اللّه ﷺ القادة والاتباع.

والسابعة: يوم حملوا على رسول اللّه ﷺ وهمُّوا به في «الثنية» وهم اثنا عشر رجلاً: سبعة من بني أُميَّة؛ وخمسة من سائر الناس، وقد كان من حقك يامعاوية! أن تستحي من كتابك إلى أبيك حين أرادَ أن يسلم وأنتَ كافر، فكتبت إليه:

ياصخر! لا تسلمن طوعاً فتفضحنا	بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
جدي وعمي وخال الأمِّ يالهم	قوماً وحنظلة المهدي لنا الأرقا

لاتركننَّ إلى أمر تقلّدنا والراقصات به في مكة الخرقا
فالموت أيسر من قول الصباة لنا خلي معاونة العزى لنا فرقا

فهل تستطيع يامعاوية! انْ تردَّ شيئاً مما قلت.

وأما أنتَ ياعمرو بن العاص! فما أحسبك إلاّ لزنية، احتج فيها ـ خمسة من قريش ـ كلُّهم يزعم: أنك ابنه، فغلبَ عليك جزار قريش، الأمهم حسباً؛ وأشرَّهم منصباً، وأعظمهم لعنة، ثُمَّ قُمتَ خطيباً فقلت: أنا شانئ محمَّد صلى الله عليه وآله، فأنزل الله عزوجلّ في «كتابه»: ﴿إنَّ شانئكَ هو الأبتر﴾الكوثر/٢.

ثمَّ هجوتَ نبي اللّه صلى الله عليه وآله بسبعين بيتاً، فقال: اللّهمَّ! إني لا احسن الشعر، فالعنه بكل بيت لعنة، ثُمَّ كنتَ في ـ أصحاب السفينة ـ الذين أتوا النجاشي يكذبون جعفراً عنده، فَكذبَكَ اللّهُ بغيظكَ، فأنتَ عدو ـ بني هاشم ـ في الجاهلية والإسلام، فَلَستُ ألومك على ذلك، ولا أُعاتبكَ عليه، وبعد فأنت القائل في مسيرك إلى النجاشي:

يقولون لي: أين هذا المسير وما السير مني بمستنكر
فقلت: دعوني فإني امرؤٌ أُريد النجاشي في جعفر
لأكويه عنده كيَّة أُقيم بها نخوة الأصعر
ولا أنثني عن بني هاشم بما استطعت في الغيب والمحضر

وأما أنت ياعتبة! فما أنتَ بحصيف فأُجيبكَ، ولا عاقل فأُعاتبكَ، وَما فيكَ مِن خيرٍ يرجى، ولا مِن شرّ يتقى، وما أنتَ وأُمك إلاّ سواء، فأما وعيدكَ لي بالقتل، أفلا قتلت الذي وجدته على فراشك وشركَكَ في عرسكَ، ولو كنتَ قاتلاً أحداً لقتلته، ثم أمسكتها عندك مِن بعد ما كان مِن بغيها ما كان، وواللّه، ما ألومكَ على سبِّك علياً؛ وقد قتل ـ خالك ـ مبارزة؛ واشترك هو وحمزة في قتل جدِّك فقتلاه.

وأما أنتَ يابن أبي معيط! فوالله، ماألومكَ إنْ سببتَ علياً، وقد جلدك في الخمر ثمانين، وحدَّك في الزنا مثلها، وقتل أباكَ صبراً بامر رسول الله ﷺ، وهو يقول لرسول الله، ولقريش: علام أُقتل؟ فقال له رسول الله: لعداوتك للّه ولرسوله، فقال: مَن للصبية؟ فقال: النّار، وقتل، فأنت من ـ صبية النّار ـ، وكيف تسبُّ علياً ومن حولكَ يعلمونَ أنَّ علياً مؤمن، وأنتَ كافر فاسق؟ وكيف تسبُّ رجلاً سمَّاه الله مؤمناً في عشر آيات، ورضي عنه في عشر آيات وسمّاك تعالى في «القرآن» فاسقاً؟ حتى قالَ فيكَ شاعرُ المسلمين وفيه، طبقاً لقول الله تعالى:

انزل الله في الكتاب علينا ... في عليٍّ وفي الوليد بيانا
فتبوا الوليد حادث فسق ... وعلي تبوّأ الإيمانا
ليس مَن كان مؤمناً عمرك الله ... كَمن كان فاسقاً خوّانا
سوف يدعى الوليد بعد قليل ... وعليّ إلى الجزاء عيانا
فعليّ يجزى هناك جنانا ... ووليد يجزى هناك هوانا

ثمَّ إنما أنتَ علج من ـ أهل صفورية ـ، وأُقسم بالله لأنت أكبر من أبيك الذي تدَّعي له.

وأمّا أنتَ يامغيرة! فإنما مثلك مثل البقة قالت للنخلة: استمسكي فإني أُريد أن أنزل عَنك؛ فقالت: والله، ما شعرت بوقوعك عليَّ، فكيفَ أهتم بنزولك عني، فقل لي: على أي الخصال تسبُّ علياً: لبعده من رسول الله ﷺ، أم لسوء بلائه في الإسلام، أم لرغبته في الدُّنيا، أم لجوره في الأحكام؟ فإن قلت بواحدة منهن، فقد كذبك الله ورسوله.

فامّا زعمكَ: أنَّ علياً قتلَ ـ عثمان ـ فلست من ذلك في شيء، وأمّا قولكَ: في الملكِ، فإنَّ الله تعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿وان أدري لعلّه فتنة لكم

ومتاع إلى حين﴾الانبياء/١١١، ويقول تعالى: ﴿وإذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾الآية. الاسراء/١٦».

ثمَّ إنَّه عليه السلام نفض رداءه وقام، فقال معاوية لأصحابه: ذوقوا وبالَ أمرِكم، فقالوا: واللّه، ما ذقنا مثل ما ذقت، فقال: ألم أقل لكم: إنكم لم تنتصروا مِنَ الرَّجل فلا أطعتموني إذْ نهيتكم، ولا انتصرتم إذْ فضحكم، واللّه، ما قام حتّى أظلم عليَّ البيت، وهممتُ أن أبطش به؛ فليس فيكم خير اليوم، ولا قبلَ اليوم، ولا بعده.

وسمع ـ مروان بن الحكم ـ ما لقي ـ معاوية ـ وأصحابه من ـ الحسن ـ، فأتى معاوية فوجد عنده عمراً؛ والوليد بن عقبة؛ وعمرو بن عثمان؛ وعتبة؛ والمغيرة؛ فسألهم عمَّا بلغه مِن أمر الحسن؟ فقالوا: قَد كانَ ذلك، فقال لهم مروان: أفلا أحضرتموني؟ فلو حضرت لسببته وأهل بيته سبّاً تتغنّى به الإماء والعبيد؟ فقالوا له: الآن لم يفتك شيء، لما يعلمون من ذرابة لسان مروان وفحش منطقه، فأرسل إليه معاوية، فأتى ـ الحسن ـ فجلسَ على السرير بين ـ معاوية وعمرو ـ فقال معاوية: ما أرسلت إليكَ، ولكن مروان أرسل إليكَ، فقال مروان: أنتَ، ياحسن! السّاب رجال قريش؟ فواللّه، لأسبَّنكَ وأباك وأهل بيتك سبّاً تتغنى به الإماء والعبيد؟

فقال الحسن: «الحمدُ للّه ما زادك اللّه يامروان! بما خوفت إلا طغياناً، كما قال اللّه عزَّوجلّ: ﴿ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً﴾الاسراء/٦٠، ألست أنتَ وذريتكَ يامروان! الشجرة الملعونة في القرآن الكريم؟ سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يلعنك ـ ثلاث مرات».

فكبَّر معاوية، وخرَّ ساجداً، وكانَ ذلك نصرة للحسن بن علي عليه السلام ثم قاموا وتفرقوا، ولبعض شعراء أهل البيت عليهم السلام فيهم من المدح:

إليكم كلُّ مَنقَبَة تؤولُ إذ ما قيل: جدّكم الرَّسولُ
وَفيكم كلُّ مكرمـةٍ تجلى إذا ما قيل: أُمكم البتول
فلا يبقى لمادحكم كلامٌ إذا تم الكلامُ فما يقولُ

٧٩ـ وذكر الشعبي: أن ـ عبدالله بن جعفر ـ دَخلَ على ـ معاوية ـ، وعنده ـ يزيد ـ، فجعل يزيد يعرض بعبدالله بن جعفر في كلامه، وينسبه إلى الإسراف، فقال عبدالله ليزيد: إني لأرفع نفسي عن جوابِكَ ولو كلَّمني صاحب السرير لأجبته.

فقال معاوية: كأنكَ تظنُ أنَّك أشرف منه؟ قال: أي واللّه، ومِنكَ ومِنْ أبيك وَجدِّكَ.

فقال معاوية: ماكنت أحسب أحداً في عصر ـ حرب ـ يزعمُ أنَّه أشرف منه!

فقال عبد اللّه: بلى، إنَّ أشرف من ـ حرب ـ من كفأ عليه إناءه، وأجاره إذ ألبسه رداءه.

فقال معاوية: صدقت ياأبا جعفر! وقضى حوائجه فخرج.

قال الشعبيُّ: ومعنى قول عبد اللّه: أشرف منه مَن كفا عليه إناءه، وأجاره إذ ألبسَهُ رداءه هو أنَّ ـ حرب بن أُميَّة ـ كان إذا كان في سفره، وعرضت له ثنية أو عقبة، تنحنح فلا تجوز النّاس حتّى يجوزها.

فجاء غلام من ـ بني تميم ـ ثمَّ من ـ بني أسد ـ، فقيل له: قف، حتّى يجوز ـ حرب ـ، قال: ومَن حرب؟ ثُمَّ تقدَّمه، ونظر إليه حرب، فتهدَّده وقال: سيمكنني اللّه منكَ إن دخلت مكة، ثمَّ إن ـ التميمي ـ بعد ذلك بدت له حاجة بمكة، فسال عن أعزِّ أهلِ مكة، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم، فخرجَ إليه وأناخَ راحلته ـ ببابه ـ، فقيل: ادخل الدار، فقال: ماأردتُ دونَ ـ

عبد المطلب ـ، فخرج إليه ـ الزبير بن عبد المطلب ـ، فقال: مالك؟ إن كُنتَ مستجيراً آجرناك، وإن كنتَ طالب قرى قريناك، فانشأ يقول:

لاقيت حرباً بالثنية مقبلاً والصبح أبلج ضوؤه للساري
فاصات بي: قف وانتمِ ليروعني ودعا بدعوة معلن بشعار
فتركته خلفي وجزت أمامهُ وكذا كنتُ أكون في الأسفار
فمضى يهدّدني الوعيدَ ببلدة فيها الزبير كَمثل لَيثٍ ضار
فتركته كالكلبِ ينبح حَولهُ وأتيت قِرمَ مكارم ونجار
ليثاً هزبراً يُستجار بقربه رَحِبَ المباءة مكرماً للجار
وحلفت بالبيت العتيق وركنه وبزمزم والحجر ذي الأستار
إنَّ الزبير لمانعي بمهنّدٍ عضب المهزَّةِ صارمٍ بتار

فقال الزبير: قد آجرتك، وأنا ابن عبد المطلب، فسر أمامي، فإنا ـ بني عبد المطلب ـ، إذا أجرنا رجلاً لم نتقدَّمه، فمضى بين يديه، والزبير في أثره فلقيه ـ حرب ـ، فقال: التميمي! وربّ الكعبة؟ ثم شدَّ عليه، فاخترط الزبير سيفه، ونادى في إخوته، فمضى حرب يسرع المشي، والزبير في أثره حتّى صار إلى دار عبد المطلب، فلقيه ـ عبد المطلب ـ خارجاً من الدار.

فقال: مهيم[1] ياحرب! فقال: ابنك الزبير، فقال: ادخل الدار، فدخل فكفا عليه جفنة ـ هاشم ـ التي كان يهشم فيها الثريد، وتلاحق ـ بنو عبد المطلب ـ بعضهم على أثر بعض، فَلم يجسروا أن يدخلوا دار عبد المطلب، فاحتبوا بحمائل سيوفهم، وجلسوا على الباب، فخرج ـ عبد المطلب ـ، فلما نظر إليهم سرَّه ما رأى منهم، ثمَّ دخل إلى حرب، فقال له: قم واخرج.

(١) مهيم كلمة بمعنى ما وراءك وهي وزان مريم والميم الثانية ساكنة.

فقال: ياأبا الحرث هربت مِن واحدٍ، وأخرجُ إلى عشرة؟ فقال: خذ ردائي هذا فالبسه، واخرج.

فلبسه وخرج، فرفعوا رؤوسهم فلمَّا نظروا إلى رداء أبيهم نكسوا رؤوسهم فمضى حرب. فذلك، معنى قوله: إن أشرف مِن حَرب مَن كفا عليه إناءه، وأجاره إذ ألبسه رداءه.

٨٠ـ وقال ـ معاوية ـ لعقيل بن أبي طالب: يابني هاشم! إني أرى فيكم خصلة ما تعجبني؟ قال: وما هي؟ قال: أرى فيكم ليناً، قال: أجل، والله، في غير ضعف، وعزاً في غير كبر، وأما أنتم يابني أُميَّة! فإن فيكم ليناً تحته غدر، وكبراً فيه كفر.

٨١ ـ قيل: كان ـ العبَّاس ـ الذي يسمَّى: السقَّاء ـ يوم كربلاء ـ، وزينب ـ ولدا عليّ عليه السلام ـ صغيرين، وكانا عند أبيهما: العبّاس عن يمينه؛ وزينب عن شماله، فالتفت إلى العبّاس، وقال: «قل: واحد» فقالها، فقال: «قل: اثنين» فقال: إني أستحي أن أقولَ اثنين باللسان الذي قلت به: واحد، فقبَّل ـ عليّ ـ عينيه.

والتفت إلى ـ زينب ـ، فقالت له زينب: ياأبتاه! أتحبنا؟ قال: «نعم، أولادنا أكبادنا»، فقالت: ياأبتاه! حبّانِ لا يجتمعانِ في قلب مؤمن: حبّ الله، وحبّ الأولاد، فإن كان لابدَّ فالشَفقة لنا، والحَبّ لله خالصاً، فازداد لهما حباً.

وقيل: بل القائل الحسين.

٨٢ ـ وقال الحسن: «مَنْ لم يعرف سوء ما اتينا[1]، كان شريك من أساء إلينا».

---

(١) لعله شرف ما اوتينا او يصرف سوء.

٨٣ ـ وجاء في «الآثار»: إنَّ جبرئيل كان يأتي إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله في صورة ـ دحية الكلبي ـ، فهبط إليه ذات يوم، وجلس عنده، إذْ دخلَ الحسن والحسين، فأدخلا أيديهما في كمّ جبرئيل، وكانا يظنان أنَّه دحية، فالتفت جبرئيل إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وسأله عن فعلهما؟ فقال: «اذا دَخلَ ـ دحية ـ وهما عندي، يدفع لهما تفاحتين، فلذلك أدخلا أيديهما في كمَّيك»، فرفع ـ جبرئيل ـ جناحه، وأخذَ مِن الفردوس تفاحتين، فدفعهما إلى ـ الحسن والحسين ـ إكراماً لهما منَ اللّه تعالى.

٨٤ ـ وروي: أنَّ الحسن بن علي عليهما السلام دخلَ على معاوية وهو مضطجع على سريره، فسلَّم عليه، فقام إليه وصافحه، ثُمَّ اضطجع فجلس الحسن عند رجليه، فقال: ياأبا محمَّد الا تعجب من أُم المؤمنين عائشة تزعم: اني لستُ أهلاً للخلافة.

فقال الحسن: «أوعجبتَ ممّا قالت»؟ قال: بلى، كلّ العجب، فقال الحسن: «فاعجب من ذلكَ جلوسي عند رجليكَ وأنتَ مضطجع»؟

فاستحى معاوية، وقام وأقبلَ عليه، ثم قال له: أقسمت عليكَ، كم عليكَ مِنَ الدَّين؟ قال له: «مائة ألف»، فقال: ياغلام! احمل معه ثلاثمائة ألف.

فلما خرج قال له ابنه يزيد: ياأبة! إنَّه استقبلك بكل مكروه وأعطيته ما أعطيته؟ فقال: يابنيَّ إنَّ الحقَّ، واللّه، حقَّهم وأخذناه، أفلا نردفهم يابني! على دابتهم التي ركبناها.

٨٥ ـ وروي في «المراسيل» أنَّ الحسن والحسين ـ كانا يكتبان، فقال الحسن للحسين: «خطي أحسن مِن خطِّك»، فقال الحسين: «بل، خطي أحسن». فقالا لأمهما ـ فاطمة ـ: «احكمي بيننا: مَن أحسن منّا خطاً»؟

فكرهت فاطمة أن تؤذي أحدهما بتفضيل خط أحدهما على الآخر، فقالت لهما: «سلا أباكما علياً» فسألاه فكره أن يؤذيَ أحدهما، فقال: «سلا جدَّكما»، فسألاه فقال ﷺ: «لا أحكم بينكما حتَّى أسأل جبرئيل»، فلمَّا جاء جبرئيل قال: لا أحكم بينهما، ولكن إسرافيل يحكم، فقال إسرافيل: لا أحكم بينهما ولكن أسأل اللّه تعالى أن يحكم بينهما.

فقال اللّه تعالى: «لا أحكم بينهما، ولكن أُمّهما فاطمة تحكم بينهما»، فقالت ـ فاطمة ـ: «أحكم بينهما، يارب!» وكانت لها قلادة فقالت: «أنا أنثر بينكما هذه القلادة، فَمن أخذ مِن جواهرها أكثر، فخطهُ أحسن»، فنثرتها وكان جبرئيل وقتئذٍ عند قائمة العرش، فأمره اللّه أنْ يهبطَ إلى الأرض، وينصف الجواهر بينهما، كيلا يتأذى أحدهما ففعل ذلك ـ جبرئيل ـ إكراماً لهما وتعظيماً.

فالعجب من أقوام (لعنهم اللّه تعالى) قتلوا أحدهما بالسم، والآخر بالسيف، وهما ذانك الرَّجلان، وللحسين في الفخر:

من كانَ يبأى بجدٍّ	فإنَّ جدي الرسول
أو كانَ يبأى بأُمٍّ	فإنَّ أمي البتول
أو كانَ يبأى بزور	فزورنا جبرئيل
فنحن لم نبأ إلاَّ	بما يُطاع الجليل

٨٦ ـ وروي أنَّ معاوية كتبَ إلى ـ مروان ـ، وهو عامله على المدينة أن يخطب ـ ليزيد ـ بنت عبدالله بن جعفر، على حكم أبيها في الصداق وقضاء دينه بالغاً ما بلغ، وعلى صلح الحيين ـ بني هاشم وبني أُميَّة ـ، فبعث مروان إلى عبدالله بن جعفر يخطب إليه، فقال عبد اللّه: انَّ أمر نسائنا إلى ـ الحسن ابن عليّ فاخطب إليه، فأتى مروان ـ الحسن ـ خاطباً، فقال له الحسن:

«اجمع من أردت»، فأرسل مروان فجمع الحيين بني هاشم وبني أُميَّة، وتكلَّم مروان فحمد اللّه وأثنى عليه ثمَّ قال:

أما بعد، فإنَّ أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أخطب زينب بنت عبدالله ابن جعفر ليزيد بن معاوية على حكم أبيها في الصداق، وقضاء دينه بالغاً ما بلغ، وعلى صلح الحيين بني هاشم وبني أُميَّة، ويزيد بن معاوية كفؤ من لا كفؤ له، ولعمري، لمن يغبطكم بيزيد أكثر ممن يغبط يزيد بكم، فيزيد ممن يستسقى بوجهه الغمام، ثم سكت.

فتكلَّم ـ الحسن ـ فحمد اللّه وأثنى عليه، ثُمَّ قال: «أما ما ذكرت مِن حكم أبيها في الصداق، فإنا لم نكن لنرغب عن سنة رسول اللّه صلى الله عليه وآله في أهله وبناته، وأما قضاء دين أبيها فمتى قضت نساؤنا بمهورهن ديون آبائهن؟! وأما صُلح الحيين: فنحن عاديناكم للّه وفي اللّه، فلا نصالحكم للدُّنيا، وأما قولك: يزيد كفؤ مَن لا كفؤ له، فأكفاؤه اليوم أكفاؤه بالأمس، لم يزده سلطانه، وأما قولك مَن يغبطنا بيزيد أكثر ممن يغبطه بنا، فإن كانت الخلافة قادت النبوَّة [1] فنحن المغبوطون، وإن كانت النبوَّة قادت الخلافة فهو المغبوط بنا، وأما قولك: إن الغمام يستسقى بوجه يزيد فإن ذلك لم يكن إلا لآل رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وقد رأينا أن نزوجها من ابن عمها ـ القاسم بن محمد ابن جعفر ـ وقد زوجتها منه، وجعلت مهرها ضيعتي الَّتي لي بالمدينة، وقد أعطاني بها معاوية عشرة آلاف دينار، ولها فيها غنى وكفاية».

فقال مروان: أغدراً يابني هاشم؟! فقال الحسن: «واحدةٌ بواحدة».

وكتبَ مروان بذلك الى معاوية، فقال معاوية: خطبنا إليهم فَلم يفعلوا، ولو خطبوا إلينا لما رددنا.

---

(١) كذا في الاصل فعليه يعني ان الخلافة تابعة للنبوة والنبوة قائدة لها إن صحت العبارة.

ولمنصور الفقيه (ره):

إذا فخرت بنو الإسلام يوماً على من ليس فيهم من رسول
قضيت لها كما اقضي عليها بأن خيارها ولد البتول

وللصاحب (رحمه اللّه):

لآل محمَّد أصبحتُ عبداً وآل محمَّد خير البريَّة
أُناس حلَّ فيهم كلُّ خيرٍ مواريث النبَوَّةِ والوصية

٨٧ ـ وروي أنَّ معاوية نظر إلى الحسن بن عليّ عليهما السلام وهو بالمدينة، وقد احتفَّ به خلقٌ من قريش يعظمونه، فتداخله حسد فدعا أبا الأسود الدؤلي؛ والضحاك بن قيس الفهري، فشاورهما في أمر ـ الحسن ـ والذي يهم به مِنَ الكلام.

فقال له أبو الأسود: رأي أمير المؤمنين أفضل، وأرى ألاّ يفعل، فإنَّ أمير المؤمنين لن يقول فيه قولاً إلا أنزله سامعوه منه به حسداً، ورفعوا به صعداً، والحسن ياأمير المؤمنين! معتدل شبابه، احضر ما هو كائن جوابه، فأخاف أن يردَّ عليك كلامك، بنوافذ تردع سهامك، فيقرع بذلك ظنبوبك ويبدي به عيوبك، فإذن كلامك فيه صار له فضلاً وعليك كلا، إلاّ أن تكون تعرف له عيباً في أدب، أو وقيعة في حسب، وأنَّه لهو المهذَّب، قد أصبح مِن صريح العرب، في عز لبابها، وكريم محتدها، وطيب عنصرها، فلا تفعل ياأمير المؤمنين!.

وقال الضحاك بن قيس الفهري: امض ياأمير المؤمنين! فيه برأيك، ولا تنصرف عنه بدائك، فإنَّكَ لو رميته بقوارص كلامك، ومحكم جوابك، لذلَّ لك كما يُذلُّ البعير الشارف مِنَ الإبل.

فقال: أفعل، وحضرت الجمعة فصعد معاوية على المنبر، فحمد اللّه

وأثنى عليه وصلّى على نبيه، وذكر عليّ بن أبي طالب فتنقصه.

ثم قال: أيها النّاس! إنَّ صبيةً مِن قريش، ذوي سفه وطيش، وتكدر من عيش، أتعبتهم المقادير، فاتخذ الشيطان رؤوسهم مقاعد وألسنتهم مبارد، فباض وفرخ في صدورهم، ودرج في نحورهم، فركب بهم الزلل، وزين لهم الخطل، وأعمى عليهم السبل، وأرشدهم الى البغي والعدوان، والزور والبهتان، فهم له شركاء وهو لهم قرين **﴿ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾**النساء/٣٨، وكفى لهم مؤدباً، والمستعان اللّه.

فوثب الحسنُ بن عليّ وأخذَ بعضادتي المنبر، فحمد اللّه وصلّى على نبيه، ثُمَّ قال: «أيها النّاس! من عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا الحسنُ بن عليّ بن أبي طالب، أنا ابن نبي اللّه، أنا ابن من جعلَت لهُ الأرض مسجداً وطهوراً، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول ربِّ العالمين، أنا ابن مَن بُعِثَ إلى الجنِ والإنس، أنا ابن مَن بُعِثَ رحمةً للعالمين».

فلما سمع كلامه معاوية غاظه منطقه، وأرادَ أن يقطع عليه، فقال: ياحسن! عليكَ بصفة الرطب، فقال الحسن: «الريحُ تلقحه، والحرُّ ينضجه، والليل يبرده ويطيبه، على رَغمِ أنفكَ يامعاوية»!

ثُمَّ أقبل على كلامه، فقال: «أنا ابن المستجاب للدَّعوة، انا ابن الشفيع المطاع، أنا ابنُ أوَّل من ينفضُ رأسه من التراب، ويقرع باب الجنَّة، أنا ابنُ مَن قاتلت الملائكة معه ولم تقاتل مع نبيّ قبله، أنا ابنُ مَن نصر على الأحزاب، أنا ابنُ مَن ذلَّ له قريش رغماً».

فقال معاوية: أما إنَّك تحدِّث نفسك بالخلافة ولست هناك.

فقال الحسن: «أمّا الخلافة فَلمن عَمِلَ بكتابِ اللّه وسنَّة نبيه، ليست

الخلافة لِمَن خالف كتاب اللّه وعطل السنَّة، انما مثل ذلك مثل رجل أصاب ملكاً فتمتع به، وكأنه انقطع عنه وبقيت تبعاته عليه».

فقال معاوية: مافي قريش رجل إلاّ ولنا عنده نعم جزيلة، ويد جميلة.

قال: «بلى، مَن تعززّت به بعد الذلَّة، وتكثرت به بعد القلَّة». فقال معاوية: مَن أولئك؟ ياحسن! قال: «مَن يُلهيكَ عن معرفته».

ثم قال الحسن: «أنا ابنُ مَن ساد قريش شاباً وكهلاً، أنا ابنُ مَن ساد الورى كرماً ونبلاً، أنا ابنُ مَن سادَ أهل الدنيا بالجود الصادق، والفرع الباسق، والفضل السابق، أنا ابنُ مَن رضاه رضى اللّه وسخطه سخطه، أفهل لك أن تساميه؟ يامعاوية»! فقال: أقول لا تصديقاً لقولك.

فقال له الحسن: «الحقُّ أبلَجٌ، والباطلُ لَجلجٌ، ولَم يندم مَن ركِبَ الحقَّ، وقد خابَ من ركِبَ الباطل ﴿والحقُّ يعرفه ذوو الألباب﴾».

ثُمَّ نزل معاوية، وأخذ بيد الحسن، وقال: لا مرحباً بمن ساءك.

٨٨ ـ وروي: انَّ أحد العلويين قال ـ ليحيى بن معاذ ـ: ما تقول فينا؟ قال: ماأقول في طينة عجنت بماء النبوَّة، وغرست بتربة الرِّسالة، فهل ينفح منها إلا أريج الندى، وعبير التقوى، فامرَ العلويُّ فملأ فَمهُ دراً.

٨٩ ـ وقيل: كان ـ للحسن بن علي عليه السلام ـ شاة تعجبه، فوجدها يوماً مكسورة الرِّجل، فقال للغلام: «من كسرَ رجلها»؟ قال: أنا، قال: «لم»؟ قال: لاغمنَّك، قال الحسن: «لأفرحنَّك، أنتَ حرٌ لوجه الله تبارك وتعالى». وفي رواية أخرى: قال: لاغمَّنَّ من أمرَكَ بغمي، يعني: أنَّ الشيطان امرَهُ أن يَغمه.

٩٠ـ وذكر «الجاحظ» ـ فصلاً طويلاً ـ في كتاب «الزرع والنخل» في ـ

مدح قريش وبني هاشم خاصة ـ، فمما قال في ـ بني هاشم ـ: العرب كالبدنة، وقريش روحها، وهاشم سرُّها ولبابها، وموضع غاية الدِّين منها، وهاشم ملح الأرض، وزينة الدُّنيا، وجبهة العالم، والسنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولباب كلِّ جوهر كريم، وسرّ كل عنصر شريف، والطينة البيضاء والمغرس المبارك، وهم الركن الوثيق، معدن الفهم، وينبوع العلم، وثهلان ذو الهضبات في الحلم، والسيف الحسام في العزم، مع الأناة والحزم، والصفح عن الجرم، والقصد بعدالمعرفة والمغفرة بعد القدرة، وهم الانف المقدم، والسنام الأكرم، والعز المشمخر والصيانة والسؤدد، كالماء الذي لا ينجسه شيء، وكالشَّمس لا تخفى بكلِّ مكان، وكالذهب لايُعرف بنقصان، وكالنجم للحيران، وكالماء البارد للظمآن.

منهم الثقلان؛ والأطيبان؛ والسبطان؛ والشهيدان؛ وأسد الله؛ وذو جناحيها وسيد الوادي؛ وساقي الحجيج؛ وسيد البطحاء؛ والحبر؛ والبحر؛ فالانصار أنصارهم؛ والمهاجرون مَن هاجرَ معهم؛ والصديق من صدَّقهم؛ والفاروق مَن فرَّق بينَ الحق والباطل بهم؛ والحواري حواريهم؛ ولا خير إلا فيهم أوْلهم أو معهم أوليهم، وكيفَ لا يكونون كذلك؟ ومنهم: رسول الله رب العالمين؛ وإمام الأولين والآخرين؛ ونخبة المرسلين؛ وخاتم النبيين، الذي لم تتم لنبيّ نبوَّة إلاّ بعد التصديق به، والبشارة بمجيئه، الَّذي عَمَّ برسالته مابين الخافقين، وأظهره الله على الدين كلّه ولو كره المشركون، وأقسم الله تعالى بحياته في القرآن فقال: ﴿لعمرك إنَّهم لفي سكرتهم يعمهون﴾الحجر/٧٢، وقال: ﴿وإنَّك لعلى خلق عَظيم﴾القلم/٤، فلا عظم أعظم ممّا عظم الله تعالى، ولا صغر أصغر ممّا صغره الله، ولا عظيم أعظم، ولا فخر، ولا أسنى، ولا أكبر، من ممدوح

مادحه اللّه، وناقل مديحه وراويه جبرئيل، والممدوح محمَّد، والمديح القرآن.

فَمن أفخر مِن قوم صاحب هذا النعت منهم؟ ومَن أفخر مِن عمِّه وبني عمِّه؟ وَمن ولده وولد ولده؟

٩١ـ وقيل: افتَخرَ رَجل من بني هاشم ورجلٌ مِن بني أُميَّة، فقال الأُموي للهاشمي: اذهب، فسل أهلكَ واذهب فاسأل أهلي، فأتى الأُمويُّ عشيرته، فسأل عشرة منهم فأمروا له بمائة ألف درهم، وأتى الهاشمي عبيداللّه بن عبّاس فأمر له بمائة ألف درهم، ثُمَّ أتى ـ الحسن ـ فأمر له بمائة وثلاثين ألف درهم، ثُم أتى ـ الحسين ـ فأمر له بمائة وعشرين ألف درهم، وقال: «لا أُساوي أخي في الفضل».

فجاء الأُموي بما أعطاه أهله، وجاء الهاشميُّ بما أعطاه ثلاثة مِن أهله، فغضب الأُموي فردَّها على أصحابها فقبلوها، وردَّها الهاشمي على أصحابها فلم يقبلوها، فكانت الأخيرة أشدّ على الأُموي مِن الأُولى.

٩٢ـ أخبرنا الإمام سيف الدين أبو جعفر الجمحي ـ كتابة ـ، أخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسين زيد بن الحسن بن عليّ البيهقي، أخبرنا السيد الإمام عليّ بن محمَّد الحسيني، حدثنا السيّد الإمام زين الإسلام أبو جعفر محمَّد بن جعفر بن عليّ الحسيني (ره)، أخبرنا محمَّد بن زيد الحسيني، حدَّثنا الناصر للحق الحسن بن عليّ، حدثنا بشر بن عبد الوهاب، حدَثنا عبيد اللّه بن موسى، حدَّثنا قطري الخشاب، عن مدرك بن راشد، قال: كُنا في حيطان لابن عبّاس فجاء الحسن والحسين عليهما السلام فطافا بالبستان، فقال الحسن: «أعندكَ غداء يامدرك»؟! فقلت له: طعام الغلمان، فجئته بخبز وملح جريش وطاقات بقل فأكلَ، ثُمَّ جيء بطعامه وكان كثير الطعام طيبه،

فقال: «يامدرك! اجمع غلمان البستان»، فجمعتهم فأكلوا، ولم يأكل، فقلت له: في ذلك، فقال: «ذاك كان عندي أشهى مِن هذا».

ثُمَّ توضأ ثم جيء له بدابته، فامسكَ ـ ابن عبّاس ـ له بالركاب وسوى عليه، ثُمَّ مضى فجيء بدابة ـ الحسين ـ فأمسك ـ ابن عباس ـ له بالركاب وسوى عليه، ثُمَّ مضى.

فقلت لابن عبّاس: أنتَ اسنُّ منهما، أفتمسك لهما؟ قال: يالكع! أما تدري مَن هذان؟ هذان ابنا رسول اللّه صلى الله عليه وآله، أوليس ممّا أنعمَ اللّه عليّ أن أمسكَ لهما وأسوي عليهما.

٩٣ـ أخبرنا الشيخ الإمام ركن الائمة عبد الحميد بن ميكائيل البراقعيني، حدَّثنا ابو يعقوب يوسف بن منصور السَّاوي ـ إملاءً ـ، حدثنا ابو محمَّد عبدالله بن محمد الأزدي، حدَّثنا سهل بن عثمان، حدثنا منصور ابن محمّد النسفي، حدثنا عبدالله بن عمرو البرزدي، حدَّثنا الحسن بن موسى، عن سعدان، عن مالك بن سليمان، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عائشة قالت: كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله جائعاً، لا يقدر على ما يأكل، فقال لي: «هات ردائي»؟ فقلتُ: اين تُريد؟ قال: «إلى فاطمة ابنتي فانظر إلى الحسن والحَسين، فيذهب ما بيَّ مِن جوع»، فخرج حتّى دخلَ على فاطمة، فقال: «يافاطمة! أين ابناي؟ فقالت: يارسول اللّه! خرجا مِنَ الجوع وهما يبكيان».

فخرج النبيُّ صلى الله عليه وآله في طلبهما، فرأى أبا الدرداء فقال: «ياعويمر! هل رأيت ابنيّ»؟ قال: نعمٍ، يارسولَ اللّه! هما نائمان تحتَ ظِل حائط ـ بني جدعان ـ، فانطلق النبيُّ فضمَّهما وهما يبكيان، وهو يمسح الدموع عنهما، فقال له أبو الدرداء: دعني أحملهما.

فقال: «ياأبا الدرداء! دعني أمسح الدموع عنهما، فوالذي بعثني نبياً، لو قطرت قطرة في الأرض لبقيت المجاعة في أُمَّتي إلى يوم القيامة»، ثُمَّ حملهما وهما يبكيان وهو يبكي.

فجاء جبرئيل، فقال: السَّلام عليكَ يامحمَّد!، ربّ العزَّة يقرؤك السَّلام ويقول: ما هذا الجزع؟ فقال: «ياجبرئيل! ما أبكي مِن جزع، بل أبكي مِن ذلّ الدّنيا»، فقال جبرئيل: إنَّ اللّه تعالى يقول: أيسرّك أن احوِّلَ لكَ ـ أُحداً ـ ذهباً، ولا ينقص لك ممّا عندي شيء؟ قال: «لا»، قال: «لم»؟ قال: «لأنَّ اللّه لمَ يحب الدُّنيا ولو أحبَّها لما جعل للكافر أكلة».

فقال جبرائيل: يامحمَّد! ادع بالجفنة المنكوسة التي في ناحية البيت، فدعا بها فلما حملت إذا فيها ثريد ولحم كثير، فقال: كل يامحمَّد! واطعم ابنيك وأهل بيتك، قال: فأكلوا وشبعوا، ثُمَّ أرسل بها إلى أبي بكر الصديق فأكلوا وشبعوا، وهي على حالها.

فقال أبو بكر: ماأعظم بركة هذه الجفنة! فرفعت عنهم، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «والذي بعثني بالحقّ، لو سكت لتداولها فقراء أُمتي إلى يوم القيامة.

٩٤ـ وأخبرنا الشيخ الإمام عبد الحميد هذا، حدَّثني الإمام الزاهد مسعود بن الحسين الكسائي ـ إملاءً ـ، حدَّثني الإمام أبو نصر أحمد بن المهذب، حدَّثني الفقيه أبو سهل عبد الكريم بن عبد الرَّحمن، حدَّثني القاضي أبو سعيد الخليل بن أحمد بن الخليل، حدَّثني أبو العبَّاس الثقفي، حدَّثني سعيد بن يحيى الأموي، حدَّثني أبو معاوية، حدَّثني إسماعيل؛ ومسلم، عن الحسن، عن أبي بكر قال: رايتُ ـ الحسن والحسين ـ يثبان على ظهر رسول اللّه صلى الله عليه وآله وهو يصلِّي، فيمسكهما بيده حتَّى يرفع صلبه،

ويقومان على الأرض، فلما انصرف أجلسهما في حجره، ومسح رأسيهما، ثمَّ قال: «إنَّ ابنيَّ هذين ريحانتاي مِنَ الدُّنيا، وهذا يعني: ـ الحسن ـ سيِّد، وأرجو أن يصلح اللّه به فئتين عظيمتين مِنَ المسلمين في آخر الزمان».

أخرج البخاري آخر الحديث وهو قوله صلى الله عليه وآله «إن ابني هذا سيد» بدون قوله: «في آخر الزمان».

٩٥ـ وأخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن عليّ بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والدي شيخ السنَّة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ محمَّد بن يعقوب، حدَّثنا الحسن بن عليّ، حدثنا زيد بن الحبَّاب، حدثني إسرائيل، عن ميسرة، عن المنهال، عن زرٍّ، عن حذيفة قال: قالت لي أُمي: متى عهدك بالنبيِّ صلى الله عليه وآله؟ قلتُ: مالي عهد به منذ كذا وكذا، فذهبت تنال مني، قلت: دعيني حتى أذهب إليه فلا أدعه حتَّى يستغفر لي ويستغفر لك، فأتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله فصليت معه المغرب، ثُمّ قام يصلي حتَّى صلى العشاء فخرج، فتبعته فإذا عارض قد عرض له، ثُمَّ خرج فتبعته.

فقال: «ياحذيفة! هل رأيت العارض الذي عرض لي»؟ قلت: نعم، قال: «ذلك ملك مِنَ الملائكة، استأذن ربَّه فسلَّم عليّ، وبشرني ـ بالحسن والحسين ـ: أنهما سيِّدا شباب أهل الجنَّة، وانَّ فاطمة سيِّدة نساء اهل الجنَّة».

فذكرت له حاجتي، فقال: «اللّهمَّ! اغفر لحذيفة ولأُمِّه»، قلت: ورويتُ ـ هذا الحديث ـ في فضائل فاطمة عليها السلام في ـ جامع أبي عيسى الترمذي ـ بالفاظ قريبة برواية ـ حذيفة ـ أيضاً.

٩٦ـ وذكر الثقة: انَّ مروان بن الحكم شتم الحسن بن علي عليهما السلام فلمَّا فرغ، قال الحسن: «إني، واللّه، لا امحو عنك شيئاً، ولكن موعدك اللّه،

فلئن كنتَ صادقاً فجزاك اللّه بصدقكَ، وإن كنتَ كاذباً فجزاكَ اللّه بكذبك، واللّه أشدُ نقمةً منّي».

٩٧ـ وقال رَجل مِن ـ أهل الشّام ـ قدمتُ المدينة بعد ـ صفين ـ، فرأيتُ رجلاً حضرنا، فسألت عنه، فقيل: الحسن بن عليّ، فحسدتُ عليّاً أن يكون له ابن مثله، فقلتُ له: أنتَ ابن أبي طالب؟ قال: «أنا ابن ابنه».

فقلت له: بكَ وبأبيكَ، فشتمته وشتمت أباه؟ وهو لايردّ شيئاً، فلمّا فرغت أقبل عليَّ، قال: «أظنّكَ غريباً، ولعلَّ لكَ حاجة، فلو استعنت بنا لأعناك، ولو سألتنا لأعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك».

قال الشَّامي: فولَّيت عنه، وما على الأرض أحد أحبّ إليَّ منه، فما فكرت بعد ذلك فيما صنع وفيما صنعت إلاّ تصاغرت إلى نفسي.

٩٨ـ وروي: أنَّ غلاماً ـ للحسن ـ جنى جناية توجب العقاب، فأمر به أن يضرَبَ، فقال: يامولاي! والعافين عن النَّاس، قال: «عفوتُ عَنكَ» قال: واللّه يحبُّ المحسنين، قال: «أنتَ حرّ لوجه اللّه، ولكَ ضعف ما أعطيتك».

٩٩ـ وروي: أنَّ الحسن والحسين ـ خرجا لحاجة لهما فجاعا وعطشا، فمرَّا بعجوزٍ في خباء لها، فقالا: «هل مِن شراب»؟ قالت: نعم، فأناخا عليها، وليس لها إلاّ شويهة.

فقالت: احلبوها، وامتذقوا لبنها، ففعلوا فقالا: «هل مِن طعام»؟ فقالت: لا، إلاّ عنزنا هذه فليذبحها أحدكم حتّى أصنع لكم، فذبحاها فشوت وأكلا وقالوا عندها حتّى أبردوا، ثم قالوا: «نحن نفر مِن قريش نريد هذا الوجه، فإذا انصرفنا سالمين فالمي بنا، فإنا صانعون بكِ خيراً»، ثُمَّ

انصرفا وأقبل زوجها، فقال: أين عنزنا؟ فأخبرته الخبر فضربها حتَّى شجها، وقال: تذبحين عنزي لاعبد لا تدرين عنهم، تقولين: نفر مِن قريش، حتى ألجأتهما الحاجة إلى المدينْ، فدخلت العجوز ومعها زوجها فأبصرها ـ الحسن ـ فعرفها فقال لها: «تعرفيني»، قالت: لا، فذكر لها العنز، فقالت: بأبي وأمي، فلأنتَ ذاك؟ قال: «نعم، أفما لقيتِ صاحبي»؟ قالت: لا، فأمرَ أن يشتري لها مِن شياه الصدقة ألف شاة، وأعطاها ألف دينار، وبعث بها مع رسول إلى ـ الحسين ـ، فسألَ عمَّا أعطاها ـ الحسن ـ، فأعطاها ألف شاة وألف دينار أيضاً.

١٠٠ـ وروي: أنَّ ـ مروان ـ قال يوماً لابن أبي عتيق وهو ـ محمَّد بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر ـ إني مشغوف ببغلة ـ الحسن بن علي ـ، فقال له: إن دفعتها إليكَ! أتقضي لي ثلاثين حاجة؟ قال: نعم، قال: فإذا اجتمع النّاس عندكَ العشية فإني آخذ في مناقب قريش، وأمسك عن ـ الحسن ـ، فلمني علي ذلك.

فلما أخذ القوم مجالسهم تلك العشيَّة أخذ في أوليَّة قريش، فقال له مروان: أولا تذكر مناقب أبي محمَّد، فله في هذا ماليس لأحد؟ فقال ابن أبي عتيق: إنَّا كنا في ذكر الأشراف، ولو كنَّا في ذكر الأنبياء لقدَّمنا أبا محمَّد.

فلما خرج ـ الحسن ـ ليركب بغلته تبعه ابن أبي عتيق، فقال له الحسن وتبسم: «ألكَ حاجة»؟ قال: نعم، هذه البغلة، فنزلَ عنها الحسن من ساعته، وقال: «هي لَكَ فخذها»، فأخذها.

١٠١ـ وقيل إنَّ معاوية قدم المدينة، وجلسَ للعطاء، فكان يعطي ما بين خمسين ألف الى مائة ألف، فأبطأ عليه الحسن، فلمَّا كان آخر النهار دخل

عليه، فقال معاوية: ابطأت علينا ياأبا محمَّد! لعلَّكَ أردتَ أن تبخلنا، ثم قال: اعطه، ياغلام! مثل ما أعطيتَ اليوم أجمع، ثُمَّ قال: خذها! ياأبا محمَّد، وأنا ابن هند. فقال الحسن: «لقد رددتها عليكَ، وأنا ابن فاطمة».

١٠٢ـ أخبرنا الحافظ صدر الحفاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني ـ إجازة ـ، أخبرنا عبد الخالد بن محمَّد اليوسفي، أخبرنا الحسن بن عليّ الجوهري، أخبرنا محمَّد بن العبّاس الخراز، أخبرنا أحمد بن معروف الخشاب، أخبرنا حسين بن محمَّد، أخبرنا محمَّد بن سعد، أخبرنا ابن عبيد هو ـ محمّد بن عبيد ـ، عن مجالد، عن الشعبي؛ وعن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه؛ وعن أبي السفر، وغيرهم، قالوا: بايع أهل العراق بعد عليّ عليه السلام ابنه الحسن، ثُمَّ قالوا له: سر إلى هؤلاء القوم الذين عصوا اللّه ورسولهُ، وارتكبوا العظيم، وابتزوا النّاس أمورهم، فإنا نرجو أن يُمكنَ اللّه منهم، فسار ـ الحسن ـ إلى ـ أهل الشَّام ـ، وجعل على مقدَّمته ـ قيس بن سعد بن عبادة ـ في إثني عشر ألفاً، وكان يسمّون: «شرطة الخميس»، وقال غيرهم: وجه إلى أهل الشَّام ـ عبيد اللّه بن عبَّاس ـ ومعه قيس بن سعد، حتّى نزلا «مسكن» و«الأنبار» وناحيتيهما، وسار ـ الحسن ـ فنزلَ «المدائن»، وأقبل ـ معاوية ـ في أهل الشام يُريد الحسن، حتّى نزل «جسر منبج» فبينا الحسن بالمدائن، إذ نادى منادٍ في عسكره: الا إن ـ قيس بن سعد ـ قد قُتل، قال: فاشتدَّ الناس على حَجزة الحسن، فانتهبوها حتّى انتهب فسطاطه وجواريه، وأخذوا رداءه مِن ظهره، وطعنه رجل مِن ـ بني أسد ـ، يقال له «ابن اقيصر» بخنجرٍ مسمومٍ في إليته، فتحوّل مِن مكانه الذي انتهب فيه متاعه، ونزل «الابيض» قصر كسرى وقال: «عليكم لعنة اللّه من أهل قرية، فقد علمتُ أن لاخيرَ فيكم، قتلتم ابي بالامس، واليوم تفعلون بي هذا».

ثمَّ دعا ـ عمرو بن سلمة الأرحبي ـ، وكتبَ معه إلى معاوية بن أبي سفيان، يسأله الصلح، ويسلم له الأمر، على أن يسلم له ثلاث خصال: يسلّم له بيت المال فيقضي منه ديونه، ومواعيده الَّتي عليه، ويتحمل منه هو وَمن معه من عيال أبيه وولده وأهل بيته، وأن لا يسب علياً وهو يسمع، وأن يحتملَ إليه خراج «فسا» و «دار أبجرد» من أرض فارس كلّ عام إلى المدينة ما بقي.

فأجابه معاوية إلى ذلك وأعطاه ما سأل.

ويقال: بل أرسل الحسن ـ عبدالله بن الحرث بن نوفل ـ إلى معاوية حتّي أخذ له ما سأل، وأرسلَ معاوية عبدالله بن عامر بن كريز؛ وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، فقدما ـ المدائن ـ إلى الحسن بن علي، فأعطياه ما اراد ووثقا له، فكتبَ إليه الحسن: «أن أقبل»، فأقبل من «جسر منبج» إلى «مسكن» في خمسة أيام، ودخل في اليوم السادس، فسلَّم إليه الحسن الأمر، وبايعه ثم سارا جميعاً حتى قدما «الكوفة» فنزلَ الحسن «القصر» ونزل معاوية «النخيلة» فأتاه الحسن في عسكره غير مرَّة، ووفى معاوية للحسن ببيت المال، وكان فيه يومئذ ستة ألف ألف درهم فاحتملها الحسن، وتجهَّز بها هو وأهل بيته إلى المدينة وكفَّ معاوية عن سبِّ عليٍّ والحسن يسمع، ودس معاوية إلى ـ أهل البصرة ـ، فطردوا وكيل الحسن، وقالوا: لا تحمل «فسا» إلى غيرنا، يعنون ـ خراج فسا؛ ودار أبجرد ـ فأجرى معاوية للحسن كلّ سنة ألف ألف درهم، وعاش الحسن بعد ذلك عشر سنين.

١٠٣ ـ وأخبرني أبو العلاء هذا، بإسناده عن محمد بن سعد، أخبرني موسى بن سعد، أخبرنا محمَّد بن إسماعيل، حدَّثنا عون بن موسى:

سمعت هلال بن حباب، يقول: جمع الحسن بن عليّ رؤوس أصحابه في ـ قصر المدائن ـ، فقال: ياأهل العراق! لو لم تذهل عنكم نفسي لثلاث خصال لذهلت: لمقتلكم أبي؛ ومطعنكم بغلتي، وانتهابكم ثقلي ـ أو قال: ردائي عن عاتقي، وإنكم قد بايعتموني على أن تسالموا مَن سالمت وتحاربوا مَن حاربت، فإني قد بايعت معاوية، فاسمعوا له وأطيعوا»، ثم نزل ودخل القصر.

١٠٤ـ وأخبرني سيِّد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي ـ فيما كتبَ إلي مِن همدان ـ، أخبرنا محمود بن إسماعيل، أخبرنا أحمد بن محمد [ح] وأنبأني أبو عليّ الحداد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قالا: أخبرنا الطبراني، حدَّثنا أبو خليفة، حدَّثنا عليّ بن المديني، حدثنا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي قال: شهدت ـ الحسن بن عليّ ـ حين صالحه معاوية، فقالَ له معاوية: إذا كان ذا فقم وتكلّم وأخبر النّاس: إنَّكَ سلَّمتَ هذا الأمر إليّ، أو تركت هذا الأمر لي.

فقام وخطب النّاس على المنبر، فحمدَ اللّه وأثنى عليه، قال الشعبي: وأنا أسمع، ثُمَّ قال: «أمَّا بعد ـ فإن أكيس الكيس التقى، وأحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الَّذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون حقاً لي تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأُمَّة وحقن دمائهم، أو يكون حقّاً لامرئٍ كان أحق به مني ففعلت ذلك، وإن أدري لعلَّه فتنة لكم ومتاع إلى حين».

قال: وفي ـ رواية الزهري ـ: انَّ الحسن قال: «أما بعد، أيها النّاس! فإنَّ اللّه هداكم بأوَّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وأنَّ لهذا الأمر مدَّة، والدنيا دُوَل، والباقي يعرف بعضها مِن بعض».

قال: وفي ـ رواية رباح بن الحرث ـ قال: سمعت الحسن بن عليّ وهو

يخطب ـ بالمدائن ـ النّاس، فقال: «الا إنَّ أمر اللّه واقع وإن كره النّاس، وإني ما أحبُّ أن يكون لي من أمر أُمةِ محمَّد صلى الله عليه وآله مثقال حبة مِن خردل، يهراق فيه ملؤ محجمة مِن دم، إذْ علمت ما ينفعني مما يضرني، وإني لا أجدي لأحد لي ولكم، فالحقوا بطمأنينتكم» ـ يعني بأمنكم.

وروي: أن الحسين قال للحسن: «واللّه، لا أرضى بصنيعكَ هذا، تصالح معاوية وتسلِّم إليه الأمر»، فغضب الحسن وقال: «واللّه، ماهممت بأمر إلاّ خالفتني فيه، أولستَ تعلم أن أبي أوصى بهذا الأمر لي»؟ قال: «نعم»، فقال الحسن: «لقد هممت أن أُدخلك بيتاً، وأُطبقه عليكَ حتّى أصنع ما أُريد»، فسكت الحسين، ثُمَّ قال: «أنتَ سيدنا وكبيرنا، نقضك نقضنا، وإبرامك إبرامنا، فاصنع ما بدا لك».

١٠٥ ـ وأخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والدي شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، حدَّثنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرنا محمَّد بن عبدالله ـ ببغداد ـ، حدَّثنا أحمد بن زهير، حدثنا موسى، عن محمَّد بن إسماعيل، حدثنا القاسم بن الفضل، حدثنا يوسف بن مازن الراسبي، قال: قام رجل إلى الحسن بن عليّ فقال: يامسود وجه المؤمنين! فقال الحسن: «لاتؤنبني رحمك اللّه فإن رسول اللّه صلى الله عليه وآله رأى بني أُمية يخطبون على منبره رجلاً فرجلاً، فساء ه ذلك فنزلت: ﴿**إنَّا أعطيناك الكوثر**﴾الكوثر/١، نهر في الجنة و﴿**إنَّا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر**﴾القدر/١ـ٣، يملكه بنو أُميَّة»، قال: فحسبنا ذلك فإذا هو لا يزيد ولا ينقص.

وفي رواية أُخرى: أنَّ سفيان بن الليل يكنى: «أبا عامر» قال للحسن

ابن عليّ: السَّلام عليكَ، يامذل المؤمنين! فقال: «ياأبا عامر! إني لم أذلَّ المؤمنين، ولكن كرهت أن أقتلهم في طلب الملك».

١٠٦ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو الحسين ابن المفضل، أخبرنا عبدالله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدَّثنا أبو بشَّار، حدثنا أبو داود، حدَّثنا شعبة، عن يزيد بن خمير: سمعت عبد الرحمن بن جبير بن نفير يُحدث، عن أبيه قال: قلت للحسن بن عليّ: إنَّ النّاس يزعمون أنَّكَ تُريد الخلافة، قال: «كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون مَن سالمت، ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه اللّه، ثُم أثيرها بأبساس أهل الحجاز».

وزاد فيه «غندر»، عن «شعبة»: «وحقن دماء أُمّةِ محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم».

١٠٧ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرني أبو عبدالله الحافظ، أخبرني طاهر بن محمَّد، حدثنا إبراهيم بن حماد، حدثنا عبّاس ابن محمد الدوري، حدثنا عثمان بن عمر، أخبرنا ابن عون، عن عمير بن إسحاق قال: كُنا عند ـ الحسن بن عليّ ـ، فقامَ فدخل المخرج ثم خرج فقال: «لقد سقيت السُّم مراراً، فما سقيته مثل هذه، ولقد لفظت طائفة مِن كبدي، فرأيتني أُقلبها بعود».

فقال له الحسين: «ياأخي! مَن سقاك! فقال: ماتُريد إليه؟ أتريد أن تقتله؟ قال: نعم، قال: إن كان الذي أظن فاللّه أشد نقمة له منك، وإن كانَ غيره فما أُحِبُّ أن يؤخذ بي بريء».

قال: وفي رواية أُخرى، عن عمير بن إسحاق، قال الحسنُ بن عليّ: «كان لنا طبيب يختلف إلينا، فدس إليه شربة فسقانيها، فلقد رأيتني دخلت

الخلاء فلفظتُ كبدي، فسلوني قبلَ أن لا تجدوني».

١٠٨ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أنبأني أبو عبدالله الحافظ، حدَّثني أبو بكر أحمد بن محمَّد بن بالويه، حدثني أحمد بن عليّ، حدثني عبيد بن الصباح، حدثني جرير، عن مغيرة قال: أرسَلَ ـ معاوية ـ إلى ـ جعدة بنت الاشعث بن قيس ـ: إني مُزوِّجُكِ بيزيد على أن تُسمي ـ الحسن ـ، وبعث إليها بمائة ألف درهم ففعلت، فسوغها المال، ولم يُزَوجها، فخلفَ عليها رجل مِن ـ آل طلحة ـ فأولدها، وكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام، عيروهم، وقالوا: يابن مسممة الأزواجِ!.

قال مغيرة بن مقسم: توفي الحسن بن علي عليه السلام، وسعد بن أبي وقاص في إسبوع واحد، وكانوا يقولون: إنَّه سقاهما جميعاً.

وأوردَ ـ هذا الحديث ـ الإمام عبد الكريم بن محمَّد بن حمدان في «تاريخه»، وزاد فيه: بعث إليها بمنديل ملطخ بالسُّم، وقال: إذا جامعكِ فامسحي بهذا المنديل فرجه، ففعلت ذلك وكانَ فيه هلاكه، فبعث إليها معاوية بخمسين ألف درهم، وقال لابنه يزيد: لابد لكَ أن تنكحها، فقال: كلا، واللّه، إنها فعلت بالحسن بن عليّ ما فعلت، فما خطري عندها؟

١٠٩ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا محمَّد بن الحسين الحسني، أخبرنا عبدالله بن محمَّد، سمعت أحمد بن سعيد، سمعت السندي، سمعتُ عبد الرحمن بن مهدي يقول: لما اشتد بسفيان المرض، جزع جزعاً شديداً فدخل عليه مرحوم بن عبد العزيز ـ وكان شيخاً عاقلاً ـ، فقال: ياأبا عبد اللّه! ما هذا الجزع؟ تقدم على ربٍّ عبدته ستين سنة صمتَ له، وصليت له، وحججت له، أرأيتكَ لو كان لكَ عند رجلٍ يد، أليس كُنتَ تُحبُّ أن تلقاه حتى يكافئك؟ قال: فسري عنه.

قال أحمد بن سعيد: حدَّث بهذا السندي، ونحن مع أبي نعيم، فقال أبو نعيم: لما اشتد المرض ـ بالحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام جزع، فدخل عليه رجل فقال: ياأبا محمَّد! ماهذا الجزع؟ ماهو إلاّ أن يفارق روحك جسدك، فتقدم على أبويك ـ عليّ وفاطمة ـ، وعلى جديك ـ النبي وخديجة ـ (صلوات اللّه عليهم)، وعلى أعمامك ـ حمزة وجعفر ـ، وعلى أخوالك ـ القاسم والطيب المطهر وإبراهيم ـ، وخالاتك ـ رقية وأُم كلثوم وزينب ـ، قال: فسري عنه.

وقال رقبة بن مصقلة: لما نزل بالحسن بن علي عليهما السلام الموت قال: «اخرجوا فراشي إلى صحن الدَّار»، فأُخرج فقال: «اللّهمَّ! إني أحتسب نفسي عندك، فإني لم أحتَسِب بمثلها».

١١٠ـ وأخبرني أبو العلاء الحافظ ـ بهمدان ـ إجازة، أخبرنا إسماعيل ابن أحمد، أخبرنا محمَّد بن هبة اللّه، أخبرنا عليّ بن محمد، أخبرنا الحسين بن صفوان، حدثنا عبدالله بن محمّد، حدثني يوسف بن موسى، حدَّثني سلم بن أبي حبَّة، حدَّثني جعفر بن محمَّد، عن أبيه عليهما السلام قال: «لما حضر الحسن بن علي عليهما السلام الموت، بكى بكاءاً شديداً، فقال له الحسين: مايبكيكَ ياأخي؟ إنما تقدم على: رسول اللّه؛ وعليّ؛ وفاطمة؛ وخديجة؛ عليهم السلام فهم ولدوك، وقد أخبرك اللّه على لسان نبيه صلى الله عليه وآله: إنَّك سيد شباب أهل الجنَّة، وقد قاسمت اللّه مالك ثلاث مرات، ومشيتَ إلى بيت اللّه على قدميك خمس عشرة مرَّة حاجاً» وإنما أرادَ أن يطيب نفسه، قال: فواللّه، مازاده إلاّ بكاءاً وانتحاباً، وقال: ياأخي! إني أقدم على أمرٍ عظيم، وهولٍ لم يقدم على مثله قط».

١١١ـ وبالإسناد الذي تقدّم، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو

عبدالله الحافظ، حدَّثنا محمَّد بن يعقوب، حدثنا إبراهيم بن سليمان، حدثنا مسدد، حدثنا أُميَّة، حدثنا سلام بن مسكين، عن عمران بن عبد اللّه، عن سعيد بن المسيب قال: رأى الحسن بن عليّ كأنَّ بين عينيه: ﴿قل هو اللّه أحد﴾الاخلاص/١، فاستبشر بذلك أهله، وقالوا: هذه هي الخلافة.

فقال سعيد: لئن صدقت رؤياه، إنْ هذا إلا عبد حضرَ أجله، فما لَبِثَ إلاّ يسيراً حتّى مات.

وقيل: بل رأى ﴿والضحى والليل إذا سجى﴾الضحىٰ/١.

١١٢ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، انبأني أبو عبدالله الحافظ، أخبرني يحيى بن محمَّد العنبري، حدثني محمد بن النضر، حدثني يحيى بن حكيم، حدثني عثمان بن عمر، حدثني ابن عون، عن عمير بن إسحاق ـ وساق حديثاً طويلاً الى أنْ قال ـ: فاوصى الحسن بن عليّ أن يدفن مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله فمنع ذلك مروان بن الحكم، وركبت مواليه بالسلاح، وجعل مروان يقول: ياربّ هيجا هي خير من دعة، أيدفن عثمان في أقصى البقيع، ويدفن الحسن في بيت النبي؟ واللّه، لا يكون ذلك، وأنا أحمل السيف.

وكادت الفتنة أن تقع، وأبى الحسين إلاّ أن يدفنه مع النبيِّ صلى الله عليه وآله فقال له عبدالله بن جعفر: عزمت عليك بحقي أن لا تكلّم بكلمة، فمضى به إلى البقيع فانصرف ودفن الحسن في قبر فاطمة بنت رسول اللّه في البقيع.

١١٣ـ وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي ـفيما كتبَ إليَّ من همدانـ، انبأني ابو عليّ الحدَّاد، أخبرني أبو نعيم الحافظ، حدثنا محمد بن عليّ، حدّثنا أبو عروبة الحرَّاني، حدثنا سليمان ابن عمر، حدثنا ابن علية، عن ابن عون، عن عمير بن إسحاق قال: دخلت

انا ورجل على الحسن بن علي عليهما السلام نعوده، فقال: «يافلان! سلني» فقال: لا، والله، لانسألكَ حتى يعافيك الله، ثمَّ نسألك.

قال: ثُمَّ دخل إلى الخلاء ثم خرج إلينا، وقال له: «سلني قبلَ أن لا تسألني»، قال: بل يعافيك الله فأسألك، قال: «قد ألقيت طائفة من كبدي، وإني قد سقيت السم مراراً فلم أُسقَ مثل هذه المرة».

ثم دخلت عليه من الغد، وهو يجود بنفسه، والحسين عند رأسه، قال له: «ياأخي! مَن تتهم؟ قال له: «لتقتله»؟ قال: «نعم»، قال: إن يكن الذي أظن، فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً، وإن لم يكن فما أُحِبُّ أن يُقتل بي بريء ثم قضى.

١١٤ـ وأخبرني صدرالحفّاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني ـ إجازةً بها ـ، أخبرني عبد القادر بن محمّد البغدادي، أخبرني الحسن بن عليّ الجوهري، أخبرني محمد بن العبّاس، أخبرني محمَّد بن معروف، أخبرني حسين بن محمَّد بن فهم، أخبرني محمَّد بن سعد، أخبرني يحيى بن حمّاد، حدثني أبو عوانة، عن حصين، عن أبي حازم قال: لَمَّا احتضر الحسن قال للحسين: «ادفنوني عند أبي يعني: النبيَّ صلى الله عليه وآله إلا أن تخافوا الدِّماء، فإن خفتم الدماء فلا تهريقوا فيَّ دماً، ادفنوني عند مقابر المسلمين».

قال: فلما قُبِضَ تسلح الحسين، وجميع مواليه، فقال له أبو هريرة: انشدكَ الله ووصية أخيك، فإنَّ القوم لن يدعوك حتّى يكون بينكم وبينهم دماً، قال: فلم يزل به حتى رجعوا، قال: ثُم دفنوه في بقيع الغرقد. فقال أبو هريرة: أرأيتم لو جيء بابن مؤمن ليدفن مع أبيه فمنع، أكانوا قد ظلموه؟ فقالوا: نعم، قال: فهذا ابن نبيٍّ الله قد جيء به ليدفن مع أبيه.

وذكر عبد الكريم بن محمَّد بن حمدان في «تاريخه» هذا الحديث،

وزاد فيه: فقال أبو هريرة: أيمنع الحسن أن يدفن مع النبيّ صلى الله عليه وآله وقد سمعته يقول: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة»؟!

فقال مروان: دعنا منك، فلقد ضاع حديث رسول الله إن كان لايحفظه غيرك؛ وغير أبي سعيد الخدري، وإنَّما أسلمت أنتَ أيام «خيبر».

فقال: بلى، أسلمتُ أيام خيبر، ولكن لزمت رسول الله ولم أُفارقه، حتّى عرفت مَن أحبَّ ومن أبغض، ومن نفى ومن قرَّب.

١١٥ـ وأخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسن عليّ بن أحمد العاصمي، عن شيخ القضاة، عن أبيه أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو الحسين بن المفضل، حدثنا عبدالله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدَّثنا محمد بن يحيى، حدثنا سفيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: «قُتِلَ عليّ عليه السلام وهو ابن ثمان وخمسين، وماتَ لها الحسن؛ وقتل لها الحسين عليه السلام».

١١٦ـ وذكر الزبير بن بكار: إنَّ الحسن بن عليّ عليه السلام ولد للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث مِن الهجرة، ومات لليال خلون مِن شهر ربيع الأول سنة خمسين.

١١٧ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرنا محمد بن أحمد المحبوبي ـ بمرو ـ، حدثنا سعيد بن مسعود، حدثنا عبدالله بن موسى، أخبرنا سفيان، عن سالم بن أبي حفصة: سمعتُ أبا الحازم يقول: إني لشاهد يوم مات الحسن بن عليّ فرأيت الحسين بن علي عليه السلام يقول لسعيد بن العاص، ويطعن في عنقه: «تقدم فلولا أنها سُنَّة ماقدمت». وكان سعيد أميراً على المدينة.

١١٨ـ وبهذا الإسناد، عن أبي عبدالله الحافظ، أخبرنا أبو الحسين الآدمي، حدثنا إسماعيل بن إسحاق، حدثنا محمَّد بن أبي بكر، حدثنا

سعيد بن عامر، عن جويرية بن أسماء قال: لمّا مات الحسن بن علي عليهما السلام جعل مروان يبكيه، فقال له الحسين عليه السلام: «أتبكيه؟ وأنتَ كنت تجرعه ما تجرعه»؟ فقال: إني كُنتُ أفعل ذلك إلى أحلم مِن هذا ـ يعني الجبل ـ.

١١٩ـ وذكر في كتاب «نزهة الظرف وبستان الطرف»: أنَّ رجلاً قال للحسن البصري: ياأبا سعيد! امعاوية أحلم أم الحسن؟ فقال: بل الحسن، فقال: إنما اعني معاوية الذي كان أمير المؤمنين؟ فقال: وهل كان ذلك إلاّ حماراً نهاقاً؟

١٢٠ـ وقيل: ولما مات الحسن بن علي عليهما السلام قام ـ محمد بن الحنفية ـ على قبره فقال: رحمك اللّه، أبا محمَّد! لئن عززتني حياتك، فقد هدتني وفاتك، ولنعم البدن بدن تضمَّن روحك، ولنعم الكفن كفن تضمَّن بدنك، وكيف لا تكون كذلك؟ وأنتَ: سليل الهدى، وحليف التقى، وخامس أهل الكساء، وابن الخيرة سيِّدة النساء، وأبوك الذائد عن الحوض غداً، وجدُّك النبي محمّد المصطفى، غذتك اكف الحقِّ، ورُبيت في حجر الإسلام، ورضعت ثدي الإيمان، فطبت حياً وميتاً، فإنك والحسين غداً سيدا شباب أهل الجنَّة، ثُم ضرب بيده إلى ـ الحسين ـ فقال: قم، بأبي أنت وأمي! فعلى أبي محمَّد السلام.

١٢١ـ وقيل: لمّا أتى معاوية نعيه بعث إلى ابن عبّاس، وهو لا يعلم الخبر، فقال له: هل عندك خبر مِنَ المدينة؟ قال: لا، قال معاوية: أتاني نعي الحسن، واظهر سروراً، فقال ابن عباس: إذن، لا ينسأ في اجلكَ، ولا يسد حفرتك.

قال: احسبه ترك صبية صغاراً، قال: كلّنا كان صغيراً فكبر، قال: وأحسبه بلغ الستين، قال: أبمثل مولده يجهل؟ قال معاوية: لو قال قائل:

إنَّك اصبحت سيد قومك، قال: أما وأبو عبدالله الحسين حي فلا.

فلمَّا كان مِن غد، أتى يزيد بن معاوية ابن عباس، وهو في المسجد يعزي، فجلس بين يديه جلسة المعزي، وأظهر حزنه، فلما نهض أتبعه ابن عباس بصره، وقال: إذا ذهب آل حرب ذهب حلم قريش.

١٢٢ـ وروي: أنَّه لمَّا أتى نعي الحسن عزى معاوية ابن عبّاس فاسترجع ابن عباس ثلاثاً، ثُم قال: إنَّه والله، يامعاوية! لَم يمهل مِن أجلك، ولم يدفن في حفرتك، ولقد رزئنا بمن كان خيراً منه، فكفانا الله فقده، ولم يضيعنا بعده، يعني: النبيّ ﷺ، ثُمَّ قال: والله، لا أُقيم ببلدة يشمت فيها بموت ابن رسول الله ﷺ.

١٢٣ـ أخبرنا صدر الحفاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني ـبها إجازة ـ، أخبرنا عبد القادر بن محمَّد البغدادي، أخبرنا الحسن بن عليّ الجوهري، أخبرنا محمَّد بن العبّاس، أخبرنا أحمد بن معروف، حدَّثنا حسين بن محمَّد، أخبرنا محمد بن سعد، أخبرنا محمَّد بن عمر، حدَّثنا عبد العزيز بن محمَّد، عن عمرو بن ميمون، عن أبيه قال: لمَّا جاء معاوية نعي الحسن بن علي استأذن ابن عباس على معاوية، وكان ابن عباس قد ذهب بصره، وكان يقول لقائده: إذا دخلت بي على معاوية فلا تقدني، فإن معاوية يشمت بي، فلمّا جلس ابن عباس، قال معاوية: لاخبرنه بما هو أشدّ عليه من أن أشمت به، ثُمَّ قال له: يابن عباس! هلك الحسن بن عليّ، فقال ابن عبّاس: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعرف ابن عبّاس: أنَّه شامت به، فقال: أم والله، يامعاوية! لايسد حفرتك ولا تخلد، ولقد أُصبنا بأعظم منه فجبرنا الله بعده، ثُمَّ قام.

قال معاوية: لا، والله، ما كلَّمت أحداً قط أعدّ جواباً، ولا أعقل مِن

ابن عبّاس، فقال الفضل بن عبّاس يذكر ذلك، ويرثي الحسن عليه السلام:

أصبح اليوم ابن هند شامتاً ... ظاهر النخوة إذ مات الحسن
رحمة اللّه عليه إنما ... طالما أشجى ابن هند وأرن
استراح اليوم منه بعده ... إذ ثوى رهناً لأحداث الزمن
فارتع اليوم ابن هند آمناً ... إنما يقمص بالعير السمن
لست بالباقي فلا تشمت به ... كلّ حيٍّ بالمنايا مرتهن
يابن هند إن تذق كأس الردى ... تك في الدهر كشيءٍ لم يكن

وقال الحسين عليه السلام يرثي أخاه الحسن عليه السلام:

أأدهن رأسي أم أُطيب محاسني ... ورأسك معفور وأنتَ تَريبُ
وأستمتع الدُّنيا بشيءٍ أُحبه ... بلى، كل ما أدنى إليكَ حبيبُ
فلا زلتُ أبكي ماتغنت حمامة ... عليك وما هبت صبا وجنوبُ
وما هملت عين من الماء قطرة ... ومااخضر في دوح الحجاز قضيبُ
بكائي طويل والدموع غزيرةٌ ... وأنتَ بعيدٌ والمزارُ قريبُ
وليس حريباً مَن أُصيبَ بماله ... ولكن من وارى أخاه حريبُ
غريبٌ وأطراف البيوت تحوطه ... ألا كلّ مَنْ تحت التراب غريبُ
فلايفرح الباقي ببعد الّذي مضى ... فكلُّ فتى للموت فيه نصيبُ

وقال بعض الشعراء:

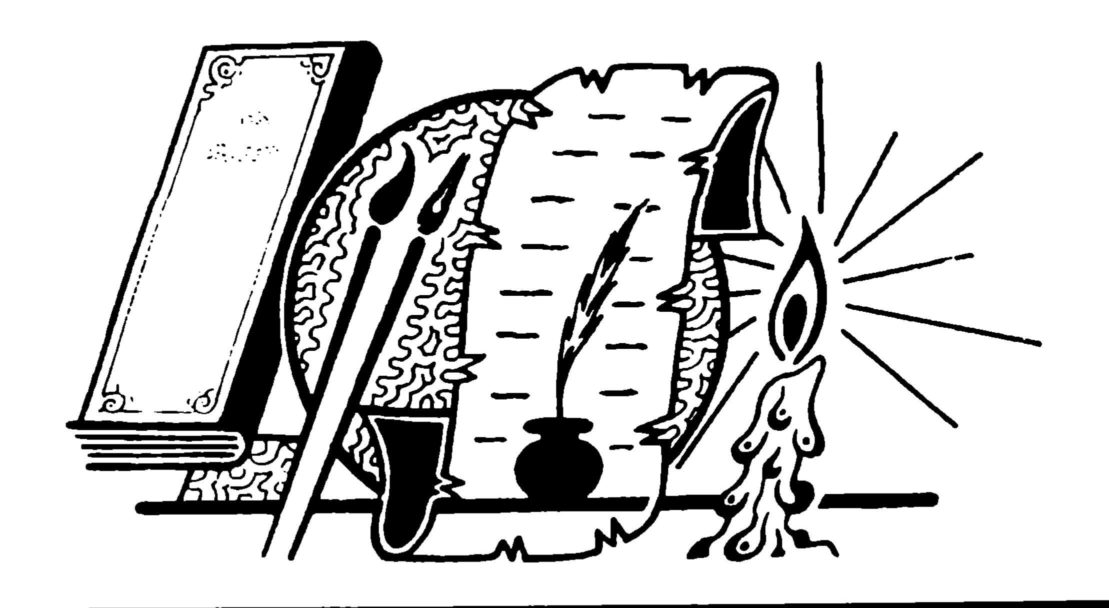
تعز بمن قد مضى اسوة ... فإنَّ العزاء يسلي الحزن
بموت النبي وقتل الوصيِّ ... وذبحِ الحسين وسمِّ الحسن

* * *



الفصل السابع

في فضائل الحسين عليه السلام الخاصة به



١ـ أنبأني الإمام الحافظ صدر الحفَّاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني، أخبرنا عبد القادر بن محمَّد اليوسفي، أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، حدَّثنا محمَّد بن العباس الخراز، أخبرنا محمد بن معروف الخشاب، أخبرنا حسين بن محمَّد بن فهم، أخبرنا محمد بن سعد، قال: علقت فاطمة بالحسين عليه السلام لخمس ليالٍ مِن ذي القعدة لسنة ثلاث مِن الهجرة، وكان بين ذلك وبين ولادة الحسن عليه السلام خمسون ليلة.

وولد الحسين في ليال خلون مِن شعبان سنة أربع مِنَ الهجرة، وكنيته «أبو عبد اللّه»، فولد الحسين ـ علياً الأكبر ـ قُتِلَ مع أبيه ـ بالطّف ـ لا بقية له، وأُمُّه آمنة بنت أبي مرَّة بن عروة بن مسعود بن معتب الثقفي، وأُمّها ابنة أبي سفيان بن حرب، وفيها يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

أطافت بنا شمسُ النهار فَمن رأى ... مِن النّاس شمساً بالعشاء تطيفُ
أبو أُمِّها أو في قريش بذمة ... وأعمامها أما سالت ثقيفُ

وعلياً الأصغر، وله العقب مِن ولد الحسين، وأمه أُم ولد، وآخر لابقية له، وأُمّه السلافة امرأة مِن بلي بنَ عمرو بن الحرث بن قضاعة، وفاطمة؛

أُمّها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد اللّه، وعبد اللّه؛ قتل مع أبيه الحسين، وسكينة أُمها الرَّباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس من - بني ثور - بن كلب، وفي الرباب وسكينة يقول الحسين عليه السلام:

«لعمركَ، إنني لأحبُّ داراً تقيم بها سكينة والرَّبابُ
أُحبُّهما وأبذل جُلَّ مالي وليس للائمي فيها عتابُ
ولست لهم وإن رغبوا مطيعاً حياتي أو يغيبني التراب»

٢ـ وأنبأني الشيخ الإمام فخر الأئمَّة أبو الفضل بن عبد الرحمن الحفربندي، أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمَّد الحسن بن أحمد السمرقندي، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن العطار؛ وإسماعيل بن أبي نصر الصابوني؛ وأحمد بن الحسين البيهقي، قالوا: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدَّثنا الحسين ابن عليّ الحافظ، أخبرنا يحيى بن محمّد بن صاعد، حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، حدثنا حسين بن زيد العلوي، عن جعفر ابن محمَّد، عن أبيه، عن جدِّه، عن أبيه، عن جدِّه عليّ عليه السلام قال: «إنَّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله أمر فاطمة عليها السلام، فقال: زني شعر الحسين وتصدَّقي بوزنه فضَّة، وأعطى القابلة رجل العقيقة».

٣ـ وبهذا الإسناد، عن أبي عبدالله الحافظ، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمَّد، حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي، حدَّثنا أبو اليمان، حدثنا إسماعيل ابن عياش، حدَّثنا عطاء بن عجلان، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس، عن أم الفضل قالت: دخل عليَّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وأنا أرضع الحسين بن علي بلبن ابن كان لي، يقال له: «قثم» فتناوله رسول اللّه، وناولته إيَّاه فبال عليه، فأهويت بيدي إليه، فقال: «لاتزرمي[1] ابني» ورشّه بالماء.

---

(١) اي لا تقطعي عليه بوله بتقديم الزاء المعجمة على الراء المهملة.

قـال ابن عـبـاس: بول الغـلام الذي لَم يأكـل يرش، وبول الجـارية يغسل.

٤ـ وجاء في «المرسل»: أنَّ فـاطمة عليها السلام جاءت الى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وهي تبكي، فقال: مايبكيك؟ قالت: ضاع مني الحسين فلا أجده، فقام النبيُّ صلى الله عليه وآله وقد اغرورقت عيناه، وذهب ليطلبه فلقيه يهـودي، فقال: يامحـمد! مالك تبكي؟ فقـال: «ضاع ابني»، فـقال: لاتحزن، فـإني رأيته على تلٍ كـذا نائماً، فقصـدهُ عليه السلام واليهودي معه، فلمَّا قـربَ من التل رأى ضباً بفمه غـصن أخضر وارق يروحه به، فلمَّا رأى الضبّ النبيَّ، قـال له ـ بلسـان فصـيح ـ: السَّلام عليك، يازين القيـامة! وشهد لـه بالحق، وكان معه حسل صغير له، فـقال: لَم أرَ أهل بيت أكثر بركةً من أهلِ بيتكَ، لانَّ ولدي ضاع مني لثلاث سنين، فطفت عليه أطلبه فَلم أجدهُ، فلمَّا رأيت ولدك آنفاً وجدته، فانا أكافئه.

وقال الحسل[1]: يارسـول اللّه! اخـذني السـيـل فـادخلني البـحـر، ثُمَّ ضربت بي الأمواج إلى جزيرة كذا، فَلم أجد سبيلاً ومخرجاً حتّى هَبت ريح فاخذتني والقتني عند أبي.

فقـال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «مِن تِلكَ الجـزيرة إلـى هنا ألف فـرسـخ»، فـأسلم اليهودي بذلك، وقال: اشهد ان لا إله إلاّ اللّه، وأنك رسول اللّه.

٥ـ أخبـرنا جار اللّه العلاَّمة أبو القـاسم محمـود بن عمر الزمخشري، حـدثنا الأسـتاذ الأمين أبو الحسن عليُّ بن الحـسين بن مـردك الرازي، حـدَّثنا الحافظ ابو سعد إسـماعيل بن عليّ بن الحسين السَّمـان، اخبرنـا أبو العبَّاس أحمـد بن مـحـمـد الكرجي ـ بمكة ـ بقـراءتي عليـه، حـدثنا أحـمـد بن كـامل القاضي، حـدثنا عبد الملك بن محمد، حدثني أبي، حدثني حماد بن زيد،

(١) الحسل: ولد الضب.

حدثني يحيى بن سعيد الانصاري، حدثني عبيد بن حسين، حدثني الحسين ابن عليّ عليه السلام قال: «اتيت عمر بن الخطّاب وهو يخطب على المنبر، فقلت له: انزل مِن منبر أبي، فقال: منبر أبيك، واللّه، لا منبر ابي».

قال: ثم قال: من علّمكَ هذا؟ قلت: «ماعلمَني أحد»، فقال: لاتزل تأتينا. ، فجئت يوماً وهو خالٍ بمعاوية وابن عمر على الباب، فرجعت فلقيني، فقال: ألم أقل لك تأتينا؟ قلت: «قد جئتُ وأنت خالٍ بمعاوية، وابن عمر على الباب». قال: أفانت مثل ابن عمر، وهل أنبتَ على رؤوسنا الشعر إلاّ اللّه، ثُمَّ انتم، إذا جِئتَ فلا تستأذن.

٦ـ وذكر الإمام محمد بن أحمد بن عليّ بن شاذان، حدثني أحمد بن محمد بن الجراح، حدثني القاضي عمر بن الحسن، حدثتني آمنة بنت أحمد ابن ذهل بن سليمان الأعمش، قالت: حدَّثني أبي، عن أبيه، عن سليمان ابن مهران، عن محمَّد بن كثير، حدَّثني أبو خثيمة، عن عبدالله قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «بي انذرتُم، ثم بعليّ بن أبي طالب اهتدَيتُم، وقرأ: ﴿**إنما أنت منذر ولكل قومٍ هاد**﴾الرعد/٧، وبالحسن أعطيتم الإحسان، وبالحسين تسعدون وبه تشقون، ألا وإنَّ الحسين بابٌ من أبواب الجنَّة، من عانده حرَّم اللّه عليه رائحة الجنَّة».

٧ـ وذكر ابن شاذان هذا، حدَّثنا أبو محمد الحسن بن عليّ العلوي الطبري، عن أحمد بن عبد اللّه، حدثني جدي أحمد بن محمد، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن عمرو بن أُذينة، حدثني أبان بن أبي عيَّاش، عن سليم بن قيس الهلالي، عن سلمان المحمَّدي قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وإذا الحسين على فخذه وهو يُقبلُ عينيه، ويلثم فاه، ويقول: «إنكَ سيد ابن سيد أبو سادة، إنَّك إمام ابن إمام أبو أئمة، إنَّك حجة ابن حجة أبو حجج،

تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم».

٨ ـ أخبرنا الإمام الزَّاهد الحافظ أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا شيخ السنَّة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، حدثنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا محمد ابن صالح، حدثنا الحسين بن الفضل، حدثنا عثمان بن مسلم، حدثنا وهيب، حدثنا عبدالله بن عثمان، عن سعيد بن أبي راشد، عن يعلى العامري: أنَّه خرج رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلى طعام دُعيَ له، فاستقبل في طريق ـ حسيناً ـ يلعبُ فأراد أن يأخذه، فطفقَ الصبيُّ يفرُّ ههنا مرَّة وههنا مرَّة، فجعل رسول اللّه يضاحكه حتّى أخذه.

قال: فوضع إحدى يديه تحت قفائه والأُخرى تحت ذقنه، ووضع فاه على فيه، فقبَّله، وقال: «حسين مني وأنا مِن حسين، أحبَّ اللّه مَن أحبَّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط».

وسمعتُ هذا الحديث أيضا في ـ جامع أبي عيسى ـ مختصراً، من قوله: «حسين مني إلى آخر الحديث».

٩ـ وذكر أحمد بن الحسين ـ برواية أُخرى ـ عن يعلى العامري، فقال: «الحسن والحسين سبطان من الأسباط».

١٠ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا محمَّد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا محمَّد بن عمران بن أبي ليلى، حدَّثني أبي، عن أبيه أبي ليلى، قال: كُنا عند النبي صلى الله عليه وآله فجاء الحسين واقبل يتمرَّغ عليه، فرفع قميصه وقبَّل زبيبه.

١١ـ وبهذا الإسناد قال: أخبرنا جامع بن أحمد الوكيل، أخبرنا محمد بن الحسن المحمد آبادي، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا موسى بن

إسماعيل، حدثنا حماد، أخبرنا ابن عون، عن أبي محمد عمير بن إسحاق: انَّ أبا هريرة قال للحسين عليه السلام: ارفع قميصك عن بطنك، حتى أُقبل حيثُ رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله يقبل، فرفع قميصه فقبل سُرته.

قال: والمعروف عن ابن عون في هذا الحديث الحسن عليه السلام.

١٢ـ وبهذا الإسناد، قال: أخبرنا أبو عليّ بن شاذان، أخبرنا عبدالله ابن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا محمَّد بن عبدالله بن نمير، حدثنا أبي، حدثنا ربيع، عن عبد الرحمن بن سابطء قال: كُنتُ مع جابر، فدخلَ الحسينُ بن عليّ، فقال جابر: «مَن سرَّهُ أن ينظر إلى رجلٍ من أهلِ الجنَّة فلينظر إلى هذا»، فاشهد لسمعتُ رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقوله.

١٣ـ وبهذا الإسناد قال: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرنا احمد بن كامل القاضي، أنشدنا عبدالله بن إبراهيم النحوي للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

اغن عن المخلوقِ بالخالق ... تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله ... فليسَ غيرَ اللّه من رازق
مَن ظنَّ أن الناس يغنونهَ ... فليس بالرَّحمن بالواثقِ
أو ظنَّ انَّ المال مِن كسبهِ ... زلَّت بهِ النعلان مِن حالقَ

١٤ـ وبهذا الإسناد قال: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد، حدثنا يحيى بن معين، حدثنا الأصمعي: بلغنا عن ابن عون قال: كتبَ الحسن للحسين يعتب عليه في إعطائه الشعراء، فكتب إليه: «إنَّ خير المال ما وفي به العرض».

١٥ـ وبهذا الإسناد قال: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ: سمعتُ الحافظ الزبير بن عبد الواحد، سمعت: ابن أحمد بن زكريا، سمعت إسماعيل بن

يحيى المزني، سمعت: الشافعي يقول: مات ابن للحسين عليه السلام فَلم يُر بهِ كآبة، فعوتب على ذلك، فقال: إنَّا أهل بيت نسأل اللّه عزَّوجل فيعطينا، فإذا أراد ما نكره فيما يحب رضينا».

١٦ـ وبهذا الإسناد، قال: أخبرنا الإمام أبو القاسم الحسن بن محمد ابن حبيب ـ بنيسابور سنة أربعمائة ـ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد، حدثنا أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن عامر الطائي ـ بالبصرة ـ، حدثني أبي، حدثني عليُّ بن موسى، حدثني أبي موسى بن جعفر، حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي، حدثني أبي علي بن الحسين عليه السلام: «إنَّ أباه الحسين بن عليّ دخل المستراح، فوجد لقمة ملقاة، فدفعها الى غلام له، فقال: ياغلام! اذكرني في هذه اللقمة إذا خرجت، فاكلها الغلام، فلمَّا خرج الحسين قال: ياغلام! اللقمة؟ قال: أكلتها يامولاي! قال: أنتَ حرّ لوجه اللّه تعالى، فقال له رجل: أعتقته ياسيدي! قال: نعم، سمعتُ جدي رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: مَن وجدَ لقمة ملقاة: فمسح منها ما مسح، وغسل منها ما غسل، وأكلها لم يسغها في جوفه حتّى يعتقه اللّه مِن النار، ولَم أكن لأستعبد رَجلاً أعتقه اللّه مِنَ النّار».

١٧ـ وأنباني الإمام الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني، أخبرنا محمود بن إسماعيل الصيرفي، أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين، أخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حدثنا زكريا بن يحيى الساجي، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي إدريس، حدثنا المسيب بن نجبة، قال: قال عليّ عليه السلام: «الا أُحدِّثكم عن خاصة نفسي وأهل بيتي»؟ قلنا: بلى، قال: «أما حسن: فصاحب جفنة وخوان، وفتى مِنَ الفتيان،

ولو قد التقت حلقتا البطان لم يَغن عنكم في الحرب حبالة عصفور[١].

وأما عبدالله بن جعفر: فصاحب ظل ولا يغرنكم ابنا عبَّاس.

وأمَّا أنا وحسين فإنا منكم وأنتم منِّا»، في حديث طويل لا يتعلق بما نحن فيه.

١٨ـ وأخبرني الحافظ سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الدَّيلمي ـ فيما كتب إلي مِن همدان ـ، قال: ومما سمعتُ من «المفاريد» أن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول اللّه ﷺ: «الحسين أُعطي مِنَ الفضل مالم يعطهِ أحد مِن ولد آدم ما خلا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن».

١٩ـ قال: وأخبرني والدي، أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد بن الميداني الحافظ ـ إجازةً ـ، أخبرني محمد بن عبد الملك الفقيه القزويني، حدثني محمد بن ميسرة القزويني، حدثني وصيف بن عبدالله القزويني ـ وكان ثقة أميناً ـ، حدثني إسماعيل بن محمَّد المقري، حدثني جعفر بن محمد الرازي، حدثني الحسن بن شجاع البلخي، حدثني سعيد بن سليمان الواسطي، حدثني أبو أُسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: رأيت رسول اللّه ﷺ يحل إزار الحسين، فقلت: ماهذا؟ يارسول اللّه! فقال: «أُلبسه هدية ربي، ألا إنَّ ربي أهدى إليه مدرعة، وأن لحمتها مِن زغب جناح جبرئيل».

قال جعفر بن أحمد الرازي: قال أبو زرعة ـ يوماً وقد كتبنا هذا الحديث ـ: إن كان في الدنيا حديث يستأهل أن يُكتب بالذَّهب فهذا.

---

(١) كيف يقول علي هذا وكان هو واخوه يبادران في حروبه ويقول: املكوا عني هذين الغلامين؟!

٢٠ـ انباني الإمام فخر الأئمة أبو الفضل الحفربندي، أخبرنا الإمام الحسين بن أحمد، أخبرنا أبو القاسم بن أحمد؛ وإسماعيل بن أبي نصر؛ وأحمد بن الحسين، قالوا: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدّثنا أبوبكر محمّد ابن أحمد، حدّثنا حسن بن علي بن شبيب، حدّثنا أبو عبيدة، عن فضل بن عياض، حدّثنا مالك بن شعبي، حدّثنا هشام بن سعد، حدثنا نعيم بن عبدالله المجمر، عن أبي هريرة قال: ما رأيت الحسين بن عليّ إلاّ فاضت عيناي دموعاً، وذلك أنَّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله خرج يوماً فوجدني في المسجد، فأخذ بيدي واتكأ عليّ فانطلقت معه حتى جاء سوق ـ بني قينقاع ـ فطاف ونظر ثُمَّ رجع ورجعت معه.

قال: وما كلَّمني، ثم جلس في المسجد واحتبى، فقال: «ادع لي لكع» فأُتي ـ بحسين ـ يشتدّ حتّى وقع في حجره، ثم أدخل يده في لحية رسول اللّه صلى الله عليه وآله فجعلَ رسول اللّه يفتح فم الحسين، ويدخل فمه فيه، ويقول: «اللّهمَّ! إني أُحبه فأحبه».

وأورد هذا الحديث أحمد بن الحسين في «فضائل الحسن عليه السلام»، فلذلك كتبناه في فضائله هناك.

٢١ـ وأخبرني الإمام الأجل مجد الدين قوام السنَّة أبو الفتوح محمد ابن أبي جعفر الطائي ـ فيما كتب إليَّ من همدا ن ـ، أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد البيهقي ـ سنة اثنتين وخمسمائة بباب المدينة بمرو في الجامع ـ، اخبرنا الإمام حقاً وشيخُ الإسلام صِدقاً أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرَّحمن الصابوني، أخبرنا أبوبكر أحمد بن إبراهيم بن محمد ـ بهراة ـ، أخبرنا أبو عليّ احمد بن محمد بن عليّ، حدثنا عليّ بن خشرم: سمعتُ يحيى بن عبدالله بن بشير الباهلي، حدثنا ابن المبارك أوغيره ـ شك

الباهلي ـ، قال: بلغني أن معاوية قال ليزيد: هل بقيت لذَّة من الدنيا لم تنلها؟ قال: نعم، أُم أبيها ـ هند بنت سهيل بن عمرو ـ، خطبتها وخطبها ـ عبدالله بن عامر بن كريز ـ، فتزوجته وتركتني.

فأرسل معاوية إلى ـ عبدالله بن عامر ـ وهو عامله على البصرة، فلمَّا قَدِمَ عليه، قال: انزل عن أم أبيها لولي عهد المسلمين يزيد، قال: ما كنتُ لأفعل؟ قال: أقطعكَ البصرة، فإن لم تفعل عزلتك عنها، قال: وإن.

فلمَّا خرج من عنده، قال له مولاه: امرأة بامرأة، أتترك البصرة بطلاق امرأة؟فرجع إلى معاوية فقال: هي طلاق، فردَّه إلى البصرة، فلمَّا دخل تَلقتهُ «أُم أبيها» فقال: استتري؟ فقالت: فعلها اللعين، واستترت.

فقال: فعدَّ معاوية الأيام حتى اذا انقضت العدَّة وجّه أبا هريرة يخطبها ليزيد، وقال له: أمهرها بالف الف، فخرجَ أبو هريرة فقدم المدينة، فمرَّ بالحسين بن عليّ عليه السلام، فقال: «ما أقدمكَ المدينة ياأبا هريرة»؟ قال: أُريد البصرة أخطب «أم أبيها» لولي عهد المسلمين «يزيد»؟ قال: «فترى أن تذكرني لها»؟ قال: إن شئت، قال: قد شئت؟ فقدم أبو هريرة البصرة، فقال لها: ياأم أبيها! إنَّ «امير المؤمنين» يخطبك لولي عهد المسلمين يزيد، وقد بذل لك في الصداق الف الف، ومررتُ بالحسين بن عليّ فذكرك، قالت: فما ترى ياأبا هريرة! قال: ذلكَ إليك، قال: فشفة قبَّلها رسول الله صلى الله عليه وآله أحبُّ إليَّ.

قال: فتزوَّجت ـ الحسين بن عليّ ـ، ورجع أبو هريرة فأخبر معاوية، قال: فقال له: ياحمار! ليس لهذا وجهناك؟ قال: فلمَّا كان بعد ذلك حجَّ عبدالله بن عامر فمر بالمدينة، فلقي الحسين بن عليّ، فقال له: يابن رسول الله! تاذن لي في كلام أُم أبيها، فقال: إذا شئت، فدخل معه البيت واستأذن على أُمِّ أبيها فاذنت له، ودخل معه الحسين، فقال لها عبدالله بن عامر: ياأُم

أبيها! ما فعلت الوديعة التي استودعتك؟ قالت: عندي، ياجارية! هاتي سفط كذا، فجاءت به ففتحته وإذا هو مملوء لئاليء، وجوهر يتلألأ، فبكى ابن عامر.

فقال الحسين: مايبكيك؟ فقال: يابن رسول الله! أتلومني على أن أبكي على مثلها في ورعها وكمالها ووفائها؟ قال: «يابن عامر! نعم المحلل كنتُ لكما، هي طلاق»، فحَجَّ فلمَّا رجع تزوجَ بها.

٢٢ـ قلتُ: وأورد هذه الحكاية أبو العلاء الحافظ، وساقها عن الحسن ابن عليّ، على ما أخبرني ـ إجازةً ـ، قال: أخبرني عبد القادر بن محمَّد اليوسفي، أخبرني الحسن بن عليّ الجوهري، أخبرني محمَّد بن العباس، أخبرني أحمد بن معروف الخشاب، أخبرني حسين بن محمَّد، أخبرني محمد ابن سعد، أخبرني عليّ بن محمَّد، عن الهذلي، عن ابن سيرين، قال: كانت هند بنت سهيل بن عمرو عند عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، وكان أبا عذرتها، ثُم طلقها فتزوجها عبدالله بن عامر بن كريز، ثم طلقها فكتب معاوية إلى أبي هريرة أن يخطبها ليزيد بن معاوية، فلقيه الحسن بن علي، فقال: «أين تريد»؟ قال: أخطب هند بنت سهيل ليزيد بن معاوية، قال: «فاذكرني لها»، فأتاها أبو هريرة فأخبرها الخبر، فقالت: اختر لي، قال: أختارُ لكِ الحسن فتزوجها.

قال: فقدم عبدالله بن عامر المدينة، فقال للحسن: إنَّ لي عندها وديعة، فدخل إليها والحسن معه، وجلست بين يديه فرقَّ ابن عامر، فقال الحسن: «الا أنزل لكَ عنها، فلا أراك تجد محللاً خيراً لكما مني»؟ فقال: وديعتي، فأخرجت سفطين فيهما جوهر ففتحهما وأخذ مِن كل واحدةٍ قبضة وترك الباقي.

وكانت تقول: سيدهم حسن، وأسخاهم ابن عامر، وأحبهم إلي عبد الرحمن بن عتاب.

وفي رواية ـ حماد ـ، عن عليّ بن زيد: أنها شاورت أبا هريرة، فقال أبو هريرة: رأيتُ رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقبل فاه، فإن استطعت أن تقبلي مقبل رسول اللّه صلى الله عليه وآله فافعلي.

٢٣ـ وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي ـفيما كتبَ إليَّ من همدانـ، أخبرني الرئيس أبو الفتح بن عبدالله النسائي الهمداني ـ كتابةً ـ، حدثني الإمام أبو الفضل عبدالله بن عبدان، حدثني شعيب بن علي القاضي، حدثنا موسى بن سعيد الفراء، حدثنا الحسين بن عمر الثقفي، حدثنا أبي عمر بن إبراهيم، حدثنا عبد الكريم بن يعقوب الجعفي، عن جابر، عن أبي الشعثاء، عن بشر بن غالب، قال: لقيت أبا هريرة وقد لقي الحسين بن عليّ عليه السلام فسمعته وهو يقول له وكان يطوف بالبيت: ستملكون أبا عبدالله سنين حسنة، فوالذي نفس أبي هريرة بيده، لا يملكون سنة إلاّ ملكتم سنتين، ولا شهراً إلاّ شهرين، ولا يوماً إلاّ يومين، وقد رأيتك على ذراعي النبيِّ صلى الله عليه وآله وقد خضبتهما دماً، حيثُ لفَّكَ في خرقتك، وقطع سرَّتك، وحنكك بتمرة، وتفل في فيك، وتكلَّم بكلام لستُ أدري ماهو؟، وذلك لأنَّ فاطمة سبقته بقطع الحسن فأمرها أن لا تسبقهُ فأرسَلت بكَ إليه.

٢٤ـ أخبرنا العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، حدثنا الفقيه الإمام أبو عليّ الحسن بن علي بن أبي طالب الفرزادي ـ بالري ـ، أخبرنا الفقيه أبو بكر طاهر بن الحسين بن عليّ السَّمان، حدّثنا عمي الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين السّمان الرازي، أخبرنا

عبد الرحمن بن أحمد ـ بقراءتي عليه ـ، حدثنا عبدالله بن أحمد الفارسي، حدثنا أحمد بن بديل، حدثنا وهب بن إسماعيل، حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام، عن جابر، قال: كُنا معَ النبي صلى الله عليه وآله ومعه الحسين بن عليّ، فعطش فطلب له النبيُّ ماءً فَلم يجدهُ، فأعطاه لسانه فمصَّه حتّى روي.

٢٥ـ وروي في «المراسيل» أن ـ شريحاً ـ قال: دخلتُ مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا الحسين بن عليّ فيه ساجد يعفر خده على التراب، وهو يقول: «سيدي! ومولاي! ألِمقامع الحديد خلقت أعضائي، أم لشرب الحميم خلقت أمعائي؟ إلهي! لئن طالبتني بذنوبي لاطالبنَّكَ بكرمك، ولئن حبستني مَع الخاطئين لأخبرنهم بحبّي لك، سيدي! إنَّ طاعتكَ لاتنفعك، ومعصيتي لا تضرّك، فهب لي مالا ينفعك، واغفر لي مالا يضرّك، فإنك أرحم الراحمين».

٢٦ـ وقيل: تهاجر ـ الحسن والحسين ـ فأراد قوم أن يصلحوا ما بينهما فسألوا الحسين أن يبدأ بالحسن، فقال: «إنَّ أبا محمَّد ـ يعني: الحسن ـ، أكبر مني، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله مامن اثنين تهاجرا ثُمَّ بدأ أحدهما بمصالحة الآخر إلاّ كانت درجته أعلى من درجة الآخر، وإني لا أُحبُّ أن تكون درجتي أعلى من درجة أخي، فاخبروا الحسن بذلك، فقال: صدق»، فقام إليه وبدأ بالسَّلام عليه.

٢٧ـ وقيل: سال رجل الحسين حاجةً، فقال له: «ياهذا! سؤالك إياي يعظم لديَّ، ومعرفتي بما يجب لك يكبر عليَّ، ويدي تعجز عن نيلكَ بما أنت أهله، والكثير في ذات الله قليل، وما في ملكي وفاء بشكرك، فإن قبلت بالميسور، دفعت عنّي مرارة الاحتيال لك، والاهتمام بما أتكلف مِن واجب حقِّك».

فقال الرجل: أقبل، يابن رسول اللّه! اليسير، واشكر العطيَّة، واعذر على المنع، فدعا الحسين بوكيله، وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها، ثم قال له: «هات الفاضل مِن الثلاثمائة ألف»؟ فاحضر خمسين ألفاً، قال: «فما فعلت الخمسمائة دينار»؟ قال: هي عندي، قال: «أحضرها»، قال: فدفع الدراهم والدنانير إلى الرجل، وقال: «هات من يحملُ معك هذا المال، فأتاه بالحمالين فدفع إليهم الحسين رداءه لكراء حملهم، حتى حملوه معه. فقال مولى له: واللّه، ما بقي عندنا درهم واحد، فقال: «لكني أرجو أن يكون لي بفعلي هذا أجر عظيم».

٢٨ـ وقيل: خرج الحسن عليه السلام إلى سفر فاضلَّ طريقه ليلاً، فمرَّ براعي غنم فنزل عنده فألطفه وبات عنده، فلمَّا أصبح دَلَّهُ على الطريق.

فقال له الحسن: «إني ماضٍ إلى ضيعتي، ثُمَّ أعودُ إلى المدينة»، ووقَّت له وقتاً، وقال له: تأتيني به، فلمَّا جاء الوقت شغل الحسن بشيءٍ من أُموره عن قدوم المدينة، فجاء الراعي وكان عبداً لرجل من أهل المدينة، فصار إلى الحسين وهو يظنه الحسن، فقال: أنا العبد الذي بتَ عندي ليلة كذا، ووعدتني أن أصير إليك في هذا الوقت، وأراه علامات عرف الحسين أنَّه الحسن، فقال الحسين له: «لِمن أنت ياغلام»؟ فقال: لفلان، فقال: كم غنمك؟ قال: ثلاثمائة، فأرسل إلى الرجل فرغبه حتّى باعه الغنم والعبد، فأعتقه ووهب له الغنم مكافاة لما صنع مع أخيه، وقال: «إن الذي بات عندك أخي، وقد كافأتكَ بفعلك معه».

٢٩ـ وقال الحسن البصري: كان الحسين بن عليّ سيداً زاهداً ورعاً صالحاً ناصحاً حسن الخلق، فذهب ذات يوم مع أصحابه إلى بستانه، وكان في ذلك البستان غلام له، اسمه «صاف» فلما قرب من البستان رأى الغلام

قاعداً يأكل خبزاً، فنظر الحسين إليه وجلس عند نخلة مستتراً لايراه، فكان يرفع الرغيف فيرمي بنصفه إلى الكلب ويأكل نصفه الآخر، فتعجَّب الحسين من فعل الغلام، فلما فرغ من أكله قال: الحمدُ للّه ربِّ العالمين، اللّهمَّ! اغفر لي واغفر لسيدي، وبارك له كما باركتَ على أبويه برحمتك ياأرحم الراحمين!.

فقام الحسين وقال: ياصافي! فقام الغلام فزعاً وقال: ياسيدي! وسيد المؤمنين! إني ما رأيتك فاعفُ عني، فقال الحسين: «اجعلني في حلٍّ ياصافي! لأني دخلت بستانك بغير إذنك»، فقال صافي: بفضلكَ ياسيدي! وكرمك وسؤددك تقول هذا، فقال الحسين: «رأيتك ترمي بنصف الرغيف للكلب، وتأكل النصف الآخر فما معنى ذلك»؟، فقال الغلام: إنَّ هذا الكلب ينظر إليَّ حين آكل، فاستحي منه ياسيدي! لنظره إليَّ، وهذا كلبك يحرس بستانك مِن الأعداء فانا عبدك، وهذا كلبك، فأكلنا رزقك معاً.

فبكى الحسين وقال: «أنت عتيق للّه، وقد وهبتُ لك ألفي دينار، بطيبة مِن قلبي»، فقال الغلام: إن اعتقتني فأنا أُريد القيام ببستانك، فقال الحسين: «إنَّ الرجل إذا تكلم بكلام فينبغي أن يصدقه بالفعل، فأنا قد قلت: دخلتُ بستانك بغير إذنك، فصدقت قولي، ووهبت البستان وما فيه لك، غير أن أصحابي هؤلاء جاؤا لأكل الثمار والرطب، فاجعلهم أضيافاً لك، وأكرمهم من أجلي أكرمك اللّه يوم القيامة، وبارك لك في حسن خلقك وأدبك»، فقال الغلام: إن وهبت لي بستانك، فأنا قد سبلته لأصحابك وشيعتك.

قال الحسن: فينبغي للمؤمن أن يكون كنافلة رسول اللّه صلى الله عليه وآله[1].

---

(١) النافلة: الذرية من الاحفاد والاسباط.

٣٠ـ وذكر السيد أبو طالب، بإسنادي إليه، عن محمد بن محمد بن العبا، عن علي بن شاكر، عن عبدالله بن محمد الضبي، عن يحيى بن سعيد، عن عبدالله بن إبراهيم، عن أبي رافع قال: كنتُ أُلاعبُ الحسين عليه السلام وهو صبي بالمداحي[1]، فإذا أصابت مدحاتي مدحاته، قلت: احملني، قال لي: «ويحك، أتركب ظهراً حمله رسول اللّه» فأتركه، وإذا أصابت مدحاته مدحاتي، قلت: لا أحملك كما لا تحملني.

قال: «أما ترضى أن تحمل بدناً حمله رسول اللّه»؟ قال: فأحمله.

٣١ـ وروي: أنَّ الحسين بن عليّ عليه السلام حجَّ خمساً وعشرين حجة ماشياً، وكان يجالس المساكين، ويقرأ: «إن اللّه لا يُحبُّ المتكبرين» ومرَّ على صبيان معهم كسرة، فسألوه أن يأكل معهم فأكل، ثُمَّ حملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم، وقال: «إنهم أسخى مني، لأنهم بذلوا جميع ما قدروا عليه، وأنا بذلتُ بعض ما أقدر عليه».

٣٢ـ وروي: أنَّ أعرابياً من البادية قصد الحسين عليه السلام فسلم عليه، فرد عليه السلام، وقال: «ياأعرابي! فيم قصدتنا»؟ قال: قصدتك في دية مسلمة إلى أهلها، قال: «أقصدت أحداً قبلي»؟ قال: عتبة بن أبي سفيان، فأعطاني خمسين ديناراً فرددتها عليه، وقلت: لأقصدنَّ من هو خير منك، وأكرم. فقال عتبة: ومن هو خير مني وأكرم لا أُمَّ لك؟ فقلت: إما الحسين بن علي وإما عبدالله بن جعفر، وقد أتيتكَ بدءاً لتقيم بها عمود ظهري، وتردُّني إلى أهلي.

فقال الحسين: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، وتجلَّى بالعظمة، مافي ملكِ بن بنت نبيكَ إلاّ مأتا دينار فأعطه إياها ياغلام! وإني أسألك عن

(١) المدحاة: خزفة يلعب بها الصبيان.

ثلاث خصال إن أنتَ أجبتني عنها أتممتها خمسمائة دينار، وإن لم تجبني ألحقتك فيمن كان قبلي». فقال الأعرابي: أكلُ ذلك احتياجاً إلى علمي، أنتم أهل بيت النبوَّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة؟

فقال الحسين: «لا، ولكن سمعتُ جدي رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: أُعطوا المعروف بقدر المعرفة»، فقال الأعرابي: فسل، ولا حول ولا قوة إلاّ باللّه.

فقال الحسين: ما أنجى مِن الهلكة؟ فقال: التوكل على اللّه، فقال: ما أروح للمهم؟ قال: الثقة باللّه، فقال: أي شيء خير للعبد في حياته؟ قال: عقل يزينه حلم، فقال: فإن خانه ذلك، قال: مال يزينه سخاء وسعة، فقال: فإن أخطاه ذلك، قال: الموت والفناء خير له من الحياة والبقاء، قال: فناوله الحسين خاتمه، وقال: بعه بمائة دينار، وناوله سيفه، وقال: بعه بمائتي دينار، واذهب فقد أتممت لك خمسمائة دينار، فأنشأ الأعرابي يقول:

قلقتُ وما هاجني مقلقُ ... وما بي سقام ولا موبق
ولكن طربت لآل الرسول ... ففاجأني الشعر والمنطق
فأنت الهمام وبدر الظلام ... ومعطي الأنام إذا أملقوا
أبوك الذي فاز بالمكرمات ... فقصر عن وصفه السبق
وأنت سبقت إلى الطيبات ... فأنتَ الجواد وما تلحق
بكم فتح اللّه بابَ الهدى ... وباب الضلال بكم مغلق

وجاءت هذه الحكاية بألفاظ أُخرى، فروي: أنَّ هذا الأعرابي سلَّم على الحسين بن عليّ، فسأله حاجةً، وقال: سمعتُ جدَّك رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: «إذا سألتم حاجةً فاسألوها من أحد أربعة: إما مِن عربي شريف؛ أو مولى كريم؛ أو حامل القرآن؛ أو ذي وجه صبيح.

فأما العرب ـ فَشَرُفت بجدِّك؛ وأما الكرم ـ فدأبكم وسيرتكم؛ وأمَّا

القرآن ـ ففي بيوتكم نزل؛ وأما الوجه الصبيح ـ فإني سمعتُ جدَّك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إذا أردتم أن تنظروا إلي فانظروا إلى الحسن والحسين».

فقال الحسين له: «ماحاجتك»؟ فكتبها على الأرض، فقال له الحسين: «سمعتُ أبي علياً عليه السلام يقول: قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يحسنه؛ وسمعتُ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: المعروف بقدر المعرفة، فأسألكَ عن ثلاث خصال، فإن أجبتني عن واحدة، فلكَ ثلث ما عندي؛ وإن أجبتني عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي؛ وإن أجبتني عن الثلاث، فلك كلُّ ما عندي؛ وقد حملت إليَّ صرة مختومة، وأنت أولى بها».

فقال: سَل، عما بدا لك، فإن أجبتُ وإلاّ تعلمتُ منك، فأنت من أهل العلم والشرف، ولا حول ولا قوَّةَ إلاّ بالله العلي العظيم.

فقال الحسين: أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله، والتصديق برسوله، قال: فما نجاة العبد منَ الهلكة؟ فقال: الثقة بالله، قال: فما يزين المرء؟ قال: عِلم معه حِلم، قال: فإن أخطأه ذلك؟ قال: فمالٌ معهُ كرَمٌ، قال: فإن أخطأه ذلك؟ قال: ففقر معهُ صبر، قال: فإن أخطأه ذلك؟ قال: فصاعقة تنزل عليه مِن السماء فتحرقه.

فضحك الحسين عليه السلام، ورمى له بالصرّة، وفيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمته مائتا درهم، وقال: «ياأعرابي! اعطِ الذهب إلى غرمائكَ، واصرف الخاتم في نفقتك»، فأخذ ذلك الأعرابي، وقال: «الله أعلم حيث يجعل رسالته».

وجاءت رواية أُخرى، بسندي المتَّصل: أنَّ أعرابياً جاء إلى الحسين بن عليّ، فقال له: يابن رسول الله! إني قد ضمنت دية كاملة، وعجزت عن أدائها، فقلت في نفسي: أسأل أكرم النّاس، وما رأيتُ أكرم من أهل بيت

رسول الله ﷺ.

فقال الحسين: «ياأخا العرب! أسألك عن ثلاث مسائل، فإن أجبتَ عن واحدة أعطيتك ثلث المال، وإن أجبتَ عن اثنتين أعطيتك ثُلثي المال، وإن أجبتَ عن كلٍّ أعطيتك المال كلَّه».

فقال الأعرابي: يابن رسول الله! أمثلك يسأل من مثلي، وأنت مِن أهل العلم والشرف؟

فقال الحسين: بلى، سمعتُ جدي رسول الله يقول: المعروف بقدر المعرفة. فقال الأعرابي: سَل عما بدا لك، فإن أجبتُ، وإلاّ تعلمتُ الجواب منكَ، ولا قوة إلاّ بالله.

فقال الحسين: «أي الأعمال أفضل؟ فقال: الإيمان بالله، قال: فما النجاة مِن الهلكة؟ قال: الثقة بالله، قال: فما يزين الرجل؟ قال: علم معهُ حلم، قال: فإن أخطأه ذلك؟ قال: فمالٌ معه مروءة، قال: فإن أخطأه ذلك؟ قال: ففقر معه صبر، قال: فإن أخطأه ذلك؟ قال: فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه.

فضحك الحسين، ورمى بصرة إليه فيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمته مائتا درهم، وقال له: «ياأعرابي اعطِ الذَّهب لغرمائك، واصرف الخاتم في نفقتك» فأخذ الأعرابي ذلك منه ومضى وهو يقول: «الله أعلمُ حيث يجعل رسالتهُ».

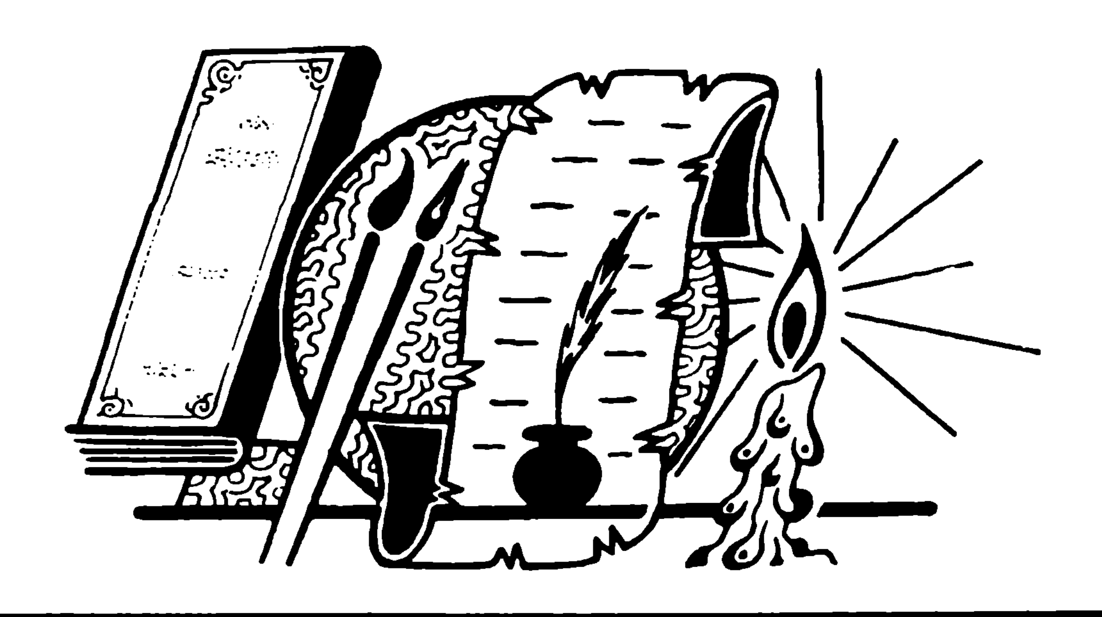
* * *



الفصل الثامن

في اخبار

رسول الله صلى الله عليه وآله عن الحسين وأحواله



١ ـ أخبرنا جار اللّه العلاَّمة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، حدثنا الإمام الفقيه أبو علي الحسن بن عليّ بن أبي طالب الفرزادي بالري، أخبرنا الفقيه أبو بكر طاهر بن الحسين بن علي السمان، حدثنا عمي الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعد إسماعيل بن عليّ بن الحسين السمان الرازي، أخبرنا أبو عبدالله الجعفي بالكوفة ـ بقراءتي عليه ـ، حدثنا محمد بن جعفر بن محمَّد، حدثنا عباد بن يعقوب، أخبرنا عليّ بن هاشم، عن موسى الجهني، عن صالح بن أربد النخعي، قال: قال رسول اللّه ﷺ لأم سلمّة (رضي اللّه عنها): «اجلسي على الباب فلا يلجن عليَّ أحد»، فجاء الحسين وهو وحف[1].

قال: فذهبت أُم سلمة تناوله فسبقها، قالت أُم سلمة: فلمَّا طال عليَّ خفت أن يكون قد وجد عليّ، فتطلعتُ من الباب، فوجدتهُ يقلِّبُ بكفيه شيئاً، والصبيُّ نائم على بطنه ودموعهُ تسيل. فلما أمرني أن أدخل، قلت:

(١) الوحف: المسرع.

يانبي اللّه! إن ابنكَ جاء فذهبتُ أتناوله فسبقني، فلما طالَ عليَّ خفتُ أن تكون قد وجدتَ عليَّ، فتطلعتُ مِن الباب فوجدتك تقلِّب بكفيكَ [تعني شيئاً] ودموعك تسيلُ والصبيُّ نائم على بطنكَ.

فقال: «إنَّ جبرئيل أتاني بالتربة التي يُقتلُ عليها، وأخبرني أنَّ أُمتي تقتله».

٢ـ وأخبرنا الشيخ الإمام الزاهد الحافظ أبو الحسن عليّ بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة أبو عليّ إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والدي شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، حدثنا أبو عبدالله الحافظ ـ إملاءاً ـ، أخبرنا محمَّد بن عليّ الجوهري، حدثنا أبو الأحوص، حدثنا محمَّد بن مصعب، حدثنا الأوزاعي، عن شداد بن عبد اللّه، عن أُم الفضل بنت الحرث: أنها دخلت على رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقالت: يارسول اللّه! إني رأيتُ حلماً منكراً الليلة؟

قال: وماهو؟ قالت: إنَّه شديد، قال: وما هو؟ قالت: رأيت كأنَّ قطعةً من جَسدكَ قُطعت ووضعت في حجري.

فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «رأيتِ خيراً، تلد فاطمة إن شاء اللّه غلاماً، فيكون في حجرك». فولدت فاطمة الحسين، فكان في حجري، كما قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فدخلتُ يوماً على رسول اللّه فوضعته في حجره، ثُمَّ حانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول اللّه تهريقان الدموع، فقلت: يانبي اللّه! بابي أنتَ وأُمي مالك؟

فقال: «أتاني جبرئيل، فاخبرني أنَّ أُمتي ستقتلُ ابني هذا»، فقلت: هذا، فقال: «نعم، وأتاني بتربة مِن تربته حمراء».

قال وفي ـ رواية أم سلمة ـ: «أخبرني جبرئيل أنَّ هذا يُقتل بأرض

العراق ـ يعني: الحسين ـ، فقلت: ياجبرائيل! أرني تربة الأرض التي يُقتل بها؟ قال: فهذه تربتها».

٣ـ وبهذا الإسناد، عن أبي عبدالله الحافظ، أخبرنا أحمد بن علي المقري، حدثنا محمَّد بن عبد الوهاب، حدثني أبي عبد الوهاب بن حبيب، حدثني إبراهيم بن أبي يحيى المدني، عن عمارة بن يزيد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي سلمة، عن عائشة: أنَّ رسول الله ﷺ أجلس ـ حسيناً ـ على فخذه، فجاء جبرئيل إليه، فقال: هذا ابنك؟ قال: «نعم»، قال: أما إنَّ أُمتك ستقتله بعدك؟ فدمعت عينا رسول الله، فقال جبرئيل: إن شئت أريتك الأرض التي يُقتل فيها؟ قال: «نعم»، فأراه جبرئيل تراباً من تُراب الطَّف.

٤ـ وبهذا الإسناد، عن أبي عبدالله الحافظ، أخبرني خلف بن محمد البخاري، حدثني صالح بن محمد الحافظ، حدثني محمد بن يحيى الذهلي، حدثني سعيد بن عبد الملك، حدثني عطاء بن مسلم، عن أشعث ـ يعني: ابن سحيم ـ، عن أبيه، عن أنس ـ يعني ابن الحرث ـ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ ابني هذا ـ يعني: الحسين ـ، يُقتل بأرض العراق، فمن أدركه منكُم فلينصره»، قال: فَقُتِل انس بن الحرث مع الحسين بن علي عليه السلام.

٥ـ وبهذا الإسناد، عن أبي عبدالله الحافظ، حدثني أبو بكر محمَّد بن أحمد، حدثني إبراهيم بن عبدالله بن الحجاج، حدثني حجاج بن نصير، حدَّثني قرَّة بن خالد، حدَّثني عامر بن عبد الواحد، عن أبي الضحى، عن ابن عباس قال: ما كُنَّا نشك أهل البيت، وهم متوافرون: أنَّ الحسين بن علي يُقتل بالطف.

٦ـ وانباني الإمام صدر الحفّاظ أبو العلاء الحسين بن أحمد الهمداني، أخبرني زاهر بن طاهر الكاتب، أخبرني محمّد بن عبد الرحمن الخبزوردي، أخبرني محمد بن أحمد بن حمدان الخيري، أخبرني أحمد بن عليّ بن المثنى، حدثني شيبان، حدثني عمارة بن زاذان، حدثني ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: استاذن ملكُ ـ القطر والمطر ـ ربّه أن يزور النبيَّ صلى الله عليه وآله فاذن تعالى له، وكان في يوم أم سلمة، فقال النبيُّ: «ياأمَّ سلمة! احفظي علينا الباب، لايدخل علينا أحد».

قال: فبينما هي على الباب، إذْ جاء ـ الحسين بن علي ـ فاقتحم الباب فدخل، فجعل النبي صلى الله عليه وآله يلتزمه ويقبّله، فقال الملكُ: اتحبه؟ قال: «نعم»، قال: إنَّ أُمّتك ستقتله، إن شئتَ أريتك المكان الذي يُقتل فيه؟ قال: «نعم»، فقبضَ قبضةً مِن المكان الذي يُقتل فيه، فأراه فجاء بسهلة أو تراب أحمر، فاخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها.

قال ثابت: فكنَّا نقول: إن ـ الحسين ـ يقتل، فَقُتِلَ في «كربلاء».

٧ـ وبهذا الإسناد، عن أبي العلاء هذا، أخبرنا محمد بن إسماعيل الصيرفي، أخبرنا أحمد بن محمّد بن الحسين، أخبرنا سليمان بن أحمد اللخمي، أخبرنا الحسن بن عباس الرازي، حدثنا سليم بن منصور بن عمّار، حدثنا أبي [ح]، قال سليمان بن أحمد: وحدثني أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرقي، حدثني عمرو بن بكير القعيني، حدثني مجاشع بن عمرو، قالا: حدثنا عبدالله بن لهيعة، عن أبي قبيل، حدَّثني عبدالله بن عمرو بن العاص: انَّ معاذ بن جبلة أخبره قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله مصفر اللون، فقال: «أنا محمّد أُوتيت جوامع الحكم فواتحها وخواتمها فاطيعوني مادمتُ بين أظهركم، فإذا ذهب بي فعليكم: بكتاب الله عزوجل

أحلوا حلاله وحرّموا حرامه، أتتكم الموتة، أتتكم بالروح والراحة، كتابٌ من اللّه سبق، أتتكم فتن كقطع الليل المظلم، كلّما ذهب رُسُل جاء رُسل، تناسخت النبوة، فصارت ملكاً، رحم اللّه من أخذها بحقها، وخرج منها كما دخلها، أمسك يامعاذ! واحص».

قال: فلما بلغت خمسة بالاحصاء، قال: «يزيد! لابارك اللّه في يزيد»، ثُمَّ ذرفت عيناه بالدُّموع، ثم قال: «نعي إليّ الحسين، ثُمَّ أُتيت بتربته، وأخبرت بقتله؛ وقاتله أو قتلته، والذي نفسي بيده، لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعونه إلا خالف اللّه بين صدورهم وقلوبهم، وسلَّط عليهم شرارهم وألبسهم شيعاً، ثُم قال: آه لفراخ آل محمَّد من خليفة مستخلف مترف، يقتل خلفي وخلف الخلف، امسك يامعاذ»!

فلمَّا بلغت عشرة قال: «الوليد اسم فرعون هادم شرائع الإسلام يبوء بدمه رجل من أهل بيته، يسل اللّه سيفه فلا غماد له، ويختلف النّاس فكانوا هكذا ـ وشبك بين أصابعه ـ، ثُم قال: وبعد العشرين والمائة موت سريع؛ وقتل ذريع؛ فيه هلاكهم، ويلي عليهم رجل مِن ولد العبَّاس».

٨ ـ وبهذا الإسناد، عن سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي، حدثنا إسماعيل بن أبان، حدثنا حيان بن علي، عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر محمَّد بن عليّ، عن أبيه ﷺ، عن أم سلمة قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «يقتل الحسين على رأس ستين مِن مهاجري».

٩ـ وبهذا الإسناد، عن سليمان بن احمد، حدثنا محمَّد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا محمَّد بن يحيى بن أبي سمينة، حدثنا يحيى بن حماد، عن أبي عوانة، عن عطاء بن السائب، عن ميمون بن مهران، عن شيبان بن

محزم ـ وكان عثمانياً ـ قال: إني لَمعَ عليٍّ إذ أتى كربلاء، فقال: «يقتل في هذا الموضع شهداء ليس مثلهم شهداء، إلا شهداء بدر».

فقلت: بعض كذباته، ثُمَّ رايتُ رجل حمار ميت، فقلت لغلامي: خذ رجل هذا الحمار، فاوتدها في مقامه، وعينها، ثُمَّ ضرب الدهر ضربانه، ولَمَّا قُتلَ الحسين انطلقت ومعي أصحاب لي، فإذا جثة الحسين على رجل ذاك الحمار، وإذا أصحابه ربض حوله.

١٠ـ وذكر شيخ الإسلام الحاكم الجشمي: انَّ أمير المؤمنين عليه السلام لما سار إلى «صفين» نزل «بكربلاء»، وقال لابن عبَّاس: «أتدري ماهذه البقعة»؟ قال: لا، قال: «لو عرفتها لبكيتَ بكائي»، ثم بكى بكاءاً شديداً، ثمَّ قال: «مالي ولآل ابي سفيان»؟ ثم التفت الى ـ الحسين ـ، وقال: «صبراً يابني! فقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى بعده».

١١ـ وذكر الإمام احمد بن أعثم الكوفي في «تاريخه» بأسانيد له كثيرة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله منها: ما ذكر من حديث ابن عباس؛ ومنها: ماذكر من حديث أُم الفضل بنت الحرث ـ حين أدخلت حسيناً على رسول الله، فاخذه رسول الله صلّى الله عليه وبكى، وأخبرها: بقتله إلى أن قال: ثُم هبط جبرئيل في قبيل من الملائكة، قد نشروا أجنحتهم، يبكون حزناً على الحسين؛ وجبرئيل معه قبضة من تربة الحسين تفوح مسكاً أذفر؛ فدفعها إلى النبي وقال: ياحبيب الله! هذه تربة ولدك الحسين بن فاطمة؟ وسيقتله اللعناء بأرض كربلاء.

فقال النبي: «حبيبي جبرئيل وهل تفلح أُمَّة تقتلُ فرخي وفرخ ابنتي»؟ فقال جبرئيل: لا، بل يضربهم الله بالاختلاف، فتختلف قُلوبهم وألسنتهم آخر الدهر.

١٢ـ وقال شرحبيل بن أبي عون: إن الملكَ الذي جاء إلى النبي ﷺ إنما كان ـ ملك البحار ـ، وذلك انَّ ملكاً مِن ملائكة الفراديس نزل إلى البحر، ثم نشر أجنحته عليه، وصاح صيحة قال فيها: ياأهل البحار! البسوا ثياب الحزن، فإن فَرخ محمد مقتول مذبوح، ثُمَّ جاء إلى النبي فقال: ياحبيب اللّه! تقتتل على هذه الأرض فرقتان مِن أُمتك: احداهما ظالمة متعدية فاسقة تقتل فرخك الحسين ابن ابنتك بأرض ـ كرب وبلاء ـ، وهذه التربة عندك، وناوله قبضة من أرض «كربلاء»، وقال له: تكون هذه التربة عندك حتى ترى علامة ذلك، ثم حمل ذلك الملك من تربة الحسين في بعض أجنحته، فلم يبق ملك في سماء الدنيا إلا شمَّ تلك التربة، وصار لها عنده أثر وخبر.

قال: ثم أخذ النبي تلك القبضة التي أتاه بها الملك، فجعل يشمها ويبكي، ويقول في بكائه: «اللّهمَّ! لا تبارك في قاتل ولدي، وأصله نارَ جهنم» ثم دفع تِلكَ القبضة إلى أم سلمة وأخبرها بقتل الحسين ـ بشاطئ الفرات ـ، وقال: «ياأُمَّ سلمة! خذي هذه التربة إليك، فإنها إذا تغيرت وتحوَّلت دماً عبيطاً، فعند ذلك يقتل ولدي الحسين».

فلما أتى على الحسين من ولادته سنة كاملة، هبط على رسول اللّه اثنا عشر ملكاً: أحدهم على صورة الأسد، والثاني: على صورة الثور، والثالث: على صورة التنين، والرابع: على صورة ولد آدم، والثمانية الباقون: على صور شتى، محمرة وجوههم، قد نشروا أجنحتهم، وهم يقولون: يامحمد! سينزلُ بولدكَ الحسين مانزل بهابيل من قابيل، وسيعطى مثل أجر هابيل، ويحمل على قاتله مثل وزر قابيل.

قال: ولم يبقَ في السماء ملك إلا ونزل على النبي يعزيه بالحسين، ويخبره: بثواب ما يُعطى، ويعرض عليه تربته، والنبي يقول: «اللّهمَّ!

اخذل مَن خذله، واقتل من قتله، ولا تمتعه بما طلبه».

١٣ـ وقال المسوَّر بن مخرمة: ولقد أتى النبي صلى الله عليه وآله ملك من ملائكة الصفيح الأعلى، لم ينزل إلى الأرض منذُ خلق اللّه الدُّنيا، وإنما استأذن ذلك الملكُ ربَّه، ونزل شوقاً منه إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله فلما نزل إلى الأرض، أوحىٰ اللّه عزوجل إليه: أيها الملك! اخبر محمداً بأنَّ رجلاً من أُمتِه يقال له: «يزيد» يقتل فرخك الطَّاهر وابن الطاهرة ـ نظيرة البتول مريم ابنة عمران ـ، فقال الملك: إلهي! وسيدي! لقد نزلت وأنا مسرور بنزولي إلى نبيِّك، فكيفَ أُخبره بهذا الخبر؟ ليتني لم أنزل عليه، فنودي الملك مِن فوق رأسه: أن امضِ لما أمرت.

فجاء وقد نشر أجنحته حتى وقف بين يديه، فقال: السلامُ عليكَ ياحبيب اللّه! إني استأذنت ربي في النزول إليك، فليت ربي دقَّ جناحي ولَمْ آتكَ بهذا الخبر، ولكني مأمور يانبي اللّه! اعلم أن رجلاً من أُمتكَ يقال له: يزيد يقتل فرخك الطاهر ابن فرختك الطاهرة نظيرة البتول مريم ابنة عمران، ولم يمتع من بعد ولدك، وسيأخذه اللّه معافصة على أسوء عمله، فيكون من أصحاب النار.

قال: ولما أتت على الحسين من مولده سنتان كاملتان، خرج النبي في سفر، فلما كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك، فقال: «هذا جبرئيل، يخبرني عن أرض ـ بشاطئ الفرات ـ يقال لها «كربلاء» يقتل فيها ولدي الحسين بن فاطمة»، فقيل: من يقتله يارسول اللّه؟ فقال: «رجل يقال له يزيد لابارك الله في نفسه، وكأني أنظر إلى منصرفه ومدفنه بها، وقد أُهدي رأسه، واللّه ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلاّ خالف اللّه بين قلبه ولسانه»، يعني: ليس في قلبه ما يكون بلسانه

من الشهادة.

قال: ثُمَّ رجع النبيُّ مِن سفره ذلك مغموماً، فصعد المنبر فخطب ووعظ والحسين بين يديه مع الحسن، فلمّا فرغ من خطبته، وضع يده اليمنى على رأس الحسين ورفع رأسه إلى السماء وقال: «اللّهمَّ إني محمَّد عبدك ونبيك، وهذان أطائب عترتي، وخيار ذريتي وأُرومتي، ومن أخلفهما في أُمتي، اللّهم! وقد أخبرني جبرئيل: بأنَّ ولدي هذا مقتول مخذول، اللّهم! فبارك لي في قتله، واجعله من سادات الشهداء، إنَّك على كل شيء قدير، اللّهم! ولا تبارك في قاتله وخاذله».

قال: فضجَّ النّاس في المسجد بالبكاء، فقال النبيُّ: «أتبكون ولا تنصرونه؟ اللّهمَّ! فكن له أنتَ ولياً وناصراً».

١٤ـ وقال ابن عبّاس: خرج النبيُّ ﷺ قبلَ موته بأيام يسيرة إلى سفر له، ثُمّ رجع وهو متغير اللون، محمرّ الوجه، فخطب خطبةً بليغة موجزة، وعيناه تهملان دموعاً، قال فيها: «أيّها النّاس! إني خلفت فيكم الثقلين: كتاب اللّه؛ وعترتي؛ وأُرومتي؛ ومزاج مائي؛ وثمرتي؛ ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، ألا وإني انتظرهما، ألا وإني أسالكم في ذلك إلا ما أمرني ربي أن أسالكم به المودَّة في القربى، فانظروا لا تلقوني على الحوض وقد أبغضتم عترتي، وظلمتوهم.

ألا وإنه سترد عليَّ في القيامة ـ ثلاث رايات ـ من هذه الأمة: راية سوداء مظلمة: فتقف عليَّ، فأقول: مَن انتم؟ فينسون ذكري، ويقولون: أهل التوحيد مِن العرب، فأقول: أنا أحمد نبيُّ العرب والعجم، فيقولون: نحنُ من أُمتك ياأحمد! فأقول لهم: كيف خلفتموني من بعدي في أهلي وعترتي وكتاب ربي؟ فيقولون: أما الكتاب ـ فضيعناه ومزَّقناه؛ وأما

عترتك ـ فحرصنا على أن ننبذهم عن جديد الارض، فأولّي وجهي عنهم، فيصدرون ظماءً عطاشاً مسودةً وجوههم.

ثم ترد عليَّ راية أُخرى أشد سواداً مِن الأولى، فأقول لهم: مَنْ أنتم؟ فيقولون كالقول الأوَّل، بأنهم من أهل التوحيد، فإذا ذكرت لهم اسمي عرفوني، وقالوا: نحنُ أُمَّتك، فاقول له: كيف خلفتموني في الثقلين: الأكبر والأصغر؟ فيقولون: أما الأكبر ـ فخالفناه، وأما الأصغر ـ فخذلناه ومزَّقناهم كل ممزق، فأقول لهم: إليكم عني، فيصدرون ظماءً عطاشاً مسودةً وجوههم.

ثُم ترد عليَّ راية أُخرى تلمع نوراً، فأقول لهم: مَن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى، نحنُ أُمَّة محمد، ونحنُ بقية أهل الحقِّ الذين حملنا كتاب ربنا فحللنا حلاله، وحرمنا حرامه، وأحببنا ذريَّة محمد فنصرناهم بما نصرنا به أنفسنا، وقاتلنا معهم، وقتلنا مَنْ ناوأهم، فأقول لهم: ابشروا، فأنا نبيكم محمَّد، ولقد كُنتم في دار الدُنيا كما وصفتم، ثم أسقيهم مِن حوضي فيصدرون رواءاً.

ألا وإن جبرئيل قد أخبرني بأن أُمتي تقتل ولدي ـ الحسين ـ بأرض كرب وبلاء، ألا فلعنة اللّه على قاتله وخاذله آخر الدَّهر».

قال: ثم نزل عن المنبر، ولم يبقَ أحدٌ مِن المهاجرين والانصار إلاّ وتيقن بأنَّ الحسين مقتول حتَّى إذا كان في أيام ـ عمر بن الخطاب ـ وأسلم كعب الأحبار، وقدم المدينة جعل أهل المدينة يسألونه عن الملاحم التي تكون في آخر الزمان، وكعب يحدثهم بأنواع الملاحم والفتن.

فقال كعب لهم: وأعظمها ملحمة هي الملحمة التي لا تنسى أبداً وهو الفساد الذي ذكره اللّه تعالى في الكتب، وقد ذكره في «كتابكم» في قوله:

﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾الروم/٤١، وإنما فُتِح بقتل «هابيل»، ويختم بقتل «الحسين بن علي».

١٥ـ وأخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، عن شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، عن أبيه، حدثنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرنا خلف بن محمد البخاري، حدثنا صالح بن محمد الحافظ، حدثنا أحمد بن حيان المصيصي، حدثنا عيسى بن يونس السبيعي، عن الأعمش، عن نشيط أبي فاطمة قال: جاء مولاي أبو هرثمة من «صفين» فأتيناه فسلمنا عليه، فمرت شاة وبعرت، فقال: لقد ذكرتني هذه الشاة حديثاً، أقبلنا مع ـ عليّ ـ، ونحن راجعون من صفين فنزلنا «كربلاء» فصلّى بنا الفجر بين شجرات، ثُمَّ أخذ بعرات من بعر الغزال، ففتها في يده، ثمَّ شمها فالتفت إلينا، وقال: «يقتل في هذا المكان قوم يدخلون الجنَّة بغير حساب».

١٦ـ وبهذا الإسناد، عن أبي عبدالله الحافظ، حدثنا محمَّد بن يعقوب، حدثنا الحسن بن علي بن عفان، حدثنا أبو أُسامة، عن سفيان بن عُيينة، عن عبدالله بن عبدالله بن الأصم، عن عمه يزيد بن الأصم، قال: خرجت مع الحسن بن علي من الحمام فبينما هو جالس يحك ظفره من الحناء، إذْ أتت اضبارة مِن الكتب، فما نظر في شيءٍ منها حتّى دعا الخادم ـ بالمخضب والماء ـ فالقاها فيه، ثُم دلكها، فقلت: ياأبا محمد! ومن أين هذه الكتب؟ قال: «من العراق، مِن عند قومٍ لا يقصرون عن باطل، ولايرجعون إلى حقٍّ».

قال سفيان: فزادني غير عبداللهفي ـ هذا الحديث ـ، أنَّه قال: «أما إني لستُ أخشاهم على نفسي، ولكني أخشاهم على ذاك»، وأشار إلى الحسين.

١٧ـ وأخبرنا عين الأئمة أبو الحسن علي بن أحمد الكرباسي، حدثنا القاضي الإمام أبو نصر أحمد بن عبد الرحمن الريغدموني ـ سنة خمس وثمانين وأربعمائة ـ، حدثني والدي، حدثني الفقيه أبو شعيب صالح بن محمد بن صالح السخاوي، أخبرنا أبو محمد عبد اللّه بن يحيى بن عبد الباقي، أخبرني أبي، أخبرني يوسف بن الجراح، حدثنا أبو الأحوص القاضي البصري ـ بعكبراء وهو من ولد حمّاد ـ، أتيته ومعنا أبو العباس الهمداني، وجماعة من الرازيين، منهم: أبو القاسم بن أبي زرعة الرازي، فمما روى لنا هذا الحديث.

حدثني محمد بن عبيد اللّه بن محمّد العجلي ثُمَّ التيمي، حدثني أبي، حدثني وكيع بن الجراح، حدثني محمد بن سهل ـ خال ولد أبي صالح السمان ـ، عن مولى لابن عباس اسمه ـ خالد بن نافع ـ، قال: سمعتُ ابن عباس يقول(١): أخذ بيدي علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: «ياعبدالله بن عباس! كيف بك إذا قُتلنا، وولغت الفتنة في أولادنا، وسبيت ذرارينا كما تسبى الأعاجم»؟ قال: فقلت: أعيذكَ باللّه، ياأبا الحسن! يابن عم! لقد كلمتني بشيء ساءني، وما ظننت أنَّه يكون هذا؟ أما ترى الإيمان ماأحسنه! والإسلام ما أزينه! أتراهم فاعلين ذلك بنا؟ لعلّها أُمَّة غير هذه الأمة، قال: «لا، واللّه، بل هذه الأمة».

قال: فأمرض قلبي وساءني فصرت إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله فأخبرته على استحياء وخوف، قلت: ـ وشاركتني بالحديث ميمونة ـ وكأني أريد بالحديث إياها.

فقال النبيُّ: «اللّه أكبر! من أخبرك بذلك»؟ فقلت إنه حدثني ـ يعني:

---

(١) هذا الحديث سنده مظلم ولفظه مضطرب فهو من الموضوعات أو المزيد فيها.

علياً ـ، فقال لي رسول الله: «ائت علياً فادعه»، فإذا هو بالباب، وإذا هو عند ميمونة فسلم فامره بالقعود، وقال له: «ياحبيبي! مالي أراك متغيراً لونك»؟ قال: «خيراً! يارسول الله» قال: «لعلك ذكرت أمراً فأحزنك»، قال: «قد كان ذلك» قال: «إنَّ عبدالله حدَّث عنك بما حدَّث، فمن أين قلت لقد أمرضت قلبي وأحزنتني»؟

قال: «إنَّ ابنتك ـ فاطمة ـ أخبرتني أنها رأت رؤيا أقلقتني، عندما قصتها عليَّ، فقال ﷺ: «ماهي»؟ قال: «إنها أخبرتني كأن الشمس انكسفت، وأن قمرين طلعا فقاما مقامها، قالت: فقلت: فما بال الشمس انكسفت؟ فقيل لي: هذه الشمس رسول الله يموت، وأنَّ هذين القمرين ـ أبو بكر وعمر ـ يقومان مقامه بالدِّين، ويسوسان الأمَّة، وطلعَ نجم زاهر بينهما كان وضيئاً، فاذا خمد القمران أزهر هذا بنوره، وأمدهما هذا بضوئه، فما هو إلاّ ان لبثَ قليلاً حتَّى ذهب أحد القمرين ذات اليمين، فقلت: الى أين ذهب هذا فقد كان وضيئاً؟ فقيل: إلى حيث ذهبت الشمس، ثُمَّ مالَبِثَ القمرُ الآخر حتى صار أحمر، ثم انكسف وغاب، والنجم طالع زاهر نوره لا ينقص بل يزيد نوره، فقلت: أُوه! إلى أين ذهب الآخر، فقيل لي: ذهب إلى حيث ذهبت الشمس وأخوها، فقلت: ما القمران اللذان غابا؟ فقيل: صاحبا رسول الله والخليفتان بعده، فبينا أنا اسأل عن ذلك، إذ طلع قمر آخر بين القمرين مثل حسنهما، ثم اجتمعت النجوم كلّها عليه وذلك القمر الزاهر طلع معه نجمان آخران بقربه يزهران كزهر النجم، ولقد اعجبت منهما ولقد مددت يدي إليهما، فجاءاني وجاء الأوَّل بينهما، ثمَّ ضممتهما إلى صدري فما هو إلاّ أن تفرقا على القرب مني، إذا اشتقت فمالي إليهما سبيل، وكانت النجوم قد اشتبكت فنظرت

فيها، فإذا هم يزهرون، وأقام القمر على ذلك ماشاء، وكانوا يقصدونه مرة، ويتأخرون عنه مرَّة، ثم صار أحدهما ملازماً له حتى مارأيتُ إلاّ أن الطالع الأكبر منهم قد أفل وهو الذي قد طلع بعد ذهاب ذينك، فقلت: ما هذا؟ فقيل لي: هذا رجل يملك الدُّنيا، ثم يُقتل ويتفرق عنه من رأيت من قومه، فقلتُ: إن هذا لعجب ولقد وافاني أحدُ تلك النجوم حتى دخل إلى بيتي فرأيته محزوناً خامداً نوره فكلمته وكلَّمني، فقلت: مالك؟ فقال لي: لا أُحسن الكلام، ثُم بكى، فقلت: م بكاؤك؟ فقال: إن صاحبي يُقتَل وولدك يقتلون ظلماً، كما قُتِل اللّذان رأيت ظلماً، وأنه سيكون بعدك فتنة، وأنه يؤخذ منك ولدك وولد ولدك، فلولا أن اللّه يُريد أن لا يهلك العباد كلّهم لرجمهم كما رجم قوم لوط بالحجارة».

قال: فقام رسول اللّه، وقمتُ معه، وبيده علي حتى دخل على فاطمة، فقامت مستقبلة له وهي تبكي، فضمَّها إلى صدره وقبلها في رأسها وهو يبكي، وسألها عن الرؤيا؟ فأخبرته فقال: «إن عشت سترين، غير أنَّكَ لا تعيشين، وسيعيشُ زوجكِ ويرى ذلك أنه قد نزل عليَّ في هذه الليلة ألف ملك، يعزونني في نفسي وَفيكِ، وإنك لا تعيشين مِن بعدي إلاّ يسيراً، والذي رأيتِ مِن الأقمار، هم كما رأيت ـ أبو بكر وعمر ـ، والقمر الثالث: رجلٌ من بعدهما مني، هو شيخ قريش وأوسعها حلماً وأفضلها سخاءاً وأكثرها عطاءاً، ياعلي! لا تختلف عليه بذلك.

أخبرني حبيبي وإنَّك ستراه في مقامك هذا ـ فطلع عثمان بن عفان ـ، وأنَّ ولدك يُقتل، وأن ذريتك تقتل، وتحمل نسائي وبناتي إلى الشَّام، والملائكة بذلك يخبروني، وجاءني جبرئيل يقرؤكَ السلام، ويقرئ علياً السلام، ويعزيني فيكما وفي ولديكما، ولا تسكن الفتنة إلاّ بكما، وأنَّ اللّه

تعالى وعدكما الأجر والثواب، ولك عنده فضيلة ليست لغيرك، لصبرك واحتسابك على ما أبلاك، وأبلى ولدك بعدك، وأنه ليعطيك قلماً من نور فتقعد على حوضي وبين يديك ولدان من نور، فكل من أراد الشرب من النّاس، والصديقين غير المرسلين، والشهداء ـ البحريين والبريين ـ، تكتب لهم برق من نور فيأخذه الولدان، وتملأ أواني من نور فيسقون أولئك بإذنك، وإذا أُذن لأحد منهم أن يذهب إلى الجنَّة كتبت له رقعة الى ـرضوان ـ فهي جوازه حتَّى يدخله الجنَّة فعليك السلام من بعدي، وأنت الوصي على أزواجي، والخليفة على كتابي، وكتاب ربي وسنتي، فلا تكن من القاعدين، ولا الكسلين، وإنَّ اللّه قد منعكَ من حرام الدُّنيا ولم يجعل لها عليك سبيلاً، ولا على ولدك، وجعل قوتكم قدراً منها ليقل الحساب، ووهب لِمن تمسكَ بسيرتك، واعتقد بحبك، ونصر ولدك، شفاعتك والنظر إليك جزاء بما كانوا يكسبون لا يصرفون عنها، ولهم فيها ما تشتهي أنفسهم، وإن كانت لهم حاجة عند ربهم في آبائهم وأزواجهم وأولادهم قضاها؛ فبشر أُمتي وعرفها ذلك، فإنَّ السعيد يقبل والشقي يحرم». انتهى.

١٨ـ وأخبرني الحافظ سيد الحفاظ أبو منصور الديلمي ـ فيما كتبَ إليَّ من همدان ـ، أخبرنا أبو منصور محمد بن إسماعيل الأشقر ـ بقراءتي عليه بداره في أصبهان ـ، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن الحسين بن فادشاه، أخبرنا الطبراني [ح] وأخبرني أبو علي الحداد ـ مناولة ـ، أخبرني أبو نعيم الحافظ، أخبرني الطبراني قال: أخبرني أبو بكر محمد بن الحسين المقري ـفيما كتب إليَّ من قزوين سنة ثلاث وثمانين وأربعمائةـ، أخبرني أبو القاسم بن أبي المنذر الخطيب، أخبرني علي بن إبراهيم، أخبرني محمد بن يزيد؛ وابن ماجه القزويني؛ بإسنادهما إلى الحسين بن علي عليهما السلام قال: «قال لي رسول

الله ﷺ: ياحسين! آخر شربة مِن الدنيا تشربها من ماء تشربها على ظمأ».

١٩ـ وروي: ان النبيَّ ﷺ لما دخل الجنَّة ليلة المعراج، رأى فيها قصرين من ياقوتتين: إحداهما خضراء؛ والأُخرى حمراء، فسأل جبرئيل عنهما، فقال: اسأل رضوان عنهما، فسأل رضوان، فقال: الخضراء للحسن؛ والحمراء للحسين، فقال: «يارضوان! لِم خلق الله الخضراء للحسن؛ والحمراء للحسين»؟ فقال رضوان: إن الحسن تقتله أُمتك بالسم فيصير أخضر؛ والحسين تقتله أُمتك بالسيف فيتلطخ بدمه فيصير أحمر، فأعلم الله قصريهما بهاتين العلامتين، فبكى رسول الله، فقال الله: يامحمد! لِم تبكي؟ وأن دموعك لا قيمة لها عندي[1]، ولكن إن رضيت أن تحفظهما ولا شفاعة لك يوم القيامة فعلنا، فقال رسول الله: «بل الشفاعة أحبّ إليَّ يارب، وإن قتلت قرَّة عيني معهما فاطمة».

٢٠ـ وذكر عبدالله بن المبارك: أن يحيى الحضرمي كان صاحب مطهرة عليّ بن أبي طالب عليه السلام فلما سار الى صفين وحاذى «نينوى» وهو منطلق إلى «صفين»، نادى: «صبراً أبا عبد الله! صبراً أبا عبد الله!» وهو بشط الفرات، فقلت: مالك ياأمير المؤمنين؟ قال: «دخلتُ على رسول الله ﷺ، وعيناه تفيضان، فقلتُ: بابي وأُمي أنت ! ما لعينيك تفيضان؟ قال: قام مِن عندي جبرئيل آنفاً فأخبرني إنَّ الحسين يقتل بالفرات، وقال: فهل لك أن أُشمك من تربته؟ قلت: نعم، فقبض قبضةً من ترابٍ وأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا».

وقيل: لما أتى جبرئيل بالتربة إلى رسول الله ﷺ مِن موضع يهراق فيه دم أحد ولديه، ولم يخبره باسمه، شمها، وقال: «هذه رائحة ابني

---

(١) اي عزيزة غالية لا ثمن لها.

الحسين»، وبكى، فقال جبرئيل: صدقت.

٢١ـ وذكر أبو عليّ السلامي البيهقي في «تاريخه»: أنَّ النبي ﷺ قال للحسين بن علي عليه السلام: «إنَّ لك في الجنَّة درجةً لا تنالها إلا بالشهادة».

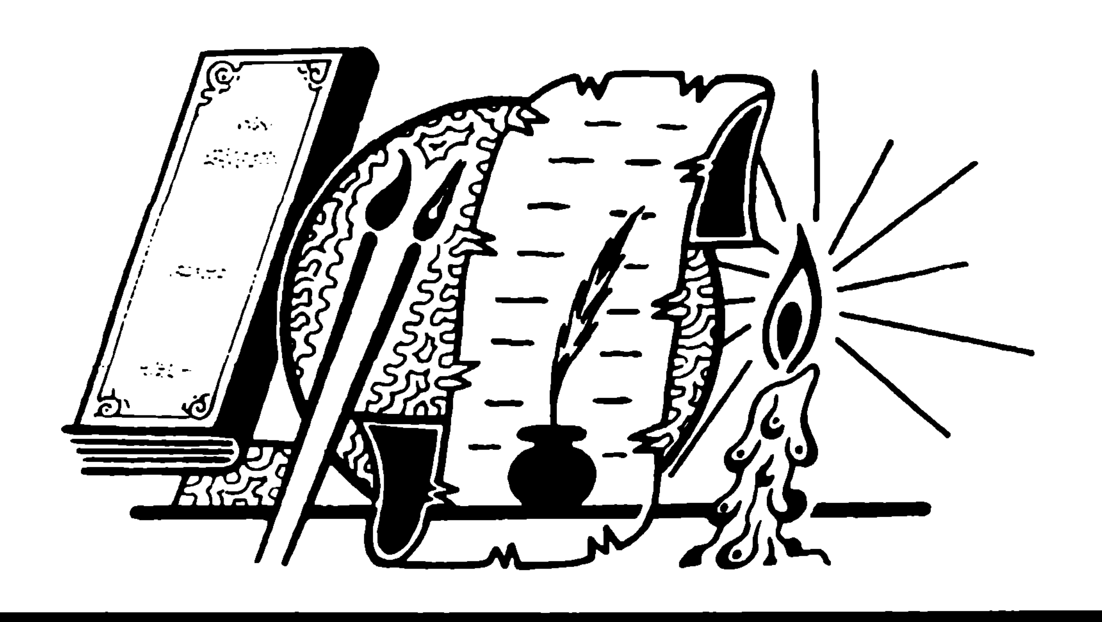
قال السلامي: فكان يعلم وقت اجتماع العسكر عليه أنه مقتول، فصبر ولَم يجزع حتى نال الشهادة (عليه أفضل السَّلام).

* * *



الفصل التاسع

في بيان ما جرى
بينه وبين الوليد بن عتبة ومروان
بن الحكم بالمدينة في حياة معاوية وبعد وفاته



١ـ أخبرنا سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي ـ فيما كتب إليَّ من همدان ـ، أخبرنا الرئيس محيي السنة أبو الفتح بن عبدالله كتابةً، أخبرنا الشيخ العدل أبو الفرجِ عليٌّ بن محمد، حدثنا أبو بكر، حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق السرَّاج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثني من أدرك ـ مروان بن الحكم ـ، أنه خطب النَّاس على المنبر، ليدعو إلى ـ يزيد بن معاوية ـ، فقام عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فجلس على قوائم المنبر، فقال: لا، ولا نعمة عين لك، أدين الهرقلية كلَّما ذهب واحد جاء آخر، هلك أبو بكر فترك ولداً هم أطيب وأكثر مِن ولد معاوية، ثُمَّ نحاها عنهم وجعلها إلى رجل مِن بني عدي بن كعب، ثم هلكَ عمر بن الخطاب فترك ولداً هم أطيب وأكثرمِن ولد معاوية، فنحاها عنهم وجعلها شورى بين النّاس.

قال: وقالت عائشة: يامروان! أما واللّه، إنكم للشجرة الملعونة التي ذكر اللّه في القرآن.

٢ـ وذكر هذه القصة ـ الإمام أحمد بن أعثم الكوفي (ره) في «تاريخه» أطول من هذه. قال: كتب معاوية إلى مروان بن الحكم يامره أن يدعو النّاس إلى بيعةيزيد، ويخبره في كتابه: إن أهل ـ مصر والشام والعراق ـ قد بايعوا. فارسل مروان إلى وجوه أهل المدينة فجمعهم في المسجد الأعظم، ثُمَّ صعد المنبر فحمد اللّه واثنى عليه، وذكر الطاعة وحضَّ عليها، وذكر الفتنة وحذَّرَ منها، ثُمّ قال في بعض كلامه: أيها النَّاس! إن أمير المؤمنين قد كبر سنه، ودقَّ عظمه، ورق جلده، وخشيَ الفتنة من بعده، وقد أراه اللّه رأياً حسناً، وقد أراد أن يختار لكم ولي عهد يكون لكم مِن بعده مفزعاً، يجمع اللّه به الألفة، ويحقن به الدِّماء، وأراد أن يكون ذلك عن مشورةٍ منكم، وتراض، فماذا تقولون؟

قال: فقال النَّاس من جانب: إنا ما نكره ذلك إذا كان رضا، فقال مروان: فإنه قد اختار لكم الرّضا الذي يسير فيكم بسيرة الخلفاء الراشدين المهتدين ـ وهو ابنه يزيد ـ، قال: فسكت النّاس، وتكلّم عبد الرَّحمن بن أبي بكر، فقال: كذبت واللّه، وكذب مَن أمرك بهذا، واللّه، ما يزيد بمختار، ولا رضا، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية.

وقال في غير هذا الموضع: في يزيد الخمور، يزيد القرود؛ يزيد الفهود، فقال مروان: إنَّ هذا المتكلم هو الذي أنزل اللّه فيه: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما﴾الاحقاف/١٧.

قال: فغضب عبد الرحمن، وقال: يابن الزرقاء! أفينا تتأوَّل القرآن، وأنتَ الطريد ابن الطريد؟ ثُمَّ بادر إليه فاخذ برجليه، وقال: أُنزل، ياعدوَّ اللّه! عن منبر رسول اللّه، فليس مثلك مَن يتكلم على أعواده.

قال: فضجَّت ـ بنو أُميَّة ـ في المسجد، وبلغ ذلك عائشة، فخرجت

من منزلها متلفعة ـ بملاءة ـ لها، ومعها نسوة من قريش، حتّى دخلت المسجد، فلمّا نظر إليها ـ مروان ـ كأنَّه فزِع من ذلك، فقال: سألتُك باللّه، ياأم المؤمنين! إن قلتِ إلاّ حقاً. فقالت عائشة: لا أقولُ إلا حقاً، أشهدُ لقد لعن رسول اللّه أباك، ولعنك فانت فضض من لعنة رسول اللّه، وأنتَ الطريد ابن الطريد، أتكلم أخي ـ عبد الرحمن ـ بما تكلّمه، فسكت مروان، ولم يرد عليها شيئاً، وتفرق الناس.

وكتب مروان إلى معاوية يخبره بما كان من عبد الرحمن بن أبي بكر، فلما قرأ معاوية كتاب مروان أقبل على جلسائه، وقال: عبد الرحمن شيخ قد خرف، وذهب عقله، ونحن أن نكف ونحتمل ماكان منه، فليس هذا مِن رأيه، ولكن رأي غيره.

٣ـ أخبرني سيد الحفاظ أبو منصور الديلمي ـ كتابةً ـ، أخبرنا محمود ابن إسماعيل الصيرفي، أخبرنا أحمد بن فادشاه [ح] وأخبرنا أبو علي الحداد إجازةً، أخبرنا أبو نعيم، قالا: أخبرنا الطبراني، عن أحمد بن رشدين المصري، عن محمد بن سفيان الحضرمي، عن ابن لهيعة، عن أبي قبيل: أنَّ ابن موهب أخبره: أنه كان عند معاوية بن أبي سفيان فدخل عليه مروان فكلمه في حوائجه، وقال: اقض حاجتي، ياأمير المؤمنين! فواللّه، إن مؤنتي لعظيمة، إني أصبحتُ أبا عشرة، وأخا عشرة، وعمّ عشرة، فلما أدبر مروان، قال معاوية لابن عباس ـ وكان جالساً معه على سريره ـ: أنشدك اللّه، ياابن عباس! أما تعلم أن رسول اللّه قال: «إذا بلغ ـ بنو الحكم ـ ثلاثين رجلاً: اتخذوا مال اللّه بينهم دولاً، وعباده خولاً، وكتابه دغلاً، فإذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة، كان هلاكهم أسرع مِن التمرة.

فقال ابن عباس: اللّهمَّ! نعم، ثم قال: أنشدك اللّه ياابن عباس! أما

تعلم أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله ذكر هذا، فقال: «أبو الجبابرة الأربعة»، فقال ابن عباس: اللّهُمَّ! نعم.

٤ـ وبهذا الإسناد، عن الطبراني أيضاً، عن أحمد بن محمد بن يحيى، عن إسحاق بن إبراهيم، عن يزيد بن ربيعة، عن أبي الأشعث، عن ثوبان قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «رايت ـ بني مروان ـ يتعاورون على منبري، فساءني ذلك، ورأيت بني العبّاس يتعاورون على منبري فسرى ذلك عني».

٥ـ وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور الديلمي ـ كتابةً ـ، أخبرني زاهر ابن طاهر الشحامي، أخبرني عبد الرحمن بن محمد، أخبرني أحمد بن محمد بن حمدان، أخبرني أبو العلاء الموصلي، عن مصعب بن عبد اللّه، عن أبي حازم، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «رايتُ في النوم ـ بني الحكم بن أبي العاص ـ ينزون على منبري، كما تنزو القردة»، فاصبح كالمتغيظ، فما رؤي رسول اللّه صلى الله عليه وآله مستجمعاً ضاحكاً بعد ذلك، حتّى مات.

٦ـ وذكر الإمام أحمد بن أعثم الكوفي: أن معاوية لما حجَّ حجته الأخيرة ارتحل مِن «مكة» فلما صار ـ بالأبواء ـ ونزلها، قام في جوف الليل لقضاء حاجته، فاطلع في ـ بئر الأبواء ـ فلما اطلع فيها اقشعر جلده، وأصابته اللقوة في وجهه، فأصبح وهو لما به مغموم، فدخل عليه النّاس يعودونه، فدعوا له وخرجوا مِن عنده، وجعل ـ معاوية ـ يبكي لما قد نزل به، فقال له مروان بن الحكم: أجزعت ياأمير المؤمنين؟ فقال: لا يامروان! ولكني ذكرتُ ماكنتُ عنه عزوفاً، ثم إني بكيت في إحني، وما يظهر للناس مني، فاخاف أن يكون عقوبة عجلت لي لما كان من دفعي حق علي بن أبي

طالب ﷺ، وما فعلت ـ بحجر بن عدي ـ وأصحابه، ولولا هواي من يزيد لابصرتُ رشدي، وعرفت قصدي.

قال: ولما أخذ البيعة ـ ليزيد ـ أقبل عليه، فقال: يابني! أخبرني الآن ما أنت صانع في هذه الأُمة؟ أتسير فيهم بسيرة ـ أبي بكر الصديق ـ الذي قاتل أهل الردَّة، وقاتل في سبيل اللّه، حتى مضى والنَّاس عنه راضون؟ فقال: ياأمير المؤمنين! إني لا أُطيق ان أسير بسيرة أبي بكر، ولكن آخذهم بكتاب اللّه وسنَّة رسوله.

فقال: يابني! أتسير فيهم بسيرة ـ عمر بن الخطاب ـ الذي مصر الامصار، وفتح الديار، وجنَّد الأجناد، وفرض الفروض، ودوَّن الدواوين، وجبى الفيء، وجاهد في سبيل اللّه، حتّى مضى والنّاس عنه راضون؟ فقال يزيد: لا أدري ماصنع عمر؟ ولكن آخذ الناس بكتاب اللّه والسنَّة.

فقال معاوية: يابني! أفتسير فيهم بسيرةِ ابن عمك ـ عثمان بن عفّان ـ الذي أكلها في حياته، وورثها بعد مماته، واستعمل أقاربه، فقال يزيد: قد أخبرتك ياأمير المؤمنين! إنَّ الكتاب بيني وبين هذه الأُمة: به آخذهم، وعليه اقتلهم.

قال: فتنفس معاوية الصعداء، وقال: إني من اجلك آثرت الدُّنيا على الآخرة، ودفعت حق ـ عليّ بن أبي طالب ـ، وحملت الوزر على ظهري، وإني لخائف انَّك لا تقبل وصيتي فتقتل خيار قومك، ثم تغزو حرم ربِّك فتقتلهم بغير حقّ، ثم يأتي الموت بغتة، فلا دُنيا أصبت، ولا آخرة أدركت.

يابني! إني جعلتُ هذا الملك مطعماً لك ولولدك من بعدك، وإني مُوصيكَ بوصية فاقبلها، فإنك تحمد عاقبتها، وانَّك بحمد اللّه صارمٌ

حازم، انظر أن تثبَ على أعدائك كوثوب الهزبر البطل، ولا تجبن كجبن الضعيف النكل، فإني قد كفيتك الحلَّ والترحال، وجوامع الكلم والمنطق، ونهاية البلاغة، ورفع المؤنة، وسهولة الحفظ، ولقد وطات لك يابني البلاد، وذللت لك رقاب العرب الصعاب، وأقمتُ لك المنار، وسهلتُ لك السبل، وجمعتُ لك اللجينَ والعقيان، فعليك يابني! من الأمور بما قرب مأخذه، وسهل مطلبه، وذر عنك مااعتاص عليك، واعلم يابنيَّ! أن سياسة الخلافة لا تتم إلا بثلاث: بقلبٍ واسع؛ وكف بسيط؛ وخلق رحيب، وثلاث أُخر: علم ظاهر؛ وخلق طاهر؛ ووجه طلق، ثم تردف ذلك بعشر أُخر: بالصبر؛ والأناة؛ والتودد؛ والوقار؛ والسكينة؛ والرزانة؛ والمروءة الظاهرة؛ والشجاعة؛ والسخاء؛ والاحتمال للرعية بما تحب وتكره.

ولقد علمت يابُني! أني قد كنتُ في أمر الخلافة جائعاً شبعان، بشما شهوان، أُصبح عليها جزعاً، وأُمسي هلعاً، حتّى أعطاني النَّاس ثمرة قلوبهم، وبادروا إلى طاعتي، فادخل يابنيَّ! من هذه الدنيا في حلالها، واخرج من حرامها، وانصف الرعية، وأقسم فيهم بالسوية، واعلم يابنيَّ! أني أخاف عليك من هذه الأمة ـ أربعة نفر ـ من قريش: عبد الرحمن بن أبي بكر؛ وعبدالله بن عمر؛ وعبدالله بن الزبير؛ وشبيه أبيه الحسين بن عليّ.

فأما ـ عبد الرحمن بن أبي بكر ـ فإنه إذا صنع أصحابه صنع مثلهم، وهو رجلُ همته النساء، ولذة الدنيا، فذره يابُني! وما يريد، ولا تأخذ عليه شيئاً من أمره، فقد علمت ما لأبيه مِن الفضل على هذه الأمة، وقد يحفظ الولدُ في أبيه.

وأما ـ عبدالله بن عمر ـ فإنه رجلُ صدق، وحش من النَّاس، قد أنس بالعبادة، وخلا بالوحدة، فترك الدنيا وتخلى منها، فهو لا يأخذ منها

شيئاً، وإنما تجارته من الدنيا كتجارة أبيه ـ عمر بن الخطاب ـ، فاقرأ عليه يابُني! منكَ السلام، وابعث إليه بعطاياه موفرة مهنأة.

وأما ـ عبدالله بن الزبير ـ فما أخوفني منه عنتاً، فإنَّه صاحب خلل في القول، وزلل في الرأي، وضعف في النظر، مفرط في الأمور، مقصر عن الحقّ، وأنه ليجثو لك كما يجثو الأسدِ في عرينه، ويراوغك روغان الثعلب، فإذا امكنته منك فرصة لَعِبَ بِك كيف شاء، فكن له يابُني! كذلك واحذه كحذو النعل بالنعل، إلا أن يدخل لك في الصلح والبيعة، فأمسك عنه، واحقن دمه، وأقمه على ما يُريد.

وأمَّا ـ الحسين بن علي ـ فأوه أوه يايزيد! ماذا أقولُ لكَ فيه؟ فاحذر أن تتعرض له إلاّ بسبيل خير، وامدد له حبلاً طويلاً، وذره يذهب في الأرض كيف يشاء، ولا تؤذِه، ولكن ارعد له وأبرق، وإياك والمكاشفة له: في محاربة بسيف، أو منازعة بطعن رمح، بل أعطه وقربه وبجله، فإن جاء إليك أحد من أهل بيته فوسع عليهم وارضهم، فإنهم أهل بيت لا يسعهم إلاّ الرضا والمنزلة الرفيعة.

وإياك يابُني! أن تلقى اللّه بدمه، فتكونَ من الهالكين، فقد حدثني ـ ابن عبّاس ـ، فقال: حضرت رسول اللّه ﷺ عند وفاته، وهو يجود بنفسه، وقد ضمَّ الحسين إلى صدره، وهو يقول: «هذا مِن اطائب أُرومتي، وأبرار عترتي، وخيار ذريتي، لابارك اللّه فيمن لم يحفظه مِن بعدي»، قال ابن عباس: ثم أُغمي على رسول اللّه ساعةً، ثم افاق فقال: «ياحسين! إنَّ لي ولقاتلك يوم القيامة مقاماً بين يدي ربي، وخصومة، وقد طابت نفسي إذْ جعلني اللّه خصماً لِمن قاتلك يوم القيامة.

يابُني! فهذا حديث ابن عباس، وأنا أُحدثكَ عن رسول اللّه ﷺ أنه

قال: «أتاني يوماً حبيبي جبرئيل، فقال: يامحمد! إن أُمتك تقتل ابنك ـ حسيناً ـ وقاتله لعين هذه الأمة»، ولقد لعن النبي صلى الله عليه وآله قاتل حسين مراراً، فانظر يابُني! ثم انظر أن تتعرض له بأذى، فإنه مزاج ماء رسول اللّه، وحقه واللّه، يابُنيَّ! عظيم، وقد رأيتني كيف كنتُ أحتمله في حياتي، واضع له رقبتي، وهو يجبهني بالكلام القبيح الذي يوجع قلبي، فلا أُجيبه ولا أقدر له على حيلة، لأنه بقية أهل اللّه بأرضه في يومه هذا، وقد أعذر من أنذر.

ثُمَّ أقبل ـ معاوية ـ على ـ الضحاك بن قيس الفهري؛ ومسلم بن عقبة المري ـ وهما من اعظم قواده، وهما اللذان كانا يأخذان البيعة ليزيد، فقال لهما: اشهدا على مقالتي هذه، فواللّه، لو فعل بي الحسين وفعل، لاحتملته، ولم يكن اللّه تعالى يسالني عن دمه، أفهمتَ عني يابُني! ماأوصيتك به؟

قال: قد فهمت ياأمير المؤمنين! ثُم قال معاوية: وانظر إلى ـ أهل الحجاز ـ فإنهم أصلك، وفرعُك فأكرم من قدِمَ عليك منهم، ومن غاب عنك فلا تجفهم ولا تعقهم، وانظر إلى ـ أهل العراق ـ فإنهم لا يحبونك أبداً، ولا ينصحونك، ولكن دارهم ما أمكنكَ واستطعت، وإن سالوك أن تعزل عنهم في كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل واحد أيسر عليك، وأخف مِن أن يشهروا عليك مائة ألف سيف، وانظر يابُني ـ أهل الشام ـ، فإنهم بطانتك وظهارتك، وقد بلوتهم وخبرتهم وعرفت نياتهم، وهم: صبر عند اللقاء، حماة في الوغى، فإن دار بكَ أمرٌ من عدوّ يخرج عليك فانتصر بهم، فإذا أصبت منهم حاجتك فارددهم إلى بلادهم يكونوا بها إلى وقت حاجتك إليهم.

قال: ثُم تنفّس الصعداء، ثمَّ غشي عليه، فلم يفق من غشيته يومه

ذلك، فلما افاق قال: اوه ﴿جاء الحقُّ وزهقَ الباطل﴾الإسراء/ ٨١، ثم جعل يقول:

إن تناقش يكن نقاشك يارب عذاباً لاصبر لي بالعذاب
أو تجاوز فانت ربّ رحيم عن مسيء ذنوبه كالترابِ

ثُمَّ التفت إلى أهل بيته وقرابته وبني عمِّه، فقال: اتقوا اللّه حق تقاته، فإنَّ تقوى اللّه جنة حصينة، وويل لِمن لم يَتَّقِ اللّه مِن عذابه، واليم عقابه، ثُم قال: اعلموا أني كُنتُ بين يدي رسول اللّه ﷺ ذات يوم، وهو يقلِّم أظفاره، فأخذت القلامة، وأخذت بمشقص مِن شعره على الصفا، وجعلتها في قارورة هي عندي، فاجعلوا أظفاره وشعره في فمي وأُذني وصلّوا عليَّ وواروني في حفرتي، وذروني وربي فإنَّه غفور رحيم.

ثُمَّ انقطع كلامه فلم ينطق بشيءٍ[1].

قال: وكان يزيد خرج مِن يومه ذلك إلى «حوران» موضع من الشام ليتصيد هنالك، وقال للضحاك بن قيس: انظر، لاتخف عليَّ شيئاً من أمر أمير المؤمنين، فتوفي معاوية في غد ذلك اليوم، وليس يزيد عنده، فكان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، وتوفي ـ بدمشق ـ يوم الاحد لايام خلت من شهر رجب سنة ستين وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

قال: ثُمَّ خرج الضحاك بن قيس من دار معاوية وهو لايكلِّم أحداً، والاكفان معه، فدخل المسجد الاعظم، ونودي له في الناس، فصعد المنبر فحمد اللّه واثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! إنَّ أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان قد ذاق الموت، وشرب كاس الحتف، وهذه اكفانه، نحنُ مدرجوه فيها، ومدخلوه قبره، ومخلون بينه وبين عمله، فمن كانَ مِنكم يُريد أن

(١) هذا الخبر يناقض مابعده من كون يزيد بحوران.

يشهدهُ فليحضر بين الصلاتين، ولا تقعدوا عَن الصلاة عليه، ثُمَّ نزل عن المنبر، وكتبَ إلى يزيد.

بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم

الحمدُ للّه الذي لبس رداء البقاء، وكتب على عباده الفناء، فقال عزَّوجلّ: ﴿كلّ مَنْ عليها فان * ويبقى وجه ربِّك ذو الجلال والإكرام﴾الرحمن/٢٦ـ٢٧، لعبدالله يزيد أمير المؤمنين من الضحاك بن قيس:

أما بعد، فكتابي إلى أمير المؤمنين: كتاب تهنئة؛ ومصيبة، فأما ـ التهنئة ـ فالخلافة التي جاءتك عفواً، وأما ـ المصيبة ـ فموت أمير المؤمنين معاوية فإنا للّه وإنا إليه راجعون، فإذا قرأت كتابي هذا فالعجل العجل لتأخذ النَّاس ببيعة أُخرى مجددة، ثُم كتب في أسفل «كتابه» هذين البيتين:

مضى ابن أبي سفيان فرداً لشأنه وخلفت فانظر بعده كيف تصنعُ؟
أقمنا على المنهاج واركب محجَّةً سداداً فانت المرتجى حين نفزَعُ

فلما ورد الكتاب على يزيد وقرأه، وثبَ باكياً، وأمر باسراج دوابه، وسار يريد «دمشق» فصار إليها بعد ثلاثة أيام من مدفن معاوية، وخرج النّاس إلى استقباله، فلم يبق أحد يطيق حمل السلاح إلا ركب وخرج، حتّى إذا قرُب مِن دمشق جعل الناس يتلقونه ويبكون، ويبكي معهم، وأيمن ابن خريم الأسدي بين يديه ينشده ويقول:

رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السُّود بيضاً وردَّ وجوههن البيض سودا
وإنَّك لو سَمعت بكاء هند ورملة إذْ يلطمن الخدودا
بكيت بكاء مَوجعة بحَزنَ أصاب الدَّهر واحدها الفريدا
فصبراً يابني حرب! تعزُّوا فمن هذا الذي يرجو الخلودا؟

تلقفها يزيد عن أبيه ودونكها معاوي عن يزيدا
أديروها ـ بني حرب ـ عليكم ولا ترموا بها الغرض البعيدا
فإن دُنياكم بكم اطمأنت فأولوا أهلها خلقاً جديدا
وإن عصفت عليكم فاعصفوها عصافاً تستقم لكمُ شديدا

ثُم نزل يزيد في قبة خضراء لأبيه، وهو معتم بعمامة خزٍّ سوداء، متقلد بسيف أبيه، فلما دخل نظر، فإذا قد فرش له فيها فرش كثير، بعضه على بعض، فرقى عليها بالكرسي، وصعد حتى جلس على تلك الفرش، فدخل الناس عليه يهنونه بالخلافة ويعزونه، وهو يقول: نحنُ أهل الحقِّ، وأنصار الدِّين فابشروا ياأهل الشام! فإن الخير لم يزل فيكم، وسيكون بينكم وبين أهل العراق ملحمة، فإني رأيتُ في منامي قبل ثلاث ليال، كأنّ بيني وبين أهل العراق نهراً يطرد بالدم العبيط، ويجري جرياً شديداً، وجعلت أجهد في منامي أن أجوز ذلك النهر، فلم أقدر على ذلك، حتى جاءني ـ عبيد اللّه بن زياد ـ فجازه بين يدي وأنا أنظر إليه.

فأجابه أهل الشّام وقالوا: امضِ بنا ياأمير المؤمنين! حيث شئت، فنحنُ بين يديك، وسيوفنا هي التي عرفها أهل العراق في يوم «صفين»، فقال لهم: أنتم لعمري، كذلك، ثُمَّ قال: أيها الناس! إن معاوية كان عبداً من عباد اللّه، أنعم اللّه عليه، ثُمَّ قبضه إليه، وهو خير ممن كان بعده، ودون من كان قبله، ولا أُزكيه على اللّه، فهوَ أعلم به مني، فإن عفا عنه فبرحمته، وإن عاقبه فبذنبه، وقد وليتُ هذا الأمر من بعدهِ ولستُ أُقصر عن طلب حقّ، ولا أعتذر من تفريط في باطلٍ، وإذا أراد اللّه شيئاً كان.

فصاح الناس من كل جانب: سمعنا وأطعنا، ياأمير المؤمنين!

قال: وبايعه النّاس كلهم، وبايعوا ابنه ـ معاوية بن يزيد ـ بعده،

وفتح بيوت الأموال، فاخرج لأهل الشام أموالاً جزيلةً وفرقها عليهم، وكتبَ إلى جميع البلاد باخذ البيعة له، فكان على المدينة يومئذ مروان بن الحكم فعزله وولى مكانه ابن عمّه ـ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ـ وكتب إليه:

بسم اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم

من عبدالله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة:

أما بعد، فإن معاوية كان عبداً من عبيد اللّه أكرمه واستخلفه ومكنَ له، ثُمَّ قبضه إلى روحه وريحانه ورحمته وثوابه، عاش بقدر ومات بأجل، وقد كان عهِدَ إلي وأوصاني: أن أحذر ـ آل أبي تراب ـ وجرأتهم على سفك الدِّماء، وقد علمت ياوليد أن اللّه تعالى منتقم للمظلوم عثمان بن عفان من آل أبي تراب بآل سفيان، لأنهم أنصار الحقّ وطلاب العدل، فإذا وردَ عليكَ كتابي هذا، فخذ البيعة لي على جميع أهل المدينة.

قال: ثُمَّ كتبَ ـ صحيفة صغيرةً ـ كأنها أذن فارة فيها:

أما بعد ـ فخذ الحسين؛ وعبدالله بن عمر؛ وعبد الرحمن بن أبي بكر؛ وعبدالله بن الزبير، بالبيعة أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن أبى عليك منهم، فاضرب عنقه، وابعث إلي برأسه والسَّلام.

٧ـ أخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي ـ فيما كتب إلي من همدان ـ، أخبرني زاهر بن طاهر النيسابوري، أخبرني عبد الرحمن بن محمد الخسروردي، أخبرني أحمد بن محمد بن حمدان، أخبرني ابو يعلى احمد بن علي الموصلي، عن الحكم بن موسى، عن الوليد ابن مسلم، عن الأوزاعي، عن مكحول، عن أبي عبيدة بن الجراح قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «لايزال أمر أُمتي قائماً بالقسط، حتى يكون أول مَن

يثلمه رجل من بني أُمية يقال له: يزيد». قال الحافظ: وأخرج هذا الخبر الحافظ ابن أبي أسامة؛ وابن منيع في «مسنديهما».

٨ ـ أخبرني أبو منصور هذا، أخبرنا أبو علي الحداد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، أخبرنا العتابي، أخبرنا أبو بكر بن عاصم، حدثنا عبيد اللّه بن معاذ، حدثني أبي، حدثني عوف، عن المهاجر بن مخلد، عن أبي العالية، عن أبي ذرٍّ، أنه قال ليزيد بن معاوية: سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول: «أوَّل من يُبدل ديني رجل من بني أُميَّة».

٩ـ قال أحمد بن أعثم الكوفي: فلمَّا ورد الكتاب على الوليد بن عتبة وقرأه، قال: إنا للّه وإنا إليه راجعون، ياويح الوليد! ممن أدخله في هذه الامارة؟ مالي وللحسين بن فاطمة؟ ثُمَّ بعث إلى مروان فدعاه وأقرأه الكتاب فاسترجع مروان، ثُمَّ قال: يرحم اللّه أمير المؤمنين معاوية، فقال له الوليد: أشر عليَّ برأيك في أمر هؤلاءِ القوم، فقال مروان: أرى أن تبعث إليهم الساعة فتدعوهم إلى البيعة والدخول في طاعة يزيد، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم، وكففت عنهم، وإن أبوا قدَّمتهم وضربتَ أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنهم إن علموا بذلك، وثبَ كلُّ واحدٍ منهم، وأظهر الخلاف، ودعا الى نفسه، فعند ذلك أخاف أن يأتيك مِن قبلهم مالا قِبل لك به ومالا تقوم به، إلا عبدالله بن عمر فإنه لا أراه ينازع في هذا أحد، إلاّ أن تأتيه الخلافة فيأخذها عفواً، فذر عنكَ ابن عمر، وابعث الى الحسين بن علي؛ وعبد الرحمن بن أبي بكر؛ وعبدالله بن الزبير، فادعهم إلى ـ البيعة ـ، مع أني أعلم أن الحسين خاصة لايجيبك إلى بيعة يزيد أبداً، ولا يرى له عليه طاعة، والله، إني لو كنت بموضعك لم أُراجع الحسين بكلمة واحدة حتى أضرب عنقه كائناً في ذلك ما كان.

فاطرق الوليد برأسه إلى الأرض ساعة، ثُمَّ رفع رأسه، وقال: ليت الوليد لم يولد، ولم يكن شيئاً مذكوراً، ثم دمعت عيناه، فقال له مروان: أيها الأمير! لا تجزع ممّا ذكرت لك، فإن ـ آل أبي تراب ـ هُم الأعداء من قديم الدهر، ولا يزالون، وهم الذين قتلوا عثمان، وهم الذين ساروا إلى أمير المؤمنين معاوية فحاربوه، وبعد فإني لست آمن أيها الأمير! إن لم تعاجل الحسين بن علي خاصة، أن تسقط منزلتك من أمير المؤمنين يزيد؟

فقال له الوليد: مهلاً، ويحكَ دعني مِن كلامك هذا، وأحسن القول في ـ ابن فاطمة ـ فإنَّه بقيَّة ولد النبيين، ثم بعث الوليد إلى الحسين بن علي؛ وعبد الرحمن بن أبي بكر؛ وعبدالله‌بن عمر؛ وعبدالله‌بن الزبير؛ فدعاهم وأقبل إليهم رسوله، وهو عمرو بن عثمان ـ، فلم يصِب القوم في منازلهم، فمضى نحو ـ المسجد ـ فإذا هُم عند قبر النبي صلى الله عليه وآله فسلم عليهم، ثم قال: الأمير يدعوكم فصيروا إليه.

فقال الحسين: «نفعل ذلك إذا نحن فرغنا من مجلسنا إن شاء اللّه».

قال: فانصرف الرسول إلى الوليد وأخبره بذلك، وأقبل ـ عبدالله‌بن الزبير ـ على ـ الحسين ـ فقال: ياأبا عبد اللّه! إنَّ هذه ساعة لم يكن الوليد بن عتبة يجلس فيها للناس، وإني قد أنكرت بعثه إلينا ودعاءه إيانا في مثل هذا الوقت، أفترى لماذا بعث إلينا؟

فقال له الحسين: «أنا أُخبرك: أظن أنَّ معاوية قد مات، وذلك إني رأيت البارحة في منامي كأنَّ معاوية منكوس، ورأيتُ النَّار تشتعل في داره، فتأولتُ ذلك في نفسي أن قد مات معاوية». فقال ابن الزبير: فاعلم أنَّ ذلك كذلك، فماذا ترى نصنع ياأبا عبد اللّه! إن دُعينا إلى ـ بيعة يزيد ـ.

فقال الحسين: «أما أنا فلا أُبايع أبداً، لان الأمر كان لي بعد أخي

الحسن، فصنع معاوية ما صنع، وكان حلف لأخي الحسن: أن لا يجعل الخلافة لأحد مِن ولده، وأن يردَّها عليَّ إن كُنتُ حياً، فان كان معاوية خرج من دُنياه ولم يفِ لي، ولا لاخي بما ضمن، فقد جاءنا ما لا قرار لنا به، أتظن أبا بكر! اني أُبايع ليزيد، ويزيد رجلٌ فاسق، معلن بالفسق، يشربُ الخمر، ويلعب بالكلاب والفهود، ونحنُ بقية آل الرسول، لا، واللّه، لا يكون ذلك أبداً».

قال: فبينا هما كذلك في المحاورة إذ رجع الرسول فقال: أبا عبد اللّه! إنَّ الأمير قاعد لكما خاصة، فقوما إليه، فزبره الحسين وقال: «انطلق إلى أميرك لا أُمَّ لك، فمن أحب أن يصير إليه منا فإنه صائر إليه، فأما أنا فإني أصير إليه الساعة إن شاء اللّه، ولاقوة إلاّ باللّه».

فرجع الرسول أيضاً إلى الوليد، فقال: أصلح اللّه الأمير، أما الحسين ابن عليّ خاصة، فإنه صائرٌ إليك في أثري فقد أجابَ، فقال مروان: غدر، واللّه الحسين، فقال الوليد: مهلاً، فليس مثل الحسين يغدر، ولا يقول شيئاً ثُمّ لا يفعل.

قال: ثُمَّ إن الحسين أقبل على من معه، وقال: «صيروا إلى منازلكم، فإني صائر إلى الرجل فانظر ما عنده، وما يريد»؟، فقال له ابن الزبير: جعلت فداك! إني خائفٌ عليك أن يحبسوك عندهم، فلا يفارقونك أبداً، دون أن تبايع أو تقتل.

فقال الحسين: «إني لستُ أدخل عليه وحدي، ولكني أجمع إلي أصحابي وخدمي وأنصاري وأهل الحق مِن شيعتي، ثمَّ آمرهم أن يأخذَ كلُّ واحدٍ منهم سيفه، مسلولاً تحتَ ثيابه، ثم يصيروا بازائي، فإذا أنا أومأتُ إليهم، وقلت: ياآل الرسول! ادخلوا، فعلوا ما أمرتهم به، فأكون على

الامتناع دون المقادة والمذلة في نفسي، فقد علمت، واللّه أنه جاء مِن الامر ما لا اقوم به، ولا اقرَّ له، ولكن قدر اللّه ماضٍ، وهو الذي يفعل في أهل بيت رسول اللّه ما يشاء ويرضى».

ثم قامَ وصارَ إلى منزله، فدعا بماءٍ فتطهر واغتسل، وصلّى ركعتين، ودعا ربه بما أحبّ أن يدعو به، فلما انفتل من صلاته أرسل إلى فتيانه وعشيرته ومواليه وأهل بيته، وأعلمهم شأنه، وقال: «كونوا بباب هذا الرجل، فإني ماضٍ إليه ومكلِّمه، فإن سمعتم صوتي وكلامي قد علا مع القوم، وصحت بكم: يا آل الرسول! فاقتحموا بغير إذن، ثُمَّ اشهروا السيوف ولا تعجلوا، فإن رأيتم ما تخشون فضعوا سيوفكم فيهم، واقتلوا من أراد قتلي».

ثُمَّ خرج الحسين من منزله وفي يده قضيب رسول اللّه صلى الله عليه وآله وهو في ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه وشيعته، فوقفهم على باب الوليد، ثُمَّ قال: «انظروا ما أوصيتكم به، فلا تعدوه، وأنا أرجو أن أخرج إليكم سالماً إن شاء اللّه»، ثُمَّ دخل على الوليد فسلَّم عليه بالإمرة، وقال: كيف أصبح الأمير اليوم؟ وكيف حالهُ؟ فردَّ عليه الوليد رداً حسناً، ثُمَّ أدناه وقربه، ومروان هنالك جالس، وقد كان بين مروان والوليد منافرة ومنازعة، فلما نظر الحسين إلى مروان جالساً في مجلس الوليد، قال: «أصلح اللّه الأمير، الصلاحُ خير مِن الفساد، والصلةُ خير مِن الشحناء، وقد آن لكما أن تجتمعا، فالحمدُ للّه الذي أصلح ذات بينكما»، فلم يجيباه في هذا بشيء، فقال الحسين: هل وردَ عليكم من معاوية خبر، فإنه كان عليلاً، وقدطالت علته، فكيف هو الآن، فتاوَّه الوليد وتنفس الصعداء، وقال: ياأبا عبد اللّه! آجرك الله في معاوية، فقد كان لكم عمَّ صدق ووالي عدل، لقد ذاق الموت،

وهذا كتاب أمير المؤمنين يزيد.

فقال الحسين: «إنا للّه وإنا إليه راجعون، وعظَّم اللّه لك الأجر أيها الامير!، ولكن لماذا دعوتني»؟ فقال: دعوتكَ للبيعة التي قد اجتمع الناس عليها، فقال الحسين: «أيها الأمير! إنَّ مثلي لايعطي بيعته سراً، وإنما يجب أن تكون البيعة علانية بحضرة الجماعة، فإذا دعوت النَّاس غداً إلى البيعة دعوتنا معهم، فيكون الأمر واحداً»، فقال الوليد: أبا عبد اللّه! واللّه، لقد قلتَ فأحسنت القول، وأجبتَ جواب مثلك، وهكذا كان ظني بِك، فانصرف راشداً، وتأتينا غداً مع النّاس.

فقال مروان: أيها الأمير! إن فارقَكَ الساعة ولم يبايع، فإنك لم تقدر منه على مثلها أبداً، حتّى تكثر القتلى بينك وبينه، فاحبسه عِندَك، ولا تدعه يخرج، أو يبايع وإلا فاضرب عنقه.

فالتفتَّ إليه الحسين وقال: «ويلي عليك، يابن الزرقاء! أتامر بضرب عنقي، كذبت واللّه، ولؤمت، واللّه لو رام ذلك أحد لسقيتُ الأرضَ من دمه قبل ذلك، فإن شئت ذلك فرم أنت ضرب عنقي إن كنت صادقاً» ثُمّ أقبل الحسين على الوليد، فقال: «أيها الامير! إنَّا أهل بيت النبوَّة، ومعدن الرسالة؛ ومختلف الملائكة؛ ومهبط الرحمة؛ بنا فتحَ اللّه وبنا ختم؛ ويزيد رجل فاسق شارب خمر؛ قاتل نفس؛ معلن بالفسق، فمثلي لا يُبايع لمثله ولكن نصبح وتصبحون؛ وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة»؟

قال: وسمع من بالباب صوت الحسين، وقد علا فهمُّوا أن يقتحموا عليهم بالسيوف، ولكن خرج إليهم الحسين، فأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، وذهبَ إلى منزله.

فقال مروان للوليد: عصيتني أيها الامير! حتى افلت الحسين مِن

يديك، أم والله، لا تقدر منه على مثلها أبداً، ووالله، ليخرجنّ عليك وعلى أمير المؤمنين فاعلم ذلك، فقال الوليد لمروان: ويحك، إنك قد أشرت عليَّ بقتل الحسين، وفي قتله: ذهاب ديني ودنياي، والله، إني لا أُحبُ أن أملك الدُّنيا بأسرها شرقها وغربها وإني قتلت ـ الحسين بن فاطمة ـ، والله، ما أظن أحداً يلقى الله يوم القيامة بدمه إلاّ وهو خفيف الميزان عند الله، لا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم.

قال: وأصبح الحسين من غده يستمع الأخبار فاذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه، فقال: أبا عبد الله! إني لك ناصحٌ فاطعني ترشد وتسدد، فقال: «وما ذاك؟ قل أسمع»، فقال: إني أرشدكَ لبيعة يزيد، فإنها خير لك في دينك وفي دنياك، فاسترجع الحسين، وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السَّلام إذا بليت الأمة براعٍ مثل يزيد، ثُم قال: يامروان! أترشدني لبيعة يزيد، ويزيد رجل فاسق، لقد قلتَ شططاً من القول وزللاً، ولا ألومك فإنك ـ اللعين ـ الذي لعنكَ رسول الله، وأنت في صلب أبيك ـ الحكم بن العاص ـ، ومن لعنه رسول الله فلا ينكر منه أن يدعو لبيعة يزيد، إليك عني ياعدو الله! فإنَّا أهل بيت رسول الله، الحقُّ فينا ينطقُ على ألسنتنا، وقد سمعتُ جدّي رسول الله يقول: الخلافة محرَّمة على آل أبي سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه، ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول الله فلم يفعلوا به ما أُمروا، فابتلاهم بابنه يزيد».

فغضب مروان من كلام الحسين فقال: والله، لا تفارقني حتّى تبايع ليزيد صاغراً، فإنكم ـ آل أبي تراب ـ قد مُلئتم شحناء، واشربتم بغض ـ آل أبي سفيان ـ، وحقيق عليهم أن يبغضوكم.

فقال الحسين: «إليك عني، فإنكَ رجسٌ، وإني من أهل بيت الطهارة قد أنزل اللّه فينا: **﴿إنما يريدُ اللّه ليذهبَ عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**»الاحزاب/٣٣، فنكس رأسه ولم ينطق. ثُمَّ قال له الحسين: «ابشر، يابن الزرقاء! بكل ما تكره من رسول اللّه، يوم تقدم على ربِّك فيسألك جدي عن حقي وحق يزيد»، فمضى مروان الى الوليد وأخبره بمقالة الحسين.

قال: وكان ـ عبدالله بن الزبير ـ مضى إلى مكة حين اشتغلوا بمحاورة الحسين، وتنكبَ الطريق، فبعثَ الوليد بثلاثين رجلاً في طلبه، فلم يقدروا عليه، فكتب الوليد إلى يزيد يخبره بما كان من أمر ابن الزبير؛ ومن أمر الحسين، وأنَّه لا يرى عليه طاعة ولا بيعة.

فلما وردَ الكتاب على يزيد غضب غضباً شديداً، وكان إذا غضب احولّت عيناه، فكتب إلى الوليد:

بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم

من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة

أما بعد، فإذا وردَ عليكَ كتابي هذا، فخذ البيعة ثانية على ـ أهل المدينة ـ توكيداً منك عليهم، وذر عبداللهبن الزبير فإنه لن يفوتنا، ولن ينجو منا أبداً مادمنا أحياء، وليكن مع جواب كتابي هذا رأس الحسين، فإن فعلت ذلك، جعلتُ لك أعنة الخيل، ولكَ عندي الجائزة العظمى؛ والحظ الأوفر، والسَّلام.

فلما ورد الكتاب على الوليد أعظم ذلك، وقال: واللّه، لايراني اللّه، وأنا قاتل الحسين بن رسول اللّه ﷺ، ولو جعل لي يزيد الدنيا وما فيها.

قال: وخرجَ الحسين من منزله ذات ليلة وأتى قبر جدِّه ﷺ فقال: «السلامُ عليك يارسول اللّه! أنا الحسين بن فاطمة، فرخك وابن فرختك،

وسبطك والثقل الذي خلفته في أمتك، فاشهد عليهم، يانبيَّ اللّه! انهم قد خذلوني، وضيَّعوني، ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتَّى القاك ـ صلّى اللّه عليك». ثُم صفَّ قدميه، فلم يزل راكعاً ساجداً.

قال: وأرسلَ الوليد بن عتبة إلى منزل الحسين لينظر: أخرج من المدينة ام لا؟ فلم يصب في منزله، فقال: الحمدُ للّه إذ خرج ولم يبتلني اللّه في دمه، قال: ورجع الحسين إلى منزله عند الصبح.

وذكر الثقة، عن أبي سعيد المقبري، انه قال: رايتُ الحسين يدخل مسجد المدينة معتمداً على رجلين يميناً وشمالاً، حين ورد خبر وفاة معاوية فسمعته ينشد:

لاذعرت السوام في فلق الصبح مغيراً ولا دعيت يزيدا
يوم أُعطي مخافة الموت كفاً والمنايا يرصدنني أن أحيدا

قال ابو سعيد: فعلمتُ حين سمعت ذلك منه انَّه سيمتنع.

رجعنا إلى حديث ابن أعثم الكوفي، قال: فلما كانت الليلة الثالثة خرج إلى القبر أيضاً، فصلّى ركعات، فلما فَرِغ من صلاته جعل يقول: «اللّهم! إنَّ هذا قبر نبيكَ محمَّد صلى الله عليه وآله، وانا ابن بنت نبيك، وقد حضرني من الامر ما قد علمت، اللّهمَّ! إني أُحب المعروف وانكر المنكر، وإني اسالكَ ياذا الجلال والإكرام! بحق هذا القبر ومن فيه إلاّ اخترت لي من امري ما هو لك رضى، ولرسولك رضى، وللمؤمنين رضى».

ثم جعلَ يبكي عند القبر حتى إذا كان قريباً من الصبح، وضع رأسه على القبر فاغفى، فإذا هو برسول اللّه قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وشماله، وبين يديه ومن خلفه، فجاء حتى ضم الحسين إلى صدره، وَقبّلَ بين عينيه، وقال: «حبيبي ياحسين! كاني اراك عن قريب مرملاً بدمائكَ،

مذبوحاً بارض كربلاء، بين عصابة من أُمتي، وأنت في ذلك عطشان لا تسقى، وظمآن لا تروى، وهم في ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أنالهم اللّه شفاعتي يوم القيامة؟ وما لهم عند اللّه من خلاق، حبيبي ياحسين! إن اباك وأُمك وأخاك قدموا عليَّ وهم إليك مشتاقون، وان لك في الجنَّة لدرجات لن تنالها إلاّ بالشهادة».

قال: فجعل الحسينُ في منامه ينظر إلى جده محمد ﷺ ويسمع كلامه، ويقول له: «ياجداه! لاحاجة لي في الرجوع إلى الدنيا، فخذني إليكَ وأدخلني معك إلى قبرك»، فقال له النبي ﷺ: «ياحسين! لابدَّ لك من الرجوع الى الدُّنيا حتى ترزق الشهادة، وما قد كتبَ اللّهُ لك من الثواب العظيم، فإنك؛ وأباك؛ وأُمَّك؛ وأخاك؛ وعمك؛ وعمَّ أبيك، تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنَّة».

قال: فانتبه الحسين من نومه فزعاً مرعوباً، فقص رؤياه على أهل بيته؛ وبني عبد المطلب، فلم يكن في ذلك اليوم في شرق ولا غرب قوم أشد غماء مِن أهل بيت رسول اللّه ولا اكثر باكياً ولا باكية. قال: وتهيأ الحسين عليه السلام، وعزمَ على الخروج من المدينة، ومضى في جوف اللّيلُ الى قبر أُمه، فصلّى عند قبرها وودعها، ثم قام من قبرها، وصار إلى قبر اخيه الحسن عليه السلام ففعل كذلك، ثم رجع إلى منزله في وقت الصبح، فاقبل إليه أخوه ـ محمد بن الحنفية ـ، فقال له: ياأخي! فديتك نفسي أنت أحبُّ الناس إلي وأعزهم عليَّ، ولست واللّه أدخر النصيحة لاحد مِن الخلق، وليس أحد أحق بها منك لأنك مزاج مائي ونفسي وروحي وبصري، وكبير أهل بيتي، ومن وجب طاعته في عنقي، لانَّ اللّه تبارك وتعالى قد شرفك وجعلك من سادات أهل الجنَّة، إني أُريد ان أُشير عليك فاقبل مني.

فقال له الحسين: «قل، ياأخي! ما بدا لك»؟ فقال: أُشير عليك أن تتنحى بنفسك عن يزيد بن معاوية، وعن الأمصار ما استطعت، وأن تبعث رسلكَ إلى الناس فتدعوهم إلى بيعتك، فإن بايعك الناس حمدت اللّه على ذلك، وقمت فيهم بما كان يقومه رسول اللّه، والخلفاء الراشدون المهديون مِن بعده، حتى يتوفاك اللّه وهو عنك راضٍ، والمؤمنون عنك راضون، كما رضوا عن أبيك وأخيك، وإن اجتمع الناس على غيرك حمدت اللّه على ذلك وسكت ولزمت منزلك، فإني خائفٌ عليك أن تدخل مصراً من الأمصار، أو تأتي جماعة من النَّاس فيقتتلون، فتكون طائفة منهم معك، وطائفة عليك فتقتل بينهم.

فقال له الحسين: «ياأخي! فإلى أين أذهب»؟ قال: تخرج إلى مكة فإن اطمأنت بك الدار بها، فذاك الذي تحب، وإن تكن الأُخرى خرجت إلى ـ بلاد اليمن ـ فإنهم أنصار جدك وأبيك وأخيك، وهم أرأف وأرق قلوباً، وأوسع الناس بلاداً، وأرجحهم عقولاً، فإن اطمأنت بك ـ أرض اليمن ـ فذاك، وإلاّ لحقت بالرمال، وشعوب الجبال، وصرت من بلد إلى بلد، حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم اللّه بيننا وبين القوم الفاسقين.

فقال له الحسين: «ياأخي! واللّه، لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى، لما بايعت يزيد بن معاوية، قد قال النبي صلى الله عليه وآله: اللّهمَّ! لا تبارك في يزيد، فقطع محمد الكلام وبكى، فبكى معه الحسين ساعة، ثم قال: «ياأخي! جزاك اللّه عني خيراً، فلقد نصحت، وأشرت بالصواب، وأرجو أن يكون رأيك موفقاً مسدداً، وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك: أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي، ممن أمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت، ياأخي! فلا عليك أن تقيم في ـ المدينة ـ فتكون لي عيناً عليهم،

ولا تخف عليَّ شيئاً من أُمورهم». ثُم دعا الحسين عليه السلام بدواة وبياض، وكتب فيها هذه الوصية لأخيه محمد.

بسم اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

«هذا ما أوصى به ـ الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ إلى أخيه ـ محمد ابن علي ـ المعروف «بابن الحنفية»، إن الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنَّة والنار حقّ، وأنَّ الساعة آتية لاريب فيها، وأنَّ اللّه يبعثُ من في القبور.

إني لم آخرج أشِراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجتُ أطلبُ الإصلاح في أُمَّةِ جدي محمدﷺ أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمد، وسيرة أبي علي بن أبي طالب، وسيرة الخلفاء الراشدين.

فمن قبلني بقبول الحق، فاللّه أولى بالحقِّ، ومن ردَّ عليَّ هذا، صبرتُ حتّى يقضي اللّه بيني وبين القوم بالحقِّ، ويحكم بيني وبينهم، وهو خير الحاكمين. هذه وصيتي إليك، ياأخي! وما توفيقي إلاّ باللّه عليه توكلت وإليه أُنيب، والسلامُ عليك، وعلى من اتَّبع الهدى، ولا قوَّة إلاّ باللّه العلي العظيم».

ثُمَّ طوى الحسين كتابه هذا، وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمَّد، ثمَّ ودَّعه وخرج في جوف اللّيل يُريد «مكَّة» في جميع أهل بيته، وذلك لثلاث ليال مضين مِن شهر شعبان سنة ستين، فلزِمَ الطريق الأعظم فجعل يسير وهو يتلو هذه الآية: ﴿**فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني مِن القوم الظالمين**﴾القصص/ ٢١.

فقال له ابنُ عمه ـ مسلم بن عقيل بن أبي طالب ـ: يابن رسول اللّه! لو عدلنا عن الطريق، وسلكنا غير الجادة، كما فعل ـ عبدالله بن الزبير ـ كان عندي خير رأي، فإني أخاف أن يلحقنا الطلب.

فقال له الحسين: «لا، واللّه يابنَ عم! لا فارقت هذا الطريق أبداً، أو أنظر إلى أبيات مكة ويقضي اللّه في ذلك ما يُحِبُ ويرضى».

فبينا ـ الحسين ـ كذلك بين ـ مكة والمدينة ـ إذ استقبله ـ عبدالله بن مطيع العدوي ـ، فقال له: أين تُريد؟ ياأبا عبد اللّه! جعلني اللّه فداك، فقال: «أما في وقتي هذا، فإني أُريد مكة فإذا صرتُ إليها استخرت اللّه في أمري بعد ذلك» فقال له عبدالله بن مطيع: خار اللّه لك، يابن رسول اللّه! فيما قد عزمت عليه، غير أني أُشيرُ عليك بمشورة فاقبلها مني، فقال له الحسين: «وما هي؟ يابن مطيع! فقال: إذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك ـ أهل الكوفة ـ فإنَّ فيها قُتِلَ أبوك؛ وطُعِن أخوك بطعنة كادت أن تأتي على نفسه فيها، فالزم الحرم فأنت سيد العرب في دهرك هذا، فواللّه، لئن هلكت ليهلكن أهل بيتك بهلاكك!.

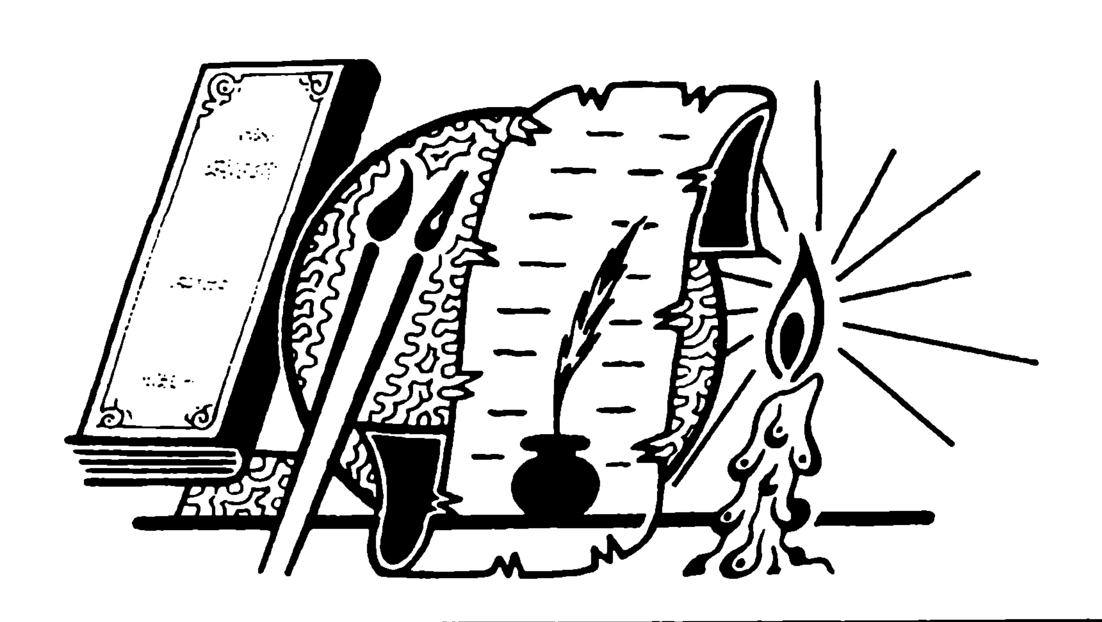
فودعه الحسين ودعا له بالخير، وسار حتى وافى مكة فلما نظر إلى جبالها من بعيد، جعل يتلو هذه الآية: ﴿**ولما توجَّه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل**﴾القصص/٢٢، انتهى.

* * *



الفصل العاشر

في ماجرى من أحوال الحسين عليه السلام مدة مقامه بمكة وما ورده من كتب أهل الكوفة وارسال مسلم بن عقيل الى الكوفة ومقتله بها قدس سره



١ ـ قال الإمام أحمد بن أعثم الكوفي : ولما دخل الحسين مكة، فرِحَ به أهلها فرحاً شديداً، وجعلوا يختلفون إليه غدوة وعشية، وكان قد نزل بأعلى مكة وضرب هناك فسطاطاً ضخماً، ونزل ـ عبدالله بن الزبير ـ داره «بقيقعان».

ثم تحوَّل الحسين إلى ـ دار العباس ـ حوله إليها ـ عبدالله بن عباس ـ، وكان أمير مكَّة من قبل ـ يزيد ـ يومئذ ـ عمر بن سعد بن أبي وقاص ـ، فأقام الحسين مؤذناً يؤذن رافعاً صوته فيصلي بالناس، وهاب ابن سعد أن يميل الحجاج مع الحسين لما يرى من كثرة اختلاف الناس إليه مِن الآفاق، فانحدر إلى المدينة، وكتبَ بذلك إلى ـ يزيد ـ، وكان ـ الحسين ـ أثقل خلق اللّه على عبدالله بن الزبير لانه كانَ يطمعُ أن يتابعه أهل مكة، فلما قدم الحسين اختلفوا إليه وصلوا معه، ومع ذلك فقد كان عبدالله يختلف إليه بكرة وعشية ويصلِّي معه.

قال : وبلغ أهلُ الكوفة : إن الحسين صار إلى مكة، وأقام الحسين بمكة

باقي شهر شعبان؛ وشهر رمضان؛ وشوال؛ وذي القعدة، وبمكة يومئذ ـ عبدالله بن عبَّاس؛ وعبدالله بن عمر بن الخطاب، فاقبلا جميعاً وقد عزما أن ينصرفا إلى المدينة، حتى دخلا على الحسين، فقال عبدالله بن عمر: ياأبا عبد اللّه! اتَّقِ اللّه، رحمك اللّه الذي إليه معادك، فقد عرفت عداوة هذا البيت لكم؛ وظلمهم إياكم؛ وقد ولي النَّاس هذا الرجل يزيد بن معاوية، ولست آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء فيقتلوك، ويهلك فيك بشر كثير، فإني سمعتُ رسولَ اللّه صلى الله عليه وآله يقول: «حسين مقتول، فلئن خذلوه ولم ينصروه ليخذلنهم اللّه إلى يوم القيامة»، وأنا أُشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه النَّاس، وتصبر كما صبرت لمعاوية من قبل، فلعلَّ اللّه أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين.

فقال له الحسين: «ياأبا عبد الرَّحمن! أنا أُبايع يزيد، وأدخل في صلحه، وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله فيه وفي أبيه ما قاله».

فقال ابن عبَّاس: صدقت، ياأبا عبد اللّه! قد قال النبي: «مالي وليزيد، لا بارك اللّه في يزيد، فإنه يقتل ولدي، وولد ابنتي الحسين بن علي، فوالذي نفسي بيده، لا يقتل ولدي بين ظهراني قوم فلا يمنعونه، إلاَّ خالف اللّه بين قلوبهم وألسنتهم»، ثُمَّ بكى ابن عباس وبكى معه الحسين.

ثُم قال له: «يابن عباس! أتعلم أني ابن بنت رسول اللّه»؟ فقال: اللّهُمَّ! نعم، لا نعرف في الدنيا أحداً هو ابن بنت رسول اللّه غيرك، وإن نصرك لفرض على هذه الأُمَّة كفريضة الصيام والزكاة؛ التي لا تُقبل إحداهما دون الأُخرى.

فقال الحسين: «يابن عبَّاس! فما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول اللّه من وطنه وداره؛ وموضع قراره ومولده؛ وحرم رسوله؛

ومجاورة قبره؛ ومسجده؛ وموضع مهاجرته وتركوه خائفاً مرعوباً: لا يستقر في قرار، ولا يأوي إلى وطن، يريدون بذلك قتله، وسفك دمه، وهو لم يشرك باللّه شيئاً، ولا اتخذ دون اللّه ولياً، ولم يتغير عما كان عليه رسول اللّه ﷺ وخلفاؤه من بعده».

فقال ابن عباس: ما أقول فيهم، إلاّ أنهم كفروا باللّه ورسوله ﴿**ولا يأتون الصلاة إلاّ وهم كُسالى**﴾التوبة/٥٤، ﴿**يراؤون النَّاس ولا يذكرون اللّه إلاّ قليلاً * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء**﴾النساء/١٤٢و١٤٣، فعلى مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبرى، وأما أنت أبا عبد اللّه! فإنَّك رأسُ الفخار، ابن رسول اللّه، وابن وصيه، وفرخ الزهراء نظيرة البتول، فلا تظن يابن رسول اللّه بأنَّ اللّه غافل عما يعمل الظالمون، وأنا أشهد أنَّ من رَغِبَ عن مجاورتك ومجاورة بنيك﴿**وماله في الآخرة من خلاق**﴾البقرة/٢٠٠.

فقال الحسين: اللّهُمَّ! اشهد، فقال ابن عباس: جعلت فداك، يابن رسول اللّه! كانك تنعى إليَّ نفسك، وتريدُ مني أن أنصرك، فواللّه، الذي لا إله إلاّ هو لو ضربت بين يديك بسيفي حتى ينقطع وتنخلع يداي جميعاً لما كنت أبلغ مِن حقك عشر العشير، وها أنا بين يديك فمرني بأمرِك.

فقال ابن عمر: اللّهُمَّ! عفواً، ذرنا من هذا يابن عباس! ثم أقبل ابن عمر على الحسين، وقال له: مهلاً، أبا عبدالله عما أزمعت عليه، وارجع معنا إلى المدينة، وادخل في صلح القوم، ولا تغب عن وطنكَ، وحرمِ جدِّك، ولا تجعل لهؤلاء القوم الذين لا خلاق لهم على نفسك حجَّةً وسبيلاً، وإن أحببت أن لا تبايع فإنك متروك حتّى ترى رايك، فإنَّ يزيد بن معاوية عسى أن لا يعيش إلاَّ قليلاً، فيكفيك اللّه أمره.

فقال الحسين: «أف لهذا الكلام أبداً! مادامت السماوات والأرض،

أسألك بالله ياأبا عبد الرَّحمن! أعندك أني على خطأ مِن أمري هذا، فإن كنتُ على خطأ فردني عنه، فإني أرجع وأسمع وأطيع».

فقال ابن عمر: اللّهمَّ! لا، ولم يكن الله تبارك وتعالى ليجعل ابن بنت رسوله على خطأ، وليس مثلك في طهارته وموضعه مِن الرسول، أن يسلم على يزيد بن معاوية باسم الخلافة، ولكن أخشى أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف، وترى مِن هذه الأمة مالا تُحب، فارجع معنا إلى المدينة، وإن شئت أن لا تبايع فلا تبايع أبداً، واقعد في منزلك.

فقال له الحسين: «هيهات، يابن عمر! إنَّ القوم لا يتركوني، إن أصابوني وإن لم يُصيبوني، فإنهم يطلبوني ابداً حتى أُبايع وأنا كاره، أو يقتلوني، ألا تعلم، أبا عبد الرحمن! أنَّ مِن هوان هذه الدنيا على الله أن يؤتى برأس - يحيى بن زكريا - إلى بغي من بغايا بني إسرائيل، والرأس ينطقُ بالحجة عليهم، فلم يضر ذلك يحيى بن زكريا بل سادَ الشهداء، فهو سيدهم يوم القيامة؟ ألا تعلم، أبا عبد الرحمن أن - بني إسرائيل - كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس - سبعين نبياً - ثُمَّ يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون، كأنهم لم يصنعوا شيئاً، فلم يعجل الله عليهم، ثم أخذهم بعد ذلك أخذَ عزيز مقتدر ذي انتقام؟ فاتَّق الله، ياأبا عبد الرحمن! ولا تدعن نصرتي، واذكرني في صلاتك، فوالذي بعث جدي محمداً بشيراً ونذيراً، لو أن أباك - عمر بن الخطاب - أدرك زماني، لنصرني كما نصر جدي، ولقامَ مِن دوني كقيامه من دون جدي، يابن عمر! فإن كان الخروج معي يصعبُ عليك ويثقل، فأنت في أوسع العذر، ولكن لا تتركن لي الدعاء في دُبرِ كلِّ صلاة واجلس عن القوم ولا تعجل بالبيعة لهم، حتّى تعلم ما تؤول إليه الأمور». ثُم اقبل على عبدالله بن عبَّاس، وقال له:

«وأنت، يابن عبّاس! ابن عمٍّ أبي، ولم تزل تأمر بالخير مذ عرفتك، وكنت مع أبي تشير عليه بما فيه الرشاد والسداد، وقد كان أبي يستصحبك ويستنصحك ويستشيرك، وتشير عليه بالصواب، فامضِ إلى المدينة في حفظ اللّه، ولاتخف عليَّ شيئاً من أخبارك، فإني مستوطن هذا الحرم ومقيم به، ما رأيت أهله يحبونني وينصرونني، فإذا هم خذلوني استبدلت بهم غيرهم، واستعصمت بالكلمة التي قالها ـ إبراهيم ـ يوم أُلقي في النَّار: حسبي اللّه ونِعم الوكيل، فكانت النار عليه برداً وسلاماً».

فبكى ابنُ عبَّاس؛ وابن عمر ذلك الوقت بكاءاً شديداً، وبكى الحسين معهما، ثُمَّ ودَّعهما فصار ابن عبَّاس وابن عمر إلى المدينة، وأقام الحسين بمكة ولزم الصلاة في الصلاة.

قال: ولما علم بحال ـ الحسين ـ وإقامته ـ بمكة ـ اجتمعت ـ الشيعة ـ بالكوفة في منزل ـ سليمان بن صرد الخزاعي ـ، فلما تكاملوا في منزله قام فيهم خطيباً، فحمد اللّه وأثنى عليه، وذكر النبي فصلّى عليه، ثم ذكر أمير المؤمنين ومناقبه وترحم عليه، ثم قال: يامعشر الشيعة! إنكم علمتم أن معاوية قد هلك، فصار إلى ربه وقدم على عمله وسيجزيه اللّه تعالى بما قدم من خيرٍ وشر، وقد قعد بموضعه ابنه يزيد، وهذا الحسينُ بن علي قد خالفه وصار إلى «مكة» هارباً مِن طواغيت ـ آل أبي سفيان ـ، وأنتم شيعته وشيعة أبيه مِن قبله، وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغروا الرَّجل من نفسه، فقال القوم: بل، نأويه وننصره، ونقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه، حتّى ينال حاجتهُ، فاخذ عليهم ـ سليمان بن صرد ـ على ذلك عهداً وميثاقاً أنهم لا يغدرون ولا ينكثون، ثم قال: فاكتبوا إليه الآن كتاباً

من جماعتكم: أنَّكم لهُ كما ذكرتم، وسلوه القدوم عليكم، فقالوا: افلا تكفينا انت الكتاب، قال: بل تكتب إليه جماعتكم، فكتب القوم إلى الحسين عليه السلام:

بسم اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم

للحسين بن عليّ امير المؤمنين من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، وحبيب بن مظاهر، ورفاعة بن شداد، وعبدالله بن والٍ، وجماعة شيعته مِن المؤمنين، سلامُ عليكَ.

اما بعد: فالحمدُ للّه الذي قصم عدوكَ وعدوَّ أبيك من قبل الجبار العنيد، الغشوم الظلوم، الذي ابتز هذه الأمَّة أمرها، وغصبها فيئها، وتأمَّر عليها بغير رضى منها، ثُمَّ قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال اللّه دولة بين جبابرتها وعتاتها، فبعداً له كما بعدت ثمود، ثُمَّ انه قد بلغنا أنَّ ولده ـ اللعين ـ قد تامر على هذه الأمَّة بلا مشورة ولا اجماع، ولا علم مِن الأخيار.

وبعد فإنا مقاتلون معك، وباذلون أنفسنا مِن دونك، فاقبل إلينا فرحاً مسروراً، مباركاً منصوراً، سعيداً سديداً، إماماً مطاعاً، وخليفة مهدياً، فإنه ليس علينا إمام، ولا أمير إلاّ ـ النعمان بن بشير ـ وهو في قصر الامارة، وحيد طريد، لا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولا نؤدي إليه الخراج، يدعو فلا يُجاب، ويامر فلا يطاع، ولو بلغنا أنَّك قد أقبلت إلينا أخرجناه عنَّا حتى يلحق بالشام، فاقدم إلينا فلعلَّ اللّه تعالى أن يجمعنابك على الحقِّ، والسلامُ عليكَ يابن رسول اللّه وعلى أبيك وأخيك ورحمة اللّه وبركاته.

ثُم طووا الكتاب وختموه ودفعوه إلى عبدالله بن سبيع الهمداني؛

وعبدالله بن مسمع البكري، فتوجها به إلى الحسين، فقرأ كتاب ـ أهل الكوفة ـ فسكت ولم يجبهم بشيء، ثم قدم إليه بعد ذلك ـ قيس بن مسهر الصيداوي؛ وعبداللهبن عبد الرحمن الأرحبي؛ وعامر بن عبيد السلولي؛ وعبدالله بن وال التيمي ـ، ومعهم نحو من خمسين ومائة كتاب؛ الكتاب من ـ الرجلين والثلاثة والأربعة ـ يسالونه القدوم عليهم، والحسين يتانى في أمره ولا يُجيبُهُم في شيء.

ثم قدم عليه بعد ذلك ـ هانئ بن هانئ السبيعي؛ وسعيد بن عبدالله الحنفي بكتاب؛ وهو آخر ما ورد إليه من ـ أهل الكوفة ـ وفيه:

بسم اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

للحسين بن عليّ أمير المؤمنين ـ من شيعته وشيعة أبيه.

أما بعد ـ فإنَّ النّاس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل بابن رسول اللّه! فقد اخضر الجناب؛ وأينعت الثمار؛ وأعشبت الأرض؛ وأورقت الأشجار؛ فاقدم إذا شئت؛ فإنما تقدم إلى جند مجندة لك، والسلامُ عليكَ ورحمة اللّه وبركاته، وعلى أبيك من قَبل.

فقال ـ الحسين ـ لهانئ بن هانئ السبيعي؛ وسعيد بن عبدالله الحنفي: «خبراني مَن اجتمع على هذا الكتاب الذي كُتِبَ معكما»؟ فقالا له: يابن رسول اللّه! اجتمع عليه: شبث بن ربعي؛ وحجار بن أبجر؛ ويزيد بن الحرث؛ ويزيد بن رويم؛ وعزرة بن قيس؛ وعمرو بن الحجاج؛ ومحمد بن عمير بن عطارد.

فعندها قام ـ الحسين ـ وتوضأ وصلّى ركعتين بين الركن والمقام، ولما انفتل من صلاته، سألَ ربه الخير فيما كتب إليه ـ أهل الكوفة ـ، ثُمَّ رجع إلى الرسل، فقال لهم: «إني رأيت جدي رسول اللّه ﷺ في منامي، وقد أمرني

بأمر، وأنا ماضٍ لامره، فعزم اللّه لي بالخير، فإنه ولي ذلك والقادر عليه».
ثُم أمر بجواب كتب ـ أهل الكوفة ـ على هذا النحو:

بسم اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم

من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين، سلام عليكم،
أما بعد ـ فإنَّ هانئ بن هانئ؛ وسعيد بن عبد اللّه، قدما عليَّ مِن رسلكم، وقد فهمتُ الذي اقتصصتم وذكرتم، ولست أُقصر عمَّا أحببتم، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي ـ مسلم بن عقيل بن أبي طالب ـ، وامرتهُ أن يكتب إلي بحالكم وخبركم ورأيكم ورأي ذوي الحجى والفضل منكم، وهو متوجه إليكم إن شاء اللّه، ولا قوة إلا باللّه، فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فقوموا مع ابن عمي وبايعوه ولا تخذلوه، فلعمري، ما الإمام العامل بالكتاب القائم بالقسط، كالذي يحكم بغير الحقِّ، ولا يهتدي سبيلا، جمعنا اللّه وإياكم على الهدى، والزمنا وإياكم كلمة التقوى، إنه لطيف لما يشاء، والسلامُ عليكم ورحمة اللّه وبركاته».

ثم طوى الكتاب وختمه ودعا ـ بمسلم بن عقيل ـ فدفع إليه الكتاب، وقال: «إني موجهك إلى ـ أهل الكوفة ـ، وسيقضي اللّه من أمرك ما يُحِبُ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنتَ في درجة الشهداء، فامض ببركة اللّه وعونه حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها، وادعُ الناس إلى طاعتي، فإن رأيتهم مجتمعين على بيعتي، فعجل عليَّ بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء اللّه تعالى»، ثُم عانقه الحسين وودعه وبكيا جميعاً.

ذكر خروج مسلم بن عقيل نحو العراق

قال: فخرجَ «مسلم» من «مكة» نحو «المدينة» مستخفياً ليلاً لئلا يعلم أحد مِن بني أُمية، فلما دخل المدينة بدأ بمسجد النبي ﷺ فصلّى ركعتين، ثم خرج في جوف اللّيل، وودع أهل بيته، واستأجر دليلين من ـ قيس عيلان ـ يدلانه على الطريق، ويمضيان به إلى «الكوفة» على غير الجادة، فخرج به الدليلان مِن المدينة ليلاً، فسارا فأضلا الطريق، جارا عن القصد واشتد بهما العطش، فماتا جميعاً عطشاً، وصار ـ مسلم بن عقيل ـ ومن معه إلى الماء، وقد كادوا أن يهلكوا عطشاً.

فكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين: بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم للحسين ابن عليّ من مسلم بن عقيل،

أما بعد ـ فإني خرجتُ مِن المدينة مع دليلين استأجرتهما فضلاّ عن الطريق واشتد بهما العطش فماتا، ثُم إنا صرنا إلى الماء بعد ذلك، وقد كدنا أن نهلك فنجونا بحشاشة أنفسنا، وقد أصبنا الماء بموضع يقال له: «المضيق» وقد تطيرت من وجهي الذي وجهتني فيه، فرأيك في اعفائي عنه والسلام.

فلما ورد كتابه على الحسين علم أنه قد تشأم وتطير من موت الدليلين، وأنه جزع، فكتب إليه: «بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم من الحسين بن عليّ إلى مسلم بن عقيل،

أما بعد ـ فقد خشيتُ أن لا يكون حملك على الكتاب إليَّ، والاستعفاء من وجهك هذا الذي أنت فيه إلاّ الجبن والفشل، فامضِ لما أُمرت به، والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته».

فلما وردَ كتاب الحسين على مسلم كأنه وجد من ذلك في نفسه،

فقال: لقد نسبني أبو عبدالله إلى الجبن والفشل، وهذا شيء لم أعرفه من نفسي ساعة قط.

ثُم سار من موضعه ذلك يريد «الكوفة»، فإذا هو برجل يرمي الصيد فنظر إليه مسلم فإذا هو رمى ظبياً فصرعه، فقال: نصرع أعداءنا إن شاء اللّه، وأقبل حتى دخل الكوفة، فنزل في دار «مسلم بن المسيَّب»، وهي دار «المختار بن أبي عبيد الثقفي»، فجعلت الشيعة تختلف إليه، وهو يقرأ عليهم كتاب ـ الحسين ـ والقوم يبكون شوقاً إلى مقدم الحسين، ثم تقدم إلى مسلم رجل من همدان يقال له: «عابس الشاكري»، فقال: أما بعد ـ فإني لا أُخبرك عن الناس بشيءٍ، فإني لا أعلم ما في أنفسهم، ولكن أخبرك عما أنا موطن عليه نفسي، إني، واللّه لاجيبنكم إذا دعوتم، ولأُقاتلنَّ معكم عدوكم، ولاضربنَّ بسيفي دونكم أبداً، حتى ألقى اللّه، وأنا لا أُريد بذلك إلا ماعنده، ثم قام «حبيب بن مظاهر الأسدي الفقعسي»، فقال: أنا، واللّه، الذي لا إله إلاّ هو، لعلي مثل ما أنت عليه، وتتابعت «الشيعة» على مثل كلام هذين الرجلين، ثُم بذلوا الأموال فلم يقبل مسلم منهم شيئاً.

قال: وبلغ ـ النعمان بن بشير ـ قدوم مسلم بن عقيل الكوفة، واجتماع الشيعة إليه، والنعمان يومئذ أمير الكوفة، فخرج من قصر الإمارة مغضباً حتى دخل المسجد الأعظم، ونادى بالنَّاس فاجتمعوا إليه، فصعد المنبر، فحمدَ اللّه وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد ـ ياأهل الكوفة! فاتقوا اللّه ربكم ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإنَّ فيها سفك الدماء وقتل الرجال، وذهاب الاموال، واعلموا أني لستُ أُقاتل إلا من قاتلني، ولا أثب إلاّ على من واثب عليَّ؛ ولا أنبه نائمكم ولا أحرش يقظانكم؛ ولا آخذ بالقرف والظنة والتهمة، غير أنكم قد ابديتم صفحتكم، ونقضتم بيعتكم، وخالفتم

إمامكم، فإن أنتم انتهيتم عن ذلك، ورجعتم وإلا فوالذي، لا إله إلاّ هو لاضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن منكم لي ناصر، مع أني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممَّن يريد الباطل.

فقام إليه ـ مسلم بن سعيد الحضرمي ـ، فقال: أيها الأمير! أصلحكَ اللّه، إنَّ هذا الذي عليه من رأيك إنما هو رأي المستضعفين، فقال له النعمان: ياهذا! لئن اكونن من المستضعفين في طاعة اللّه تعالى أحبُّ إلي من أن أكون من الغاوين في معصية اللّه، ثم نزل عن المنبر، ودخل «قصر الامارة».

فكتب عبدالله بن مسلم إلى يزيد بن معاوية: بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم لعبدالله يزيد أمير المؤمنين من شيعته من ـ أهل الكوفة ـ،

أما بعد ـ فإنَّ مسلم بن عقيل قدم الكوفة، وبايعته الشيعة للحسين بن عليّ، وهم خلقٌ كثير فإن كان لك حاجة بالكوفة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ فيها أمرك، ويعمل فيها كعملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير ضعيف أو هو يتضعف، والسلام.

وكتب إليه أيضاً ـ عمارة بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط؛ وعمر بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك، فلما اجتمعت الكتب عند يزيد، دعا بغلام كان كاتباً عند أبيه يقال له: «سرجون» فاعلمه بما ورد عليه، فقال: أُشير عليك بما تكره، قال: وإن كرهت، قال: استعمل ـ عبيد اللّه بن زياد ـ على الكوفة، قال: إنَّه لا خير فيه، وكان يبغضه، فاشر بغيره، قال: لو كان معاوية حاضراً، أكنت تقبل قوله وتعمل بقوله؟ قال: نعم، قال: فهذا عهد عبيد اللّه على الكوفة، أمرني معاوية أن أكتبه فكتبته وخاتمه عليه، فمات وبقي العهد عندي، قال: ويحك، فامضه.

وكتب: من عبدالله يزيد أميرالمؤمنين الى عبيدالله بن زياد سلام عليك.

أما بعد ـ فإنَّ الممدوح مسبوب يوماً، وإن المسبوب ممدوح يوماً، ولك ما لكَ، وعليك ما عليك، وقد انتميت ونميت إلى كلٍّ منصب كما قال الأول:

رفعت فما زلت السحاب تفوقه فمالك إلاّ مقعد الشمس مقعد

وقد ابتلي بالحسين زمانك من بين الأزمان، وأبتلي به بلدك من بين البلدان، وابتليت به بين العمال، وفي هذه تعتق أو تكون عبداً تعبد كما تعبد العبيد، وقد أخبرتني شيعتي من أهل الكوفة أن مسلم بن عقيل بالكوفة، يجمع الجموع، ويشق عصا المسلمين، وقد اجتمع إليه خلق كثير من ـ شيعة أبي تراب ـ، فإذا أتاك كتابي هذا، فسِر حين تقرأه حتّى تقدم الكوفة فتكفيني أمرها فقد ضممتها إليك وجعلتها زيادة في عملك ـ وكان عبيد اللّه أمير البصرة ـ، وانظر أن تطلب مسلم بن عقيل كطلب الحرد، فإذا ظفرت به فخذ بيعته أو أُقتله إن لم يُبايع. واعلم أنه لا عذر لك عندي، وما أمرتُك به فالعجل العجل، والوحاء الوحاء، والسلام.

ثُمَّ دفع يزيد كتابه إلى مسلم بن عمرو الباهلي، وأمره أن يسرع السير إلى عبيد اللّه، فلمّا ورد الكتاب إلى عبيد اللّه، وقرأه أمر بالجهاز وتهيأ للمسير إلى الكوفة، وقد كان الحسين ﷺ كتب إلى رؤساء أهل البصرة مثل: الأحنف بن قيس؛ ومالك بن مسمع؛ والمنذر بن الجارود؛ وقيس بن الهيثم؛ ومسعود بن عمرو؛ وعمرو بن عبيد اللّه بن معمر؛ يدعوهم لنصرته والقيام معه في حقه لكل واحد كتاباً فكل من قرأ كتاب الحسين كتمهُ إلاّ ـ المنذر بن الجارود ـ فإنه خشي أن يكون هذا الكتاب دسيساً من ابن زياد، وكانت بحرة بنت المنذر بن الجارود تحت عبيد اللّه بن زياد، فأتى ابن زياد وأخبره فغضب، وقال: مَن رسول الحسين إلى أهل البصرة؟ فقال المنذر: رسوله إليهم مولى يقال له: «سليمان»، قال: فعليَّ به، فأُتي به

وكان مختفياً عند بعض الشيعة بالبصرة، فلمَّا رآه ابن زياد لم يكلّمه بشيءٍ دون أن قدمه فضرب عنقه صبراً، ثم أمر بصلبه، ثم صعد المنبر، وقال: ياأهل البصرة! إني نكل بمن عاداني، سمام لِمن نابذني، وإني لا تقرن بي الصعبة، ولا يقعقع لي بالشنآن، قد انصف القارة من راماها.

ياأهل البصرة! إن أمير المؤمنين يزيد قد ولاني الكوفة، وأنا سائر إليها غداً، وقد استخلفتُ عليكم أخي ـ عثمان بن زياد ـ فإياكم والخلاف والأرجاف، فوالذي لا إله غيره لئن بلغني أنَّ رجلاً منكم خالف لأقتلنه؛ وعريفه، ووليه، ولآخذن الأقصى بالادنى حتّى تستقيموا لي، فلا يكون فيكم مخالف ولا مشاق، أنا ابن زياد اشبهه من بين وطأ الحصا؛ ولم ينزعني شبه خال ولا عم.

فلما كان من الغد نادى في الناس، وخرج من البصرة يُريد «الكوفة» ومعه: أبو قتيبة مسلم بن عمرو الباهلي؛ والمنذر بن الجارود العبدي، وشريك بن عبدالله الهمداني، فلم يزل يسير حتّى بلغ قريباً من الكوفة، ثُمَّ نزل فلمَّا أمسى وجاء الليل دعا بعمامة سوداء، فاعتجر بها متلثماً، ثمَّ تقلَّد سيفه، وتوشح قوسه، وتنكَّب كنانته، وأخذ في يده قضيباً، واستوى على بغلة له شهباء، وركِبَ أصحابه، وسار حتى دخل الكوفة من طريق البادية، وذلك في ليلة مقمرة، والناس يتوقعون قدوم الحسين.

فجعلوا ينظرون إليه وإلى أصحابه، وهو في ذلك يسلم عليهم، وهم لا يشكون في أنَّه ـ الحسين بن عليّ ـ، فهم يمشون بين يديه ويقولون: مرحباً بك، يابن رسول اللّه! قدمت خير مقدم، فرأى عبيد اللّه من تباشير النّاس ما ساءه، فسكت ولم يكلّمهم ولا ردَّ عليهم شيئاً.

فتكلَّم مسلم بن عمرو الباهلي، فقال: إليكم عن الامير، ياترابية!

فليس هذا من تظنون، هذا الامير عبيد اللّه بن زياد، فتفرق النَّاس عنه، وتحصن النعمان بن بشير منه، وهو يظن: أنَّه الحسين، فجعل يناشده اللّه والفتنة، وهو ساكت من وراء الحائط.

ثُمَّ قال له: افتح الباب لعنك اللّه، فسمعها جماعة، فقالوا: ابن مرجانة واللّه، ففتحوا الباب وتفرق النَّاس، ونودي بالصلاة جامعة، فاجتمع الناس فخرج ابن زياد وقام خطيباً، فقال: إنَّ أمير المؤمنين ولاني مصركم وثغركم، وأمرني بانصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، والإحسان إلى سامعكم، والشدَّة على مريبكم، وأنا متبع أمره، ومنفذ فيكم عهده، وأنا لمحبكم ومطيعكم كالوالد البرّ، وسيفي وسوطي على من ترك أمري.

وسمع مسلم بن عقيل بمجيء عبيد اللّه ومقالته، فانتقل من موضعه حتى أتى دار ـ هانئ بن عروة المرادي ـ، فدخل ثُمَّ أرسل إليه: إني أتيتك لتجيرني وتأويني، فإن ابن زياد قد قدم الكوفة، وأنا أتقيه على نفسي، فخرج إليه هانئ، وقال: قد كلفتني شططاً، ولولا دخولك داري لأحببت أن تنصرف عني، غير أني أجد ذلك عاراً عليَّ بأن رجلاً أتاني مستجيراً فلا أجيره، فانزل على بركة اللّه، وجعل عبيد اللّه يسأل عن مسلم فلا يجد أحداً يُرشدهُ إليه، وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلم في دار هانئ بن عروة المذحجي، ويبايعون الحسين سراً، ومسلم بن عقيل يكتبُ أسماءهم ويأخذُ عليهم العهود أنهم لا ينكثون ولا يغدرون، حتى بايعه ما ينيف على عشرين ألفاً، وهمَ مسلم أن يثب بعبيد اللّه بن زياد، فمنعه من ذلك هانئ بن عروة، فقال له. جعلتُ فداك، لا تعجل، فإنَّ العجلة لا خير فيها.

ودعا عبيد اللّه بن زياد مولى له، يقال له: «معقل»، فقال: هذه ثلاثة

ألف درهم، خذها إليك، والتمس مسلم بن عقيل حيثما كان بالكوفة، فإذا عرفت موضعه، فادخل إليه وأعلمه أنك مِن شيعته، وعلى مذهبه، وادفع إليه هذه الدراهم، وقل له: استعن بها على عدوِّك، فإنَّك إذا دفعت إليه هذه الدراهم: وثِقَ بك، واطمأنَّ إليك، ولم يكتمك من أمره شيئاً، ثم اغد عليَّ بالأخبار عنه.

فاقبل معقل حتى دخل المسجد الأعظم، فنظر إلى رجلٍ من الشيعة، يقال له: «مسلم بن عوسجة الأسدي»، فجلس إليه ثُم قال له: ياعبد اللّه! إني رجل من أهل الشام، غير أني أُحِبُّ أهل هذا البيت، وأُحِبُّ من يحبهم، ومعي ثلاثة آلاف درهم أحببتُ أن أدفعها إلى رجل بلغني أنه قد قدم إلى بلدكم هذا، يأخذ البيعة لابن بنت رسول اللّه، فإن رأيت أن تدلني عليه حتّى أدفع هذا المال إليه وأُبايعه، وإن شئت فخذ بيعتي له قبلَ أن تدلّني عليه.

فظن مسلم بن عوسجة أنَّ القول على ما يقوله، فأخذ عليه الأيمان والعهود أنَّه ناصح، وانه يكون مع مسلم بن عقيل على ابن زياد، فاعطاه معقل من العهود ما وثق بها مسلم بن عوسجة، ثُم قال له: انصرف عني الآن يومي هذا حتى أنظر في ذلك، فانصرف عنه.

ونزلَ ـ شريك بن عبدالله الأعور الهمداني ـ عند هانئ بن عروة، وكان شريك شيعياً، وكان يرى رأي علي عليه السلام، ثُمَّ مَرِض شريك في دار هانئ، وعزم ابن زياد على أن يصير إليه عائداً، فدعا شريك مسلماً، وقال له: غداً يأتيني هذا الفاسق عائداً، وإني شاغله لك في الكلام، فإذا فعلت ذلك فاخرج إليه من هذه الداخلة، واقتله واجلس في «قصر الامارة»، وإن أنا عشت فإني ساكفيك أمر «البصرة» إن شاء اللّه.

ثم جاء ابن زياد حين أصبح عائداً، فجعل يسأله، وهمَ مسلم أن يخرج عليه فيقتله، فمنعه صاحب المنزل هانئ، وقال له: جعلت فداك، إن في داري نسوة وصبية، وإني لا آمن الحدثان، فأمسك مسلم عن ذلك، وجعل شريك يرمق الداخلة وينشد:

ماالانتظار بسلمى أن تحييها فحيٍّ سلمى وحيٍّ من يحييها
ثُم اسقنيها وإن تجلب عليَّ ردى فَتلك أحلى مِن الدنّيا وما فيها

وفي رواية: أنه كان يقول: أسقوني شربتي، ولو كان فيها منيتي، من غير أن يقول البيتين، فقال ابن زياد: ما يقول الشيخ؟ فقيل: إنه مبرسم، فوقع في قلب ابن زياد شيء، فركب من ساعته، ورجع إلى القصر، وخرج مسلم إلى شريك من داخل الدار، فقال شريك: ما منعك من الخروج إلى هذا الفاسق؟ وقد أمرتُك بقتله، وشغلته لك بالكلام، فقال: منعني مِن ذلك حديث سمعته من عمي عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام: «الإيمان قيدالفتك»، على أني لم أُحب أن أقتله في منزل هذا الرجل، فقال له شريك: لو قتلته لقتلتَ فاسقاً فاجراً منافقاً كافراً.

فلم يلبث شريك بعد ذلك ثلاثة أيام، حتّى مات (رحمهُ اللّه)، وكان من خيار الشيعة وعبّادها، غير أنه كان يكتم ذلك إلاّ عن من يثقَ به مِن إخوانه.

فخرج ابن زياد وصلّى عليه، ورجع إلى قصره، فلما كان من الغد أقبل معقل إلى مسلم بن عوسجة، فقال له: إنَّك قد كنت وعدتني أن تدخلني على هذا الرجل، فأدفع إليه هذا المال، فما الذي بدا لكَ مِن ذلك؟ فقال له: إنا اشتغلنا بموت هذا الرجل، شريك بن عبد اللّه، وقد كان من خيار الشيعة، ويتولى أهل هذا البيت، فقال له معقل: ومسلم بن عقيل في

منزل هانئ بن عروة، فقال له: نعم، هو في منزل هانئ بن عروة، فقال معقل: قم بنا إليه حتى أدفع له هذا المال، فأخذَ بيده وأدخله على مسلم بن عقيل فرحَّب به مسلم وأدناه، وأخذ بيعته، وأمر أن يقبض ما معه من المال.

وأقام معقل في منزل هانئ بن عروة يومه، حتى إذا أمسى انصرف إلى ابن زياد فأخبره بأمر مسلم فبقي ابن زياد متعجباً، وقال لمعقل: انظر أن تختلف إلى مسلم في كلِّ يوم، ولا تنقطع عنه، فإنَّك إن قطعته استرابك، وتنحى عن منزل هانئ إلى منزل آخر، فالقى في طلبه عناء.

ثم دعا عبيد الله محمد بن الأشعث؛ وأسماء بن خارجة الفزاري؛ وعمرو بن الحجاج الزبيدي، وكانت ـ رويحة بنت عمرو ـ تحت هانئ بن عروة، فقال: أخبروني: ما الذي يمنع هانئ بن عروة من المصير إلينا؟ فقالوا: إنه مريض أصلح الله الأمير، فقال ابن زياد: إنَّه كان مريضاً غير أنه برأ، وجلس على باب داره، فلا عليكم أن تصيروا إليه، وتأمروه أن لا يدع ما يجب عليه من حقنا، فإني لا أُحبُّ أن تفسد عندي منزلة مثله من أشراف العرب، فقالوا: نفعل ذلك.

فبينا عبيد الله مع القوم في هذه المحاورة، إذْ دخل رجل مِن أصحابه، يقال له: ـ مالك بن يربوع التميمي ـ، فقال: أصلح الله الأمير، هاهنا خبر، فقال ابن زياد: ماذاك؟ قال: كنت خارج الكوفة أجول على فرسي، إذ نظرت رجلاً خرج مِن الكوفة مسرعاً، يُريد البادية فأنكرته، ثُمَّ إني لحقتُهُ وسالته عن حاله؟ فذكر: أنه من المدينة فنزلت عن فرسي، وفتشته فأصبتُ معه هذا الكتاب.

فاخذه ابن زياد فإذا منه مكتوب: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم للحسين ابن علي: أما بعد، فإني أُخبرك أنه قد بايعك من أهل الكوفة ما ينيف على

عشرين ألفاً، فإذا أتاك كتابي هذا فالعجل العجل، فإنَّ الناس كلهم معك، وليس لهم في يزيد بن معاوية هوى ولا رأي، والسلام.

فقال ابن زياد: أين هذا الرجل الذي أصبت معه الكتاب؟ قال: هو بالباب، قال: آتوني به، فأُدخل فلما وقف بين يدي ابن زياد، قال له: من انت؟ قال: مولى لبني هاشم، قال: ما اسمك؟ قال: عبدالله بن يقطر، قال: مَن دفع إليك هذا الكتاب؟ قال: امرأة لا أعرفها، فضحك ابن زياد، وقال: اختر واحدة من اثنتين: إما أن تخبرني من دفع إليك هذا الكتاب؛ أو تقتل.

فقال: أما الكتاب، فإني لا أُخبرك من دفعهُ إليَّ، واما القتل فإني لا اكرهه، لاني لا اعلم قتيلاً عند اللّه اعظم اجراً من قتيل يقتله مثلك، فامر ابن زياد فضرب عنقه صبراً.

قال: ثُمَّ اقبل على محمد بن الأشعث؛ وعمرو بن الحجاج؛ وأسماء ابن خارجة، فقال: صيروا إلى هانئ بن عروة المذحجي، فسلوه: أن يصير إلينا، فإنَّا نُريدُ مناظرته، فركب القوم ثُم صاروا إلى هاني فوجدوه جالساً على باب داره، فسلَّموا عليه، وقالوا: ما يمنعك مِن إتيان هذا الأمير، فقد ذكرك غير مرَّة؟ فقال: ما منعني، واللّه، من المصير إليه إلاّ العلَّة التي كانت بي، فقالوا: صدقت، ولكنه بلغه أنك تقعد على باب دارك في كلِّ عشية، وقد استبطاك والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان من مثلك، لانَّك سيدٌ في قومك، ونحن نقسم عليك إلاّ ركبت معنا إليه.

فدعا هانئ بثيابه فلبسها، ثُم دعا ببغلة فركبها، وسار مع القوم إلى باب قصر الامارة فكان نفسه أحست بالشَّر، فالتفت إلى ـ حسان بن أسماء ـ فقال: يابن أخي! إنَّ نفسي تحدثني بالشر، فقال له حسان: سبحان اللّه،

ياعم! ما أتخوف عليك؟ فلا تحدثنَ نفسك بشيءٍ من هذا، ثُمَّ دخل القوم على ابن زياد فلما نظر إليهم من بعيد، التفت إلى شريح القاضي وكان عنده في مجلسه فقال: أتتك بخائن رجلاه تسعى، ثم التفت الى هانئ فأنشد:

أُريد حياته ويريد قتلي عذيري من خليل من مراد

فقال هاني: وما ذاك، أيها الأمير؟ فقال إيهاً ياهانئ جئت بمسلم بن عقيل، وجمعت له الرجال والسلاح في الدار حولك، وظننت أن ذلك يخفى علينا فقال: مافعلت، قال: بلى، فعلت، قال: ما فعلت، قال ابن زياد: أينَ معقل؟ فجاء معقل حتَّى وقف بين يديه، فقال ابن زياد: أتعرف هذا ياهاني؟ فنظر هانئ إلى معقل فعلِمَ أنه كان عيناً عليهم، وأنه أخبر ابن زياد عن مسلم، فقال: أصلح اللّه الأمير، ما بعثت إلى مسلم، ولا دعوته، ولكنه جاءني مستجيراً فاستحييتُ من ردِّه، وأخذني مِن ذلك ذمام. فأما إذا قد علمت، فخل سبيلي حتى أرجع إليه، وآمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء، وأُعطيك من العهود والمواثيق بها، إني أرجع إليك، وأضع يدي في يدك، فقال ابن زياد: لا واللّه، لا تفارقني أبداً أو تأتيني بمسلم بن عقيل؟ فقال: إذن، واللّه، لا آتيك بضيفي فتقتله، أيكون هذا في العرب؟ فقال ابن زياد: واللّه، لتأتيني به، فقال هانئ: لا واللّه لا آتيك به أبداً.

فتقدم مسلم بن عمرو الباهلي فقال: أصلح اللّه الأمير، ائذن لي في كلامه، فقال: كلمه بما أحببت، ولا تخرجهُ مِن القصر، فأخذ مسلم بن عمرو الباهلي بيد هانئ بن عروة فنحاه ناحية، ثُم قال له: ويحك ياهانئ! أنشدك اللّه أن تقتل نفسك، وتدخل البلاء على عشيرتك بسبب مسلم بن عقيل، ياهذا! سلمه إليه، فإنه لا يقدم عليه بالقتل أبداً. وأُخرى فإنه سلطان، وليس عليك في ذلك عار ولا منقصة.

فقال هانئ: بلى، والله، عليّ في ذلك أعظم العار، والسبَّة، وأكبر الخزي، أن أُسلم جاري وضيفي، ورسول ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وانا حي صحيح، شديد الساعدين، كثير الأعوان، والله، لو لم أكن إلا وحدي لا ناصر لي لما أسلمت أبداً ضيفي حتَّى أموت من دونه.

فردَّه مسلم بن عمرو الباهلي إلى ابن زياد، فقال له: أيها الأمير! إنه قد أبى أن يسلم مسلماً أبداً أو يقتل كما يزعم، فغضب ابن زياد، ثُمَّ قال: والله لتأتين به، أو لأضربن عنقك، فقال: إذن والله، تكثر البارقة حول دارك، فقال ابن زياد: أبالبارقة تخوفني؟ ثُمَّ اخذ قضيباً كان بين يديه، فضرب به وجه هانئ فكسر أنفه، وشج حاجبه، وضرب هانئ بيده إلى قائم سيف رجلٍ من أصحاب عبيد الله بن زياد، فجاذبه ذلك الرجل، ومنعه من السيف، فصاح ابن زياد: خذوه، فأخذوه وألقوه في بيت من بيوت القصر وأغلقوا عليه الباب.

ثم وثب ـ أسماء بن خارجة ـ فقال له: أيها الأمير! إنَّك أمرتنا أن نأتيك بالرجل، فلما جئناك به هشمت وجهه، وأسلت دمه، فقال: وأنت ههنا أيضاً، ثُمَّ أمر به فضرب حتَّى وقع لجنبه، فجلس أسماء بن خارجة ناحية من القصر، وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، إلى نفسي أنعاك ياهانئ!.

قال: وبلغ ذلك ـ بني مذحج ـ فركبوا بأجمعهم وعليهم ـ عمرو بن الحجاج الزبيدي ـ فوقفوا بباب القصر، ونادى عمرو: ياعبيد الله! هذه فرسان مذحج لم تخلع طاعة، ولم تفرِّق جماعة، فلم تقتل صاحبنا؟ فقال ابن زياد لشريح القاضي: ادخل عليَّ صاحبهم، فانظر إليه، ثُمَّ اخرج إليهم فاعلمهم أنه لم يقتل، قال شريح: فدخلتُ عليه، فقال: ويحك هلكت

عشيرتي، أين أهل الدين فلينقذوني من يد عدوهم وابن عدوهم؟ ثُم قال والدماء تسيل على لحيته: ياشريح! هذه أصوات عشيرتي، أدخل منهم عشرة ينقذوني، فلما خرجت تبعني حمير بن بكير[١] وقد بعثه ابن زياد عيناً عليَّ، فلولا مكانه لكنتُ أبلغ أصحابه ماقال، ثُمَّ خرج شريح، فقال: ياهؤلاء! لا تعجلوا بالفتنة، فإن صاحبكم لم يُقتل، فانصرف القوم.

ثُم خرج ابن زياد حتَّى دخل المسجد الأعظم، فصعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه، ثُم التفت فنظر إلى أصحابه عن يمين المنبر وشماله، في أيديهم الأعمدة والسيوف المسلَّلة، فقال:

أما بعد ـ ياأهل الكوفة! فاعتصموا بطاعة اللّه؛ وطاعة رسول اللّه وطاعة أئمتكم، ولا تختلفوا وتفرَّقوا، فتهلكوا وتندموا، وتذلوا وتقهروا وتحرموا، ولا يجعلن أحد على نفسه سبيلاً، وقد أعذر من أنذر، فما أتمَّ الخطبة حتَّى سمع الصيحة، فقال: ماهذا؟ فقيل له: أيها الأمير! الحذر الحذر، فهذا مسلم بن عقيل قد أقبل في جمع ممَّن بايعه، فنزل عن المنبر مسرعاً، وبادر حتى دخل القصر، وأغلق الأبواب.

وأقبل مسلم بن عقيل في وقته ذلك، ومعه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون، وبين يديه الأعلام والسلاح الشاك، وهم في ذلك يشتمون ابن زياد ويلعنون أباه، وكان شعارهم: يامنصور! أمت، وكان قد عقد مسلم ابن عقيل ـ لعبدالله الكندي ـ على كندة، وقدمه أمام الخيل، وعقد ـ لمسلم بن عوسجة ـ على مذحج وأسد، وعقد ـ لأبي ثمامة بن عمر الصائدي ـ على تميم وهمدان، وعقد ـ للعباس بن جعدة الجدلي ـ على أهل المدينة، وأقبل مسلم يسير حتى خرج في ـ بني الحرث بن كعب ـ ثُمَّ خرج على مسجد

(١) كذا في النسخة والمعروف حمران بن بكير.

الانصار حتى أحاط بالقصر، وليس في القصر إلاّ نحو من ثلاثين رجلاً مِن الشرط، ومقدار عشرين مِن الأشراف وأهل بيته ومواليه، وركب أصحاب ابن زياد واختلط القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً، وابن زياد في جماعة من الأشراف قد وقفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة النّاس.

قال: وجعل رجل من أصحاب ابن زياد يقال له: ـ كثير بن شهاب ـ؛ ومحمَّد بن الأشعث؛ والقعقاع بن شور؛ وشبث بن ربعي، ينادون فوق القصر باعلى أصواتهم: الا ياشيعة مسلم بن عقيل! الا ياشيعة الحسين بن علي اللّه، اللّه في انفسكم واهليكم واولادكم، فإن جنود أهل الشام قد اقبلت، وان الامير عبيد اللّه قد عاهد اللّه: لئن انتم اقمتم على حربكم ولم تنصرفوا مِن يومكم هذا، ليحرمنكم العطاء، وليفرقن مقاتلتكم في مغازي أهل الشام، وليأخذن البريء بالسقيم، والشّاهد بالغائب، حتى لا يبقي منكم بقية مِن أهل المعصية إلاّ اذاقها وبال امرها.

فلما سمع ذلك الناس جعلوا يتفرقون، ويتخاذلون عن مسلم بن عقيل، ويقول بعضهم لبعض ما نصنع بتعجيل الفتنة وغداً تاتينا جموع أهل الشام، فينبغي أن نقعد في منازلنا وندع هؤلاء القوم حتى يصلح اللّه ذات بينهم.

قال: وكانت المرأة تأتي اخاها وأباها أو زوجها أو بنيها فتشرّده، ثُمَّ جعل القوم يتسللون والنهار يمضي فما غابت الشمس حتّى بقي مسلم بن عقيل في عشرة من أصحابه، واختلط الظلام فدخل مسلم المسجد الأعظم ليصلي المغرب فتفرق عنه العشرة، فلما رأى ذلك استوى على فرسه، ومضى في بعض أزقة الكوفة، وقد اثخن بالجراحات، لايدري أين يذهب؟ حتى صار إلى امرأة يقال لها: «طوعة»، وقد كانت قبل ذلك أُم ولد للأشعث بن قيس فتزوجها رجل من «حضرموت» يقال له «أسيد الحضرمي»

فولدت له «بلال بن اسيد»، وكانت المرأة واقفة على باب دارها تنتظر ابنها، فسلَّم عليها مسلم فردت عليه السلام، فقال: ياأمة اللّه! اسقيني فسقته، فجلس على بابها، فقالت له: ياعبد اللّه! ما شانك؟ أليس قد شربت، قال: بلى، واللّه، ولكن مالي بالكوفة منزل، وإني لغريب قد خذلني من كنتُ أثق به، فهل لكِ في معروف تصطنعينه إليَّ؟ فإني رجل من أهل بيت شرف وكرم، ومثلي مَن يُكافا بالإحسان؟

قالت: فكيف ذلك؟ ومن أنت؟ فقال: ياهذه ذري عنكِ التفتيش في هذا الوقت، وادخليني منزلكِ، فعسى اللّه ان يكافاكِ عنَّا بالحسنة، فقالت: ياعبد اللّه! أخبرني باسمك، ولا تكتمني شيئاً مِن أمرك فإني أكره أن تدخلَ منزلي من قبل معرفة خبرك، وهذه فتنة قائمة، وهذا ابن زياد بالكوفة، فأخبرني: من انت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل، فقالت المرأة: قم فادخل رحمك اللّه.

فأدخلته منزلها وجاءته بمصباح، ثمَّ جاءته بطعام فابى أن ياكل، فلم، يكن باسرعِ من أن جاء ابنها، فلما دخل راى من أُمِّه امراً منكراً مِن دخولها ذلك البيت، وخروجها منه، وهي باكية، فقال لها: ياأُماه! ما قصتك؟ فقالت له: يابني! اقبل على شانك، فالح عليها، فقالت: يابني! إذا أخبرتك بشيءٍ فلا تفشه لاحد، فقال لها: قولي: ما أحببتِ. فقالت: مسلم بن عقيل في ذلك البيت، وكان من قصته كذا وكذا، فسكت الغلام ولم يقل شيئاً، ثُمَّ أخذ مضجعه ونام، فلما أصبح ابن زياد نادى في النَّاس: أن يجتمعوا، ثُمَّ خرج من القصر فدخل المسجد ثُمَّ صعد المنبر، فقال: أيها الناس! إنَّ مسلم بن عقيل السفيه الجاهل أتى هذا البلد، وأظهر الخلاف، وشقَّ عصا المسلمين، وقد برات الذمة مِن رجلٍ أصبناه في داره،

ومن جاء به، فله ديته، والمنزلة الرفيعة من أمير المؤمنين، وله كلّ يوم حاجة مقضية، ثُمَّ نزل عن المنبر ودعا ـ الحصين بن نمير السكوني ـ، فقال له: ثكلتك أُمك! إن فاتتك سكة من سكك الكوفة، ولم تُضيق على أهلها، أو يأتوك بمسلم بن عقيل، فواللّه لو خرج من الكوفة سالماً لتزهقن انفسنا في طلبه، فانطلق الآن فقد سلطتكَ على دور الكوفة وسككها، فانصب المراصد، وخذ في الطلب حتى تأتيني بهذا الرجل.

وأقبل ـ محمد بن الأشعث ـ حتى دخل على عبيد اللّه بن زياد فلما رآه، قال: مرحباً بمن لايتهم في مشورة، وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم في دارها الى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فأخبره: بمكان مسلم، فقال: اسكت إذن، ولا تخبر أحداً، وأقبل عبد الرحمن إلى أبيه فساره في أذنه: بأنَّ مسلم في منزل طوعة، ثم تنحى.

فقال ابن زياد: ما الذي قال لك عبد الرحمن؟ فقال: أصلح اللّه الأمير، البشارة الكبرى، قال: وما تلك؟ فمثلك من يبشر بخير، فأخبره بذلك، فسرّ عدوّ اللّه وقال له: قم فأتني به، ولك ما بذلت من الجائزة الكبرى، والحظ الأوفى، ثُمَّ أمر ابن زياد خليفته ـ عمرو بن حريث المخزومي ـ أن يبعث مع محمد بن الأشعث ثلاثمائة رجل من صناديد أصحابه، فركب محمد بن الأشعث حتى وافى الدار التي فيها مسلم بن عقيل، فسمع مسلم وقع حوافر الخيل، وأصوات الرجال، فعلمَ أنه قد أُتي، فبادر مسرعاً إلى فرسه، فأسرجه وألجمه، وصبَّ عليه درعه، واعتجر بعمامته، وتقلّد سيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة، ويلهبون النار في هواري القصب، فتبسم مسلم ثُم قال: يانفسي! اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا محيد.

ثم قال للمرأة: رحمك الله، وجزاكِ خيراً، اعلمي أني ابتليتُ من قبل ابنك، فافتحي الباب ففتحته، وخرج مسلم في وجوه القوم كالأسد المغضب، فجعل يضاربهم بسيفه حتى قتل جماعة، وبلغ ذلك ابن زياد، فارسل إلى محمد بن الاشعث: سبحان الله، أبا عبد الرحمن! بعثناك إلى رجل واحد لتأتينا به، فثلم من أصحابكَ ثلمة عظيمة، فأرسل إليه محمد ابن الأشعث: أيها الأمير! أتظن أنك بعثتني إلى بقال من بقاقيل الكوفة أو جرمقاني من جرامقة الحيرة، أفلا تعلم أيها الأمير أنك بعثتني إلى أسدٍ ضرغام؛ وبطل همام؛ في كفه سيف حسام، يقطر منه الموت الزؤام؟ فارسل إليه ابن زياد: أن اعطه الأمان فانَّك لن تقدر عليه إلاّ بالأمان المؤكد بالأيمان.

فجعل محمد بن الأشعث يناديه: ويحك، يابن عقيل! لاتقتل نفسك، لك الأمان، فيقول مسلم: لاحاجة لي في أمان الغدرة الفجرة وينشد:

اقسمتُ لا أُقتل إلاّ حرّاً	وإن رأيتُ الموت شيئاً مرّاً
كل امرئٍ يوماً ملاق شرّاً	ردّ شعاع النفس فاستقرّا
أضربكمْ ولا اخاف ضرّاً	ضرب همام يستهين الدهرا
ويخلط البارد سخناً مرّاً	ولا أُقيم للأمان قدرا

اخافُ أن أُخدع أو أُغرّاً

فناداه محمد بن الأشعث: ويحك، يامسلم! إنَّك لن تغر، ولن تخدع والقوم ليسوا بقاتليك، فلا تقتل نفسك، فلم يلتفت إليه، فجعل يقاتلهم حتى أُثخن بالجراح، وضعف عن الكفاح، وتكاثروا عليه من كل جانب، وجعلوا يرمونه بالنبل والحجارة. فقال مسلم: ويلكم، مالكم

ترموني بالحجارة، كما ترمى الكفار؟ وأنا من أهل بيت النبي المختار، ويلكم، أما ترعون حقَّ رسول الله، ولا حقَّ قرباه، ثُمَّ حمل عليهم في ضعفه فهزمهم وكسرهم في الدروب والسكك، ثُم رجع وأسند ظهره على باب دار من تلك الدور ورجع القوم إليه فصاح بهم محمد بن الأشعث: ذروه، حتّى أكلمه بما أريد، فدنا منه، وقال: ويحك، يابن عقيل! لا تقتل نفسك، أنت آمن، ودمك في عنقي، وأنت في ذمتي.

فقال مسلم: أتظن يابن الاشعث! إني أعطي بيدي، وأنا أقدر على القتال؟ لا، والله، لا يكون ذلك ابداً، ثُم حمل عليه فالحقه باصحابه، ثم رجع إلى موضعه، وهو يقول: اللّهُمَّ! إنَّ العطش قد بلغ مني فلم يجترئ أحد أن يسقيه الماء ويدنو منه، فقال ابن الأشعث لأصحابه: إن هذا لهو العار والشنار، أتجزعون من رجل واحد هذا الجزع؟ احملوا عليه بأجمعكم حملة رجل واحد، فحملوا عليه وحمل عليهم وقصده رجل من أهل الكوفة، يقال له: «بكير بن حمران الأحمري» فاختلفا بضربتين، ضربه «بكير» على شفته العليا، وضربه مسلم فبلغت الضربة جوفه، فأسقطه قتيلاً، وطعن من ورائه فسقط إلى الارض، فأُخِذ أسيراً، ثم أُخذَ فرسه وسلاحه، وتقدم رجل من بني سليم يقال له: «عبيد الله بن العباس» فاخذ عمامته، فجعل يقول: اسقوني شربة مِن الماء؛ فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: لا، والله، لا تذوق الماء، يابن عقيل! حتى تذوق الموت، فقال له مسلم: ويلك، ما أجفاكَ، وأفظكَ، واقسى قلبك؟ اشهد عليك إن كنت من قريش فإنَّك ملصق، وإن كنت من غير قريش فانت دعي، من أنت؟ ياعدو الله! قال: أنا من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح الإمام إذْ غششته، وأطاع إذْ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي، فقال له مسلم: لأُمِّك الهبل، يابن

باهلة! أنت أولى بالحميم؛ والخلود في نار الجحيم؛ إذْ آثرت طاعة آل أبي سفيان على طاعة آل محمد.

ثم قال: ويحكم، ياأهل الكوفة! اسقوني شربةً من ماء، فأتاه غلام لعمرو بن حريث المخزومي بقلة فيها ماء وقدح من قوارير، فصب القلَّة في القدح وناوله، فأخذ مسلم القدح بيده، فكلما أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً، فلم يقدر أن يشرب مِن كثرة الدم، وسقطت ثنيتاه في القدح، فامتنع من شرب ذلك الماء.

وفي رواية: أن محمد بن الأشعث لما أعطاه الأمان رمى بسيفه، فأخذوه وحملوه على بغلة فدمعت عيناه، فقال محمَّد: إني لأرجو أن لا باس عليكَ، فقال: ويحك، ما هو إلاّ الرجاء، فأين أمانكم؟ إنا للّه وإنا إليه راجعون، وبكى فقال ـ عبيد اللّه بن العبَّاس السلمي ـ: مَن يطلب مثل الذي طلبت لا يبكي، فقال: إني، واللّه، ما على نفسي أبكي، لكني أبكي على أهلي المقبلين إليكم، أبكي على الحسين وآل الحسين.

ولما ركب على البغلة ونزع منه السيف استرجع وقال: هذا أوَّلُ الغدر، وآيس من نفسه، وعلم أن لاأمان له مِن القوم، فقال لمحمد بن الأشعث: إني لأظنك أن تعجز عن أماني، أفتستطيع أن تبعث رجلاً عن لساني يبلغ حسيناً فإني لا أراه إلاّ قد خرج إلى ما قبلكم، هو وأهل بيته، فيقول له: إنَّ مسلماً بعثني إليك، وهو أسير في يد العدو، يذهبون به إلى القتل، فارجع باهلك ولا يغرنَّك أهل الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل. إن أهل الكوفة قد كذبوني، فكتبتُ إليك وليس لمكذوب رأي، فقال محمد: واللّه، لأفعلن، ودعا ـ بإياس الطائي ـ وكتب معه إلى الحسين ما قاله مسلم عن لسان مسلم، وأعطاه راحلة

وزاداً، فذهب فاستقبل الحسين بزبالة، وكان مسلم حين تحول إلى دار هانئ كتبَ إلى الحسين كتاباً ذكر فيه: كثرة من بايعه، فهو قوله: كذبوني فكتبت إليك، ثُم أُتي به فأُدخل على ابن زياد فأُوقف ولم يسلم عليه، فقال له الحرسي: سلِّم على الأمير، فقال مسلم: اسكت لا أم لك مالك والكلام ماهو لي بأمير فاسلّم عليه، وأخرى ما ينفعني سلامي وهو يريد قتلي، فإن استبقاني فسيكثر.

فقال ابن زياد: لا عليك، سلمت أو لم تسلم، فإنَّك مقتول، فقال مسلم: إن قتلتني فلقد قتل من هو شرٌّ منك من هو خيراً مني، ثُمَّ قال له: إن القوم قد آمنوني، فقال محمد بن الأشعث إني قد آمنته، فقال ابن زياد: وما انت وذاك؟ كاني إنما ارسلتك لتؤمنه، ثُمَّ قال لمسلم: ياشاق ياعاق! خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين، والقحت الفتنة، فقال: كذبت يابن زياد إنما شقَّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وإنما القح الفتنة أنت وأبوك زياد بن عبيد بن علاج من ثقيف، وأنا ارجو أن يرزقني اللّه الشهادة على يدي شرِّ بريته، فواللّه، ماخلعت وما غيرت، وإنما أنا في طاعة الحسين ابن علي وابن فاطمة بنت رسول اللّه، فهو أولى بالخلافة مِن معاوية وابنه وآل زياد، فقال له ابن زياد: يافاسق! ألم تكن تشرب الخمر بالمدينة؟ فقال مسلم: اللّه يعلم أني ما شربتها قط، وأحق مني بشرب الخمر من يقتل النفس الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة والظن، وهو في ذلك يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يافاسق! منتك نفسك أمراً حال اللّه دونه، وجعله لأهله، فقال مسلم: ومن أهله يابن مرجانة؟ فقال له: يزيد بن معاوية، فقال مسلم: الحمدُ للّه، رضينا باللّه حكماً بيننا وبينكم، فقال ابن زياد:

أتظن أنَّ لك من الأمر شيئاً، فقال: لا، واللّه، ما هو بالظن ولكنَّه اليقين، فقال ابن زياد له: قتلني اللّه إن لم أقتلك شرَّ قتلة، فقال له مسلم: أما انَّك لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السريرة، ولؤم الفعلة لأحد غيرك أولى منك، واللّه، لو كان معي عشرة ممّن أثق بهم، وقدرتُ على شربة ماء، لطال عليك أن تراني في هذا القصر، ولكن إن كنت قد عزمت على قتلي فأقم لي رجلاً من قريش حتّى أُوصي إليه بما أُريد.

ثم نظر مسلم إلى ـ عمر بن سعد بن أبي وقاص ـ، فقال له: إنَّ بيني وبينك قرابة فاسمع مني، فامتنع، فقال له ابن زياد: ما يمنعك من الاستماع لابن عمك؟ فقام عمر إليه، فقال له مسلم: أُوصيك بتقوى اللّه فإنَّ التقوى درك كلِّ خير، ولي إليك حاجة، فقال عمر: قل ما أحببت، فقال: حاجتي إليك أن تسترد فرسي وسلاحي من هؤلاء القوم فتبيعه، وتقضي عني سبعمائة درهم استدنتها في مصركم هذا، وأن تستوهب جثتي إن قتلني هذا الفاسق، فتواريني في التراب، وأن تكتُب للحسين: أن لا يقدم، فينزل به ما نزل بي، فقال عمر بن سعد: أيها الأمير! إنه يقول كذا وكذا، فقال ابن زياد: يابن عقيل! أما ما ذكرت من دينكَ فإنما هو مالك، تقضي به دينك ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحببت، وأما جسدك فإنا إذا قتلناك فالخيار لنا ولسنا نبالي ما صنع اللّه بجثتك، وأما الحسين فإنه إن لم يردنا لم نرده، وان أرادنا لم نكف عنه.

وفي رواية: أنه قال: وأما الحسين فلا ولا كرامة، ولكن أُريد أن تخبرني يابن عقيل! لماذا أتيت أهل هذا البلد، وأمرهم جميع، وكلمتهم واحدة، فأردت أن تفرِّق عليهم أمرهم، وتحمل بعضهم على بعض؟ فقال له مسلم: ليس لذلك أتيت، ولكن أهل هذا المصر زعموا أن ـ أباكَ ـ قتل

خيارهم، وسفك دماءهم، وأن معاوية حكم فيهم ظلماً بغير رضى منهم، وغلبهم على ثغورهم التي أفاء اللّه بها عليهم، وأن عاملهم يتجبر ويعمل أعمال كسرى وقيصر، فأتينا لنأمر بالعدل، وندعو إلى الحكم بكتاب اللّه إذْ كنا أهله، ولم تزل الخلافة لنا، وإن قهرنا عليها، رضيتم بذلك أم كرهتم، لأنكم أولُ من خرج على إمام هدى وشق عصا المسلمين، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً، إلاّ قول اللّه تعالى: **﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾**الشعراء/٢٢٧.

قال: فجعل ابن زياد يشتمه، ويشتم علياً؛ والحسن؛ والحسين، فقال مسلم: أنت وأبوك أحقُّ بالشتم والسبِّ، فاقضِ ما أنت قاضٍ ياعدوَّ اللّه! فنحن أهل بيت موكل بنا البلاء، فقال ابن زياد: اصعدوا به إلى أعلى القصر، واضربوا عنقه، واتبعوا رأسه جسده، فقال مسلم: أم واللّه، يابن زياد! لو كنت من قريش أو كان بيني وبينك رحم لما قتلتني، ولكنك ابن أبيك، فازداد ابن زياد غضباً، ودعا برجل من أهل الشام قد كان مسلم ضربه على رأسه ضربة منكرة، فقال له: خذ مسلماً إليك واصعده إلى أعلى القصر، وأضرب أنت عنقه بيدك، ليكن ذلك أشفى لصدرك.

قال: فاصعد مسلم إلى أعلى القصر، وهو يسبّح اللّه ويستغفره، ويقول: اللّهم! احكم بيننا وبين قوم غرُّونا وخذلونا، حتى أُتي به إلى أعلى القصر، فتقدم ذلك الشامي، وضرب عنقه، ثُم نزل الشامي وهو مذعور مدهوش، فقال له ابن زياد: ما شانك أقتلته؟ قال: نعم، إلاَّ أنه عرض عارض، فأنا به مرعوب، قال: وما الذي عرض؟ قال: رأيتُ ساعة قتلته رجلاً بحذائي: أسود شديد السواد؛ كريه المنظر، عاضاً على إصبعه أو قال شفته، ففزعت منه فزعاً لم أُفزع مثله قط، فتبسم ابن زياد، وقال: دهشت

من شيءٍ لم تعتده قبل ذلك.

قال: ثُم أمر ابن زياد بهانئ بن عروة أن يخرج فيلحق بمسلم بن عقيل، فقال محمد بن الأشعث: أصلح اللّه الأمير! إنَّك قد عرفت منزلته في المصر، وشرفه وعشيرته، وقد علم به قومه أني وأسماء بن خارجة جئنا به إليك، فانشدك اللّه أيها الأمير! إلاّ وهبته لي، فإني أخاف عداوة أهل بيته فإنهم سادات أهل الكوفة وأكثرهم عدداً، قال: فزبره ابن زياد وأخرج هانئ إلى السوق إلى موضع تباع فيه الغنم وهو مكتوف، فعلم هانئ أنه مقتول، فجعل يقول: وامذحجاه! وأين مني مذحج؟ واعشيرتاه! وأين مني عشيرتي؟ ثُمَّ أخرج من الكتاف يده للمدافعة، وقال: أما مِن عصا أو سكين أو حجر أو عظم يجاحش به الرجل عن نفسه، فوثبوا إليه وشدُّوه، ثُمَّ قالوا له: أمدد عنقك، فقال: ما أنا بها سخي، ولا بمعينكم على نفسي، فضربه غلام تركي لعبيد اللّه بن زياد بالسيف ضربة لم يصنع بها شيئاً، فقال هاني: إلى اللّه المعاد والمنقلب، اللّهم! إلى رحمتك ورضوانك، اللّهم! اجعل هذا اليوم كفارة لذنوبي، فإني إنما غضبت لابن نبيك محمد ﷺ، فتقدم إليه أيضاً الغلام التركي واسمه «رشيد» فضربه فقتله.

ثم أمر ابن زياد بمسلم وبهانئ فصلبا منكسين.

٢ـ أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن عليُّ بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي، عن أبيه، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو عمرو بن السَّماك، حدثنا حنبل بن إسحاق، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان بن عُيينة، حدَّثنا عمرو ابن دينار، قال: أرسل الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة، وكان مثل الأسد لقد كان من قوته أنه يأخذ الرجل بيده فيرمي به فوق البيت إلى أن

قُتِل بالكوفة. عدنا إلى ما نحن فيه.

٣ـ قال الإمام أحمد بن أعثم الكوفي في «تاريخه»: ولما صُلِبَ مسلم ابن عقيل؛ وهانئ بن عروة، قال فيهما عبدالله بن الزبير الأسدي:

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هانئ بالسوق وابن عقيل
الى بطل قد هشم السيف وجهه ... وآخر يهوي من طمار قتيل
ترى جسداً قد غير الموت لونه ... ونضح دم قد سال كل مسيل
فتى كان أحي من فتاة حييَّة ... وأقطع مِن ذي شفرتين صقيل
وأشجع من ليث بخفان مصحر ... وأجرأ من ضار بغابة غيل
أصابهما أمرُ الأمير فأصبحا ... أحاديث من يسري بكل سبيل
أيركب أسماء الهماليج آمناً ... وقد طلبته مذحج بذحول
تطوف حواليه مراد وكلهم ... على رقبة من سائل ومسول
فإن أنتم لم تثأروا لأخيكم ... فكونوا بغايا أرضيت بقليل

قال: ثُم كتبَ ابن زياد إلى يزيد: بسمِ اللّهِ الرّحمنِ الرَّحيم لعبدالله يزيد ـ أمير المؤمنين ـ من عبيد اللّه بن زياد: الحمدُ للّه الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤنة عدوِّه، ثُمَّ ذكر قدوم مسلم بن عقيل، وذكر هانئ بن عروة، وكيف أخذهما؟ وكيف قتلهما؟ ثمّ قال: وقد بعثت برأسيهما مع هانئ بن حيَّة الوداعي؛ والزبير بن الأروح التميمي، وهما من أهل الطاعة والسنَّة والجماعة، فليسألهما أمير المؤمنين عما أحبَّ، فإنَّ عندهما علماً وفهماً وصدقاً وورعاً.

فلما ورَد الكتاب والرأسان جميعاً نصبهما على باب دمشق، ثمَّ كتبَ لابن زياد:

أما بعد ـ فإنَّك عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط

الجأش، فكفيتَ ووفيتَ، وقد سألتُ رسوليك فوجدتهما كما زعمت، وقد أمرت لكلٍّ واحدٍ منهما بعشرة آلاف درهم وسرّحتهما إليك، فاستوص بهما خيراً، وقد بلغني: أنَّ الحسين بن علي قد عزم على المصير إلى العراق، فضع المراصد والمناظر والمسالح، واحترس واحبس على الظن، واقتل على التهمة، واكتب في ذلك إليَّ كلَّ يوم بما يحدث من خبر.

قال: وبلغَ الحسين: أنَّ مسلم بن عقيل قد قُتِل، وذلك أنه قدم عليه رجل من أهل الكوفة، فسأله: عن مسلم؟ فقال: واللّه، يابن رسول اللّه! ما خرجت مِن الكوفة، حتى نظرت إلى مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة المذحجي، قتيلين جميعاً مصلوبين منكسين في سوق القصابين، وقد وجَّه برأسيهما إلى يزيد.

فاستعبر الحسين باكياً، ثُمَّ قال: «إنا للّه وإنا إليه راجعون»، وعزم على المسير الى العراق، فدخل عليه ـ عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي ـ، فقال: يابن رسول اللّه! أتيتك لحاجة أُريد أن أذكرها لك، وأنا غير غاشٍ لك فيها، فهل لك أن تسمعها؟ فقال: «قل: ما أحببت» فقال: أنشدك اللّه، يابن عم! أن لا تخرج إلى العراق، فإنهم من قد عَرِفت، وهم أصحاب أبيك، وولاتهم عندهم، وهم يجبون البلاد، والناس عبيدُ المال، ولا آمن أن يقاتلك من كتبَ إليك يستقدمكَ.

فقال الحسين: «سأنظر فيما قلت، وقد علمتُ أنك أشرت بنصح، ومهما يقضِ اللّه من أمر فهو كائن البتة، أخذت برأيك أم تركت» فانصرف عنه عمر بن عبد الرَّحمن، وهو يقول:

ربّ مستنصح سيعصي ويؤذي ونصيح بالغيب يلفى نصيحا

وقدم ابن عباس في تلك الأيام إلى مكة، وقد بلغه أن الحسين عزم

على المسير، فاتى إليه ودخل عليه مسلِّماً، ثم قال له: جعلت فداك! إنّه قد شاع الخبر في الناس، وارجفوا بأنّك سائر الى العراق، فبين لي ما أنت عليه؟

فقال: «نعم، قد أزمعت على ذلك في أيامي هذه إن شاء اللّه، ولا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم»، فقال ابن عباس: أُعيذك باللّه، من ذلك فإنك إن سرتَ إلى قوم قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، واتقوا عدوهم، ففي مسيرك إليهم لعمري الرشاد والسداد، وإن سِرت إلى قوم دعوك إليهم، وأميرهم قاهر لهم، وعمالهم يجبون بلادهم، فإنما دعوك إلى الحرب والقتال، وأنت تعلم أنّه بلد قد قُتِلَ فيه أبوك؛ واغتيل فيه أخوك؛ وقتل فيه ابن عمِّك، وقد بايعه أهله، وعبيد اللّه في البلد يفرض ويعطي، والناس اليوم عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أن تُقتل، فاتَّقِ اللّه والزم هذا الحرم، فإن كنتَ على حال لابدَّ أن تشخص، فصر إلى اليمن فإن بها حصوناً لك، وشيعة لأبيك، فتكون منقطعاً عن الناس.

فقال الحسين: «لابدَّ من العراق»، قال: فإن عصيتني فلا تخرج أهلك ونساءك، فيقال: إنَّ دم عثمان عندك وعند أبيك، فواللّه، ما آمن أن تقتل ونساؤك ينظرنَ كما قُتِل عثمان.

فقال الحسين: «واللّه يابن عم! لئن أُقتل بالعراق أحبُّ إليَّ من أن أُقتل بمكة، وما قضى اللّه فهو كائن، ومع ذلك أستخير اللّه وأنظر ما يكون».

وأقبل إليه ـ عبداللهبن مطيع العدوي ـ، فقال: جعلت فداك، يابن رسول اللّه! لا تخرج إلى العراق فإنَّ حرمتك من اللّه حرمة، وقرابتك مِن رسول اللّه قرابة، وقد قتِل ابن عمِّك بالكوفة، وإنَّ بني أُميّة إن قتلوك لم يرتدعوا عن حرمة اللّه أن ينتهكوها، ولم يهابوا أحداً بعدك أن يقتلوه، فاللّه، اللّه، أن تفجعنا بنفسكَ، فلم يلتفت الحسين إلى كلامه.

ثُمَّ أقبل عبدالله بن الزبير فسلَّم عليه، وجلس ساعةً، ثُمَّ قال: أما والله، يابن رسول الله! لو كان لي بالعراق مثل شيعتك لما أقمتُ بمكة يوماً واحداً، ولو أنك أقمت بالحجاز ماخالفك أحد، فعلى ماذا نعطي هؤلاء الدنية، ونطمعهم في حقنا، ونحن أبناء المهاجرين وهم أبناء المنافقين؟ قال: وكان هذا الكلام مكراً من ابن الزبير لأنَّه لايُحِبُّ أن يكون بالحجاز أحد يناويه، فسكت عنه الحسين وعلم ما يُريد.

ثُم عاد عليه ابن عباس مرَّة ثانية، فأشار عليه بما أشار عليه أوَّلاً، ونهاه أن يخرج إلى العراق، وأن يخرج بنسائه وأهله فيقتل وهم ينظرون إليه، كما قُتِلَ عثمان وأهله ينظرون إليه، فلا يقدرون له على حيلة، ثُمَّ قال: والله، يابن رسول الله! لقد أقررت عيني ابن الزبير بخروجك عن مكة، وتخليتك إياه في هذه البلدة، فهو اليوم لا ينظر إليه أحد، وإذا خرجت نظر النَّاس إليه بعدك. فقال الحسين: «فإني أستخير الله في هذا الأمر وأنظر مايكون» فخرج ابن عبّاس، وهو يقول: واحسيناه! ثمَّ إن ابن عبَّاس مرَّ بابن الزبير في طريقه، وقال له:

يالكِ من قبرة بمعمر ... خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ماشئت أن تنقري ... إنْ ذهب الصائد عنكِ فابشري
قد رفع الفخ فما من حذر ... هذا الحسين سائر فانتشري

ثُمَّ قال له: قرَّت عيناك يابن الزبير! فهذا الحسين يخرج إلى العراق، ويخليك والحجاز، واتصل الخبر بالمدينة، وبلغهم أنَّ الحسين عزم على الخروج إلى العراق، فكتب إليه ـ عبدالله بن جعفر الطيار ـ:

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم للحسين بن عليّ من عبدالله بن جعفر:

أما بعد ـ فإني أُنشدكَ الله أن تخرج مِن مكة، فإني خائفٌ عليك مِن

هذا الامر الذي قد أزمعت عليه أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك، فإنَّك إن قُتلت خفت أن يطفأ نور اللّه، فانت علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلاتعجل بالمسير إلى العراق، فإني آخذ لك الأمان من يزيد ومن جميع بني أُميَّة لنفسك ولمالك وأولادك وأهلك، والسلام.

فكتب إليه الحسين:

«أما بعد ـ فإنَّ كتابك وردَ عليَّ فقرأته وفهمت مافيه، اعلم أني قد رأيتُ جدي رسول اللّه صلى الله عليه وآله في منامي، فأخبرني بأمر أنا ماض له؛ كان لي الأمر أو عليَّ، فواللّه، يابن عم! لو كنتُ في حجر هامة مِن هوام الارض لاستخرجوني حتى يقتلوني، وواللّه، ليعتدن عليَّ كما اعتدت اليهود في يوم السبت، والسَّلام».

وكتب إليه ـ عمرو بن سعيد بن العاص ـ من المدينة:

أما بعد ـ فقد بلغني أنك قد عزمت على الخروج إلى العراق، ولقد علمت ما نزل بابن عمك مسلم بن عقيل وشيعته، وأنا أُعيذك باللّه تعالى من الشقاق، فإني خائف عليك منه، ولقد بعثت إليك بأخي ـ يحيى بن سعيد ـ فأقبل إليّ معه، فلك عندنا الأمان والصلة، والبر والإحسان وحسن الجوار، واللّه بذلك عليَّ شهيد ووكيل، وراعٍ وكفيل، والسلام.

فكتبَ إليه الحسين:

«أما بعد ـ فإنَّه لم يشاق من دعا إلى اللّه وعمل صالحاً، وقال: إنني من المسلمين، وقد دعوتني إلى البر والإحسان، وخير الأمان أمان اللّه، ولن يؤمن اللّه يوم القيامة من لا يخافه في الدُّنيا، ونحن نسأله لك ولنا في هذه الدنيا عملاً يرضى لنا يوم القيامة، فإن كنت بكتابك هذا إليّ أردت بري وصلتي، فجزيت بذلك خيراً في الدُّنيا والآخرة، والسلام».

ثم أتى كتاب من يزيد بن معاوية إلى عمرو بن سعيد، يأمره فيه: أن يقرأه على أهل الموسم وفيه:

ياأيها الراكب الغادي لطيته ... على عذافرة في سيرها قحم
أبلغ قريشاً على نأي المزار بها ... بيني وبين الحسين اللّه والرَّحِم
وموقف بفناء البيت ينشده ... عهد الإله وما توفي به الذمم
عنيتم قومكم فخراً بأمكم ... أم لعمري حصان عمَّها الكرم
هي التي لايُداني فضلها أحدٌ ... بنت الرسول وكلُّ النَّاسِ قد علِموا
وفضلها لكم فضل وغيركم ... من قومكم لهم مِن فضلها قسم
إني أظن وخير القول أصدقه ... والظنُ يصدق أحياناً وينتظم
إن سوف يترككم ما تدعون به ... قتلى تهاداكم العقبان والرخم
ياقومنا! لا تشبوا الحرب إذ سكنت ... واستمسكوا بحبال الخير واعتصموا
قد عضت الحرب من قد كان قبلكم ... مِن القرون وقد بادت بها الأُمم
فأنصفوا قومكم لا تشمخوا بذخاً ... فربّ ذي بذخ زلّت به القدم

وأتى مثله إلى ـ أهل المدينة ـ من قريش وغيرهم، قال الشعبي: لكأنه ينظر إلى مصارع القوم، قال: فوجه أهل المدينة بهذه الأبيات إلى الحسين، ولم يعلموه أنها من يزيد، فلما نظرها الحسين عَلِم أنها منه، وكتب إليهم في الجواب: «بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم ﴿**وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريؤون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون**﴾يونس/٤١.

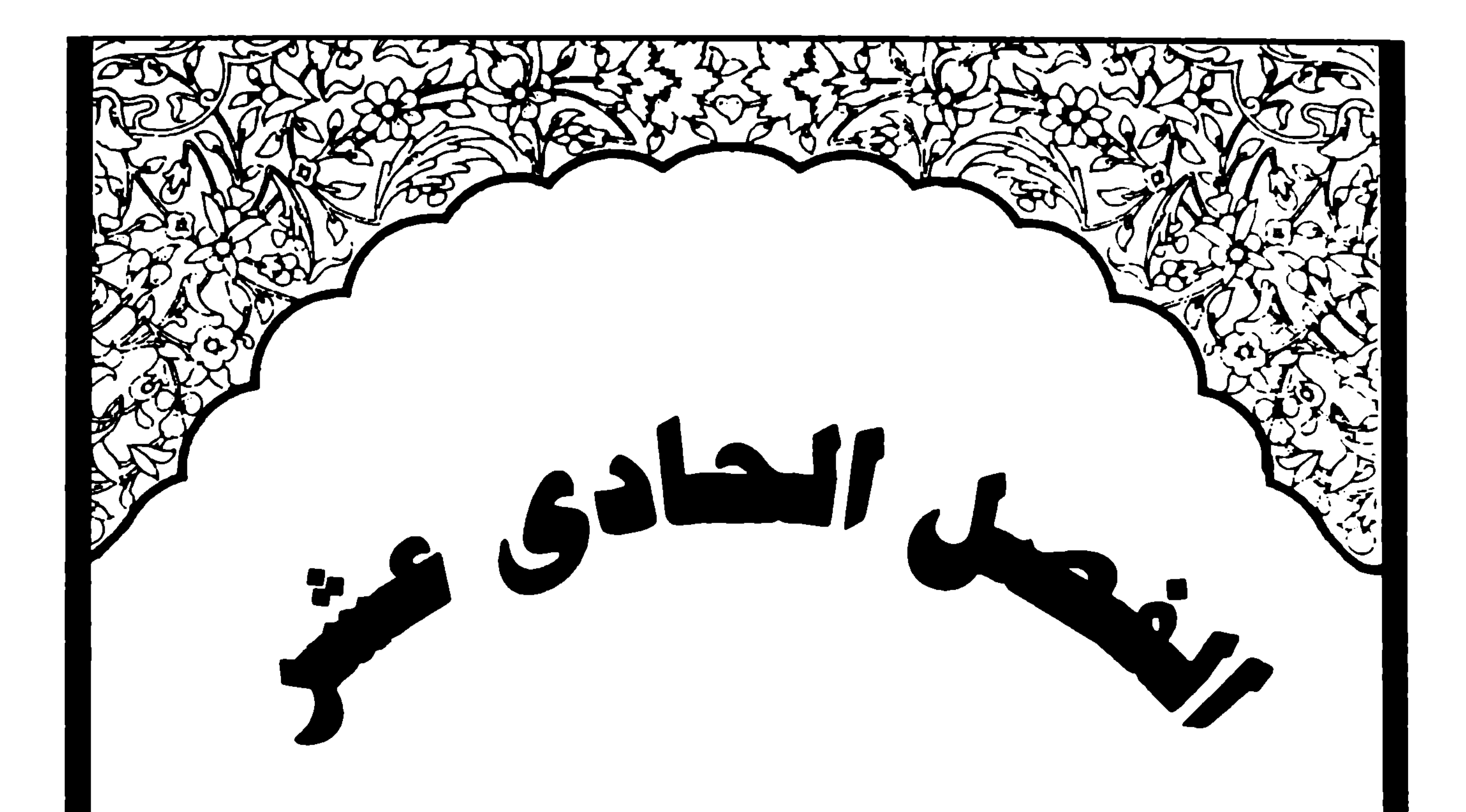
٤ـ أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد الحافظ أبو الحسن عليّ بن أحمد العاصمي، عن شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد، عن والده أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا أبو محمد عبدالله السكري ـ ببغداد ـ، أخبرنا إسماعيل بن أحمد الصفار، حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا ابن

عيينة، عن إبراهيم بن ميسرة، عن طاووس، قال: سمعتُ ـ ابن عبَّاس ـ يقول: استشارني الحسين بن علي في الخروج مِن مكة، فقلت: لولا أن يزري بي وبك لتشبثت بيدي في رأسك، قال: فقال: «ماأُحِبُّ أن تستحلَّ بي» ـ يعني: مكَّة.

٥ـ قال: وبهذا الإسناد، عن والدي، أخبرنا أبو الحسين بن الفضل، أخبرنا عبدالله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا أبو بكر الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عبدالله بن شريك، عن بشر بن غالب، قال: قال عبدالله بن الزبير للحسين بن علي عليه السلام: أين تذهب إلى قوم قتلوا أباك، وطعنوا أخاك؟! فقال له الحسين: «لان أُقتل بمكان كذا وكذا، أحبُّ إليّ مِن أن تُستحلَّ بيَّ» ـ يعني مكَّة.

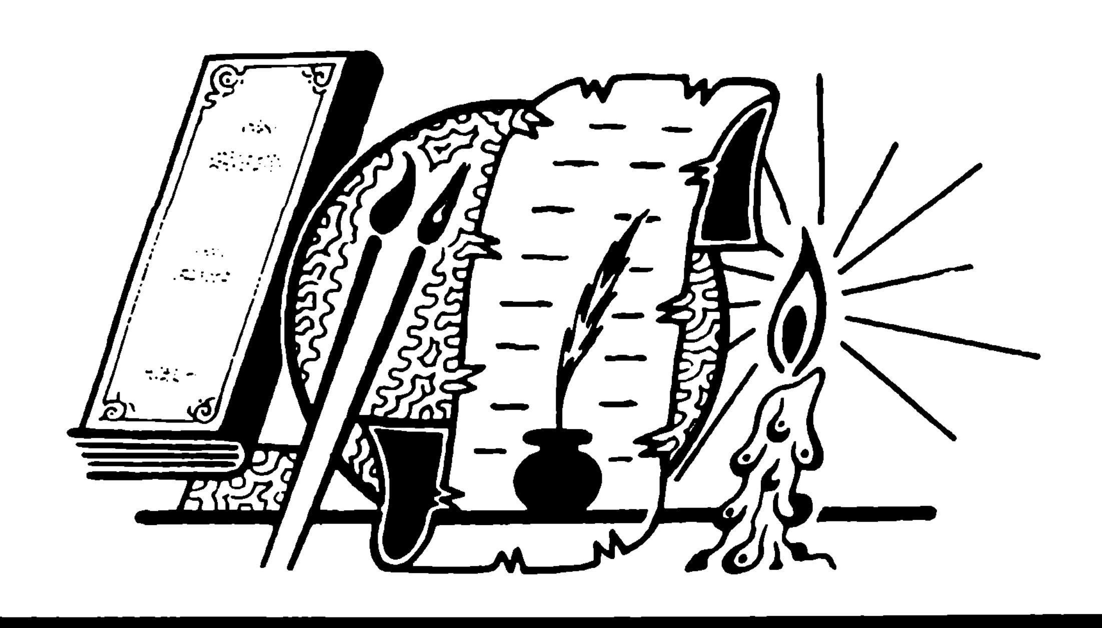
[انتهى «الفصل العاشر» والحمد للّه ربِّ العالمين]

* * *



الفصل الحادي عشر

في خروجه من مكة الى العراق وما جرى عليه في طريقه ونزوله بالطف من كربلاء ومقتله عليه السلام



١ـ قال الإمام الأجل والشيخ المبجل أحمد بن أعثم الكوفي في «تاريخه»: ثُمَّ جمع الحسينعليه السلام أصحابه الذين عزموا على الخروج معه إلى العراق، فأعطى كل واحدٍ منهم: عشرة دنانير، وجملاً يحمل عليه رحله وزاده، ثُمَّ إنه طافَ بالبيتِ، وطاف بالصفا والمروة، وتهيأ للخروج، فحمل بناته وأخواته على المحمل، وفصل من مكة يوم الثلاثاء ـ يوم التروية ـ لثمان مضين من ذي الحجَّة، ومعه اثنان وثمانون رجلاً من شيعته ومواليه وأهل بيته.

فلمَّا خرج اعترضه أصحاب الأمير عمرو بن سعيد بن العاص فجالدهم بالسياط، ولم يزد على ذلك فتركوه، وصاحوا على أثره: ألا تتق اللّه تخرج من الجماعة؛ وتفرق بين هذه الأمَّة؟ فقال الحسين: «لي عملي ولكم عملكم»، وسارعليه السلام حتّى مرَّ «بالتنعيم» فلقي هناك عيراً تحمل الورس والحلل إلى يزيد بن معاوية من عامله باليمن ـ بحير بن ريسان الحميري ـ، فاخذ الحسين ذلك كلَّه، وقال لاصحاب الإبل: «لا أكرهكم: مَن أحبَّ أن

يمضي معنا للعراق أوفيناه كراه، وأحسنا صحبته، ومن أحبَّ أن يفارقنا مِن مكاننا هذا، أعطيناه من الكرى ما قطع مِنَ الارض».

فمن فارقه منهم حوسب وأوفاه حقَّه، ومن مضى معه أعطاه كراه وكساه، ثُمَّ سار حتى إذا صار «بذات عرق» لقيه رجل من ـ بني أسد ـ يقال له: بشر بن غالب، فقال له الحسين: «ممَّن الرجل»؟ قال: من بني أسد، قال: «فَمِن أين أقبلت»؟ قال: من العراق، قال: «فكيف خلفت أهل العراق»؟ فقال: يابن رسول الله! خلفت القلوب معك، والسيوف مع بني أُميَّة، فقال له الحسين: «صدقت ياأخا بني أسد! إنَّ الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يزيد»، فقال له الأسدي: يابن رسول الله! أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿**يوم ندعوا كلَّ أناس بإمامهم**﴾الإسراء/ ٧١، فقال له الحسين عليه السلام: «نعم، ياأخا بني أسد! هما إمامان: إمام هدى دعا إلى هدى؛ وإمام ضلالة دعا إلى ضلالة، فهذا ومن أجابه إلى الهدى في الجنَّة، وهذا ومن أجابه إلى الضلالة في النار».

قال: واتصل الخبر ـ بالوليد بن عتبة ـ أمير المدينة: بأنَّ الحسين بن عليّ توجه إلى العراق، فكتب إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد: فإن الحسين ابن علي قد توجه إلى العراق، وهو ابن فاطمة البتول، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فاحذر يابن زياد! أن تأتي إليه بسوء فتهيج على نفسك في هذه الدنيا مالا يسدُّه شيء، ولا تنساه الخاصة والعامة أبداً ما دامت الدُنيا.

قال: فَلم يلتفت عدوُّ الله إلى كتاب الوليد بن عتبة.

٢ـ أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد الحافظ أبو الحسن عليّ بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والدي أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا محمد بن يعقوب،

حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا شبابة بن سوار، حدثنا يحيى بن إسماعيل الأسدي، قال: سمعتُ الشعبي يحدث، عن ابن عمر: أنه كان بماء له، فبلغه: أن ـ الحسين بن علي ـ توجه إلى العراق، فلحقه على مسيره ثلاث ليال، فقال له: أين تريد؟ قال: «العراق» وإذا معه طوامير وكتب، فقال: «هذه كتبهم وبيعتهم». فقال: لا تأتهم، فأبى، فقال: إني محدِّثك حديثاً: أنَّ جبرئيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وآله فخيره بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وأنتم بضعة من رسول اللّه لا يليها أحد منكم، وما صرفها اللّه عنكم إلاّ للذي هو خير لكم، قال: فأبى أن يرجع، فاعتنقه ابن عمر وبكى، وقال: أستودعك اللّه من قتيل.

٣ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو الحسين بن الفضل، أخبرنا عبد اللّه بن جعفر، أخبرنا يعقوب بن سفيان، حدثنا أبو بكر الحميدي، حدثنا سفيان [ح] قال احمد بن الحسين: أخبرنا عبد اللّه بن يحيى، حدثنا إسماعيل بن محمد، حدثنا أحمد بن منصور بن عبد الرزاق، أخبرنا سفيان بن عُيينة، حدثنا لبطة بن الفرزدق، عن أبيه الفرزدق بن غالب قال: خرجنا حجاجاً، فلمَّا كنا «بالصفاح» إذا نحن بركب عليهم اليلامق[1] ومعهم الدرق، فلمّا دنوتُ منهم، إذا أنا بالحسين بن علي عليه السلام فقلت: أبو عبد اللّه! وسلمت عليه.

فقال: «ويحك، يافرزدق! ما وراك»؟ فقلت: خير، أنت أحبُّ الناس إلى الناس، والقضاء في السماء، والسيوف مع بني أُمية، ثم فارقناه وسرنا، فلما قضينا حجنا وكنا ـ بمنى ـ، قلنا: لو أتينا عبد الله بن عمرو فسألناه عن الحسين، وعن مخرجه، فأتينا منزله فإذا نحنُ بصبية له سود

---

(١) اليلامق: جمع يلمق وهو القباء.

مولدين، فقلنا: أين أبوكم فقالوا: في الفسطاط يتوضأ، فلم يلبث أن خرج إلينا، فسألناه عن الحسين ومخرجه، فقال: أما إنَّه لا يحيك[1] فيه السلاح، فقلت له: أتقول هذا فيه، وأنت بالأمس تقاتله وأباه؟ فسبني فسببته، وخرجنا من عنده، فأتينا ماءً لنا، يقال له: «تعشار» فجعل لا يمر بنا أحد إلاّ سألناه عن الحسين حتّى مرَّ بنا ركب، فسألناهم: ما فعل الحسين؟ قالوا: قتل، فقلت: فعل اللّه ـ بعبد اللّه بن عمرو ـ وفعل.

وفي رواية ـ عبد الرزاق ـ قال: فرفعت يدي، وقلت: اللّهم! افعل بعبد اللّه بن عمرو إن كان قد سخر بي.

قال الحميدي: قال سفيان: أخطأ الفرزدق التأويل، إنما أراد ـ عبد اللّه بن عمر ـ وبقوله: لا يحيك فيه السلاح: أنه لا يضره السلاح مع ما قد سبق له، ليس أنه لا يُقتل، كقولك: حاك في فلان ما قيل فيه.

٤ـ وبهذا الإسناد، قال أحمد بن الحسين: والذي يؤكد قول سفيان من اعتقاد ـ عبد اللّه بن عمرو ـ في الحسين بن علي، ماأخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، أخبرني مسلم بن الفضل الآدمي ـ بمكة ـ، حدثني أبو شعيب الحراني، حدثني داود بن عمرو، حدثني علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، قال: كنتُ في مسجد رسول اللّه صلى الله عليه وآله في حلقة فيها: أبو سعيد الخدري؛ وعبد اللّه بن عمرو بن العاص، فمرَّ بنا ـ الحسين بن عليّ ـ فسلّم فردَّ عليه القوم، فسكت عبد اللّه بن عمرو حتى إذا فرغوا رفع عبد اللّه بن عمرو صوته، فقال: وعليك السَّلام ورحمة اللّه وبركاته، ثُمَّ أقبل على القوم فقال: الا أُخبركم بأحبِّ أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قالوا: بلى، قال: هذا هو المقتفي، واللّه، ما كلمني بكلمة من

(١) يحيك: أي يؤثر.

ليالي صفين، ولأن رضي عني أحبُّ إلي مِن أن تكون لي حمر النعم.

٥ـ وذكر الإمام أحمد بن أعثم الكوفي: أنَّ الفرزدق إنما لقيه «بالشقوق» فسلَّم عليه الفرزدق، ثُمَّ دنا منه فقبَّل يده، فقال له الحسين: «من أين أقبلت ياأبا فراس»؟ فقال: مِن الكوفة يابن رسول اللّه! قال: «فكيف خلفت أهل الكوفة»؟ قال: خلفتُ قلوب النَّاس معك، وسيوفهم مع بني أُميَّة، والقضاء ينزلُ مِن السماء، واللّه يفعل في خلقه ما يشاء، فقال له الحسين: «صدقت وبررت، إن الأمر للّه تبارك وتعالى كلّ يوم هو في شأن، فإن نزل القضاء بما نُحبّ فنحمد اللّه على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلن يبعد من الحق بغيته».

فقال الفرزدق: جعلت فداك يابن رسول اللّه؟ كيف تركن إلى أهل الكوفة، وهم الذين قتلوا ابن عمِّك مسلم بن عقيل وشيعته؟ فاستعبر الحسين باكياً، ثم قال: «رحم اللّه مسلماً فلقد صار إلى روح اللّه وريحانه، وتحيته وغفرانه ورضوانه، أما إنه قضى ماعليه، وبقي ماعلينا». ثُم أنشأ في ذلك يقول:

«فإن تكن الدُّنيا تعدُّ نفيسة   فإنَّ ثواب اللّه أعلى وأنبل
وإن تكن الأبدان للموت أُنشئت   فقتل امرئ في اللّه بالسيف أفضل
وإن تكن الأرزاق قسما مقدراً   فقلة حرص المرء في الرزق أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها   فما بال متروك به المرء يبخل»؟

ثُم ودعه الفرزدق في نفر من أصحابه، ومضى يريد مكة، فأقبل عليه ابن عم له من ـ بني مجاشع ـ، فقال له: ياأبا فراس أهذا الحسين بن علي؟ فقال له الفرزدق: هذا الحسين بن فاطمة الزهراء بنت محمَّد المصطفى صلى الله عليه وآله، هذا واللّه، خيرة اللّه وأفضل من مشى على وجه الأرض مِن خلق اللّه، وقد

كنتُ قلت فيه أبياتا قبل اليوم، فلا عليك أن تسمعها، فقال له ابن عمِّه: انشدنيها ياأبا فراس! فأنشده:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلُّ والحرم
هذا ابن خير عباد اللّه كلّهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجدّه أنبياء اللّه قد خُتموا
مشتقة من رسول اللّه نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمى الى ذروة العزِّ التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فلا يكلّم إلا حين يبتسم
ينشق ثوب الدجى عن نور غرته ... كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم
اللّه شرَّفه قدماً وعظَّمه ... جرى بذاك له في لوحه القلم
فليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف مَن أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عمّ نفعهما ... تستو كفان ولا يعروها العدم
مِن جدّه دان فضل الأنبياء له ... وفضل أُمته دانت له الأمم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
حمال أثقال أقوام إذا فدحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم
لا يخلف الوعد ميمون نقيبته ... رحب الفناء أريب حين يعتزم
عمَّ البرية بالإحسان فانقشعت ... عنها الغيابة والإملاق والعدم
من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفرٌ وقربهم منجى ومعتصم
يستدفع السوء والبلوى بحبهم ... ويستزاد به الإحسان والنعم
إن عُدّ أهل التقى كانوا أئمتهم ... أوقيل مَن خير أهل الأرض قيل هم
لايستطيع جواد بعد غايتهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت ... والأُسد أُسد الشرى والبأس محتدم

يابى له أن يحل الذمّ ساحتهم — خيم كريم وأيد بالندى هضم
لا يقبض العسر بسطاً من أكفهم — سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
مقدّم بعد ذكر اللّه ذكرهم — في كلّ بدء ومختوم به الكلم
ايّ الخلائق ليست في رقابهم — لاوليـة هذا أو له نعم؟
مَنْ يعرف اللّه يعرف أولية ذا — فالدِّين مِن بيت هذا ناله الأمم

قال: ثُم قال الفرزدق لابن عمه: قد قلت فيه هذه الأبيات غير متعرض لمعروفه، ولكن أردت اللّه تبارك وتعالى والدار الآخرة والفوز والنعيم[1].

وذكر غيره: إنَّ الحسين بن عليّ دخل المسجد الحرام وقت ما كان بمكة، وهو يخطر في مشيته، فقال الفرزدق: مَن هذا؟ فقيل: الحسين بن عليّ، فقال: حقّ له، ثُمَّ وقف عليه فانشده الأبيات.

٦ـ قال الإمام احمد بن أعثم: ثُمَّ مضى «الحسين» فلقيه «زهير بن القين»، فدعاه الحسين إلى نصرته فاجابه لذلك، وحمل إليه فسطاطه، وطلَّق امرأته، وصرفها إلى أهلها، وقال لاصحابه: إني كنتُ غزوت «بلنجر» مع «سلمان الفارسيْ» فلما فتح علينا اشتدَّ سرورنا بالفتح، فقال لنا سلمان: لقد فرحتم بما أفاء اللّه عليكم، قلنا: نعم، قال: فإذا أدركتم شباب آل محمَّد فكونوا أشدَّ فرحاً بقتالكم معه منكم بما أصبتم اليوم، فأنا استودعكم اللّه تعالى، ثُمَّ ما زال مع الحسين حتّى قُتِل.

٧ـ قال: ولما نزل الحسين «بالخزيمية» قام بها يوماً وليلة فلما أصبح جاءت إليه أُخته «زينب بنت علي» فقالت له: ياأخي! الا أُخبرك بشيءٍ

---

(١) قال الاربلي: الذي اظن انها قالها في مدح الحسين ثم انشدها في إبنه علي بمكة حين سال هشام عنه كما هي مشهورة.

سمعتهُ البارحة؟ فقال لها: «وما ذاك ياأُختاه»؟ فقالت: إني خرجتُ البارحة في بعض اللّيل لقضاء حاجة، فسمعت هاتفاً يقول:

ألا ياعين فاحتفلي بجهد فمن يبكي على الشهداء بعدي
على قوم تسوقهم المنايا بمقدار إلى انجاز وعد

فقال لها الحسين: «ياأُختاه! كلُّ ما قضي فهو كائن»، وسار الحسين حتى نزل «الثعلبية» وذلك في وقت الظهيرة، ونزل أصحابه فوضع رأسه فأغفى، ثُمَّ انتبه باكياً من نومه، فقال له ابنه «علي بن الحسين»: «مايبكيك ياأبة؟ لا أبكى اللّه عينيك»، فقال له: «يابني! هذه ساعة لا تكذب فيه الرؤيا، فاعلمك أني خفقتُ برأسي خفقة، فرأيتُ فارساً على فرس وقف عليَّ وقال: ياحسين! إنكم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنَّة، فعلمتُ أنَّ أنفسنا نعيت إلينا»، فقال له ابنه عليّ: «يا أبة! أفلسنا على الحق»؟ قال: «بلى، يابني! والذي إليه مرجع العباد»، فقال ابنه عليّ: إذن لا نبالي بالموت، فقال له الحسين: «جزاك اللّه يابني! خير ما جزى به ولداً عن والده».

ولما أصبح إذا برجل من أهل الكوفة، يكنى ـ أبا هرة الأزدي ـ قد أتاه فسلَّم عليه، ثُمَّ قال له: يابن رسول اللّه! ما الذي أخرجك عن حرم اللّه وحرم جدِّك محمَّد ﷺ؟ فقال له الحسين: «ياأبا هرَّة! إنَّ بني أُميَّة قد أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، ياأبا هرة! لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسنهم اللّه تعالى ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وليسلطن اللّه عليهم من يذلّهم، حتّى يكونوا أذل مِن قوم «سبأ» إذْ ملكتهم امرأة منهم، فحكمت في أموالهم ودمائهم».

ثُمَّ سار الحسين حتى نزل «قصر بني مقاتل» فإذا هو بفسطاط

مضروب، ورمح مركوز، وسيف معلَّق، وفرس واقف على مذود[١]، فقال الحسين: «لمن هذا الفسطاط»؟ فقيل: لرجل يقال له: «عبيد اللّه بن الحر الجعفي»، فأرسل إليه الحسين برجل من أصحابه، يقال له: «الحجاج بن مسروق الجعفي» فأقبل حتى دخل عليه في فسطاطه، فسلَّم عليه فردَّ عليه عبيد اللّه السلام، ثُمَّ قال له: ماوراءك؟ قال: ورائي، واللّه، يابن الحر! الخير، إنَّ اللّه تعالى قد أهدى إليك كرامةً عظيمةً إن قبلتها، فقال عبيد اللّه: ماذاك؟ قال الحجاج: هذا ـ الحسين بن علي ـ يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أُجرت، وإن قتلت استشهدت، فقال عبيد اللّه: واللّه، ياحجاج! ماخرجت مِن الكوفة إلاّ مخافة أن يدخلها الحسين وأنا فيها لا أنصره، فإنه ليس له فيها: شيعة؛ ولا أنصار، إلاّ مالوا إلى الدنيا وزخرفها، إلاّ مَن عصم اللّه منهم، فارجع إليه وأخبره بذلك.

قال: فجاء الحجاج الى الحسين وأخبره، فقام الحسين عليه السلام فانتعل، ثُمَّ صار إليه في جماعة من أهل بيته وإخوانه، فلما دخل عليه وثب عبيد اللّه بن الحر عن صدر المجلس، وأجلس الحسين فيه، فحمد اللّه الحسين وأثنى عليه، ثُمَّ قال:

«أما بعد ـ يابن الحر! فإن أهل مصركم هذا كتبوا إليَّ، وأخبروني أنهم مجتمعون على أن ينصروني، وأن يقوموا مِن دوني، وأن يقاتلوا عدوي، وسألوني القدوم عليهم، فقدمتُ ولست أرى الأمر على ما زعموا، لأنهم قد أعانوا على قتل ابن عمي ـ مسلم بن عقيل ـ وشيعته، وأجمعوا على ـ ابن مرجانة ـ عبيد اللّه بن زياد، مبايعين ليزيد بن معاوية، يابن الحر! إنَّ اللّه تعالى مؤاخذك بما كسبت وأسلفت مِن الذنوب في الأيام الخالية، وإني

(١) المذود: معتلف الفرس.

أدعـوك إلى توبة تغسل ما عليك من الذنوب، أدعوك إلى نصرتنا أهل البيت، فإن أُعطينا حقنا حمدنا اللّه تبارك وتعالى على ذلك وقبلناه، وإن مُنعنا حقنا وركبنا بالظلم كنت مِن أعواني على طلب الحقّ».

فقال له عبيد اللّه: يابن رسول اللّه! لو كان بالكوفة لك شيعة وأنصار يقاتلون معك لكنتُ أنا من أشدِّهم على عدوّك، ولكن يابن رسول اللّه! رأيتُ شيعتك ـ بالكوفة ـ قد لزموا منازلهم خوفاً من سيوف ـ بني أُمية ـ، فانشدك اللّه، يابن رسول اللّه! ان تطلب مني غير هذه المنزلة، وانا أُواسيك بماأقدر عليه، خذ إليك فرسي هذه «الملحفة» فواللّه، إني ما طلبت عليها شيئاً قط إلاّ وقد لحقته، ولا طلبت قط وانا عليها فادركت، وخذ سيفي هذا، فواللّه ماضربت به شيئاً إلاّ اذقته حياض الموت.

فقال له الحسين: «يابن الحر! إنا لم نأتك لفرسك وسيفك، إنما أتيناك نسألك النصرة، فإن كنت بخلت علينا في نفسك فلا حاجة لنا في شيء من مالك، ولم أكن بالذي اتخذ المضلِّين عضداً، لأني قد سمعتُ جدي رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: من سمع بواعية أهل بيتي ثم لم ينصرهم على حقهم كبَّه اللّه على وجهه في نار جهنم».

ثُم قام الحسين من عنده وصار إلى رحله، وندم عبيد اللّه بن الحر على مافاته من صحبة الحسين ونصرته، فانشأ يقول:

أيا لك حسرة ما دمتُ حياً ... تردد بين صدري والتراقي
غداة يقول لي بالقصر قولاً ... أتتركنا وتعزم بالفراق
حسين حين يطلب بذل نصري ... على أهل العداوة والشقاق
فلو فلق التلهفُ قلب حيٍّ ... لهمّ القلب مني بانفلاق
ولو آسيته يوماً بنفسي ... لنلتُ كرامةً يوم التلاق
مع ابن محمد تفديه نفسي ... فودع ثم أسرع بانطلاق

لقد فاز الأولى نصروا حسيناً وخاب الآخرون ذوو النفاق

قال: ولما وصل كتاب ـ يزيد ـ إلى ـ ابن زياد ـ أن ياخذ على ـ الحسين ـ بالمراصد والمسالح والثغور، أنفذ ابن زياد ـ للحصين بن نمير التميمي ـ، وكان على شرطته أن ينزل القادسية، وينظم المسالح ما بين «القطقطانية» إلى «حفان»، وتقدم إلى ـ الحر بن يزيد الرياحي ـ أن يتقدم بين يدي الحصين في ألف فارس، وكان الحسين قد بعث بأخيه من الرضاعة ـ عبد اللّه بن يقطر ـ إلى أهل الكوفة، فاخذه الحصين وأنفذه الى ابن زياد، فقال له ابن زياد، اصعد المنبر فالعن الحسين وأباه، فصعد المنبر ودعا للحسين، ولعن يزيد بن معاوية؛ وعبيد اللّه بن زياد؛ وأبويهما، فرمي به من فوق القصر فجعل يضطرب وبه رمق، فقام إليه ـ عبد الملك بن عمير اللخمي ـ فذبحه وليم عبد الملك، فاعتذر أنه أراد أن يريحه مما فيه مِن العذاب.

قال: وسار «الحسين» حتى بلغ «زرود» فلقي رجلاً على راحلة له، وكان الحسين وقف ينتظره، فلما رأى الرجل ذلك عدل عن الطريق فتركه الحسين ومضى.

قال عبد اللّه بن سليمان؛ والمنذر بن المشمعل ـ الاسديان ـ: كُنا نسائر الحسين، فلما رأينا الحسين وقف للرجل والرجل عدل عن طريقه، لحقنا بالرجل فسلَّمنا عليه فرد علينا السلام، فقلنا: ممَّن الرجل؟ قال: أسدي، قلنا: ونحن أسديان، فما الخبر؟ قال: الخبر، أن مسلم بن عقيل؛ وهاني ابن عروة، قد قتلا ورأيتهما يُجران في السوق بارجلهما، فاقبلنا نسائر الحسين حتى نزل «الثعلبية» ممسياً، فجئناه فسلمنا عليه فردَّ علينا السلام، فقلنا: رحمك اللّه، إنَّ عندنا لخبراً إن شئت حدثناك علانيةً، وإن شئت سراً، فنظر إلينا وإلى أصحابه، وقال: «مادون هؤلاء سرّ»! فقلنا له: أرايت

الراكب الذي استقبلته أمس، وعدل عنك، قال: «نعم، وأردت مسألته»، قلنا: فقد والله، استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ منّا: ذو رأي؛ وصدق؛ وعقل، وقد حدثنا أنَّه لم يخرج من الكوفة حتَّى قُتِل مسلم بن عقيل؛ وهاني بن عروة ورآهما يُجران في السوق بأرجلهما، فقال: «إنا لله وإنَّا إليه راجعون، رحمة الله عليهما ـ يردد ذلك مراراً»، فقلنا: ننشدك الله: في نفسك؛ وأهل بيتك؛ وهؤلاء الصبية، إلاَّ انصرفت مِن مكانك هذا، فإنَّه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف منهم أن يكونوا عليك.

فنظر الحسين إلى ـ بني عقيل ـ فقال لهم: «ماترون فقد قُتِل مسلم»؟ فبادر بنو عقيل وقالوا: والله، لا نرجع، أيقتل صاحبنا وننصرف؟ لا، والله، لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق صاحبنا، فأقبل علينا، وقال: «لا خير في العيش بعد هؤلاء»، فعلمنا أنَّه قد عزم رأيه على المسير، فقلنا له: خار الله لك، فقال: «رحمكما الله تعالى»، فقال له أصحابه: إنَّك، والله ما أنت بمثل مسلم، ولو قدمت الكوفة ونظر النَّاس إليك لكانوا إليك أسرع، وما عدلوا عنك ولا عدلوا بك أحداً، فسكت.

قال: ثُمَّ سار «الحسين» حتى انتهى إلى «زبالة» فورد عليه هناك مقتل أخيه من الرضاعة ـ عبد الله بن يقطر ـ، وكان قد تبع الحسين خلقٌ كثير من المياه التي يمرُّ بها لأنهم كانوا يظنون استقامة الأمور له عليه السلام فلما صار بزبالة قام فيهم خطيباً، فقال: «ألا إنَّ أهل الكوفة وثبوا على مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، فقتلوهما وقتلوا أخي من الرضاعة، فمن أحبَّ منكم أن ينصرف فلينصرف من غير حرج، وليس عليه منّا ذمام»، فتفرَّق الناس وأخذوا يميناً وشمالاً، حتّى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه مِن مكة، وإنما

أراد أن لا يصحبه إنسان إلاّ على بصيرة.

قال: ثُم سار منها، فقال رجل ممن كان معه: اللّه أكبر، فقال الحسين: «ممَّ كبرت»؟ قال: رأيتُ نخيل الكوفة، فقال الأسديان: إنَّ هذا مكان ما يرى فيه نخل الكوفة، قال الحسين: «فما تريانه»؟ قالا: واللّه، نرى أسنَّة الرماح وآذان الخيل، فقال: وأنا واللّه أرى ذلك، ثم قال عليه السلام: «فهل لنا ملجأ نلجأ إليه فنجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم بوجه واحد»؟ فقالا: بلى، هذا «ذو حسم» إلى جنبك تميل إليه عن يسارك، فإن سبقت القوم إليه فهو كما تُريد، فأخذ إليه ذات اليسار، وأنا معه فما كان بأسرع مِن أن طلعت علينا هوادي الخيل فتبيَّناها وعدلنا، فلما رأونا عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا، كأنَّ أسنتهم «اليعاسيب» وكأنَّ راياتهم «أجنحة الطير»، فاستبقنا إلى ذي حسم، فسبقناهم إليه، وأمر الحسين عليه السلام بأبنية فضربت فنزل فيها، وجاء القوم زهاء ألف فارس مع ـ الحر بن يزيد الرياحي التميمي ـ، فأتى حتى وقف هو وخيله مقابل ـ الحسين ـ في حرِّ الظهيرة، والحسين وأصحابه معتمون متقلدو أسيافهم، فقال الحسين لأصحابه: «اسقوا القوم، وأرووهم مِن الماء، ورشفو الخيل ترشيفاً.

فسقوهم حتى ارتووا، وكانوا شاكين في السلاح لا يرى منهم إلاّ الحدق، وأقبلوا يملؤون القصاع والطساس مِن الماء، ثُم يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه، وسقي آخر حتى سقوها عن آخرها.

قال عليُّ بن طعان: فكنت مع الحر يومئذ، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين ما بيَّ وبفرسي مِن العطش، قال لي: «أنخ الراوية» فلم أفهم، لأنَّ الراوية عندي السقاء، فقال: «أنخ الجمل»،

فأنخته، فقال: «اشرب»، فجعلت كلما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين: «أخنث السقاء»، فلم أفهم أنه أراد أعطفه، ولم أدرِ كيفَ أفعل؟ فقام فعطفه فشربت وسقيت فرسي، وكان مجيء الحر بن يزيد من «القادسية»، وكان عبيد الله بن زياد بعث الحصين بن نمير وامره أن ينزل القادسية، ويقدم الحرُّ بين يديه في ألف فارس يستقبل بهم الحسين.

قال: فقال الحسين: «أيها القوم! من أنتم»؟ قالوا: نحن أصحاب الأمير عبيد الله بن زياد، فقال الحسين: «ومن قائدكم»؟ قالوا: الحرّ بن يزيد الرياحي التميمي، فناداه الحسين: «ياحر! ألنا أم علينا»؟ قال الحر: بل عليك ياأبا عبد الله! فقال الحسين عليه السلام: «لاحول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم»، فلم يزل الحر موافقاً للحسين حتى دنت صلاة الظهر، فقال الحسين للحجاج بن مسروق: أذّن يرحمك الله، وأقم الصلاة حتّى نصلي.

فأذّن الحجاج للظهر، فلمّا فرغ صاح الحسين بالحر: «يابن يزيد! أتريد أن تصلّي بأصحابك، وأنا أُصلي بأصحابي»؟ فقال الحرُّ: لا، بل أنت تصلي، ونحنُ نصلي بصلاتك ياأبا عبد الله! فقال للحجاج: «أقِم»، فأقام وتقدَّم الحسين للصَّلاة فصلّى بالعسكرين جميعاً، فلما فرغ وثب قائماً متكئاً على قائم سيفه، وكان في: إزار؛ ورداء؛ ونعلين، فحمدَ الله وأثنى عليه، ثُم قال: «أيها الناس! معذرة إليكم أُقدمها إلى الله ولي من حضر من المسلمين، إني لم آتكم، وفي رواية: لم أقدِمَ إلى بلدكم حتّى أتتني كُتُبُكم، وقدمت عليَّ رسُلُكم أن أقدم إلينا، فإنه ليس علينا إمام، فلعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه وأثق به من عهودكم ومواثيقكم، أدخل معكم إلى مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين، ولقدومي عليكم باغضين،

انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي منه جئت إليكم».

فقال الحرُّ: والله، إنا ما ندري بهذه الكتب التي تقول؟ فقال الحسين: «ياعقبة بن سمعان! اخرج إليّ الخرجين» فاخرجهما، وأتى بهما مملوءين مِن كُتب أهل الكوفة، فنثر الكتب بين يديه، فقال الحر: إنا لسنا من هؤلاء، فبيناهم على تلك الحال وإذا كتاب ورد من الكوفة من عبيد الله بن زياد إلى الحر بن يزيد الرياحي: أما بعد ـ ياحرّ! فإذا أتاك كتابي هذا فجعجع بالحسين بن علي، ولا تفارقه حتى تاتيني به، فإني قد أمرتُ رسولي: أن يلزمك ولا يفارقك حتى تأتي بانفاذ أمري إليك، والسلام.

فلما قرأ الحرُّ الكتاب بعث إلى ثقات أصحابه فدعاهم، ثُمَّ قال: ويحكم، إنه قد ورد عليَّ كتاب عبيد الله بن زياد يامرني ان اقدم على الحسين بما يسوءه، ولا والله، ماتطاوعني نفسي، ولا تجيبني إلى ذلك ابداً، فالتفت رجل من أصحاب الحر يكنى: «أبا الشعثاء الكندي» إلى رسول ابن زياد، وقال له: فيم جئت ثكلتك أُمك؟ فقال له الرسول: أطعت إمامي، ووفيتُ ببيعتي، وجئتُ برسالة أميري، فقال له أبو الشعثاء: لعمري، لقد عصيتَ ربَّك، وإمامك، واهلكت نفسك، واكتسبت، والله عاراً وناراً، فبئسَ الإمام إمامك الذي قال فيه الله: ﴿**وجعلناهم أئمَّة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون**﴾ القصص/٤١، ودنت صلاة العصر، فامر الحسين مؤذنه أيضاً بالاذان فاذَّن، واقام، وتقدَّم الحسين فصلّى بالعسكرين، فلما انصرف من صلاته وثب قائماً على قدميه، فحمد الله واثنى عليه، ثُمَّ قال:

أما بعد، أيها الناس! فإنكم إن تتقوا الله تعالى، وتعرفوا الحق لأهله، يكن رضاء الله عنكم، وإنا أهل بيت نبيكم محمد ﷺ أولى بولاية هذه الأمور عليكم، مِن هؤلاء المدَّعين ماليس لهم، والسائرين فيكم بالظلم والجور

والعدوان، وإن كرهتمونا، وجهلتم حقنا، وكان رأيكم على خلاف ما جاءت به كتبكم، انصرفتُ عنكم».

فأجابهُ الحرُّ ـ بمثل ما أجاب به أوَّلاً ـ ثُم قال: يابن رسول اللّه! أمرنا إن لقيناك أن لا نفارقك حتَّى نقدم بِك على الامير عبيد اللّه، فتبسَّم الحسين، وقال: «يابن يزيد! الموت أدنى مِن ذلك»، ثُمَّ التفت إلى أصحابه، فقال: «احملوا النساء ليركبن حتّى ننظر ما الذي يقدر أن يصنع هذا وأصحابه».

قال: فركبنَ النساء، وركبَ أصحاب الحسين لينصرفوا، وساقوا النساء بين أيديهم، فتقدمت خيل ـ أهل الكوفة ـ فحالت بينهم وبين المسير، فضرب الحسين بيده إلى سيفه، وصاح بالحرِّ: «ثكلتك أُمُّك، يابن يزيد! ما الذي تُريد أن تصنع»؟ فقال الحر: أما واللّه، ياأبا عبد اللّه! لو قالها غيرك مِن العرب، لرددتها عليه كائناً مَن كان، ولكن، واللّه، مالي إلى ذكر أُمِّك من سبيل، غير أنَّه لابدَّ لي مِن أن أنطلق بِك إلى الأمير.

فقال الحسين: «ادنُ، واللّه، لا أتبعك أو تذهب نفسي»، فقال له الحر: ادنُ، والله، لا أُفارقك أو تذهب نفسي وأنفس أصحابي، فقال الحسين: «فذر إذن أصحابك وأصحابي، وابرز إليَّ، فإن قتلتني حملت رأسي إلى ابن زياد، وإن قتلتك أرحتُ الخلق منك»، فقال الحر: إني لم أُؤمر بقتالك، وإنما أُمِرتُ أن لا أُفارقك، أو أقدم بك على الأمير، وأنا، واللّه كاره أن يبتليني اللّه بشيءٍ من أمرك، غير أني أخذتُ بيعة القوم وخرجت إليك، وأنا أعلم أنَّه ما يوافيَ القيامة أحدٌ مِن هذه الأُمَّة إلاَّ وهو يرجو شفاعة جدِّك، وإني، واللّه، لخائف إن أنا قاتلتك أن أخسر الدُّنيا والآخرة، ولكن أما أنا يا أبا عبد اللّه! فلست أقدر على الرجوع إلى الكوفة في وقتي هذا، ولكن خذ غير الطريق، وامضِ حيث شئت حتّى أكتب إلى الأمير: أنَّ الحسين خالفني

الطريق فَلم أقدر عليه وأنا أُنشدك اللّه في نفسك، فقال الحسين: «كأنَّك تخبرني: بأني مقتول»؟! فقال له: نعم، يا أبا عبد اللّه! لا أشكُ في ذلك إلاَّ أن ترجع من حيث جئت، فقال الحسين: «لا أدري، ما أقول لك، ولكني أقولُ لك: كما قالَ أخو الأوس، وهو يُريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله فخوَّفه ـ ابن عمِّه ـ حين لقيه، وقال: أين تذهب؟ فإنك مقتول، فقال له:

سأمضي فما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مذموماً وخالف مجرما
أُقدِّم نفسي لا أُريدُ بقاءها ... لتلقى خميساً في النزالِ عرمرما
فإن عشتُ لم أُذم، وإن متُّ لم أُلم ... كفى بِك ذلاً أن تعيش وترغما»

قال: ثُم أقبل «الحسين» على أصحابه، فقال: «هل فيكم أحد يخبر الطريق على غير الجادة»؟ فقال ـ الطرماح بن عدي الطائي ـ: أنا، يابن رسول اللّه! أخبر الطريق، فقال الحسين: «فسر إذن بين أيدينا»، فسار الطرماح واتبعه الحسين وأصحابه، وجعل الطرماح يرتجز ويقول:

ياناقتي! لا تذعري مِن زجري ... وامض بنا قبل طلوع الفجر
بخير فتيان وخير سفر ... آل رسول اللّه أهل الفخر
السَّادة البيض الوجوه الغرِّ ... الطاعنين بالرماح السمر
والضاربين بالصفاح البتر ... حتى تحلي بكريم النجر
الماجد الحرُّ الرحيبُ الصدر ... أتى به اللّه لخير أمر
عمره اللّه بقاء الدَّهر ... وزاده من طيبات الذكر
يامالك النفعِ معاً والضرِّ! ... أيّد حسيناً سيدي بالنصر
على الطغاة من بقايا الكفر ... أعني اللعينين سليل صخر
وابن زياد العاهر ابن العهر ... فأنتَ ياربّ به ذو البر

قال ابن أعثم: فتياسر الحسين حتى وصل إلى «عذيب الهجانات» فوردَ كتاب مِن عبيد الله بن زياد إلى الحر يلومه في أمر الحسين، ويامرهُ بالتضييق عليه، فاصبح الحسين مِن وراء عذيب الهجانات، وإذا الحرّ قد عارضه أيضاً في جيشه، ومنعه مِن المسير. فقال له الحسين: «ويلك ما دهاك؟ ألست قد أمرتنا أن ناخذ على غير الطريق، فأخذنا وقبلنا مشورتك»؟ فقال الحرُّ: صدقت، يابن رسول الله! ولكن هذا كتاب الأمير ورد عليَّ، يؤنبني ويضعفني في أمرك، ويامرني بالتضييق عليك.

قال الحسين: «فذرنا إذن ننزل بقرية نينوى أو الغاضرية»، فقال له الحر: لا، والله يا أبا عبد الله لا أستطيع ذلك، فقد جعل ابن زياد عليَّ عيناً، يطالبني ويؤاخذني بذلك. وفي رواية: قال الحر: لا، والله ما أستطيع ذلك، وهذا رسول ابن زياد معي، وإنما بعثهُ عيناً عليَّ.

فقال للحسين رجل مِن أصحابه، يقال له: «زهير بن القين البجلي»: يابن رسول الله! ذرنا نقاتلُ هؤلاء القوم، فإنَّ قتالنا إياهم الساعة أهون علينا مِن قتال من يأتينا معهم بعد هذا، فقال له الحسين: «صدقت، يازهير! ولكن ما كنتُ لأبدأهم بالقتال حتى يبدأوني»، فقال له زهير: فسر بنا حتى ننزل «بكربلاء» فإنها على «شاطئ الفرات» فنكون هنالك، فإن قاتلونا قاتلناهم واستعنا بالله عليهم، فدمعت عينا الحسين عليه السلام حين ذكر ـ كربلاء ـ، وقال: «اللّهمَّ! إني أعوذُ بِك مِن الكرب والبلاء».

ونزل الحسين في موضعه ذلك، ونزل الحرّ حذاءه في جنده الذين هم ألف فارس، ودعا الحسين بدواة وبياض وكتب إلى أشراف الكوفة مِمَّن يظن أنه على رأيه: «بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحِيم من الحسين بن عليّ إلى سليمان بن صرد؛ والمسيب بن نجبة؛ ورفاعة ابن شدَّاد؛ وعبد الله بن وال؛ وجماعة

المؤمنين، أما بعد ـ فقد علمتم أنَّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قد قال في حياته: مَن رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم اللّه، ناكثاً لعهد اللّه، مخالفاً لسنة رسول اللّه، يعمل في عباد اللّه بالإثم والعدوان، ثُمَّ لم يغير بقول ولا فعل، كان حقيقاً على اللّه أن يدخله مدخله، وقد علمتم أنَّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا في الأرض الفساد، وعطلوا الحدود والأحكام، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام اللّه، وحرَّموا حلاله، وإني أحقُّ بهذا الأمر لقرابتي من رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليَّ رُسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن وفيتم لي ببيعتكم فقد أصبتم حظَّكم ورشدكم، ونفسي مع أنفسكم، وأهلي وولدي مع أهليكم وأولادكم، فلكم بي أُسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهودكم ونكثتم بيعتكم، فلعمري، ما هي منكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي، والمغرور من اغترَّ بكم، فحظَّكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ﴿**ومَن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغني اللّه عنكم**﴾الفتح/ ١٠، والسَّلام».

ثُمَّ طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى ـ قيس بن مسهر الصيداوي ـ وأمره أن يسير إلى ـ الكوفة ـ فمضى قيس بن مسهر يُريد الكوفة، وعبيد اللّه ابن زياد قد وضع المراصد والمسالح على الطرق والشوارع، فليس أحد يقدر أن يجوز، فلما قارب قيس الكوفة، لقيه الحصين بن نمير السكوني، فلما نظر إليه قيس كانه أحسّ بأنَّه يقبضه، فاخرج الكتاب سريعاً ومزقه، وأمر الحصين أصحابه، فأخذوا قيساً وأخذوا الكتاب ممزَّقاً، حتى أُتي به الى ابن زياد وأُخبر بقصته، فقال له ابن زياد: مَن أنت؟ قال: رجل من شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: لِمَ خرَّقت الكتاب الذي معك؟ قال: خوفاً أن تعلم مافيه، فقال: ممَّن كان هذا الكتاب، وإلى من كان؟

قال: مِن الحسين إلى جماعة مِن ـ أهل الكوفة ـ لا أعرف أسماءهم، فغضب ابن زياد وقال: والله، لا تفارقني حتى تدلني على هؤلاء القوم المكتوب إليهم، أو تصعد المنبر فتلعن حسيناً وأباه وأخاه، فتنجو من يدي، أو لأقطعنَّك إرباً إرباً، فقال قيس: أما هؤلاء المكتوب إليهم فإني لا أعرفهم، وأما اللعن فاني أفعل، فأمر عبيد الله أن يدخل المسجد الاعظم ويصعد المنبر، وتجمع الناس ليلعن، وتسمع النّاس، فأُدخل المسجد، وجمع النَّاس للاستماع، فأُصعد المنبر ووثب قائماً عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على محمَّد وأهل بيته، وأكثر الترحم على «عليّ بن أبي طالب» وولديه «الحسن والحسين» (عليهم الصلاة والسلام) ولعن يزيد بن معاوية وعتاة بني أُميَّة وطغاتهم، وأكثر اللعن على ـ عبيد الله بن زياد ـ ثُمَّ دعا إلى نصرة الحسين وحثَّ الناس عليها، فأُخبر ابن زياد بذلك، فأمر أن يصعد به القصر، ويرمى من أعلاه، فأُصعد أعلى القصر، ورمي به على أُم رأسه، فاندقت عنقه وخرج دماغه من أُذنيه، فبلغ ذلك الحسين فاستعبر باكياً، وقال: «اللّهم اجعل لنا ولشيعتنا عندك منزلاً كريماً، واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك، إنَّك على كلِّ شيء قدير».

قال: وقال للحسين رجلٌ من شيعته، يقال له: «هلال بن نافع الجملي»: يابن رسول الله! أنت تعلم أن جدَّك رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقدر أن يشرب النَّاس محبَّته، ولا أن يرجعوا الى ما كان أحبّ، فكان منهم منافقون يعدونه بالنصر ويضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى مِن العسل، ويخلفونه بأمرّ مِنَ الحنظل، حتّى قبضه الله تبارك وتعالى إليه، وأنَّ أباك علياً (صلوات الله عليه) قد كان في مثل ذلك، فقوم قد أجمعوا على نصرته، وقاتلوا معه الناكثين؛ والقاسطين؛ والمارقين، وقومٌ قعدوا عنه وخذلوه حتى مضى إلى

رحمة اللّه ورضوانه وروحه وريحانه، وأنت اليوم، يابن رسول اللّه على مثل تلك الحالة، فمن نكث عهده وخلع بيعته فلن يضر إلاّ نفسه، واللّه تبارك وتعالى مغنٍ عنه، فسر بنا يابن رسول اللّه! راشداً معافى مشرِّقاً، إن شئت أو مغرِّباً، فواللّه، الذي لا إله إلاّ هو ما أشفقنا مِن قدر اللّه، ولا كرهنا لقاء ربنا، وإنا على نياتنا وبصائرنا: نوالي مَن والاك؛ ونعادي من عاداك.

قال: وقال للحسين آخر مِن أصحابه، يقال له «برير بن خضير الهمداني»: يابن رسول اللّه! لقد منَّ اللّه تعالى علينا بك أن نقاتل بين يديك، وتقطع فيك أعضاؤنا، ثُمَّ يكون جدُّك رسول اللّه صلى الله عليه وآله شفيعاً يوم القيامة لنا، فلا أفلح قوم ضيَّعوا ابن بنت نبيهم، أُف لهم غداً ما يلاقون، سينادون بالويل والثبور في نار جهنم وهم فيهم مخلدون، فجزاهم الحسين خيراً.

قال: وخرج ولد الحسين وإخوته وأهل بيته حين سمعوا الكلام، فنظر إليهم وجمعهم عنده وبكى، ثم قال: «اللّهُمَّ! إنا عترة نبيك محمد صلواتك عليه وآله، قد أُخرجنا وأزعجنا وطردنا عن حرم جدنا، وتعدَّت بنو أُميَّة علينا، اللّهُمَّ فخذ لنا بحقنا، وانصرنا على القوم الظالمين»، ثُم نادى بأعلى صوته في أصحابه: «الرَّحيل».

ورحل من موضعه ذلك حتى نزل بكربلاء في يوم الأربعاء، أو في يوم الخميس، وذلك اليوم الثاني من محرم من سنة إحدى وستين، فخطب أصحابه هناك، وقال: «أما بعد ـ فإن النَّاس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلَّ الديّانون»، ثُم قال لهم: «اهذه كربلاء»؟ قالوا له: نعم، فقال: «هذه موضع كرب وبلاء، هاهنا مناخ ركابنا، ومحط رحالنا، ومسفك دمائنا».

قال: فنزل القوم، وحطوا الأثقال ناحية من الفرات، وضربت خيمة الحسين لأهله وبنيه وبناته، وضربت خيم إخوته وبني عمه حول خيمته، وجلس الحسين في خيمته يصلح سيفه، ومعه «جون» مولى «أبي ذر الغفاري» فجعل يصلحه ويقول:

يادهر أف لكَ من خليل ... كم لك بالاشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل ... والدهرُ لا يقنع بالبديل
وكل حيٍّ سالك سبيلي ... ما أقرب الوعد من الرَّحيل
وإنما الأمر الى الجليل ... سبحانه جلَّ عن المثيل

قال «علي بن الحسين» عليه السلام: «وجعل أبي يردد هذه الأبيات فحفظتها منه، وخنقتني العبرة، ولزمت السكوت حسب طاقتي، فأما عمتي «زينب» فلمَّا سمعت بذلك استعبرت وبكت، وكانت ضعيفة القلب، فبان عليها الحزن والجزع، فاقبلت تجر أذيالها إلى الحسين، وقالت: ياأخي! وياقرَّة عيني ليتَ الموت أعدمني الحياة، ياخليفة الماضين! وثمال الباقين! فنظرإليها الحسين، وقال: أختاه لا يذهبنَّ بحلمك الشيطان، فإن أهل السماء يموتون، وأهل الأرض لا يبقون، كلُّ شيءٍ هالك إلاّ وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، فأينَ أبي وجدي اللذان هما خير مني؟ فلي بهما ولكلِّ مؤمن أُسوة حسنة، وعزَّاها، ثم قال لها: بحقي عليك، ياأُختاه! إذا أنا قُتلت، فلا تشقّي علي جيباً، ولا تخمشي عليَّ وجهاً، ثُمَّ ردها إلى خدرها».

وروي: أنَّه لما سمعت ذلك أُخته «زينب» أو «أم كلثوم» جاءت إلى «الحسين» وقالت: ياأخي! هذا كلام مَن أيقن بالموت، قال: «نعم ياأُختاه»، قالت: إذن، فردنا إلى حرم جدِّنا، فقال: «يا أُختاه! لو ترك القطا لنام»، فقالت: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، مات جدي رسول الله،

ومات أبي عليّ، ومـاتت أُمي فاطمـة، ومات أخي الحسن، وبـقي ثمال أهل البيت، واليـوم ينـعى إليَّ نفسـه، وبكت فـبكت الـنسـوة، ولطمن الخدود وشقـقن الجيوب، وجـعلت أُخته تنـادي: وامحمـداه! واأبا القاسمـاه! اليوم مات جدي محمَّد، واأبتاه! واعلياه! اليوم مات أبي عليّ، واأُماه! وافاطماه اليوم ماتت أُمي فاطمة، واأخاه! واحسناه! اليوم مات أخي الحسن، واأخاه واحسيناه! واضيعتنا بعدك ياأبا عبد اللّه! فعزاها الحسين وصبرها، وقال: «ياأُختـاه! تعزي بعـزاء اللّه، وارضي بقضاء اللّه، فـإن أهل السمـاء يفوتون، وأهل الأرض يموتون، وجـميع البـرية لا يبقـون، كلُّ شيءٍهالك إلاّ وجـهه، فتبـارك اللّه الذي إليه جميع الخلق يرجعون، فهـو الذي خلقَ الخلق بقدرته، ويفنيـهم بمشيئته، ويبعثـهم بإرادته، ياأُختاه! كان جـدي وأبي وأُمي وأخي خيـراً مني وأفضل، وقد ذاقـوا الموت وضمهم الـتراب، وإنَّ لي ولك ولكلِّ مـؤمن بـرسـول اللّه أُسـوة حـسـنة». ثُمَّ قـال عليه السلام: «يازينب! ويا أم كـلثـوم! ويافاطمة! ويارباب! انظرن إذا أنا قُتِلت فلا تشققن عليَّ جيباً؛ ولا تخمشن عليَّ وجهاً؛ ولا تقلن فيّ هجراً».

ثُمَّ خـرج إلى أصحـابه، فقـال له الطرمـاح بن عدي الطائي ـ وكـان من شيـعتـه ـ: الرأي أن تركب معي جـمازة[1] فـأني أبلغ بِك الليلة قبل الصبـاح أحياءَ طيّ، وأُسوي لك أُمورك، وأقيم بين يديك خمسة آلاف مقاتل يقاتلون عنك. فقال له الحسين: «أمِن مـروءة الإنسان أن ينجي نـفسـه، ويهلك أهله وإخـوته وأصحـابه»؟ فـقـال له أصحـابه: إنَّ هؤلاء القـوم إذا لم يجـدوك لَم يفعلوا شيئاً، فلم يلتفت إلى قولهم، وجزى الطرماح خيراً.

قال: ثُمَّ اقبل الحـرُ بن يزيد فنزلَ في أصحابه حذاء الحسين وكتبَ إلى

(١) جمازة: فرس من اكرم خيول العرب لعبدالله بن خثم فلعلَّ هذه من نسلها.

ابن زياد يخبره بنزول الحسين بكربلاء، فكتب ابن زياد للحسين: أما بعد ـ ياحسين! فقد بلغني: نزولك «كربلاء»، وقد كتب إليَّ أمير المؤمنين ـ يزيد ـ: أن لا أتوسد الوثير؛ ولا أشبع مِن الخمير، حتى ألحقك باللطيف الخبير، أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد.

فلما وردَ كتابه وقرأه الحسين عليه السلام رمى به مِن يده، وقال: «لا أفلحَ قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق»، فقال له الرسول: جواب الكتاب، فقال له: «لا جواب له عندي، لأنه قد حقت عليه كلمة العذاب»، فرجع الرسول إلى ابن زياد، وأخبره بذلك، فغضب أشد الغضب، ثُمَّ جمع أصحابه، فقال: أيها الناس مَن منكم يتولى قتال الحسين بولاية أي بلدٍ شاء؟ فلم يجبه أحدٌ، فالتفت إلى ـ عمر بن سعد بن أبي وقَّاص ـ وكان ابن زياد قبل ذلك بأيام قد عقد له، وولاه الري وتستر، وأمرهُ بحرب ـ الدَّيلم ـ، وأعطاه عهده، وأخّره مِن أجل شغله بأمر الحسين، وقال له: يابن سعد! أنت لهذا الأمر، فإذا فرغت سرت إلى عملك إن شاء اللّه، فقال عمر: إن رأيت أيها الأمير! أن تعفيني عن قتال «الحسين» فعلت منعماً، فقال عبيدالله: فإنا قد أعفيناك فاردد إلينا عهدنا الذي كتبناهُ لك، واجلس في منزلك حتى نبعثَ غيرك، فقال عمر بن سعد: فامهلني، أيها الأمير اليوم حتى أنظر في أمري، قال: فقد أمهلتك.

فانصرف عمر بن سعد وجعل يستشير إخوانه، ومن يثق بهِ فلا يشير عليه أحد بذلك، غير أنه يقول له: اتَّق اللّه ولا تفعل، وأقبل إليه ـ حمزة بن المغيرة بن شعبة ـ وهو ابن أُخته، فقال: أُنشدكَ اللّه، ياخال! أن تسير إلى قتال الحسين فإنك تاثم بذلك وتقطع رحمكَ، فواللّه، لأن خرجت من مالك ودنياك وسلطان الأرض كلها، خيرٌ لك مِن أن تلقى اللّه بدم الحسين

ابن فاطمة، فسكت عمر، وفي قلبه من الري ما فيه. ولما أصبح ذهب إلى عبيد الله بن زياد، فقال له: ما عندكَ ياعمر؟ فقال: أيها الأمير إنَّك قد وليتني هذا العمل، وكتبتَ العهد، وقد سمعَ النَّاس به، فإن رأيت أن تنفذه لي، وتبعث إلى قتال الحسين غيري من أشراف أهل الكوفة، فإن بها مثل ـ أسماء بن خارجة؛ وكثير بن شهاب؛ ومحمَّد بن الأشعث؛ وعبد الرحمن ابن قيس؛ وشبث بن ربعي؛ وحجار بن أبجر، فقال له: ياعمر! لا تعلمني باشراف أهل الكوفة، فإني لا أستأمرك فيمن أُريد أن أبعث، فإن سرت إلى الحسين وفرجت عنَّا هذه الغمة، فأنتَ الحبيب القريب، وإلاّ فاردد إلينا عهدنا، والزم منزلك فإنا لا نكرهك.

فسكت عمر بن سعد، وغضب عبيد الله بن زياد، فقال: والله، يابن سعد لئن لم تسر إلى الحسين وتتول حربه، وتقدم عليه بما يسوء، لأضربنَّ عنقك، ولأهدمنَّ دارك، ولأنهبنَّ مالك، ولا أُبقي عليك كائناً ما كان، فقال عمر: فإني سائر إليه غداً إن شاء الله، فجزاه عبيد الله خيراً، وسرى عنه غضبه، ووصله وأعطاه، وضمَّ إليه أربعة آلاف فارس، وقال له: خذ بكظم الحسين، وحل بينه وبين الفرات.

فسار عمر بن سعد من غده في أربعة آلاف إلى «كربلاء»، وكان الحر عنده الف فتكامل خمسة آلاف، ولما جاء عمر كربلاء دعا رجلاً من أصحابه، يقال له: «عروة بن قيس الأحمس»، فقال له: امضِ إلى الحسين وسله: ما الذي جاءَ به إلى هذا الموضع؟ وما الذي أخرجه مِن مكة بعدما كان مستوطناً بها؟ فقال عروة: أيها الأمير! إني كنتُ قبل اليوم أُكاتب الحسين ويكاتبني، وإني لأستحي أن أصير إليه، فإن رأيت أن تبعث غيري، فبعث رجلاً، يقال له: «كثير بن عبد الله الشعبي» وكان فارساً بطلاً شجاعاً

لا يرد وجهه شيء، وكان شديد العداوة لأهل البيت، فلما رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين: جعلتُ فداك، يا أبا عبد اللّه قد جاءك شرُّ الناس من أهل الارض، واجراهم على دم، وافتكهم برجل، ثُمَّ قام إليه، فقال له: ضع سيفك حتى تدخل على أبي عبد اللّه وتكلمه، فقال: لا، ولا كرامة إنما أنا رسول، فإن سمع مني كلمته، وإن أبى انصرفت، فقال له أبو ثمامة: فإني آخذ بقائم سيفك، وتكلَّم بما تُريد ولا تدن من الحسين بدون هذا، فإنك رجلٌ فاسق.

فغضبَ الشعبي ورجع إلى عمر واخبره، وقال: إنهم لم يتركوني ان أدنو مِن الحسين فأبلغ رسالتك، فابعث إليه غيري، فبعث رجلاً، يقال له: «قرَّة بن قيس الحنظلي»، فلما أشرف ورآه الحسين قال: «هل تعرفون هذا»؟ فقال «حبيب بن مظاهر الأسدي»: نعم، يابن رسول اللّه! هذا رجلٌ من -بني تميم- ثُمَّ مِن -بني حنظلة-، وكنتُ أعرفه حسن الرأي، وما ظننتُ أن يشهد هذا المشهد.

ثُمَّ تقدّم الحنظلي حتى وقف بين يدي الحسين فسلم عليه، وأبلغه رسالة عمر بن سعد، فقال له الحسين: «ياهذا أبلغ صاحبك عني لم أرد هذا البلد، ولكن كتبَ إليَّ أهل مصركم هذا أن آتيهم فيبايعوني ويمنعوني وينصروني ولا يخذلوني، فإن كرهوني انصرفت عنهم مِن حيث جئت». فقال له حبيب بن مظاهر: ويحك، ياقرة! عهدي بك وأنت حسن الرأي في أهل هذا البيت، فما الذي غيرك حتى جئت بهذه الرسالة فاقم عندنا وانصر هذا الرجل الذي قد أتانا اللّه به.

فقال الحنظلي: لعمري، لنصرته أحقّ من نصرة غيره، ولكن أرجع إلى صاحبي بالرسالة، وانظر في ذلك، ثُمَّ انصرف فاخبره بجواب

الحسين، فقال عمر: الحمدُ للّه، واللّه، إني لأرجو أن يعافيني اللّه من حربه. ثُمَّ كتب إلى ابن زياد: بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم إلى الأمير عبيد اللّه ابن زياد من عمر بن سعد: أما بعد فإني نزلت بالحسين ثُمَّ بعثتُ إليه رسولاً أساله عما أقدمه إلى هذا البلد، فذكر: أنَّ اهل الكوفة أرسلوا إليه، يسالونه القدوم عليهم ليبايعوه وينصروه، فإن بدا لهم في نصرته فإنه ينصرف مِن حيث جاء، فيكون بمكة أو يكون باي بلد أمرته، فيكون كواحد مِن المسلمين، فاحببتُ أن أعلم الأمير بذلك، ليرى رأيه، والسلام.

فلمَّا قرا عبيد اللّه كتابه، فكر في نفسه ساعة، ثُمَّ أنشد:

الآن إذْ علقت مخالبنا به ... يرجو النجاة ولات حين مناص

ثُمَّ قال: أيرجو ابن أبي تراب النجاة؟ هيهات هيهات، لا انجاني اللّه مِن عذابه إن نجا الحسين مني، ثُمَّ كتب إلى عمر: أما بعد ـ فقد بلغني كتابك، وما ذكرت فيه من أمر الحسين فإذا أتاك كتابي فاعرض عليه «البيعة» لأمير المؤمنين يزيد فإن فعل وبايع، وإلاَّ فاتني به، والسَّلام، فلمَّا وردَ الكتاب على عمر وقراه، قال: إنا للّه وإنا إليه راجعون، إنَّ عبيد اللّه لا يقبل العافية، واللّه المستعان.

قال: ولم يعرض ابن سعد على الحسين بيعة يزيد، لانه عَلِم أن الحسين لا يجيبه إلى ذلك أبداً.

قال: ثُمَّ جمع عبيد اللّه بن زياد الناس في مسجد الكوفة، وخرج فصعد المنبر، وحمد اللّه واثنى عليه، ثُمّ قال: أيها الناس! إنكم قد بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم على ما تحبون، وهذا أمير المؤمنين يزيد، قد عرفتموه: حسن السيرة؛ محمود الطريقة؛ ميمون النقيبة؛ محسناً إلى الرعية؛ متعاهداً للثغور؛ يُعطي العطاء في حقه حتى قد أمنت السبل على

عهده؛ وأُطفئت الفتن بجهده، وكما كان معاوية في عصره، كذلك ابنه يزيد في أثره: يكرم العباد؛ ويغنيهم بالأموال؛ ويزيدهم بالكرامة؛ وقد زاد في أرزاقكم مائة مائة؛ وامرني ان أوفر عليكم؛ وآمركم أن تخرجوا إلى حرب عدوه الحسين بن علي، فاسمعوا له وأطيعوا.

ثُم نزل مِن المنبر، ووضع لأهل الرئاسة العطاء وأعطاهم، ونادى فيهم أن يتهيأوا للخروج إلى عمر بن سعد ليكونوا عوناً له في قتل الحسين، فاوَّل من خرج إلى عمر بن سعد «شمر بن ذي الجوشن الضبابي» في أربعة آلاف، فصار عمرفي تسعة آلاف، ثم اتبعه «يزيد بن ركاب الكلبي» في ألفين؛ و«الحصين بن نمير السكوني» في أربعة آلاف؛ وفلاناً المازني في ثلاثة آلاف؛ ونصر بن فلان في ألفين؛ وبعث إلى «شبث بن ربعي» فتمارض وارسل إليه: ايها الأمير! انا عليلٌ فإن رأيت أن تعفيني، فارسل إليه: إنَّ رسولي اخبرني بتمارضك عليه، وأخاف أن تكون من الذين: ﴿**وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا**﴾البقرة/١٤، فانظر: إن كُنت في طاعتنا فاقبل إلينا مسرعاً.

فاقبلَ إليه شبث بن ربعي بعد العشاء الآخرة لئلا ينظر في وجهه ولا يرى أثر العلة، فلما دخل عليه رحب به، وقرَّبَ مجلسه، ثُمَّ قال له: أُحب أن تشخص غداً الى عمر بن سعد في ألف فارس من أصحابك، فقال: افعل ايها الأمير! فخرج في ألف فارس، واتبعه «بحجار بن أبجر» في ألف فارس، فصار عمر بن سعد في اثنين وعشرين ألفاً.

ثُمَّ كتب عبيد الله إلى عمر بن سعد: اما بعد ـ فإني لم أجعل لك علَّة في كثرة الخيل والرجال، فانظر لا أُصبح ولا أُمسي إلاّ وخبر ما قبلك عندي غدوة وعشية مع كل غاد ورائح. وكان عبيدالله يستحث عمربن سعد

ويستعجله في قتل الحسين، وابن سعد يكره أن يكون قتل الحسين على يده.

قال: والتامت العساكر عند عمر لستة أيام مضين من محرم، فلما رأى ذلك حبيب بن مظاهر الأسدي جاء إلى الحسين، فقال له: يابن رسول اللّه! إنَّ هاهنا حياً من بني أسد قريباً منا، افتاذن لي بالمصير إليهم الليلة أدعوهم إلى نصرتك، فعسى اللّه ان يدفع بهم عنك بعض ما تكره؟ فقال له الحسين: «قد أذنت لك»، فخرج اليهم حبيب من معسكر الحسين في جوف الليل متنكراً، حتى صار إليهم فحياهم وحيُّوه وعرفوه، فقالوا له: ماحاجتك يابن عم؟ قال: حاجتي إليكم إني قد اتيتكم بخير ما اتى به وافدإلى قوم قط، اتيتكم ادعوكم إلى نصرة ابن بنت نبيكم فإنه في عصابة من المؤمنين، الرجل منهم خير من الف رجلٍ، لن يخذلوه ولن يسلِّموه وفيهم عين تطرف، وهذا عمر بن سعد قد احاط به في اثنين وعشرين الفاً، وأنتم قومي وعشيرتي، وقد أتيتكم بهذه النصيحة، فاطيعوني اليوم تنالوا شرف الدنيا وحسن ثواب الآخرة، فإني أقسم باللّه، لا يقتل منكم رجل مع ابن بنت رسول اللّه صابراً محتسباً إلاّ كان رفيق محمَّد ﷺ في اعلى عليين.

فقام رجلٌ من ـ بني أسد ـ يقال له: «عبد اللّه بن بشر»، فقال: انا أوَّلُ من يجيبُ إلى هذه الدَّعوة، ثُم جعل يرتجز ويقول:

قد عَلِم القوم إذا تناكلوا واحجم الفرسان إذْ تناضلوا
إني الشجاع البطل المقاتل كأنني ليثٌ عرينٌ باسل

ثُمَّ بادر رجال الحي إلى حبيب، وأجابوه فالتام منهم تسعون رجلاً، وجاءوا مع حبيب يريدون الحسين، فخرج رجلٌ من الحي، يقال: «فلان بن عمرو» حتى صار إلى عمر بن سعد في جوف الليل، فاخبره بذلك، فدعا عمر برجل مِن أصحابه، يقال له: «الأزرق بن الحرث الصدائي» فضمَّ إليه

أربعمائة فارس، ووجه به إلى حي بني اسد مع ذلك الذي جاء بالخبر، فبينا أُولئك القوم من بني أسد قد أقبلوا في جوف الليل مع حبيب يريدون عسكر الحسين، إذ استقبلتهم خيل ابن سعد على شاطئ الفرات، وكان بينهم وبين معسكر الحسين اليسير، فتناوش الفريقان واقتتلوا، فصاح حبيب بالازرق ابن الحرث: مالكَ ولنا انصرف عنا، ياويلك! دعنا واشق بغيرنا، فأبى الأزرق، وعلمت بنو أسد أنَّ لا طاقة لهم بخيل ابن سعد فانهزموا راجعين إلى حيّهم، ثم تحملوا في جوف الليل خوفاً من ابن سعد أن يكبسهم، ورجع حبيب إلى الحسين فاخبره، فقال: «لاحولَ ولا قوةَ إلاّ باللّه العلي العظيم».

ورجعت تلك الخيل حتى نزلت على الفرات، وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء، فاضر العطش بالحسين وبمن معه، فاخذ الحسين عليه السلام فاساً، وجاء الى وراء خيمة النساء فخطا على الأرض تسع عشرة خطوة نحو القبلة، ثُمّ احتفر هنالك فنبعت له هناك عين من الماء العذب، فشرب الحسين وشرب الناس باجمعهم، وملأوا أسقيتهم، ثم غارت العين فلم يُرَ لها أثر.

وبلغ ذلك إلى عبيد اللّه فكتب إلى عمر بن سعد: بلغني أن الحسين يحفر الآبار، ويصيب الماء، فيشرب هو وأصحابه، فانظر إذا ورد عليك كتابي هذا فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت، وضيّق عليهم ولا تدعهم أن يذوقوا مِن الماء قطرة، وافعل بهم كما فعلوا بالزكي عثمان، والسلام.

فضيق عليهم ابن سعد غاية التضييق، ودعا برجل، يقال له: «عمرو ابن الحجاج الزبيدي» فضمَّ إليه خيلاً كثيرة، وأمرهُ أن ينزل على الشريعة التي هي حذاء معسكر الحسين عليه السلام فنزلت الخيل على شريعة الماء، فلمّا اشتد العطش بالحسين وأصحابه، دعا أخاه العباس، وضم إليه ثلاثين فارساً

وعشرين راجلاً، وبعث معهم عشرين قربة في جوف الليل حتى دنوا مِن الفرات، فقال عمرو بن الحجاج: من هذا؟ فقال له هلال بن نافع الجملي: أنا ابن عم لكَ من أصحاب الحسين، جئتُ حتى أشرب من هذا الماء الذي منعتمونا عنه، فقال له عمرو: اشرب هنيئاً مريئاً، فقال نافع: ويحك، كيف تأمرني أن أشرب مِن الماء، والحسين ومن معه يموتون عطشاً؟ فقال: صدقت، قد عرفت هذا، ولكن أمرنا بأمر، ولابدَّ لنا أن ننتهي إلى ما أُمرنا به.

فصاح هلال بأصحابه فدخلوا الفرات، وصاح عمرو بأصحابه ليمنعوا، فاقتتل القوم على الماء قتالاً شديداً، فكان قوم يقاتلون، وقوم يملأون القِرب حتى ملأوها وقتِل من أصحاب عمرو بن الحجاج جماعة، ولم يقتل من أصحاب الحسين احد، ثُم رجع القوم إلى معسكرهم بالماء، فشرب الحسين ومن كان معه ولقب العباس يومئذ السقاء.

قال: وأرسل الحسين إلى ابن سعد: «إني أُرِيدُ أن أكلمك فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك، فخرج إليه عمر بن سعد في عشرين فارساً، والحسين في مثل دلك، ولما التقيا أمر الحسين أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه: أخوه العبَّاس؛ وابنه عليّ الاكبر، وأمر ابن سعد أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه: ابنه «حفص»؛ وغلام له، يقال له: «لاحق»، فقال الحسين لابن سعد: «ويحك، أما تتقي اللّه الذي إليه معادك؟ أتقاتلني وأنا ابن من علمت؟ ياهذا ذر هؤلاء القوم، وكن معي فإنَّه أقرب لك مِن اللّه»، فقال له عمر: أخاف أن تهدم داري. فقال الحسين: «أنا أبنيها لك»، فقال عمر: أخاف أن تؤخذ ضيعتي، فقال: «أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز»، فقال: لي عيال أخاف عليهم، فقال: «أنا أضمن سلامتهم».

قال: ثُمَّ سكت فَلم يجبه عن ذلك، فانصرف عنه الحسين، وهو يقول: «مالك، ذبحك الله على فراشك سريعاً عاجلاً، ولا غفرَ لك يوم حشرك ونشرك، فوالله، إني لأرجو أن لا تأكل من برِّ العراق إلاَّ يسيراً»، فقال له عمر: ياأبا عبد الله! في الشعير عوض عن البر، ثُمَّ رجع عمر إلى معسكره.

ثُمَّ إنه ورد عليه كتاب من ابن زياد يؤنِّبهُ ويضعفه، ويقول: ماهذه المطاولة؟ انظر إن بايع الحسين وأصحابه، ونزلوا عند حكمي، فابعث بهم إليَّ سلما، وإن أبوا ذلكَ، فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإذا قتلت الحسين فأوطئ الخيل ظهره وبطنه، فإنه عاق شاق قاطع ظلوم، فإذا فعلت ذلك جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت ذلك فاعتزل خيلنا وجندنا، وسلِّم الجند والعسكر إلى شمر بن ذي الجوشن فإنَّه أشد منك حزماً، وأمضى منك عَزماً.

وقال غيره: إن عبيد الله بن زياد دعا «حويزة بن يزيد التميمي» وقال: إذا وصلت بكتابي الى عمر بن سعد، فإن قام من ساعته لمحاربة الحسين فذاك، وإن لم يقم فخذه وقيده، واندب «شهر بن حوشب» ليكون أميراً على النَّاس، فوصل الكتاب، وكان في الكتاب: إني لم أبعثك يابن سعد لمنادمة الحسين، فإذا أتاك كتابي، فخيِّر الحسين بين أن يأتي إليَّ، وبين أن تقاتله، فقام عمر بن سعد من ساعته، وأخبر الحسين بذلك، فقال له الحسين عليه السلام: «أخِّرني إلى غد» ـ وسيأتي هذا الحديث فيما بعد إن شاء الله ـ، ثُمَّ قال عمر بن سعد للرسول: اشهد لي عند الأمير أني امتثلتُ أمره.

عدنا الى ـ الحديث الأول ـ، فلما طوى الكتاب وختمه، وثب رجل، يقال له: «عبد الله بن المحل بن حرام العامري»، فقال له: أصلح الله الأمير!

إنَّ ـ علي بن أبي طالب ـ قد كان عندنا بالكوفة، فخطب إلينا فزوجناه بنت عم لنا، يقال لها: «أم البنين» بنت حزام، فولدت له: عبد اللّه؛ وعثمان؛ وجعفراً؛ والعباس، فهم بنو أُختنا، وهم مع أخيهم ـ الحسين بن عليّ ـ، فإن أذنت لنا أن نكتب إليهم كتاباً بأمانٍ منك فعلت متفضلاً، فأجابه عبيد اللّه بن زياد إلى ذلك، فكتب عبد اللّه بن المحل، ودفع الكتاب إلى غلام له، يقال: «عرفان».

فلما وردَ الكتاب إلى إخوة الحسين، ونظروا فيه، قالوا للغلام: اقرأ على خالنا السلام، وقل له: لا حاجة لنا في أمانك، فإن أمان اللّه خير لنا مِن أمان «ابن مرجانة»، فرجع الغلام إلى الكوفة، فأخبره بذلك، فعلم عبد اللّه بن المحل انَّ القوم مقتولون. واقبل شمر بن ذي الجوشن على عسكر الحسين، ونادى باعلى صوته: أين بنو أُختي؟ اين عبد اللّه؛ وعثمان؛ وجعفر ـ بنو عليّ بن أبي طالب؟ فسكتوا، فقال الحسين: «أجيبوه، ولو كان فاسقاً، فإنه بعض أخوالكم»، فنادوه: ما شانك؟ وما تريد؟ فقال: يابني أُختي! انتم آمنون، فلا تقتلوا انفسكم مع اخيكم الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فناداه العباس بن عليّ: تبّت يداك ياشمر! لعنك اللّه، ولعن ما جئت به من امانك هذا، ياعدوَّ اللّه! اتامرنا ان نترك اخانا الحسين بن فاطمة، وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟ فرجع شمر إلى عسكره مغيظاً.

قال: وجمع الحسين عليه السلام أصحابه بين يديه، ثُمَّ حمدَ اللّه واثنى عليه، وقال: «اللّهمَّ لك الحمد على ما علّمتنا من القرآن، وفقّهتنا في الدِّين، واكرمتنا به من قرابة رسولك محمد صلى الله عليه وآله، وجعلت لنا اسماعاً وابصاراً وأفئدة، فاجعلنا مِن الشاكرين، اما بعد ـ فإني لا اعلم أصحاباً أصلح

منكم، ولا أعلم أهل بيت أبر ولا أوصل ولا افضل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً عني خيراً. إنَّ هؤلاء القوم ما يطلبون احداً غيري، ولو قد أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم أبداً، وهذا الليل قد غشيكم فقوموا واتخذوه جملاً، وليأخذ كلٌّ رجلٍ منكم بيد رجلٍ من إخوتي، وتفرقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاء القوم».

فتكلم إخوته وجميع أهل بيته، وقالوا: يابن رسول الله! فماذا تقول الناس؟ وماذا نقول لهم؟ إنا تركنا شيخنا؛ وسيدنا؛ وابن بنت نبينا محمد صلى الله عليه وآله، لم نرمِ معه بسهمٍ، ولم نطعن برمحٍ، ولم نضرب بسيف، لا، والله يابن رسول الله لا نفارقك أبداً، ولكنا نفديك بانفسنا، ونقتل بين يديك، ونرد موردك، فقبَّح الله العيش من بعدك.

ثُم تكلم «مسلم بن عوسجة الأسدي»، فقال يابن رسول الله! أنحن نخليك هكذا، وننصرف عنك، وقد أحاط بك هؤلاء الأعداء؟ لا والله، لا يراني الله وأنا افعل ذلك أبداً، حتى أكسر في صدورهم رمحي، واضرب فيهم بسيفي، ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن لي سلاح أُقاتلهم به، لقذفتهم بالحجارة، ولم أُفارقكَ حتّى أموت بين يديك.

ثم تكلّم «سعد بن عبد الله الحنفي»، فقال: لا والله يابن رسول الله! لا نخليك أبداً حتى يعلم الله تبارك وتعالى انا حفظنا فيك عيبه رسوله، ووالله، لو علمت أني أُقتل ثُم أُحيا ثُمَّ أُحرق حياً - يفعل بي ذلك سبعين مرَّة - لما فارقتك أبداً، حتى ألقى حمامي من دونك، وكيف لا أفعل ذلك، وإنما هي قتلة واحدة، ثُم أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

ثم تكلم «زهير بن القين البجلي»، فقال: والله، يابن رسول الله لوددت أني قتلتُ فيك ثم نشرت، حتى أُقتل فيك الف مرَّة، وأن الله قد

دفع القتل عنك، وعن هؤلاء الفتية من إخوتك؛ وولدك؛ وأهل بيتك.
قال: وتكلم جماعة بنحو ـ هذا الكلام، وقالوا: أنفسنا لك الفداء، ونقيك بأيدينا ووجوهنا وصدورنا، فإذا نحن قتلنا بين يديك نكون قد وفينا وقضينا ما علينا.

ثُم تكلَّم «بُرير بن خضير الهمداني» وكان من الزهاد الذين يصومون النهار، ويقومونَ الليل، فقال: يابن رسول اللّه! ائذن لي أن آتي هذا الفاسق عمر بن سعد فأعظه لعلَّه يتعظ ويرتدع عما هو عليه، فقال الحسين: «ذاك إليك، يابرير»، فذهب إليه حتى دخل على خيمته فجلس ولم يسلم، فغضب عمر، وقال: ياأخا همدان ما منع من السلام عليَّ؟ الستُ مسلماً أعرف اللّه ورسوله، وأشهد بشهادة الحقِّ؟ فقال له برير: لو كنتَ عرفت اللّه ورسوله كما تقول، لما خرجت إلى عترة رسول اللّه تُريد قتلهم؟

وبعد ـ فهذا «الفرات» يلوح بصفائه، ويلج كأنه بطون الحيات، تشرب منه كلابُ السواد وخنازيرها، وهذا «الحسين بن عليّ وإخوته ونساؤه وأهل بيته، يموتون عطشاً، وقد حِلت بينهم وبين ماء الفرات أن يشربوه، وتزعم أنك تعرف اللّه ورسوله؟

فاطرق عمر بن سعد ساعة إلى الأرض، ثُمَّ رفع راسه، وقال: واللّه، يابرير إني لاعلم يقيناً انَّ كلَّ من قاتلهم وغصبهم حقَّهم هو في النار لا محالة، ولكن يابرير! أفتشير عليَّ أن أترك ولاية الري فتكون لغيري؟ فواللّه، ما أجد نفسي تجيبني لذلك، ثم قال:

دعاني عبيد اللّه مِن دونِ قومه	إلى خطه فيها خرجت لحيني
فواللّه، ما أدري وإنيٍّ لحائر	أُفكر في أمري على خطرين
أأترك مُلك الري والريُّ منيتي	أم أرجع مأثوماً بقتلِ حسين؟
وفي قتله النار التي ليس دونها	حجاب ومُلكُ الري قرّة عيني

فرجع برير إلى الحسين، وقال: يابن رسول اللّه! إنَّ عمر بن سعد قد رضي لقتلك بولاية الري.

قال: فلمَّا أيس الحسين من القوم، وعَلِمَ أنهم مقاتلوه، قال لأصحابه: «قوموا، فاحفروا لنا حفيرة شبه الخندق حول معسكرنا، وأجّجوا فيها ناراً حتى يكون قتال هؤلاء القوم من وجه واحد فإنهم لو قاتلونا وشغلنا بحربهم لضاعت الحرم»، فقاموا مِن كل ناحية فتعاونوا واحتفروا الحفيرة، ثُمَّ جمعوا الشوك والحطب فالقوه في الحفيرة وأجّجوا فيها النَّار.

واقبل رجلٌ من عسكر عمر بن سعد، يقال له: «مالك بن جريرة» على فرس له حتى وقف على الحفيرة، وجعل ينادي باعلى صوته: أبشر ياحسين! فقد تعجلت النار في الدُّنيا قبل الآخرة، فقال له الحسين: «كذبت، ياعدو اللّه! انا قادم على ربٍّ رحيم، وشفيع مطاع، ذاكَ جدِّي محمَّد»، ثُم قال الحسين لاصحابه: «من هذا»؟ فقيل له: هذا مالك بن جريرة، فقال الحسين: «اللّهمَّ جره إلى النار، واذقه حرَّها قبل مصيره إلى نار الآخرة»، فلم يكن باسرع من ان شبَّ به الفرس فالقاه على ظهرِه، فتعلَّقت رجله في الركاب، فركض به الفرس حتى ألقاه في النار فاحترق.

فخرَّ الحسين عليه السلام ساجداً، ثُمَّ رفع راسه، وقال: «يالها من دعوة! ما كان أسرع إجابتها»، ثُمَّ رفع الحسين صوته، وقال: «اللّهُمَّ إنا أهل بيت نبيك وذريته وقرابته، فاقصم من ظلمنا وغصبنا حقنا، إنَّك سميع قريب»، فسمعها محمد بن الاشعث، فقال: ياحسين واي قرابة بينك وبين محمد؟ فقال الحسين: «اللّهُمَّ إن محمد بن الاشعث، يقول: إنَّه ليس بيني وبين رسولك قرابة، اللّهم! فارني فيه هذا اليوم ذلاً عاجلاً»، فما كان باسرع مِن أن تنحى، محمد بن الاشعث، وخرج من العسكر، فنزل عن فرسه، وإذا

بعقرب سوداء خرجت من بعض الجحرة، فضربته ضربةً تركته متلوثاً في ثيابه ممَّا به.

وذكر الحاكم الجشمي: أنه مات ليومه. ولكن ذلك غير صحيح، فإنه بقي إلى أيام المختار فقتله، ولكنَّه بقي ممَّا به في بيته.

قال: ثُمَّ نادى مناد من عمر بن سعد: ياخيل اللّه اركبي، فركب النّاس وزحفوا نحو عسكر الحسين في وقته كان جالساً، فخفق برأسه على ركبتيه، فسمعت زينب بنت علي الصيحة والضجة، فدنت من أخيها فحركته، وقالت: ياأخي! ألا تسمع الأصوات قد اقتربت منا؟ فرفع الحسين رأسه، وقال: «يا أُختاه رأيت الساعة في منامي جدي رسول اللّه؛ وأبي علياً؛ وأُمي فاطمة؛ وأخي الحسن ـ صلوات اللّه عليهم ـ، وهم يقولون: إنَّك رائح إلينا عن قريب، وقد واللّه، دنا الأمر لا شكَّ فيه».

فلطمت «زينب» وجهها وصاحت، فقال لها الحسين: «مهلاً مهلاً، أُسكتي ولا تصيحي فيشمت القوم بنا»، ثُمَّ أقبل «الحسين» على أخيه «العباس» فقال: «ياأخي اركب، وتقدمَّ إلى هؤلاء القوم، وسلهم عن حالهم، وارجع إليَّ بالخبر»، فركِبَ العباس في إخوته، ومعه عشرة فوارس حتى دنا مِن القوم، ثم قال: ياهؤلاء ما شأنكم؟ وما تريدون؟ فقالوا: جاءنا الأمر مِن عبيد اللّه بن زياد أن نعرض عليكم إما أن تنزلوا على الحكم، وإلا ناجزناكم، قال العباس: فلا تعجلوا حتى أرجع الى الحسين فأخبره بذلك، فوقف القوم في مواضعهم، ورجع العباس إلى الحسين فأخبره، فاطرق الحسين ساعة وأصحابه يخاطبون أصحاب عمر بن سعد، فيقول لهم حبيب بن مظاهر الأسدي: أما، واللّه لبئس القوم قوم يقدمون غداً على اللّه ورسوله، وقد قتلوا ذريته وأهل بيته المتهجدين بالأسحار، الذاكرين اللّه

بالليل والنهار، وشيعته الأتقياء الأبرار، فقال له رجلٌ من أصحاب ابن سعد، يقال له: «عروة بن قيس»: إنَّك لتزكي نفسك ما استطعت، فقال له زهير بن القين: اتَّق اللّه، يابن قيس! ولا تكن من الذين يعينون على الضلال؛ وقتل النفوس الزكية الطاهرة؛ وعترة خير الأنبياء؛ وذرية أصحاب الكساء.

فقال له ابن قيس: إنَّك لم تكن عندنا من شيعة أهل البيت، وإنّما كنت عثمانياً نعرفك، فكيف صِرت ترابياً، فقال له زهير: إني كنتُ كذلك، غير اني لما رأيت «الحسين» مغصوباً على حقه ذكرتُ جدَّهُ ومكانه منه، فرأيتُ لنفسي أن أنصره، وأكون مِن حزبه، وأجعل نفسي مِن دون نفسه، حفظاً لما ضيَّعتم مِن حقِّ اللّه وحقِّ رسوله.

فكان هؤلاء في هذه المخاطبة، والحسينُ جالس مفكرِ في أمر المحاربة، وأخوه «العباس» واقف بين يديه فقال للعباس: «ارجع ياأخي إلى القوم فإن استطعت أن تصرفهم وتدفعهم عنا باقي هذا اليوم فافعل لعلّنا نصلّي لربنا ليلتنا هذه وندعو الله ونستعفيه ونستنصره على هؤلاء القوم». فاقبل العباس إلى القوم وهم وقوف، فقال لهم: ياهؤلاء! إنَّ أبا عبد اللّه يسألكم الانصراف عنه باقي يومكم هذا، حتى ينظر في هذا الامر، ثُمَّ نلقاكم به غداً إن شاء اللّه، فأخبر القوم أميرهم عمربن سعد، فقال للشمر: ماذا ترى ياشمر؟ فقال: إني ما أرى إلاّ رأيك، أنت الأمير علينا فافعل ما تشاء، فقال: إني أحببتُ أن لا أكون أميراً، فلم أترك وأُكرهت، ثم قال لأصحابه: ماترون؟قالوا له: أنت الأمير، فقال له عمروبن الحجاج الزبيدي: سبحان الله العظيم، والله لو كان هؤلاء مِن ـالترك والدَّيلمـ ثُم سالوكم هذه الليلة، لقد كان ينبغي أن تجيبوهم إلى ذلك، فكيف وهم آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله.

فقال ابن سعد: أُخبرهم إنا أجلناهم باقي يومنا هذا إلى غدٍ، فإن استسلموا ونزلوا على الحكم وجهنا بهم إلى الأمير عبيد اللّه، وإن أبوا ناجزناهم، فانصرف الفريقان وعاد كلٌّ إلى معسكره، وجاء الليل فبات الحسين عليه السلام تلك الليلة راكعاً ساجداً باكياً مستغفراً متضرِّعاً، وبات أصحابه ولهم دويٌّ كدويّ النحل، وجاء شمر بن ذي الجوشن في نصف الليل يتجسس ومعه جماعة من أصحابه، حتى قارب معسكر «الحسين» فسمعه يتلو قوله تعالى: **﴿ولا يَحْسَبَنَ الذين كفروا أنَّما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين * ما كان اللّه ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث مِن الطيب﴾**آل عمران/١٧٨و١٧٩ ، فصاح رجلٌ مِن أصحاب شمر: نحن ورب الكعبة الطيبون، وأنتم الخبيثون، وقد ميزنا منكم.

فقطع برير بن خضير الهمداني صلاته ثُمَّ نادى: يافاسق! يافاجر! ياعدو اللّه! يابن البوّال على عقبيه أمثلك يكون مِن الطيبين، والحسين ابن رسول اللّه مِن الخبيثين، واللّه، ما أنت إلاّ بهيمة ولا تعقل ما تاتي وما تذر، فابشر ياعدو اللّه! بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم. فصاح شمر: إنَّ اللّه قاتلك وقاتل صاحبك عن قريب، فقال برير: أبالموت تخوفني؟ واللّه، إنَّ الموت مع ابن رسول اللّه أحبُّ إليَّ مِن الحياة معكم، واللّه، لا نالت شفاعة محمد صلى الله عليه وآله قوماً أراقوا دماء ذريته وأهل بيته.

فجاء إليه رجل من أصحابه، وقال: يابرير إن ـ أبا عبد اللّه ـ، يقول لك: ارجع إلى موضعك، ولا تخاطب القوم، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه، وأبلغ في الدعاء فلقد نصحت، وأبلغت في النصح والدعاء.

قال: فلما كان وقت السحر خفق الحسين برأسه خفقة، ثُمَّ استيقظ، فقال: «أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة»؟ قالوا: فما رأيت يابن رسول الله؟ قال: «رأيتُ كلاباً قد شدَّت عليَّ لتنهشني، وفيها كلبٌ أبقع رأيته كأشدّها عليَّ، وأظنُّ الذي يتولى قتلي رجلاً أبرص من بين هؤلاء القوم، ثمَّ إني رأيتُ بعد ذلك جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه جماعة مِن أصحابه، وهو يقول لي: يابني! أنتَ شهيد آل محمد، وقد استبشر بِك أهلُ السماوات وأهل الصفيح الأعلى، فليكن إفطارك عندي الليلة، عجل يابني! ولا تأخر، فهذا ملك نزلَ مِن السماء، ليأخذ دمك في قارورة خضراء، فهذا ما رأيتُ وقد أزف الأمر واقترب الرَّحيل مِن هذه الدُّنيا.

وأصبح الحسين فصلى بأصحابه، ثُمَّ قرب إليه فرسه، فاستوى عليه وتقدم نحو القوم، في نفر من أصحابه، وبين يديه برير بن خضير الهمداني، فقال له الحسين: «كلّم القوم، يابرير وانصحهم»، فتقدم برير حتى وقف قريباً من القوم، والقوم قد زحفوا إليه عن بكرة أبيهم، فقال لهم برير: ياهؤلاء! اتَّقوا الله فإن ثقل محمد قد أصبح بين أظهركم، هؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمه، فهاتوا ما عندكم، وما الذي تُريدون أن تصنعوا بهم؟ فقالوا: نُريد أن نمكّن منهم الأمير عبيد الله بن زياد فيرى رأيه فيهم، فقال برير: أفلا ترضون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي أقبلوا منه؟ ويلكم، ياأهل الكوفة أنسيتم كتبكم إليه، وعهودكم التي أعطيتموها من انفسكم، وأشهدتم الله عليها؟ وكفى بالله شهيداً، ويلكم، دعوتم أهل بيت نبيكم وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم من دونهم، حتى إذا أتوكم أسلمتموهم لعبيد الله، وحلأتموهم عن ماء الفرات الجاري، وهو مبذول يشرب منه اليهود؛ والنصارى؛ والمجوس؛ وترده الكلاب والخنازير، بئسما خلفتم

محمداً في ذريته، مالكم، لاسقاكم اللّه يوم القيامة، فبأس القوم أنتم. فقال له نفر منهم: ياهذا ما ندري ما تقول؟ فقال برير: الحمدُ للّه الذي زادني فيكم بصيرة، اللّهم إني أبرأ إليك مِن فعال هؤلاء القوم، اللّهُمَّ القِ بأسهم بينهم، حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان.

فجعلَ القوم يرمونه بالسهام، فرجع برير إلى ورائه، فتقدم الحسين عليه السلام حتى وقف قبالة القوم، وجعل ينظر إلى صفوفهم، كأنها السيل، ونظر إلى ابن سعد واقفاً في صناديد الكوفة، فقال: «الحمدُ للّه الذي خلقَ الدنيا، فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنته، فلا تغرنكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء مَن ركنَ إليها، وتخيب طمع من طمعَ فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم اللّه فيه عليكم، فأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلَّ بكم نقمته، وجنبكم رحمته، فنعم الرب ربُّنا؛ وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمد، ثم إنكم زحفتم إلى ذريته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فانساكم ذكر اللّه العظيم، فتباً لكم وما تريدون؟ إنا للّه وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبعداً للقوم الظالمين».

فقال عمر بن سعد: ويلكم، كلِّموه فإنه ابن أبيه، واللّه، لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما قطع، ولما حصر فكلِّموه، فتقدم إليه شمر بن ذي الجوشن، فقال: ياحسين! ما هذا الذي تقول؟ أفهمنا حتى نفهم.

فقال عليه السلام: «أقولُ لكم: اتقوا اللّه ربكم ولا تقتلون، فإنَّه لا يحلُّ لكم قتلي، ولا انتهاك حرمتي، فإني ابن بنت نبيكم، وجدتي «خديجة» زوجة نبيكم، ولعله قد بلغكم، قول نبيكم محمَّد صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين سيِّدا

شباب أهل الجنة، ما خلا النبيين والمرسلين، فإن صدقتموني بما أقول وهو الحقّ، فوالله، ما تعمدتُ كذباً منذ علمتُ أنَّ الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإنَّ فيكم من الصحابة مثل: جابر بن عبد الله؛ وسهل بن سعد؛ وزيد بن أرقم؛ وأنس بن مالك، فاسألوهم عن هذا فإنهم يخبرونكم أنهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن كنتم في شكٍّ مِن أمري، أفتشكون أني ابن بنت نبيكم؟ فوالله، ما بين المشرقين والمغربين ابن بنت نبي غيري، ويلكم، أتطلبوني بدم أحد منكم قتلته، أو بمال استملكته، أو بقصاص من جراحات استهلكته»؟ فسكتوا عنه لا يجيبونه.

ثمَّ قال عليه السلام: «والله لا أعطيهم يدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد، عباد الله! إني عذت بربي وربكم أن ترجمون، وأعوذُ بربي وربكم مِن كلِّ متكبر لا يؤمن بيوم الحساب». فقال له شمر بن ذي الجوشن: ياحسين بن علي! أنا أعبد الله على حرف إن كنت أدري ما تقول، فسكت الحسين عليه السلام. فقال حبيب بن مظاهر للشمر: ياعدو الله! وعدوَّ رسول الله إني لأظنك تعبدُ الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنك لا تدري ما يقول، فإن الله تبارك وتعالى قد طبع على قلبك.

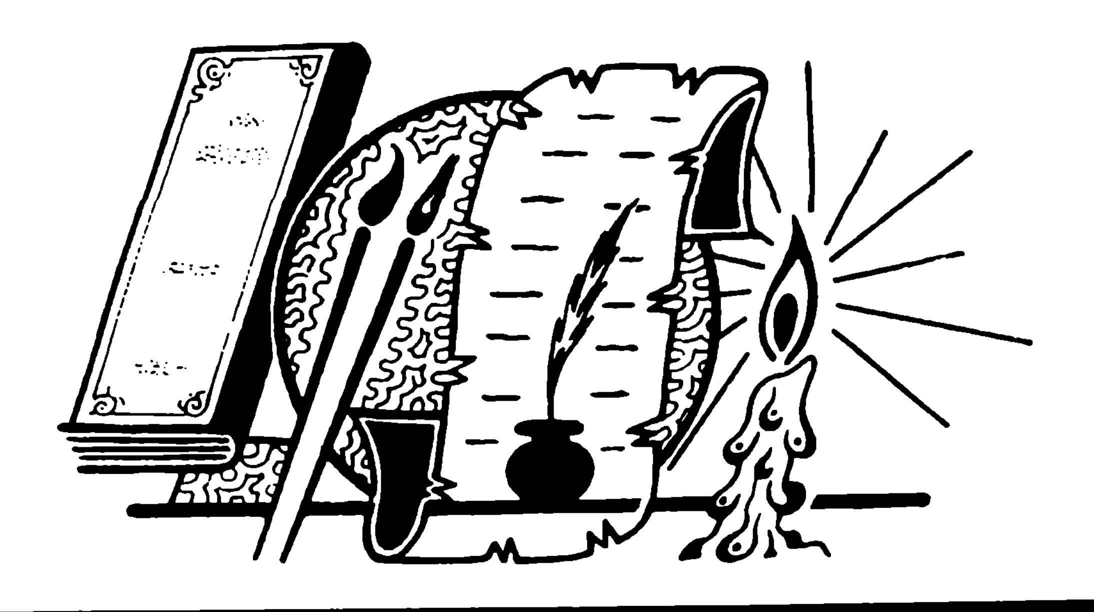
فقال له الحسين عليه السلام: «حسبك، ياأخا بني أسد! فقد قضي القضاء؛ وجفَّ القلم؛ والله بالغ أمره؛ والله إني لأشوق إلى جدي وأبي وأُمي وأخي وأسلافي من «يعقوب» إلى «يوسف» وأخيه، ولي مصرع أنا لاقيه».

* * *



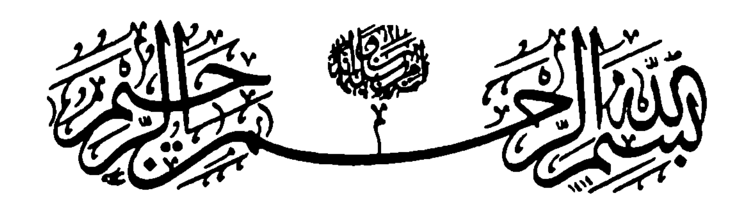
مقتل الامام الحسين

الجزء الثاني



قال الإمام الحسين يوم عاشوراء:

«اللّهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة؛ فلا يدع فيهم أحداً».



الحـمـدُ للّه ربِّ العـالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشـرف المخلوقين محمَّد، الذي كان نبياً وآدم بين الماء والطين، وعلى عترته وذريته أجمعين.

وبعـد: فقد اتَّفـقت الرواة في «المسانيد» و «التـواريخ»، على أنَّ مقـتل الحسين عليه السلام كان ـ يوم عاشوراء ـ العاشر من محرَّم لسنة إحدى وستين مِن الهجرة، وإن اختلفوا: أكان يوم الجمعة أم يوم السبت؟ فلنشر إلى فضل هذا اليوم وشرفه.

١ ـ أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ ناصر السنة أبو القاسم منصور بن نوح الشهرستاني ـ بها وقت رجوعي مِن السفرة الحجازية، أعادها اللّه تعالى، غرَّة شهر جمادي الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة هجرية ـ، أخبرنا شيخ القضاة أبو عليّ إسماعيل بن احمد البيهقي، أخبرنا والدي شيخ السنة أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا السيد أبو الحسين محمد بن الحسين بن داود العلوي ـ قراءة عليه ـ؛ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ـ إملاءً ـ، قالا: أخبرنا أبو محمد حاجب بن احمد الطوسي، حدثنا عبد

الرَّحمن بن منيب، حدثنا حبيب بن محمد المروزي، حدثني أبي، عن إبراهيم بن الصانع، عن ميمون بن مهران، عن ابن عبَّاس، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «مَن صام يوم عاشوراء كُتبت له عبادة ستين سنة بصيامها وقيامها، ومن صام يوم عاشوراء كُتبَ لهُ أجر سبع سماوات، ومن أفطر عنده مؤمناً في يوم عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد صلى الله عليه وآله، ومن أشبع جائعاً في يوم عاشوراء رُفعت له بكل شعرة في رأسه درجة في الجنة».

فقال عمر: يارسول اللّه! لقد فضلنا اللّه عزوجل في يوم عاشوراء.

فقال: «نعم، خلق اللّه السماوات في يوم عاشوراء، وخلق الكرسي في يوم عاشوراء، وخلقَ الجبال في يوم عاشوراء، والنجوم كمثله، وخلق القلم في يوم عاشوراء، واللوح كمثله، وخلق جبرئيل عليه السلام في يوم عاشوراء، وخلق الملائكة كمثله، وخلق آدم في يوم عاشوراء، وحواء كمثله، وخلق الجنة يوم عاشوراء، وأسكن آدم الجنَّة في يوم عاشوراء، وولد إبراهيم خليل الرحمن في يوم عاشوراء، ونجاه اللّه من النار في يوم عاشوراء، وفداه في يوم عاشوراء، وأغرق فرعون في يوم عاشوراء، ورفع إدريس في يوم عاشوراء، وكشف اللّه الكرب عن أيوب في يوم عاشوراء، ورفع عيسى بن مريم في يوم عاشوراء، وولد في يوم عاشوراء، وتاب الله علىٰ آدم في يوم عاشوراء، وغفر ذنب داود في يوم عاشوراء، وأعطى سليمان ملكه في يوم عاشوراء، وولد النبي صلى الله عليه وآله في يوم عاشوراء، واستوى الرب على العرش في يوم عاشوراء، وتقوم القيامة في يوم عاشوراء».

قال الشيخ القاضي أبو بكر: استوى من غير مماسة ولا حركة كما يليق بذاته.

وقال شيخ السنَّة أبو بكر: هذا حديث منكر، وإسناده ضعيف، وفي

متنه ما لا يستقيم، وهو ماروي فيه من خلق السماوات والأرضين والجبال كلّها في يوم عاشوراء، واللّه يقول: ﴿اللّه الَّذي خلقَ السَّماوات والارض في ستَّة أيام ثم استوى على العرش﴾ يونس/٣، ومن المحال أن تكون هذه الستَّة كلّها يوم عاشوراء، فدلَّ ذلك على ضعف هذا الخبر، واللّه أعلم.

٢ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو محمد عبدالله ابن يحيى السكري ببغداد، أخبرني إسماعيل بن محمد الصفار، حدثني أحمد بن منصور، حدثني عبد الرزاق، أخبرني ابن جريج، عن عبد اللّه بن يزيد، أنَّه سمع ابن عباس يقول: ما رايت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يتحرى صيام يوم يلتمس فضله على غيره إلاّ هذا اليوم: يوم عاشوراء؛ وشهر رمضان.

٣ـ قال: وفي «المشاهير»، عن أبي قتادة، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «صيام يوم عاشوراء كفَّارة سنة».

٤ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو الحسين علي ابن محمد الأشعراني، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد اللّه ـ ببغداد ـ، حدثنا جعفر بن محمد، حدثني علي بن مهاجر البصري، حدثني الهيصم بن الشداخ الوراق، حدثني الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد اللّه، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «مَن وسع على عياله في يوم عاشوراء، وسع اللّه عليه في سائر سنته».

وبهذا الإسناد، عن أبي سعيد الخدري مثله.

٥ـ وأخبرنا الإمام سديد الدين محمد بن منصور بن علي المقري المعروف بالديواني ـ بمحلة «نصر آباد» بمدينة الري ـ، أخبرنا الشيخ الإمام أبوالحسين بن أحمد بن الحسين المعروف بالخلادي الطبري، أخبرني القاضي الإمام أبو النعمان عبد الملك بن محمد الهلافاني، أخبرني أبو العباس أحمد

ابن محمد الناطقي، اخبرني احمد بن يونس، حدثني ابو الحسين عليّ بن الحسن الجامعي، حدثني محمد بن نوكرد القصراني، حدثني منجاب بن الحرث، اخبرني عليّ بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن ابيه، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: «يوم عاشوراء يوم تاب اللّه على آدم، واستوت سفينة نوح على الجودي يوم عاشوراء ، وردّ اللّه الملك على سليمان يوم عاشوراء، وفلق البحر لموسى يوم عاشوراء، وغرق فرعون ومن معه يوم عاشوراء، وردّ اللّه على يعقوب بصره يوم عاشوراء، وبعث زكريا رسولاً يوم عاشوراء، وتاب اللّه على يونس يوم عاشوراء، وأخرج يونس من بطن الحوت يوم عاشوراء، ورفع اللّه إدريس مكاناً علياً يوم عاشوراء، وكشف ضرّ أيوب يوم عاشوراء، واخرج يوسف من الجب يوم عاشوراء، وكسا هارون قميص الحياء يوم عاشوراء، وألهم يحيى الحكمة يوم عاشوراء، إن يوم عاشوراء سبعون عيداً فمن وسع على عياله فيه وسع اللّه عليه الى مثلها في السنة».

٦ـ وذكر الحاكم: أن فاطمة عليها السلام ولدت يوم عاشوراء، وأن الحسن والحسين عليهما السلام كذلك ولدا يوم عاشوراء.

ولما كانت لهذا اليوم فضيلة على غيره من الأيام، كانت فيه مصيبة آل الرسول كرامة لهم وفضيلة لجهادهم، ليكون ثوابهم أكثر، ودرجاتهم أعلى وأنبل، وليكون عقاب أعدائهم أعظم، ولعائن اللّه عليهم وعلى أتباعهم يوم القيامة أشد واطول.

عدنا لحديثنا: ولما أصبح الحسين عليه السلام يوم الجمعة عاشر محرَّم ـ وفي رواية: يوم السبت ـ عبأ أصحابه، وكان معه إثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً ـ وفي رواية: إثنان وثمانون راجلاً ـ، فجعل على ميمنته زهير بن

القين، وعلى ميسرته حبيب بن مظاهر، ودفع اللواء إلى أخيه العباس بن عليّ، وثبت عليه السلام مع أهل بيته في القلب.

وعبأ عمر بن سعد أصحابه، فجعل على ميمنته عمرو بن الحجاج، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن، وثبت هو في القلب، وكان جنده إثنين وعشرين ألفاً، يزيد أو ينقص.

٧ـ أخبرنا الإمام الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني ـ إجازة ـ، أخبرنا أبو عليّ الحداد، حدثنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا سلمان بن أحمد، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا الزبير بن بكار، حدثنا محمد بن الحسن، قال: لما نزل القوم بالحسين عليه السلام ، وأيقنَ أنهم قاتلوهم، قام في اصحابه خطيباً، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثُمَّ قال:

«أما بعد ـ فإنَّه نزل من الأمر ما ترون، الا وإن الدُّنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها، وانشمرت[1]، ولم يبق فيها إلاّ كصبابة الإناء من خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحقَّ لا يُعمل به، والباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء ربه، وإني لا أرى الموت إلاّ سعادة، والعيش مع الظالمين إلاّ برما».

٨ ـ وأخبرنا الشيخ الإمام الزاهد، سيف الدين أبو جعفر محمد بن عمر الجمحي ـ كتابةً ـ، أخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسين زيد بن الحسن بن علي البيهقي، أخبرنا السيد الإمام النقيب علي بن محمد بن جعفر الحسني الأسترابادي، حدَّثنا السيد الإمام نقيب النقباء زين الإسلام أبو جعفر محمد ابن جعفر بن علي الحسيني، حدثنا السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين ابن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمَّد بن القاسم بن الحسين

(١) ـ انشمرت: تقلصت فلم تحلب.

ابن زيد بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسيني، حدثنا محمد بن عبد اللّه بن أيوب البجلي، حدثنا عليّ بن عبد العزيز العكبري، حدثنا الحسن بن محمد بن يحيى، عن أبيه، عن تميم بن ربيعة الرياحي، عن زيد بن علي، عن أبيه: «أنّ الحسين عليه السلام خطب أصحابه، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثُمّ قال: أيها الناس خطّ الموت على بني آدم كمخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولعني بالشوق إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وإنّ لي مصرعاً أنا لاقيه، كأني أنظر الى أوصالي تقطعها وحوش الفلوات، غبراً وعفراً قد ملأت مني أكراشها، رضى اللّه رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ليوفينا أُجور الصابرين، لن تشذ عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله لحمته وعترته، ولن تفارقه أعضاؤه، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بها عينه، وتنجز له فيهم عدّته».

٩ـ وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، أخبرني أبي، أخبرني حمزة بن القاسم العلوي، حدثني بكر بن عبد اللّه بن حبيب، حدثني تميم ابن بهلول الضبي أبو محمد، اخبرني عبد اللّه بن الحسين بن تميم، حدثني محمد بن زكريا، حدثني محمد بن عبد الرحمن بن القاسم التيمي، حدّثني عبد اللّه بن محمد بن سليمان بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن، عن أبيه، عن جدِّه، عن عبد اللّه بن الحسن، قال: لما عبأ عمر بن سعد أصحابه لمحاربة الحسين عليه السلام ، ورتبهم في مراتبهم، وأقام الرايات في مواضعها، وعبأ الحسين أصحابه في الميمنة والميسرة، فأحاطوا بالحسين من كلِّ جانب حتى جعلوه في مثل الحلقة، خرج الحسين من أصحابه حتى أتى النّاس فاستنصتهم، فأبوا أن ينصتوا، فقال لهم: «ويلكم، ماعليكم أن تنصتوا إليَّ، فتسمعوا قولي، وإنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان مِن

المرشدين، ومن عصاني كان من المهلكين، وكلكم عاصٍ لأمري، غير مستمع لقولي، قد انخزلت عطياتكم مِن الحرام، وملئت بطونكم من الحرام، فطبع اللّه على قلوبكم، ويلكم الا تنصتون؟ الا تسمعون»؟

فتلاوم أصحاب عمر بن سعد، وقالوا: انصتوا له، فقال الحسين: «تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً، أفحين استصرختمونا ولهين متحيرين، فاصرخناكم مؤدين مستعدين، سللتم علينا سيفاً في رقابنا، وحششتم علينا نار الفتن التي جناها عدوكم وعدونا، فأصبحتم إلباً على أوليائكم، ويداً عليهم لاعدائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، إلاّ الحرام من الدنيا أنالوكم، وخسيس عيش طمعتم فيه، مِن غير حدث كان منا، ولا رأي تفيل[1] لنا فهلاً لكم الويلات إذ كرهتمونا تركتمونا، فتجهزتموها والسيف لم يُشهر، والجاش طامن، والرأي لم يستحصف، ولكن أسرعتم علينا كطيرة الدبا، وتداعيتم إليها كتداعي الفراش، فقبحاً لكم، فإنما انتم من طواغيت الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرِّفي الكتاب، ومطفئي السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمة المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين، وأنتم ابن حرب واشياعه تعتمدون، وإيانا تخذلون. اجل واللّه، الخذل فيكم معروف، وشجت عليه عروقكم، وتوارثته أُصولكم وفروعكم، ونبتت عليه قلوبكم، وغشيت به صدوركم، فكنتم اخبث شيء سنخاً للناصب، وأكلة للغاصب، الا لعنة اللّه على الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم اللّه عليكم كفيلاً، فانتم واللّه هم، الا إن الدعي بن

(١) ـ تفيل: اخطا.

الدعي، قد ركز بين اثنتين: بين القتلة والذلة، وهيهات منا أخذ الدَّنية، أبى اللّه ذلك ورسوله، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأُنوف حمية، ونفوس أبية لا توثر طاعة اللئام، على مصارع الكرام، الا إني قد أعذرت وأنذرت، الا إني زاحف بهذه الأسرة على قلّة العتاد، وخذلة الأصحاب، ثُم أنشدَ:

فإن نهزم فهزّامون قدما وإن نهزم فغير مهزّمينا
وما أن طبّنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا

أما إنه لا تلبثون بعدها إلاّ كريث ما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى، عهد عهدهُ إليَّ أبي، عن جدي ﴿**فاجمعوا أمركم وشركاءكم**[1] **فكيدوني جميعاً ثُم لا تنظرون، إني توكلتُ على اللّه ربي وربكم، ما من دابة إلاّ هو آخذ بناصيتها إنَّ ربي على صراط مستقيم**﴾.

اللّهمَّ! احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة، فلا يدع فيهم أحداً، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنهم غرونا وكذبونا وخذلونا، وأنت ربُّنا، عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير».

ثم قال عليه السلام: «أين عمر بن سعد؟ ادعوا لي عمر»، فدُعي له وكان كارهاً لا يحب أن يأتيه، فقال: «ياعمر! أنت تقتلني، وتزعم أن يوليكَ الدعي بن الدعي بلاد الري وجرجان؟ واللّه، لا تتهنأ بذلك أبداً، عهد معهود، فاصنع ما أنت صانع، فإنَّك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، وكأني برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة، يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضاً

---

(١) ـ اقتبس الآيات من سورتين، الاولى: يونس/٧١، والثانية: هود/٥٥.

بينهم». فغضب عمر بن سعد من كلامه، ثمَّ صرف وجهه عنه، ونادى باصحابه: ما تنظرون به؟ احملوا بأجمعكم إنما هي أكلة واحدة.

ثم إن الحسين عليه السلام دعا بفرس رسول الله صلى الله عليه وآله ـ المرتجز ـ، فركبه وعبأ أصحابه، وزحف عمر بن سعد فنادى غلامه دريداً: قدم رايتكَ يادريد! ثُمَّ وضع سهمه في كبد قوسه، ثُمّ رمى به وقال: اشهدوا لي عند الأمير أني أولُ من رمى، فرمى أصحابه كلّهم بأجمعهم في أثره رشقة واحدة، فما بقي من أصحاب الحسين أحد إلاّ أصابه من رميتهم سهم.

وخرج يسار مولى زياد بن أبيه؛ وسالم مولى عبيد الله بن زياد، فقالا: من يبارزنا؟ فخرج إليهما برير بن خضير؛ وحبيب بن مظاهر، فقال لهما الحسين: اجلسا. فقام عبد الله بن عمير الكلبي، فقال للحسين: ائذن لي أخرج! فرآهُ رجلاً آدم طويلاً، شديد الساعدين، بعيد ما بين المنكبين، فقال: «إني أراه للأقران قاتلاً، أخرج إن شئت»، فخرج إليهما فقالا له: من أنت؟ فانتسب لهما، فقالا له: لا نعرفكَ، ليخرج إلينا ـ زهير ابن القين أو حبيب بن مظاهر ـ، ويسار أمام سالم، فقال له: يابن الزانية! أولكَ رغبة عن مبارزة أحد، وليس أحد من الناس إلاّ وهو خير منك؟ ثم حمل عليه فضربه حتى سكت، وأنَّه لمشتغل به يضربه بسيفه، إذ شدّ عليه سالم، فصاح به أصحابه: العبد قد دهاك، فلم يلتفت إليه حتى جاء سالم وبدره بضربة، فاتقاها الكلبي بيده، فاطار أصابع كفّه، ثم مال عليه الكلبي فقتله، ثُمَّ قُتِلَ بعد ذلك.

قال أبو مخنف: فلما رموهم هذه الرمية قلَّ أصحاب الحسين عليه السلام، فبقي في هؤلاء القوم الذين يذكرون في المبارزة، وقد قتل منهم ما ينيف على خمسين رجلاً، فعندها ضرب الحسين عليه السلام بيده إلى لحيته، فقال: هذه

رسل القوم -يعني السهام-، ثُمَّ قال: «اشتدَّ غضبُ اللّه على اليهود والنصارى إذ جعلوا له ولداً، واشتدَّ غضبُ اللّه على المجوس إذْ عبدت الشمس والقمر والنَّار مِن دونه، واشتدَّ غضبُ اللّه على قوم اتَّفقت آراؤهم على قتل ابن بنت نبيهم، واللّه، لا أجيبهم إلى شيء مما يريدونه أبداً، حتى ألقى اللّه وأنا مخضبٌ بدمي» ثم صاح عليه السلام: «أما مِن مُغيثٍ يُغيثنا لوجه اللّه تعالى؟ أما مِن ذاب يذبُّ عن حرم رسول اللّه»؟

فلمَّا سمع الحر بن يزيد هذا الكلام، اضطرب قلبه، ودمعت عيناه، فخرج باكياً متضرعاً، مع غلام له تركي، وكان كيفية إنتقاله الى الحسين، أنَّه لما سمع هذا الكلام من الحسين اتى إلى عمر بن سعد، فقال له: أمقاتل انت هذا الرجل؟ قال: إي واللّه! قتالاً شديداً أيسَرهُ أن تسقط الرؤوس، وتطيح الايدي، فقال: أما لكم في واحدة من الخصال التي عرضَ عليكم رضى؟ فقال: واللّه، لو كان الأمر إليَّ لفعلتُ، ولكن أميرك قد أبى ذلك.

فأقبل الحر حتى وقف عن النَّاس جانباً ومعه رجل من قومه، يقال له: قرَّة بن قيس، فقال له: ياقرة! هل سقيت فرسك اليوم ماءً؟ قال: لا. قال: أما تُريد أن تسقيه؟ قال قرَّة: فظننت، واللّه، أنَّه يُريد أن يتنحى فلا يشهد القتال، ويكره أن أراه يصنع ذلك مخافة أن أرفع عليه، فقلت له: لم أسقيه وأنا منطلقٌ فاسقيه.

قال: فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه والله لو أطلعني على الذي يُريد لخرجتُ معهُ إلى الحسين، فاخذ يدنو قليلاً قليلاً، فقال له رجل مِن قومه: ياأبا يزيد! إنَّ امرك لمريب، فما الذي تُريد؟ قال: واللّه، إني أُخير نفسي بين الجنَّة والنار، وواللّه، لا اختار على الجنَّة شيئاً ولو قطعت وحرقت.

ثم ضرب فرسه، ولحق بالحسين مع غلامه التركي، فقال: يابن رسول الله! جعلني الله فداك، إني صاحبكَ الذي حبستك عن الرجوع، وسايرتك في الطريق، وجعجعتُ بِك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلاّ هو، ما ظننت القوم يردون عليك ما عرضت عليهم، ولا يبلغون بِك هذه المنزلة، وإني لو سوَّلت لي نفسي أنهم يقتلونكَ ما ركبتُ هذا مِنك، وإني قد جئتك تائباً إلى ربي مما كان مني، ومواسيك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟

قال: «نعم، يتوب الله عليك ويغفر لك، ما اسمك»؟ قال: أنا الحرُّ، قال: «أنت الحر كما سمتك أُمك، أنت الحرُّ في الدنيا والآخرة؛ إنزل»، فقال: أنا لكَ فارساً خير مني لك راجلاً، أُقاتلهم على فرسي ساعة، وإلى النزول ما يصير امري. ثُم قال: يابن رسول الله! كنتُ أوَّل خارجٍ عليك، فاذن لي أن اكون أوَّلَ قتيل بين يديك، فلعلي أن أكون ممن يصافح جدَّك محمداً غداً في القيامة. فقال له الحسينؑ: «إن شئت فأنتَ ممن تاب الله عليه، وهو التواب الرحيم»، فكان أول من تقدَّم إلى براز القوم، الحرّ بن يزيد الرياحي، فانشد في برازه:

إني أنا الحرّ ومأوى الضيف ... اضربُ في أعناقكم بالسيف
عن خير من حلّ بوادي الخيف ... اضربكم ولا أرى مِن حيف

وروي: انَّ الحر لما لحق بالحسينؑ، قال رجل من بني تميم، يقال له يزيد بن سفيان: اما والله، لو لقيت الحر حين خرج لأتبعته السنان، فبينا هو يقاتل، وإنَّ فرسه لمضروب على أُذنيه وحاجبه، وإن الدماء لتسيل، إذ قال الحصين بن نمير: يايزيد! هذا الحرُّ الذي كنت تتمناه، فهل لك به؟ قال: نعم، وخرج إليه، فما لبِثَ الحرّ ان قتلهُ وقتل اربعين فارساً وراجلاً، ولم

يزل يقاتل حتى عرقب فرسه، وبقي راجلاً، فجعل يقاتل وهو يقول:

إن تعقروا بي فأنا ابن الحرّ أشجع مِن ذي لبدة هزبر
ولستُ بالخوار عِند الكرّ لكنّني الثابت عند الفرّ

ثُمَّ لم يزل يقاتل حتى قُتِل، فاحتمله أصحاب الحسين عليه السلام حتى وضعوه بين يدي الحسين وبه رمقٌ، فجعل الحسين يمسح الترابَ عن وجهه، وهو يقول له: «أنتَ الحرُّ كما سمّتك به أمك، أنت الحرّ في الدُّنيا، وأنت الحرّ في الآخرة». ثُمَّ رثاه بعض أصحاب الحسين.

وقال الحاكم الجشمي: بل رثاه علي بن الحسين عليه السلام بقوله:

لَنعمَ الحر حرّ بني رياح صبورٌ عند مشتبكِ الرماح
ونَعمَ الحر إذْ نادى حسين فجاد بنفسه عند الصباحِ

وروي: أنَّه كان ينشد عند مكافحته:

آليت لا أُقتل حتى أُقتلا ولا أُصاب اليوم إلاّ مقبلا
أضربهم بالسيف ضرباً معضلا لا ناكلاً فيهم ولا مهللا

قال: ثُمَّ برز من بعده برير بن خضير الهمداني، وهو يقول:

أنا برير وفتى خضير أضربكم ولا أرى من ضير
يعرف في الخير أهل الخير كذاك فعلُ الخير من برير

وكان برير من عباد اللّه الصالحين، فحمل وقاتل قتالاً شديداً، وجعل ينادي فيهم: اقتربوا مني، ياقتلة المؤمنين! اقتربوا مني، ياقتلة أولاد البدريين! اقتربوا مني، ياقتلة عترة خير المرسلين! فبرز إليه رجل يقال له: يزيد بن معقل، فقال لبرير: أشهدُ أنَّك من المضلّين، فقال له برير: هلمَّ، فلندع اللّه أن يلعن الكاذب منّا، وأن يقتل المحق منا المبطل.

فخرجا، ودعوا اللّه تعالى في ذلك، وتبارزا فضرب يزيد بريراً ضربةً

خفيفة لم تضرّه، وضرب برير يزيداً ضربة قدَّت المغفر، ووصلت إلى دماغه، فسقط قتيلاً، فحمل بجير بن أوس الضبي على برير، وهو مشغول بيزيد، فقتله، ثُمَّ جال في ميدان الحرب، وهو يقول:

سلي تخبري عنّي وأنتِ ذميمة ... غداة حسين والرماح شوارع
ألم آتِ أقصى ما كرهت ولم يحل ... غداة الوغى والروع ما أنا صانع
معي يزني لم تخنه كعوبه ... وأبيض مشحوذ الغرارين قاطع
فجرّدته في عصبة ليس دينهم ... كديني وإني بعد ذاك لقانع
وقد صبروا للطعن والضرب حسرا ... وقد جالدوا لو أنَّ ذلك نافع
فأبلغ عبيد اللّه إما لقيته ... بأني مطيع للخليفة سامع
قتلتُ بريراً ثم جللت نعمة ... غداة الوغى لما دعا من يقارع

ثم إنه ذكر له بعد ذلك أن بريراً كان من عباد اللّه الصالحين، ثم جاءه ابن عم له يقال له: عبيد اللّه بن جابر، فقال له: ويلك، يابجير! أقتلت برير بن خضير؟ بأي وجه تلقى ربك غداً؟ فندم وقال:

فلو شاء ربّي ما شهدت قتالهم ... ولاجعلَ النعماء عند ابن جابر
لقد كان ذاك اليوم عاراً وسبَّة ... تعير به الأبناء عند المعاشر
فياليت أني كنت في الرَّحم حيضة ... ويوم حسين كنتُ في رمس قابر
ويا سوأتي ماذا أقول لخالقي؟ ... وما حجَّتي يوم الحساب القماطر؟

قال: ثُمَّ خرج وهب بن عبد اللّه بن جناب الكلبي، وكانت معه أمه، فقالت له: قم يابُني! فانصر ابن بنت رسول اللّه، فقال: أفعل، ياأُماه! ولا أُقصر إن شاء اللّه، ثم برز، وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن الكلبي ... سوف تروني وترون ضربي
وحملتي وصولتي في الحرب ... أدركُ ثاري بعد ثار صحبي
وأدفع الكرب بيوم الكرب ... فما جلادي في الوغى للعب

ثُم حمل، فلم يزل يقاتل حتى قتل جماعة، فرجع إلى أمه وامرأته فوقف عليهما، فقال: ياأُماه! أرضيت عني؟ فقالت: ما رضيت، او تقتل بين يدي ابن بنت رسول اللّه، فقالت له امرأته: أسالك باللّه ان لا تفجعني بنفسك، فقالت له أُمُّه: لا تسمع قولها، وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت رسول اللّه ليكون غداً شفيعك عند ربِّك. فتقدَّم وهو يقول:

إني زعيمٌ لكِ أُم وهبِ بالطعن فيهم تارة والضرب
فعل غلام مؤمن بالرب حتى يذيق القوم مرَّ الحرب
إني امرؤ ذو مرَّة وعصب ولستُ بالخوار عند النكب
حسبي بنفسي من غليم حسبي إذا انتميت في كرام العرب

ولم يزل يقاتل حتى قطعت يمينه، فلم يبال، وجعل يقاتل حتى قطعت شماله، ثُمّ قُتِل، فجاءت إليه أُمه تمسح الدَّم عن وجهه، فابصرها شمر بن ذي الجوشن، فامر غلاماً له فضربها بالعمود حتى شدخها وقتلها، فهي أوَّل امرأة قتلت في حرب الحسين عليه السلام.

وذكر مجد الأئمة السرخسكي، عن أبي عبد اللّه الحدّاد: أن وهب بن عبد اللّه هذا، كان نصرانياً، فاسلم هو وأمه على يد الحسين عليه السلام، وأنَّه قتل في المبارزة أربعة وعشرين رجلاً، واثني عشر فارساً، فأُخذ اسيراً، وأُتي به عمر بن سعد، فقال له: ماأشدّ صولتك! ثم أمر فضرب عنقه، ورمي برأسه إلى عسكر الحسين، فاخذت أُمه الرأس فقبلته، ثم شدَّت بعمود الفسطاط، فقتلت به رجلين، فقال لها الحسين: «ارجعي ام وهب! فإنَّ الجهاد مرفوع عن النساء». فرجعت، وهي تقول: إلهي لا تقطع رجائي، فقال لها الحسين: «لا يقطع اللّه رجاك، ياأم وهب!، انتِ وولدك مع رسول اللّه وذريته في الجنَّة».

قال: ثم برز من بعده عمرو بن خالد الأزدي، وهو يقول:

اليوم يانفس إلى الرحمن تمضين بالروح وبالريحان
اليوم تجزين على الإحسان قد كان منك غابر الزمان
ماخط باللوح لدى الديّان فاليوم زال ذاك بالغفران
لا تجزعي فكلُّ حيّ فان والصبرُ أحظى لكِ بالأمان

فقاتل حتى قُتِل، ثُمَّ تقدم إبنه خالد بن عمرو بن خالد الأزدي، وهو يقول:

صبراً على الموت بني قحطان كيما نكون في رضى الرَّحمن
ذي المجد والعزَّة والبرهان ياأبتا قد صرتَ في الجنانِ

ثم حمل فقاتل حتّى قتل، ثم خرج من بعده سعد بن حنظلة التميمي وهو يقول:

صبراً على الاسياف والاسنّه صبراً عليها لدخول الجنَّه
وحور عين ناعمات هنّه لمن يريد الفوز لا بالظنّه
يانفس للراحة فاطرحنّه وفي طلاب الخير فارغبنّه

ثم حملَ وقاتلَ قتالاً شديداً فقُتِل، ثم خرج من بعده عمير بن عبد اللّه المذحجي، وهو يقول:

قد علمت سعد وحي مذحج اني ليث الغاب لم اهجهج
أعلو بسيفي هامة المدجّج واتركُ القرن لدى التعرج
فريسة الضبع الأزل الاعرج فمن تراه واقفاً بمنهجي

ولم يزل يقاتل قتالاً شديداً، حتى قتلهُ مسلم الضبابي، وعبد اللّه البجلي، اشتركا في قتلهِ، ثم خرج مسلم بن عوسجة الأسدي وهو يقول:

إن تسـألوا عني فـإني ذو لبـد　　من فـرع قوم من ذرى بني أسـد
فـمن بغـاني حـائد عن الرشـد　　وكـافـر بدين جـبّار صـمـد

ثُمَّ تابعه نافع بن هلال الجملي، وهو يقول:

أنـا عـلـى ديـن عـلـيّ　　إبـن هـلال الجـمـلـي
أضـربكـم بمنـصلـي　　تحت عـجـاج القـسطل

فخرج لنافع رجل من بني قطيعة، فقال لنافع: أنا على دين عثمان، فقال نافع: إذن أنت على دين الشيطان، وحمل عليه فقتله، فأخذ نافع ومسلم يجولان في ميمنة ابن سعد، فقال عمرو بن الحجاج ـ وكان على الميمنة ـ: ويلكم، ياحمقاء مهلاً! أتدرون من تقاتلون؟ إنما تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين، لا يبرزن منكم أحد إلا قتلوه على قلّتهم، واللّه، لو لم ترموهم إلاّ بالحجارة لقتلتموهم.

فقال ابن سعد له: صدقت! الرأي ما رأيت، فارسل في العسكر يعزم عليهم: أن لا يبارز رجل منكم، فلو خرجتم وحداناً لأتوا عليكم مبارزة. ثُمَّ دنا عمرو بن الحجاج من أصحاب الحسين، ثم صاح بقومه: ياأهل الكوفة! ألزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق مِن الدين، وخالف إمام المسلمين.

فقال له الحسين: «يابن الحجاج! أعليَّ تحرّض الناس؟ أنحن مرقنا عن الدين وأنتم ثبتم عليه؟ واللّه، لتعلمنَّ أينا المارق عنِ الدين، ومن هو أولى بصلي النّار».

ثم حمل عمرو بميمنته من نحو الفرات، فاضطربوا ساعة، فصرع مسلم بن عوسجة، وانصرف عمرو بن الحجاج، وارتفعت الغبرة، فإذا مسلم صريع، فمشي إليه الحسين، فإذا به رمق، فقال له الحسين: «رحمك

الله يامسلم! ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾الاحزاب/٢٣، ودنا منه حبيب بن مظاهر، فقال له: عزَّ والله، عليَّ مصرعك يامسلم! ابشر بالجنة. فقال قولاً ضعيفاً: بشرك الله بخير، فقال له حبيب: لولا اني أعلم اني لاحقٌ بِك في اثرك من ساعتي هذه، لاحببتُ أن توصي إليَّ بكل ما اهمَّك، حتى احفظكَ في ذلك، لما أنت أهله في القرابة والدين، فقال له: بلى، أُوصيك بهذا رحمك الله، ـ وأومأ إلى الحسين ـ أن تموت دونه. فقال له: افعل وربِّ الكعبة، فما أسرع من أن مات، فصاحت جارية له: ياسيداه! يابن عوسجتاه! فنادى أصحاب عمر بن سعد مستبشرين: قتلنا مسلم بن عوسجة، فقال شبث بن ربعي لبعض من حوله: ثكلتكم أُمهاتكم! اما انكم تقتلون انفسكم بايديكم، وتذلون عزَّكم، أتفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة؟ اما والذي أسلمت له، لربَّ موقف له في المسلمين كريم، والله، لقد رأيته يوم «آذربيجان» قتل ستَّةً من المشركين قبل أن تلتئم خيول المسلمين.

قال: ثُمَّ حمل شمر بن ذي الجوشن فثبتوا له، وقاتل أصحاب الحسين قتالاً شديداً، وإنما هم إثنان وثلاثون فارساً، فلا يحملون على جانب مِن أهل الكوفة إلاّ كشفوه، فدعا عمر بن سعد بالحصين بن نمير في خمسمائة مِن الرماة، فاقبلوا حتى دنوا مِن الحسين وأصحابه، فرشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم، وقاتلوهم حتى انتصف النهار، واشتد القتال، ولم يقدر أصحاب ابن سعد ان يأتوهم إلاّ من جانب واحد، لاجتماع ابنيتهم وتقارب بعضها من بعض. فارسلَ عمر بن سعد الرجال ليقوّضوا الابنية من عن شمائلهم وايمانهم ليحيطوا بها، وأخذ الثلاثة والاربعة من أصحاب الحسين يتخللون بينها فيشدون على الرجل وهو يقوّض وينتهب،

فيرمونه مِن قريب فيصرعونه ويقتلونه، فأمر عمر بن سعد أن يحرقوها بالنَّار.

فقال الحسين لأصحابه: «دعوهم فليحرقوها، فإنهم لو فعلوا لم يجوزوا إليكم منها». فاحرقوها وكان ذلك كذلك. وقيل: قال له شبث بن ربعي: أفزعت النساء ثكلتك أُمّك! فاستحيى من ذاك وانصرف عنه، وجعلوا لا يقاتلونهم إلاّ من وجه واحد، وشدَّ أصحاب زهير بن القين فقتلوا أبا عذرة الضبابي من أصحاب شمر.

قال: ولا يزال يقتل من أصحاب الحسين الواحد والإثنان، فيتبين ذلك فيهم لقلَّتهم، ويقتل من أصحاب عمر العشرة والعشرون، فلا يتبين ذلك فيهم لكثرتهم.

قال: ورأى أبو ثمامة الصيداوي زوال الشمس، فقال للحسين: ياأبا عبد اللّه! نفسي لك الفداء، أرى هؤلاء قد اقتربوا، ولا واللّه، تقتل حتى أُقتل دونك، وأُحِبُّ أن ألقى ربي وقد صلَّيت هذه الصلاة التي دنا وقتها. فرفع الحسين رأسه إلى السماء، وقال له: «ذكرت الصلاة جعلك اللّهُ من المصلَّين، نعم، هذا أولُ وقتها»، ثم قال: «سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلّي».

فقال له الحصين بن نمير: إنها لا تقبل مِنك، فقال له حبيب بن مظاهر: لا تقبل الصلاة زعمت مِن آل رسول اللّه، وتقبل منك ياختار! فحمل عليه الحصين، وحمل عليه حبيب فضرب حبيب وجه الفرس، فشبَّ الفرس، ووقع عنه الحصين فاحتوشه أصحابه فاستنقذوه.

فقال الحسين لزهير بن القين؛ وسعيد بن عبد اللّه: «تقدَّما أمامي»، فتقدما أمامه في نحو من نصف أصحابه حتّى صلّى بهم صلاة الخوف.

وروي انّ سعيد بن عبدالله الحنفي تقدَّم امام الحسين عليه السلام، فاستهدف له يرمونه بالنبل، فما اخذ الحسين عليه السلام يميناً وشمالاً إلاّ قام بين يديه، فما زال يُرمى حتى سقط إلى الارض، وهو يقول: اللّهمَّ! العنهم لعنَ عاد وثمود، اللّهُمَّ! ابلغ نبيك عني السلام، وابلغه ما لقيتُ مِن الم الجراح، فإني اردتُ بذلك نصرة ذرية نبيك، ثم مات، فوجِد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف، وطعن الرماح.

قال: ثُمَّ خرج عبد الرحمن بن عبد اللّه اليزني، وهو يقول:

انا ابن عبد اللّه من آل يزن ... ديني على دين حسين وحسن
اضربكم ضرب فتى من اليمن ... ارجو بذاك الفوز عند المؤتمن

ثُمّ حمل فقاتل حتى قتل.

ثم خرج من بعده يحيى بن سليم المازني، وهو يقول:

لاضربنَّ اليوم ضرباً فيصلا ... ضرباً طلحفي[1] في العدى مستاصلا
لا عاجزاً عنهم ولا مهللا ... ما انا إلاّ الليث يحمي الاشبلا

ثُمَّ حمل فقاتل قِتالاً شديداً حتى قُتل.

ثم خرج من بعده قرَّة بن ابي قرَّة الغفاري، وهو يقول:

قد علمت حقاً بنو غفّار ... وخندف بعد بني نزار
بانني الليث الهزبر الضاري ... لاضربنَّ معشر الفجّار
بحد عضب ذكر بتّار ... يشع لي في ظلمة الغبار
دون الهداة السادة الابرار ... رهط النبي احمد المختار

ثُمَّ حملَ فقاتلَ حتى قُتِل.

ثم خرج من بعده مالك بن انس الكاهلي، وهو يقول:

(١) شديداً.

قد علمت كاهل ثم دودان والخندفيون وقيس عيلان
بأنَّ قومي آفة للأقران وانني سيدُ تلك الفرسان

ثم حملَ فقاتلَ حتّى قُتِل.

ثم خرج من بعدهِ عمر بن مطاع الجعفي، وهو يقول:

أنا ابن جعفي وابي مطاع وفي يميني مرهف قطّاع
وأسمر سنانه لماع يرى له من ضوئه شعاع
قد طاب لي في يومي القراع دون حسين وله الدفاع

ثُمَّ حَمَلَ فقاتل حتى قُتِل.

ثم خرج من بعده حبيب بن مظاهر الأسدي، وهو يقول:

أنا حبيب وابي مظهر[1] فارسُ هيجاء وحرب تُسعر
فانتم عند العديد اكثر ونحنُ أعلى حجّة واظهر
وانتم عندَ الهياج غدر ونحنُ أوفى منكم واصبر

ثمَّ قاتلَ وجعل يحملُ، ويقول:

أُقسمُ لو كنتم لنا أعدادا أو شطركم وليتم الأكتادا
ياشرَّ قوم حسباً وآدا ويا أشدَّ معشر عنادا

فحملَ عليه رجل من بني تميم فطعنه، فذهب ليقوم فضربه الحصين ابن نمير على راسه بالسيف فوقع، ونزل التميمي فاحتزَّ رأسه، فهدَّ مقتله الحسين، فقال: «عند اللّه أحتسبُ نفسي وحماة أصحابي»، وقيل: بل قتلهُ رجل، يقال له: بديل بن صريم، واخذ راسه فعلّقه في عنق فرسه، فلما دخل الكوفة رآه ابن حبيب بن مظاهر ـ وهو غلام غير مراهق ـ فوثبَ عليه وقتلهُ واخذَ راسهُ.

---

(١) المضبوط مظهر والشعر يشهد له والجاري على الالسن مظاهر.

قال: ثُمَّ خرج من بعده جون مولى أبي ذر الغفاري، وكان عبداً أسود، فجعل يقول وهو يحملُ عليهم:

كيف يرى الفجار ضرب الأسود بالمشـرفي القـاطع المهنّد
أحمي الخيار من بني محمد أذبُّ عنهم باللسان واليد
أرجو بذاك الفوز عند المورد مِنَ الإله الواحد الموحّد

وقاتلَ حتى قُتِل.

ثُمَّ خرج من بعده أنيس بن معقل الأصبحي، فجعل يقول:

أنا أنيس وأنا ابن معقل وفي يميني نصل سيف فيصل
أعلو به الهامات بين القسطل حتّى أزيل خطبه فينجلي
عن الحسين الفاضل المفضل ابن رسول اللّه خير مرسل

ثُم حملَ ولم يزل يُقاتل حتَّى قُتِل.

ثُمَّ خرجَ من بعده يزيد بن مهاصر الجعفي، وهو يقول:

أنا يزيد وأبي مهاصر ليث عرين في العرين خادر
ياربِّ إني للحسين ناصر ولابن سعد تاركٌ وهاجر

ثم حملَ وقاتلَ حتى قُتِل.

ثُمَّ خرج من بعده الحجاج بن مسروق ـ وهو مؤذن الحسين عليه السلام ـ، فجعلَ يقول:

اقدم حسين هادياً مهديّا اليوم نلقى جدَّك النبيا
ثُم أباك ذا العلا عليّا والحسن الخير الرضا الوليا
وذا الجناحين الفتى الكميا وأسد اللّه الشهيد الحيا

ثُمَّ حملَ فقاتلَ حتى قُتِل.

ثم خرجَ مِن بعده زهير بن القين البجلي، وهو يقول:

أنا زهيـــر وأنا ابن القين أذودكم بالسيف عن حسين
إنَّ حسيناً أحدُ السبطين من عترةِ البرّ التقي الزين
ذاك رسولُ اللّه غير المين اضربكم ولا ارى من شين

وروي انّ زهيراً لما اراد الحملة وقف على الحسين عليه السلام، وضرب على كتفه، وقال: أقدم حسين هادياً مهديّا الابيات التي تقدَّمت للحجاج بن مسروق، فلا أدري أهو منشؤها، أم الحجاج بن مسروق، ثُمّ قاتل قتالاً شديداً. فشدَّ عليه كثير بن عبد اللّه الشعبي؛ ومهاجر بن أوس التميمي، فقتلاه فقال الحسين حين صرع زهير: «لا يبعدنَّك اللّه يازهير! ولعن اللّه قاتلك، لعن الَّذين مسخهم قردة وخنازير».

ثم خرجَ من بعده سعيد بن عبد اللّه الحنفي، وهو يقول:

أقدم حسين اليوم نلقى أحمدا وشيخك الخير علياً ذا الندى
وحسناً كالبدر وافى الأسعدا وعمكَ القرم الهجان الأصيدا
وحمزةَ ليث الإله الأسدا في جنَّة الفردوس نعلو صعداً

فحملَ وقاتل حتّى قُتل.

وروي: انَّ هذه الأبيات لسويد بن عمرو بن أبي المطاع واللّه أعلم.

قال: ثُمَّ خرج من بعده نافع بن هلال الجملي، وقيل: هلال بن نافع، وجعل يرميهم بالسهام فلا يخطئ، وكانَ خاضباً يده، وكان يرمي ويقول:

أرمي بها معلمة أفواقها والنفس لا ينفعها إشفاقها
مسمومة يجري بها أخفاقها لتملأن أرضها رشاقها

فلم يزل يرميهم حتى فنيت سهامه، ثُمَّ ضرب إلى قائم سيفه فاستلّه، وحملَ، وهو يقول:

أنا الغلام اليمني الجملي دِيني على دين حسين وعليّ
إن أُقتل اليوم فهذا أملي وذاك رأيي وألاقي عملي

فقتلَ ثلاثة عشر رجلاً حتى كسر القوم عضديه، وأخذوه أسيراً، فقام شمر بن ذي الجوشن فضربَ عنقه.

ثمَّ خرج من بعده جنادة بن الحرث الأنصاري، وهو يقول:

أنا جنادة أنا ابن الحارث لستُ بخوار ولا بناكث
عن بيعتي حتى يقوم وارثي من فوقِ شلو في الصعيد ماكث

فحملَ ولم يزل يُقاتل حتى قُتِل.

ثُمّ خرجَ من بعده عمرو بن جنادة، وهو ينشد ويقول:

أضق الخناق من ابن هند وأرمه في عقره بفوارس الأنصار
ومهاجرين مخضبين رماحهم تحت العجاجة من دَم الكفّار
خضبت على عهد النبي محمد فاليوم تخضب من دمِ الفجّار
واليوم تخضب من دماء معاشر رفضوا القرآن لنصرة الأشرار
طلبوا بثارهم ببدر وانثنوا بالمرهفات وبالقنا الخطّار
واللّه ربي لا ازال مضارباً للفاسقين بمرهف بتّار
هذا عليّ اليوم حقّ واجب في كلِّ يوم تعانق وحوار

ثُمَّ حمل فقاتلَ حتى قُتِل.

ثمَّ خرج من بعده شاب قُتل أبوهُ في المعركة، وكانت أُمّه عنده، فقالت: يابُني! اخرج فقاتل بين يدي ابن رسول اللّه حتى تقتل. فقال: أفعل! فخرجَ، فقال الحسين: «هذا شابٌ قُتِل أبوه، ولعل أمهُ تكره خروجه»، فقال الشاب: أمي أمرتني يابن رسول اللّه! فخرج وهو يقول:

أميري حسين ونعم الأمير سرور فؤاد البشير النذير

عـليّ وفـاطـمـة والـداه فهل تعلمون لهُ من نظير

ثُمَّ قـاتلَ فَقُتل، وحُزَّ رأسهُ ورمي به إلى عـسكر الحسين، فـاخذت أمـه رأسه، وقالت له: أحسنتَ يابُني! ياقـرة عيني وسرور قلبي! ثُمَّ رمت برأس ابنها رجلاً فقتلته، وأخذت عمود خيمة، وحملت على القوم، وهي تقول:

أنا عجوزٌ في النسا ضعيفة بالـيـة خـاويـة نـحـيـفـة
أضربكم بضربة عنـيـفـة دون بنـي فاطمـة الشريفة

فضربت رجلين فقتلتهما، فامر الحسين عليه السلام بصرفها ودعا لها.

ثمَّ خرج عمرو بن قرظة الأنصاري، وهو يقول:

قد علمت كتـيـبة الأنـصـار أني أحـمـي حـوزة الذمـار
ضرب غلام غير نكس شار دون حسين مهجتي وداري

ثُمَّ حملَ فقاتلَ قتالاً شديداً حتى قُتِل.

ثم خرج من بعده عبد الرَّحمن بن عروة، وجعل يقول:

قد علمت حقاً بنو غفار وخندف بعد بنـي نـزار
لأضربن معشر الأشرار بالمشرفي الصـارم البتـار

ثُمَّ قاتلَ حتى قُتِل.

قـال: وجاء عـابس بن شبيب الشـاكـري، ومعـه شوذب مـولى شاكر فقال: ياشوذب! مافي نفسك أن تصنع؟ قال: وما أصنع! أقاتل حتى أُقتل، فقـال لـه: ذلك الظنُّ بك، فتقـدَّم بـين يدي ـ أبي عـبـد اللّه ـ، أحتسبكَ ويحتسبك كما احتسبَ غيرك، فإن هذا اليوم ينبغي لنا أن نطلبُ فيه الأجر بكل مـا قـدرنا عليه، فـانه لا عـملَ بعـد اليـوم، وإنما هو الحسـاب. ثُمَّ تقـدم فسلم على الحسين، وقال له: ياأبا عـبد اللّه! أمـا واللّه، ما أمسى عـلى ظهر الأرض قـريب ولا بعيـد أعـزّ عليَّ ولا أحبّ إليَّ منك، ولو قـدرت على أن

أدفع عنك الضيم والقتل بشيءٍ أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلت، السلام عليك، ياأبا عبد الله! اشهد أني على هداك وهدى أبيك، ثُمَّ مشى بالسيف نحوهم.

قال ربيع بن تميم: فلما رأيته مقبلاً عرفته ـ وقد كنت شاهدته في المغازي ـ فكانَ أشجع الناس، فقلت للقوم: أيها الناس! هذا اسد الأُسود، هذا ابن شبيب، لا يخرجنَّ إليه أحد منكم. فأخذ ينادي: ألا رجل؟ ألا رجل؟ فقال عمر بن سعد: أرضخوه بالحجارة، فرمي بالحجارة من كلِّ جانب، فلا رأى ذلك ألقى درعه ومغفره، ثُمَّ شدَّ على الناس، فوالله، لقد رأيته يطرد أكثر من مائتين مِن الناس، ثم تعطفوا عليه مِن كلِّ جانب فقتِل، فرأيتُ رأسهُ في أيدي رجال ذوي عدَّة، هذا يقول: أنا قتلته! وهذا يقول: أنا قتلته! فقال عمر بن سعد: لا تختصموا، هذا والله لم يقتله إنسان واحد، ففرق بينهم بهذا القول.

ثُمَّ جاء عبد الله؛ وعبد الرحمن الغفاريان، فقالا: السلامُ عليك ياأبا عبد الله! أحببنا أن نقتلَ بين يديكَ، وندفع عنك، فقال: «مرحباً بكما، أدنوا مني»، فدنوا منه وهما يبكيان، فقال لهما: «يابني أخي! ما يبكيكما، فوالله، إني لأرجو أن تكونا عن ساعة قريري العين»؟ فقالا: جعلنا الله فداك، لا، والله ما نبكي على أنفسنا، ولكن نبكي عليكَ، نراك قد أُحيطَ بِك ولا نقدر أن نمنع عنك، فقال: «جزاكما الله، يابني أخي! بوجدكما من ذلك، ومواساتكما إياي بانفسكما احسن جزاء المتقين»، ثمَّ استقدما، وقالا: السلامُ عليكَ، يابن رسول الله! فقال: «وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته»، فخرجا وقاتلا قِتالاً شديداً حتى قُتلا.

ثمَّ جاء سيف بن الحرث بن سريع؛ ومالك بن عبد الله بن سريع

الجابريان بطن من همدان، يقال لهم: بنو جابر، فتقدما أمام الحسين عليه السلام، ثُمَّ التفتا إليه، وقالا: السلامُ عليكَ، ياأبا عبد اللّه! فقال: «وعليكما السلام ورحمة اللّه وبركاته»، ثمَّ خرجا فقاتلا قتالاً شديداً حتى قُتلا.

ثُمَّ خرجَ غلام تركي مبارز، قارئ للقرآن، عارف بالعربية، وهو من موالي الحسين، فجعل يقاتل ويقول:

البحر من طعني وضربي يصطلي والجوُ من سهمي ونبلي يمتلي
إذا حسامي في يميني ينجلي ينشقُّ قلبُ الحاسدِ المبجل

فقتلَ جماعة، فتحاوشوه فصرعوه، فجاءه الحسين وبكى ووضع خدَّه على خده، ففتح عينيه، ورآه فتبسَّم، ثُمَّ صار إلى ربه.

ثم جاء إليه عمر بن خالد الصيداوي، فقال: السلامُ عليكَ، ياأبا عبداللّه! قد هممتُ أن ألحق بأصحابي، وكرهتُ أن أتخلَّف فأراكَ وحيداً من أهلك قتيلاً، فقال له الحسين: «تقدَّم، فإنا لاحقون بكَ عن ساعة»، فتقدم وقاتلَ قتالاً شديداً، حتى قُتِل.

ثم جاء إليه حنظلة بن أسعد العجلي الشبامي، فوقف بين يدي الحسين يقيه السهام والرماح والسيوف بوجهه ونحره، وأخذ ينادي: ياقوم! ﴿**إني أخافُ عليكم مثل يوم الأحزاب * مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، وما اللّه يريد ظلماً للعباد * ويا قوم إني أخافُ عليكم يوم التناد * يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم**﴾غافر/ ٣٠-٣٣. ياقوم لا تقتلوا حسيناً ﴿**فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى**﴾طه/ ٦١.

فقال له الحسين: «يابن أسعد! رحمك اللّه، إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا عليكَ ما دعوتهم إليه من الحق، ونهضوا إليكَ يشتمونك وأصحابك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين»؟ فقال:

صدقت، جعلتُ فداك، أفلا نروح إلى ربنا فنلحق بإخواننا؟ فقال له الحسين: «رُح إلى ما هو خير لكَ من الدُّنيا ومافيها، وإلى ملك لا يُبلى»، فقال: السلامُ عليكَ، يابن رسول اللّه! وعلى أهل بيتك، وجمع اللّه ببيننا وبينك في الجنَّة. فقال الحسين: «آمين! آمين!» ثُمَّ استقدم فقاتلَ قتالاً شديداً، فحملوا عليه فقتلوه.

ثُمَّ رماهم يزيد بن زياد أبو الشعثاء بمائة سهم ما أخطأ منها بخمسة أسهم، وكان كلما رمى، قال الحسين: «اللّهُمَّ! سددّ رميته، واجعل ثوابه الجنَة»، فحملوا عليه فقتلوه.

وكان يأتي الحسين الرجل بعد الرَّجل، فيقول: السلامُ عليكَ، يابن رسول اللّه! فيجيبه الحسين: «وعليك السلامُ، ونحن خلفك، ويقرأ: ﴿فمنهم مَن قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾»الاحزاب/٢٣، ثُمَّ يحمل فيقتل حتى قُتِلوا عن آخرهم (رضوان اللّه عليهم)، ولم يبقَ مع الحسين إلاّ أهل بيته.

أقول: وهكذا يكون المؤمن: يؤثر دينه على دنياه؛ وموته على حياته في سبيل الله ينصر الحقَّ وإن قُتِلَ، قال الله تعالى: **﴿ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيلِ الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾**آل عمران/١٦٩، وقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «كلُّ قتيل في جنب اللّه شهيد»، ولما وقف رسول اللّه صلى الله عليه وآله على شهداء «أُحد» وفيهم حمزة بن عبد المطلب، قال: «أنا شهيدٌ على هؤلاء القوم، زملوهم بدمائهم، فإنهم يُحشرونَ يوم القيامة وكلومهم رواء، وأوداجهم تشخب دماً، فاللونُ لون الدمِ، والريحُ ريحُ المسكِ، فهم كما قيل:

كستهُ القنا حلة من دم فأضحت لرائيه من أرجوان
جزته معانقة الدارعين معانقة القاصرات الحسان

وروى النّاصر للحق، عن آبائه (رضوان اللّه عليهم)، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، أنه قال: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة، ولو أتوا بذنوب أهل الأرض: الضارب بسيفه أمام ذريتي؛ والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في حوائجهم، والمحبُّ لهم بقلبه ولسانه».

جعلنا اللّه من محبيهم، ورزقنا شفاعة جدهم بمنه وسعة رحمته.

قال: ولما قُتِل أصحاب الحسين عليه السلام، ولم يبق إلاّ أهل بيته، وهم: ولد عليّ؛ وولد جعفر؛ وولد عقيل؛ وولد الحسن؛ وولده، اجتمعوا وودَّع بعضهم بعضاً، وعزموا على الحرب، فأوَّل من خرج من أهل بيته عبد اللّه ابن مسلم بن عقيل، فخرج وهو يقول:

اليوم ألقى مسلماً وهو أبي وفتية بادوا على دين النبي
ليسوا كقوم عرفوا بالكذبِ لكن خيار وكرام النسب

ثُمَّ حمل فقاتلَ وقتلَ جماعةً ثُمَّ قُتِل.

فخرج من بعده جعفر بن عقيل بن أبي طالب، فحمل وهو يقول:

أنا الغلام الأبطحي الطالبي من معشرٍ في هاشمٍ وغالبَ
فنحنُ حقاً سادة الذوائب فِينا حسيَن أطيب الأطائبَ

وقاتل حتى قُتِل.

ثم خرج من بعده أخوه عبد الرحمن بن عقيل، فحملَ وهو يقول:

أبي عقيل فاعرفوا مكاني من هاشمٍ وهاشم إخواني
فينا حسين سيدُ الأقران وسيدُ الشِباب في الجنان

فقاتلَ حتى قتلهُ عثمان بن خالد.

ثمَّ خرج من بعده محمد بن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب، فحمل وهو يقول:

نشكوا إلى اللّه مِن العدوان فعال قوم في الردى عميان
قد تركوا معالم القرآن وأظهروا الكفر مع الطغيان

فقاتل قتالاً شديداً حتى قُتِل.

ثم خرجَ من بعده عون بن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب، فحملَ وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن جعفر شهيدُ صدقٍ في الجنان أزهر
يطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شَرفاً في معشر

فقاتل حتى قُتِل، قيل: قتلهُ عبد اللّه بن قطبة.

ثمَّ خرجَ من بعده عبد اللّه بن الحسن بن علي بن أبي طالب في بعض الروايات، وفي بعض الروايات: القاسم بن الحسن وهو غلام صغير لم يبلغ الحلم، فلما نظر إليه الحسين إعتنقه، وجعلا يبكيان حتى غشي عليهما، ثمَّ استأذن الغلام للحرب فأبى عمُّه الحسين أن يأذن له، فلم يزل الغلام يقبّل يديه ورجليه ويسأله الإذن حتى أذِنَ له، فخرج ودموعه على خديه، وهو يقول:

إن تنكروني فأنا فرع الحسن سبط النبي المصطفى والمؤتمن
هذا حسينٌ كالأسير المرتهن بين أُناس لا سقوا صوب المزن

وحملَ، وكأنَّ وجهه فلقة قمر، وقاتل فقتل ـ على صغر سنه ـ خمسة وثلاثين رجلاً.

قال حميد بن مسلم: كنتُ في عسكر ابن سعد، فكنتُ أنظر إلى الغلام، وعليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسع إحداهما، ما أنسى أنَّه كان شسع اليسرى، فقال عمرو بن سعد الازدي: واللّه، لأشدَّن عليه، فقلت: سبحان اللّه! ما تريد بذلك؟ فواللّه، لو ضربني ما بسطت له يدي،

يكفيك هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه، قال: والله، لافعلنَّ! وشدَّ عليه، فما ولى حتى ضرب رأسه بالسيف، فوقع الغلام لوجهه وصاح: ياعماه! فانقض عليه الحسين كالصقر، وتخلّل الصفوف، وشدَّ شدَّة الليث الحرب، فضرب عمراً بالسيف فاتقاه بيده، فأطنها مِن المرفق فصاح، ثمَّ تنحى عنه، فحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوه، فاستقبلته بصدورها، ووطأته بحوافرها، فمات وانجلت الغبرة، فإذا بالحسين قائم على رأس الغلام، وهو يفحص برجليه، والحسين يقول: «عز والله على عمِّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبكَ فلا يعينك، أو يعينكَ فلا يُغني عنك، بعداً لقوم قتلوكَ، الويل لقاتلكَ»، ثم احتمله فكأني أنظر الى رجلي الغلام تخطان الأرض، وقد وضع صدره إلى صدره. فقلتُ في نفسي: ما ذا يصنع به؟ فجاء به حتى ألقاه مع القتلى من أهل بيته، ثم رفع طرفهُ إلى السماء، وقال: «اللّهُمَّ! احصهم عدداً، ولا تغادر منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً، صبراً يابني عمومتي! صبراً ياأهل بيتي! لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً».

ثم خرج عبد الله بن الحسن الذي ذكرناه أولاً ـ في رواية ـ والأصح أنه برز بعد القاسم في الرواية الثانية، وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن حيدره ضرغام آجام وليث قسوره
على الأعادي مثل ريح صرصره أكيلكم بالسيف كيل السندره

وقاتلَ حتى قُتِل، وهاتان الروايتان وقع فيهما الشك بالسَّابق منهما.

ثم تقدَّم إخوة الحسين عليه السلام عازمين على أن يقتلوا مِن دونه، فأول مَن تقدَّم منهم: أبو بكر بن عليّ، واسمه عبد الله، وأمهُ ليلى بنت مسعود بن خالد بن ربعي بن مسلم بن جندل بن نهشل بن دارم التميمية، فبرز أبوبكر، وهو يقول:

شيخي عليّ ذو الفخار الأطول من هاشم الصدقِ الكريم المفضل
هذا الحسين ابن النبي المرسل نذودُ عنه بالحسام الفيصل
تفديه نفسي من أخٍ مبجل يارب فامنحني ثواب المجزل

فحمل عليه زحر بن قيس النخعي فقتله، وقيل: بل رماه عبد الله بن عقبة الغنوي فقتله.

ثم خرج من بعد أبي بكر بن عليّ، أخوه عمر بن عليّ، فحمل وهو يقول:

أضربكم ولا أرى فيكم زحر ذاك الشقيُّ بالنبي قد كفر
يازحر يازحر تدان من عمر لعلك اليوم تبوء بسقر
شرّ مكان في حريق وسعر فإنَّك الجاحد ياشر البشر

ثم قصد قاتِل أخيه فقتله، وجعل يضرب بسيفه ضرباً منكراً، ويقول في حملاته:

خلوا عداة الله خلوا عن عمر خلوا عن الليث العبوس المكفهر
يضربكم بسيفه ولا يفر وليس يغدو كالجبان المنحجر

ولم يزل يُقاتل حتى قُتِل.

ثم خرج من بعده عثمان بن علي وأمه أُم البنين بنت حزام بن خالد، من بني كلاب، وهو يقول:

إني أنا عثمان ذو المفاخر شيخي عليّ ذو الفعال الطاهر
صنو النبي ذي الرشاد السائر ما بين كل غائب وحاضر

ثُمَّ قاتلَ حتى قُتِل.

ثم خرج من بعده أخوه جعفر بن علي، وأمه أُم البنين أيضاً، فحمل وهو يقول:

إني أنا جعفر ذو المعالي ... نجلُ علي الخير ذو النوال
أحمي حسيناً بالقنا العسال ... وبالحسام الواضح الصقال

ثم قاتل حتى قُتِل.

ثم خرج من بعده أخوه عبد اللّه بن علي، وأمه أم البنين أيضاً، فحملَ وهو يقول:

أنا ابن ذي النجدة والافضال ... ذاك عليٌّ الخير في الفعالِ
سيف رسول اللّه ذو النكال ... وكاشف الخطوب والأهوالَ

فحملَ وقاتلَ حتى قُتِل.

ثم خرجَ مِن بعده العباس بن عليّ، وأمه أم البنين أيضاً، وهو «السقاء»، فحملَ وهو يقول:

اقسمتُ باللّه الأعزّ الأعظم ... وبالحجون صادقاً وزمزم
وبالحطيم والفنا المحرَّم ... ليخضبنّ اليوم جسمي بدمي
دون الحسين ذي الفخار الأقدم ... إمام أهل الفضل والتكرم

فلم يزل يقاتل حتى قتلَ جماعةً من القوم، ثُمَّ قُتِل، فقال الحسين: «الآن انكسر ظهري، وقلَّت حيلتي».

فتقدم عليٌّ بن الحسين، وأمه ليلى بنت أبي مرَّة بن عروة بن مسعود الثقفي ـ، وهو يومئذ ابن ثمان عشرة سنة، فلما رآه ـ الحسين ـ رفع شيبته نحو السماء، وقال: «اللّهُمَّ اشهد على هؤلاء القوم، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك محمدﷺ، كنا إذا اشتقنا إلى وجه رسولك نظرنا إلى وجهه، اللّهم! فامنعهم بركات الأرض، وإن منعتهم ففرقهم تفريقاً، ومزقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا، ثُمَّ عدوا علينا يقاتلونا ويقتلونا».

ثم صاح الحسين بعمر بن سعد: «مالك! قطع الله رحمك، ولا باركَ الله في أمرك، وسلَّط عليك من يذبحك على فراشك، كما قطعت رحمي، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله» ثم رفع صوته وقرأ: «﴿**إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم**﴾«آل عمران/ ٣٣» .

ثم حمل علي بن الحسين وهو يقول:

أنا عليُّ بن الحسين بن علي   نحنُ وبيتُ الله أولى بالنبي
والله، لا يحكم فينا ابن الدَّعي   أطعنكم بالرمح حتى ينثني
أضربكم بالسيف حتى يلتوي   ضرب غلام هاشمي علوي

فلم يزل يقاتلُ حتى ضج أهل الكوفة لكثرة من قتلَ منهم، حتى أنه روي: أنه على عطشه قتل مائة وعشرين رجلاً، ثم رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة، فقال: ياأبة! العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة من ماء سبيل أتقوى بها على الأعداء؟ فبكى الحسين وقال: «يابُني! عزَّ على محمد؛ وعلى علي؛ وعلى أبيك، أن تدعوهم فلا يجيبونك، وتستغيث بهم فلا يغيثونك، يابني! هات لسانك»، فأخذَ لسانه فمصه، ودفع إليه خاتمه، وقال له: «خذ هذا الخاتم في فيك وارجع إلى قتال عدوك، فإني أرجو أن لا تُمسي حتى يسقيكَ جدُّك بكأسه الأوفى شربةً لا تظمأ بعدها أبداً»، فرجع علي بن الحسين إلى القتال، وحمل وهو يقول:

الحرب قد بانت لها حقائق   وظهرت من بعدها مصادق
والله، ربِّ العرش لا نفارق   جموعكم أو تغمد البوارق

وجعلَ يُقاتل حتى قتل تمام المائتين، ثُمَّ ضربه منقذ بن مرَّة العبدي على مفرق رأسه ضربة صرعه فيها، وضربه الناس بأسيافهم، فاعتنق الفرس

فحمله الفرس إلى عسكر عدوه، فقطعوه بأسيافهم إرباً إرباً، فلما بلغت روحه التراقي، نادى بأعلى صوته: ياأبتاه! هذا جدي رسول الله صلى الله عليه وآله قد سقاني بكاسه الأوفى شربة لا أظما بعدها أبداً، وهو يقولُ لك: العجل فإنَّ لك كاساً مذخورة، فصاح الحسين: «قتلَ الله قوماً قتلوك، يابني! ما أجراهم على الله، وعلى انتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله؟! على الدنيا بعدك العفا».

قال حميد بن مسلم: لكأني أنظر الى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس طالعة، تنادي بالويل والثبور، تصيح: واحبيباه! واثمرة فؤاداه! وانور عيناه! فسألتُ عنها، فقيل: هي زينب بنت علي، ثم جاءت حتى انكبت عليه، فجاء إليها الحسين حتى أخذ بيدها، وردّها إلى الفسطاط، ثم أقبل مع فتيانه إلى ابنه فقال: إحملوا أخاكم، فحملوه من مصرعه حتى وضعوه عند الفسطاط الذي يقاتلون أمامه.

قال: وخرج غلام من تلك الأبنية في أُذنيه قرطان، وهو مذعور فجعل يلتفت يميناً وشمالاً وقرطاه يتذبذبان، فحمل هاني بن بعيث فقتله، ثم التفت الحسين عن يمينه وشماله فلم يرَ أحداً من الرجال، فخرج علي بن الحسين وهو زين العابدين وهو أصغر من أخيه عليّ القتيل، وكان مريضاً، وهو الذي نسل آل محمد عليهم السلام[1] فكان لا يقدر على حمل سيفه، وأم كلثوم تنادي خلفه: يابُني ارجع! فقال: «ياعمتاه! ذريني أُقاتل بين يدي ابن رسول الله»، فقال الحسين: «ياأمُ كلثوم! خذيه ورديه، لا تبقَ الأرض خالية من نسل آل محمد»، ولما فجع بأهل بيته وولده ولم يبقَ غيره وغير النساء والأطفال وغير ولده المريض، نادى: «هل من ذابٍّ يذبُ عن حرم رسول

(١) ـ يعني ان نسل الحسين منه، فان اولاده لم يبق منهم سواه.

اللّه؟ هل من موحدٍ يخافُ اللّه فينا؟ هل مِن مغيث يرجواللّه في إغاثتنا؟ هل مِن معين يرجو ما عند اللّه في إعانتنا؟»، فارتفعت أصوات النساء بالعويل، فتقدم إلى باب الخيمة وقال: «ناولوني علياً الطفل حتى أُودعه»، فناولوه الصبي، فجعل يقبله ويقول: «ويل لهؤلاء القوم إذا كان خصمهم جدّك» فبينا الصبي في حجره إذ رماه حرملة بن الكاهل الأسدي فذبحه في حجره، فتلقى الحسين دمه حتى امتلأت كفه، ثم رمى به نحو السماء، وقال: «اللّهمَّ! إن حبست عنا النصر، فاجعل ذلك لما هو خير لنا».

ثم نزلَ الحسين عن فرسه، وحفر للصبي بجفن سيفه، وزمله بدمه، وصلّى عليه، ثم قام وركب فرسه، ووقف قبالة القوم مصلّتاً سيفه بيده، ايساً من نفسه، عازماً على الموت، وهو يقول:

«أنا ابنُ عليّ الخير مِن آل هاشم ... كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وجدي رسول اللّه أكرم من مضى ... ونحنُ سراج الله في الأرض نزهر
وفاطمة أُمي ابنة الطهر أحمد ... وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر
وفينا كتاب اللّه أُنزل صادعاً ... وفينا الهدى والوحي بالخير يذكر
ونحنُ أمانُ اللّه في الخلق كلهم ... نسرُّ بهذا في الأنام ونجهر
ونحنُ ولاة الحوض نسقي محبنا ... بكاس وذاك الحوض للسقي كوثر
فيسعد فينا في القيام محبنا ... ومبغضنا يوم القيامة يخسر»

ثم أنشد كما قيل:

«كفر القوم وقدماً رغبوا ... عن ثواب الله رب الثقلين
قتلوا قدماً علياً وابنه ... حسن الخير وجاءوا للحسين
خيرة اللّه مِن الخلق أبي ... بعد جدي فأنا ابن الخيرتين»

وذكر السلامي في «تاريخه»: أن الحسين أنشأ هذه الأبيات، وليسَ

لأحد مثلها وهي قوله:

«فإن تكن الدنيا تعدُّ نفيسة فدار ثواب اللّه أعلى وأنبل
وإن تكن الأبدان للموت أُنشئت فقتل امرئٍ في اللّه بالسيف أفضل
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدّراً فقلّةُ حرصِ المرء في الكسب أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل؟
سأمضي وما بالقتل عارٌ على الفتى إذا في سبيل اللّه يمضي ويقتل»

ثم إنَّه عليه السلام دعا النَّاس إلى البراز، فلم يزل يقتلُ كل من دنا إليه مِن عيون الرجال حتى قتلَ منهم مقتلةً عظيمة، فحالوا بينه وبين رحله فصاح بهم: «ويحكم، ياشيعة آل ابي سفيان! إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عُرباً كما تزعمون».

فناداه شمر: ما تقول ياحسين؟ فقال: «أقولُ أنا الذي أُقاتلكم وتقاتلوني، والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم وطغاتكم وجهالكم عن التعرض لحرمي مادمتُ حياً». فقال له شمر: لك ذلك يابن فاطمة! ثم صاح شمر بأصحابه: إليكم عن حرم الرجل، واقصدوه بنفسه، فلعمري، لهو كفو كريم! فقصده القوم بالحرب مِن كل جانب، فجعلَ يحملُ عليهم ويحملون عليه، وهو في ذلك يطلبُ الماء ليشرب منه شربةً، فكلما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه، حتى أجلوه عنه، ثم رماه رجل يقال له: أبو الحتوف الجعفي بسهم فوقع السهم في جبهته، فنزع الحسين السهم، ورمى به، فسال الدمُ على وجهه ولحيته، فقال: «اللّهُمَّ! قد ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة العتاة، اللّهُمَّ! فاحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تذر على وجه الارض منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً».

ثم حملَ عليهم كالليث المغضب، فجعل لا يلحق أحداً إلاّ بعجه بسيفه وألحقهُ بالحضيض، والسهام تأخذه من كل ناحية، وهو يتلقاها بنحره وصدره، ويقول: «ياأُمَّة السوء! بئسما خلفتم محمداً صلى الله عليه وآله في عترته، أما إنكم لن تقتلوا بعدي عبداً من عباد اللّه الصالحين، فتهابوا قتله، بل يهون عليكم عند قتلكم إياي، وايم اللّه، إني لأرجو أن يُكرمني ربي بهوانكم، ثُمَّ ينتقم منكم من حيث لا تشعرون».

فصاح به الحصين بن مالك السكوني: يابن فاطمة! بماذا ينتقم لك منّا؟ فقال: «يلقي بأسكم بينكم، ويسفك دماءكم، ثم يصبّ عليكم العذاب الأليم». ثم جعل يُقاتل حتى أصابته اثنتان وسبعون جراحة، فوقف يستريح وقد ضعف عن القتال، فبينا هو واقف إذ أتاه حجر فوقع على جبهته، فسالت الدماء من جبهته، فأخذ الثوب ليمسح عن جبهته فأتاه سهم محدَّد، مسموم، له ثلاث شعب، فوقع في قلبه، فقال الحسين عليه السلام: «بسم اللّه وباللّه وعلى ملة رسول اللّه ـ ورفع رأسهُ الى السماء ـ، وقال: إلهي! إنك تعلم أنهم يقتلونَ رجلاً ليس على وجه الأرض ابن نبي غيره».

ثم أخذ السهم وأخرجه من وراء ظهره فانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده على الجرح، فلما امتلأت دماً رمى بها إلى السماء، فما رجع من ذلك قطرة، وما عرفت الحمرة في السماء حتى رمى الحسين بدمه إلى السماء، ثمَّ وضع يده على الجرح ثانياً، فلما امتلأت لطخ بها رأسه ولحيته، وقال: «هكذا، واللّه، أكون حتى ألقى جدي محمداً صلى الله عليه وآله وأنا مخضوبٌ بدمي، وأقول: يارسول اللّه! قتلني فلان وفلان».

ثم ضعف عن القتال فوقف مكانه، فكلما أتاه رجل مِن الناس وانتهى إليه، انصرف عنه، وكره أن يلقى اللّه بدمه، حتى جاءهُ رجلٌ من كندة، يقال

له: «مالك بن نسر» فضربه بالسيف على رأسه، وكان عليه برنس[1]، فقطع البرنس وامتلأ دماً، فقال له الحسين: «لا أكلت بيمينك ولا شربت بها، وحشرك اللّه مع الظالمين»، ثم ألقى البرنس ولبس قلنسوة[2] واعتم عليها، وقد أعيى وتبلّد، وجاء الكندي فأخذَ البرنس ـ وكان مِن خز ـ، فلما قدِمَ به بعد ذلك على امرأته أم عبد اللّه ليغسله مِن الدم، قالت له امرأته: أتسلب ابن بنت رسول اللّه برنسه، وتدخل بيتي؟! اخرج عني حشا اللّه قبركَ ناراً.

وذكر أصحابه: أنّه يبست يداه ولم يزل فقيراً بأسوء حال إلى أن مات.

ثم نادى شمر: ما تنتظرون بالرجل؟ فقد أثخنته السهام، فاحذت به الرماح والسيوف، فضربه رجلٌ، يقال له: «زرعة بن شريك التميمي» ضربة منكرة، ورماه «سنان بن أنس» بسهم في نحره، وطعنه «صالح بن وهب المري» على خاصرته طعنة منكرة، فسقط الحسين عن فرسه إلى الأرض على خده الأيمن، ثم استوى جالساً ونزعَ السهم من نحره، ثم دنا عمر بن سعد من الحسين ليراه.

قال حميد بن مسلم: وخرجت زينب بنت علي وقرطاها يجولان في أذنيها، وهي تقول: ليت السماء أطبقت على الأرض، يابن سعد أيقتل أبوعبد اللّه وأنت تنظر إليه؟ فجعلت دموعه تسيل على خديه ولحيته، فصرف وجهه عنها، والحسين جالس وعليه جبة خز، وقد تحاماه النسا، فصاح شمر: ويحكم، ما تنتظرون؟ اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم، فضربه «زرعة ابن شريك» فأبان كفه اليسرى، ثم ضربه على عاتقه فجعل عليه السلام يكبو مرّة

(١) ـ البرنس: هو القلنسوة الطويلة.

(٢) ـ القلنسوة: هي القصيرة تلبس في الرأس.

ويقوم أُخرى، فحمل عليه «سنان بن أنس» في تلك الحال، فطعنه بالرمح فصرعه، وقال لخولي بن يزيد: احتز راسه، فضعف وارتعدت يداه، فقال له سنان: فتّ اللّه عضدك وأبان يدك، فنزل إليه «نصر بن خرشة الضبابي»، وقيل: بل «شمر بن ذي الجوشن»، وكان أبرص فضربه برجله، وألقاه على قفاه، ثم أخذ بلحيته.

فقال له الحسين عليه السلام: «أنت الكلب الأبقع الذي رأيته في منامي»؟ فقال شمر: أتشبهني بالكلاب يابن فاطمة؟ ثم جعل يضرب بسيفه مذبح الحسين عليه السلام، ويقول:

أقتلك اليوم ونفسي تعلم   علماً يقيناً ليس فيه مزعم

ولا مجال لا ولا تكتم   أن أباك خيرُ من يكلّم

١٠ـ أخبرنا أبو الحسن أحمد بن علي العاصمي، عن إسماعيل بن أحمد البيهقي، عن أبيه، حدثنا الحسين بن محمد، حدثنا إسماعيل بن محمد، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثني عمي فضيل بن الزبير، عن عبد اللّه بن ميمون، عن محمد بن عمرو بن الحسن، عن أبيه، قال: كُنا معَ الحسين عليه السلام بنهر كربلاء، فنظر إلى شمر بن ذي الجوشن، فقال: «اللّه اكبر! اللّه أكبر! صدق اللّه ورسوله، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: كاني أنظرُ إلى كلب أبقع يلغ في دماء أهل بيتي». فغضب عمر بن سعد، فقال لرجلٍ كان عن يمينه: انزل ويحك إلى الحسين فأرحه! فنزل إليه ـ قيل هو خولي بن يزيد الأصبحي ـ فاحتزَّ رأسه، ـ وقيل: بل هو «شمر»ـ.

وروي: أنه جاء إليه شمر بن ذي الجوشن؛ وسنان بن أنس والحسين عليه السلام بآخر رمق يلوكُ بلسانه من العطش، فرفسه شمر برجله،

وقال: يابن أبي تراب! ألست تزعم أن أباك على حوض النبي يسقي من أحبَّه؟ فاصبر حتى تأخذ الماء من يده. ثم قال لسنان بن أنس: احتز رأسه من قفاه، فقال: واللّه، لا أفعل ذلك! فيكون جدَّه محمد خصمي، فغضب شمر منه، وجلس على صدر الحسين عليه السلام، وقبض على لحيته، وَهمَّ بقتله، فضحك الحسين، وقال له: «أتقتلني؟ أولا تعلم مَنْ أنا»؟ قال: أعرفك حقَّ المعرفة، أُمّك فاطمة الزهراء؛ وأبوك عليّ المرتضى؛ وجدك محمد المصطفى؛ وخصمك اللّه العلي الأعلى، وأقتلك ولا أُبالي، وضربه بسيفه اثنتي عشرة ضربة، ثم حزَّ رأسه، ثم تقدم الأسود بن حنظلة فأخذَ سيفه، وأخذَ جعوثة الحضرمي قميصه فلبسه، فصار أبرص، وسقط شعره.

وروي: أنَّه وجد في قميصه مائة وبضع عشرة ما بين رمية وطعنه وضربة، وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام: «وجد فيه ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة»، وأخذ سراويله بحير بن عمرو الجرمي، فصار زمناً مقعداً من رجليه، وأخذ عمامته جابر بن يزيد الأزدي فاعتم بها فصار مجذوماً، وأخذ مالك بن نسر الكندي درعه، فصار معتوهاً، وارتفعت في السماء ـ في ذلك الوقت ـ غبرة شديدة مظلمة، فيها ريح حمراء، لا يرى فيها عين ولا أثر، حتى ظنَّ القوم أن العذاب قد جاءهم، فلبثوا بذلك ساعة، ثُمَّ انجلت عنهم».

قال: وقتل الحسين عليه السلام ـ باتفاق الرواة ـ يوم عاشوراء عاشر محرم سنة إحدى وستين، وهو ابن أربع وخمسين سنة وستة أشهر ونصف.

قال: وأقبل فرس الحسين، وقد عدا من بين أيديهم أن لا يؤخذ، فوضع ناصيته في دم الحسين، وذهب يركض إلى خيمة النساء، وهوَ يصهل ويضرب برأسه الارض عند الخيمة، فلما نظرت أخوات الحسين وبناته وأهله

إلى الفرس ليس عليه أحد، رفعن أصواتهنّ بالصراخ والعويل، ووضعت أُمُّ كلثوم يدها على أم راسها، ونادت: وامحمَّداه! واجداه! وانبياه! وا أبا القاسماه! واعلياه! واجعفراه! واحمزتاه! واحسناه! هذا حسين بالعراء، صريع بكربلاء، محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، ثمَّ غشي عليها، وأقبل الأعداء حتى أحدقوا بالخيمة، ومعهم شمر بن ذي الجوشن، فقال: ادخلوا فاسلبوا بزَّتهن. فدخل القوم فأخذوا كلَّ ما كانَ بالخيمة حتى أفضوا إلى قرط كان في أذن أُمِّ كلثوم ـ أُخت الحسين ـ فأخذوه وخرموا أُذنها، حتى كانت المرأة لتنازع ثوبها على ظهرها حتى تغلب عليه. وأخذ قيس بن الأشعث قطيفة للحسين، كانَ يجلس عليها، فسمي لذلك: «قيس قطيفة»، وأخذ نعليه رجلٌ من الازد، يقال له: «الأسود»، ثمَّ مال الناس على الورس والخيل والإبل فانتهبوها.

قال: حميد بن مسلم: انتهيت إلى علي بن الحسين، وهو مضطجع على فراش له وهو مريض، وإذا شمر مع رجال، يقولون له: ألا نقتل هذا المريض؟ فقلت له: سبحان اللّه! ما معنى قتل المرضى مِن الصبيان؟ وما زلتُ به أُدافع عنه حتى جاء عمر بن سعد، فقال: ألا لايدخلنَّ أحد بيوت هذه النسوة، ولا يتعرض لهذا الغلام المريض أحد، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليرده.

قال: فواللّه، ماردَّ واحد منهم شيئاً غير أنهم كفوا، فقال لي عليُّ بن الحسين: جُزيتَ مِن رجلٍ خيراً، فقد رفع اللّه عني بمقالتك شرَّ هؤلاء، وقال عبيد اللّه بن عمار: رأيت على الحسين سراويل تلمع ساعة قُتل، فجاء أبجر ابن كعب فسلبه وتركه مجرَّداً.

وذكر محمد بن عبد الرحمن: إنَّ يدي أبجر بن كعب كانتا ينضحان

الدم في الشتاء، وييبسان في الصيف كأنهما عود.

وقال بعض من شهد الوقعة: ما رأيتُ مكثوراً قط قُتلَ ولده، وإخوته، وبنو عمّه، وأهل بيته، أربط جاشاً، ولا أمضى جناناً، ولا أجرى من الحسين عليه السلام، ولا رأيتُ قبله ولا بعده مثله، لقد رأيتُ الرجال تنكشف عنه إذا شدَّ فيهم انكشاف المعزى إذا عاثَ فيها الذئب.

قال: ثُمَّ إن عمر بن سعد، نادى: من ينتدب الحسين فيوطئهُ فرسه فانتدب له عشرة نفر، منهم: إسحاق الحضرمي، ومنهم: الأخنس بن مرثد الحضرمي، القائل في ذلك:

نحنُ رضضنا الظهر بعد الصدر بكلِّ يعبوب شديد الأسر
حتى عصينا اللّه ربَّ الأمر بصنعنا معَ الحسين الطهر

فداسوا حسيناً بخيولهم، حتى رضوا صدره وظهره، فسئل عن ذلك، فقال: هذا أمر الأمير عبيد اللّه.

قال: ثُمّ دفع الرأس إلى خولي بن يزيد الأصبحي، ليحمله إلى عبيداللّه بن زياد، وأقام عمر بن سعد يومه ذلك إلى الغد، فجمع قتلاه فصلى عليهم ودفنهم، وترك الحسين وأهل بيته وأصحابه، فلمّا ارتحلوا الى الكوفة وتركوهم على تلك الحالة عمد أهل الغاضرية من بني أسد فكفنوا أصحاب الحسين، وصلُّوا عليهم، ودفنوهم، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً.

قال: ثم أذنَ عمر بن سعد بالناس في الرحيل إلى الكوفة، وحملَ بنات الحسين، وأخواته، وعليَّ بن الحسين، وذراريهم، فلما مروا بجثة الحسين وجثث أصحابه، صاحت النساء، ولطمن وجوههن، وصاحت زينب: يامحمداه! صلى عليك مليك السماء، هذا حسين بالعراء، مزمل بالدماء، معفر بالتراب، مقطع الأعضاء، يامحمداه! بناتك في العسكر

سبايا، وذريتك قتلى تسفى عليهم الصبا، هذا ابنك محزوز الرأس مِن القفا، لا هو غائب فيرجى، ولا جريح فيداوى.

ومازالت تقول هذا القول حتى أبكت والله كل صديق وعدو، حتى رأينا دموع الخيل تنحدر على حوافرها، ثم قطعت رؤوس الباقين فسرح باثنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن؛ وقيس بن الأشعث؛ وعمرو ابن الحجاج.

قال: ولما أدخل خولي الأصبحي الرأس على ابن زياد وكانَ الذي يتولى حملهُ بشير بن مالك فقدَّمه إليه، وأنشأ يقول:

إملأ ركابي فضة وذهبا إني قتلتُ الملك المحجبا

قتلتُ خير الناس أُمًّا وأبا وخيرهم إذ يذكرون النسبا

فغضبَ ابن زياد من قوله، وقال: فإذا علمت أنه كذلك لِمَ قتلته؟ والله، لا نلت مني خيراً ولألحقنك به، فقدَّمه وضرب عنقه.

قال: وساق القوم حرمَ رسول الله صلى الله عليه وآله كما تُساق الأسارى، حتى إذا بلغوا بهم الكوفة خرج الناس ينظرون إليهم، وجعلوا يبكون ويتوجعونَ، وعلي بن الحسين مريض، مغلول مكبلٌ بالحديد، قد نهكته العلّة، فقال: «الا إن هؤلاء يبكون ويتوجعونَ من أجلنا، فمن قتلنا إذن»؟

١١ ـ وذكر أبو علي السلامي، عن البيهقي صاحب «التاريخ»: أنَّ السنة التي قُتِل فيها الحسين عليه السلام وهي سنة إحدى وستين سميت «عام الحزن».

قال: وقال بشير بن حذيم الأسدي: نظرتُ إلى زينب بنت علي يومئذ، ولم أرَ خفرة قط أنطق منها كأنما تنطق عن لسان أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وتفرغ عنه، أومات إلى الناس أن اسكتوا! فارتدت

الانفاس؛ وسكنت الأجراس، فقالت: الحمدُ للّه والصلاة على أبي محمد رسول اللّه، وعلى آله الطيبين الاخيار آل اللّه، وبعد: ياأهل الكوفة! وياأهل الختل، والخذل، والغدر! أتبكون؟ فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة إنكاثاً، أتتخذون إيمانكم دخلا بينكم؟ ألا وهل فيكم إلا الصلف، والطنف، والشنف، والنطف [١] وملق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كقصة [٢] على ملحودة! ألا ساء ما قدَّمت لكم أنفسكم، إن سخط اللّه عليكم وفي العذاب أنتم خالدون أتبكون وتنتحبون؟ إي واللّه، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً.

وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم الأنبياء؛ وسيد شباب أهل الجنّة؛ وملاذ خيرتكم؛ ومفزع نازلتكم؛ ومنار حجتكم، ومدره [٣] ألسنتكم، ألا ساء ما تزون، وبعداً لكم وسحقاً! فلقد خاب السعي وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من اللّه، وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم، ياأهل الكوفة! أتدرون أي كبد لرسول اللّه صلى الله عليه وآله فريتم، وأي دم له سفكتم، وأي كريمة له أبرزتم، وأي حريم له أصبتم، وأي حرمة له انتهكتم؟ **﴿لقد جئتم شيئاً اداً، تكاد السماوات يتفطَّرن منه، وتنشق الأرض، وتخرُّ الجبال هدّاً﴾** مريم/٨٩، إنَّ ما جئتم بها لصلعاء، عنقاء، سوءآء، فقماء، خرقاء، شوهاء كطلاع الأرض وملاء السماء، أفعجبتم أن قطرت السماء دماً؟ ولعذاب الآخرة اشد وأخزى وأنتم لا تنصرون، فلا

(١) الاول الوقاحة والثاني فساد الاخلاق والثالث الكراهة والرابع النجاسة.

(٢) وهي الجص.

(٣) كنبر المقدم في اللسان.

يستخفنّكم المهل، فإنه عزوجلّ لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، كلا، إنَّ ربكم لبالمرصاد، فترقبوا أوَّل النحل [١] وآخر صاد [٢].

قال بشير: فوالله، لقد رأيتُ الناس يومئذ حيارى، كأنهم كانوا سكارى، يبكون ويحزنون، ويتفجعونَ ويتأسفونَ، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم، قال: ونظرت الى شيخ من أهل الكوفة، كان واقفاً إلى جنبي، قد بكى حتى أخضلت لحيته بدموعه، وهو يقول: صدقتِ، بأبي وأمي، كهولكم خيرُ الكهول، وشبانكم خيرُ الشبان، ونساؤكم خيرُ النسوان، ونسلكم خير نسل لا يخزي ولا يبزى [٣].

قال: ثمَّ جاءوا بهم حتى دخلوا على عبيد الله بن زياد، فنظرت إليه زينب بنت علي عليه السلام وجلست ناحية، فقال ابن زياد: من الجالسة؟ فلم تكلمه، فقال ثانياً فلم تكلِّمه، فقال رجلٌ من أصحابه: هذه زينب بنت علي ابن أبي طالب، فقال ابن زياد: الحمدُ لله الذي فضحكم وكذب أُحدوثتكم، فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله، وطهرنا بكتابه تطهيراً، وإنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر.

فقال ابن زياد: كيف رأيتِ صنع الله بأخيكِ وأهل بيتك؟ فقالت زينب: ما رايت إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتبَ الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم يابن زياد! فتحاجون وتخاصمون، فانظر لمن الفلج يومئذ، هبلتك أُمك يابن مرجانة! فغضب ابن زياد، وكأنه همَّ بها، فقال له عمرو بن حريث المخزومي: إنها امرأة، والمرأة لا تُؤاخذ

---

(١) اي: ﴿أتى امر الله﴾.

(٢) اي: ﴿ولتعلمن نباه بعد حين﴾.

(٣) اي لا يقهر. من بزاه يبزوه قهره.

بشيءٍ من منطقها.

فقال ابن زياد: يازينب! لقد شفى الله قلبي مِن طاغيتك الحسين، والعصاة المردة مِن أهل بيتكِ، فقالت زينب: لعمري، لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت. فقال ابن زياد: هذه سجّاعة، لا جرم، لعمري لقد كانَ أبوكِ شاعراً سجّاعاً، فقالت زينب: يابن زياد! وما للمرأة والسجاعة؟ وإن لي عن السجاعة لشغلاً.

فالتفت ابن زياد الى علي بن الحسين، وقال له: من أنت؟ قال: أنا عليُّ بن الحسين، فقال: ألم يقتل الله علي بن الحسين؟ فسكت عنه، فقال: مالك لا تتكلم؟ فقال: كان لي أخ يقال له: «علي» قد قتله الناس (أو قال: قد قتلتموه) وإن له منكم مطلباً يوم القيامة. فقال ابن زياد: بل الله! فقال عليّ: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾الزمر/٤٢، ﴿وما كانَ لنفسٍ أن تموت إلا باذن الله كتاباً مؤجلا﴾آل عمران/١٤٥، فقال: أنت والله، منهم، انظروا إليه هل أدرك؟ فكشف عنه مروان بن معاذ الاحمري، قال: نعم، قال: اقتله، فقال عليٌّ بن الحسين: فمن يتوكل بهؤلاء النسوة، وتعلقت به زينب بنت علي، وقالت: يابن زياد! حسبك منا، أما رويت من دمائنا؟ واعتنقت علياً، وقالت: أسألك بالله، يابن زياد! إن قتلته أن تقتلني معه.

فقال عليّ: ياعمة! اسكتي حتى أكلمه، فقال: يابن زياد! أبالقتل تهددني؟ أما علمت ان القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة؟ فقال ابن زياد: دعوه ينطلق مع نسائه، ثم قال: اخرجوهم عني، فاخرجوهم الى دار في جنب المسجد الأعظم.

١٢ـ أخبرنا العلامة فخر خوارزم أبوالقاسم محمود بن عمر

الزمخشري، أخبرنا الفقيه أبو علي الحسن بن علي بن ابي طالب الفرزالي ـ بالري ـ، أخبرنا الفقيه أبو بكر طاهر بن الحسن الرازي، أخبرنا عمي الشيخ الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين السمان الرازي، أخبرنا أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه الجعفي ـ بالكوفة ـ، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد، حدثنا عبد الرحمن بن أنس، حدثنا وهب بن جرير، حدثني أبي، حدثني هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أنس، قال: لما جيء برأس الحسين فوضع بين يديه ـ يعني ابن زياد ـ في طست جعل ينكتُ بقضيب في وجهه، وقال: ما رأيتُ مثل حسن هذا الوجه قط، فقلت: أما إنه كان يشبه رسول اللّه صلى الله عليه وآله، ثُمَّ بعث برأسه إلى يزيد، فلما أُتي إلى يزيد برأسه، قال: لقد قتلك رجلٌ ما كان الرحم بينك وبينه قطعاً.

١٣ـ وبهذا الإسناد، عن أبي سعد السَّمان هذا، أخبرنا أبو عبد اللّه هذا، أخبرنا محمد بن جعفر هذا، حدثنا عليُّ بن منذر، حدثنا ابن فضيل، حدثنا سالم بن أبي حفصة، عن منذر الثوري، قال: كنتُ عند الربيع بن خثيم، فدخل عليه رجلٌ ممن شَهِدَ قتل الحسين عليه السلام ممن كان قاتلَه، فقال الربيع: قد جئتم برؤوسهم معلقيها، وأدخل الربيع إصبعه في فيهِ تحتَ لسانه، وقال: قتلتم صبية لو أدركهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله لقبّل أفواههم، وأجلسهم في حجره، ثم قال الربيع: اللّهمَّ فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون.

١٤ـ وبهذا الإسناد، عن أبي سعد السمان هذا، حدثنا أبو محمد بن عبدالله بن محمد الأسدي ـ لفظاً ـ ببغداد، حدثنا محمد بن يحيى الصولي، حدثنا محمد بن يزيد، حدثني أبي، حدثني سليمان الواسطي، عن الحسن ابن أبي الحسناء، سمعتُ أبا العالية البراء قال: لما قُتِلَ الحسين عليه السلام أُتي

عبيدالله بن زياد برأسه، فأرسل الى أبي برزة، فقال له عبيد اللّه: كيف شاني وشأن حسين بن فاطمة؟ قال: اللّه أعلم! فما علمي بذلك؟ قال: إنما أسالك عن علمك! قال: أما إذا سألتني عن رأيي فإنَّ علمي أنَّ الحسين يشفع له جدُّه محمد صلى الله عليه وآله، ويشفع لك زياد، فقال له: اخرج! لولا ما جعلتُ لك، لضربتُ واللّه عنقك. فلما بلغ باب الدار، قال: لئن لم تغد عليَّ وترح لأضربنَّ عنقك.

١٥ـ وبهذا الإسناد عن أبي سعد ـ هذا ـ، أخبرنا أبو عبد اللّه هذا، أخبرنا محمد بن جعفر هذا، حدَّثنا عباد بن يعقوب، أخبرنا سعيد بن خثيم، عن محمد بن خالد الضبي، عن إبراهيم (ره)، قال: لو كنتُ ممن قاتل الحسين عليه السلام، ثم أُتيتُ بالمغفرة مِن ربي، فأُدخلتُ الجنَّة لاستحييتُ مِن محمد صلى الله عليه وآله أن أمرَّ عليه فيراني.

١٦ـ أخبرنا صدر الحفاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن ـإجازة بهمدانـ، أخبرنا محمود بن إسماعيل الصيرفي، أخبرنا احمد بن محمد بن الحسين، أخبرنا أبو القاسم الطبراني، حدثنا أبو مسلم الكشي، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس بن مالك، قال: لما أُتي برأس الحسين عليه السلام إلى عبيد اللّه بن زياد جعل ينكته بقضيب في يده، ويقول: إنه لحسن الثغر، فقلت: واللّه، لاسوأنك! لقد رأيتُ رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقبل موضعَ قضيبكَ مِن فمه.

وسمعتُ هذا الحديث في جامع أبي عيسى، ولم يذكر: أنَّه لحسن الثغر، وفيه: فجعل يقول بقضيب في أنفه، فقال أنس: فقلتُ: أما إنَّه كان من اشبههم برسول اللّه صلى الله عليه وآله.

١٧ـ وبهذا الإسناد، عن أبي العلاء هذا، أخبرنا عبد القادر بن

محمد، أخبرنا الحسن بن محمد الجوهري، أخبرنا أحمد بن العباس، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحسين بن محمد، أخبرنا محمد بن سعد، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه، حدثنا شريك، عن مغيرة، قال: قالت مرجانة لعبيد اللّه بن زياد: قتلتَ ابن بنت رسول اللّه ﷺ لاترى الجنَّة أبداً.

١٨ـ أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والدي أبو بكر أحمد ابن الحسين البيهقي، حدثنا أبو عبد اللّه الحافظ، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا عبد اللّه بن أحمد، حدثنا إسماعيل بن أُمية، حدثنا حبيب أخو حمزة الزيات، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم، قال: كنتُ جالساً عند عبيدالله ابن زياد إذ أُتي برأس الحسين ﷺ، فوضع بين يديه، فأخذَ قضيبه فوضعه بين شفتيه، فقلت له: إنك لتضع قضيبك في موضع طالما لثمه رسول اللّه ﷺ، فقال: قم! إنك شيخ قد ذهب عقلك.

وجاء هذا الحديث في «المراسيل»، وفيه زيادة: قال زيد بن أرقم: نحّ قضيبك هذا، فطالما رأيتُ شفتي رسول اللّه ﷺ على هاتين الشفتين، ثم رفع زيد صوته يبكي، فقال ابن زياد: أبكى اللّه عينيك، واللّه، لولا إنك شيخ قد خرفت، وذهب عقلك، لضربتُ عنقك، فخرج وهو يقول: ملكَ عبدٌ حراً، أنتم يامعشر العرب! العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمّرتم ابن مرجانة حتى يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، رضيتم بالذل، فبعداً لمن رضي.

١٩ـ وبهذا الإسناد، الذي مر عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا إبراهيم بن عبد اللّه، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا عبد الحميد بن بهرام،

حدثنا شهر بن حوشب، قال: سمعتُ أُم سلمة لعنت أهل العراق، لما نعي الحسين عليه السلام، وقالت: قتلوه قتلهم الله، غروه وأذلوه لعنهم الله.

٢٠ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق، أخبرنا محمد بن علي، حدثنا الفضل بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن بهرام، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن الأجلح الكندي، عن عمرو بن قيس، قال: ثلاثة محجوجون يوم القيامة: وذكر الحديث ـ إلى أن قال: ـ وقاتل الحسين، يقال له: فيم قتلته؟ فلقد كان ينبغي أن تستحي من قتله، ولو كان ظالماً لك، لمكان جده رسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف وأنت ظالم؟

٢١ـ وبهذا الإسناد، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا الأحوص، حدثنا يوسف بن أبي إسحاق، عن عمرو بن نعجة، قال: إنَّ أولَ ذل دخل العرب: قتل الحسين بن علي؛ وادعاء زياد.

٢٢ـ وذكر في كتاب «نزهة الطرف وبستان الظرف»: عن الحسن البصري، قال: قُتل مع الحسين بن علي عليه السلام ستة عشر من أهل بيته، ما كان لهم على وجه الأرض شبيه.

٢٣ـ وبهذا الإسناد الذي مرَّ عن أحمد بن الحسين، أخبرني أبو الحسين ابن الفضل القطان، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا ابن بكير، عن الليث بن سعد، قال: في سنة إحدى وستين قُتل الحسين بن علي وأصحابه، لعشر ليالٍ خلون مِن المحرم يوم عاشوراء يوم السبت في آخر اليوم، وقُتِل معه العباس بن علي؛ وجعفر بن علي؛ وعبد الله بن عليّ؛ وعثمان بن علي؛ وأبو بكر بن علي؛ وعلي بن الحسين الأكبر؛ وعبد الله بن الحسن؛ وأبو بكر بن الحسن؛ والقاسم بن الحسن؛

وعون بن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب؛ ومحمد بن عبد اللّه بن جعفر؛ وجعفر بن عقيل بن أبي طالب؛ وعبد الرحمن بن عقيل؛ ومسلم بن عقيل ـقتل قبل ذلك ـ، وعبد الرحمن بن مسلم بن عقيل؛ وسليمان مولى الحسين، ورضيع الحسين قتلا بالكوفة.

٢٤ـ قال يعقوب: وحدثني محمد بن عبد الرحمن، قال: سمعتُ علياً، قال: سمعتُ سفيان، عن أبي موسى، سمعت: الحسن البصري، يقول: قُتِل مع الحسين عليه السلام سبعة عشر رجلاً مِن أهل بيته.

٢٥ـ وذكر السيد الإمام أبو طالب: أنَّ الصحيح في يوم عاشوراء الذي قتل فيه الحسين عليه السلام وأصحابه (رضي اللّه عنهم) أنه كان يوم الجمعة سنة إحدى وستين.

٢٦ـ واختلف أهل النقل في عدد المقتول يومئذ مع ما تقدم مِن قتل مسلم من العترة الطاهرة، والأكثرون: على أنهم كانوا سبعة وعشرين، فمن ولد علي عليه السلام: الحسين بن علي؛ وأبو بكر بن علي؛ وعمر بن علي؛ وعثمان بن علي؛ وجعفر بن علي؛ وعبد اللّه بن علي؛ ومحمد بن علي؛ والعباس بن علي؛ وإبراهيم بن علي، فهم تسعة، ومن ولد الحسن بن علي: عبد اللّه بن الحسن؛ والقاسم بن الحسن؛ وأبو بكر بن الحسن؛ وعمر بن الحسن، وكان صغيراً، فهم أربعة، ومن ولد الحسين بن علي: علي بن الحسين؛ وعبد اللّه بن الحسين، وكان أصغرهم، فهما إثنان، ومن ولد جعفر ابن أبي طالب: محمد بن عبد اللّه بن جعفر؛ وعون بن عبد اللّه بن جعفر؛ وعبيدالله بن عبدالله بن جعفر، وهم ثلاثة، ومن ولد عقيل: مسلم بن عقيل؛ وعبد اللّه بن عقيل؛ وعبد الرحمن بن عقيل؛ ومحمد بن عقيل؛ وجعفر بن عقيل؛ ومحمد بن مسلم بن عقيل؛ وعبدالله بن مسلم بن عقيل؛ وجعفر بن

محمد بن عقيل؛ ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل، فهم تسعة.

وأخذوا رؤوس هؤلاء فحملت إلى الشام، ودفنت جثثهم بالطف، فلما كانَ أيام المتوكل، وكان سيء الإعتقاد في آل أبي طالب، شديد الوطأة عليهم، قبيح المعاملة معهم، ووافقه على جميع ذلك وزيره عبيد اللّه بن يحيى، بلغ بسوء معاملتهم ما لم يبلغه أحد من الخلفاء من بني العباس، فامرَ بتخريب قبر الحسين، وقبور أصحابه، وكرب مواضعها واجراء الماء عليها، ومنع الزوار من زيارتها، وأقام الرصد، وشدد في ذلك حتى كان يقتل من يوجد زائراً، وولى ذلك كله يهودياً، وسلط اليهودي قوماً من اليهود فتولوا ذلك إلى ان قُتِلَ المتوكل وقام بالأمر ابنه المنتصر، فعطف على آل أبي طالب، وأحسن إليهم، وفرق فيهم الأموال، فأُعيدت القبور في ايامه، إلى أن خرج الداعيان: الحسن ومحمد ابنا زيد، فأمر محمد بعمارة المشهدين الشريفين: مشهد أمير المؤمنين؛ ومشهد الحسين عليه السلام، وأمر بالبناء عليهما، وزيد في ذلك مِن بعد؛ وبلغ عضد الدولة الغاية في تعظيمهما وعمارتهما والأوقاف عليهما؛ وكان يزورهما في كل سنة.

٢٧ـ أخبرنا الشيخ الإمام سعد الأئمة سعيد بن محمد بن أبي بكر الفقيمي إذناً، أخبرنا مجد الأئمة أبو الفضل محمد بن عبد اللّه السرخسكي، أخبرنا أبو نصر محمد بن يعقوب، أخبرنا أبو عبد اللّه طاهر ابن محمد الحدادي، أخبرنا أبو الفضل محمد بن علي بن نعيم، أخبرنا أبو عبد اللّه محمد بن الحسين بن علي، حدثنا أبو عبد اللّه محمد بن يحيى الذهلي، قال: لما قتل الحسين عليه السلام بكربلاء هرب غلامان من عسكر عبيداللّه ابن زياد: أحدهما يقال له: ابراهيم؛ والآخر يقال له: محمد من ولد جعفر الطيار في الجنَّة، فإذا هما بامرأة تستسقي، فنظرت إلى الغلامين وإلى

حسنهما وجمالهما، فقالت لهما: من أنتما؟ ومن أين جئتما؟ فقالا: نحنُ من ولد جعفر الطيار في الجنة، هربنا من عسكر عبيد اللّه بن زياد، فقالت المرأة: إن زوجي في عسكر عبيد اللّه بن زياد، ولولا أني أخشى أن يجيء الليلة لأضفتكما وأحسنتُ ضيافتكما. فقالا لها: انطلقي بنا فنرجو أن لا يأتي زوجك الليلة، فانطلقت المرأة والغلامان حتى انتهت بهما إلى منزلها، فأدخلتهما وأتتهما بطعام، فقالا: مالنا في الطعام من حاجة، ائتنا بمصلّى نقضي نوافلنا، فأتتهما بمصلى فصليا وانطلقا إلى مضجعهما.

فقال الأصغر للأكبر: يابن أمي! التزمني وانتشق من رائحتي فإني أظن أن هذه الليلة آخر ليلة فلا نمسي بعدها، فاعتنق الغلامان وجعلا يبكيان، فبينا هما كذلك إذ أقبل زوج المرأة فقرع الباب، فقالت المرأة: من هذا؟ فقال: افتحي الباب. فقامت ففتحت الباب، فدخل زوجها ورمى سلاحه من يديه، وقلنسوته من رأسه، وجلس مغتماً حزيناً، فقالت له امرأته: مالي أراك مغتماً حزينا؟ قال: فكيف لا أحزن وإن غلامين قد هربا من عسكر عبيد اللّه؟ وقد جعل لمن جاء بهما عشرة آلاف درهم، وقد بعثني خلفهما فلم أقدر عليهما، فقالت امرأته: اتّق اللّه ياهذا! ولا تجعل خصمك محمداً صلى الله عليه وآله.

فقال لها: اعزبي عني! فواللّه، لا أعرف لهما من رسول اللّه منزلة، فائتني بطعامي، فأتته بالمائدة ووضعتها بين يديه، فاهوى يأكل منها، فبينا هو يأكل إذ سمع هينمة الغلامين في جوف الليل، فقال: ماهذه الهينمة؟ قالت: لا أدري! قال: ائتني بالمصباح حتى أنظر، فأتته به فدخل البيت فإذا هو بالغلامين، فعرفهما فوكزهما برجله وقال: قوما من أنتما؟ ومن أين جئتما؟

قالا: نحن من ولد جعفر الطيار في الجنَّة، هربنا من عسكر ابن زياد، فقال لهما: مِن الموت هربتما وفي الموت وقعتما، فقالا له: ياشيخ! اتَّقِ اللّه، وارحم شبابنا، واحفظ قرابتنا من رسول اللّه، فقال لهما: دعا هذا، فواللّه، لا اعرف لكما قرابة مِن رسول اللّه، فاقامهما وشدَّ كتفيهما، ودعا بغلام له أسود، فقال له: دونك هذين الغلامين، فانطلق بهما إلى شط الفرات، واضرب أعناقهما، وأنت حر لوجه اللّه.

فتناول الغلام السيف، وانطلق بهما، فلما كان في بعض الطريق، قال له أحدهما: ياأسود! ما أشبه سوادك بسواد «بلال» خادم جدنا رسول اللّه! قال لهما: من أنتما من رسول اللّه؟ قالا: نحن من ولد جعفر الطيار في الجنّة، ابن عم رسول اللّه، فالقى الاسود السيف من يده والقى نفسه في الفرات، وكان مولاه اقتفى أثره، وقال: يامولاي! أردت أن تحرقني بالنار، فيكون خصمي محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة.

فقال له: عصيتني ياغلام؟ فقال الغلام: لأن أُطيع اللّه وأعصيك أحبُّ إلي من أن أُطيعك وأعصي اللّه! فلما نظر إلى الغلام وحالتهُ، علم أنه سيهرب، فدعا بابن له، فقال: دونك الغلامين فاضرب أعناقهما، ولك نصف الجائزة. فتناول الشاب السيف، وانطلق بهما، فقالا له: ياشاب! ماذا تقول لرسول اللّه غداً؟ باي ذنب قتلتنا، وباي جرم؟ فقال: من أنتما؟ قالا: نحنُ من ولد جعفر الطيار في الجنة ابن عم رسول اللّه، فالقى الشاب نفسه في الماء، وقال: ياابة! أردت أن تحرقني بالنار، ويكون محمد صلى الله عليه وآله خصمي! فاتقِ اللّه، ياأبة! وخل عن الغلامين، قال: يابُني! عصيتني؟ فقال: ياأبة! لأن أعصيك وأُطيع اللّه أحبُ إليَّ من أن أُطيعك وأُعصي اللّه.

فلما نظر الشيخ أن ابنه أبى ذلك كما أباه العبد، تناول السيف بيده،

وقال: والله، لا يلي هذا أحد سواي، ثم انطلق بالغلامين، فلما نظرا ذلك أيسا من الحياة، فقالا له: ياشيخ! اتقِ الله فينا! فإن كان تحملك على قتلنا الحاجة، فاحملنا إلى السوق، ونقرُ لك بالعبودية، فبعنا واستوف ثمننا، قال: لا تكثرا! فوالله، لا أقتلكما للحاجة، ولكني أقتلكما بغضاً لأبيكما ولأهل بيت محمد؟

ثم هز السيف، وضرب عنق الأكبر، ورمى بدنه بالفرات، فقال الأصغر: سألتك بالله أن تتركني أتمرغ بدمِ أخي ساعة، ثم افعل ما بدا لك، قال: وما ينفعك ذلك؟ قال: هكذا أُحِبُّ، فتمرغ بدم أخيه إبراهيم ساعة، ثم قال له: قم! فلم يقم، فوضع السيف على قفاه، وذبحه من القفا، ورمى ببدنه إلى الفرات، وكان بدنُ الأوَّل طافياً على وجه الفرات، فلما قذف الثاني أقبل بدنُ الأول راجعاً يشق الماء شقاً حتى اعتنق بدن أخيه، والتزمه، ورسيا في الماء، وسمع الشيخ صوتاً من بينهما في الماء منهما، يقول: ياربنا! تعلم وترى ما فعل بنا هذا الظالم، فاستوف حقنا منه يوم القيامة، ثُمَّ أغمد سيفه وحمل الرأسين وركب فرسه، حتى أتى بهما عبيدالله ابن زياد، فلما نظر عبيد الله إلى الرأسين قبض على لحية الرجل، وقال له: سألتك بالله ما قال لك الغلامان؟ قال: قالا لي: ياشيخ! اتَّقِ الله وارحم شبابنا، فقال له: ويحك! لِم لم ترحمهما؟ فقال له: لو رحمتهما ما قتلتهما.

فقال عبيد الله: لما كنت لم ترحمهما فإني لأرحمك اليوم، ثم دعا بغلام أسود له يسمى: نادراً، فقال: يانادر! دونك هذا الشيخ، فانطلق به إلى الموضع الذي قتل الغلامين فيه، فاضرب عنقه، ولك سلبه، ولك عندي عشرة آلاف درهم التي أجزتها، وأنت حرّ. فشدَّ نادر كتفيه وانطلقَ

به إلى الموضع الذي قتل فيه الغلامين، فقال الشيخ: يانادر! لابدَّ لك من قتلي؟ قال: نعم! قال: أفلا تقبل مني ضعف ما أُعطيت؟ قال: لا! ثُمَّ ضربَ عنقه ورمى بجيفته إلى الماء، فلم يقبله ورمى به الى الشط، فامر عبيدالله بحرقه فأحرق.

فهذا وأمثاله مِن الآيات التي ظهرت بقتل الحسين عليه السلام، ويجوز مثل هذا، وقد أخبر به الرسول صلى الله عليه وآله.

٢٨ـ وبهذا الإسناد، عن مجد الأئمة هذا، قال: أخبرنا أبو نصر منصور بن أحمد القرني، أخبرنا الشيخ إسماعيل بن محمد، أخبرنا أبوالحسن المفسر«هو علي بن أحمد الواحدي»، حدثنا ابن كامل القاضي ـببغداد ـ، حدثنا أبو فلانة، حدثنا إبراهيم بن حميد الطويل، أخبرنا شعبة، عن عمرو بن دينار، عن صهيب ـ مولى ابن عباس ـ، عن عبد اللّه بن عمر: أنَّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله، قال: «من ذبح عصفوراً بغير حقه، سالهُ اللّه عنه يوم القيامة».

وفي رواية أُخرى: «من ذبحَ عصفوراً بغير حق، ضجَّ الى اللّه تعالى يوم القيامة منه، فقال: ياربِّ إنَّ هذا ذبحني عبثاً، ولم يذبحني منفعة».

قال مجدُ الأئمَّة: هذا لِمن ذبح عصفوراً بغير حق، فكيف لمن قتل مؤمناً؟ فكيف لمن قتل ريحانة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وهو الحسين عليه السلام؟

عدنا إلى الحديث، قال: ولما جيء برأس الحسين إلى عبيد اللّه، طلبَ من يقوره ويصلحه، فلم يجسر أحد على ذلك، ولم يحر أحد جواباً، فقام طارق بن المبارك فأجابه إلى ذلك، وقام به فأصلحه وقوره، فنصبه بباب داره، ولطارق هذا، حفيد كاتب يكنى: «ابا يعلى» هجاه «العدويُّ» فعرض له بذلك وقال:

نعـمـة الله لا تُعاب ولكن ربما استقبحت على أقوام
لايليق الغنى بوجه أبي يعلى ولا نور بهجة الإسلام
وسخ الثوب والعمامة والبرذون والوجه والقفا والغلام
لا تسموا دواته فتصيبوا مِن دماء الحسين في الأقلام

قال: ولما كمل له ذلك، نادى في الناس، فجمعهم في المسجد الأعظم، ثم خرج ودخل المسجد وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فكان مِن بعض كلامه أن قال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين وأشياعه، وقتل الكذاب بن الكذاب، قال: فما زادَ على هذا شيئاً حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي، ثم العامري - أحد بني والبة -، وكان من رؤساء الشيعة وخيارهم، وكان قد ذهبت عينه اليسرى يوم «الجمل»، والأُخرى يوم «صفين»، وكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم، يصلي فيه إلى الليل، ثم ينصرف إلى منزله، فلما سمع مقالة ابن زياد، وثب إليه، وقال: يابن مرجانة! إنَّ الكذاب وابن الكذاب أنتَ وأبوك، ومن استعملك وأبوه، ياعدو الله ورسوله! أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بهذا الكلام على منابر المسلمين؟

فغضب عبيد الله بن زياد، وقال: من المتكلم؟ فقال: أنا المتكلم ياعدو الله! أتقتل الذرية الطاهرة الذين قد أذهب الله عنهم الرجس في كتابه، وتزعم أنك على دين الإسلام؟ واغوثاه! أين أولاد المهاجرين والأنصار، لينتقموا من هذا الطاغية، اللعين بن اللعين على لسان رسول الله رب العالمين؟ فازداد غضب ابن زياد حتى انتفخت أوداجه.

فقال: عليَّ به، فوثب إليه الجلاوزة فاخذوه، فنادى بشعار الأزد؟ يامبرور! وكان عبد الرحمن بن مخنف الأزدي في المسجد، فقال: ويح

نفسك! أهلكتها وأهلكت قومك. وحاضر الكوفة يومئذ سبعمائة مقاتل مِن الأزد، فوثبت إليه فتية مِن الأزد فانتزعوه منهم، وانطلقوا به إلى منزله، ونزل ابن زياد عن المنبر ودخل القصر، ودخلت عليه أشراف الناس، فقال: أرأيتم ما صنع هؤلاء القوم؟ قالوا: رأينا أصلح اللّه الأمير، إنما فعل ذلك الأزد، فشد يدك بساداتهم فهم الذين استنقذوه من يدك.

فأرسل عبيد اللّه الى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فأخذه، وأخذ جماعة من أشراف الأزد فحبسهم، وقال، لا خرجتم من يدي أو تأتوني بعبد اللّه بن عفيف، ثم دعا بعمرو بن الحجاج الزبيدي؛ ومحمد بن الأشعث؛ وشبث بن ربعي؛ وجماعة من أصحابه، فقال لهم: اذهبوا إلى هذا الأعمى الذي أعمى اللّه قلبه كما أعمى عينيه، فأتوني به. فانطلقوا يريدون عبد اللّه بن عفيف وبلغ الأزد ذلك، فاجتمعوا وانضمت إليهم قبائل من اليمن ليمنعوا صاحبهم، فبلغ ذلك ابن زياد، فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد بن الأشعث، وأمرهُ أن يقاتل القوم، فأقبلت قبائل مضر، ودنت منهم اليمن فاقتتلوا قتالاً شديداً، وبلغ ذلك ابن زياد، فأرسل إلى أصحابه يؤنبهم ويضعفهم، فأرسل إليه عمرو بن الحجاج يخبره باجتماع اليمن معهم، وبعث إليه شبث بن ربعي: أيّها الأمير! إنك بعثتنا إلى أُسود الآجام فلاتعجل.

قال: واشتد اقتتال القوم حتى قتلت جماعة من العرب، ووصل القوم إلى دار عبد اللّه بن عفيف فكسروا الباب، واقتحموا عليه، فصاحت ابنته: ياأبتي أتاك القوم من حيث تحذر، فقال: لا عليكِ يابنية! ناوليني سيفي، فناولته السيف، فجعل يذبُّ عن نفسه، وهو يقول:

أنا ابن ذي الفضل عفيف الطاهر عفيف شيخي وأنا ابن عامر

كم دارع من جمعكم وحاسر وبطل جدّلته مغاور

وجعلت ابنته تقول: ليتني كنتُ رجلاً فأُقاتل بين يديك هؤلاء الفجرة، قاتلي العترة البررة، وجعل القوم يدورون عليه من يمينه وشماله وورائه، وهو يذبُّ عن نفسه بسيفه فليس أحد يقدم عليه، كلما جاءوه من جهة، قالت ابنته: جاءوك ياأبتي من جهة كذا، حتى تكاثروا عليه من كل ناحية، واحاطوا به، فقالت ابنته: واذلاه! يحاط بأبي، وليس له ناصر يستعين به، وجعل عبد اللّه يدافع ويقول:

واللّه لو يكشف لي عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري

وما زالوا به حتى أخذوه، فقال جندب بن عبد اللّه الأزدي صاحب رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إنا للّه وإنا إليه راجعون، أخذوا واللّه عبد اللّه بن عفيف، فقبح اللّه العيش بعده. فقام وجعل يقاتل من دونه، فأُخِذَ أيضاً وانطلق بهما، وابن عفيف يردّدّ: واللّه، لو يكشف لي عن بصري «البيت».

فلما أُدخل على عبيد اللّه، قال له: الحمدُ للّه الذي أخزاك، فقال ابن عفيف: ياعدوَّ اللّه! بماذا أخزاني، واللّه، لو يكشف عن بصري ـ البيت ـ، فقال له: ما تقول في عثمان؟ فقال: يابن مرجانة! يابن سميَّة! ياعبد بني علاج! ما أنت وعثمان؟ أحسن أم أساء، وأصلح أم أفسد، اللّه ولي خلقه يقضي بينهم بالعدل والحق، ولكن سلني عنك وعن أبيك، وعن يزيد وأبيه.

فقال ابن زياد: لا سالتك عن شيء أو تذوق الموت، فقال ابن عفيف: الحمد للّه رب العالمين، كنتُ أسال اللّه أن يرزقني الشهادة قبل أن تلدك أُمك مرجانة، وسالته أن يجعل الشهادة على يدي ألعن خلقه وأشرهم وأبغضهم إليه، ولما ذهب بصري أيست من الشهادة، أما الان فالحمدُ للّه الذي رزقنيها

بعد اليأس منها، وعرفني الاستجابة منه لي في قديم دعائي.

فقال عبيد الله: اضربوا عنقه، فضربت وَصُلب. ثُمَّ دعا ابن زياد بجندب بن عبد الله، فقال له: ياعدوَّ الله! ألست صاحب علي بن أبي طالب يوم صفين؟ قال: نعم، ولازلت له ولياً ولكم عدواً، لا أبرأ مِن ذلك إليك ولا أعتذر في ذلك وأتنصل منه بين يديك، فقال ابن زياد له: أما إني سأتقرب إلى الله بدمك، فقال جندب: والله، ما يقربك دمي إلى الله، ولكنه يباعدك منه، وبعد، فإني لم يبقَ من عمري إلاّ أقله، وما أكره أن يكرمني الله بهوانك، فقال: اخرجوه عني، فانه شيخ قد خرف وذهب عقله، فأُخرج وخلي سبيله.

عدنا إلى حديثنا قال: ثم دعا عبيد الله بن زياد زحر بن قيس الجعفي، فأعطاه رأس الحسين، ورؤوس إخوته وأهل بيته وشيعته، ودعا بعلي بن الحسين فحمله وحمل عماته وأخواته وجميع نسائهم معه إلى يزيد، فسار القوم بحرم رسول الله مِن «الكوفة» إلى بلد «الشام» على محامل بغير وطاء، من بلد إلى بلد، ومن منزل إلى منزل، كما تُساق الترك والدَّيلم، وسبق زحر بن قيس برأس الحسين عليه السلام إلى «دمشق» حتى دخل على يزيد، فسلم عليه ودفع إليه كتاب عبيد الله بن زياد. فأخذ يزيد الكتاب، ووضعه بين يديه، ثم قال لزحر: هات ما عندكَ يازحر! فقال زحر: أبشر يا أمير المؤمنين! بفتح الله عليك وبنصره إياك، فإنه قد ورد علينا الحسين بن علي في اثنين وثمانين رجلاً من إخوته وأهل بيته وشيعته، فسرنا إليهم وسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله فأبوا علينا، فقاتلناهم من وقت شروق الشمس إلى أن أضحى النهار، فلما اخذت السيوف مآخذها من هام الرجال، جعلوا يتوقلون إلى غير وزر، ويلوذون منا بالآكام

والحفر، كما يخاف الحمام من الصقر، فوالله، يا أمير المؤمنين! ما كان إلا كجزر جزور، أو كاغفاءة القائل، حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم بالعراء مجردة، وثيابهم بالدماء مزمّلة، وخدودهم بالتراب معفرة، تصهرهم الشمس، وتسفي عليهم الريح، زوارهم: الرخم والعقبان، والذئب والضبعان.

فاطرق يزيد ساعة، ثم رفع رأسه وبكى، وقال: والله، ياهذا! لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أما والله، لو صار إليَّ لعفوت عنه، ولكن قبح الله ابن مرجان، فقال عبد الرحمن بن الحكم ـ أخو مروان ابن الحكم ـ، وكان جالساً عند يزيد في المجلس:

لهام بجنب الطف أدنى قرابة
من ابن زياد العبد ذي النسب الوغل[1]
سمية أمسى نسلها عدد الحصى
وبنت رسول الله ليست بذي نسل

فقال يزيد: نعم! فلعن الله ابن مرجانة إذ أقدم على قتل مثل الحسين ابن فاطمة؛ أما والله، لو كنتُ أنا صاحبه لما سالني خصلة إلاّ أعطيته إياها، ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت، ولو بهلاكِ بعض ولدي ولكن إذا قضى الله أمراً لم يكن له مرد.

وروي: انَّ يزيد نظرَ إلى عبد الرحمن، وقال: سبحان الله! أفي هذا الموضع تقول ذلك أما يسعك السكوت؟

قال: ثُمَّ أُتي بالرأس حتى وضع بين يدي يزيد في طست من ذهب، فنظر إليه وأنشد:

(١) الوغل: المدعي نسباً كاذباً.

نفلق هاماً من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعقَّ واظلما

ثم أقبل على أهل المجلس، وقال: إنَّ هذا كان يفخر عليَّ ويقول: إن أبي خير من أب يزيد، وأُمي خير من ام يزيد؛ وجدي خير من جد يزيد؛ وأنا خير من يزيد، فهذا هو الذي قتله، فأما قوله: بانَّ اباه خير من أبي، فلقد حاجّ أبي أباه فقضى اللّه لابي على ابيه، وأما قوله: بان أُمي خير من أُم يزيد، فلعمري، لقد صدق إن فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله خير من أُمي؛ وأما قوله: بانَّ جدَّه خير من جدي، فليس لاحد يؤمن باللّه واليوم الآخر، ان يقول: بانه خير من محمد، وأما قوله: بانه خير مني، فلعلهُ لم يقرأ: ﴿قل اللّهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء بيدك الخير إنك على كل شيءٍ قدير﴾آل عمران/٢٦، ثم دعا بقضيب خيزران، فجعل ينكت[١] به ثنايا الحسين عليه السلام، وهو يقول: لقد كان أبو عبدالله حسن المضحك.

فاقبل عليه أبو برزة الأسلمي أو غيره من الصحابة، وقال له: ويحك يايزيد! أتنكت بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة؟ لقد أخذ قضيبك هذا ماخذاً من ثغره، أشهدُ لقد رأيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن، ويقول: «إنهما سيدا شباب أهل الجنَّة، قتل اللّه قاتلهما ولعنه، وأعدَّ له جهنم، وسآءت مصيراً»، أما أنت يايزيد! فتجيء يوم القيامة وعبيد اللّه بن زياد شفيعك، ويجيء هذا ومحمد شفيعه.

فغضب يزيد وأمر بإخراجه من المجلس فأُخرجَ سحباً، وجعل يزيد بعده يتمثّل بأبيات ابن الزبعري، وسنوردها من طريق مسند إن شاء اللّه.

وقيل: إن الذي ردَّ عليه ليس أبا برزة، بل هو سمرة بن جندب صاحب رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وقال ليزيد: قطع اللّه يدك، يايزيد! أتضرب ثنايا

---

(١) ـ نكت بالتاء المثناة: ضرب.

طالما رايتُ رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقبلهما، ويلثم هاتين الشفتين؟ فقال له يزيد: لولا صحبتك لرسول اللّه صلى الله عليه وآله لضربت، واللّه عنقك. فقال سمرة: ويلك، تحفظ لي صحبتي من رسول اللّه صلى الله عليه وآله، ولا تحفظ لابن رسول اللّه صلى الله عليه وآله بنوته؟ فضج الناس بالبكاء، وكادت أن تكون فتنة.

٢٩ـ أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرني والدي، أخبرني أبو عبد اللّه الحافظ، حدثنا أبو نصر محمد بن أحمد الفقيه ـ قدم علينا بنيسابور ـ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، حدثنا علي بن طاهر، حدثنا عبد اللّه بن زاهر، حدثنا أبي، عن ليث بن سليم، عن مجاهد: أنَّ يزيد حين أُتي برأس الحسين بن علي ورؤوس أهل بيته، قال ابن محفز: ياأمير المؤمنين! جئناك برؤوس هؤلاء الكفرة اللئام! فقال يزيد: ماولدت أم محفز أكفر وألأم وأذم، ثم كشف عن ثنايا رأس الحسين بقضيبه، ونكته به وأنشد:

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت	قواضب في أيماننا تقطر الدما
صبرنا وكان الصبرُ منا عزيمة	وأسيافنا يقطعن كفّاً ومعصما
نفلقُ هاماً من أُناس أعزةٍ	علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

فقال له بعض جلسائه: ارفع قضيبك! فواللّه، ما أحصي ما رأيت شفتي محمد صلى الله عليه وآله في مكان قضيبك يقبّله، فانشد يزيد:

ياغراب البين ماشئت فقل	إنما تندبُ أمراً قد فعل
كلُّ ملكٍ ونعيم زائل	وبنات الدهر يلعبن بكل
ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً	ثم قالوا يايزيد لا تشل

لستُ من خندف إن لم أنتقم | من بني أحمد ما كانَ فعل
لعبت هاشم بالملك فلا | خبر جاء ولا وحيٌ نزل
قد أخذنا من علي ثارنا | وقتلنا الفارس الليث البطل
وقتلنا القوم من ساداتهم | وعدلناه ببدر فاعتدل

قال مجاهد: فلا نعلم الرجل إلاَّ قد نافق في قوله هذا.

وقال أبو عبد الله الحافظ: وقد روينا في ـ رواية أخرى ـ بدل لستُ من خندف: لستُ من عتبة.

وقال شيخ السنة أحمد بن الحسين: وآخر كلام يزيد لا يشبه أوله، ولم أكتبه من وجه يثبت مثله، فإن كان قاله، فقد كان ضم إلى فعل الفجار، في قتل الحسين وأهلِ بيته أقوال الكفار، والله يعصمنا من الخطأ والزلل.

٣٠ـ أخبرنا العلامة فخر خوارزم أبوالقاسم محمودبن عمر الزمخشري، أخبرنا الفقيه أبو الحسن علي بن أبي طالب الفرزادي ـبالري ـ، أخبرنا الفقيه أبو بكر طاهر بن الحسين السمان الرازي، أخبرني عمي الشيخ الزاهد أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين السمان الرازي، أخبرني أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن محمد بن أبي خراسان ـ بقراءتي عليه ـ، حدثني محمد بن عبد الله بن عتاب، حدثني الحارث بن محمد بن أبي أُسامة، حدثني محمد بن سعد، أخبرني محمد بن عمر، حدثني محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن عكرمة بن خالد، قال: أُتي برأس الحسين إلى يزيد بن معاوية بدمشق فنُصِب، فقال يزيد: عليَّ بالنعمان بن بشير، فلما جاء قال: كيف رأيت ما فعل عبيد الله بن زياد؟ قال: الحرب دول، فقال: الحمدُ للّه الذي قتله، قال النعمان: قد كان أمير المؤمنين ـ يعني به

معـاوية ـ يكره قتله، فقال: ذلك قبل أن يخرج، ولو خَرَجَ على أمير المؤمنين، والله قتله إن قدر.

قال النعمان: ما كنتُ أدري ما كان يصنع؟

ثمَّ خرج النعمان، فقال: هو كما ترون إلينا منقطع، وقد ولاه أمير المؤمنين ورفعه، ولكن أبي كان يقول: لم أعرف أنصارياً قط إلاَّ يحبُّ علياً وأهله، ويبغض قريشاً بأسرها.

٣١ـ حدثنا الشيخ الإمام عين الأئمة أبو الحسن علي بن أحمد الكرباسي ـإملاءاًـ، حدثنا الشيخ الإمام أبو يعقوب يوسف بن محمد البلالي، حدثنا السيد الإمام المرتضى نجم الدين نقيب النقباء أبو الحسن محمد بن محمد بن زيد الحسني الحسيني، أخبرنا الحسن بن أحمد الفارسي، أخبرنا أبو الحسن عليٌّ بن عبد الرحمن بن عيسى، أخبرنا أبوجعفر محمد بن منصور المرادي المقري، حدثنا أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين، عن أبي خالد، عن زيد، عن أبيه عليه السلام، أنَّ سهل بن سعد قال: خرجتُ إلى بيت المقدس حتى توسطت الشام، فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهار كثيرة الأشجار، قد علقوا الستور والحجب والديباج، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: لعل لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحنُ، فرأيتُ قوماً يتحدثون، فقلت: ياهؤلاء! ألكم بالشام عيد لا نعرفه نحنُ؟ قالوا: ياشيخ! نراك غريباً، فقلت: أنا سهل بن سعد، قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وحملتُ حديثه، فقالوا: ياسهل! ما أعجبك السماء لا تمطر دماً، والأرض لا تخسف بأهلها، قلت: ولم ذاك؟ فقالوا: هذا رأس الحسين عترة رسول الله صلى الله عليه وآله يُهدى من أرض «العراق» إلى «الشام»، وسيأتي الآن.

قلت: واعجباه! يهدى رأس الحسين والناس يفرحون، فمن أي باب يدخل؟ فأشاروا إلى باب، يقال له: «باب الساعات»، فسرتُ نحو الباب، فبينما أنا هنالك، إذ جاءت الرايات يتلو بعضها بعضاً، وإذا أنا بفارس بيده رمح منزوع السنان، وعليه رأس من أشبه الناس وجهاً برسول الله صلى الله عليه وآله، وإذا بنسوة من ورائه على جمال بغير وطاء، فدنوت من إحداهن، فقلت لها: ياجارية! من أنت؟ فقالت: أنا سكينة بنت الحسين، فقلتُ لها: ألكِ حاجة إليَّ؟ فأنا سهل بن سعد، ممن رأى جدك وسمعتُ حديثه، قالت: ياسهل! قل لصاحب الرأس أن يتقدم بالرأس أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه فلا ينظرون إلينا، فنحنُ حرم رسول الله.

قال: فدنوت من صاحب الرأس، وقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي، وتأخذ مني أربعمائة دينار؟ قال: وما هي؟ قلتُ: تقدم الرأس أمام الحرم، ففعل ذلك، ودفعتُ له ما وعدته، ثم وضع الرأس في حقَّة، وأُدخل على يزيد، فدخلتُ معهم، وكان يزيد جالساً على السرير، وعلى رأسه تاج مكلل بالدر والياقوت، وحوله كثير من مشايخ قريش، فدخل صاحب الرأس ودنا منه، وقال:

أوقر ركابي فضّة أو ذهبا فقد قتلتُ السيد المحجبا
قتلتُ أزكى الناس أُماً وأبا وخيرهم إذ يذكرون النسبا

فقال له يزيد: إذا علمت أنه خير الناس لِم قتلته؟ قال: رجوتُ الجائزة، فأمر بضرب عنقه، فحزَّ رأسه، ثم وضع رأس الحسين بين يديه على طبق من ذهب، فقال: كيف رأيت ياحسين؟

وروي أيضاً: أنَّ السبايا لما وردوا مدينة دمشق، أُدخلوا من باب يقال له باب «توما»، ثم أُتي بهم حتى أُقيموا على درج باب المسجد الجامع،

حيث يقام السبي، وإذا شيخ أقبل حتى إذا دنا منهم، قال: الحمدُ للّه الذي قتلكم واهلككم، واراح العباد مِن رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم.

فقال له علي بن الحسين: «ياشيخ! هل قرات القرآن»؟ قال: نعم! قال: «هل قرأت هذه الآية: **﴿قل لا أسالكم عليه أجراً إلاَّ المودَّة في القربى﴾**»؟الشورى/٢٣، قال الشيخ: قرأتها! قال: «فنحنُ القربى ياشيخ! وهل قرأت هذه الآية: **﴿إنما يريدُ اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**»؟ الاحزاب/٣٣، قال: نعم، قال: «فنحنُ أهل البيت الذي خصصنا بآية الطهارة»، فبقي الشيخ ساكتاً ساعة، نادماً على ما تكلَّم به، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: اللّهُمَّ! إني أتوب إليك من بغض هؤلاء، وإني أبرأ إليك من عدوِّ محمد وآل محمد من الجن والإنس.

ثُمَّ أتي بهم حتى أُدخلوا على يزيد، قيل: إنَّ أول من دخلَ شمر بن ذي الجوشن بعلي بن الحسين، مغلولة يداه إلى عنقه، فقال له يزيد: من أنت ياغلام؟ قال: أنا عليٌّ بن الحسين، فامر برفع الغل عنه.

وروي: عن فاطمة بنت الحسين، أنها قالت: لما أُدخلنا على يزيد، ساءه ما رأى من سوء حالنا، وظهر ذلك في وجهه، فقال لعن اللّه: ابن مرجانة؛ وابن سميَّة، لو كان بينه وبينكم قرابة ما صنع بكم هذا؟ وما بعث بكن هكذا؟ قالت: فقام إليه رجل من أهل الشام احمر، وقال له: ياأمير المؤمنين! هب لي هذه الجارية! يعنيني، قالت: وكنتُ جارية وضيئة، فارتعدت وفرقت، وظننتُ انَّ ذلك يجوز لهم، فأخذتُ بثياب أُختي وعمتي زينب، فقالت عمتي: كذبت، واللّه، ولؤمت! ماذلك لك ولا لهُ، فغضب يزيد، وقال: بل أنت كذبتِ انَّ ذلك لي، ولو شئتُ فعلته، فقالت: كلا، واللّه! ما جعل اللّه لك ذلك، إلا أن تخرج من ملتنا وتدين

بغير ديننا.

فقال: إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوكِ وأخوكِ، قالت زينب: بدين الله؛ ودين أبي؛ وجدي اهتديت إن كنتَ مسلماً. فقال: كذبتِ، ياعدوة الله، قالت زينب: أمير مسلَّط يشتم ظالماً، ويقهر بسلطانه، اللّهم! إليك أشكو دون غيركَ.

فاستحيى يزيد، وندم، وسكت مطرقاً، وعاد الشاميُّ إلى مثل كلامه، فقال: ياأمير المؤمنين! هب لي هذه الجارية؟ فقال له يزيد: أعزب عني لعنك الله، ووهب لك حتفاً قاضياً، ويلك لا تقل ذلك! فهذه بنتُ علي وفاطمة، وهم أهل بيت لم يزالوا مبغضين لنا منذ كانوا.

قيل فتقدم علي بن الحسين حتى وقف بين يدي ـ يزيد ـ، وقال:

لا تطمعوا إن تهينونا ونكرمكم وإن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

فالله يعلم إنا لا نحبكم ولا نلومكم إن لم تحبونا

فقال يزيد: صدقت! ولكن أراد أبوك وجدُّك أن يكونا أميرين، فالحمد لله الذي قتلهما وسفك دماءهما، ثم قال: ياعلي! إنَّ أباك قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني في سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت.

فقال علي بن الحسين: ﴿**ما أصاب مِن مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاَّ في كتاب**﴾الحديد/٢٢، فقال يزيد لابنه خالد: اردد عليه يابني! فلم يدرِ خالد ماذا يرد، فقال يزيد ﴿**وما أصابكُم من مصيبة فبما كسبت أيديكُم ويَعفو عن كثيرٍ**﴾الشورى/٣٠، فقال علي بن الحسين: «يابن معاوية؛ وهند؛ وصخر! لم تزل النبوَّة والإمرة لآبائي وأجدادي من قبل أن تولد، ولقد كان جدي علي بن أبي طالب في يوم «بدر» و«أُحد» و«الأحزاب» في يده راية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوك وجدك في أيديهما رايات الكفار».

ثم جعل علي بن الحسين عليه السلام، يقول:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم: ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم؟
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أُسارى ومنهم ضرّجوا بدم

ثم قال عليٌّ بن الحسين: «ويلك يايزيد! إنَّك لو تدري ماذا صنعت؟ وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي؟ إذن لهربت إلى الجبال، وافترشت الرمال، ودعوت بالويل والثبور، أيكون رأس أبي الحسين بن علي وفاطمة منصوباً على باب مدينتكم، وهو وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم؟ فابشر يايزيد! بالخزي والندامة، إذا جمع الناس غداً ليوم القيامة.

٣٢ـ أخبرنا الشيخ الإمام مسعود بن أحمد ـ فيما كتبَ إليَّ من دهستان ـ، أخبرنا شيخ الإسلام أبو سعد المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي، أخبرنا الشيخ أبو حامد، أخبرنا أبو حفص عمر بن الجازي ـ بنيسابور ـ، أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد المؤدب الساري، حدثنا أبوالحسين محمد بن أحمد الحجري، أخبرنا أبو بكر محمد بن دريد الأزدي، حدثنا المكي، عن الحرمازي، عن شيخ من بني تميم من أهل الكوفة، قال: لما أُدخل رأس الحسين وحرمه على يزيد بن معاوية، وكان رأس الحسين بين يديه في طست، جعل ينكت ثناياه بمخصرة في يده، ويقول: «ليت أشياخي ببدر شهدوا» ـ وذكر الأبيات إلى قوله: «من بني أحمد ما كان فعل»، فقامت زينب بنت علي وأُمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت:

«الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، صدق الله تعالى إذ يقول: **﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السُوأىٰ أن كذبوا بآيات**

الله وكانوا بها يستهزءون﴾الروم/١٠، أظننت يايزيد! حيث أخذت علينا أقطار الارض وآفاق السماء، وأصبحنا نساقُ كما تُساق الأسارى، أن بنا على الله هواناً، وبكَ عليه كرامة؟ وانَّ ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة[١]، والأمور متسقة[٢]، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً! أنسيت قول الله تعالى: **﴿ولا يحسبن الَّذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾**؟آل عمران/١٧٨، أمن العدل يابن الطلقاء! تخديرك حرائرك وأماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا؟ قد هتكت ستورهن؛ وأبديت وجوههن؛ يُحدى بهن من بلد إلى بلد، ويستشرفهنَّ أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدَّنيّ والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حميّ، وكيف ترجى المراقبة ممن لفظ فوه أكباد السعداء، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟ وكيف لا يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف[٣] والشنئآن[٤] والإحن والاظغان؟ ثم يقول غير متأثم ولا مستعظم؟

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثمَّ قالوا يايزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله تنكتها بمخصرتك؟ وكيف لا تقول ذلك، وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماء درية آل محمد، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب؟ أتهتف بأشياخك؟ زعمت تناديهم، فلتردن وشيكاً موردهم، ولتودن أنك شللت وبكمت، ولم تكن

---

(١) م متوسقة: بمعنى المستوثقة.

(٢) المتسقة: المنتظمة.

(٣) الشنف: البغض

(٤) الشنئان: العداوة.

قلت ما قلت، اللّهُمَّ! خذ بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا، فواللّه، ما فريت إلاّ جلدك، ولا جزرت إلاَّ لحمك، ولتردنَّ على رسول اللّه بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهاك حرمته في لحمته وعترته، وليخاصمنك حيث يجمع الله تعالى شملهم، ويلم شعثهم، ويأخذ لهم بحقهم ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل اللّه أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾آل عمران/١٦٩، فحسبك بالله حاكماً، وبمحمد خصماً، وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم من سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين، أن بئس للظالمين بدلاً، وأيكم شرّ مكاناً وأضعف جنداً، ولئن جرت عليَّ الدواهي مخاطبتك، فإني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكبر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب اللّه النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء، فتلك الأيدي تنطف[١] من دمائنا، وتلك الأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل[٢] وتعفوها الذئاب، وتؤمها الفراعل[٣]، فلئن اتخذتنا مغنىً، لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلاّ ماقدمت يداك، وأنَّ اللّه ليس بظلام للعبيد، فإلى اللّه المشتكى، وعليه المعول، فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فواللّه، لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، ولا تغيب منك شنارها[٤] فهل رأيك إلا فند![٥] وايامك إلاّ عدد! وشملك إلاّ بدد! يوم ينادي المنادي: ألا

---

(١) تنطف: تقذف بما تلطخت؟

(٢) العواسل: المتمايلة من الذئاب والضباع.

(٣) الفراعل: جمع الفرعل ولد الضبع.

(٤) الشنار: اقبح العيب.

(٥) الفند: الخطأ في الراي.

لعنة اللّه على الظالمين، فالحمدُ للّه الذي ختم لأوّلنا بالسعادة والرحمة، ولآخرنا بالشهادة والمغفرة، وأسال اللّه أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد وحسن المآب، ويختم بنا الشرافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا اللّه ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

فقال يزيد:

ياصيحة تحمد من صوائح ... ما أهون النوح على النوائح

ثم استشار أهل الشام ماذا يصنع بهم؟ فقالوا له: لاتتخذ من كلب سوء جروا! فقال النعمان بن بشير: انظر ماكان يصنعه بهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله فاصنعه، فأمرَ بردّهم إلى المدينة.

قال الحاكم: الأبيات التي أنشدها يزيد بن معاوية هي لعبد اللّه بن الزبعري، أنشأها يوم «أُحد» لما استشهد «حمزة» عمُّ النبي صلى الله عليه وآله وجماعة من المسلمين، وهي قصيدة طويلة فمنها:

ياغراب البين ماشئت فقل ... إنما تندبُ أمراً قد فعل

إن للخير وللشرّ مدى ... وكلا ذلك وجه وقبل

والعطيات خساس بينهم ... وسواء قبر مثر ومقل

كل عيش ونعيم زائل ... وبنات الدهر يلعبن بكل

أبلغا حسان عني آية ... فقريض الشعر يشفي ذا الغلل

كم ترى في الحزن من جمجمة ... وأكف قد أبينت ورجل

وسرابيل حسان سُلبَت ... عن كماة أُهلكوا في المتزل

كم قتلنا من كريم سيد ... ماجد الجدين مقدام بطل

صادق النجدة قرم بارعٍ ... غير ملتاث لدى وقع الأسل

فسل المهراس ما ساكنها ... بين أقحاف وهاهم كالحجل

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

حين حكت بقباء بركها[1] واستحرّ القتل في عبد الأشل
ثم خفوا عند ذاكم رقصاً رقص الحفان[2] تعدو في الجبل
فقتلنا الضعف من أشرافهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لا ألوم النفس إلا أننا لو كررنا لفعلنا المفتعل
بسيوف الهند تعلو هامهم عللا نوردها بعد نهل

فأجابهُ حسان بن ثابت الأنصاري فقال:

ذهبت يابن الزبعرى وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل
فلقد نلتم ونلنا منكم وكذاك الحرب أحيانا دول
إذ شددنا شدّة صادقة فأجأناكم إلى سفح الجبل
إذْ تولّون على أعقابكم هرباً في الشعب أشباه الرسل
نضعُ الأسياف في أكتافهم حيث نهوى عللا بعد نهل
تخرج التضييح[3] من أستاهكم كسلاح[4] النيب يأكلن العضل[5]
بخناطيل[6] كجنان[7] الملا من يلاقوه مِن الناس يهل
فشدخنا في مقامٍ واحدٍ منكمُ سبعين غير المنتحل
وأسرنا منكم أعدادهم فانصرفنا مثل أفلات الحجل
لم يفوقونا بشيءٍ ساعةً غير أن ولوا بجهد وفشل
ضاق عنا الشعب إذ نجزعه وملأنا الفرط منه والرحل
برجال لستمُ أمثالهم آدهم جبريل نصراً فنزل

(١) البرك: صدر الناقة ونحوها.
(٢) الحفان: فاخ النعام
(٣) التضييح: اللبن المشروب ضياحاً
(٤) السلاح: جمع سلحه وهي العذرة.
(٥) العضل: نبت إذا أكلته الإبل سلحت.
(٦) الخناطيل: الجماعات.
(٧) الجنان: الجن.

وعلونا يوم بدر بالتقى طاعة اللّه وتصديق الرسل
وقتلنا كلَّ رأسٍ منهمُ وصرعنا كلَّ جحجاحٍ رفل
لا سواء من مشى حتى انتهى بخطاه جنَّة الخلد فحل
وكلاب حكت النار لها في لظاها صوت ويل وهبل
ورسول اللّه حقاً شاهدٌ يوم بدر والتنادي بهبل
قد تركنا في قريش عورة يوم بدر وأحاديث مثل
وتركنا من قريش جمعهم مثل ما جمّع في الخصب الهمل
وشريف لشريف ماجد لا نباليه لدى وقع الأسل
نحنُ لا أمثالكم ولد استها نحضرُ الباس إذا البأسُ نزل

وروي: أنَّ يزيد أمرَ بمنبر وخطيب، ليذكر للناس مساوئ للحسين وأبيه علي عليه السلام، فصعد الخطيب المنبر، فحمد اللّه وأثنى عليه، وأكثر الوقيعة في علي والحسين، وأطنب في تقريظ معاوية ويزيد، فصاح به علي بن الحسين: «ويلك، أيها الخاطب! اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق؟ فتبوأ مقعدك من النار»، ثم قال: «يايزيد! ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهن للّه رضا، ولهؤلاءِ الجالسين أجر وثواب»، فأبى يزيد، فقال الناس: ياأمير المؤمنين! ائذن له ليَصعد، فلعلَّنا نسمع منه شيئاً، فقال لهم: إن صعد المنبر هذا لم ينزل إلاّ بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقالوا: وما قدر ما يحسن هذا؟ فقال: إنَّه من أهل بيت قد زقّوا العلم زقاً، ولم يزالوا به حتى أذِن لهُ بالصعود. فصعد المنبر، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم خطب خطبةً أبكى منها العيون؛ وأوجل منها القلوب، فقال فيها:

«أيها الناس! أُعطينا ستاً، وفُضلنا بسبع: أُعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأنَّ

منا النبي المختار محمداً صلى الله عليه وآله، ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومنا أسد اللّه وأسد الرسول، ومنا سيدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنا سبطا هذه الأمة، وسيدا شباب أهل الجنّة، فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي: أنا ابنُ مكة ومنى، أنا ابن زمزمَ والصفا، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجَّ ولبى، أنا ابن من حمل على البراق في الهوا، أنا ابن من أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى، فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغَ بهِ جبرائيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السما، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلاّ اللّه، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول اللّه بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وصلّى القبلتين، وقاتل ببدرٍ وحنين، ولم يكفر باللّه طرفة عين.

أنا ابن صالح المؤمنين ووارثُ النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين، ورسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرائيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب للّه من المؤمنين، وأقدم السابقين، وقاصم المعتدين، ومبير المشركين، وسهم من مرامي اللّه على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، ناصر دين اللّه، وولي أمر اللّه، وبستان

حكمة الله، وعيبة علم الله، سمح سخي، بهلول زكي أبطحي رضي مرضي، مقدام همام، صابر صوام، مهذب قوام، شجاع قمقام، قاطع الاصلاب، ومفرق الأحزاب، أربطهم جناناً، وأطبقهم عناناً، وأجرأهم لساناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة، أسدٌ باسل، وغيث هاطل، يطحنهم في الحروب ـ إذا ازدلفت الأسنة، وقربت الأعنة ـ طحن الرحى، ويذروهم ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز؛ وصاحب الإعجاز؛ وكبش العراق، الإمام بالنص والاستحقاق مكي مدني، أبطحي تهامي، خيفي عقبي، بدري أُحدي، شجري مهاجري، من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين، وأبو السبطين، الحسن والحسين، مظهر العجائب، ومفرق الكتائب، والشهاب الثاقب، والنور العاقب، أسد الله الغالب، مطلوب كل طالب، غالب كلّ غالب، ذاك جدي علي بن أبي طالب.

أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول».

قال: ولم يزل، يقول: «أنا أنا» حتى ضجَّ الناسُ بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمرَ المؤذن: أن يؤذن، فقطع عليه الكلام وسكت، فلما قال المؤذن: الله أكبر! قال عليّ بن الحسين: «كبرت كبيراً لا يقاس، ولا يدرك بالحواس، لاشيء أكبر مِن الله»، فلما قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله! قال علي: «شهد بها شعري وبشري، ولحمي ودمي. ومخي وعظمي»، فلما قال: أشهدُ أنَّ محمداً رسول الله! التفت عليٌّ من أعلى المنبر إلى يزيد، وقال: «يايزيد! محمد هذا جدي أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت، وإن قلت: إنه جدي، فلِمَ قتلت عترته»؟

قال: وفرغ المؤذن من الأذان والإقامة، فتقدم يزيد وصلى صلاة الظهر.

وروي: أنه كان في مجلس يزيد هذا، حبر من أحبار اليهود، فقال: ياأمير المؤمنين! من هذا الغلام؟ قال: علي بن الحسين، قال: فمن الحسين؟ قال: ابن علي بن أبي طالب، قال: فمن أُمه؟ قال: فاطمة بنت محمد، فقال له الحبر: ياسبحان اللّه! فهذا ابن بنت نبيكم قتلتموه في هذه السرعة، بئسما خلفتموه في ذريته، فواللّه، لو ترك نبينا موسى بن عمران فينا سبطاً، لظننت أنا كنا نعبده من دون ربنا، وأنتم إنما فارقتم نبيكم بالأمس، فوثبتم على ابنه وقتلتموه. سوأة لكم من أُمةٍ.

فأمر يزيد به فوجئ بحلقه ثلاثاً، فقام الحبر وهو يقول: إن شئتم فاقتلوني، وإن شئتم فذروني، إني أجد في التوراة: من قتل ذرية نبي فلا يزال ملعوناً أبداً ما بقي، فإذا مات أصلاه اللّه نار جهنم.

وخرج علي بن الحسين ذات يوم، فجعل يمشي في سوق «دمشق» فاستقبله المنهال بن عمرو الضبابي، فقال: كيف «أمسيت يابن رسول اللّه؟ فقال: أمسيتُ، واللّه، كبني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، يامنهال! أمست العرب تفتخر على العجم بأنَّ محمداً صلى الله عليه وآله عربي، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنَّ محمداً قرشي منها، وأمسينا آل بيت محمد ونحنُ مغصوبون، مظلومون، مقهورون، مقتولون، مشردون، مطرودون، فإنا للّه وإنا إليه راجعون، على ما أمسينا يامنهال»!.

وذكر السيد أبو طالب هذا الحديث، وزاد فيه: «وأصبح خير الأمةِ يشتم على المنابر، وأصبح شرُّ الأمة يمدح على المنابر، وأصبح مبغضنا يُعطى الأموال، ومن يحبنا منقوصاً حقه».

وروي هذا الحديث، عن الحارث بن الجارود التميمي: أنه رأى عليَّ

ابن الحسين بالمدينة فقال له: كيف أصبحت؟ وساق الحديث.

٣٣ـ أخبرنا عين الأئمة، بإسناده الذي مرّ آنفاً، عن زيد بن عليّ؛ وعن محمد بن الحنفية، عن عليّ بن الحسين زين العابدين، أنه قال: «لما أُتي برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد، كان يتخذ مجالس الشرب، ويأتي برأس الحسين فيضعه بين يديه ويشرب عليه، فحضر ذات يوم أحد مجالسه رسول ملك الروم، وكان من أشراف الروم وعظمائها، فقال: ياملك العرب! رأس من هذا؟ فقال له يزيد: مالك ولهذا الرأس؟ قال: إني إذا رجعت إلى ملكنا، يسألني عن كلّ شيء رأيته، فأحببتُ أن أُخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه، ليشاركك في الفرح والسرور.

فقال يزيد: هذا رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب، فقال: ومن أُمه؟ قال: فاطمة الزهراء، قال: بنت من؟ قال: بنت رسول اللّه، فقال الرسول: أُف لك ولدينك! مادين أخسّ من دينك، اعلم أني من احفاد داود، وبيني وبينه آباء كثيرة، والنصارى يعظمونني، ويأخذون التراب من تحت قدمي تبركاً، لاني من أحفاد داود، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول اللّه، وما بينه وبين رسول اللّه إلاّ ام واحدة، فأيّ دين هذا؟

ثم قال له الرسول: يايزيد! هل سمعت بحديث كنيسة الحافر؟ فقال يزيد: قل حتى أسمع، فقال: ان بين «عمان» و«الصين» بحراً مسيرته سنة، ليس فيه عمران إلاّ بلدة واحدة في وسط الماء، طولها ثمانون فرسخاً، وعرضها كذلك، وما على وجه الأرض بلدة أكبر منها، ومنها يحمل الكافور والياقوت والعنبر، وأشجارهم العود، وهي في أيدي النصارى لا ملك لاحد فيها من الملوك، وفي تلك البلدة كنائس كثيرة، أعظمها كنيسة الحافر، في محرابها حقة من ذهب، معلقة فيها حافر، يقولون: إنه حافر

حمار كان يركبه عيسى، وقد زينت حوالي الحقّة بالذهب والجواهر والديباج والابريسم. ، وفي كل عام يقصدها عالم من النصارى، فيطوفون حول الحقة ويزورونها ويقبلونها، ويرفقون حوائجهم إلى اللّه ببركتها، هذا شأنهم ودأبهم بحافر حمار يزعمون أنه حافر حمار كان يركبه عيسى نبيهم. وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم، لا بارك اللّه فيكم، ولا في دينكم! فقال يزيد لاصحابه: اقتلوا هذا النصراني، فانه يفضحنا إن رجع إلى بلاده ويشنع علينا، فلما أحسّ النصراني بالقتل، قال: يايزيد! أتريد قتلي؟ قال: نعم، قال: فاعلم أني رأيتُ البارحة نبيكم في منامي، وهو يقول لي: «يانصراني أنت من أهل الجنّة». فعجبت من كلامه حتى نالني هذا، فأنا أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، ثم أخذ الرأس، وضمه إليه، وجعل يبكي حتى قُتِل.

وروى مجد الأئمة السرخسكي، عن أبي عبد اللّه الحداد: أنَّ النصراني اخترط سيفاً، وحمل على يزيد ليضربه، فحال الخدم بينهما، وقتلوه، وهو يقول: الشهادة الشهادة.

وذكر أبو مخنف وغيره: أنَّ يزيد أمرَ أن يُصلب الرأس الشريف على باب داره، وأمر أن يدخلوا أهل بيت الحسين داره، فلما دخلت النسوة دار يزيد لم تبق امرأة من آل معاوية إلاّ استقبلتهن بالبكاء والصراخ والنياحة والصياح على الحسين، والقين ما عليهن من الحلي والحلل وأقمن المأتم عليه ثلاثة أيام.

وخرجت هند بنت عبد اللّه بن عامر بن كريز امرأة يزيد، وكانت قبل ذلك تحت الحسين بن علي عليه السلام فشقت الستر وهي حاسرة، فوثبت على يزيد، وقالت: أرأس ابن فاطمة مصلوب على باب داري؟ فغطاها يزيد

وقال: نعم! فاعولي عليه ياهند! وابكي على ابن بنت رسول اللّه، وصريخة قريش، عجل عليه ابن زياد فقتله، قتله اللّه.

ثم إنَّ يزيد أنزلهم بداره الخاصة، فما كان يتغدى ويتعشى حتى يحضر معه علي بن الحسين، ودعا يوماً خالداً ابنه، ودعا علياً ـ وهما صبيان ـ، فقال لعلي: أتقاتل هذا؟ قال: «نعم، اعطني سكيناً واعطه سكيناً، ثم نتقاتل»، فأخذه وضمه، وقال:

شنشنة أعرفها من أخزم هل يلدُ الأرقم غير الأرقم

وروي: أنَّ يزيد عرض عليهم المقام بدمشق، فأبوا ذلك، وقالوا: ردنا إلى المدينة، لأنها مهاجرة جدِّنا، فقال للنعمان بن بشير: جهّز هؤلاء بما يصلحهم، وابعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً، وابعث معهم خيلاً وأعواناً، ثم كساهم وحباهم وفرض لهم الأرزاق والانزال، ثم دعا بعلي بن الحسين، فقال له: لعن اللّه ابن مرجانة، أما واللّه، لو كنتُ صاحبه ما سألني خصلة إلاَّ أعطيتها إياه، ولدفعت عنه الحتف بكل ما قدرت عليه، ولو بهلاكِ بعض ولدي، ولكن قضى اللّه ما رأيت، فكاتبني بكل حاجة تكون لك، ثم أوصى بهم الرسول. فخرج بهم الرسول يسايرهم فيكون أمامهم حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحى عنهم، وتفرق هو وأصحابه كهيئة الحرس، ثم ينزل بهم حيث أراد أحدهم الوضوء، ويعرض عليهم حوائجهم، ويلطف بهم حتى دخلوا المدينة.

وروي: عن الحرث بن كعب، قال: قالت لي فاطمة بنت علي عليهما السلام، قلت لأختي زينب: قد وجب علينا حق هذا الرسول لحسن صحبته لنا، فهل لنا أن نصله بشيء؟ قالت: واللّه، مالنا ما نصله به إلاّ أن نعطيه حلينا. فاخذت سواري ودملجي، وسوار أُختي ودملجها، فبعثنا بها إليه واعتذرنا

من قلّتها، وقلنا: هذا بعض جزائِك لحسن صحبتك إيانا، فقال: لو كان الذي صنعت للدنيا ففي دون هذا رضاي، ولكن والله، مافعلته إلاّ لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣٤ـ وذكر الإمام أبو العلاء الحافظ، بإسناده عن مشايخه: أن يزيد بن معاوية حين قدم عليه برأس الحسين وعياله، بعث إلى المدينة فاقدم عليه عدّة من موالي بني هاشم، وضم إليهم عدّة من موالي آل أبي سفيان، ثُمَّ بعث بثقل الحسين ومن بقي من أهله معهم، وجهّزهم بكل شيءٍ ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلاّ أمر لهم بها، وبعث رأس الحسين إلى عمرو بن سعيد بن العاص ـ وهو إذ ذاك عامله على المدينة ـ، فقال عمرو: وددتُ أنه لم يبعث به إلي، ثم أمرَ عمرو برأس الحسين عليه السلام، فكفن ودفن في «البقيع» عند قبر أُمه فاطمة عليها السلام.

وقال غيره: إن سليمان بن عبد الملك بن مروان رأى النبي صلى الله عليه وآله في المنام، كأنه يبرّه ويلطفه، فدعا الحسن البصري، وقصَّ عليه، وسأله عن تأويله، فقال الحسن: لعلك اصطنعت إلى أهله معروفاً.

فقال سليمان: إني وجدتُ رأس الحسين في خزانة يزيد بن معاوية فكسوته خمسة من الديباج، وصليت عليه في جماعة من أصحابي، وقبرته، فقال الحسن: إن النبي رضي عنك بسبب ذلك، فاحسن إلى الحسن البصري، وامرَ لهُ بجوائز.

وقال غيرهما: إن رأس الحسين عليه السلام صُلِبَ بدمشق ثلاثة أيام، ومكث في خزائن بني أُمية حتى ولي سليمان بن عبد الملك، فطلبه فجيء به ـ وهو عظم أبيض قد قحل ـ فجعله في سفط وطيبه، وجعل عليه ثوباً ودفنه في مقابر المسلمين بعدما صلى عليه.

فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى المكان يطلبه منه فاخبر بخبره، ، فسأل عن الموضع الذي دُفن فيه فنبشه وأخذه، والله أعلم بما صنع به، والظاهر من دينه أنه بعثه إلى كربلاء فدفن مع جسده.

قالوا: ولما دخل حرم الحسين عليه السلام المدينة عجت نساء بني هاشم، وصارت المدينة صيحة واحدة، فضحك عمرو بن سعيد أمير المدينة، وتمثل بقول عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

عجت نساءُ بني زياد عجةً كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

وجلسَ عبد الله بن جعفر للتعزية، فدخل عليه مولاه، فقال: هذا ما لقينا من الحسين؟ فحذفه عبد الله بنعله، وقال: يابن اللخناء! أللحسين تقول هذا؟ والله، لو شهدته لاحببت أن أُقتل دونه، وإني لأشكر الله الذي وفَّق ابني عوناً ومحمداً معه، إذ لم أكن وفقت.

وخرجت بنت عقيل في نساء من قومها، وهي تقول:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم؟ ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم؟
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي فهم أُسارى وقتلى ضرّجوا بدم
أكان هذا جزائي إذ نصحتكم ولم تفوا لي بعهدي في ذوي رحمي
ضيعتم حقنا والله أوجبه وقد عرى الفيل حق البيت والحرم

وجاء في «المسانيد»: أنَّ القائلة للبيتين الأوَّلين زينب بنت علي عليها السلام حين قتل الحسين عليه السلام، وأنها أخرجت رأسها من الخباء، ورفعت عقيرتها[1]، وقالت البيتين الأوَّلين.

قالوا: ثُمَّ صعد عمرو بن سعيد ـ أمير المدينة ـ المنبر، وخطب، وقال في خطبته: إنها لدمة بلدمة، وصدمة بصدمة، وموعظة بعد موعظة ﴿حكمة

(١) ـ العقير: صوت الباكي.

بالغة فما تغن النذر﴾القمر/٥، والله لوددت أنَّ راسه في بدنه، وروحه في جسده، أحيان كان يسبُّنا ونمدحه، ويقطعنا ونصله، كعادتنا وعادته، ولم يكن من أمره ما كان، ولكن كيف نصنع بمن سلَّ سيفه يريد قتلنا؟ إلاّ أن ندفع عن أنفسنا.

فقام إليه عبد الله بن السائب، فقال: أما لو كانت فاطمة حية فرأت راس الحسين لبكت عليه.

فجبهه عمرو بن سعيد، وقال: نحن أحقُّ بفاطمة منك، أبوها عمنا، وزوجها أخونا، وابنها ابننا، أما لو كانت فاطمة حية لبكت عينها، وحزن كبدها، ولكن ما لامت من قتله، ودفع عن نفسه.

٣٥ـ أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والدي شيخ السنة أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أخبرنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا عبد الوهاب بن الضحاك، أخبرنا عيسى بن يونس، عن الأعمش، عن شقيق بن سلمة، قال: لما قُتِل الحسين بن علي بن أبي طالب ثارَ عبد الله بن الزبير، فدعا ابن عباس إلى بيعته، فامتنع ابن عباس، وظن يزيد بن معاوية أن امتناع ابن عباس كانَ تمسكاً منه ببيعته، فكتب إليه:

أما بعد فقد بلغني: أنَّ الملحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته، والدخول في طاعته، لتكون له على الباطل ظهيراً، وفي المآثم شريكاً، وإنك اعتصمت ببيعتنا، وفاءً منك لنا، وطاعةً لله لما عرفك من حقنا، فجزاك الله من ذي رحم خير ما يجزي الواصلين بأرحامهم، الموفين بعهودهم، فما أنسى من الأشياء فلستُ بناسٍ برِكَ، وتعجيل صلتك بالذي أنتَ له أهل من

القرابة من الرسول، فانظر من طلع عليك من الآفاق، ممن سحرهم ابن الزبير بلسانه، وزخرف قوله، فاعلمهم برأيك، فإنهم منك أسمع ولك أطوع، من المحل للحرم المارق.

فكتب إليه ابن عباس:

أما بعد: فقد جاءني كتابك، تذكر دعاء ابن الزبير إياي إلى بيعته، والدخول في طاعته، فإن يكن ذلك كذلك، فإني، واللّه، ما أرجو بذلك برك ولا حمدك، ولكن اللّه بالذي أنوي به عليم، وزعمتَ أنك غير ناس بري، وتعجيل صلتي، فاحبس، أيها الإنسان برّك، وتعجيل صلتك، فإني حابس عنك ودي، فلعمري، ما تؤتينا مما لنا قبلك من حقنا إلاّ اليسير، وأنك لتحبس منه عنا العريض الطويل، وسألتني أن أحثَّ الناس إليك، وان أخذلهم من ابن الزبير، فلا ولاء، ولا سروراً ولا حباً، إنَّك تسألني نصرتك وتحثني على ودك، وقد قتلت حسيناً، وفتيان عبد المطلب، مصابيح الدُّجى، ونجوم الهدى، وأعلام التقى، غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد، مزملين بالدماء، مسلوبين بالعراء، لا مكفنين، ولا موسَّدين، تسفي عليهم الرياح، وتنتابهم عرج الضباع، حتى أتاح اللّه لهم بقوم لم يشركوا في دمائهم، كفنوهم وأجنوهم، وبي وبهم واللّه غروب، وجلست مجلسك الذي جلست.

فما أنسى من الأشياء، فلستُ بناسٍ إطرادك حسيناً من حرم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حرم الله، وتسييرك إليه الرجال لتقتله في حرم الله، فمازلت بذلك وعلى ذلك حتى أشخصته من مكة إلى العراق، فخرج خائفاً يترقب، فزلزلت به خيلك عداوةً منك لله ولرسوله، ولاهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، أُولئك لا كآبائك الجفاة الأجلاف، أكباد الحمير.

فطلب إليكم الموادعة، وسألكم الرجعة، فاغتنمتم قلة أنصاره، واستئصال أهل بيته، فتعاونتم عليه، كأنكم قتلتم أهل بيت من الترك، فلا شيء أعجب عندي من طلبك ودي، وقد قتلت ولد أبي، وسيفك يقطرُ من دمي، وأنت أحد ثاري، فإن شاء اللّه لا يبطل لديك دمي، ولا تسبقني بثاري، فإن سبقتني في الدنيا، فقبل ذلك ما قتل النبيون وآل النبيين، فطلب اللّه بدمائهم، وكفى باللّه للمظلومين ناصراً ومن الظالمين منتقماً، فلا يعجبك أن ظفرت بنا اليوم، فلنظفرن بك يوماً، وذكرت وفائي وما عرفتني من حقك، فإن يكن ذلك كذلك، فقد بايعتك وأباك من قبلك، وأنك لتعلم أني وولد أبي أحق بهذا الأمر مِنك ومن أبيك، ولكنكم معشر قريش! كابرتمونا حتى دفعتمونا عن حقنا، ووليتم الأمر دوننا، فبعداً لمن تحرى ظلمنا، واستغوى السفهاء علينا، كما بعدت ثمود وقوم لوط وأصحاب مدين.

ومن أعجب الأعاجيب، وما عسى أن أعجب حملك بنات عبدالمطلب وأطفالاً صغاراً من ولده إليك بالشام، كالسبي المجلوبين، تُري الناس أنك قهرتنا، وأنت تمن علينا، وبنا مَنَّ اللّه عليك، ولعمر اللّه، لئن كنت تصبح آمناً من جراحة يدي، فإني لأرجو أن يعظم اللّه جرحك من لساني، ونقضي وابرامي، واللّه، ما أنا بآيس من بعد قتلك ولد رسول اللّه صلى الله عليه وآله أن يأخذك اللّه أخذاً اليماً، ويخرجك من الدنيا مذموماً مدحوراً، فعش لا أبا لك! ما استطعت، فقد واللّه، ازددت عند اللّه أضعافاً، واقترفت مآثماً، والسلام على من اتبع الهدى.

وكتب يزيد إلى محمد بن الحنفية، وهو يومئذ بالمدينة.

أما بعد: فإني أسال اللّه لي ولك عملاً صالحاً يرضى به عنا، فإني ما

أعرف اليوم في بني هاشم رجلاً هو أرجح منك علماً وحلماً، ولا احضر منك فهماً وحكماً، ولا أبعد منك عن كل سفه ودنس وطيش، وليس من يتخلق بالخير تخلقاً، ويتنحل بالفضل تنحلاً، كمن جبله اللّه على الخير جبلاً، وقد عرفنا ذلك كله منك قديماً وحديثاً، شاهداً وغائباً، غير أني قد أحببت زيارتك والأخذ بالحظ من رؤيتك، فإذا نظرت في كتابي هذا، فاقبل إلي آمناً مطمئناً، أرشدك اللّه أمرك، وغفر لك ذنبك، والسلامُ عليك ورحمة اللّه وبركاته.

فلما ورد الكتاب على محمد بن علي بن الحنفية، وقراه، أقبل على ابنيه جعفر وعبد اللّه أبي هاشم، فاستشارهما في ذلك، فقال له ابنه عبدالله: ياأبتي! اتَّق الله في نفسك، ولا تصر إليه، فإني خائف أن يلحقك باخيك الحسين، ولا يبالي. فقال له محمد: يابني! ولكني لا أخاف منه ذلك. وقال له ابنه جعفر: ياأبتي! إنه قد اطمانك والطفك في كتابه إليك، ولا أظنه يكتبُ إلى أحد من قريش بأن «أرشدك اللّه امرك، وغفر ذنبك»، وأنا أرجو أن يكف اللّه شره عنك.

فقال محمد: يابني إني توكلتُ على اللّه الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، وكفى باللّه وكيلاً، ثم تجهز محمد بن علي، وخرج من المدينة، وسار حتى قدم على يزيد بن معاوية بالشام، فلما استأذن أذن له، وقرَّبه وأدناه، وأجلسه معه على سريره، ثم أقبل عليه بوجهه، فقال: يا أبا القاسم! آجرنا الله وإياك في أبي عبد اللّه الحسين، فواللّه، لئن كان نقصك فقد نقصني، ولئن كان أوجعك فقد أوجعني، ولو كنت أنا المتولي لحربه لما قتلته، ولدفعتُ عنه القتل لو بجز اصابعي، وذهاب بصري، ولفديته بجميع ما ملكت يدي، وإن كان قد ظلمني، وقطع رحمي،

ونازعني في حقي، ولكن عبيد الله بن زياد لم يعلم رأيي فيه من ذلك، فعجل عليه بالقتل فقتله، ولم يستدرك ما فات، وبعد: فإنه ليس يجب علينا أن نرضى بالدنية في حقنا، ولم يكن يجب على أخيك أن ينازعنا في أمرٍ خصنا الله به دون غيرنا، وعزيز علي ما ناله، فهات الآن ما عندك يا أبا القاسم.

فتكلَّم محمد بن علي، فحمدَ الله وأثنى عليه، وقال: إني قد سمعتُ كلامك، فوصل الله رحمك ورحم حسيناً، وبارك الله لهُ فيما صار إليه من ثواب ربه، والخلد الدائم الطويل، في جوار الملك الجليل، وقد علمنا أن ما نقصنا فقد نقصك، وما عراك فقد عرانا من فرح وترح، وكذا أظن أن لو شهدت ذلك بنفسك لاخترت أفضل الرأي والعمل، ولجانبت أسوأ الفعل والخطل، والآن أن حاجتي إليك أن لا تسمعني فيه ما أكره، فإنه أخي وشقيقي، وابن أبي، وإن زعمت: انه كان ظالمك وعدواً لك، كما تقول.

فقال له يزيد بن معاوية: إنك لم تسمع فيه مني إلاَّ خيرا، ولكن هلم فبايعني، واذكر ما عليك من الدَّين حتى أقضيه عنك. فقال له محمد: أما البيعة فقد بايعتك، وأما ما ذكرت من أمر الدين فما علي دين بحمد الله، وإني من الله تبارك وتعالى في كل نعمة سابغة، لا أقوم بشكرها. فالتفت يزيد إلى ابنه خالد، وقال له: يابني! إنَّ ابن عمك هذا بعيد من الخب واللؤم والدنس والكذب، ولو كان غيره كبعض من عرفت، لقال: عليَّ من الدَّين كذا وكذا، ليستغنم أخذ أموالنا.

ثم أقبل عليه يزيد بن معاوية، وقال له: بايعتني يا أبا القاسم! فقال: نعم، يا أمير المؤمنين! قال: فإني قد أمرتُ لك بثلاثمائة ألف درهم فابعث من يقبضها، فإذا أردت الانصراف عنا، وصلناك إن شاء الله تعالى. فقال له

محمد: لا حاجة لي في هذا المال، ولا له جئت، فقال له يزيد: فلا عليك أن تقبضه وتفرقه في من أحببت من أهل بيتك، قال: فإني قد قبلته، ياأمير المؤمنين!

ثم إن يزيد أنزل محمداً في بعض منازله، فكان يدخل عليه صباحاً ومساءاً، ثم إن وفداً من أهل الكوفة قدموا على يزيد، وفيهم: المنذر بن الزبير؛ وعبد اللّه بن عمر؛ وعبد اللّه بن حفص بن المغيرة المخزومي؛ وعبداللّه بن حنظلة بن أبي عامر الأنصاري، فأقاموا عند يزيد أياماً، فأجارهم يزيد وأمر لكل رجل بخمسين الف درهم، وأجاز المنذر بمائة الف درهم، فلمَّا أرادوا الانصراف إلى المدينة، دخل محمد بن علي على يزيد، فاستأذنه في الإنصراف معهم، فاذِن له في ذلك ووصله بمائتين الف درهم، وأعطاه عروضاً بمائة الف درهم، ثم قال له: واللّه، ياابا القاسم الية أني لا أعلم اليوم في أهل بيتك رجلاً هو أعلم منك بالحلال والحرام، وقد كنتُ أحب أن لا تفارقني، وتأمرني بما فيه حظي ورشدي، وواللّه، ما أحبُّ أن تنصرف عني وأنت ذام لشيءٍ من أخلاقي.

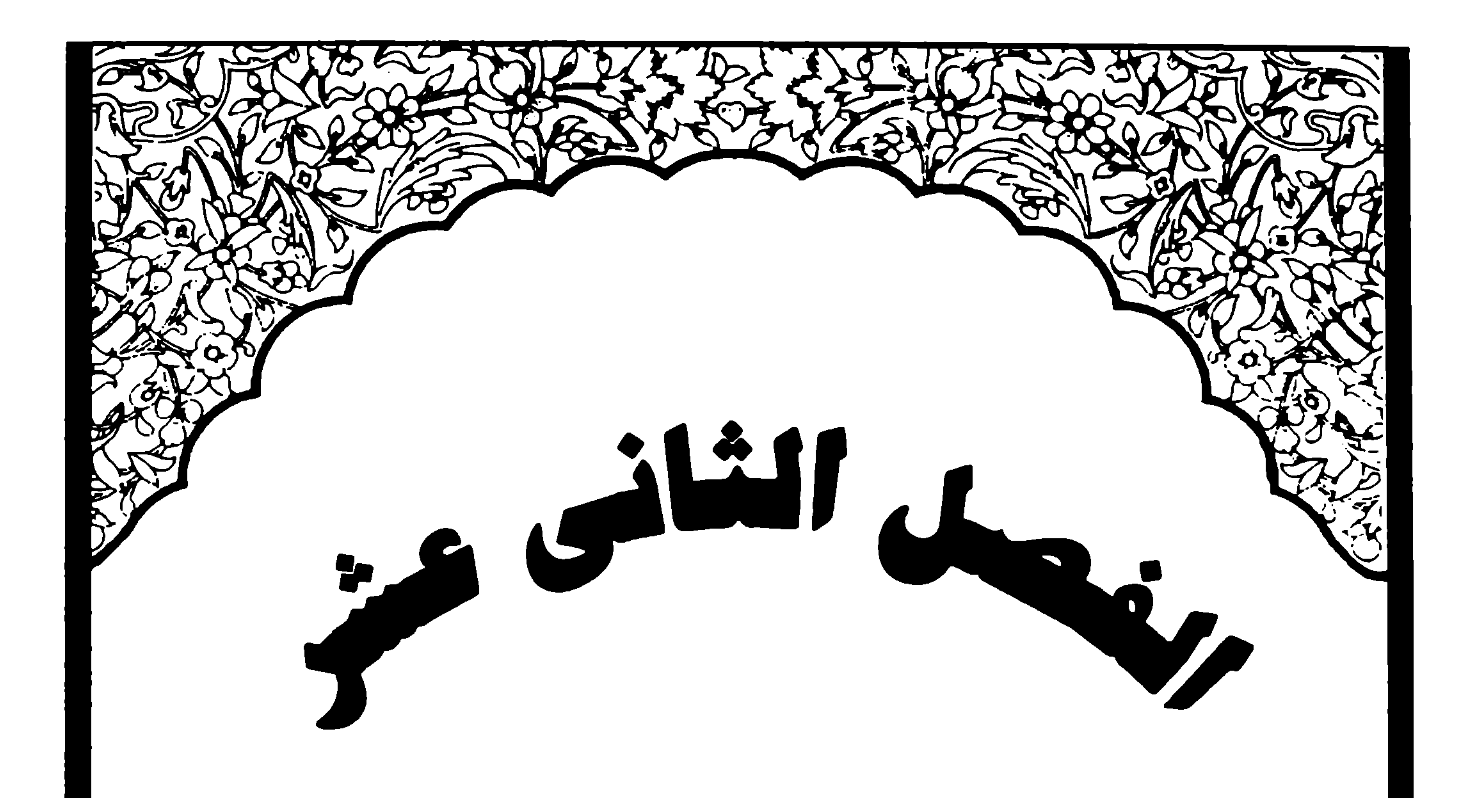
فقال له محمد: أما ما كانَ منك إلى الحسين، فذاك شيء لا يستدرك، وأما الآن فإني ما رأيتُ منك منذ قدمت عليك إلاَّ خيراً، ولو رأيتُ منك خصلة أكرهها، لما وسعني السكوت دون أن أنهاك عنها، وأُخبرك بما يحقُّ للّه عليك منها، للذي أخذ اللّه تبارك وتعالى على العلماء في علمهم أن يبينوه للناس ولا يكتموه، ولستُ مؤدياً عنك إلى من ورائي من الناس إلاَّ خيراً، غير أني أنهاك عن شرب هذا المسكر، فإنه رجس من عمل الشيطان، وليس من ولي أُمور الأُمة، ودعي له بالخلافة على رؤوس الأشهاد فوق المنابر، كغيره من الناس، فاتّق اللّه في نفسك، وتدارك ما سلف من ذنبك.

فسرّ يزيد بما سمع من محمد سروراً شديداً، وقال له: فإني قابل منك ما أمرتني به، وأنا أُحِبُّ أن تكاتبني في كل حاجة تعرض لك: من صلة أو تعاهد، ولا تقصر في ذلك أبداً.

فقال له محمد: أفعل ذلك إن شاء اللّه، وأكون عندما تحب.

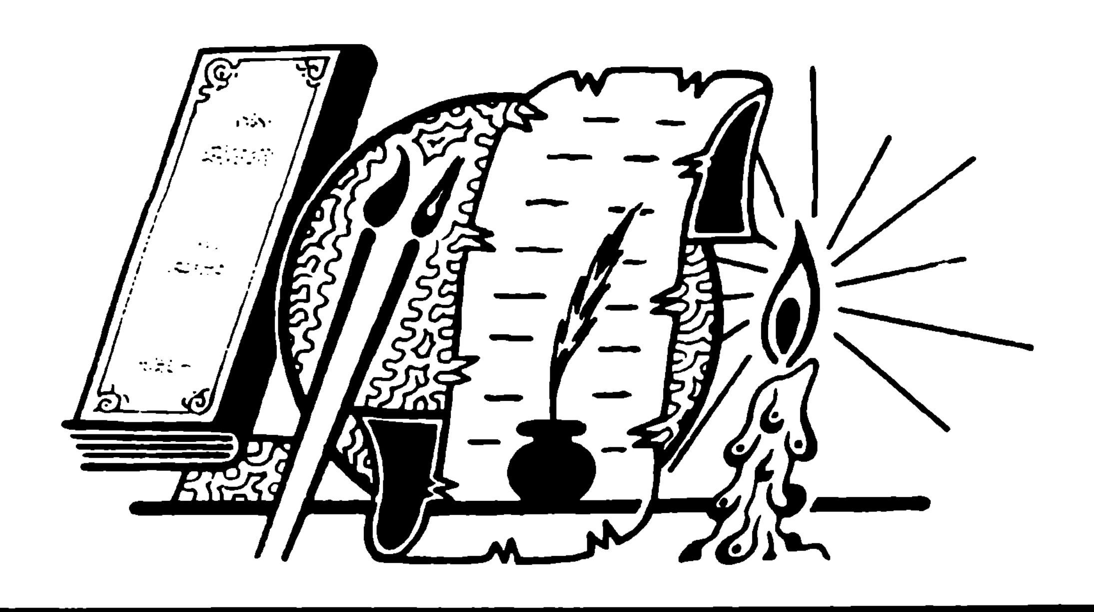
ثُمَّ ودعه ورجع إلى المدينة، وفرق ذلك المال كلّه في أهل بيته، وسائر بني هاشم وقريش، حتى لم يبق من بني هاشم وقريش أحد مِن الرجال والنساء والذرية والموالي إلاّ صار إليه من ذلك، ثم خرج محمد من المدينة إلى مكة، وأقام بها مجاوراً لا يعرف غير الصوم والصلاة، ولا يتداخل بغير الفقه.

* * *



الفصل الثاني عشر

في بيان عقوبة قاتل الحسين (صلى الله عليه وآله) وخاذله وماله من الجزاء



١ ـ أخبرنا الشيخ الثقة العد الحافظ أبو بكر محمد بن عبد اللّه بن نصر الزاغوني ـ بمدينة السلام منصرفي عن السفرة الحجازية ـ، أخبرنا الشيخ الجليل أبو الحسن محمد بن إسحاق بن الساهوجي، أخبرنا أبو عبد اللّه الحسين بن الحسن بن علي بن بندار، أخبرنا أبوبكر محمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان البزاز، أخبرنا أبو القاسم عبد اللّه بن أحمد بن عامر بن سليمان ـ ببغداد في باب المحوَّل ـ، حدثني أبي أحمد بن عامر بن سليمان الطائي، حدثني أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا، حدثني أبي موسى بن جعفر، حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي، حدثني أبي علي بن الحسين، حدثني أبي الحسين بن علي، حدثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إن قاتل الحسين في تابوت من نار، عليه نصف عذاب أهل النار، وقد شدّ يداه ورجلاه بسلاسل من نار، ينكس في النار، حتى يقع في قعر جهنم، وله ريح يتعوذ أهل النار إلى ربهم عزوجلّ من شدة نتنها وهو فيها خالد، ذائق العذاب الأليم، كلما نضجت

جلودهم تبدل عليهم الجلود ليذوقوا ذلك العذاب الأليم».

٢ـ وبهذا الإسناد، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الويلُ لظالمي أهل بيتي، عذابهم مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار، لا يفتر عنهم ساعة، ويسقون من عذاب جهنم، فالويل لهم من العذاب الأليم».

٣ـ وبهذا الإسناد، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اشتدَّ غضب الله وغضب رسوله على مَن أهرق دمي؛ وآذاني في عترتي».

٤ـ أخبرنا العالم العابد الأوحد أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي، عن مشايخه الثلاثة: محمود بن أبي القاسم الأزدي؛ وأبي نصر الترياقي؛ وأبي بكر الغورجي، ثلاثتهم، عن أبي محمد الجراحي، عن أبي العباس المحبوبي، عن الحافظ أبي عيسى الترمذي، حدثني واصل بن عبد الأعلى، حدثني أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، قال: لما جيء برأس عبيد الله بن زياد إلى المختار مع رؤوس أصحابه، نضدت في المسجد في الرحبة، فانتهيت إلى الناس وهم يقولون: قد جاءت، قد جاءت، فلم أدر، فإذا حيَّة قد جاءت فتخللت الرؤوس حتى دخلت في منخر عبيدالله بن زياد فمكثت هنيئة، ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت، ثم قالوا: قد جاءت، قد جاءت، ففعلت ذلك أمامي مرتين أو ثلاثاً.

قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث صحيح.

٥- وأخبرني الإمام الحافظ سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي، فيما كتبَ إليَّ من همدان، أخبرني والدي، أخبرني الحافظ الميداني إجازةً، أخبرني القاضي أبو الحسن الوراق، أخبرني أبو محمد عبدالله بن محمد بن زرعة، حدّثني ظهير بن محمّد بن ظهير، حدّثني عبدالله بن محمّد بن بشر، حدثني الحسن بن الزبرقان المرادي، حدثني

أبوبكر ابن عياش، عن الأجلح، عن الزبير، عن جابر الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يجيء يوم القيامة ثلاثة: المصحف؛ والمسجد؛ والعترة، فيقول المصحف: حرقوني ومزقوني، ويقول المسجد: خرّبوني وعطلوني، وتقول العترة: قتلونا وطردونا وشردونا، فأجثو على ركبتي للخصومة، فيقول الله عزّوجلّ: ذلك إليّ فأنا أولى بذلك».

٦ـ أخبرني سيد الحفاظ هذا، قال: ومما سمعت في «المفاريد» برواية عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ موسى بن عمران سأل ربه، فقال: يارب إنَّ أخي هارون مات فاغفر له، فأوحى الله إليه أن ياموسى! لو سألتني في الأولين والآخرين لأجبتك فيهم، ما خلا قاتل الحسين بن علي، فإني أنتقم له منه».

٧ـ وأخبرني سيد الحفاظ هذا، قال: وباسنادي إلى أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أُريتُ في منامي رَجلاً من أهل بيتي دعا إلى الله وعمل صالحاً، وغير المنكر، وأنكر الجور فصلب، فعلى صالبه لعنة الله».

٨ ـ وأخبرني سيد الحفاظ هذا، أخبرني أبو علي الحداد، أخبرنا أبونعيم، أخبرنا ابن حبَّان، حدثنا موسى بن هارون، حدثنا زهير بن حرب، حدثني أبو معاوية، عن محمد بن قيس بن البراء، عن عبد الله بن بدر الخطمي، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من أحبَّ أن يبارك [الله] في أجله، وأن يمتع بما خوله الله تعالى، فليخلفني في أهلي خلافة حسنة، ومن لم يخلفني فيهم بتك عمره، وَوَرَدَ عليَّ يوم القيامة مسوداً وجهه».

قال: فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن يزيد بن معاوية لم يخلفه في أهله خلافة حسنة، فبتك عمره، وما بقي بعد الحسين عليه السلام إلاَّ قليلاً، وكذلك

عبيد اللّه بن زياد (لعنهما اللّه).

٩ ـ وأخبرني سيد الحفاظ هذا ـ كتابةً ـ، أخبرني الرئيس أبو الفتح عبدوس بن عبد اللّه ـ فيما أذن لي، حدثني الشيخ العدل أبو بكر عبد اللّه ابن علي ابن حمويه، حدثني أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي ـ إجازةً ـ، حدثني أبو عمرو محمد بن محمد بن صابر، حدثني أبو سعيد خلف بن سليمان، حدثني أبو عبد اللّه محمد بن تميم السعدي، حدثني محمد بن عبد اللّه (الرحمن) النيسابوري، حدثني أبو هانئ، عن خلف بن محمد، قال: قال عمر بن عبد العزيز: سالتُ ربي عزوجلَّ أن يريني الخلفاء من أهل الجنَّة، فرايتُ فيما يرىٰ النائم أن القيامة قد قامت، وانَّ الناس قد قربوا للحساب، فرايتُ رجلاً قصيفاً قد حوسبَ حساباً يسيراً، وأمر به إلى الجنَّة، فقلت: من ذاك؟ قيل: أبو بكر الصديق.

ثُمَّ أُتي بآخر فحوسِبَ حساباً يسيراً، ثم أُمر به الى الجنَّة، فقلت: من ذاك؟ قيل عمر بن الخطاب.

ثم أُتي بآخر فحوسِبَ حساباً يسيراً وأُمر به إلى الجنة، فقلت: من هذا؟ قيل: عثمان بن عفان.

ولم أرَ علياً، فقلت: وأين علي؟ قيل: هيهات هيهات! عليٌ في أعلى علين مع النبيين والصديقين.

ثُمَّ مررتُ على وادٍ من نار، فإذا رجل فيه كلما أراد أن يخرج، قمع بمقامع من حديد فهوى، فقلت: من هذا؟ قيل: يزيد بن معاوية، ورأيت قبَّة من نارٍ فيها رجل، فلما رآني، قال لي: السلام عليك، ياعمر بن عبدالعزيز! قلت: من انت، ثكلتك أُمك؟ قال: الحجاج بن يوسف، قلتُ ما فعل بك الرحمن؟ قال: قُتِلتُ بكل رجلٍ مرة، وبدل سعيد بن جبير

سبعين مرةً، وانا على حال لم اياس من ربي.

١٠ـ وأخبرني الإمام أبو جعفر محمد بن عمر ـ كتابة ـ، أخبرني الإمام زيد ابن الحسن البيهقي، أخبرني النقيب علي بن محمد بن الحسين، أخبرني السيد الإمام أبو جعفر محمد بن جعفر الحسيني، أخبرني السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الحسيني قال: روي لي انَّ الزهري دخل على هشام ابن عبد الملك، فقال هشام: إني ما أراني إلاَّ أوبقت نفسي[1] بقتل زيد بن علي بن الحسين وذلك بعد قتله، فقال الزهري: وكيف ذاك؟ فقال: أتاني آت، فقال: إنه ما أصاب احد من دماء آل محمد شيئاً إلا أوبقَ نفسه من رحمة الله، فخرج الزهري، وهو يقول: اما والله، لقد أوبقت نفسك من قبل ذلك، وأنت الآن وابق.

١١ـ وأنباني الحافظ صدر الحفاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني بها، أخبرني محمود بن إسماعيل الصيرفي، أخبرني أحمد بن محمد بن الحسين، أخبرني الطبراني، حدثني محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثني محمد بن يحيى الصيرفي، حدثني أبو غسان، حدثني عبد السلام بن حرب، عن عبد الملك بن كردوس، عن حاجب عبيد الله بن زياد قال: دخلت القصر خلف عبيد الله، فاضطرم في وجهه ناراً، فقال هكذا بكمه على وجهه، والتفت إلي، فقال: هل رايت؟ قلت: نعم، فامرني أن أكتم ذلك.

١٢ـ وحدثنا عين الأئمة أبو الحسن علي بن احمد الكرباسي الخوارزمي، حدثنا الشيخ الامام أبو يعقوب يوسف بن محمد البلالي، حدثنا الإمام السيد المرتضى أبو الحسن محمد بن محمد بن زيد الحسيني

(١) أوبق نفسه: حبسها وأهلكها، ووبق: هلكَ.

الحسني، أخبرنا الحسن بن أحمد الفارسي، أخبرنا علي بن عبد الرحمن، حدثنا محمد بن منصور، حدثنا أحمد بن عيسى بن زيد بن حسين، عن أبي خالد؛ عن زيد، عن ابن لهيعة قال: كنتُ أطوف بالبيت، إذا أنا برجل يقول: اللّهُمَّ! اغفر لي، وما أراك فاعلاً! فقلت له: ياعبد اللّه! اتّقِ اللّه، لا تقل مثل هذا، فإن ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار؛ وورق الاشجار، واستغفرت اللّه غفرها لك، فإنه غفور رحيم.

فقال لي: تعالَ حتى أُخبرك بقصتي، فاتيته، فقال: اعلم إنا كنا خمسين نفراً حين قُتل الحسين بن علي، وسلم إلينا رأسه، لنحملهُ إلى يزيد بالشام، فَكنا إذا امسينا نزلنا وادياً؛ ووضعنا الرأس في تابوت؛ وشربنا الخمور حوالي التابوت إلى الصباح، فشرب أصحابي ليلةً حتى سكروا، ولم أشرب معهم، فلما جُنَّ الليل، سمعتُ رعداً وبرقاً، وإذا أبواب السماء قد فتحت فنزل: آدم؛ ونوح؛ وإبراهيم؛ وإسحاق؛ وإسماعيل؛ ونبينا محمد (صلوات اللّه عليهم)، ومعهم جبرئيل؛ وخلق من الملائكة.

فدنا جبرئيل من التابوت، فاخرج الرأس وقبله وضمه، ثم فعل الانبياء كذلك، ثم بكى النبيُّ محمد صلى الله عليه وآله على رأس الحسين، فعزاهُ الأنبياء، وقال له جبرئيل: يامحمَّد! إنَّ اللّه تباركَ وتعالى امرني ان أُطيعك في أُمتك، فإن أمرتني زلزلت بهم الأرض، وجعلتُ عاليها سافلها، كما فعلت بقوم لوط. فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «لا، ياجبرئيل فإن لهم معي موقفاً بين يدي اللّه عزوجلّ يوم القيامة».

قال: ثُمَّ صلوا عليه، ثُمَّ أتى قوم من الملائكة، فقالوا: إنَّ اللّه تعالى امرنا بقتل الخمسين، فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله: «شانكم بهم».

قال: فجعلوا يضربونهم بالحربات، وقصدني واحد منهم بحربته

ليضربني، فصحتُ: الأمان الأمان، يارسول الله! فقال لي: «اذهب فلا غفر الله لك»! قال: فلما أصبحتُ رأيتُ أصحابي جاثمين رماداً.

ورويتُ هذا الحديث بإسنادي إلى أبي عبد الله الحدادي، عن أبي جعفر الهندواني، بإسناده إلى ابن لهيعة، وفيه زيادة عند قوله: لنحمله إلى يزيد، قال: وكان كلٌّ من قتلهُ جفت يده، وفيه بعد: سمعتُ صوت رعد، لم أسمع مثله، فقيل: قد أقبل محمد، وسمعتُ بصهيل الخيل، وقعقعة السلاح مع جبرئيل؛ وميكائيل؛ وإسرافيل؛ والكروبيين؛ والروحانيين والمقربين، وفيه: فشكا النبي ﷺ إلى النبيين والملائكة، وقال: «قتلوا ولدي وقرَّة عيني»، فكلهم قَبَّلَ الراس، وضمه إلى صدره، والباقي من الحديث يقرب بعضه بعض.

١٣ـ أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والدي شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد، حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا شريك، عن أبي عمير يعني عبد الملك قال: قال الحجاجُ يوماً: من كان له بلاء فليقم لنعطيه على بلائه، فقام رجل، فقال: اعطني على بلائي، قال: وما بلاؤك؟ قال: قتلت الحسين بن علي؟ قال: وكيف قتلتهُ؟ قال: دسرته، والله، بالرمح دسراً، وهبرته بالسيف هبراً، وما أشركتُ معي أحداً، قال: أما إنك وإياه لن تجتمعا في مكان واحد. ثم قال له: اخرج، وأحسبه لم يُعطِهِ شيئاً.

١٤ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا محمد بن الحسين القطان، أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، حدثنا يعقوب بن سفيان الفسوي، حدثني النضر بن عبد الجبار، أخبرني ابن

لهيعة، عن أبي قبيل قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام كسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار، حتى ظننا أنها هي[١].

١٥ـ وبهذا الإسناد، عن يعقوب بن سفيان الفسوي هذا، حدثنا إسماعيل، حدثنا عليٌّ بن مسهر، حدثتني جدَّتي قالت: كنتُ أيام الحسين ابن عليّ جارية شابة، فكانت السماء أياما علقة[٢] بعدما قتل.

١٦ـ وبهذا الإسناد، عن يعقوب بن سفيان هذا، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثتنا أُم سرق العبدية، حدثتني نضرة الأزدية، قالت: لما قُتل الحسين مطرت السماء دماً، فأصبحنا وكل شيء لنا مليء دماً.

١٧ـ وبهذا الإسناد، عن يعقوب بن سفيان هذا، حدثني أيوب بن محمد الرقي، حدثني سلام بن سليمان الثقفي، عن زيد بن عمر الكندي، حدثتني أم حسان، قالت: يوم قتل الحسين عليه السلام اظلمت علينا ثلاثاً، ولم يمس أحد من زعفرانهم شيئاً فجعله على وجهه إلاَّ احترق، ولم يقلب حجر ببيت المقدس إلاّ وجد تحته دم عبيط.

١٨ـ وبهذا الإسناد، عن يعقوب بن سفيان هذا، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، قال: أول ما عرف الزهري أن تكلَّم في مجلس الوليد بن عبد الملك، قال الوليد: أيكم يعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين؟ فقال الزهري: بلغني أنه لم يقلب حجر إلاَّ وجد تحتهُ دم عبيط.

١٩ـ وبهذا الإسناد، عن حماد بن زيد هذا، حدثنا هشيم، عن ابن سيرين، قال: قيل له: أتعلم هذه الحمرة في الأفق مَّ هي؟ قال: عرفت من

---

(١) يعني القيامة.

(٢) اي كالدم.

يوم قتل الحسين بن علي. وروى هذا الحديث أبو عيسى الترمذي.

٢٠ـ وبهذا الإسناد، عن حماد بن زيد هذا، حدثني جميل بن مرَّة، قال: أصابوا إبلاً في عسكر الحسين عليه السلام يوم قتل، فنحروها وطبخوها، فكانت مثل العلقم، فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئاً.

٢١ـ وبهذا الإسناد، عن يعقوب بن سفيان، حدثنا أبو بكر الحميدي، حدثنا سفيان، حدَّثتني جدتي، قالت: لقد رأيتُ الورس عاد رماداً، ولقد رايت اللحم كانَّ فيه المرار[1]، وذلك ورس وإبل كانت للحسين ونُهبت لما قُتل.

٢٢ـ وبهذا الإسناد، عن يعقوب بن سفيان، حدثنا أبو نعيم، حدثني عقبة بن أبي حفصة، عن أبيه، قال: إن كان الورس من ورس الحسين بن علي ليقال به هكذا[2] فيصير رماداً.

٢٣ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين، اخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا محمد بن يعقوب، سمعتُ العباس بن محمد الدوري، سمعتُ يحيى بن معين، حدثني جرير، عن زيد بن أبي الزناد، قال: قُتِل الحسين بن علي ولي أربع عشرة سنة، وصار الورس الذي في عسكره رماداً، واحمرت آفاق السماء، ونحروا ناقة في عسكره فكانوا يرون في لحمها المرار.

٢٤ـ وبهذا الإسناد، عن أبي عبد الله الحافظ، سمعت الزبير بن عبد الله، سمعت أبا عبد الله بن وصيف، سمعت المشطاح الوراق، يقول: سمعتُ الفتح بن سحرف العابد، يقول: كنت افتُ الحبَّ للعصافير كل يوم

(١) المرار: نبت مرّ لا يُساع.

(٢) أي: يفرك.

فكانت تاكل، فلما كان يوم عاشوراء فتت لها فلم تاكل، فعلمتُ أنها امتنعت لقتل الحسين بن علي عليه السلام.

٢٥ـ وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا الحسين بن صفوان، حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، أخبرني العباس بن هشام بن محمد الكوفي، عن أبيه، عن جده، قال: كانَ رجل من أبان بن دارم، يقال له: «زرعة» شهد قتل الحسين عليه السلام ورماه بسهم فاصاب حنكه، فجعل يتلقى الدم بكفه، ويقول به هكذا الى السماء فيرمي به، وذلك أنَّ الحسين عليه السلام دعا بماء ليشرب، فلما رماه حال بينه وبين الماء، فقال الحسين: اللّهُمَّ! اظمئه، اللّهمَّ! اظمئه، قال: فحدثني من شهده وهو يجود أنه يصيح من الحر في بطنه، والبرد في ظهره، وبين يديه المرواح والثلج، وخلفه الكانون، وهو يقول: اسقوني أهلكني العطش! فيؤتى بعس عظيم فيه السويق والماء واللبن، لو شربه خمسة لكفاهم، فيشربه ويعود فيقول: اسقوني أهلكني العطش! قال: فانقدّ بطنه كانقداد البعير.

وذكر أعثم الكوفي هذا الحديث مختصراً، وسمى الرامي عبد الرحمن الأزدي، وقال: فقال الحسين: «اللّهم اقتله عطشاً، ولا تغفر له أبداً».

قال القاسم بن الأصبغ: لقد رأيتني عند ذلك الرجل وهو يصيح: العطش، والماء يبرد له فيه السكر، والاعساس فيها اللبن، وهو يقول: ويلكم، اسقوني قد قتلني العطش! فيعطى القلة والعس، فإذا نزعه من فيه، يصيح: اسقوني، ومازال حتى انقد بطنه، ومات أشرّ ميتة.

٢٦ـ وبهذا الإسناد، عن ابن أبي الدنيا، حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثني سفيان، حدثتني جدتي أُمُّ أبي، قالت: أدركتُ رجلين ممن شهد قتل الحسين عليه السلام، فأما أحدهما: فطال ذكره حتى كاد يلفه، وأما الآخر: فكان

يستقبل الراوية فيشربها حتى يأتي على آخرها ولا يرتوي.

قال سفيان: وأدركتُ ابن أحدهما به خبل أو نحوه.

٢٧ـ وبهذا الإسناد، عن أبي عبد اللّه الحافظ، حدثني أبو محمد يحيى بن محمد العلوي، حدثني الحسين بن محمد العلوي، حدثنا أبو علي الطرسوسي، حدثني الحسن بن علي الحلواني، عن عليٍّ بن معمر، عن إسحاق بن عباد، عن المفضل بن عمر الجعفي، سمعتُ جعفر بن محمد عليه السلام يقول: حدثني أبي محمد بن علي، حدثني أبي علي بن الحسين عليه السلام قال: لما قتل الحسين جاء غراب فوقع في دمه، ثم تمرغ ثم طار، فوقع بالمدينة على جدار دار فاطمة بنت الحسين وهي الصغرى، فرفعت رأسها إليه فنظرته فبكت، وقالت:

نعب الغراب فقلتُ من	تنعاه ويلك مِن غراب؟
قال الإمام فقلت من؟	قال الموفق للصواب
إن الحسين بكربلا	بين المواضي والحراب
قلتُ الحسين فقال لي	ملقى على وجه التراب
ثمَّ استقلَّ به الجناح	ولم يطق رد الجواب
فبكيتُ منه بعبرة	ترضي الإله مع الثواب

قال محمد بن علي عليه السلام: فنعته لأهل المدينة، فقالوا: جاءت بسحر بني عبد المطلب، فما كان بأسرع من أن جاءهم الخبر بقتل الحسين عليه السلام.

٢٨ـ وبهذا الإسناد، عن أبي عبدالله الحافظ، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن إسحاق البغوي ببغداد، حدثنا أبو بكر بن أبي العوام، حدثني أبي، حدثني منصور بن عمار، عن ابن لهيعة، عن أبي قُبيل، قال: لما قُتِل الحسين عليه السلام[1] بعث

---

(١) في الاصل: لمّا قتل الحسين حدّثني عليه السلام.

برأسه الى يزيد، فنزلوا أول مرحلة، فجعلوا يشربون ويبتهجون بالرأس، فخرجت عليهم كف من الحائط، معها قلم من حديد، فكتبت سطراً بدم:

أترجو أُمَّة قتلت حسيناً   شفاعة جدِّه يوم الحساب

٢٩ـ وذكر هذا البيت مع بيت آخر، الرئيس أبو الفتح الهمداني في كتابه المعروف بـ «فوز الطالب في فضائل علي بن أبي طالب»، على ما أخبرني به سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي ـ فيما كتب إليَّ من همدان ـ، أخبرني الرئيس أبو الفتح عبدوس بن عبد اللّه الهمداني في ـ كتابه ـ، حدثني الشريف أبو طالب، حدثني الحافظ محمد بن مردويه، حدثني يحيى بن عبد اللّه، حدثني جندل بن والق، حدثني محمد بن فورك[ح] قال الرئيس أبو الفتح: وحدثني أبي، حدثني أحمد بن عليّ الزعفراني، حدثني أحمد بن عبيد اللّه، حدثني الحضرمي، حدثني محمد بن فورك، عن أبي سعيد الثعلبي، عن يحيى بن يمان، عن إمام لبني سليم، قال: حدثنا أشياخنا، قالوا: دخلنا في الروم كنيسة لهم، فوجدنا في الحائط صخرة، فيها مكتوب:

أترجو أُمَّة قتلت حسيناً   شفاعة جدِّه يوم الحساب
فلا، واللّه، ليس لهم شفيع   وهم يوم القيامة في العذاب

فقلنا لشيخ في الكنيسة: منذ كم هذا الكتاب؟ فقال: من قبل أن يبعث صاحبكم بثلاثمائة عام.

٣٠ـ وأخبرني الحافظ صدر الحفاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني ـ إجازةً ـ، أخبرني محمود بن إسماعيل الصيرفي، أخبرني أحمد ابن محمد بن الحسين الطبراني، حدثني علي بن عبد العزيز، حدثني محمد ابن سعيد الأصبهاني، حدثني شريك، عن عطاء بن السائب، عن ابن وائل،

أو وائل بن علقمة، أنه شهد ما هناك، فقال: قام رجل من أصحاب عمر بن سعد، فصاح في معسكر الحسين: أفيكم حسين؟ قالوا: نعم، فقال: ابشر ياحسين بالنّار! فقال: «أبشر برب رحيم وشفيع مطاع، من أنت»؟ قال: ابن حويزة، قال: «اللّهمَّ حزه إلى النار»! قال: فنفرت به الدابة فتعلقت رجله بالركاب، فواللّه، ما بقي عليها منه إلاّ رجله.

٣١ـ وبهذا الإسناد، عن الطبراني، قال: حدثنا الحضرمي، حدثنا أحمد بن يحيى، حدثنا أبو غسان، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن الكلبي، قال: رمى رجل الحسين ﷺ وهو يشرب، فشك شدقه، فقال له: لا أرواك اللّه! قال: فشرب حتى نفط[1].

٣٢- وأخبرني أبو العلاء هذا ـإجازةً ـ، أخبرنا هبة اللّه بن محمد الشيباني، أخبرنا الحسن بن علي التميمي، أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، حدثنا إبراهيم بن عبد اللّه، حدثنا سليمان بن حرب، عن حماد، عن عمار: أنَّ ابن عباس رأى النبي ﷺ في منامه يوماً بنصف النهار، وهو أشعث أغبر، في يده قارورة فيها دم، فقال: يارسول اللّه! ماهذا الدم؟ قال: «دم الحسين، لم أزل ألتقطه منذ اليوم».

فأحصي ذلك اليوم فوجدوا الحسين ﷺ قُتل في ذلك اليوم.

٣٣ـ وأخبرني أبو العلاء هذا ـإجازةـ، أخبرني أبو علي الحداد، أخبرني محمد بن أحمد الكاتب، أخبرني عبد اللّه بن محمد، حدثني أحمد ابن عمر، حدثني إبراهيم بن سعيد، حدثني محمد بن جعفر بن محمَّد قال: سمعتُ عبد الرحمن بن محمَّد بن أبي سلمة، يذكر عن أبيه، عن جدِّه، عن أُمِّ سلمة، قالت: جاء جبرئيل ﷺ إلى النبي ﷺ، فقال: إنَّ

---

(١) ـ نفط: تقرَّح بدنه.

أُمتك تقتله يعني الحسين بعدك، ثم قال له: الا أُريك من تربة مقتله؟ قال: «نعم»، فجاء بحصيات فجعلهنَّ رسول اللّه في قارورة، فلما كانت ليلة قتل الحسين قالت أُمُّ سلمة: سمعتُ قائلاً يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً ... أبشروا بالعذاب والتنكيل
قد لعنتم على لسان ابن داود ... وموسى وصاحب الإنجيل

قالت: فبكيت وفتحت القارورة، فإذا قد حدث فيها دم.

٣٤ـ وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي ـفيما كتب إلي من همدانـ، أخبرني محمود بن إسماعيل، اخبرني أحمد ابن فادشاه [ح] قال: وأخبرني أبو علي مناولة، أخبرني أبو نعيم الحافظ، قالا: أخبرنا الطبراني، حدثنا القاسم بن عبَّاد الخطابي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا عمرو بن ثابت، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: قالت أم سلمة: ما سمعتُ نوح الجن منذ قُبض النبي صلى الله عليه وآله إلاَّ الليلة، وما أدري إلا وقد قُتل ابني تعني الحسين ثُمَّ قالت لجاريتها: اخرجي فاسالي، فأخبرتها أنه قد قتل، وكانت سمعت جنيَّة تنوح بهذين البيتين:

الا ياعين فاحتفلي بجهد ... فمن يبكي على الشهداء بعدي
على رهط سرت بهم المنايا ... إلى متجبر في ملك عبد

٣٥ـ وأنبأني صدر الحفاظ أبو العلاء الهمداني بها، أخبرنا محمود بن إسماعيل، أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين، أخبرنا أبو القاسم اللخمي، حدثنا محمد بن عثمان، حدثنا جندل بن والق، حدثنا عبد اللّه بن الطفيل، عن أبي زيد الفقيمي، عن أبي جناب الكلبي، قال: حدثني الجصاصون، قالوا: كنا إذا خرجنا في الليل إلى الجبانة أيام مقتل الحسين بن علي عليهما السلام سمعنا الجن ينوحون عليه، ويقولون:

مسح الرسول جبينه فَلَهُ بريق في الخدود
أبواه من عليا قريش وجـدُّه خيرُ الجـدود

٣٦ـ وانبأني أبو العلاء هذا، أخبرنا أحمدبن محمد البخاري؛ وأحمد بن عبد الجبار البغدادي؛ وهبة الله بن محمد الشيباني، قالوا: حدثنا محمد بن محمد الهمداني، حدثنا محمد بن عبد الله الشافعي، حدثنا محمد بن شداد المسمعي، حدثنا أبو نعيم عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أوحى الله تبارك وتعالى إلى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله: «إني قتلتُ بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإني قاتلُ بابن بنتك ـ يامحمد ـ سبعين ألفاً وسبعين ألفاً». وأخرج هذا الحديث أبو عبد الله الحافظ في «المستدرك»، عن ابن عباس أيضاً.

٣٧ـ وأخبرني الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن العاصمي، عن أبي علي إسماعيل بن أحمد، عن والده، أخبرني علي بن أحمد بن عبدان، أخبرني أحمد بن عبيد، أخبرني تمام، حدثني أبو سعيد، حدثني أبو خالد الأحمر، حدثني رزين، عن حبيش، قال: حدثتني سلمى، قالت: دخلتُ على أم سلمة وهي تبكي، فقلت لها: ما يبكيك؟ قالت: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، وعلى رأسه ولحيته أثر التراب، فقلت: مالك يارسول الله مغبراً؟ قال: «شهدتُ قتل الحسين آنفاً».

٣٨ـ وجاء في «المراسيل»: أنَّ سلمى المدنية، قالت: رفع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أم سلمة قارورة فيها رمل من الطف، وقال لها: «إذا تحول هذا دماً عبيطاً، فعند ذلك يقتل الحسين»، قالت سلمى: فارتفعت واعية من حجرة أُم سلمة فكنتُ أوَّل من أتاها، فقلت لها: ما دهاكِ ياأُم المؤمنين؟ قالت: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، والتراب على رأسه، فقلتُ: مالك؟

قال: «وثب الناس على ابني فقتلوه، وقد شهدته قتيلاً الساعة»، فاقشعر جلدي وانتبهت وقمتُ إلى القارورة فوجدتها تفور دماً، قالت سلمى: ورأيتها موضوعة بين يديها.

٣٩ـ وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور الديلمي ـ فيما كتب إلي من همدان ـ، أخبرني أبو علي الحداد، أخبرني أبو نعيم الحافظ، حدثني محمد ابن الفتح، حدثني عبد الله بن أبي داود، حدثني عباد بن يعقوب، حدثني أبو يزيد العتكي، عن هشام، عن عبد الله المكي، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاث من كنَّ فيه فليس مني: بغضُ علي عليه السلام، ونصب أهل بيتي، ومن قال: الإيمان كلام».

يعني فيها: يناصبهم العداوة، ويقول: بأن الإيمان قول بلا عمل.

٤٠ـ قال: وفي رواية أبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وآله: «ثلاث من حفظهن حفظ الله له دينه ودنياه، ومن ضيعهنَّ لم يحفظ الله له شيئاً: حرمة الإسلام؛ وحرمتي؛ وحرمة رحمي».

٤١ـ وأخبرنا سيد الحفاظ الديلمي هذا، أخبرنا أبو علي، أخبرنا أبو نعيم، عن أبي الهيثم أحمد بن محمد، عن علي بن أحمد، حدثنا عباد بن يعقوب، عن ارطاة بن حبيب، عن عبيد بن ذكوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي ـ وهو آخذ بشعره ـ، حدثني أبي علي بن الحسين ـ وهو آخذ بشعره ـ، حدثني أبي الحسين بن علي ـ وهو آخذ بشعره ـ، حدثني أبي علي ابن أبي طالب ـ وهو آخذ بشعره ـ، حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وهو آخذ بشعره ـ قال: «من آذى شعرة مني فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فعليه لعنة الله ملء السماء وملء الأرض».

٤٣ـ وأخبرنا سيد الحفاظ هذا ـ إجازةً ـ، أخبرنا الرئيس أبو الفتح

الهمداني ـ كتابةً ـ، حدثنا أبو الحسين بن يعقوب، حدثنا أبو القاسم عيسى ابن علي بن الجراح ـ وزير المقتدر بالله ـ، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن المقري، حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى، حدثنا عمر بن شبة، حدثنا عبيد ابن حماد، حدثني عطاء بن مسلم، قال: قال السدي: أتيتُ «كربلاء» أبيع البزَّ بها، فعمل لنا شيخ من طيّ طعاماً فتعشينا عنده، فذكر قتل الحسين عليه السلام، فقلت: ماشرك أحدٌ في قتله إلاَّ مات بأسوأ ميتة، فقال: ما أكذبكم ياأهل العراق! فأنا ممن شرك في قتله.

فلم يبرح حتى دنا من المصباح وهو يتقد بنفط، فذهب ليخرج الفتيلة باصبعه فأخذت النار فيها، فذهب ليطفئها بريقه فذهبت النارُ بلحيته، فعدا فالقى نفسه في الماء، فرأيته والله، كأنه حممة[1].

٤٣ـ وبهذا الإسناد، عن الرئيس أبي الفتح هذا، قال: أنشدني أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن، أنشدني عمار بن محمد، أنشدني يحيى بن زكريا، أنشدني عليٌّ بن منصور:

أباد الاكرمين بني علي   يزيد والدَّعي إلى سميَّة
شفيع في المعاد لنا أبوهم   ويشفع في المعاد لهم أُمية

٤٤ـ وبهذا الإسناد، عن الرئيس أبي الفتح هذا، حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسين الحنفي بالري، حدثنا عبد الله بن جعفر الطبري، حدثنا عبد الله بن محمد التميمي، حدثنا محمد بن الحسن العطار، حدثنا عبدالله ابن محمد الانصاري، حدَّثنا عمارة بن زيد، حدَّثنا بكر بن حارثة، عن محمد بن إسحاق، عن عيسى بن عمر، عن عبد الله بن عمرو الخزاعي، عن هند بنت الجون، قالت:

---

(١) الحممة: الفحمة.

نزل رسول اللّه صلى الله عليه وآله بخيمة خالتي ومعه أصحاب له، فكان من أمره في الشاة ما قد عرفه الناس، فقال[1] في الخيمة هو وأصحابه حتى أبرد، وكان اليوم قايظاً شديداً حرّه، فلما قام من رقدته، دعا بماء فغسل يديه فأنقاهما، ثم مضمضَ فاه ومجه على عوسجة كانت إلى جنب خيمة خالتي ثلاث مرات، واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، وذراعيه ثلاثاً، ثم مسح برأسه ما أقبل منه وأدبر مرةً واحدة، ثم غسل رجليه ظاهرهما وباطنهما، واللّه، ما عاينت أحداً فعل ذلك.

ثم قال: «إنَّ لهذه العوسجة شأناً».

ثم فعل من كان معه من أصحابه مثل ذلك، ثم قام فصلّى ركعتين، فعجبت أنا وفتيات الحي من ذلك، وما كان عهدنا بالصلاة ولا رأينا مصلياً قبله، فلمَّا كان من الغد أصبحنا وقد علت العوسجة حتى صارت كأعظم دوحة عالية وأبهى، وقد خضد اللّه شوكها، ووشجت عروقها، وكثرت أفنانها، واخضر ساقها وورقها، ثم أثمرت بعد ذلك فأينعت بثمر كان كأعظم ما يكون من الكمأة في لون الورس المسحوق، ورائحة العنبر وطعم الشهد، واللّه، ما أكل منها جائع إلاَّ شبع، ولا ظمآن إلا روي، ولا سقيم إلاَّ برئ، ولا ذو حاجة وفاقة إلاّ استغنى، ولا أكلَ من ورقها بعير ولا ناقة ولا شاة إلا سمنت ودر لبنها، فرأينا النماء والبركة في أمولنا منذ يوم نزل عليه السلام، وأُخصبت بلادنا وامرعت، فكنا نسمي تلك الشجرة: «المباركة»، وكان ينتابنا من حولنا من أهل البوادي يستظلون بها، ويتزودون من ورقها في الأسفار، ويحملون معهم للأرض القفار، فيقوم لهم مقام الطعام والشراب.

---

(١) من القيلولة.

فلم نزل كذلك وعلى ذلك حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمارها؛ واصفر ورقها؛ فأحزننا ذلك؛ وفزعنا من ذلك؛ فما كان إلاّ قليل حتى جاء نعي رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا هو قد قُبض ذلك اليوم، فكانت بعد ذلك تثمر ثمراً دون ذلك في العظم والطعم والرائحة، فأقامت على ذلك نحو ثلاثين سنة، فلما كان ذات يوم أصبحنا وإذا بها قد شاكت من أوّلها إلى آخرها، وذهبت نضارة عيدانها، وتساقطت جميع ثمرتها، فما كان إلاّ يسير حتى وافى خبر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فما أثمرت بعد ذلك لا قليلاً ولا كثيراً، وانقطع ثمرها، ولم نزل نحن ومن حولنا نأخذُ من ورقها؛ ونداوي به مرضانا؛ ونستشفي به من أسقامنا، فأقامت على ذلك برهة طويلة، ثم أصبحنا ذات يوم فإذا بها قد انبعث من ساقها دم عبيط، وإذا بأوراقها ذابلة تقطر دماً كماء اللحم، فقلنا قد حدثت حادثة عظيمة، فبتنا ليلتنا فزعين مهمومين نتوقع الحادثة، فلما أظلم الليل علينا سمعنا بكاءاً وعويلاً من تحت الأرض، وجلبة شديدة ورجّة، وسمعنا صوت نائح يقول:

أيابن النبي ويابن الوصيِّ بقية ساداتنا الأكرمينا

وكثر الرنين والأصوات، فلم نفهم كثيراً مما كانوا يقولون، فأتانا بعد ذلك خبر قتل الحسين عليه السلام، ويبست الشجرة وجفت، وكسرتها الأرياح والأمطار فذهبت ودرس أثرها.

قال عبد الله بن محمد الانصاري: فلقيت دعبل بن علي الخزاعي في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله فحدثته بهذا الحديث فلم ينكره، وقال: حدثني أبي، عن جدي، عن أُمه سعدى بنت مالك الخزاعية أنها أدركت تلك الشجرة وأكلت من ثمرها على عهد علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنها سمعت ليلة قتل

الحسين عليه السلام نوح الجن، فحفظت من جنية منهم هذين البيتين:

يابن الشهيد وياشهيداً عمه ... خير العمومة جعفر الطيار
عجباً لمصقول أصابك حدُّه ... في الوجه منك وقد علاك غبار

قال دعبل: فقلت في قصيدة لي تشتمل على هذين البيتين:

زر خيرَ قبرٍ بالعراقُ يُزار ... واعصِ الحمار فمن نهاك حمارُ
لم لا أزورك ياحسين لك الفدا ... قومي ومن عطفت عليه نزار؟
ولك المودَّة في قلوب ذوي النهى ... وعلى عدوك مقتةُ ودمار
يابن الشهيد وياشهيداً عمه ... خير العمومة جعفر الطيار
عجباً لمصقول أصابك حدُّه ... في الوجه منك وقد علاه غبار

٤٥ـ وذكر أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي: إنَّ عمر بن سعد لما دفع الرأس إلى خولي بن يزيد الأصبحي ليحمله الى عبيد اللّه بن زياد أُتي به ليلاً فوجد باب القصر مغلقاً، فأتى به منزله وله امرأتان: امرأة أسدية؛ وامرأة حضرمية، يقال لها: «نوار»، فآوى إلى فراشها، فقالت له: ماالخبر؟ قال: جئتك بالذهب! هذا رأس الحسين بن علي معك في الدار، فقالت: ويلك جاء الناس بالذهبِ والفضة، وجئت أنت برأس ابن رسول اللّه صلى الله عليه وآله، واللّه، لا تجمع رأسي ورأسك وسادة أبداً.

قالت: وقمتُ من فراشي إلى الدار، ودعوت الأسدية فأدخلتها عليه، فمازلت، واللّه أنظر إلى نور مثل العمود يسطع من الاجانة التي فيها الرأس إلى السماء، ورأيت طيوراً بيضاً ترفرف حولها وحول الرأس.

٤٦ـ وقال بعض العلماء: إنَّ اليهود حرموا الشجرة التي كان منها عصا موسى أن يخبطوا بها، وأن يوقدوا منها النار، تعظيماً لعصا موسى، وأنَّ النصارى يسجدون للصليب لاعتقادهم فيه: أنَّه من جنس العود الذي

صلب عليه عيسى، وأن المجوس يعظمون النار لاعتقادهم فيها أنها صارت برداً وسلاماً على إبراهيم بنفسها، وهذه الأمة قد قتلت أبناء نبيها، وقد أوصى اللّه تعالى بمودَّتهم وموالاتهم، فقال عزَّ من قائل: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلاَّ المودَّة في القربى**﴾الشورىٰ/٢٣.

٤٧ـ وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «حفظوا فينا ما حفظ العبد الصالح في اليتيمين لأبيهما الصالح، وكان الجد السابع، وقد ضيعت هذه الأمة حق رسول اللّه صلى الله عليه وآله بقتل أولاده».

٤٨ـ ورئي رجلٌ بلا يدين، ولا رجلين، وهو أعمى، يقول: ربي نجني من النار! فقيل له: لم تبق عليك عقوبة وأنت تسال النجاة من النار؟ قال: إني كنتُ في من قاتل الحسين بن علي في كربلاء، فلما قُتل رأيتُ عليه سراويل وتكة حسنة، وذلك بعد ما سلبه النَّاس، فاردتُ أن أنتزع التكة، فرفع يده اليمنى ووضعها على التكة، فلم أقدر على دفعها فقطعت يمينه، ثم أردتُ انتزاع التكة، فرفع شماله ووضعها على التكة، فلم أقدر على دفعها فقطعت شماله، ثم هممتُ بنزع السراويل، فسمعتُ زلزلة فخفت وتركته، فالقى اللّه عليَّ النوم، فنمتُ بين القتلى، فرأيت كانَّ النبي محمداً صلى الله عليه وآله أقبل ومعه: علي؛ وفاطمة؛ والحسنُ عليهم السلام، فاخذوا رأس الحسين فقبلتهُ فاطمة، وقالت: «يابني! قتلوك؟ قتلهمُ اللّه»، وكانه يقول: «ذبحني شمر، وقطع يدي هذا النائم» ـ وأشار إليَّ ـ.

فقالت فاطمة: «قطع اللّه يديك، ورجليك، وأعمى بصرك، وأدخلك النار». فانتبهتُ وأنا لا أبصر شيئاً، ثم سقطت يداي ورجلاي مني، فلم يبقَ من دعائها إلاَّ النار.

٤٩ـ وروي: انَّ رأس الحسين عليه السلام لما حُمل إلى الشام، جنَّ عليهم

الليل، فنزلوا عند رجلٍ من اليهود، فلما شربوا وسكروا، قالوا له: عندنا رأس الحسين، فقال لهم: أروني إياه، فأروه إياه بصندوق يسطع منه النور إلى السماء، فعجب اليهودي، واستودعه منهم، فأودعوه عنده، فقال اليهودي للراس ـ وقد رآه بذلك الحال ـ: اشفع لي عند جدك، فانطق اللّه الرأس، وقال: «إنما شفاعتي للمحمَّديين ولست بمحمدي»، فجمع اليهودي أقرباءه، ثم أخذ الرأس، ووضعهُ في طست وصبَّ عليه ماء الورد، وطرح فيه الكافور والمسك والعنبر.

ثم قال لأولاده وأقربائه: هذا رأس ابن بنت محمد، ثم قال: والهفاه! لم اجد جدَّك محمداً فاسلم على يديه، ثم والهفاه! لم أجدكَ حياً فاسلم على يديك وأُقاتل دونك، فلو أسلمتُ الآن أتشفع لي يوم القيامة؟ فانطقَ اللّه الرأس، فقال بلسان فصيح: «إن أسلمت فأنا لك شفيع». قالها ثلاث مرات، وسكت، فاسلم الرجل وأقرباؤه.

أقول: لعلَّ هذا الرجل اليهودي كان راهب «قنسرين»، لانه أسلم بسبب رأس الحسين عليه السلام، وجاء ذكره في الأشعار، وأورده الجوهري والجرجاني في مراثي الحسين كما سيرد عليك في موضعه إن شاء اللّه.

ومثل هذا يجوز إذا أخبر به النبي صلى الله عليه وآله أنه سيكون بعدي كذا وكذا، كما أخبر عن بقيلة بنت الشماء الأزدية صاحبة الحيرة، وكما أخبر سفينة مولاه أنه يكلمه الأسد، وكما أخبر عن تبليغ صوت عمر من المدينة إلى نهاوند حين افتتحوها، وفي حربها صاح عمر: ياسارية الجبل الجبل في أخبار له عليه السلام كثيرة.

٥٠ـ وحدَّثنا عين الأئمة ابو الحسن عليّ بن احمد الكرباسي ـ إملاءاً ـ، حدَّثنا الشيخ الإمام ابو يعقوب يوسف بن محمد البلالي، حدَّثنا السيد

الإمام المرتضى أبو الحسن محمَّد بن محمَّد الحسيني الحسني، أخبرنا الحسن ابن محمد الفارسي، أخبرنا أبو الحسن عليّ بن عبد الرحمن بن عيسى، حدَّثنا أبو جعفر محمَّد بن منصور المرادي المصري، حدَّثنا عيسى بن زيد بن حسين، عن أبي خالد، عن زيد، قال: قال الحسن البصري: كان يجالسنا شيخ نصيب منه ريح القطران، فسألناه عن ذلك، فقال: إني كنتُ في من منع الحسين بن علي عن الماء، فرأيتُ في منامي كأنَّ الناس قد حشروا فعطشتُ عطشاً شديداً فطلبت الماء، فإذا النبي؛ وعليّ؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين عليهم السلام على الحوض، فاستسقيتُ من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «اسقوه»، فلم يسقني أحد، فقال ثانياً، فلم يسقني أحد، فقال ثالثاً، فقيل: يارسول الله! إنه ممن منع الحسين من الماء، فقال: «اسقوه قطراناً» فاصبحت أبول القطران، ولا آكل طعاماً إلاَّ وجدتُ منه رائحة القطران، ولا أذوق شراباً إلاَّ صار في فمي قطراناً.

٥١ـ وروي عن مينا أنَّه قال: ما بقي من قتلة الحسين أحد لم يُقتل، إلا رمي بداء في جسده قبل أن يموت.

٥٢ـ وقال ابن رماح: لقيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين عليه السلام فكان الناس يأتونه ويسألونه عن سبب ذهاب بصره. فقال: إني كنتُ شهدت قتله عاشر عشرة، غير أني: لم أضرب، ولم أطعن، ولم أرمِ، فلمَّا قُتِل رجعتُ إلى منزلي فصلَّيت العشاء الآخرة ونمتُ، فأتاني آتٍ في منامي، وقال لي: أجب رسول الله! فإذا النبي صلى الله عليه وآله جالس في الصحراء، حاسر عن ذراعيه، آخذ بحربة، ونطع بين يديه، وملك قائم لديه في يده سيف من نار يقتل أصحابي، فكلما ضربَ رجلاً منهم ضربةً التهبت نفسه ناراً، فدنوت من النبي صلى الله عليه وآله، وجثوتُ بين يديه، وقلت: السلامُ عليك يارسول الله! فلم

يرد عليَّ، ومكث طويلاً مطرقاً، ثم رفع رأسه وقال لي: «ياعبد اللّه! انتهكت حرمتي، وقتلت عترتي، ولم ترع حقي، وفعلت وفعلت». فقلت له: يارسول اللّه! واللّه، ما ضربتُ سيفاً، ولا طعنتُ رمحاً، ولا رميتُ سهماً.

فقال: «صدقت، ولكنك كثرت السواد، إدنُ مني»، فدنوت منه، فإذا طست مملوء دماً، فقال: «هذا دم ولدي الحسين». فكحلني منه فانتبهت ولا أبصر شيئاً حتى الساعة.

وأورد هذا الحديث مجد الأئمة السرخسكي، ورواه عن أبي عبداللّه الحداد، عن الفقيه أبي جعفر الهندواني، أنه قال: يحكى عن عبداللّه بن رماح القاضي، وساق الحديث إلى أن قال: وكلما قتلهم عادوا أحياءً فيقتلهم مرَّةً أُخرى، وقال: «صدقت، ولكن ياعدوَّ اللّه! لم ترعَ حق نبوتي».

وباقي الحديث يقرب بعضه من بعض في ـ اللفظ والمعنى ـ.

ولقد لقي بنو الحسن والحسين من عتاة بني العبَّاس ما لقى آباؤهم من طغاة بني أُمية.

٥٣ـ على ما أخبرني الشيخ الإمام أبو جعفر محمَّد بن عمير بن أبي علي ـ كتابةً ـ، أخبرني الإمام زيد بن الحسن البيهقي، أخبرني النقيب علي بن محمَّد الحسني، أخبرني السيد الإمام أبو جعفر محمَّد بن جعفر الحسني، أخبرني أبو طالب يحيى بن الحسين الحسني، حدَّثني أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسيني ـ إملاءاً ـ، أخبرني أبو علي الحسن بن علي بن برزخ، سمعتُ محمد بن يحيى الصولي، سمعتُ أبا العيناء محمَّد بن أبي القاسم يقول ـ وقد تدارك ذهاب بصره ـ قال: كان أبو جعفر ـ يعني الدوانيقي ـ دعا

جدي وكان في نهاية الثقة به لكمال عقله، فقال له: قد ندبتك لأمرٍ عظيم عندي، فأنت عندي، كما قال أبو ذويب:

الكني[1] إليها وخير الرَّسول اعلمهم بنواحي الخبر

ثمَّ عرفه بما يريده منه، وأطلق له مالاً خطيراً، وقال له: كلُّ شيءٍ تريده بعد هذا من المال فخذه وصر إلى المدينة، وافتح بها دكان عطار، وأظهر أنَّك مِن خراسان من شيعة عبد اللّه بن الحسن بن الحسن، وأنفق على أصحابه، وأهد لهم وله ما يقربك منهم، وكاتبني مع ثقاتك بأنفاسهم، وتعرف لي خبر ابنيه محمد وإبراهيم.

قال: فمضى جدي ففعل ذلك كلّه، فلما أخذ - أبو جعفر الدوانيقي - عبد اللّه بن الحسن وإخوته، جعل يوبخ عبد اللّه على شيء من فعله، ويأتيه بما ظن عبد اللّه أنه ليس أحد يعلمه، فقال عبد اللّه لبعض ثقاته: من أين أتينا؟ قال: من العطار. قال: اللّهم! أبله في نفسه وولده بما يكون، نكالاً له وردعاً لغيره، بلاءاً يُشتهر به.

قال: فعمي جدي وأبي وعمي وولدهم، وأنا على الحال التي ترون، وكذلك تكون ولدي من دعاء - عبد اللّه بن الحسن -، وكذلك يكونون إلى يوم القيامة.

وذكر أبو أحمد العسكري، بإسناده إلى بشير الرَّحال هذه الحكاية تامة، إلى أن قال: فاخذ أبو جعفر عبد اللّه بن الحسن، وحبسه وجوَّعه، ووضعت المائدة بين يديه، ثم قال لبعض خدمه: قم على رأسه! فقام فلم يلتفت إليه من شدَّة الجوع، فقال: اجذبه فجذبه، فنظر إليه فسقطت اللقمة من يده، فقال: أقلني، ياامير المؤمنين. قال: لا أقالني اللّه إذن، ثم قتله

---

(١) الكني: ارسلني.

وسمره، فدخل إليه بشير الرّحال، فقال أبو جعفر لخادم له: اذهب به حتى ينظر إلى عبد اللّه بن الحسن، فلمّا دخلَ ورآه غشي عليه وسقط، وقال للخادم: استر عليَّ، قال: نعم، فقال أبو جعفر: يابشير! أترى بعد عبد اللّه عندي لأحد هوادة[1]؟ فقلت في نفسي: واللّه، إن قدرتُ على الخروج عليك خرجت، فخرج مع إبراهيم بن عبد اللّه وقُتِل.

٥٤ـ وفي رواية أُخرى: انَّ ـ أبا جعفر ـ قال لبشير: أي رجل كان عبداللّه بن الحسن؟ قال: فقلتُ من خيار الناس، قال: أراكَ محباً له، فقلتُ: إني لأُحبُّ كل خير ذِي فضل، فقال: ادخل هذا البيت فدخلتُ، فإذا عبد اللّه مذبوح، فغشي عليَّ ثم خرجت إليه، فقلت[2]: هذه الدُّنيا أصبتها، أما لك في الآخرة من حاجة، فقُتِل (ره).

٥٥ـ وبالإسناد الذي تقدم إلى السيد أبي طالب، قال: روى أبو عبداللّه محمَّد بن يزيد المهلَّبي، حدَّثني محمَّد بن زكريا العلائي، قال: صرتُ إلى احمد بن عيسى بن زيد ـ وهو متوارٍ بالبصرة ـ، فقال لي: لما طلبنا هارون الملقَّب بالرشيد، خرجتُ أنا؛ والقاسم بن إبراهيم بن عبداللّه ابن الحسن؛ وعبد اللّه بن موسى بن عبد اللّه بن الحسن، فتفرقنا في البلاد، فوقعت الى ناحية الري، ووقع عبد اللّه بن موسى إلى الشام، وخرج القاسم بن إبراهيم إلى اليمن، فلما توفي هارون الرشيد اجتمعنا في الموسم فتشاكينا مامرَّ علينا.

فقال القاسم: اشد ما مر بي أني لما خرجتُ من مكة أُريد اليمن صرتُ في مفازة لا ماء فيها، ومعي زوجتي بنت عمي وبها حبل فجاءها المخاض في

(١) الهوادة: اللين.

(٢) يعني في نفسي وقتله في الحرب مع ابراهيم كما مر.

ذلك الوقت، فحفرت لها حفيرة لتولي أمر نفسها، وضربتُ في الأرض أطلب لها ماء فرجعت ولم أصب ماءً، فرأيتها قد ولدت غلاماً وقد أجهدها العطش، فالحت في طلب الماء، ولم أصب، فرجعتُ إليها وقد ماتت والصبي حيّ، فكان بقاء الغلام أشدَّ عليَّ من وفاة أُمَّه، فصليتُ ركعتين، ودعوتُ الى اللّه أن يقبضه، فما فرغتُ من دعائي حتى مات.

وقال عبد اللّه بن موسى: أشدُّ ما مرَّ بي، إني خرجتُ من بعض قرى الشام، فصرتُ إلى بعض المسالح وقد تزييت بزي الأكرة والفلاحين، فسخرني بعض الجند، وحمل على ظهري شيئاً ثقيلاً، فكنتُ إذا أعييت، وضعت ما على ظهري للاستراحة، ضربني ضرباً موجعاً، وقال لي: لعنك اللّه، ولعن من أنت منه، وقلتُ أنا من شديد ما نالني: إني صرتُ إلى ورزنين[1]، ومعي ابني محمَّد فتزوجت لبعض الحاكة هناك، وتكنيتُ: بأبي حفص الجصاص، فكنتُ أغدو فاقعد مع بعض من آنس به من الشيعة، ثم اروح الى منزلي كأني قد عملتُ يومي، وولدت المراة بنتاً وتزوج ابني محمد الى بعض موالي عبد قيس هناك، فاظهر مثل ما اظهرت، فلما صار لابنتي عشر سنين، طالبني أخوالها بتزويجها من رجل من الحاكة له فيهم قدر فضقت ذرعاً بما دفعتُ إليه، وخفتُ من إظهار نسبي، والح القوم عليَّ في تزويجها، ففزعتُ الى اللّه وتضرعت إليه في أن يخترمها، ويحسن عليَّ الخلف والعوض عنها، فاصبحت الصبيَّة عليلة، وماتت من يومها.

فخرجتُ مبادراً إلى ابني محمد، أُبشره فلقيني في الطريق، واعلمني: أنَّه ولد له ولد فسماه علياً، وهو اليوم بناحية ورزنين، لا أعرف لهُ خبراً للاستتار الذي أنا فيه.

---

(١) ورزنين من قرى الري.

٥٦ـ وبهذا الإسناد، الى السيد أبي طالب هذا، قال: روى أبو الفرج عليّ بن الحسين المعروف بالأصبهاني، أخبرنا علي بن العباس البجلي، حدثنا حسين بن نصر ـ وذكر قصّة آل الحسن وحبسهم ـ، فقال: حبسهم أبو جعفر الدوانيقي ستين ليلة في محبس لا يدرون به ليلاً من نهار، ولا يعرفون وقت الصلاة إلاّ بتسبيح علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن عليه السلام.

فضجر عبد اللّه بن الحسن بن الحسن ضجرةً، فقال: ياعليّ! الا ترى ما نحنُ فيه من البلاء؟ ألا تطلب إلى ربك أن يخرجنا من هذا الضيق والبلاء؟ قال: فسكت عنه طويلاً، ثم قال: ياعم! إنَّ لنا في الجنَّة درجة لم نكن لنبلغها إلاّ بهذه البلية، أو بما هو أعظم منها، وانَّ لأبي جعفر في النار موضعاً لم يكن ليبلغه حتى يبلغ منا مثل هذه البلية أو أعظم منها، فإن تشأ أن تصبر فأوشك فيما أصابنا أن نموت فنستريح من هذا الغم، كأن لم يكن شيء وإن نشأ ندعوا ربّنا تعالىٰ أن يخرجك من الغم، ويقصر بأبي جعفرِ عن غايته التي له في النار فعلنا. فقال عبد اللّه: لا، بل أصبر، فما مكثوا إلا ثلاثاً حتى قبضهم اللّه تعالى إليه.

٥٧ـ وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، حدثنا أحمد بن إبراهيم الحسني، حدثنا علي بن الحسين الهمداني، حدَّثنا الحسن بن علي الأسدي، حدثنا أحمد بن رشد، حدَّثنا أبو عمر سعيد بن خيثم: انَّ زيد بن علي عليه السلام كتّب كتائبه، فلما خفقت راياته رفع يده إلى السماء، فقال: الحمدُ للّه الذي أكمل لي ديني، واللّه، ما يسرني إني لقيتُ محمَّداً صلى الله عليه وآله ولم آمر أُمته بمعروف، ولم أنههم عن منكر.

وفي رواية أُخرى: واللّه، إني لاستحي من رسول اللّه صلى الله عليه وآله إذا لقيته ولم آمر أُمته بالمعروف، ولم أنههم عن المنكر، واللّه، ما أُبالي إذا أقمت

كتاب اللّه وسنة رسول اللّه صلى الله عليه وآله أن أُججت لي نار، وقذفت فيها ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة اللّه عزوجلّ.

واللّه، لا ينصرني أحد إلا كان في الرفيق الأعلى مع: محمّد؛ وعلي؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين (صلوات اللّه عليهم)، ويحكم، أما ترون هذا القرآن بين أظهركم جاء به محمد صلى الله عليه وآله ونحن بنوه.

يامعشر الفقهاء! وأهل الحجى! أنا حجّةُ اللّه عليكم، هذه يدي مع أيديكم، على أن نقيم حدود اللّه، ونعمل بكتابه، ونقسم فيكم بالسوية، فسلوني عن معالم دينكم، فإن لم أُنبئكم بكل ما سألتم عنه، فولوا من شئتم ممن علمتم أنه أعلم مني. لقد علمت علم أبي علي بن الحسين، وعلم جدي الحسين بن علي، وعلم علي بن أبي طالب وصي رسول اللّه صلى الله عليه وآله وعيبة علمه، وإني لأعلم أهل بيتي، واللّه، ما كذبت كذبة منذ عرفت يميني من شمالي، ولا انتهكت محرماً منذ عرفت أن اللّه تعالى يؤاخذني به، هلموا فاسألوني.

ثم سار حتى انتهى الى الكناسة فحمل على جماعة من أهل الشام كانوا بها، ثم سار إلى الجبانة، و يوسف بن عمر مع أصحابه على التل، فشدَّ بالجمع على زيد وأصحابه.

قال أبو معمر: فرايته شدَّ عليهم كانه الليث حتى قتلنا منهم أكثر من ألفي رجل ما بين الحيرة والكوفة، وتفرقنا فرقتين وكنا من أهل الكوفة أشدَّ خوفاً. قال أبو معمر: فلما كان يوم الخميس حاصت حيصة منهم، واتبعتهم فرساننا فقتلنا أكثر من مائتي رجل، فلما جنَّ علينا الليل ليلة الجمعة، كثر فينا الجراح، واستبان فينا الفشل، فجعل زيد يدعو، ويقول: اللّهُمَّ! إن هؤلاء عدوك وعدوُّ رسولك ودينك الذي ارتضيته لعبادك،

وهؤلاء يقاتلونهم، اللّهُمَّ! فاجزهم أفضل ما جزيت أحداً من عبادك المؤمنين.

ثم قال: عباد اللّه! أحيوا هذه الليلة: بقراءة القرآن؛ والدعاء والتهجد؛ والتضرع إلى اللّه تعالى، فإني، واللّه، لاعلم أنه ما أمسى على وجه الأرض عصابة أنصح للّه ورسوله وللإسلام منكم.

قال: ولما قُتل وصلب، قال جرير بن حازم: رأى أبي النبي صلى الله عليه وآله وهو مسند ظهره إلى جذع زيد بن علي وهو مصلوب، وهو يقول للنّاس: «أهكذا تفعلون بولدي؟ أهذا جزائي منكم»؟

٥٨ـ وروي: أنَّ أبا حنيفة النعمان بن ثابت، سُئِلَ عن خروج زيد؟ فقال: إن خروجه، واللّه، ليضاهي خروج رسول اللّه صلى الله عليه وآله يوم بدر، فقيل له: فهلا قاتلت معه ياابن الواسعة؟[1] فقال: حبستني عنه ودائع الناس عندي، فخفتُ أن أُقتل مهملاً للوديعة.

٥٩ـ وقيل: بعث أبو حنيفة إلى زيد بن علي جراباً من الورق، وقال له: استظهر بها على خروجك، وكان يحضُّ الناس على الخروج معه، حتى أن بعض أهل البيت كان يقول: رحم اللّه أبا حنيفة! فإنه كان يعين أصحاب زيد على الخروج ويقوي قلوبهم، وفعل اللّه بعبد اللّه بن المبارك وفعل، فإنه كان يثبط الناس عنه.

٦٠ـ وقال عبد اللّه بن الحسن بن الحسن: دخلت على عمر بن عبد العزيز فخلا بي، وقال: يا أبا محمد! إن رأيت أن ترفع ما فوق الأزار. فقلت: ما تُريد إلى هذا رحمك اللّه؟ قال: فإني أسالك، فرفعتُ فجاء ببطنه حتى أُلزق ببطني، ثم قال: إني لأرجو أن لا تمس النار بضعة مست

---

(١) كذا في النسخة، ولعل فيها تصحيفاً أو تحريفاً.

بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله.

٦١ـ وخطب محمَّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله بعد قتل زيد، فقال: أما، والله، لقد أحي زيد ابن علي ما دثر من سنن المرسلين؛ وأقام عمود الدين إذ أعوج ولن ننحو إلاّ أثره؛ ولن نقتبس إلاّ من نوره؛ فزيد إمام الأئمة، وأوَّل من دعاء إلى الله بعد الحسين ابن علي.

٦٢ـ وقال هذا القول أيضاً سفيان الثوري، وكان سفيان زيدياً، وكان يقول: قام زيد مقام الحسين بن علي، وكان أعلم خلق الله بكتاب الله، ما ولدت النساء مثله أبداً. وكان زيد بن علي يقول: من استشعر حُب البقاء، استدبر الذل إلى الفناء.

٦٣ـ ولما خرج الدَّاعي الحسن بن زيد قال:

لاعيب في ديننا ولا أثره	لولا طغاة قد تابعوا الشجرة
إني لأرجو والله ينصرنا	بالسيف نعلو جماجم الكفرة
ردوا علينا تراث والدنا	خاتمه والقضيب والحبرة
وبيت ذي العرش سلموه لنا	تليه منا عصابة طهرة
فطالما دنست مشاعره	واظهرت فيه فسقها الفجرة

٦٤ـ وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب، حدَّثنا أحمد بن محمد البغدادي، حدَّثنا أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصبهاني، حدثني عمي الحسن بن محمد، حدثني محمد بن القاسم، حدثني محمد بن أبي العتاهية، حدثني أبي، قال: لما امتنعتُ من قول الشعر وتركته، أمر المهدي بحبسي في سجن الجرائم، فأُخرجت من بين يديه إلى الحبس، فلمَّا دخلته دهشت وذهل عقلي ورأيتُ منظراً هالني، فرميت بطرفي أطلب موضعاً

آوي إليه، ورجلاً آنس به وبمجالسته فإذا أنا بكهل حسن السمت، نظيف الثوب، بين عينيه سيماء الخير، فقصدتهُ وجلستُ إليه من غير أن أسلم عليه، وأسأله عن شيء من أمره، لما أنا فيه من الجزع والحيرة والدهشة، فمكثنا كذلك ملياً وأنا مطرق ومفكر في حالي فانشد:

تعودتُ مسَّ الضرِّ لما ألفته
وأسلمني حسن العزاء الى الصبر
وصيرني يأسي من الناس واثقاً
بحسن صنيع اللّه من حيث لا أدري

قال: فاستحسنتُ البيتين وتبركت بهما، وثاب إليَّ عقلي، فقلت له: تفضل أعزَّك اللّه بإعادة البيتين، فقال لي: ويحك، ياإسماعيل! ـ ولم يكنني ـ ما أسوأ أدبك، وأقل عقلك ومروءتك! دخلت عليَّ ولم تسلم علي تسليم المسلم على المسلم، ولا توجعت لي توجع المبتلى للمبتلى، ولا سألتني مسألة الوارد على المقيم، حتى إذا سمعت مني بيتين من الشعر الذي لم يجعل اللّه فيك خيراً إلاّ به، ولم يجعل لك معاشاً غيره، لم تتذكر ما سلف منك فتتلافاه، ولا اعتذرت عما قدَّمته وفرطته فيه من الحقِّ حتى استنشدتني مبتدءاً كأن بيننا أنساً قديماً، ومعرفة سابقة، وصحبة تبسط القبض.

فقلت له: تعذرني متفضلاً، فدون ما أنا فيه ما يدهش، قال: وفي أي شيءٍ أنت؟ إنما تركت قول الشعر الذي كان جاهك عندهم، وسبيلك إليهم فحبسوك حتى تقول، وأنت لابدَّ من أن تقوله فتطلق، وأما أنا فيدعى بي الساعة فأطالب بعيسى بن زيد ابن رسول اللّه صلى الله عليه وآله فإن دللت عليه قُتِل، ولقيت اللّه تعالى بدمه، وكان رسول اللّه صلى الله عليه وآله خصمي فيه، وإلاّ قتلِت، فانا

أولى بالحيرة منك، وأنت ترى احتسابي وصبري.

فقلت: يكفيك اللّه، وأطرقتُ خجلاً منه، فقال: ياأبا العتاهية! لا أجمع عليك التوبيخ والمنع، اسمع البيتين واحفظهما، وأعادهما عليَّ مراراً حتى حفظتهما، ثم دُعي به وبي، فلما قمنا قلتُ من أنت أعزَّك اللّه تعالى؟ فقال: أنا «حاضر» صاحب عيسى بن زيد، فأُدخلنا على المهدي، فلما وقفنا بين يديه قال له: هيه! أين عيسى بن زيد؟

فقال: ما يدريني أين عيسى بن زيد؟ طلبته وأخفته فهرب منك في البلاد، وأخذتني فحبستني فمن أين أقف على موضع هارب منك وأنا محبوس؟ فقال له المهدي: فأين كان متوارياً؟ ومتى كان آخر عهدك به؟ وعند من لقيته؟ فقال: ما لقيته منذ توارى، ولا أعرف له خبراً.

فقال المهدي: واللّه العظيم لتدلَّن عليه أو لأضربنَّ عنقك الساعة، قال له: فاصنع ما بدا لك؟ فواللّه، أنا لا أدلك على ابن رسول اللّه لتقتله، وألقى اللّه ورسوله وهما يطالباني بدمه، ووالله، إنه لو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفت عنه. فقال المهدي: اضربوا عنقه، فقدم وضرب عنقه، ثم دعا بي، وقال: أتقول الشعر أو لألحقنك به؟ فقلت: بل أقول الشعر، فقال: اطلقوه!

٦٥ـ وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، أخبرنا أحمد بن محمد البغدادي، أخبرنا عبد العزيز بن إسحاق الكوفي، حدَّثني محمد بن عيسى، حدَّثني محمد بن زكريا المكي، حدَّثني عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، قال: قال محمَّد الباقر عليه السلام: «إنَّ أخي زيد بن علي خارج فمقتول على الحقِّ، فالويل لمن خذله، والويل لمن حاربه، والويل لمن يقتله».

قال جابر: فلما أزمع[١] زيد بن علي على الخروج، قلت له: إني سمعت أخاك يقول: كذا وكذا، فقال لي: ياجابر! لا يسعني أن أسكن وقد خولف كتاب الله، وتحوكم إلى الجبت والطاغوت، وذلك إني شهدت هشاماً ورجل عنده يسبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت للساب: ويلك، ياكافر! أما إني لو تمكنت منك لاختطفتُ روحك، وعجلتك إلى النار. فقال لي هشام: مه، عن جليسنا يازيد! فوالله، لو لَم أكن إلا أنا؛ ويحيى ابني، لخرجت عليه وجاهدته حتى أفنى.

٦٦ـ وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، أخبرنا أحمد بن عبدالله الاصفهاني، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، حدثني أبي، حدثني الحسن بن الفضل ـ مولى الهاشميين بالمدينة سنة خمس عشرة ومائتين هجرية ـ، حدَّثني عليُّ بن موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: أرسل أبو جعفر الدوانيقي إلى جعفر بن محمد الصَّادق عليه السلام ليقتله، وطرح سيفاً ونطعاً، وقال لحاجبه الربيع: ياربيع! إذا أنا كلمته ثم ضربتُ بإحدى يديَّ على الأخرى فاضرب عنقه.

فلَّما دخل جعفر بن محمد عليه السلام فنظر إليه من بعيد، نزق أبو جعفر على فراشه ـ يعني: تحرك ـ، وقال: مرحباً وأهلاً وسهلاً بك، يا أبا عبدالله! ما أرسلنا إليك إلاَّ رجاء أن نقضي دينك. ثم ساله مسألة لطيفة عن أهل بيته، وقال له: قد قضى الله دينك وأخرج جائزتك، ياربيع! لا تمض ثالثة حتى يرجع جعفر بن محمد إلى أهله. فلما خرج هو والربيع، قال له: ياأبا عبدالله! ارأيت السيف والنطع؟ إنما كانا وضعا لك، فأي شيءٍ رأيتك تحركت به شفتاك؟ قال: «ياربيع! لما رأيتُ الشرَّ في وجهه قلت: حسبي

---

(١) ازمع: عزم.

الرب من المربوبين، حسبي الخالق من المخلوقين، حسبي الرازق من المرزوقين، حسبي اللّه ربّ العالمين، حسبي من هو حسبي، حسبي من لم يزل حسبي، حسبي اللّه لا إله إلاّ هو، عليه توكلتُ، وهو ربُّ العرش العظيم.

وفي رواية أُخرى: أنَّ الربيع قال للدوانيقي: مابدا لك ياأمير المؤمنين؟ حيث انبسطت الى جعفر بن محمَّد بعدما أضمرت له ما أضمرت؟ قال: واللّه، لقد رأيتُ قدَّامه أسدين فاغرين فمويهما؛ فلو هممتُ به سوءاً لابتلعاني، فلذلك تضرعتُ لهُ وفعلتُ ما فعلت.

٦٧ـ وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، قال: روى أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصبهاني في كتاب «مقاتل الطالبيين»، أخبرني عمر بن عبد اللّه العتكي، حدَّثني عمر بن شبَّة، حدَّثني محمَّد بن حرب، حدَّثني يحيى بن زيد بن حميد، حدَّثني سليمان بن داود بن الحسن؛ والحسن بن جعفر بن الحسن، قالا: لما حبسنا ـ يعنيان في حبس أبي جعفر الدوانيقي ـ كان معنا علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن، وكانت حلق أقيادنا قد اتَّسعت فكنا إذا أردنا صلاة أو نوماً خلعناها عنَّا، فإذا خفنا دخول الحرس أعدناها، وكان عليُّ بن الحسن لا يفعل ذلك، فقال له عمُّه عبد اللّه ابن الحسن بن الحسن: يابني! ما يمنعك أن تفعل مثل هذا؟ قال: لا، واللّه، لا أخلعه حتى أجتمع انا وأبو جعفر، عند اللّه عزَّوجلّ فيساله: لم قيّدني به؟

٦٨ـ وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، أخبرني أحمد بن محمَّد البغدادي، أخبرني عبد العزيز بن إسحاق، حدَّثني عمر بن محمد، حدثني إبراهيم بن محمد، حدثني محرز بن هشام، حدثني السري بن عبداللّه، عن هشام، عن أبي حفص المكي، قال: لما رحل الحسين بن علي

من المدينة إلى الكوفة سرتُ معه، فنزل ماءً من مياه بني سليم فأمرَ غلامه فاشترى شاة فذبحها، فجاء صاحبها، فلما رأى هيئة الحسين عليه السلام في أصحابه رفع صوته، وقال: أعوذبالله وبك، يابن رسول الله! هذا اشترى شاتي فذبحها، ولم يدفع إليَّ الثمن، فغضب الحسين غضباً شديداً، ودعا غلامه، فسأله عن ذلك، فقال: والله، يابن رسول الله! أعطيته ثمنها، وهذه البينة[1].

فسألهم الحسين فشهدوا أنه أعطاه ثمنها، وقالت البينة أو بعضها: يابن رسول الله! إنه رأى هيئتك فانصاع[2] إليك لتعوضه، فأمر له الحسين بمعروف، فقال علي بن الحسين: ما اسمك ياأعرابي؟ فقال: زيد، فقال: «ما بالمدينة أكذب من رجلٍ اسمه: زيد»، وكان بالمدينة رجل اسمه زيد يبيع الخمر، قال: فضحك الحسين حتى بدت نواجذه، ثم قال: «مهلاً، يابني! لا تعيره باسمه، فإنَّ أبي حدَّثني: أنه سيكون منا رجل اسمه زيد يخرج فيقتل، فلا يبقى في السماء ملك مقرب؛ ولا نبيّ مرسل، إلاّ تلقى روحه، ليرفعه أهل كل سماء إلى سماء، حتى يبلغ، فاذا قامت القيامة يبعث هو وأصحابه يتخللون رقاب النَّاس، ويقال: هؤلاء خلف الخلف ودعاة الحق.

٦٩ـ قال أبو عوانة: كان سفيان الثوري إذا ذكر زيد بن علي، يقول: إنه بذلَ مهجته لربه، وقام بالحق لخالقه، وَلَحِقَ بالشهداء المرزوقين من آبائه.

٧٠ـ وقال أبو عوانة أيضاً: كان زيد بن علي يرى الحياة غراماً[3]، وكان ضجراً بالحياة.

٧١ـ وبهذا الإسناد، إلى عبد العزيز بن إسحاق، حدَّثني علي بن

---

(١) يعني الشهود الحاضرين.

(٢) انصاع: جاء.

(٣) الغرام: الشرّ الدائم.

الوليد، حدثني عباد بن يعقوب، حدثني عيسى بن عبد الله، عن رجل من أهل المدينة، يقال له: البابكي، قال: خرجت أنا؛ وزيدُ بن علي، إلى العمرة، فلما فرغنا من عمرتنا أقبلنا، فلما كنا بالعرج أخذنا طريقنا، فلما استوينا على رأس الثنية نصف الليل استوت الثريا على رؤوسنا، فقال لي زيد: يابابكي! ترى الثريا ما أبعدها؟ أترى أنَّ أحداً يعرف بعدها؟ قلت: لا، والله، قال: فوالله، لوددتُ أن يدي ملتصقة بها، ثم أفلت حتى وقعت حيث وقعت، وأنَّ الله أصلح بي أمر أُمة محمد صلى الله عليه وآله.

ولما انصرف عيسى بن زيد من وقعة «باخمرى»، خرجت عليه لبوءة[1] معها أشبالها، وتعرضت للطريق، فجعلت تحمل على الناس، فنزل عيسى وأخذ سيفه وترسه، ثم بدر إليها فقتلها، فقال مولى له: أيتمت أشبالها ياسيدي! فضحك، وقال: نعم، أنا مؤتم الأشبال، فلزمه هذا الاسم، وكان أصحابه يكنون عنه به، فيخفى أمره.

٧١ـ وقيل لجعفر بن محمَّد الصّادق عليه السلام: ماالذي تقول في زيد بن علي، وخروجه على هشام؟ فقال: «لقد قام زيد مقام صاحب الطف» ـيعني: الحسين بن علي عليه السلام ـ.

٧٢ـ وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، أخبرنا أحمد بن إبراهيم الحسني، أخبرنا علي بن الحسين، حدثنا أحمد بن علي بن هشام، حدثنا أحمد بن رشد، عن سعيد بن خيثم، عن أخيه معمر، قال: قال لي زيد بن علي عليه السلام: كنتُ أُماري ـ هشام بن عبد الملك ـ وأُكايده في الكلام، فدخلت عليه يوماً فذكرت بني أُميَّة، فقال: والله، هم أشدّ قريش أركاناً، وأشيد قريش مكاناً، وأسدَّ قريش سلطاناً، واكثر قريش أعواناً، كانوا

(١) اللبوة: زوج السبع.

رؤوس قريش في جاهليتها، وملوكهم في إسلامها.

فقلت له: على من تفتخر؟ أعلى بني هاشم أوّل من أطعم الطعام، وضرب الهام، وخضعت لها قريش بإرغام؟

أم على بني عبد المطلب سيد مضر جميعاً؟ وإن قلت: معد كلّها، صدقت، إذا ركب مشوا، وإذا انتعل احتفوا، وإذا تكلم سكتوا، وكان يطعم الوحوش في رؤوس الجبال، والطير والسباع والإنس في السهل، حافر زمزم، وساقي الحجيج، أم على بنيه أشرف الرجال.

أم على نبيّ اللّه ورسوله، حمله اللّه على البراق، وجعل الجنَّة عن يمينه، والنار عن شماله، فمن تبعه دخل الجنَّة، ومن تأخر عنه دخل النار؟

أم على أمير المؤمنين، وسيد الوصيين علي بن أبي طالب، أخي رسول اللّه، وابن عمه المفرج الكرب عنه، وأوَّل من قال: لا إله إلاَّ اللّه، بعد رسول اللّه، لم يبارزه فارس قط إلاَّ قتله، وقال فيه رسول اللّه ما لم يقله في أحد من أصحابه، ولا لأحد من أهل بيته؟ قال: فاحمرَّ وجهه.

٧٣ـ وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، أخبرنا أبو العباس الحسني، أخبرنا عبد اللّه بن أحمد، أخبرني أبي، أخبرني الحسن بن عبد الواحد، حدثني حمدويه بن عمران، حدَّثني بشر بن حمزة، قال: مررنا مع زيد بن علي وأنا غلام وعليٌّ قباء، فأشرف عليه رجلٌ من سطح فرماه، فدعا زيد عليه، وقال: اللّهمَّ! أفقره ولا ترزقه على ذلك الصبر.

قال: فرأيتهُ بعد ذلك أعمى يسأل، فإذا سُئِل، قال: دعا عليَّ العبد الصالح.

٧٤ـ وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، حدثنا أبو الفرج الأصبهاني، حدثني علي بن العباس، حدثني أحمد بن يحيى، حدَّثني

عبدالله بن مروان، قال: سمعت محمَّد بن جعفر بن محمد في «دار الامارة»، وهو يقول: رحم الله أبا حنيفة! لقد تحققت مودَّته لنا في نصرته زيد بن علي، وفعل الله بابن المبارك في كتمانه فضائلنا، ودعا عليه بضرره.

٧٥ـ وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، أخبرني أبي أبو محمد الحسن بن محمَّد بن يحيى، حدثني جدي يحيى بن الحسن، حدَّثني عمار ابن أبان، حدثني كليب الحربي: أن زيد بن علي دخل على هشام بن عبد الملك، وقد جمع له هشام الشاميين، فسلَّم عليه، ثم قال: إنه ليس أحد من عباد اللّه فوق أن يوصى بتقوى اللّه، وليس أحد من عباد اللّه فوق أن يوصى بتقوى اللّه، وليس أحد من عباد اللّه فوق أن يوصى بتقوى اللّه، وأنا أُوصيكم بتقوى اللّه.

فقال له هشام: أنت زيد المؤمل للخلافة، والراجي لها؟وما أنت والخلافة، وأنت ابن أمة؟ فقال له زيد: إني لا أعلم أحداً أعظم منزلة عند اللّه من الأنبياء، وقد بعث اللّه تعالى نبياً هو ابن أمة، فلو كان ذلك تقصيراً عن حتم الغاية لم يبعث، وهو إسماعيل بن إبراهيم، والنبوَّة أعظم منزلة عند اللّه من الخلافة، فكانت أمُّ إسماعيل مع أم إسحاق، كأُمي مع أُمك، ثم لم يمنع ذلك أن جعله اللّه عزوجل أبا العرب، وأبا خير النبيين محمد صلى الله عليه وآله، وما تقصير رجل، جدُّه رسول اللّه؛ وأبوه علي بن أبي طالب؟

فقام هشام من مجلسه، وتفرَّق الشاميون، فدعا هشام قهرمانه، وقال: لا يبيتنّ هذا في عسكري! فخرج أبو الحسين زيد بن علي، وهو يقول: لم يكره قوم قط حرّ السيوف إلاَّ ذلّوا.

وفي رواية أُخرى: ان هشاماً قال لأهل بيته بعد ما خرج زيد: أتزعمون انَّ أهل هذا البيت قد بادوا؟ كلا، لعمري، ما انقرض قوم هذا

خلفهم.

٧٦ ـ وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، حدَّثني أبو العباس الحسن، حدَّثني أبو زيد العلوي، حدثني أحمد بن سهل، حدّثني القاسم بن إبراهيم، عن أبيه، عن جده، قال: عوتب الحسين بن علي صاحب «فخ» فيما كان يعطي، فإنه كان من أسخى العرب والعجم، فقال: والله، ما أظن أن لي فيما أعطي أجراً؟ فقيل له: وكيف ذاك؟ فقال: إنَّ الله تعالى، يقول: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾آل عمران/٩٢، ووالله، ما هو عندي وهذه الحصاة إلاَّ بمنزلة ـ يعني: المال ـ.

٧٧ ـ وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، أخبرنا أحمد بن محمد البغدادي المعروف بالآبنوسي، أخبرنا عبد العزيز بن إسحاق، حدثني أحمد بن حمدان، حدثني محمد بن الأزهر الطائي، حدثني الحسين ابن علوان، عن أبي صامت الضبي، عن ابن أبي عمير، عن زاذان، عن علي (صلوات الله عليه)، أنه قال: «الشهيد من ولدي، والقائم بالحق من ولدي، المصلوبُ بكناسة كوفان، إمام المجاهدين، وقائد الغر المحجلين، يأتي يوم القيامة هو وأصحابه تتلقاهم الملائكة، ينادونهم: ادخلوا الجنَّة، لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون».

٧٨ ـ وروي: أنه لما ولد زيد بن علي سنة خمس وسبعين بشر أبوه علي ابن الحسين زين العابدين عليه السلام به، فأخذ المصحف وفتحهُ، فنظر فيه فخرج أوَّل السطر: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾التوبة/١١١، فأطبقه، ثم فتحهُ فخرج: ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾النساء/٩٥، ثم أطبقه وفتحه فخرج: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾آل عمران/١٦٩، فأطبقه،

وقال: «عزيت عن هذا المولود، وإنه من الشهداء».

٧٩ ـ وروي، عن خالد بن صفوان، أنه قال: انتهت الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة في بني هاشم إلى زيد بن علي، رأيتهُ عند هشام ابن عبد الملك وقد تضايق مجلسه.

٨٠ ـ وروي عن الباقر عليه السلام، عن آبائه، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله، أنَّه قال للحسين عليه السلام: «يخرج من صلبك رجل، يقال له: زيد، يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس يوم القيامة، غراً محجلين يدخلون الجنَّة».

٨١ ـ وروى أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: «يقتل من ولدي رجل، يقال له: زيد بموضع يعرف بالكناسة، يدعو إلى الحق، ويتبعهُ كلُّ مؤمنٍ».

٨٢ ـ وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، أنه قال: «رحم اللّه عمي زيداً، خرج على ما خرج عليه آباؤه، ووددتُ أني استطعت أن أصنع كما صنع، فأكون مثل عمي، ومن قتل مع زيد بن علي كمن قتل مع الحسين ابن علي عليه السلام».

٨٣ ـ وروى أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «مقاتل الطالبيين»: أنَّ عبداللّه بن الحسن بن الحسن انتهى إليه الحسن والجمال، وهو أوَّل من اجتمعت فيه ولادة الحسن والحسين عليهما السلام، لانَّ أباه الحسن لما خطب إلى عمه الحسين، قال له: يابني! اختر أحبهما إليك، فاستحى الحسن، فقال له الحسين: اخترتُ لك ابنتي فاطمة، فهي أكثرهما شبهاً بأُمي فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وزوجها فولد لهما عبد اللّه بن الحسن، وولد في بيت فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وهو اليوم في المسجد، حبسه أبو جعفر الدوانيقي ثلاث سنين، ثم قتله في الحبس، وهو ابن خمس وسبعين سنة.

ومن أُولئك: علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن، يقال له: «علي الخير»، و«علي الأغر»، و«علي العابد»، وهو والد الحسين الفخي، توفي في الحبس، وهو ساجد.

ومنهم: محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وكان يدعى: «الديباج الأصفر»، لحسنه وجماله، قال له أبو جعفر الدوانيقي: أنت الديباج الأصفر؟ واللّه، لأقتلنَّك قتلةً ما قتلها أحد من أهل بيتك، فبنى عليه اسطوانة وهو حي.

ومنهم: إسماعيل طباطبا بن ابراهيم الديباج الأكبر، قتل في الحبس، قتله أبو جعفر الدوانيقي.

ومنهم: يعقوب وإسحاق وإبراهيم ومحمد بنوالحسن قتلوا في حبس الدوانيقي، بضروب من القتل، فابراهيم بن الحسن دُفن حياً، وطرح على الآخرين بيت.

ومنهم: محمد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان، أخو عبد اللّه بن الحسن لأمه، وأُمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام، قتله أبو جعفر الدوانيقي، وكان عبد اللّه يحبهُ حباً شديداً، فكان أبو جعفرالدوانيقي يأمر بضربه بين يدي عبد اللّه ليغيظه بذلك، ثم أمر بقتله.

وقتل بعد ذلك: محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن؛ وابنه عبداللّه الأشتر؛ وابراهيم بن عبد اللّه بن الحسن، فهؤلاء الذين قتلوا في حبس الدوانيقي، سوى من مات منهم حتف أنفه في السجن.

وقال الحسين بن زيد: لما أُخرج بنوالحسن من المدينة، وعليهم القيود والاغلال، بامر الدوانيقي، نظر إليهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فهملت عيناه، حتى جرت دموعه على لحيته، وقال: «واللّه، لا تحفظ حرمة

الله بعد هذا أبداً، والله، ما وفت الأنصار، ولا ابناء الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وآله بما أعطوه من البيعة على العقبة، على أن يمنعوه وذريته بما يمنعون منه أنفسهم وذريتهم».

وكان محمد وإبراهيم قد هربا من الدوانيقي، فكانا يأتيان أباهما عبد الله بن الحسن في هيئة الأعراب، فيقول لهما: إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين، فلا يمنعكما أن تموتا كريمين.

وكان لمحمد بن عبد الله «النفس الزكية» ابن صغير من أُم ولده، وكانت على جبل معه، فهجم الطلب عليهم فهربوا، فسقط الصبي من الجبل فتقطع ومات، فقال محمدَّ بن عبد الله «النفس الزكية» هذه الأبيات:

منخرق الخفين يشكو الوجا ... تنكبه أطراف مرو[1] حداد
شرّده الخوف فأزرى به ... كذاك من يكره حر الجلاد
قد كان في الموت له راحة ... والموتُ حتم في رقاب العباد

٨٤ ـ وروى يعقوب بن داود بن الحسن، قال: دخلت مع المهدي في طريق «خراسان» بعض الخانات، فإذا على الحائط مكتوب هذه الأبيات:

والله ما أطعم طعم الرقاد ... خوفاً إذا نامت عيون العباد
شرّدني الخوف اعتداءً وما ... أُذنبت ذنباً غير ذكرى المعاد
آمنت بالله ولم يؤمنوا ... فكان زادي عندهم شرَّ زاد
اقول قولاً وله خائفٌ ... مضطربُ القلب كثير السهاد
منخرق الخفين يشكو الوجا ... تنكبه أطراف مرو حداد
شرّدهُ الخوف وأزرى به ... كذاك من يكره حرَّ الجلاد
قد كان في الموت له راحة ... والموتُ حتم في رقاب العباد

(١) المرو: الحجر الصلب.

قال: فجعل المهدي يكتبُ تحت كل بيت: لك الامان من اللّه ومني ومتى شئت فاظهر؟ ودموعه تجري على خديه، فقلت: من قائل هذه الابيات يا أمير المؤمنين؟ قال: أتتجاهل عليَّ؟ قائلها عيسى بن زيد.

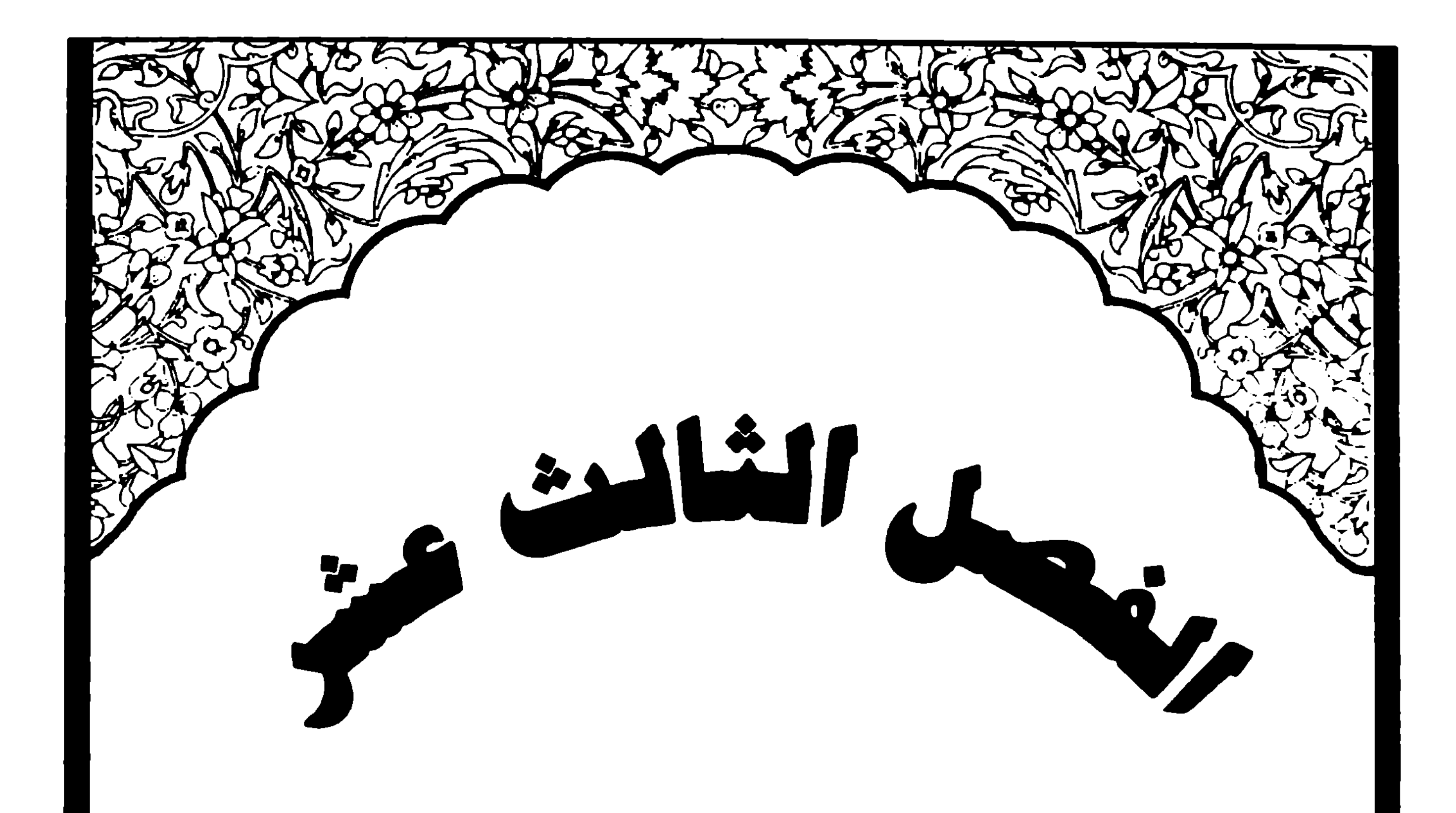
٨٥ ـ وكان ممن خرج يحيى بن عمر من أولاد زيد بن علي، خرج بالكوفة أيام المستعين، وكان فاضلاً ورعاً حلف باللّه أنه ما خرج إلاَّ غضباً للّه تعالى.

قال أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري: قلت لابن طاهر الأمير: جئتك مهنياً بما لو كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله حياً لعزي به، وخرج عنه، فقال:

يابني طاهر كلوه وبيا ... انَّ لحم النبي غير هنيٍ
إن من خصمه النبي ليؤتى ... فيه يوم المعاد خصم النبيِّ

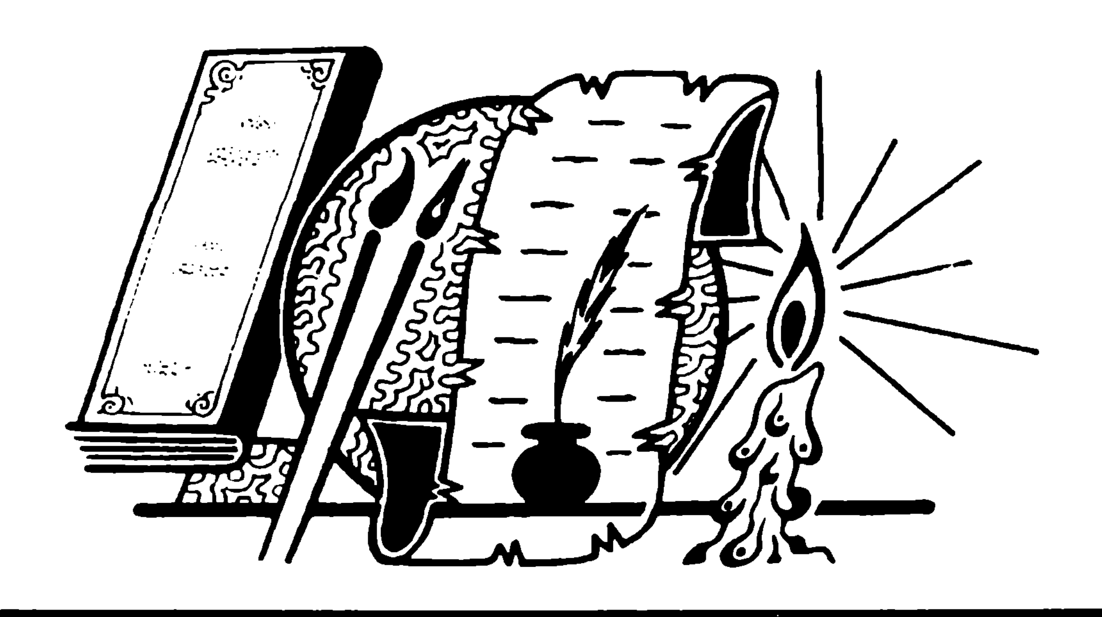
قيل: ولما أفضت الخلافة إلى بني العباس، نبشوا هشام بن عبد الملك واستخرجوه من قبره بعد ست سنين أو سبع، فكان كما دفن فيقال: طلوه بما لا يبلى، فأحرقوه بالنَّار.

* * *



الفصل الثالث عشر

في ذكر
بعض ما قيل فيه من المراثي



١ـ أخبرني العلامة فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري، أخبرنا الشيخ الفقيه أبو الحسن عليّ بن أبي طالب الفرزادي ـ بالري ـ، أخبرنا الفقيه أبو بكر طاهر بن الحسين الرازي، أخبرني عمي الشيخ الزاهد أبو سعد إسماعيل ابن علي بن الحسين السمان الرازي، حدثني أبو محمد عبد اللّه بن محمد الأسدي القاضي ـ لفظاً ـ، حدثني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، حدثني محمد بن أبي العوام، حدثني أبي، حدثني سلم بن سليم الواسطي، حدثني غاضرة، قال: قال أبو بكر: قيل للحسن البصري: ياأبا سعيد! قتِل الحسين ابن علي، فبكى حتى اختلج جنباه، وقال: واذلاّه، لأُمَّة يقتلُ ابن دعيها ابن نبيها!

٢ـ واخبرني الشيخ الإمام سيف الدين أبو جعفر محمد بن عمر بن علي ـ كتابةً ـ، اخبرني الشيخ الإمام ابو الحسن زيد بن الحسن بن علي البيهقي، أخبرني السيد الإمام النقيب علي بن محمد بن جعفر الاسترابادي، حدثني السيد الإمام زين الإسلام أبو جعفر محمد بن جعفر

ابن علي الحسني، حدثني السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين، أخبرني أبو العباس الحسني، أخبرني محمد بن جعفر القزاداني، حدثني عليُّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام، قال: «كان أبي علي بن الحسين عليه السلام إذا حضرت الصلاة يقشعر جلده؛ ويصفر لونه؛ وترتعد فرائصه[1]؟ ويقف شعره؛ ويقول ودموعه تجري على خديه: لو علم العبدُ من يناجي ما انفتل[2]».

وبرز يوماً إلى الصحراء، فتبعه مولى له، فوجده قد سجد على حجارة خشنة، قال مولاه: فوقفتُ حيث أسمع شهيقه وبكاءه، فواللّه، لقد أحصيتُ عليه ألف مرَّة، وهو يقول: «لا إله إلاّ اللّه حقاً حقاً، لا إله إلاّ اللّه تعبداً ورقّاً، لا إله إلاّ اللّه إيماناً وصدقاً». ثم رفع رأسه من سجوده، وأنَّ لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه. فقال له مولاه: ياسيدي! أما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقلَّ؟

فقال له: «ويحك، إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبياً ابن نبي وله اثنا عشر ابناً، فغيب اللّه تعالى واحداً منهم، فشابَ رأسه من الحزن، واحدودب ظهرهُ من الغمِ، وذهب بصره مِن البكاء، وابنه حيّ في دار الدنيا، وأنا رأيتُ أبي وأخي وسبعة وعشرين من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي؟!

٣ـ وأخبرني الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن عليُّ بن أحمد العاصمي (رحمه اللّه)، أخبرني شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرني والدي شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرني أبو عبد اللّه

(١) الفريصة: عضلة في العضد ترتعد عند شدة الخوف.
(٢) أي: ما ترك الصَّلاة.

الحافظ، سمعتُ أبا الحسن علي بن محمَّد الاديب، يذكر بإسناد له: انَّ راس الحسين بن علي عليه السلام لما صُلِبَ بالشام، اخفى خالد بن معدان ـ وهو من أفضل التابعين ـ شخصه من أصحابه، فطلبوه شهراً فوجدوه، فسألوه عن عزلته، فقال لهم: أما ترون ما نزل بنا؟ ثم أنشدهم:

جاءوا برأسك يابن بنت محمَّد ... متزملاً بدمائه تزميلا

قتلوك عطشاناً ولم يترقبوا ... في قتلك التنزيل والتأويلا

وكأنما بك يابن بنت محمد! ... قتلوا جهاراً عامدين رسولا

ويكبرون بأن قتلتَ وإنما ... قتلوا بك التكبير والتهليلا

٤ـ وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي ـ فيما كتبَ إليّ من همدان ـ، أخبرني محيي السنَّة أبو الفتح ـ إجازةً ـ، انشدني أبوالطيب البابلي، انشدني أبو النجم بدر بن إبراهيم الدينوري للشَّافعي محمد بن إدريس[1]:

تأوب همي والفؤاد كئيب ... وأرق نومي فالرقاد غريب

ومما نفى نومي وشيب لمني ... تصاريف أيامٍ لهنَّ خطوب

فمن مبلغ عنّي الحسين رسالة ... وأن كرهتها أنفسٌ وقلوب

قتيلاً بلا جرم كأنَّ قميصه ... صبيغ بماء الارجوان خضيب

فللسيف إعوالٌ وللرمح رنّة ... وللخيل من بعد الصهيل نحيب

تزلزلت الدنيا لآل محمد ... وكادت لهم صمُّ الجبال تذوب

وغارت نجومٌ واقشعرّت كواكبُ ... وهتك أستار وشقّ جيوب

يصلي على المهدي من آل هاشم ... وتغزى بنوه ان ذا العجب

لئن كان ذنبي حب آل محمد ... فذلك ذنبٌ لستُ عنهُ أتوب

(١) هو الإمام الشافعي الشهير المتوفى في مصر سنة ٢٠٤هـ.

هم شفعائي يوم حشري وموقفي إذا كثرتني يوم ذاك ذنوب

٥ـ أخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه ـ فيما كتب إليَّ من همدان ـ، أنشدني والدي، أنشدني أبو نصر أحمد بن علي بن عامر الفقيه العكبري ـ على شاطئ نهر الهارونية ـ، أنشدني أحمد بن منصور بن علي القطيعي المعروف بالقطّان[1] ـ ببغداد ـ، لنفسه:

ياأيها المنزل المحيل جاءك مسحنفر[2] هطول
أودى عليك الزمان لما شجاك من أهلك الرحيل
لا تغتر بالزمان واعلم أنَّ يد الدهر تستطيل
فإنَّ آجالنا قصارٌ وإنَّ آمالنا تطول
تفنى الليالي وليس يُفنى شوقي ولا حسرتي تزول
لاصاحبٌ منصفٌ فاسلو به ولا حافظ وصول
وكيف أبقى بلا صديق باطنه باطن جميل
يكون في البعد والتداني كما أرجى وما أقول
هيهات قلَّ الوفاء منهم فلا صديق ولا خليل
ياقوم ما بالنا جفينا فلا كتاب ولا رسول
لو وجدوا بعض ما وجدنا لكاتبونا ولم يحولوا
لكن سلونا فلم يجودوا لنا بوصل ولم ينيلوا
ياقاتلي بالصدود رفقاً بمهجة شفّها الغليل
أنحل جسمي هواك حتى كأنه خصرك النحيل
قلبي قريح به كلوم جادَ بها طرفُكَ البخيل
غصنٌ من البان حيث مالت ريحُ النعامى بهِ يميل

(١) توفي في بغداد سنة ٤٨٠ تقريباً ودفن في مقابر قريش.

(٢) المسحنفر: الكثير المطر.

يسطو علينا بلحظ جفن — كأنه مرهفٌ صقيل
كما سطت بالحسين قوم — أراذل مالهم أُصول
قد أفردوه فظل يدعو — ولا سميعٌ لما يقول
ياأهل كوفان لِمَ غدرتم — بنا ولِمَ أنتمُ نكول؟
أنتم كتبتم إليّ كُتباً — وفي طوياتها ذحول
فراقبوا اللّه في خباءٍ — فيه لنا صبية غفول
وأُم كلثوم قد تنادي — وقد عرى طرفها الذهول
تقول لما رأته شلوا — قد خسفت صدره الخيول
أين الذي حين أرضعوه — ناغاه في المهدِ جبرئيل؟
أين الذي حين عمدّوه — قبَّله أحمدَ الرسول؟
أين الذي حيدر أبوه — وأُمُّه فاطم البتول؟
جاءت بشاطي الفرات تدعو — مافعل السيد القتيل
أنا ابن منصور لي لسان — على ذوي النصب يستطيل
ماالرفض ديني ولا اعتقادي — ومذهبي عنه لا أحول

٦ـ وللإمام السيد الأديب أبي الحسن علي بن أحمد النيشابوري[1] جامع كتاب «تاج الأشعار في النبيِّ المختار وآله الأطهار»:ـ

أيا سائلي عن مذهبي وطريقي — محبَّة أولاد النبي عقيدتي
هما الحسنان اللؤلؤان تلألئا — وفاطمةُ الزهراء بنت خديجة
سرورُ فؤاد المصطفى علم الهدى — محمد المختار هادي الخليقة
وقرَّة عين المرتضى أسد الوغى — أبي الحسن الكرار مردي الكتيبة
وخذ سبعة من بعدهم وافتخر بهم — مع اثنين ثم امح سواهم أو اثبت

(١) هو الشهير بالفنجكردي، نسبه الى قرية من قرى نيشابور، توفي سنة (٥١٣هـ).

أأبغض من خير النبيين جدهم ووالدهم في الناس شمسُ البرية؟
فلا ترمني بالرَّفض ويلك أنني لفي من يُعاديني شديد الوقيعة
لساني سيف مانبا عن ضريبة ولا طاش سهم مِن سهام قريحتي
فإن شئت فاحبني وإن شئت فاقلني فهذا وربي ما حييت خليقتي
وإني لأصحاب النبي محمد محبٌّ عليه نيتي وطويتي
أأثلب قوماً كافحوا عن نبيهم ومن بعدهِ كانوا نجوم الشريعة؟
خلا فرقة عادوا علياً وقتلوا بنيه على جهلٍ بغير جريمة
لئن كان قوم قبلهم خير أُمةٍ فإنهم في فعلهم شرُّ أُمَّة
فواعجباً من جاهلٍ بوضوئه ويقدح في دين الهداة الأئمة!
فياربِّ بلغ كل لحظةِ ناظرٍ سلامي إلى أرواحهم وتحيتي

٧ـ وللإمام الشافعي:

إذا في مجلس ذكروا علياً وسبطيه وفاطمة الزكيّه
وقطب وجهه من كان فيهم فأيقن أنه ابن سلقلقيه[1]
يقول لما يصح ذروا فهذا سقيم من حديث الرافضيه
برئت إلى المهيمن من أناسٍ يرون الرَّفض حبَّ الفاطميه
إذا ذكروا علياً أو بنيه أفاضوا بالروايات الوقيَّه

٨ ـ وللإمام الشافعي أيضاً:

ياراكباً قف بالمحصَّب من منى واهتف بقاعد خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى شوقاً كملتطم الفرات الفائض
إني أُحبُّ بني النبي المصطفى وأعدُّه مِن واجباتِ فرائضي
إن كان رفضاً حبُّ آل محمَّدٍ فليشهد الثقلان اني رافضي

---

(١) ـ السلقلقية: التي تحيض من دبرها.

٩ـ ولكثير بن عبد الرحمن الشهير بكثير عزة(١) :

الا إنَّ الائمــة من قـريش ... ولاة الحق أربعـة ســواء
علـيٌّ والثـلاثةُ من بنيـه ... هم الأسباط ليس بهم خفـاء
فـسـبط سـبط أيمان وبر ... وسبط غـيبتـه كـربلاء
وسـبط لا يذوق الموت حتى ... يقـود الخيلَ يقـدمهـا اللواء
تغيب لا يرى فـيهم زمـاناً ... برضـوى عنده عسل ومـاء

١٠ـ ولدعبل(٢) بن علي الخزاعي من قصيدة طويلة مدح بها علي بن موسى الرضا عليه السلام انتخبتُ منها :

بكيتُ لرسم الدارِ من عـرفـات ... وأذريتُ دمع العينِ بالعـبـرات
أبانَ عُرى صبري وَهاجَت صبابتي ... رُسـومُ دِيارٍ قـد عـفت بشـتـاتِ
مـدارسُ آياتٍ خَلَتْ مِن تـلاوةٍ ... وَمنزلُ وحيٍ مُقـفـرُ العـرصـاتِ
لآلِ رَسـولِ اللّه بالخـيف من منى ... وبالبـيت والتـعريفِ والجـمَراتِ
ديارُ عليٍّ والحُسينِ وجـعـفـرٍ ... وَحـمـزَةَ والسجَّادِ ذي الثـفناتِ
منازلُ كـانت للصَّلاةِ وللتـقى ... وللصـومِ والإعطاء للزكـواتِ
منازلُ وحي ينزلُ الوحي بينهـا ... على أحـمـدَ في الليل والغـدواتِ
منازلُ كـانت للصـلاة وللهـدى ... وللصـوم والإحسـان وَالحسناتِ
ديارٌ عـفـاها جـورُ كلِّ منابذ ... ولَـم تَعـفُ بـالأيـامِ والسَّنـواتِ
قـفـا نسـال الدار التي خفَّ أهلُهـا ... مَتى عـهدُها بالصَّومِ والصَّلواتِ؟
وأين الألى شَطت بهم غـربةُ النوى ... أفـانينَ فـي الأقطار مُفـتـرقـاتِ؟

(١) كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، توفي سنة ١٠٥هـ.
(٢) هو الشاعر الشهير في مدح الائمّة، المتوفى سنة٢٤٦هـ.

هم أهل ميراث النبي إذا اعتَزّوا وهم خيرُ ساداتٍ وخيرُ حُماةِ
مطاعيم في الإعسار في كل مشهد مطاعين في الهيجاء بالغزواتِ
وما النّاس إلاّ غاصبٌ ومُكذّبٌ ومُضطغنٌ ذو إحنةٍ وتِراتِ
ولو قلدوا الموصى إليه أمورهم أخذن بمأمون من العثراتِ
وصيّ النبي المصطفى وابن عمه ومفترس الأبطال في الغمراتِ
فإن جحدوا كان الغديرُ شهيده وبدر وأحد شامخ الهضباتِ
وآي من القرآن تُتلى بفضله وإيثاره بالقوت في اللزباتِ
وغر خلال قد حماها بسبقه مناقب كانت فيه مؤتنفاتِ
مناقبُ لم تدرك بكيد ولم تنل بشيءٍ سوى حدِّ القنا الذرباتِ
نحبي لجبريل الأمين وأنّهم عكوفٌ على العزى معاً ومناتِ
فكيف يُحبّونَ النبي ورهطه وهم تركوا أحشاءه وغراتِ
لقد لاينوه في المقال وأضمروا قلوباً على الأحقاد منطوياتِ
سقى اللّهُ قبراً بالمدينة غيثهُ فقد ضمَّ فيه الأمن والبركاتِ
افاطم لو خلتِ الحُسين مجدَّلاً وقد مات عطشاناً بشطِّ فراتِ
إذن للطمتِ الخدّ فاطمُ عندهُ وأجريتِ دمعَ العينِ في الوجَناتِ
افاطمُ قومي ياابنة الخير واندبي نُجومَ سماواتٍ بأرضِ فَلاةِ
قبورٌ بكوفانٍ وأخرى بطيبة وأُخرى بفخٍ[1] نالها صَلواتي
وأخرى بأرضِ الجوزجان[2] محلّها وقبرٌ بباخمرى،[3] لدى الغرَباتِ
وقبرٌ ببغدادَ لنفسٍ زكيةٍ تَضمّنها الرّحمنُ بالغُرُفاتِ

(١) فخ: واد بمكة قتل فيه الحسين بن الحسن العلوي سنة ١٦٩ هـ وجماعة من أهله.

(٢) الجوزجان: موضع في بلخ قتل فيه الداعيان من أولاد الحسن الطالقانية.

(٣) باخمري: موضع بين الكوفة وواسط قتل فيه إبراهيم الإمام وأصحابه قتله المنصور في السجن.

فأما الممضات التي لستُ بالغاً | مبالغها مني بكنه صفاتِ
قبور بجنب النهر من أرض كربلا | معرَّسُهُمْ فيها بشَطِّ فراتِ
توفوا عطاشى بالفُرات فليتني | تُوفيتُ فيهم قبل حينَ وفاتي
سأبكيهم ما حجَّ لله راكبٌ | وما ناحَ قمري على الشجراتِ
الم تَرَ أني مذ ثلاثين حجَّةً | أروح واغدو دائمَ الحسَراتِ
أرى فيأهم في غيرهم متقسَّماً | وأيديهُمْ من فيئهم صفراتِ
إذا وُتروا مدوا إلى واتريهم | اكفاً عن الأوتارِ مُنقبضاتِ
فلولا الذي أرجوه في اليوم أوغد | لقطَّعتُ نفسي إثرهم حسراتِ
خروجُ إمام لا محالة خارجٌ | يقومُ على اسم الله والبركاتِ
فيانفسُ طيبي ثمَّ يانفس فابشري | فغيرُ بعيدٍ كُلُّ ما هو آتِ
لئن قرب الرحمنُ من تلك مُدتي | واخَّرَ من عُمْري ووقت مماتي
شفيتُ ولم اتركْ بقلبي غصَّةً | ورويتُ فيهم مُنصلي وَقَناتي
فيا وارثي علم النبي وآله | عليكم سلامٌ دائمُ النَّفَحاتِ
إذا لم نناج الله في صلواتنا | باسمائكم لم يقبلِ الصلواتِ
لقد آمنت نفسي بكم في حياتها | وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

١١ـ ولدعبل من قصيدة أُخرى طويلة:

أأسبلت دمع العين بالعبرات | وبت تقاسي شدَّة الزفراتِ؟
وتبكي على آثار آل محمَّدٍ | وقد ضاق منك الصدر بالحسراتِ
الا فابكهم حقاً وأجر عليهمُ | عيوناً لريب الدَّهر منسكباتِ
ولا تنسَ في يوم الطفوف مصابهمْ | بداهيةٍ من أعظم النكباتِ
سقى الله اجداثاً على طفِّ كربلا | مرابع أمطار مِن المزناتِ

وصلّى على روح الحسين وجسمه طريحاً على النهرين بالفلوات
قتيلاً بلا جرم ينادي لنصره فريداً وحيداً أين أين حماتي
أالنسي وهذا النهر يطفح ظامئاً قتيلاً ومظلوماً بغير ترات
فقل لابن سعد أبعد اللّه سعده ستلقى عذاب النار واللعنات
سأندب طول الدهر ماهبّت الصبا وأقنت بالآصال والغدوات
على معشرٍ ضلوا جميعاً عن الهدى والقوا رسول اللّه بالكربات
لقد رفعوا رأس الحسين على القنا وساقوا نساه حسراً ولهات

١٢ـ ولدعبل من قصيدة أيضاً:

يا أُمَّةً قتلت حسيناً عنوةً لم ترعَ حقَّ اللّه فيه فتهتدي
قتلوه يوم الطَّف طعناً بالقنا سلباً وهبراً بالحسامِ المقصد
ولطالما ناداهم بكلامه جدي النبي خصيمكم في الموعد
ياقوم إنَّ الماء يلمع بينكم وأموتُ ظمآن الحشى بتوّقد
قد شفهني عطشي وأقلقني الذي أنا فيه من ثُقلِ الحديدِ المجهد
فأتاه سهمٌ من يدٍ مشؤومة من قوس ملعونٍ خبيثِ المولد
ياعين جودي بالدموع واهملي وابكي الحسين السيِّد ابن السيِّد

١٣ـ ولدعبل ايضاً من قصيدة:

منازل بين أكناف الغري إلى وادي المياه إلى الطوي
تركن الدمع ينبع من فؤادي كما نبع الدفاع من الركي
لقد شغل الدموع عن الغواني مصاب الأكرمين بني عليّ
ألم يحزنك أن بني زياد أصابوا بالترات بني النبيِّ؟

وإنَّ بني الحصان تعيث فيهم علانية سيوف بني البغي
الا فقف الدموع على حسينٍ وذكرك مصرع الحبر التقي
فيا أسفي على هفوات دهرٍ تقتل فيه أولاد الزكي

١٤ـ ولدعبل من قصيدة:

إن كنت محزوناً لمهلك ولد هلاّ بكيت لمن بكاه محمَّد؟
هلا بكيت على الحسين وقتله إنَّ البكاء على الحسين ليحمد؟
فلقد بكتهُ من السماء ملائكُ زهرُ كرامٌ راكعون وسجَّد
لم يحفظوا حقَّ النبي محمدٍ إذْ جرَّعوه حرارةَ ما تبرد
أنسيتَ إذ سارت إليه كتائب فيها ابن سعد والطغاة الجحد؟
فسقوه من جرع الحتوف بمشهدٍ كثر العدو به وقلّ المسعد
ثم استباحوا الطاهرات حواسراً فالشمل من بعد الحسين مبدّد
وتضعضع الإسلام يوم مصابه فالدِّين يبكي فقده والسؤدد
كيف القرار وفي السبايا زينب تدعوا شجاً ياجدَّنا ياأحمد
هذا حسينٌ بالسيوف مقطَّعٌ متخضبٌ بدمائه مستشهد
عار بلا كفن صريع في الثرى تحت الحوافر والسنابك يخضد
والطيّبون بنوك قتلى حوله فوق التراب ذبائح لا تلحد
ياجدّ من ثكلي وطول مصيبتي فيما اعاينه أقوم وأقعد
ياجدُّ قد منعوا الفرات وقتلوا عطشاً فكان من الداء المورد
ياجدُّ إنّ الكلبَ يشرب آمناً ريّاً ونحنُ عن الفُراتِ نطرد

١٥ـ وللشريف نقيب النقباء ـ ببغداد ـ الرضي الموسوي[1] من قصيدة:

(١) هو الشهير بالرضي اخي المرتضى المتوفى سنه٤٠٥هـ.

شغل الدموع عن الديار بكاؤها لبكاء فاطمة على أولادها
والهفتاه لعصبةٍ علويةٍ تبعت أُميَّة بعدَ عزٍّ قيادها
اللّه سابقكم إلى أرواحها وكسبتم الآثام في أجسادها
إنْ قوّضت تلك القباب فإنما خرَّت عماد الدِّين قبل عمادها
هي صفوة اللّه التي أوحى لها وقضى أوامره إلى أمجادها
يروي مناقب فضلها أعداؤها أبداً ويسندها إلى أضدادها
ياغيرة اللّه اغضبي لنبيه وتزحزّحي بالبيضِ عن أغمادها
من عصبة ضاعت دماء محمَّد وبنيه بين يزيدها وزيادها
صفدات مال اللّه ملء اكفها واكفُّ آل اللّه في أصفادها
ضربوا بسيف محمَّد أبناءه ضرب الغرائب عدن بعد ذيادها
يايوم عاشوراء كم لكَ لوعة تترقّص الأحشاء من ايقادها؟

١٦ـ وللشريف أيضاً من قصيدة طويلة:

سقى اللّه المدينة من محل لباب الودق بالنطف العذاب
وجاد على البقيع وساكنيه رخي الذيل ملآن الوطاب[1]
وأعلام الغري وما أطاقت معالمها على الحسب اللباب
وقبراً بالطفوف يضمُّ شلواً قضى ظمأً إلى برد الشراب
وبغداد وسامرا وطوسا هطول الودق منخرق العباب
بكم في الشعر فخري لا بشعري وعنكم طال باعي في الخطاب
ومن أولى بكم منّي ولاءاً وفي أيديكم طرف انتسابي؟

(١) الوطاب: السقاء.

١٧ـ ولأبي الحسن عليّ بن أحمد الجوهري الجرجاني[1] من قصيدة يمدح بها أهل البيت عليهم السلام :

وجدي بكوفان لا وجدي لكوفان ... تهمي عليه ضلوعي قبل أجفاني
أرضٌ إذا نفحت ريح العراق بها ... أتت بشاشتها أقصى خراسان
فمن قتيل بأعلى كربلاء على ... جهد الصدى[2] فتراهُ غير صديان
وذي صفايح يستسقي النقيع به ... ريّ الجوانح من روح وريحان
هذا قسيم رسول اللّه من آدم ... قدا معا مثلما قد الشراكان
وذان سبطا رسول اللّه جدّهما ... وجه الهدى وهما في الوجه عينان
واخجلتا من أبيهم يوم يشهدهم ... مضرَّجين نشاوى من دمٍ قان
يقول ياأُمَّة خف الضلال بها ... فاستبدلت للعمى كفراً بطغيان
ماذا جنبت عليكم إذْ أتيتكم ... بخيرِ ما جاء من آي وفرقان
ألمْ أجركم وأنتم في ضلالتكم ... على شفا حفرة من حرِّ نيران
الم أُؤلف قلوباً منكم فرقاً ... مثارة بين أحقاد وأضغان
الم أكن فيكم غوثاً لمضطهد ... الَم أكُن فيكم ماءً لظمآن
أما تركت كتاب اللّه بينكم ... وآلي الغرِّ في جمعٍ وقرآن
قتلتم ولدي صبراً على ظمأ ... هذا وترجون عند الحوض إحساني
سبيتم ثكلتكم أُمهاتكم ... بني البتول وهم روحي وجثماني
مزّقتم ونكثتم عهد والدهم ... وقد قطعتم بذاك النكث أقراني
ياربِّ خُذ لي منهم إذ هم ظلموا ... كرام رهطي وراموا هدم بنياني
ماذا تجيبون والزهراء خصمكم ... والحاكم اللّه للمظلوم والجاني

(١) كان من شعراء الصاحب وتوفي حوالي سنة (٣٨٠هـ).

(٢) الصدى: العطش.

أهل الكساء صلاة الله ما نزلت عليكم الآي من مثنى ووحدان
أنتم نجوم بني حوّاء ما طلعت شمس النهار وما لاح السماء كان
مازلت منكم على شوق يهيجني والدهر يامرني فيه وينهاني
حتى توصلت والتوحيد راحلتي والعدل زادي وتقوى الله امكاني
هذي حقائق لفظ كلما برقت ردت بلألائها أبصار عميان
هي الحلى لبني طه وعترته وهي الردى لبني حرب ومروان
وهي الجواهر جاء الجوهري بها محبَّة لكم من ارضِ جرجان

١٨ ـ ولأبي الحسن الجوهري أيضاً من قصيدة طويلة :

أهل عاشور! يالهفي على الدين خذوا حدادكم ياآلَ ياسين
اليوم شقق جيب الدين وانتهبت بنات أحمد نهبَ الروم والصين
اليوم قام بأعلى الطَّف نادبهم يقول من ليتيم أو لمسكين
اليوم خرت نجوم الفخر من مضر على مناخر تذليل وتوهين
اليوم خضب شيب المصطفى بدم أمسى عبير نحور الخرد العين
اليوم أطفئ نور الله متقداً وبرقعت غرَّة الإسلام بالهون
اليوم زعزع قدس من جوانبه وطاح رضوى على أنف وعرنين
اليوم عقوا على الزهراء كلها وساوروها بتنكيب وتهوين
اليوم نال بنو حرب طوائلهم مما صلوه ببدر ثُمَّ صفين
اليوم جدل سبط المصفى شرقا من نفسه بنجيع غير مسنون
زادوا عليه بحبس الماء غلّته فيا لرأي فريق فيه مغبون
نالوا أزمَّة دنياهم ببغيهم فليتهم سمحوا منها بماعون
حتى أصات بقنسرين راهبها[1] ياعصبةَ الغيِّ ياحزبَ الشياطين

---

(١) يشير الى قصّة الراهب ومافعل يزيد بالراس واسلم الراهب فقتل.

أتهـزأون برأس بات منتـصـبـاً على القنا بجبين منه ميـمـون؟
آمنت ويحكـم بالله مــهـتـديـاً مستبدلاً لي دين الرأس من ديني
قد جدلوه صريعاً فوق جبهته وقـسّـمـوه بأطراف السكاكين
وأرقروا صهوات الخيل من اخر على أساراهم فعل الفراعين
مصفّدين على أقتاب أرحلهم محمولةً بين مضروب ومطعون
أطفال فاطمة الزهراء قد فطموا من الشدي بأنياب الثعابين
ياأمّة ولي الشيطان رايتها ومكّن الغيُّ منها كل تمكين
ياابني زياد وهند ترجوان غداً روح الجنان بمقذوف وملعون
ماالمرتضى وبنوه من معاوية وما الفواطم من هند وميسون
آل الرسول عباديد السيوف فمن سار على وجهه خوفاً ومسجون
ياعين لا تدّعي شيئاً لغادية تهمي ولا تدعى دمعاً لمحزون
سحي على جدث بالطف وانتفضي بكل لؤلؤ دمع فيك مكنون
ياآل أحمد إنّ الجوهري لكم سيفٌ يقطع عنكم كل موضون

١٩ـ ولبعضهم[١] قصيدة طويلة، انتخبت منها:

إذا جاء عاشور تضاعف حسرتي لآل رسول الله وانهل دمعتي
هو اليوم فيه اغبرت الارض كلّها شجوناً عليهم والسّماء اقشعرت
مصائب ساءت كلَّ من كانَ مسلماً ولكن عيون الفاجرين أقربت
إذا ذكرت نفسي مصيبةَ كربلا وأشلاء سادات بها قد تفرت
أضاقت فؤادي واستباحت تجلدي وزادت على كربي وعيشي أمرت
أريقت دماء الفاطميين بالفلا فلو عقلت شمس النهار لخرت

(١) وهي المنسوبة إلى عبدالله بن عمار البرقي، المقتول سنة ٢٤٥هـ، قطع لسانه وخرق ديوانه بسبب شعره.

ألا بأبي تلك الدمـاء التي جـرت بأيدي كلابٍ في الجحيم استقرت
توابيت من نار عليهم قد اطبقت لهم زفرة في جوفها بعد زفرة
فشتان من في النّار في جوف طابق ومن هو في الفردوس فوق الاسرّة
بنفسي خدود في التراب تعفّرت بنفسي جسوم بالعراء تعرّت
بنفسي رؤوس مشرقات على القنا إلى الشام تُهدى بارقات الأسرة[1]
بنفسي شفاه ذابلات من الظمأ ولم تروَ مِن ماء الفرات بقطرة
بنفسي عيون غائرات شواخص إلى الماء منها نظرة بعد نظرة
بنفسي من آل النبي خرائد حواسر لم يرأف عليها بسترة
تفيض دموعاً بالدِّماء مشوبة كقطر الغوادي من مدامع ثرة
على خير قتلى من كهولٍ وفتيةٍ مصاليت انجاد[2] إذا الخيل كرت
ربيع اليتامى والأرامل في الملأ دوارس للقرآن في كل سحرة
وأعلام دين المصطفى وولاته وأصحاب قربان وحجٍّ وعمرة
ينادين ياجدّاه أية محنة تراها علينا من أُمية مرت؟
ضغائن بدر بعد ستين أظهرت وكانت أجنت في الحشا وأسرت
شهدت بأن لم ترض نفسٌ بهذه وفيها من الإسلام مثقال ذرة
كأني ببنت المصطفى قد تعلَّقت يداها بساق العرش والدمعُ أذرت
وفي حجرها ثوبُ الحسين مضرَّجاً وعتها جميع العالمين بحسرة
تقول اياعدل اقضِ بيني وبين من تعدى على ابني بعد قهر وقسوة
أجالوا عليه بالصوارم والقنا وكم جال فيهم من سنان وشفرة؟
على غير جرم غير انكار بيعة لمنسلخ عن دين أحمد عرة

---

(١) الاسرة: غضون الجبهة.

(٢) المصاليت: جمع مصلات وهو الرجل الماضي بعزمه.

فيقضي على قوم عليه تألّبوا بسوء عذاب النار من غير فترةِ
ويسقون من ماء الصديد إذا دنا شوى الوجه والأمعاء منه تهرتِ
مودّةً ذي القربى رعوها كما ترى وقول رسول اللّه أوصي بعترتي
فكم فجرة قد أتبعوها بفجرة؟ وكم غدرة قد ألحقوها بغدرةِ؟
هم أول العادين ظلماً على الورى ومن سادَ فيهم بالأذى والمضرةِ
مضوا وانقضت أيامهم وعهودهم سوى لعنة باءوا بها مستمرةِ
لآل رسول اللّه ودّي خالصاً كما لمواليهم ولائي ونصرتي
وها أنا مذ أدركت حدّ بلاغتي أُصلّي عليهم في عشيّي وبكرتي
وقول النبيِّ المرء مع من أحبه يقوّي رجائي في إقالة عثرتي
على حبهم ياذا الجلال توفني وحرِّم على النيران شيبي وكبرتي

٢٠ـ وللصّاحب كافي الكفاة إسماعيل بن عباد(١) من قصيدة جيدة طويلة انتخبت منها مقداراً:

بلغت نفسي مناها بالموالي آل طه
برسول اللّه من حا ز المعالي وحواها
وببنت المصطفى مَنْ أشبهت فضلاً أباها
وأخيه الأسد الباسل في يوم وغاها
وبحبِّ الحسن البا لغ في العليا مداها
والحسين المرتضى يوم المساعي إذ حواها
ليس فيهم غير نجم قد تعالى وتناهى
عترة أصبحت الدُّنيا جميعاً في حماها

(١) توفي سنة ٣٨٥.

نابذتهم عصب البغي ... بأنواع عماها
أردت الأكبر بالسمّ ... ومَا كان كفاها
وأنبرت تبغي حسيناً ... وعترته وعراها
منعته شربة والو ... حش قد أروت صداها
فأفاتت نفسه يا ... ليت روحي قد فداها
بنته تدعو أباها ... أُخته تبكي أخاها
لو رأى احمد ما كا ... نَ دهاهُ ودهاها
ورأى زينب إذ شمر ... أتاها وسباها
لشكا الحالَ إلى اللّه ... وقد كانَ شكاها
وإلى اللّه سيأتي ... وهو أولى من جزاها

٢١ـ وللصاحب أيضاً من قصيدة منتخبة:

مالعليٍّ العلاء أشباه ... لا والذي لا إله إلاّ هو
مبناه مبني النبي تعرفه ... وابناه عند التفاخر ابناه
لو طلب النجم داس أخمصه[1] ... أعلاه والفرقدان نعلاه
ياأبي السيد الحسين وقد ... جاهد في الدين يوم بلواه
ياأبي أهله وقد قتلوا ... من حوله والعيون ترعاه
ياقبَّحَ اللّه أمَّةً خذلت ... سيدها لاتُريد ارضاه
وأبعد اللّه جيفة نجسا ... يقرع من بغضه ثناياه

٢٢ـ وللصاحب أيضاً من قصيدة منتخبة:

برئتُ مِنَ الارجاس رهط أُميَّة ... لما صحَّ عندي مِن قديم عدائهم

(١) الاخمص: باطن القدم.

ولعنهم خير الوصيين جهرةً لكفرهم المعدود في شرٍّ دائهم
وقتلهم السادات من آل هاشم وسبيهم عن جرأة لنسائهم
وذبحهم خير الرجال أرومة حسين العلا بالكرب في كربلائهم
وتشتيتهم شمل النبيِّ محمد لما ورثوا مِن بغضه في فنائهم
وماغضبت إلا لأصنامها التي أُذلت وهم أنصارها لشقائهم
فيا ربِّ جنبني المكاره واعف عن ذنوبي لما أخلصته مِن ولائهم
ويا ربِّ أعدائي كثير فردّهم بغيظهم لا يظفروا بابتغائهم
ويا ربِّ من كان النبي وأهله وسائله لم يخشَ مِن غلوائهم
حسين توسل لي إلى اللّه إنني بُليتُ بهم فادفع عظيم بلائهم
فكم قد دعوني رافضياً لحبكم فلم يثنني عنكم طويل عوائهم

٢٣ـ وللصاحب أيضاً من قصيدة منتخبة جيدة:

ياأصل عترة أحمد ولاك لم يكُ أحمد المبعوث ذا أعقاب
رُدت عليك الشمس وهي فضيلة بهرت فلم تستر بكفٍّ نقاب
لم أحكِ إلا ماروته نواصب عادتك فهي مباحة الأسلاب
عوملت ياتلو النبي وصنوه بأوابد[1] جاءت بكل عجاب
قد لقَّبوك أبا تراب بعدما باعوا شريعتهم بكفٍّ تراب
أتشكَ في لعني أُمية بعد ما جارت على الأحرار والأطياب
قتلوا الحسين فيا لعولي بعده وطويل حزني أو أصير لما بي
وسبوا بنات محمد فكأنما طلبوا ذحول[2] الفتح والأحزاب
مهلاً ففي يوم القيامة غنية والنار باطشة بسوط عذاب

(١) الاوابد: الدواهي.
(٢) الذحول: الثارات.

٢٤ـ وللصاحب أيضاً من قصيدة طويلة:

اجـروا دماء أخي النبيِّ محـمـد فلتـجـر غـزر دمـوعنا ولتـهـمل
ولتـصـدر اللعنات غـيـر مـزالة لعداه من مـاضٍ ومن مستـقبل
وتجـــرَّدوا لـبنيـــه ثـم بناته بعظائم فـاسمع حـديث المقـتل
منعـوا الحسين الماء وهو مـجاهدٌ في كـــربلاء فنح كنوح المعــول
منعــوه أعـذب منهل وهم غــدا يردون في النيـران أوخـم منـهل
أيجـز راس ابن النبي وفي الورى حيٌّ أمـــام ركـــابه لـم يقـــتل؟
وبنو الـسـفــاح تحكّمـوا في أهل حيٍّ على الفـلاح بفـرصة وتعجل
نكت الدَّعي ابن البغي ضواحكاً هي للنبي الخـيـر خـيـر مـقـبل
تمضي بنو هند سـيـوف الهند في أوداج أولاد الــنـبـيِّ المـرســل
ناحت مـلائكةُ السـمـاء لقـتلهم وبكت فـقـد سـقـوا كؤوس الذبل
وارى البكـاء على الزمـان مـحللاً والضـحكُ بعـد الطَّف غير محلّل
كم قلت لـلأحـــزان دومي هـكذا وتـنزلي في القـلب لا تـتــرحّل

٢٣ـ ولبديع الزمان أحمد بن الحسين الهمداني(١):

يـالمة ضـــرب الزمــــان على مـعـرسـهـا خـيـامـه
لـلّه درك مـن خـــــزامي روضــة عــادت ثـغـامـه
لـرزية قــــامت بهـــا للدين أشراط الـقـيـامـه
لمضـــرَّج بدم النبـــوة ضــارب بـيـد الإمــامـه
متقـسم بظبـا السـيوف مـجـرَّع منهـا حـمـامـه
منـع الـورود ومـــــاؤه منه على طرف الثـمـامـه

---

(١) هو الشاعر المعروف صاحب المقامات توفي مسموماً سنة٣٩٨هـ.

نصب ابن هند رأسه — فوق القنا نصب العلامه
ومقبل كان النبيُّ — بلثمه يشفي غرامه
قرع ابن هند بالقضيب — عذابه فرط استضامه
وشدا بنغمته عليه — وصب بالفضلات جامه
والدين أبلج ساطع — والعدل ذو خال وشامه
ياويح من ولّى الكتاب — قفاه والدُّنيا أمامه
ليضرسنَّ يد الندامة — حين لا تُغني الندامه
وليدركنَّ على الغرامة — سوء عاقبة الغرامه
وحمى أباح بنو يزيد — على طوائلهم حرامه
حتى اشتفوا من يوم بدر — واستبدوا بالزعامه
لعنوا أمير المؤمنين — بمثل إعلان الإقامه
لِمَ لم تخري ياسماء — ولَمْ تصبي ياغمامه؟
لِمَ لَمْ تزولي ياجبال — ولمْ تشولي يانعامه؟
يالعنة صارت على — أعناقهم طوق الحمامه
إنَّ الإمامة لم تكن — دون البتول ولا كرامه
من سبط هند وابنها — وضرِّجي بدم رغامه
ياعين ! جودي للبقيع — وقبّلي عني مقامه
جودي على جدث الغري — ووفّري عني ذمامه
جودي لمشهد كربلا — أجد بما جاد ابن مامه
جودي بمسكوب الدموع — وأرسلي بدداً نظامه
جودي بمكنون الدموع — للئيم ماتحت العمامه

٢٦ـ ولبعضهم من قصيدة طويلة انتخبت منها قدرا:

تمسك بالكتاب ومن تلاه فأهل البيت هم أهل الكتاب
لهم نزل الكتاب وهم تلوه وهم كانوا الهداة إلى الصواب
شفيعي في القيامة عند ربي نبي والوصي أبو تراب
إمام وحّد الرحمن طفلاً وآمن قبل تشديد الخطاب
عليٌّ كان صديق البرايا عليٌّ كان فاروقَ العذاب
وفاطمة البتول وسيدا من يخلد في الجنان مِن الشباب
على الطف السَّلام وساكنيه وروح اللّه في تِلكَ القباب
مضاجع سادة قتلوا فناموا هجوداً في الفدافد والشعاب
لديهم في مضاجعهم كعاب بأرواق منعّمة رطاب
وصيرت القبور لهم قصوراً مناخاً ذات أفنية رحاب
لئن وارتهم أطباق ارض فإنَّ السيف يغمد في القراب
كاقمار إذا طلعوا وضاء وآساد إذا ركبوا غضاب
لقد كانوا الثمال لمن أتاهم مِن العافين والهلكى السياب
وقد نقلوا إلى جنات عدن وجوزوا بالنعيم وبالثواب
أيبخل بالفرات على حسين؟ وقد أضحى مباحاً للكلاب؟!
وآل محمد تضحى سبايا يسقن مع الأسارى والنهاب
مغبّرة الذيول مكشفات كسبي الروم دامية الكعاب
لئن أُبرزن كرها من حجاب فهنَّ مِن التعفف في حجاب
ولي قلب عليهم ذو التهاب ولي جفن عليهم ذو انسكاب
وسوف يرى الأولى ظلموا وجاروا عقاب اللّه في يوم الحساب

٢٧ـ ولدعبل بن عليٍّ الخزاعي من قصيدة طويلة جيدة:

جاؤا إلى الشام المشومة أهلها بالشوم يقدم جندهم ابليس
لعنوا وقد لعنوا بقتل إمامهم تركوه وهو مبضّع محموس
وسبوا فواحزني بنات محمد عبرى حواسر مالهنّ لبوس
تباً لكم ياويلكم أرضيتم بالنار ذلّ هنالك المحبوس؟
يعتم لدنيا غيركم جهلاً لكم عزّ الحياة وانه لنفيس
اخسر بها من بيعة أموية لعنت وحظ البائعين خسيس
بؤساً لمن بايعتم فكانني بإمامكم وسط الجحيم حبيس
ياآل احمد مالقيتم بعده من عصبة هم في القياس مجوس
صبراً موالينا فسوف ينيلكم يوم على آل اللعين عبوس
مازلت متبعاً لكم ولأمركم وعليه نفسي ما حييت أسوس

٢٨ـ ولجعفر بن عفان الطائي[1]:

ليبك على الإسلام من كان باكياً فقد ضيعت أحكامه واستحلت
غداة حسين للرماح درية وقد نهلت منه السيوف وعلت
وغودر في الصحراء لحماً مبدداً عليه عاق الطير باتت وظللت
فما نصرته أمَّة السوء إذ دعا لقد طاشت الأحلام منها وضلّت
بلى قد محوا أنوارهم بأكفهم فلا سلمت تلك الأكف وشلّت
وذكرهم جهداً بحقٍّ محمد فإنَّ ابنه من نفسه حيث حَلَّت
فما حفظوا قرب الرسول ولا رعوا وزلّت بهم أقدامهم واستزلّت
أذاقته حرَّ القتل أمّة جدِّه هفت نعلها في كربلاء وزلّت

(١) شاعر شهير ذكره المرزباني في شعراء الشيعة، توفّي في حدود سنة ١٥٠هـ.

فلا قدّس الرَّحمن منها نفوسها إن هي صامت للإله وصلَّت
كما أفجعت بنت الرسول بنسلها وكانوا حماة الحرب حيث استقلت
وكانوا سروراً ثم عادوا رزية لقد عظمت تلك الزايا وجلّت

٢٩ـ ولجعفر بن عفان أيضاً من قصيدة طويلة انتخبت منها هذه الأبيات:

تبكي العيون لركن الدين حين وهى وللرزايا العظيمات الجليلات
هل لامرئٍ عاذر في خزن اوهمه بعد الحسين وسبي الفاطميات؟
أمْ هل لمكتئب حران أفقده لذاذة العيش تكرار الفجيعات؟
قضت على آل خير الخلق كلّهم وهم غياث البرايا في الملمات
مثل النجوم الدراري يُستضاء بها إنْ غابَ نجم بدا نجم لميقات
ياأمَّة السوء هاتوا ماحجاجكم إذا برزتم لجبَّار السماوات
وأحمد خصمكم والله منصفه إنْ قال في جمعكم دون المحاباة
ألم أُبين لكم ما فيه رشدكم من الحال ومن ترك الخطيئات
فما صنعتم أضل الله سعيكم فيما عهدت إليكم من وصياتي؟
أما بني فمقتول ومكتبل وهارب في رؤوس المشمخرات
وقد أخفتم بناتي بين أظهركم ماذا أردتم شقيتم من بنياتي؟
ينقلن من عند جبار يؤنبها لآخر مثله نقل السبيات

٣٠ـ وللناشي علي بن وصيف[1] مما يُناح به في المآتم:

اما شجاك ياسكن قتل الحسين والحسن

(١) هو الشاعر المعروف بالناشي الصغير، توفي سنة٣٦٦هـ.

ظمآت من فرط الحزن　　وكلّ وغــد ناهل

***

يقــول ياقــوم أبي　　عليّ البــر الأبي

وفـاطم بنت النبي　　أمي وعني سـائلوا

***

منُّوا على طفلي بما　　فقد ضرا فيه الظما

ولم يكن قـد أجرمـا　　حيث الفـرات سائل

***

قـالوا فلن يرتويا　　فإن تجيء مستجديا

فانزل بحكم الأدعيا　　فـقـال بل أُناضل

***

حـتى أتاه مـشـقص　　رمـاه وغـد أبرص

من سـقـرلا يخلص　　رجسٌ دعـي واغـل

***

فـاجـمعـوا لختله　　واعصوصبوا لقتله

وذبحـه مع طفله　　فـاستنت المناصل

***

فـوصلوا عـرينه　　وخضبوا جبـينه

بالدم يا مـعـينه　　مـا أنت عنه غـافل

***

وانتـهكوا حـريمه　　وذبحـوا فطيمـه

وقـيدوا سقـيمـه　　وسـيـقت الحـلائل

يسـقن بالتنائف في ضجّة الهواتف
وأدمع ذوارف عقولها ذواهل

***

يصحن يامحمَّد ياجدَّنا ياأحمد
قد أسرتنا الأعبد فكلّنا ثواكل

***

تهدى سبا من كربلا إلى الشام في الفلا
ينفشن كرباً وبلا ليس لهنَّ كافل

***

الى يزيد الطاغيه معدن كلِّ داهيه
من نحو باب الجابيه فجاحد وخاذل

***

حتى دنا بدر الدُّجى رأس الإمام المرتجى
في طست معدوم الحجى وهو اللعين القاتل

***

أمال في بنانه قضيب خيزرانه
ينكتُ في أسنانه قطعت الأنامل

***

فيا عيوني اسكبي على بني بنت النبي
بفيض دمعٍ واهضبي كذاكَ يبكي العاقل

***

٣١ـ ولمنصور بن سلمة بن الزبرقان النمري[1] من قصيدة جيدة:

متى يشفيك دمعك من همول ... وببرد ما بقلبك من غليل؟
وقد شرقت رماح بني زياد ... بري من دماء بني الرسول
فؤادك والسلو فإنَّ قلبي ... ليأبى أن يعود إلى ذهول
فياطول الأسى من بعد قوم ... أدير عليهم كأس الأفول
تعاورهم أسنَّة آل حرب ... وأسياف قليلات الفلول
فما وجدت على الأعقاب منهم ... ولا الانفاء آثار النصول
ولكن الوجوه مكلَّمات ... وفوق صدورهم مجرى السيول
أُريق دم الحسين ولم يراعوا ... وفي الأحياء أموات العقول
فدت نفسي جبينك من جبين ... جرى دمه على الخدِّ الأسيل
أيخلوا قلب ذي ورع ودين ... من الأحزان والألم الطويل
وأوصال الحسين ببطن قاع ... ملاعب للدبور والقبول؟
بتربة كربلاء له ديار ... نيامُ الأهل دارسة الطلول
تحيات ومغفرة وروح ... على تلك المحلَّة والحلول
قتيل ما قتيلُ بني زياد ... الا بابي ونفسي من قتيل
برئنا يارسول اللّه ممن ... اصابك بالأذيةِ والذحول

٣٢ـ ولمنصور بن سلمة هذا من قصيدة جيدة جداً:

شاء من الناس راتع هامل ... يعللون النفوس بالباطل
تقتل ذريَّة النبي ويرجو ... نَ خلود الجنان للقاتل
ويلك ياقاتل الحسين لقد ... جئت بعبءٍ ينوءُ بالحامل

(١) الشاعر المعروف قتله الرشيد براس عين سنة ـ ١٩٠هـ.

أيّ حياء حبوت أحمد في — حفرته من حرارة الشاكل
بأيٍّ وجه تلقى النبي وقد — دخلت في قتله مَعَ الداخل
هلم فاطلب غداً شفاعته — أولا فرد حوضه مع الناهل
لا شكَّ عندي في كفر قاتله — لكنني قد أشكُّ في الخاذل
نفسي فداء الحسين يوم غدا — إلى المنايا غدو لا قافل
ذلك يوم أخنى بكلكله — على سنام الإسلام والكاهل
مظلومة والنبيُّ والدها — تدير أرحاء مقلة حافل
الامساعير يغضبون لها — بسلة البيض والقنا الذابل
كم ميت منهم بغصته — مقترب القر بالعرا نازل
ماانتجت حوله قرابته — عند مقاساة يومه النازل
اذكر منهم ما قد أصابهم — فيمنع القلب سلوة الذاهل
حتى متى أنت تعجبين الا — ينزل بالقوم بأسه العاجل
لا يعجل الله إنْ عجلت وما — ربك عما ترين بالغافل
ماحصلت لأمرئ سعادته — حقَّت عليه عقوبة الآجل
أعاذلي أنني أحبُّ بني — أحمد والترب في فم العاذل
دنت بما أنتم عليه وما — رجعت عن دينكم إلى باطل
دينهم جفوة النبي وما — الجافي لآل النبي كالواصل

٣٣ـ ولسليمان بن قتّة الخزاعي(١) من قصيدة:

مررت على أبيات آل محمد — فلم ارها أمثالها حين حلت
فلا يبعد الله الديار واهلها — وان أصبحت منهم برغمي تخلت

---

(١) هو هاشمي الولاء أمه قتة وابوه حبيب، توفّي بدمشق سنة ١٢٦هـ.

ألم تر أن الأرض أمست مريضة لفقد حسين والبلاد اضمحلت؟
وقد طفقت تبكي السماء لفقده وانجمها ناحت عليه وحنت
ألا ان قتلى الطف من آل هاشم أذلت رقاب المسلمين فذلّت
وكانوا غياثاً ثم أضحوا رزية الا عظمت تلك الرزايا وجلّت
إذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها وتقتلنا قيس اذا النعل زلت
وعند غنى قطرة من دمائنا سنطلبهم يوماً بها حيث ولّت

٣٤ـ وللصاحب إسماعيل بن عباد الوزير كافي الكفاة:

عين جودي على الشهيد القتيل واتركي الخد كالمحل المحيل
كيف يشفى البكاء في قتل مولا ي إمام التنزيل والتأويل
ولو أنَّ البحار صارت دموعي ما كفتني لمسلم بن عقيل
قاتلوا الله والنبي ومولا هم علياً إذْ قاتلوا ابن الرَّسول
صرعوا حوله كواكب دجن قتلوا حوله ضراغم غيل
إخوة كل واحد منهم ليث عرين وحد سيف صقيل
أوسعوهم طعناً وضرباً ونحراً وانتهاباً ياضلة من سبيل
والحسين الممنوع شربة ماء بين حرِّ الظبا وحرِّ الغليل
مثكل بابنه وقد ضمَّه وهو غريق من الدماء الهمول
فجعوه من بعده برضيعٍ هل سمعتم بمرضعٍ مقتول؟
ثمَّ لم يشفهم سوى قتل نفس هي نفس التكبير والتهليل
هي نفس الحسين نفس رسول الله نفس الوصيِّ نفس البتول
ذبحوه ذبح الاضاحي فيا قلب تصدَّع على العزيز الذليل
وطأوا جسمه وقد قطعوه ويلهم من عقاب يوم وبيل

أخذوا رأسه وقد بضعوه إنَّ سعي الكفار في تضليل
نصبوه على القنا فدمائي لا دموعي تسيل كلَّ مسيل
واستباحوا بنات فاطمة الز هراء لما صرخن حول القتيل
حملوهن قد كشفن على الاقتا ب سبياً بالعنف والتهويل
يالكرب بكربلاء عظيم ولرزء على النبيِّ ثقيل
كم بكى جبرئيل مما دهاه في بنيه صلّوا على جبرئيل؟
سوف تأتي الزهراء تلتمس الحكم إذا حان محشر التعديل
وأبوها وبعلها وبنوها حولها والخصام غير قليل
وتنادي يارب ذبح أولادي لماذا وأنت خير مديل؟
فينادي بمالك ألهب النار وأجّج وخذ بأهل الغلول
يابني المصطفى بكيت وأبكيت ونفسي لم تأت بعد بسول
ليت روحي ذابت دموعاً فأبكي للذي نالكم من التذليل
فولائي لكم عتادي وزادي يوم ألقاكم على سلسبيل
لي فيكم مدائح ومراث حفظت حفظ محكم التنزيل
قد كفاني في الشرق والغرب فخراً أن يقولوا من قيل إسماعيل
ومتى كادني النواصب فيكم حسبي اللّه وهو خير وكيل

٣٥ـ وللصاحب أيضاً من قصيدة طويلة انتخبت منها:

هم أكدوا أمر الدعي يزيد منفوظ السفاح
فسطا على روح الحسين وأهله جم الجماح
صرعوهم قتلوهم نحروهم نحر الأضاحي
يادمع حيَّ على انسفاك ثم حي على انسفاح

في أهل حيّ على الصَّلاة | وأهل حيَّ على الفلاح
يحمي يزيد نساءه | بين النضائد والوشاح
وبغات أحمد قد كشفن | على حريم مستباح
ليت النوائح ما سكتن | عن النياحة والصياح
ياسادتي لكم ودادي | وهو داعية امتداحي
وبذكر فضلكم اغتبا | في كلِّ يوم واصطباحي
لزم ابن عباد ولاءكم | الصريح بلا براح

٣٦ـ ولأبي الرُّميح الخزاعي[1] من قصيدة:

أجالت على عيني سحائب عبرة | فلم تصح بعد الدمع حتى ارمعلت[2]
نبكي على آل النبي محمَّد | وما أكثرت في الدمع لا بل اقلت
أُولئك قوم لم يشبعوا سيوفهم | ولم تكثر القتلى بها حين سلت

٣٧ـ ولعقبة بن عميق السهمي[3] وهو أول شعر رثي به الحسين عليه السلام.

مررت على قبر الحسين بكربلا | ففاض عليه من دموعي غزيرها
وما زلت أبكيه وأرثي لشجوه | ويسعد عيني دمعها وزفيرها
وبكيت من بعد الحسين عصائباً | أطافت به من جانبيه قبورها
إذا العين قرَّت في الحياة وأنتم | تخافون في الدنيا فاظلم نورها
سلام على أهل القبور بكربلا | وقل لها مني سلام يزورها

(١) هو عمير بن مالك الخزاعي، ذكره ابن النديم، والمرزباني، وانشد هذه الابيات فاطمة بنت الحسين، وتوفي سنة ١٠٠هـ تقريباً.
(٢) ارمعلت العين: تتابع دمعها.
(٣) هو من بني سهم بن عوف بن غالب من أهل المائة الاولى.

سلام بآصال العشي وبالضحى تؤديه نكباء الرياح ومـوردها
ولا برحَ الوفـاد زوار قـبـره يفـوح عليهـم مسكها وعبيرها

٣٨ـ وللكميت بن زيد الأسدي من قصيدة انتخبت منها:

أضـحكني الدهر وأبكاني والدهر ذو صـرف وألوان
لتسعة بالطفّ قد غودروا فيها جميعاً رهن أكفان
وستة لا يتمارى بهم بنو عقيل خير فرسان
وابن علي الخير مولاهم فذكرهم هيج أشجاني

٣٩ـ ولسليمان بن قتّة الخزاعي، وأنشدنيه ركن الإسلام أبو الفضل الكرماني، عن محمَّد بن الحسين الأرسابندي:

عين جودي بعبرة وعويل واندبي إن بكيت آل الرسولِ
وأندبي تسعة لصلب عليٍّ قد أُصيبوا وستة لعقيلِ
واندبي شيخهم فليس إذا ما ضمن بالخير شيخهم بالبخيلِ
وأندبي إن ندبت عوناً أخاهم ليس فيما ينوبهم بخذولِ
وسمي النبيّ غودر فيهم قد علوه بصارم مصقولِ

٤٠ـ وللسري الرفاء[1] من قصيدة جاء منها هذا:

أقام روح وريحان على جدث ثوى الحسين به ظمآن آمينا
كأنّ أحشاءنا من ذكره أبداً تطوى على الجمر أو تحشى السكاكينا
مهلاً فما نقضوا آثار والده وإنما نقضوا فيقتله الدينا

---

(١) هو صاحب الديوان المطبوع المتوفى سنة٣٦٦هـ.

٤١ـ ولكشاجم[1] من قصيدة طويلة:

إذا تفكرت في مصابهم أثقب زند الهموم قادحه
فبعضهم قربت مصارعه وبعضهم بعدت مطارحه
اظلم في كربلاء يومهم ثُمَّ تجلى وهم ذبائحه
ذلَّ حماه وقلَّ ناصره ونال اقى مناه كاشحه

٤٢ـ وللسوسي[2] الشاعر رحمه اللّه تعالى من قصيدة:

لهفي على السبط وما ناله قد مات عطشاناً بكرب الظما
لهفي لمن نكس من سرجه ليس من الناس لهُ مِن حمى
لهفي على بدر الهدى إذْ علا في رمحه يحكيه بدر الدُّجى
لهفي على النسوة إذ أبرزت تساق سبياً بالعنا والجفا
لهفي على تلك الوجوه التي أُبرزن بعد الصون بين الملا
لهفي على ذاك العذار الذي علاه بالطّفِ تراب العرا
لهفي على ذاك القوام الذي حنته بالطفِ سيوف العدى

٤٣ـ وله أيضاً من قصيدة:

كم دموع ممزوجة بالدماء سكبتها العيون في كربلاء؟
لستُ أنسى على الطفوف حسيناً مفرداً بين صحبه بالعراء
وكأني به وقد خرَّ في الترب صريعاً مخضَّباً بالدماء
وكأني به وقد لحظ النسوان يسلبن مثل هتك الاماء

---

(١) هو محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك أبو الفتح الرملي، يعرف بكشاجم، له ديوان مطبوع، توفي سنة ٣٥٠هـ.

(٢) هو محمد بن عبدالعزيز الكاتب بحلب المتوفى حوالي سنة ٣٧٠هـ.

٤٤ـ وله أيضاً من قصيدة:

لا عذرَ للشيعي يرقى دمعه ودمُ الحسين بكربلاء أُريقا
يايوم عاشوراء قد غادرتني ما عشت في بحر الدموع غريقا
فيك استبيح حريم آل محمّدٍ وتمزّقت أسبابهم تمزيقا
أأذوق طعم الماء وابن محمدٍ ما ذاقه حتى الحمام أذيقا؟

٤٥ـ وله أيضاً من قصيدة:

وكلّ جفني بالسهاد وعرس[1] الحزن في فؤادي
ناع نعى بالطفوف بدراً أكرم به رائحاً وغادي
نعى حسيناً فدته نفسي لما أحاطت به الأعادي
في فتية ساعدوا وواسوا وجاهدوا أعظم الجهاد
حتى تفانوا وظل فرداً فنكسوه عن الجواد
وجاء شمرٌ إليه حتى جرّعه الموت وهو صاد
وركب الرأس في سنان كالبدر يحلو دجى السواد
واحتملوا أهله سبايا على مطايا بلا مهاد

٤٦ـ وله أيضاً من قصيدة:

أأنسى حسيناً بالطفوف مجدّلاً ومن حوله الأطهار كالأنجم الزهر
أأنسى حسيناً يوم سير برأسه على الرمح مثل البدر في ليله البدر
أأنسى السبايا من بنات محمّدٍ يُهتكن من بعد الصيانة والخدر

---

(١) عرس: نزل واقام.

٤٧ـ وله أيضاً من قصيدة يناح بها:

الا أبكي على الحسين	ياعين بالغــــزار؟
وجودي على الغريب	إذا الجــار لا يجــار
وجـودي على النسـا	مع الصـبية الصـغار
وجـودي على القتيل	طريحـاً عـلى القـفـار
الا يابني الرســول	لقــد قلّ الإصطبــار
ألا يابني الرســول	خلت منكم الديار
ألا يابني الرســول	فــلا قــرّ لي قــرار
إذا أذكــر الحــسين	وما قد جرى وصار

٤٨ـ وللصوفي [1] الشاعر من قصيدة:

ياقــمـر غــاب حين لاحــا	أورثني فــقــدك المناحــا
يـانوب الـدهر لـم يـدع لـي	صرفك في عيشي ارتياحا
أبعــد يوم الحسين ويحــيى	أستعذب اللهو والمزاحا؟
يا بـأبي أنفــســاً ظمــآء	مــاتوا ولم يشربوا المباحــا
يابأبي ســادة صـبــاحــا	باكـرها حتـفهـا صبـاحا
ياســــادتي يابني عـليّ	بكى الهدى فقدكم وناحا
ياســادتي يابني إمــامي	أقــولـهــا عنوة صــراحــا
أوحشتم الحجر والمساعي	والبيت والقفر والبطاحـا
أوحـشـتم الذكـر والمثـاني	والســور الطول الفـصـاحـا

---

(١) هو طلحة بن عبدالله بن محمد بن ابي عون ابو محمد الغساني المصري، توفي حوالي سنة ٣٩٠هـ بمصر، ودفن بها.

٤٩ـ وله أيضاً من قصيدة:

أيا بضعة من فؤاد النبيِّ بالطَّف أضحت كشيباً مهيلا
وياحبة من فؤاد البتول بالطّف سلت فاضحت أكيلا
قتلت فابكيت عين الرَّسول وابكيت من رحمة جبرئيلا

٥٠ـ وله أيضاً من قصيدة:

لم أنس يوماً للحسين وقد ثوى بالطَّف مسلوب الرداء خليعا
ظمآن من ماء الفرات محلئاً ريان من غصص الحتوف نقيعا
يرنو إلى ماء الفرات بطرفه فيراه عنه محرَّماً ممنوعا

٥١ـ وللصاحب بن عباد من قصيدة جيدة طويلة:

إنْ لَمْ أكن حرباً لحرب كلها فنفاني الآباء والأجداد
أو لم أُفضل أحمداً ووصيه فهدمت مجداً شاده عبّاد
ساقوا بنات المصطفى مسبية وحداتها التخويف والإبعاد
لم يشتفوا إلا بسبي بناته أفما كفى التقتيل والإبعاد؟
ياكربلاء تحدَّثي ببلائنا وبكربنا أنَّ الحديث يعاد
أسد نماه أحمد ووصيّه أرداه كلب قد نماه زياد
فالدّينُ يبكي والملائكُ تشتكي والجو أكلف والسنون جماد

٥٢ـ ولبعضهم فيما يُناح به من قصيدة:

ياحسين بن علي ياقتيل ابن زياد
ياحسين بن علي ياصريعاً في البوادي

لو رآى جـدك بكى بدموع كالمهادِ
أو رآى حيدر أودى فيه لاسيف المرادي
أو رآى فاطم ناحت نوح ورقاء بواد
وأقامت وهي ولهى لك تبكي وتنادي
ولدي قرَّة عيني كبدي حُبّ فؤادي
أنتَ روحي قسَّموها لصعيد وصفاد
لعن اللّه يزيداً وزياداً لعن عاد
هم أعاد لرسول اللّه أبناء أعاد

٥٣ـ وروي: انَّ أبا يوسف عبد السلام بن محمَّد القزويني ثُمَّ البغدادي، قال لأبي العلاء المعري: هل لك شعر في أهل البيت عليهم السلام؟ فإنَّ بعض شعراء «قزوين» يقول فيهم ما لا تقوله شعراء «تنوخ»، فقال: وماذا قال؟ قال: يقول:

راس ابن بنت محمَّد ووصيه للناظرين على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع لا جازع منهم ولا متوجع
أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى وانمت عيناً لم تكن بِك تهجع
كحلت بمنظرك العيون عماية وأصم نعيكَ كلُّ أُذنٍ تسمع
ماروضة إلا تمنت انها لَك مضجع ولخط قبرِكَ موضع

فقال المعري: وانا أقول:

مسح النبيُّ جبينه فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريش وجدُّه خير الجدود

٥٤ـ ولبعضهم في التسلّي:

محن الزمان عظيمة متراكمة ... هي بالفوادح والفواجع ساجمه
وإذا الهموم تعاورتك فسلها ... بمصاب أولاد البتولة فاطمه

٥٥ـ ومن مقالة لي في مرثيته عليه السلام نثراً ونظماً: عباد الله، اعلموا أنه استشهد في هذه الأيام، الإمام الهمام الحسين بن علي، نجل البتول، والوصي، وثمرة فؤاد النبي، صبت فيها المصائب والأذى على أهل بيت المصطفى، وذبح فيها قرّة عين المرتضى، فآه على الجدل بكربلا، وآه على العترة الطاهرة من الأطفال والنساء، ذبحوا سبط النبي في الشهر الحرام، ثمَّ جعلوه هدية لأهل الشام، فويل لمن شفعاؤه خصماؤه، وويلٌ لمن عترة النبي محمَّداً سراؤه:

من يكتسب سخط النبي محمَّد ... لينال في الدُّنيا رضى ابن معاويه
حرم الشفاعة في الحسابِ وسيق في ... زمر الضلالة نحو نار حاميه
فجزاء قوم حاربوا من دونه ... واستشهدوا غرف الجنان العاليه
وجزاء مَن قتلَ الحسين وحزبه ... يوم الجزاء خلوده في الهاويه

ما للظلمة طووا عن الدنيا كشحاً، وأعرضوا عن الآخرة صفحاً؟ اقتحموا الحسين بالعاديات ضجاً، وشنوا عليه الغارة صبحاً، فقاتل عنه صفوة الانام، حتى تساقط عنهم الهام، ثمَّ قاتل عترة الرَّسول دونه، حتى طحنتهم رحى المنايا، وأحاطت بهم سهام الحنايا[1]، ثُمَّ برز الليث الصؤول، والغيث الهطول، نجل المرتضى والبتول، وعليه عمامة جدّه

(١) الحنايا: القسي.

الرسول، فذكرهم حقَّ جدّه خاتم الأنبياء، وحقّ أبيه سيد الأوصياء، وحقّ أُمِّه فاطمة الزهراء، ليجودوا عليه بشربة من ماء، فجادوا عليه بالسيوف والنبال، فتقدَّم ﷺ إلى القتال، وصرع مرده الرجال، وأقعص[1] بالحتوف الأبطال، مرَّةً عن اليمين ومرَّةً عن الشمال، حتَّى صار أهل الضلال بأجمعهم إلباً عليه[2] بالسيوف القواطع، والأسل الطوال، فرموه وطعنوه وضربوه حالاً بعد حال، وقاتل حتى أضعفته كثرة النصال، ففاز بالشهادة، وسلكَ إلى آخر مسلك السعادة، فالسلام على الحسين، المقتول يوم الاثنين:

لقد ذبحوا الحسين ابن البتول ... وقالوا نحنُ أشياع الرَّسول

بقطرة شربة بخلوا عليه ... وخاض كلابهم وسط السيول

قصارى همهم ريح شمال ... وكاسات من الراح الشمول

وإنَّ موفقا[3] إن لم يقاتل ... أمامك يابن فاطمة البتول

فسوف يصوغ فيك محبرات ... تنقل في الحزون وفي السهول

ثُمَّ جعل يزيد ينكت بالمخصرة والقضيب ثنايا الحسين النجيب، تلك الثنايا التي كانت مقبل الحبيب، فآه من رزيةٍ ما أوجعها! وآه من مصيبةٍ ما أفجعها! شقّوا بالسنة الحياة، حبات القلوب، إذ لا قيمة للحبوب عند المحبوب، واقضوا حقَّ النبي المختار، بإرسال المدامع الغزار على أُولئك الأبرار:

نعم باد كاري كربلاء ومن بها ... تفاقم كربي واستحم بلائي

---

(١) أقعص: مات وحيا.

(٢) إلباً: اتفاقاً.

(٣) يعني نفسه.

وانفد عيني ماؤها ببكائها ... عليهم وقد أمددتها بدمائي
فيا ويح قوم قتلوهم إذْ بدا ... شفيعهم من جملة الخصماء
وساقوا بني بنت النبي محمد ... إلى الشامِ في السوق العنيف كشاء

صفت الدُّنيا للطغاة وذوي العناد، وآل الرسول مشردون في البلاد؛ محجبون إشفاقاً على أنفسهم من مكرهم، ونحف أجسامهم خوفاً من غائلة كيدهم وغدرهم:

أيامن وحشِ البر غائلة الورى ... وآل النبي المصطفى غير آمن
تكدرت الدُّنيا عليهم وقد صفت ... لكلٍّ عنيد شاطر متماجن

أتقتل سادات العباد، بسيف يزيد بن معاوية؛ وعبيد اللّه بن زياد:

لقد قتلوا التقي ابن التقي ... بأسياف الشقي ابن الشقي
وقد ذبحوا الحسين بكربلاء ... لأمر عبيد الباغي الدعي
وأهدوا راسه في رأس رمح ... لنحو يزيد العاتي البغيِّ
وساقوا نسوة المختار أسرى ... وقالوا نحن أشياع النبيِّ
واجر رسول ربِّ العرش لما ... اشار به وداد بني عليّ

بنات الظلمة في القصور، نواعم في الخدور، يركبن مطايا الشهوات، ويسحبن أذيال الخطايا بالخطوات، وبنات الرسول في الفلوات، مكشوفات الرؤوس، تحت الخفقات من السياط والهفوات:

بنات زياد في القصور قد استوت ... على سرر العلياء من كل جانب
وإنَّ بنات الهاشمي محمَّد ... رسول الهدى نكبن سير السباسب

سـوافـر يندبن الحسين بنوحـة — تحلّ بها الأحزان خيط السواكب

معاشر المسلمين من كان فيكم مصاب فليتعزَّ بمن كان منه أعز، ومن كان فيكم مظلوم فليتسلّ، فقد ظلم من منه كان أجل، ومن كان فيكم من حالف البلا، فليتذكر مبتلى كربلا، المحروم من الماء، المذبوح من القفا على الظماء، المجدل في تلك التربة، المسوقة نساؤه سوق الاماء، يهون عليه أمر الغربة وعسر الكربة:

إذا ذكرت نفسي مصائب فاطم — بأولادها هانت عليَّ مصائبي
ولم أتذكر منعهم عن مشارب — على ظما إلا وعفت مشاربي
أسيغ مياهي بعدهم ثُمَّ أدَّعي — باني في دعوى الهوى غير كاذب
سقوا حسناً سماً ذعافاً وجدلوا — أخاه حسيناً بالقنا والقواضب
فضائلهم ليست تعدّ وتنتهي — وإنْ عددت يوماً قطار السحائب
وإن يزيداً رام أن يتسفلوا — وأنْ يتردّوا في مهاوي المعاطب
وقد رفع العدل المهيمن حالهم — بمنزلة قعساء فوق الكواكب

لبئس ما كان يزيد وحزبه يحتقبون، وساء ما يرتكبون، وسوف ترونهم في جهنم يصطلون ويصطرخون ويضطربون، فإنهم إلى ربهم راجعون ﴿وسيعلم الّذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ الشعراء/٢٢٧، ولي قصيدة طويلة فيهم آخرها:

ففاطمة ومولانا علي — ونجلاه سروري في الكتاب
ومن يكُ دابه تشييد بيت — فها أنا مدح أهل البيت دأبي
وإن يك حبُّهم هيهات عابا — فها أنا مذ عقلت قريب عاب

لقــد قــتلوا عليــاً إذْ تجلى لأهل الحقِّ فحلاً في الضراب

وقد قتلوا الرضا الحسن المرجى جــواد العــرب بالسُّمِّ المذاب

وقد منعوا الحسين الماء ظلماً وجـدل بـالطعـان وبالضـراب

وقـد صلبـوا إمـام الحق زيداً فـيـا للّه، مِن ظلمٍ عـجـاب

٥٦ ـ ومن مقالة لي فيه عليه السلام: عباد اللّه أما تستغربون أحقاد قوم في ذحولهم؟ أما تتعجبون من آراء أُمة وعقولهم؟ قتال الحسين بن علي ولد رسولهم، ولم يبالوا بالنص الجلي في حفدة نبيهم، ثم لبثوا في شمالهم على شرب شمولهم، وجر فضول ذيولهم، لعائن اللّه والملائكة على شبانهم، وشيوخهم، وفتيانهم، وكهولهم، أفي صلاتهم يصلُّون على محمد وآله، ويمنعونهم من مشرعة الماء وزلاله، ويجمعون على حرب الحسين وقتاله، ويذبحونَ ولا يستحيون من شيبه وجماله؟ أما واللّه، إن حقَّ رسول اللّه على أمه أن يعظموا تراباً ألَمَ بلممه، بل تراب نعل قدمه، بل تراب نعل قدم خادم من خدمه، ثم هؤلاء الطغاة قتلوا شبل أسد ساد في أجمه، ونكتوا بالمخصرة ثنايا فم كانت مراشف فمه، وتنافسوا في ذبحه وإراقة دمه.

نعم، حقّ الرسول أن يكتحلوا بغبار من شعر جسده وهم ذبحوا الحسين «بكربلا» أكرم ولده، وقرَّة عينه، وفلذة كبده، ذلك الفتى الذي نشأ بين يدي الرسول؛ وبين علي الضرغام الصؤول؛ وفاطمة البتول، فسبحان اللّه! ثم سبحان اللّه! من يزيد وعبيد اللّه عدوا اللّه وعدوا رسول اللّه، الناكتين ثنايا حبيب حبيب اللّه. باللّه ثم باللّه، إنَّ هذا البلاء المتناه، قولوا عباد اللّه من صميم قلوبكم: آه ثم آه إذ ذُبح ولد رسول اللّه بين الطغاة

البغاه، والعتاة العماه، ذوي الشقاه، مرتكبي مناهي الملاه، ومانعي شرب المياه، من الحسين المخبت الآواه.

ليت شعري، ما أعذار هؤلاء الشطار الفجار، الدّعار الأشرار، في قتل هؤلاء الأخيار الأحبار عند رسول اللّه المختار، وعند علي الكرار، غير الفرار، صاحب ذي الفقار، وعند فاطمة المستغفرة بالأسحار، ذات العطاء الجاري على الأجنبي والجار، المشبعة الجائع المروية الصادي الكاسية العار، المتصدقة بما طحنت بنفسها على ذوي المسكنة واليتم والأسار، ثلاثة أيام ولياليها بالافطار، إذا جاءت بثوب مخضوب بدم الحسين المقتول بأسياف أصحاب الخمر والخمار، والقمار والمزمار، واحتوت على ساق عرش الواحد القهار، ورفعت شكواها إلى الملك الجبار، ثم جاء النداء: يازبانية النار! شدوا الطغاة بالسلاسل والأغلال مِن النّار، وسوقوهم إلى أسفل دركات النار، والطموا بيد الرد والإحتقار، ما يموهون من هذه الأعذار، فسحقاً وتعساً للظلمة ذوي الخسار والصغار والأدبار **﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾**غافر/٥٢، والصلاة على محمّد وآله الأطهار.

ومن مقالة لي فيه عليه السلام: عباد اللّه إن المصيبة بالحسين عليه السلام مِن أعظم المصائب، فصبوا فيها شآبيب[١] الدموع السواكب، بتصعيد الزفرات الغوالب، واستنزفوا بالبكاء الدماء، وأعقبوا الكرب والبلاء، بتذكركم أيام كربلاء، نعم، إنَّ المصيبة بالمقتول ـ نجل الرَّسول؛ والبتول؛ وعليّ الليث الصؤول ـ مصيبة لا يجبر كسرها، ولا يمكن جبرها، وشعلة في صدور المؤمنين لا ينطفي جمرها، وعظيمة في العظائم يتجدد على الأيام ذكرها،

(١) شآبيب: جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر.

وليلة بلية رزية لا يتنفس فجرها، وقارعة زلزلت منها الارض برها وبحرها.

عجباً لمن يتذكر مصارع هؤلاء الأتقياء الشهداء الظمآء، من أهل بيت خير صفوة اللّه خاتم الأنبياء، ثمّ يتمتع بعدهم بشربة من الماء، سبحان اللّه! أي ظلم جرى على أصحاب الحراب والمحراب، وأرباب الكتيبة والكتاب، وفتيان الطعان والضراب، ورجال العبء والعباب[1]، قاصمي الأصلاب وقاسمي الأسلاب، وجازمي الرقاب، وهازمي الأحزاب، وفالقي جماجم الأتراب، رواض الصعاب، أحلاس[2] صهوات العراب، أمراء الخطاب المستطاب، ملوك يوم الحساب، سلاطين يوم الثواب والعقاب.

ماعذر كلاب منعوهم عن الطعام والشراب، والفرات مكرعة للخنازير والكلاب؟ حبسوا سادة الخلق الأطياب، في صحراء الاكتئاب والاغتراب، ثمّ ذبحوا تلك النفوس الزكية، وعرضوها للنسور والذئاب، وعفروا تلك الوجوه البدرية كالبدوربالتراب. هيهات هيهات، لا عذر إلاّ أن يساقوافي عقاب رب الأرباب، بأيدي الملائكة الغلاظ الشداد إلى دار العذاب، الشديدة الالتهاب، الضيقة المسالك والشعاب.

صفت الدُّنيا للطغاة ذوي العناد، وتمهدت أسباب التنعم لذوي العيب والفساد، واتسقت أحوال الوجاهة للأنكاد ذوي الأحقاد ونفذت أوامرهم على رقاب العباد، وأوسم لهم[3] مراد المراد، قد قيدت بين أيديهم جنائب الجياد، وعطفت عليهم أجياد أنجاد الأغوار والأنجاد، ولفظت إليهم الخزائن

---

(١) العبء: الثقل، والعباب: البحر، فلعله أراد حمالي التكاليف براً وبحراً.

(٢) الاحلا: جمع حلس وهو ما يوضع على ظهر الدابة ويقال فلان حلس بيته اي جليسه الملازم له كالحلس وحلس الصهوات اي ملازم لركوب الخيل.

(٣) يعني خصّ لهم رود المراد ومرعاه.

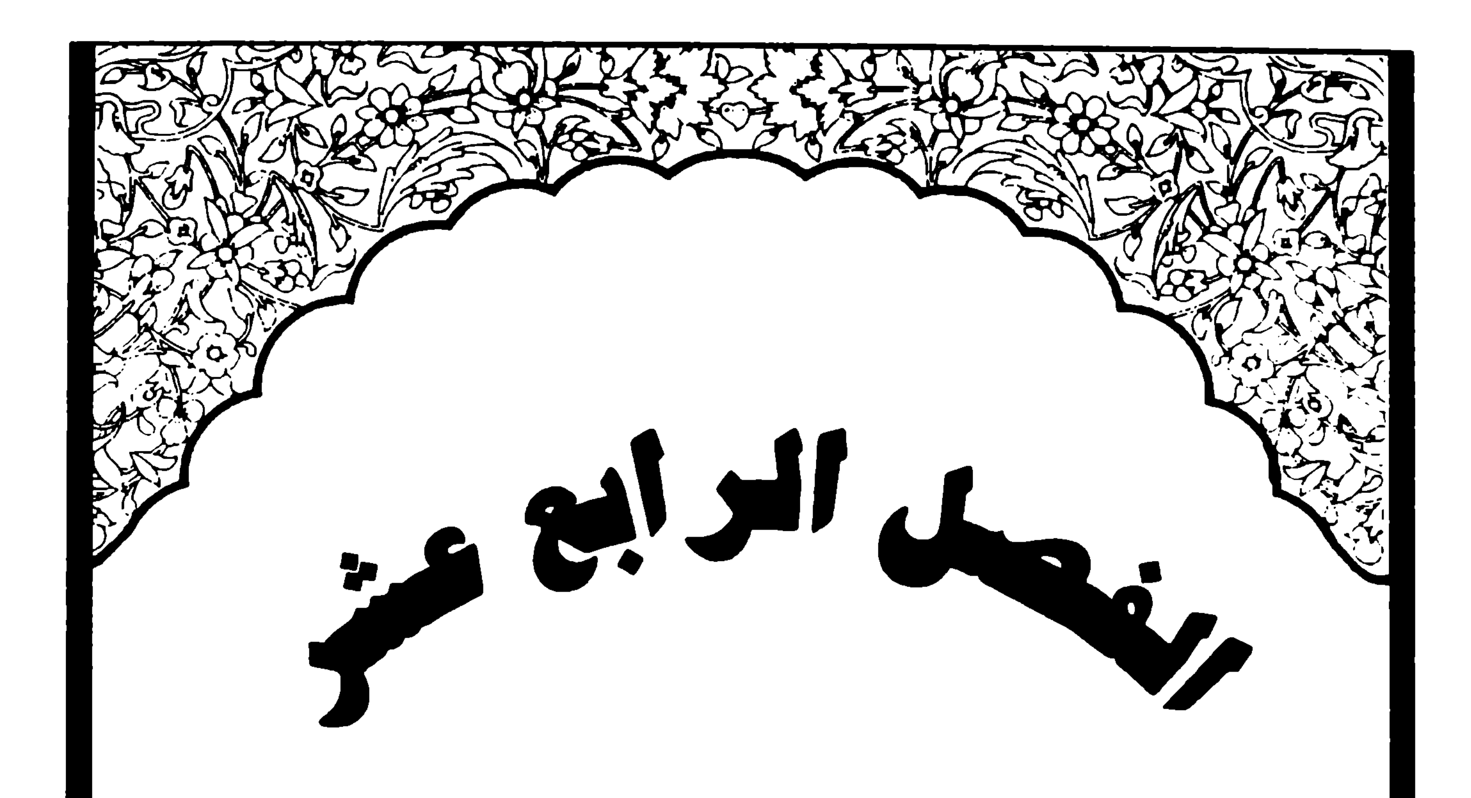
نفائس الطارف والتلاد.

وآل الرسول مشرَّدون في البلاد، منجحرون في كلّ شعب وواد، ومنجحرون في كل سرب ومطمورة ومهواة بغير زاد، مستشعرون الخوف مكتحلون بالسهاد، قد ضربت عليهم الأرض بالأسداد، بنات الظلمة في الخدور والقصور، على سرر السرور، لابسة حبر الحبور، مسبلات الستور، وبنات الرسول في حرِّ الشمس والحرور، ومهب الصبا والدبور، ضاربات الصدور، فاتقات للشعور، على كسوف تلك الشموس والبدور، وغروبها في مغارب القبور، ومصيرها إلى بطون السباع وحواصل الطيور.

تمتعت اليزيدية والزيادية تمتعاً قليلاً، وسيعذبون بذلك عذاباً طويلاً، يورثهم ذلك العذاب رنة وأنة وعويلاً إذا نسوا وراءهم يوماً ثقيلاً يوم لا ينفع فيه خليل خليلاً، ولا يغني عنهم فتيلاً **﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾**الفرقان/ ٤٤، وصبرت الحسينية أياماً قلائل صبرا جميلاً، فنالوا بذلك في الجنَّة ثواباً جزيلاً، وظلاً ظليلاً، وفواكه ذلّلت قطوفها تذليلاً، ويسقون ـ لما مُنعوا من ماء الفرات ـ كأساً كان مزاجها زنجبيلاً، عيناً فيها تسمى سلسبيلاً.

نعم قد وجدوا بشهادتهم إلهاً رحيماً، براً كريماً فاسدى إليهم نعيماً مقيماً، وأهبَّ عليهم من روائح المسكِ والكافور والعنبر نسيماً، وافاض عليهم رواء وسيماً، وسقاهم عسلاً مصفاً تسنيماً، وأُولئك وجدوا الرسول عليهم متغيظاً وخصماً فأُسكنوا جحيماً، وذاقوا بطعمهم زقوماً، وسقوا صديداً وحميماً: **﴿يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعدَّ لهم عذاباً اليماً﴾**الانسان/ ٣١.

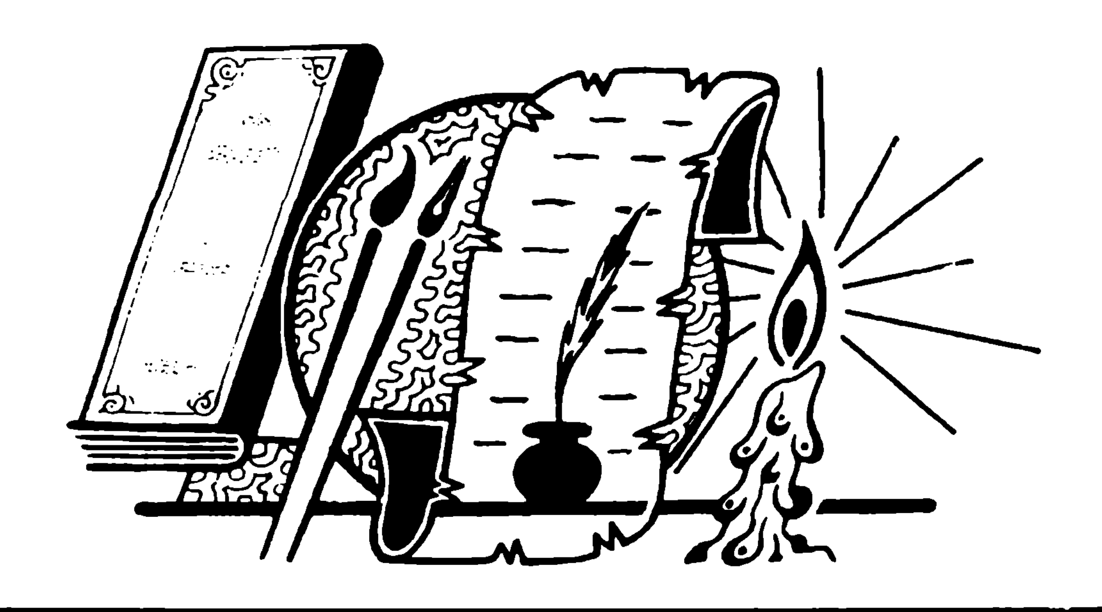
* * *



الفصل الرابع عشر

في زيارة

تربته صلوات الله عليه وفضلها



١ـ أخبـرنا العـلامـة فـخر خـوارزم أبو القـاسم مـحـمود بن عـمر الزمـخـشـري (رحـمـه اللّه)، أخبـرنا الفـقـيـه أبو الحسن عـلي بن أبي طالب الفرزادي ـبالري ـ، أخبرنا الفـقيه ابـو بكر طاهر بن الحسين الرازي، أخبرنا عمي الشيخ الزاهد أبو سعـد إسماعيل بن علي بن الحسين السـمان الرازي، حدثني أبو محمد القاسم بن محـمد الشروطي ـإملاءاًـ، حدثني أبو عبد اللّه مـحـمـد بن عبـد الـلّه، حـدثني أبو رمح، حـدثني عـبـد الأعـلى بن واصل الكوفي، حدثـني عليٍّ بن عبد الرحـمن القطان، حدثني عـبيد بـن يحيى بن مـهـران، عـن مـحـمـد بن الحـسين بن علي بـن الحـسين بن علي بن أبي طالبعليه السلام، عن أبيه، عن جده، عن أبيـه، عن جدّه علي بن أبي طالبعليه السلام، قال: «زارنا رسـول اللّهصلى الله عليه وآله فـعملـنا له حريرة، واهـدت لنا أُم أيمن قعـبـاً من لبن؛ وزبداً؛ وصـفـحـة من تمر، فـاكل النبيُّ وأكلنا معـه، ثم وضأت رسـول اللّهصلى الله عليه وآله فقام واستقبل القبلة، فدعا اللّه ما شاء، ثم أكبَّ على الأرض بدموع غـزيرة مثـل المطر، فهـبنا رسـول اللّهصلى الله عليه وآله ان نسـاله، فـوثب الحسين فـقـال:

ياأبتي! رأيتك تصنع مالم أرك تصنع مثله! فقال: يابُني! إني سررتُ بكم اليوم سروراً لم أُسر بكم مثله، وأن حبيبي جبرئيل عليه السلام أتاني، فأخبرني: أنكم قتلى، وأن مصارعكم شتى فدعوت اللّه لكم وأحزنني ذلك، فقال الحسين: يارسول اللّه!فمن يزورنا على تشتتنا، ويتعاهد قبورنا؟ قال: طائفة من أُمتي يريدون بري وصلتي، فإذا كان يوم القيامة شهدتها بالموقف، وأخذتُ بأعضادها فأنجيتها ـ واللّه ـ، مِن أهواله وشدائده».

٢ـ أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو جعفر محمد بن عمر بن أبي علي ـ كتابةً ـ، أخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسين زيد بن الحسن بن علي البيهقي، أخبرنا السيد الإمام النقيب عليّ بن محمد بن جعفر الحسني، حدثنا السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسني، أخبرنا أبي، أخبرنا أبو أحمد إسحاق بن أحمد المقري ـ بالكوفة ـ، حدثنا عبد اللّه بن محمد الأيادي، حدثنا عمر بن مدرك، حدثنا محمد بن زياد المكي، أخبرنا جرير ابن عبد الحميد، عن الأعمش، عن عطية العوفي، قال: خرجتُ مع جابر ابن عبد اللّه الأنصاري زائراً قبر الحسين بن علي فلما وردنا كربلاء، دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثم اتزر بأزار وارتدى بآخر، ثم فَتَحَ صرةً فيها سعد فنثره على بدنه، ثم إنَّه لم يخط خطوة إلاَّ ذكر فيها اللّه تعالى، حتى إذا دنا من القبر قال: المسنيه ياعطيَّة! فألمسته، فخر على القبر مغشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق قال: ياحسين ياحسين ـ ثلاثاً ـ ثُمَّ قال: حبيب لا يُجيبُ حبيبه، وأنى لك بالجواب، وقد شخبت أوداجك على أثباجك، وفرق بين رأسك وبدنك؟ فأشهدُ أنَّك ابن خاتم النبيين، وابن سيد الوصيين، وحليف التقى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيدة النساء، ومالك لا تكون هكذا، وقد

غذتك كفُّ محمَّد سيد المرسلين، ورُبيت في حجور المتقين، وأرضعت من ثدي الإيمان، وفطمت حياً، وطبت عيشاً، غير أنَّ قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك، ولا شاكة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، فأشهدُ أنك مضيت على ما مضى يحيى بن زكريا.

قال عطية: ثُمَّ جال ببصره حول القبر، فقال: السلامُ عليكم أيتها الأرواح الطيبة التي بفناء الحسين أناخت برحله؟ أشهدُ أنكم قد أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، فوالذي بعثَ محمَّداً ﷺ بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قالَ عطيَّة: فقلتُ لجابر بن عبد الله: فكيف ولم نهبط وادياً، ولم نعلُ جبلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فرقَ بين رؤوسهم وأبدانهم، فأُوتمت الأولاد، وارملت الأزواج؟ فقال لي: ياعطية! سمعتُ جدَّه رسول الله ﷺ، قال: «من أحبَّ قوماً حُشِرَ معهم، ومن أحبَّ عمل قوم أُشرك في عملهم».

أحدر بي نحو أبيات كوفان، فلما صرنا في الطريق، قال: ياعطية! هل أُوصيك، وما أظنني بعد هذه السفرة ألاقيك؟ أحِب محبَّ آل محمَّد ما أحبهم، وأبغض مبغض آل محمد ما أبغضهم، وإن كانوا صوّاماً قوّاماً.

٣ـ وأخبرنا الشيخ الفقيه العدل الحافظ أبو بكر عبيد الله بن نصر الزاغوني ـ بمدينة السَّلام منصرفي من السفرة الحجازيةـ، أخبرنا الشيخ الجليل أبو الحسن محمد بن إسحاق بن الباقرحي، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن علي بن بندار، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر

ابن سليمان ببغداد في باب المحوَّل، حدَّثني أبي أحمد بن عامر بن سليمان الطائي، حدثني أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا، حدثني أبي موسى بن جعفر، حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي الباقر، حدَّثني أبي علي بن الحسين، حدثني أبي الحسين بن عليّ، حدثني أبي عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كأني بالقصور قد شُيدت حول قبر الحسين، ولا تذهب الأيام والليالي حتى يُسار إليه من الآفاق، وذلك عند انقطاع ملك بني مروان».

٤ـ وبهذا الإسناد، قال جعفر بن محمَّد ـ وسُئِلَ عن زيارة قبر الحسين عليه السلام ـ: «أخبرني أبي قال: من زار قبر الحسين عارفاً بحقه، كتبه الله عزَّوجلّ في عليين».

٥ـ وبهذا الإسناد، قال: «إنَّ حول قبر الحسين سبعين ألف ملك شعثاً غبراً يبكون عليه إلى أن تقوم السَّاعة».

٦ـ وأخبرني الحافظ سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الدَّيلمي ـ في ما كتبَ إليَّ من همدان ـ، أخبرني الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن زنجويه الزنجاني ـ بقراءتي عليه بزنجان سنة خمسمائة ـ، أخبرني الحسين بن محمد الفلاكي، أخبرني أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، أخبرني عبد الله بن أحمد بن حنبل، أخبرني أبي أحمد بن حنبل، عن عبدالله بن محمد التيمي، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس ابن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ موسى بن عمران سأل ربَّه عزوجلّ زيارة قبر الحسين بن عليّ، فزاره في سبعين ألف من الملائكة».

وروي مثل ذلك، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٧ـ وذكر الإمام أحمد بن أعثم الكوفي في «فتوحه» بإسناده إلى كعب

الأحبار: أنَّه لما أسلم زمن عمر بن الخطاب، وقدم المدينة، وجعلَ أهلُ المدينة يسألونه عن الملاحم التي تكون في آخر الزمان، فكان يخبرهم بأنواع الملاحم والفتن، ويقول: وأعظمها ملحمة هي الملحمة التي لا تنسى أبداً، وهي الفساد الذي ذكره اللّه تعالى في كتابكم، فقال: ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر**﴾الروم/٤١، وإنما فتح بقتل قابيل هابيل، ويختم بقتل الحسين بن علي عليه السلام.

ثم قال كعب: لعلكم تهونون قتل الحسين، أولا تعلمون أنَّه تفتح يوم قتله أبواب السماوات كلّها؟ ويؤذن للسماء بالبكاء فتبكي دماً عبيطاً؟ فإذا رأيتم الحمرة قد ارتفعت من جنباتها ـ شرقياً وغربياً ـ فاعلموا أنها تبكي حسيناً.

فقيل له: ياأبا إسحاق! كيف لم تفعل ذلك بالأنبياء وأولاد الأنبياء من قبل، وبمن كان خيراً من الحسين؟ فقال كعب: ويحكم، إنَّ قتل الحسين لأمر عظيم، لأنه ابن بنت خير الأنبياء، وأنه يقتل علانية مبارزة ظلماً وعدواناً، ولا تحفظ فيه وصيَّة رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وهو مزاج مائه، وبضعة من لحمه، فيذبح بعرصة «كربلاء» في كرب وبلاء، والذي نفس كعب بيده؛ لتبكيه زمرة من الملائكة في السَّماوات، لا يقطعون بكاءهم عليه آخر الدهر، وأن البقعة التي يُدفن فيها خير البقاع بعد بيت مكة والمدينة وبيت المقدس، وما من نبي إلاَّ زارها، وقد بكى عليها، ولها في كل يوم زيارة من الملائكة بالتسليم، فإذا كانت ليله جمعة أو يوم جمعة نزل إليها سبعون ألف يزورونه ويبكون عليه ويذكرون فضله ومنزلته عندهم، وأنَّه ليسمى في السماوات: الحسين المذبوح، وفي الأرض: أبا عبد اللّه المقتول وفي البحار: الفرخ الأزهر المظلوم.

وأنه يوم يقتل تنكسف في النهار الشمس وفي الليل القمر، وتدوم الظلمة على الناس ثلاثة أيام، وتدكدك الجبال وتغطمط البحار[١]، ولولا بقية من ذريته وذرية محمَّد صلى الله عليه وآله، ومحبي محمَّد ومحبي أبيه وأُمه، يطلبون بدمه، ويأخذونَ بثاره، لصبَّ اللّه عليهم من السماء نيراناً.

ثم قال كعب: لعلكم تتعجبون مما حدثتكم من أمرِ الحسين، أولا تعلمون أنَّ اللّه تبارك وتعالى لم ينزل شيئاً كان أو يكون في آخر الدُّنيا وأوائلها الاَّ وقد فسره لموسى، وما من نسمة خُلقت ومضت من ذكر أو أُنثى إلاّ وقد رفعت الى آدم وعرضت عليه؟ ولقد عُرضت على آدم هذه الأمة خاصة، فنظر إليها وإلى اختلافها وتكالبها على هذه الدنيا فقال: «ياربِّ! ما لهذه الأُمة وتكالبها على الدنيا، وهم خير أُمة وأفضلها»؟ فأوحى اللّه تعالى إليه: أن ياآدم! هذا أمري في خلقي، وقضائي في عبادي، ياآدم! إنهم اختلفوا فاختلفت قلوبهم، وسيظهرون في الأرض الفساد كفساد قابيل حين قتل هابيل وسيقتلون فرخ حبيبي محمد صلى الله عليه وآله.

وَمثل لآدم مقتل الحسين، وثوب أُمَّة جدِّه عليه، فنظر آدم إليهم مسودة وجوههم، فقال: «يارب! ابسط عليهم الإنتقام كما قتلوا فرخ هذا النبي المكرم عليك».

قال هبيرة بن يريم: حدَّثني أبي، قال: لقيت سلمان الفارسي فحدثته بهذا الحديث، فقال سلمان: لقد صدقك كعب، وأنا أُزيدك في ذلك: أنَّ كل شيءٍ في الأرض يبكي على الحسين إذا قتل، حتى النجم ونبات الأرض، ولا يبقى شيء من الروحانيين إلاّ ويسجد ذلك اليوم، ويقول: إلهنا وسيدنا! أنت الحكيم العليم، ثمَّ لا يرفعون رؤوسهم حتى ينادي ملك

---

(١) الغطمطة: اضطراب موج البحر.

السماء والأرض: أن يامعشر الخليقة! ارفعوا رؤوسكم، فقد وفيتم لربِّ العزَّة.

قال: ثمَّ أقبل عليٌّ سلمان فقال: يايريم! إنك لو تعلم يومئذٍ كم من عين تعود سخينة كئيبة حزينة، قد ذهبَ نورها، وعشي بصرها ببكائها على الحسين بن علي، ولقد صدقك كعب فيما حدثك، عن كربلا أنها أرض كرب وبلاء.

والذي نفس سلمان بيده، لو أني أدركتُ أيامه، لضربتُ بين يديه بالسيف، أو أُقطع بين يديه عضواً عضواً، فأسقط بين يديه صريعاً، فإن القتيل معه يُعطى أجرَ سبعين شهيداً كلّهم كشهداء «بدر» و«أُحد» و«حنين» و«خيبر».

ثم قال سلمان: يايريم! ليت أم سلمان أسقطت سلمان، أو كان حيضة ولم يسمع بقتل الحسين بن فاطمة، ويحك، يايريم! أتدري من حسين؟ حسين سيد شباب أهل الجنَّة على لسان محمد صلى الله عليه وآله، وحسين لا يهدأ دمه حتى يقف بين يدي اللّه سبحانه وتعالى، وحسين من تفزع لقتله الملائكة.

ويحك، يايريم أتعلم كم من ملك ينزل يوم يقتل الحسين؟ ويضمه إلى صدره، وتقول الملائكة بأجمعها: إلهنا وسيدنا هذا فرخ رسولك، ومزاج مائه، وابن بنته.

يايريم! إن أنت أدركت أيام مقتله، واستطعت أن تقتل معه، فكن أوَّل قتيل ممن يقتل بين يديه، فإنَّ كلَّ دم يوم القيامة يطالب به بعد دم الحسين ودماء أصحابه، الذين قُتلوا بين يديه.

وانظر يايريم! إن أنت نجوت ولم تقتل معه، فزر قبره، فإنه لا يخلو من الملائكة أبداً، ومن صلّى عند قبره ركعتين، حفظه اللّه من بغضهم

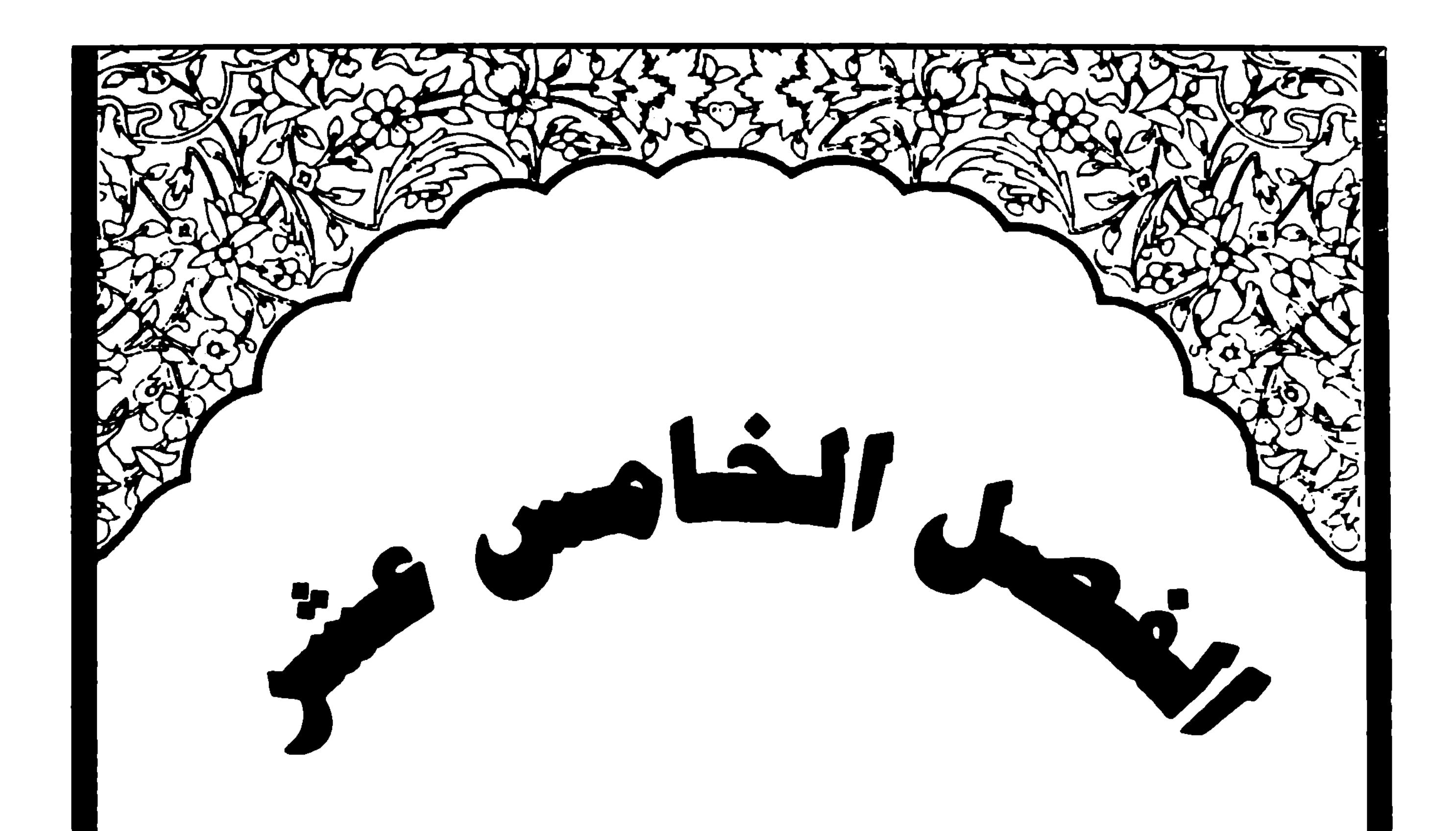
وعداوتهم حتى يموت.

قال هبيرة: فأما سلمان فمات بالمدائن في خلافة عمر بن الخطاب، وأما يريم فإنه لم يلحق لذلك.

٨ ـ قيل: إن على قبر الحسين عليه السلام مكتوباً: «من عظم أمر الله أجاب المولى سؤاله، ومن حرّم نهيه قبل المولى عذره، ومن مات من مخافته غفر المولى ذنبه، ومن ذكر اسمه عزوجل رفع المولى في الدارين قدره».

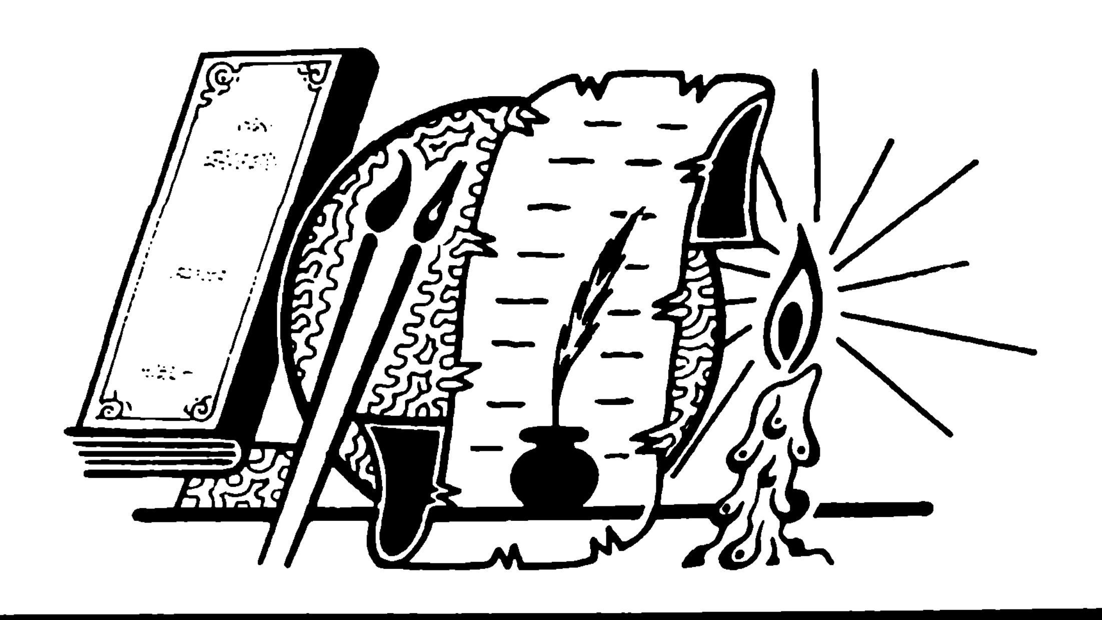
٩ـ وقيل: كان مكتوباً على سيف الحسين عليه السلام: «البخيلُ مذمومٌ، والحريصُ محروم، والحسود مغمومٌ». انتهى.

* * *



الفصل الخامس عشر

في ذكر انتقام المختار
بن أبي عبيد الثقفي من قاتلي الحسين صلى الله عليه وآله



ذكر
نسب المختار بن أبي عبيد الثقفي

١ ـ ذكر أبو محمَّد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة الكاتب القتيبي الدينوري، في كتاب «المعارف»: أنَّ المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي من الأحلاف، وأنَّ مسعوداً جده هو عظيم القريتين، فولدمسعود سعداً وأبا عبيد، فكان سعد عامل علي بن أبي طالب عليه السلام على المدائن؛ وله عقب بالكوفة، وأما أبو عبيد فولاه عمر بن الخطاب جيشاً فيهم من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فلقي الخرذد الحاجب بـ «قس الناطف» من الكوفة وهو على فيل، فضرب أبو عبيد الفيل فوقع عليه الفيل فمات، فولد أبو عبيد المختار؛ وصفية؛ وجبرا؛ وأسيداً، فأمَّا جبر فقتل مع أبيه «يوم الفيل» ولا عقب له، وأما صفية فكانت تحت عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، وأما المختار فغلب على الكوفة زمن مصعب بن الزبير، وكان يزعم أنَّ جبرئيل يأتيه، وتتبع قتلة الحسين بن علي عليه السلام.

فقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص، وابنه حفص بن عمر، وقتل شمر ابن ذي الجوشن الضبابي، ووجه إبراهيم بن مالك الأشتر فقتل عبيد اللّه بن زياد وغيره، وخرج نفر من أهل الكوفة فقدموا البصرة يستغيثون بهم ويستنصرونهم على المختار، فخرج أهل البصرة مع مصعب فقاتلوه بالكوفة.

فقتل المختار عبيد اللّه بن علي بن أبي طالب ـ وهو في عسكر مصعب لايُعرف ـ، ومحمد بن الأشعث بن قيس، ثم ظفر بالمختار فقتل، قتله صراف ين يزيد الحنفي، وكانت ابنة سمرة بن جندب تحته وله ابنان: إسحاق ومحمد، ومن غيرها بنون وعقبه بالكوفة كثير، قيل: وكان المختار أوَّل من لبس الدراعة.

٢ـ وذكر الإمام عبد الكريم بن محمد بن حمدان في «تاريخه»: إن اباعبيد بن مسعود ـ أبا المختار ـ كان من الفرسان المذكورين؛ والشجعان المعدودين، فلمَّا رجع المثنى بن حارثة من القادسية حين بلغه وفاة أبي بكر إلى عمر، واشتدت شوكة الفرس، وجمع يزد جرد قواده المذكورين لحرب المسلمين، قام عمر بن الخطاب خطيباً فقال: أيها الناس! قد وعدكم اللّه تعالى على لسان نبيه محمد كنوز كسرى وقيصر، فمن ينتدب منكم لقتال الفرس؟ فسكت الناس لما ذكر الفرس، وفيهم المهاجرون والأنصار بأجمعهم، فقام أبو عبيد بن مسعود الثقفي ـ أبو المختار ـ، فقال: أنا يا أمير المؤمنين! أوَّل من أجاب إلى ما دعوتنا إليه. فأثنى عليه عمر بن الخطاب، ثم انتدب بعده ناساً كثيرين من المهاجرين والأنصار، فلما أجمعوا على المسير، قيل لعمر: ياامير المؤمنين! أمر على الناس رجلاً من المهاجرين أو الأنصار، فقال: لا واللّه، لا اؤمر إلا من سبق الى الإجابة.

فأمر على الجيش أبا عبيد بن مسعود الثقفي، ثم ارتحل من المدينة

ونزل الحيرة بعسكره، وخرج اليه رستم في جمع كثيف، فكتب إليه أبو عبيد بن مسعود: السلام على من اتبع الهدى، أدعوكم لهداية الإسلام، فإن قبلتم وإلاّ فاعتقدوا مني الذمة، وإلاّ قاتلتكم برجال هم أحرص على الموت منكم على الحياة، ثم لا أقلع عنكم حتى أقتل رجالكم وأسبي نساءكم.

فبعث إليه رستم جالينوس في جمع عظيم مقدمة له، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وهزم العدو هزيمة فاحشة، وحلف أبو عبيد الأمير ليقطعن إليهم الفرات، فأمر ابن صلوبا فاتخذ له جسراً على الفرات، فصار مثلاً من ذلك الوقت ـ جسر أبي عبيد ـ، وورخ يوم جسر أبي عبيد لحوادث كثيرة، ثم عبر إليهم الفرات.

وجاء رستم في جمع عظيم يقدمه الفيل من أعظم ما يكون، ولم يكن للعرب عهد بالفيل، فشد الفيل على المسلمين فأهلك ناساً منهم، وكانت دومة امرأة أبي عبيد قد رأت في تلك الليلة كأن رجلاً نزل من السماء بقدح من الشراب، فشرب منه أبو عبيد وابنه جبر بن أبي عبيد في أُناسٍ من أهله فحكت ذلك لزوجها، فقال: هذه والله، الشهادة إن شاء الله.

ثُمَّ قال أبو عبيد: أيها الناس! إن قتلت فعليكم ابني جبر، وإن قُتِل جبر فعليكم المثنى بن حارثة، فلما رأى أبو عبيد ما يصنع الفيل بالمسلمين قال: هل لهذه الدابة من مقتل؟ قالوا: نعم، إذا قطع مشفرها هلكت. فشدَّ أبو عبيد على الفيل، وضرب مشفره فقطعه، وبرك الفيل عليه فقتله، وانهزم المسلمون فسبقهم عبد الله بن مرثد إلى الجسر فقطعه، وقال: قاتلوا عن أميركم! فأخذ الراية ابنه جبر فقتل أيضاً، ثم أخذها المثنى فقاتل قتالاً شديداً حتى هزم الله العدو، فهلك يوم الجسر أربعة آلاف رجل بين غريق وقتيل، ثم بعد هذا أمر عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص على حرب العراق،

وهذه القصة طويلة ذكرنا منها فصلاً، لنذكر فيه لأبي عبيد ـ أبي المختار ـ فضلاً، وقد نسج المختار على منوال أبيه في فضله وزاد بانتقامه من قتلة الحسين ومن اشترك في قتله.

قال الإمام أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي: ولما رجع محمد بن الحنفية من يزيد تحرك عبد اللّه بن الزبير بمكة، ودعا إلى نفسه فبعث عبد اللّه ابن مطيع العدوي؛ والعباس بن سهل الأنصاري؛ وجماعة من أبناء المهاجرين والأنصار، فأتوا محمد بن الحنفية، فقالوا له: ياأبا القاسم إنا عزمنا على قتال يزيد بن معاوية، وهذا عبد اللّه بن الزبير قد بايعناه، ونريدُ أن تكون يدك مع أيدينا، فقال: لا أفعل ذلك، قالوا: ولِمَ؟ قال: لأني بايعت يزيد وأخذتُ جائزته، ولم أخلعه ولم أخنه، قالوا: فلِمَ بايعته وأنت أنت؟ قال: بايعته خوفاً على نفسي وولدي ومن بقي من أهل بيتي، لأني رأيت الحسين قد قُتل فلم آمن يزيد على نفسي، ورأيت أخي الحسن قد بايع معاوية وأخذ جائزته، والحسن أفضل مني، فإن بايعت فلي اسوة بأخي.

فقالوا له: إنَّ أخاك الحسن رآى رأياً، فقال: وأنا أيضاً رأيت ذلك الرأي، فقالوا: ياهذا! إنَّ يزيد يشرب الخمر؛ ويلعب بالكلاب والقرود؛ وقد فسق وفجر وكفر، فقال لهم: إني كنت عنده مقيماً فلم أطلع منه على كفر ولا فسوق ولا فجور إلى وقت انصرافي، وأكثر ما ينتهي إليَّ من خبره: أنَّه يشرب هذا المسكر، وقد نهيته عن ذلك، وقضيت ما عليَّ، ولن يؤاخذني ربي بذنبه، فقالوا له: إنه ليأتي من المنكر والفواحش ولكنه لم يطلعك على ذلك. فقال لهم محمد: هل اطلعكم على ذلك منه؟ فواللّه، لئن كان أطلعكم على ما ذكرتم منه فأنتم شركاؤه في فعله إذ رأيتم منه شيئاً من المنكر فلِمَ لا تغيرونه؟ وإن كان لم يطلعكم على شيء من ذلك فقد شهدتم

بغير الحق، فاتقوا الله ياهؤلاء! على أنفسكم وكفوا عما أزمعتم عليه، فإني خائف عليكم أن تسفكوا دماءكم بغير حق.

فاطرق القوم ساعةً ثم قالوا له: يا أبا القاسم! لعلك إنما تكره البيعة لابن الزبير لأنك ترى أنك أحق بالبيعة منه، فإن كنت كارهاً لهذا الشأن فاخرج بنا حتى نبايعك، فقال: أنا لا أستحل القتال تابعاً ولا متبوعاً، فقالوا: لقد قاتلت مع أبيك يوم الجمل وصفين والنهروان، فتبسم وقال: ويحكم، وأين تجدون مثل أبي في دهركم؟ فوالله، لولا أن أبي قاتل أهل القبلة، لما علم أحد كيف يقاتلهم؟ ولكنه كان لا يتبع مولياً، ولا يجهز على جريح، ولا يدخل داراً إلا بإذن صاحبها، فقالوا له: والله، لا نفارقك حتى تخرج معنا، وتبايع من قد بايعنا، فقال لهم: لا والله، لاخلعت من بايعت، ولا بايعت من لم يجعل الله له في عنقي بيعة، فاتقوا الله ربكم واذكروا ما نزل بأخي الحسين وولده وبني عمه وشيعته فإني لكم نذير مبين، ياقوم! لا ترضوا أحداً من عباد الله بسخط الله.

فانصرف القوم إلى عبد الله بن الزبير فاخبروه فسكت، ولعبد الله بن الزبير بعد ذلك محاورات ومنازعات معه ومع عبد الله بن عباس يطول الكتاب بذكرها، فلنذكر ما نحن بصدده.

قال: ثم تحدَّث أهل الكوفة بشيء من أمر عبد الله بن الزبير، فقدم عبيد الله بن زياد من البصرة، ودعا بخليفته عمرو بن حريث المخزومي فقال له: ويحك ياعمرو بلغني عن ابن الزبير أمر لا ادري أحقٌ هو أم باطلٌ، ولست أخاف على أمير المؤمنين من ابن الزبير، وإنما أخاف عليه من هؤلاء الترابية، فهل تعلم أحداً بالكوفة ممن يتولى علياً وولده فإني لا أعلم؟ فوثب إليه عمارة بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال له: هذا المختار بن أبي عبيد

الثقفي وهو الذي كان يؤلب علينا الناس بالأمس حين خرج عليك مسلم بن عقيل، وقد كان فيما مضى عثمانياً، فقد صار اليوم ترابياً، فدعا بالمختار، فلما دخل عليه قال له: يابن أبي عبيد! أنت المقبل امس بالجيوش لنصرة مسلم بن عقيل علينا، وانت تتولى أبا تراب وولده؟ فقال المختار: اما علي وولده فإني أُحبهم لمحبة رسول اللّه، وأما نصرتي لمسلم بن عقيل فلم أفعل، وهذا عمرو بن حريث يعلم ذلك، وهو شيخ الكوفة يعلم أني في ذلك الوقت كنتُ لازماً منزلي، فاستحى عمرو بن حريث أن يشهد على الرجل في مثل ذلك الوقت فيقتل؟ غير أنه قال: صدق أعزَّ اللّه الامير إنه لم يقاتل مع مسلم بن عقيل، ولقد كذب عليه في هذا، فإن رأى الأمير ان لا يعجل عليه فإنه من أبناء المهاجرين (يريد بالمهاجرين: من شهد ثلاثين زحفاً مع خالد بن الوليد بالعراق والشام، فان عمر بن الخطاب الحق مثل هؤلاء بابناء المهاجرين في العطاء، فسمُّوا المهاجرين للعطاء، ولهجرتهم أوطانهم ونزولهم بالعراق ومجاورتهم الفرس).

قال: فرفع ابن زياد قضيباً كان في يده واعترض به وجه المختار، فشتر به عينه، فصار المختار من ذلك الوقت أشتر، وقال له: ياعدو اللّه! لولا شهادة عمرو بن حريث لضربتُ عنقك، ثم قال: انطلقوا به إلى السجن، فسجن.

٣ـ وذكر ابن مخنف: إنَّ عبيد اللّه بن زياد إنما حبس المختار بعد قتل مسلم قبل قتل الحسين فكان محبوساً في سجنه يوم قتل الحسين، ثم إنَّ المختار بعث إلى زائدة بن قدامة فساله أن يسير إلى عبد اللّه بن عمر ابن الخطاب وهو ختن المختار على أُخته صفية بنت أبي عبيد فيخبره، فسار وأخبره، فاغتم لذلك عبد اللّه وجزعت أُخته صفية جزعاً شديداً واتقت عليه

من ابن زياد أن يقتله وبكت كثيراً، فقال لها عبد اللّه: كفي بكاءك فإني ساعمل في خلاصه إن شاء اللّه ولا قوة إلاً باللّه.

ثم كتب ابن عمر إلى يزيد: أما بعد فإن المختار بن أبي عبيد صهري وخال ولدي، وقد حبسه ابن زياد بالكوفة على الظن والتهمة، وأنا أطلب منك أن تكتب إليه ليخلي سبيله، فإنه أحق بالعفو والصفح الجميل إن شاء اللّه. فلما ورد الكتاب على يزيد تبسم ضاحكاً وقال: يشفع أبوعبد الرحمن في صهره فهو أهل لذلك، وكتب الى عبيد اللّه بن زياد: أما بعد فخل سبيل المختار ساعة تنظر في كتابي هذا والسلام.

فلما قرأ عبيد اللّه كتاب يزيد أخرج المختار من حبسه، وقال له: إني اجلتك ثلاثاً فإن أصبتك في الكوفة بعد الثلاث ضربتُ عنقك.

٤ـ وذكر محمد بن إسحاق صاحب السيرة: إن عبيد اللّه لما قتل ابن عفيف الأنصاري وجاءت الجمعة الثانية، صعد المنبر وبيده عمود من حديد، فخطب الناس وقال في آخر خطبته: الحمد للّه الذي أعز يزيد وجيشه بالعز والنصر، واذل الحسين وجيشه بالقتل، فقام إليه سيد من سادات الكوفة وهو المختار بن أبي عبيد فقال له: كذبت ياعدو اللّه وعدو رسوله! بل الحمد للّه الذي اعزَّ الحسين وجيشه بالجنَّة والمغفرة، واذلك واذلَّ يزيد وجيشه بالنار والخزي، فحذفه ابن زياد بعموده الحديد الذي كان في يده فكسر جبينه، وقال للجلاوزة: خذوه! فاخذوه.

فقال أهل الكوفة: أيها الامير! هذا هو المختار، وقد عرفت حسبه ونسبه وختنه عمر بن سعد، وختنه الآخر عبد اللّه بن عمر فاوجس في نفسه خيفة فحبس المختار ولم يتجرا على قتله، فكتب المختار إلى عبد اللّه كتاباً شرح فيه القصة، فكتب ابن عمر إلى يزيد: أما بعد أفما رضيت بان قتلت

أهل نبيك حتى وليت على المسلمين من يسب أهل بيت نبينا، ويقع فيهم على المنبر عبر عليه ابن عفيف فقتله، ثم عبر عليه المختار فشجه وقيده وحبسه، فإذا أنت قرأت كتابي هذا فاكتب الى ابن زياد باطلاق المختار، وإلاّ فواللّه، لأرمين عبيد اللّه بجيش لا طاقة له به والسلام.

فلما قرأ يزيد الكتاب غضب من ذلك وكتب إلى ابن زياد: أما بعد فقد وليتك العراق ولم أولك على أن تسب آل النبي على المنابر وتقع فيهم، فإذا قرأت كتابي هذا فاطلق المختار من حبسك مكرماً، وإياك إياك أن تعود إلى ما فعلت، والاّ فوالذي نفسي بيده، بعثت إليك من يأخذ منك الذي فيه عيناك.

فلما ورد الكتاب على ابن زياد اخرج المختار من حبسه ودعا بمشايخ الكوفة وسلمه إليهم سالماً، فخرج المختار من الكوفة هارباً نحو الحجاز، ولما صار بواقصة إذا هو برجل من أهل الكوفة يقال له: صقعب بن زهير، فسلَّم عليه وقال: ياأبا إسحاق! مالي أرى عيناك على هذه الحالة صرف اللّه عنك السوء؟ فقال له: اعترضها هذا الدعي عبد بني علاج ابن زياد، فقال له صقعب: ماله شلَّت يمينه شلاً عاجلاً؟ فقال له: نعم، ياصقعب!، وقتلني اللّه إن لم أقتله وأقطع أعضاءه عضواً عضواً وإرباً إرباً، ولكن أخبرني عن ابن الزبير أين تركته؟ قال: تركته بمكة، وهو يظهر العداوة ليزيد، وأظنه يبايع سراً، فضحك المختار وقال: اللّه أكبر! بشرك اللّه بخير، فواللّه، إنه لرجلُ قومه، وهو من أولاد المهاجرين، وإني لأرى الفتنة قد أرعدت وأبرقت، وكأنك بي ياصقعب! وقد خرجت وكان ما سمعت، وقيل لك: إنَّ المختار بن أبي عبيد قد خرج في عصابة من المؤمنين يطلب بدم ابن بنت نبي العالمين؛ وابن سيد الوصيين الحسين بن علي وابن فاطمة، فوربك،

ياصقعب! لأقتلنَّ به عدد الذين قتلوا بيحيى بن زكريا.

فقال صقعب: إنَّ من أعجب القول أن يكون هذا منك! فقال: نعم والله، إنه كائن لا محالة ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ص/٨٨، وجعل يقول: والذي أنزل القرآن، وبين الفرقان، وشرع الأديان، وكتب الإيمان، وكره العصيان، لأقتلن العتاة من أزد عمان ومذحج وهمدان وبهران وخولان وبكر ونبهان وعبس ودودان، وقبائل قيس عيلان، غضباً لابن بنت نبي الرحمن.

ثم ضرب المختار راحلته ومضى حتى قدم مكة، فدخل على عبد الله ابن الزبير، فرحب به وقرَّبه وساله عن أهل الكوفة، فقال المختار: هم في السر أعداء، وفي العلانية أولياء، فقال ابن الزبير: هذه والله، صفة عبيد السوء، إذا حضر مواليهم خدموهم وأطاعوهم، وإذا غابوا عنهم شتموهم ولعنوهم، فقال المختار له: ذرني من هذا، ولكن ابسط يدك حتى أُبايعك وأعطني ما أرضى به بأن تبث بي على أهل الحجاز حتى آخذها لك، فإن أهل الحجاز كلهم معك وأنت أقرب الى جماعة الناس وأرضى عند ذوي النهى من يزيد.

فسكت ابن الزبير ولم يرد عليه شيئاً، فخرج المختار مغضباً ومضى إلى الطائف، فأقام بها حولاً عند بني عمه من ثقيف، وافتقده ابن الزبير فسأل عنه، فقال له بعض أصحابه: ما رأيته منذ خرج من عندك، فما كان بأسرع من أن قدم المختار من الطائف، فدخل المسجد واستلم الحجر، وطاف وصلّى ركعتين وجلس، فجاءه قوم من أهل مكة فسلموا عليه وجلسو إليه، فعلم ابن الزبير بقدومه، وقال: إني لا أراه يصير إلينا.

فقال له العباس بن سهل الانصاري: إن شئت أتيتك بخبره، فقال له

ابن الزبير: نعم، فافعل، فجاء العباس إلى المختار وسلَّم عليه، وساله عن بني عمه بالطائف، ثم قال له: يا أبا إسحاق! ليس مثلك من يغيب عما اجتمع عليه أهل الشرف وبيوتات العرب، فقال المختار: وما ذاك؟ قال: انه لم تبق قبيلة من العرب إلاّ جاء عميدها وزعيمها فبايع عبد اللّه بن الزبير، فعجب منك ومن رايك أن لا تكون آتيته فاخذت بحظك من هذا الامر، فقال يا اخا الانصار! إنَّك لتعلم اني أتيته في العام الماضي، واشرت عليه بالرأي ودعوته إلى حظه، فطوى أمره دوني واراني نفسه مستغنياً عني فاحببتُ أن يراني مستغنياً عنه، فواللّه، لهو أحوج إليَّ مني إليه، فقال العباس: صدقت يا أبا إسحاق! قد كان ذلك، غير انك كلمتهُ وهو ظاهر في المسجد، وهذا كلام لا يكون إلاّ والستور دونه مسدولة والابواب فوقها مغلقة، ولكن الفه الليلة وأنا معك حتى تسمع كلامه ويسمع كلامك، قال: نعم.

فلمَّا صليت العشاء الآخرة ذهب المختار والعباس إلى ابن الزبير، فمد يده ابن الزبير إلى المختار وصافحه ورحب به وساله عن حاله؟ ثم قال: ياأبا إسحاق! إنك كلمتني بذاك الكلام والناس حضور وللحيطان آذان، وليس من احد إلاّ وله عدو وصديق، وهذا وقت خلوة فهات ما بدا لك، فقال المختار: إنه لا خير في الإكثار من الكلام ولاحظ في التقصير عن الحاجة، وأنت اليوم رجل قومك وقد جئتك لأبايعك على أن لا تقضي الأمور دوني، وعلى ان اكون اوَّل من تاذن له وآخر من يخرج من عندك، فإذا اظهرك اللّه على يزيد استعنت بي على افضل اعمالك فانتفع وأرد على اهل بيتي شيئاً.

فقال ابن الزبير: ياأبا إسحاق! أُبايعك على كتاب اللّه وسنة نبيه،

فقال المختار: لو جاءك عبد أسود لبايعته على كتاب اللّه وسنة نبيه، فأبى ابن الزبير غير هذا، فقال العباس: جعلتُ فداك اشتر منه دينه حتى ترى رأيك ويرى هو رأيه، فقال ابن الزبير: ياابا إسحاق! فإني أبايعك على ما سالت، ثُمَّ بسط يده فبايعه المختار ثم انصرف إلى منزله، وكان عنده إلى أن جاء أخوه عمرو بن الزبير مع أهل الشام يقاتل أخاه عبد اللّه بين مكة والمدينة، فخرج اليه المختار، وابلى بلاءاً حسناً في قتاله دون عبد اللّه، واسر عمراً وفر أهل الشام، فلما جيء بعمرو إلى أخيه قال: من كان له مظلمة عند عمرو فليقم؟ فقام جماعة، فمن يقول: صفعني، يقول له اصفعه، ومن يقول: ضربني، يقول له: اضربه، وإنما كانت عنده هذه المظالم لانه كان صاحب شرطة أمير المدينة عمرو بن سعيد بن العاص حتى جاءه مصعب بن سعيد بن عبد الرحمن بن عوف فقال: يا أمير المؤمنين! انه ضربني مائة سوط بلا ذنب كان مني إلاّ ميلي إليك، فامر به عبد اللّه وجرد من ثيابه، وامر مصعب بن سعيد فجلده كما جلده مائة سوط، ثم امر به عبد اللّه الى السجن ولم يداوه فمات، ولما مات، قيل: إنَّه امر بصلبه فصلب، وقيل: بل دفن ولم يُصلب، ثم اقبل عبد اللّه بن الزبير على أصحابه، فقال: أتدرون لم فعلت بعمرو هذا الفعل؟ قالوا: لا، قال: إنه صار إلى معاوية زائراً فكتب معاوية الى زياداً بن أبيه بمائة ألف درهم جائزة ففض الكتاب وجعل المائة مائتي الف، وعلم معاوية أنه عمل على زياد، فكتب إلى مروان وهو عامله بالمدينة ان يأخذ عمرو بن الزبير بمائة الف درهم، فاخذه مروان وحبسه، فصرت إلى مروان وهيات المائة الف له من نفسي فاعطيتها واخرجته من سجن مروان، فكان جزائي منه ان خرج عليَّ ويضرب وجهي بالسيف.

قال: فلما بعث يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المري اميراً على أهل

الشام لمحاربة عبد الله ومن بالمدينة من قبل ابن الزبير والحصين بن نمير السكوني بعده إن حدث به حدث الموت، لأن مسلماً كان مريضاً فكانت الوقعة بالحرة، وأقام بعدها بالمدينة فقتل من أولاد المهاجرين ألفاً وثلاثمائة، ومن اولاد الأنصار ألفاً وسبعمائة، ومن العبيد والموالي ثلاثة آلاف، ونهب المدينة ثلاثة أيام بلياليها، حتى قال أبو سعيد الخدري: والله، ما سمعنا الأذان بالمدينة ثلاثة أيام إلا من قبر النبي صلى الله عليه وآله، ثم ارتحل مسلم إلى مكة لمحاربة ابن الزبير، فمات بين مكة والمدينة فسمُّوه مسرفاً لأنه أسرف بالقتل، ولما مات استخلف الحصين بن نمير السكوني فنصب الحصين المجانيق على الكعبة فكانوا يرمونها حتى نزلت صاعقة فأحرقت منجنيقاً لهم بما كان فيه من الناس فجعل المختار يومئذ يحارب بين يدي عبد الله أشد المحاربة وهو يقول: أنا ابن الكرارين لست من أبناء الفرارين، حتى ضج أهل الشام منه، وأقام القوم على ذلك أياما لا يفترون ليلاً ولا نهاراً حتى قتل من أهل الشام مقتلة عظيمة وكذلك من أصحاب عبد الله.

فبينا الحصين كذلك إذ قدم رجل من أهل الشام فسلم وجلس وقال: أنت ترمي البيت الحرام بالحجارة والنيران ويزيد قد مات؟ قال الحصين: ويحك ما تقول؟ قال: ما تسمع. قال الحصين: ما سبب موته؟ قال: إنه شرب من الليل شراباً كثيراً فاصبح مخموراً فذرعه القيء فلم يزل حتى قذف عشرين طستاً من قيء ودم فمات.

٥ـ وذكر أبو الحسن السلامي البيهقي في تاريخه عن ابن عباس أنه قال: لا يمهل الله يزيد بعد قتله الحسين، وأنه قال: سبب زوال الدولة عن يزيد بن معاوية والله قتله الحسين عليه السلام.

٦ـ وذكر عبد الكريم بن حمدان صاحب التاريخ: إنَّ يزيد بن معاوية

ولي ثلاث سنين وثمانية أشهر، ومات بحمص بقرية، يقال لها: حوران ودفن بها في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، وهو ابن تسع وثلاثين، وكان له بنون كثيرة، غير أنَّ أكبرهم معاوية بن يزيد، وكان براً تقياً فاضلاً، وكان ولي عهد أبيه؛ وخالد بن يزيد يليه ولكنه غير بالغ، فبويع أبو ليلى معاوية بن يزيد فخطب الناس، فقال:

أيها الناس! ما أنا بالراغب في الامارة عليكم، ولا بالآمن من شركم، إلا إن جدي معاوية بن أبي سفيان قد نازع هذا الأمر من كان أولى به منه بالقرابة والقدم، فهو ابن عم نبيكم أعظم المهاجرين قدراً، وزوج ابنته وأبو ذريته، فركب جدي منه ما تعلمون، وركبتم معه مالا تجهلون، حتى نزلت به منيته، ثم تقلَّد الأمر أبي وكان غير خليق بها فقصرت مدَّته، وانقطع أثره، وضمته وأعماله حفرته، لقد أنسانا الحزن به الحزن عليه، فياليت شعري هل أُقيلت عثرته. أم غلبت عليه إساءته، ثم صرت أنا ثالث القوم والساخط فيما أرى أكثر من الراضي، وما كنت لاحتمل آثامكم وألقى اللّه بتبعاتكم فشانكم بامركم.

فقال له مروان: ياأبا ليلى! لقد سن لها عمر بن الخطاب سنَّة فاتبعها، فقال معاوية: أتريد أن تفتنني عن ديني يامروان؟ ثم قال: ائتني برجال عمر حتى أجعلها بينهم شورى، واللّه، لئن كانت الخلافة مغنماً فلقد أصبنا منها حظاً. وحسب آل أبي سفيان منها ذلك.

ثم نزل عن المنبر، فقالت له أُمه: يابني! ليتك كنت حيضة في خرقة، فقال: وددت ذلك ياأُماه! اما علمتِ أن للّه ناراً يعذب بها من كان ظالماً؟ فعاش اربعين يوماً ثم مات فقيل له: الا تعهد بها الى من أحببت؟ فإنا سامعون له مطيعون.

فقال: كلا لااترك لبني أمية حلاوتها وأتزود لنفسي مرارتها، وكان ابن إحدى وعشرين سنة، قيل: كان له مؤدب ممن يميل الى علي عليه السلام فظن به آل أبي سفيان أنَّه هو الذي دعاه الى تلك الخطبة وما فيها، فقبضوا عليه بعد موت معاوية ودفنوه حياً.

قال: ثم لما بلغ الحصين موت يزيد واضطرب أمر الشام قفل الحصين بن نمير من مكة إلى الشام، وتوارى ابن زياد بالبصرة عند مسعود بن عمرو الأزدي، واجتمع أهل البصرة في طلبه، فقال ابن زياد لمسعود: اخرجني ليلاً من البصرة في جوار بني عمك من الأزد حتى ألحق بالشام.

فاخرجه مسعود ليلاً، وبعث معه ثلاثين رجلاً حتى لحق بالشام، فبلغ اهل البصرة انَّ مسعوداً هو الذي اجاره واخرجه ليلاً، فقتلوا مسعوداً في جوف الليل ونهبوا ماله، وقصدوا داري ابن زياد الحمراء والصفراء فأحرقوهما، ووجدوا أمه وزوجته فاخذوهما، ونهبا اموالهما، وبقيت البصرة والكوفة أربعة اشهر لا أمير عليهما، ولما وصل ابن زياد إلى الشام وجدهم مضطربين، فطائفة تميل للضحاك بن قيس الفهري وكانت معه أعنَّة الخيل؛ وطائفة تميل الى عبد الله بن الزبير ومنهم مروان.

فقال ابن زياد لمروان: أما تستحي أن تبايع رجلاً كان في قتلة عثمان؟ فامتنع وتحير، فقال له ابن زياد: ما أحد أحق بهذا الأمر منك فإنك ابن عم عثمان، فظن مروان أنه مستهزئ، فمد ابن زياد إليه يده وبايعه، فبايعه الناس في دمشق فندبهم لقتال الضحاك فاجابوه، واقتتلوا بـ«مرج راهط» فقتل الضحاك، وتمت لمروان البيعة فنكح حنة بنت هاشم أم خالد بن يزيد، فكان خالدبن يزيد في داره بمنزلة الولد عنده، ثم ولاه أرض حمص وبعث إليها خليفة من تحت يده.

قال: واستوثق الامر لعبد اللّه بن الزبير في الحجاز والعراق والبصرة والكوفة فبعث أخاه مصعب بن الزبير على البصرة واجتمع أهل الكوفة على عامر بن مسعود بن أُميَّة بن خلف الجمحي فبايعوه ليكون أميراً من قبل عبداللّه بن الزبير، وكان المختار عند عبد اللّه بن الزبير، فلم يستشره في شيء على شرطه، فكان في قلبه أن يخرج على ابن الزبير، وكان يقدم في ذلك ويؤخر، حتى قدم هانئ بن حيَّة الهمداني مكة للعمرة، فسأله المختار عن أهل الكوفة، فقال: هي مستوسقة لعبد اللّه بن الزبير، فقال له: أخبرني يا أخا همدان! عن سليمان بن صرد وأصحابه، هل شخصوا إلى قتال المحلِّين؟ قال: لا ما شخصوا وإنه لعازم على ذلك.

فانصرف المختار إلى منزله، فلما جنَّه الليل استوى على راحلته، وخرج عن مكة فلم يصبح إلاَّ على مرحلتين منها، فلما صار بالقرعاء لقيه رجلٌ من أهل الكوفة، يقال له: سليمان بن كريب، فقال له المختار: كيف خلفت أهل الكوفة؟ قال: خلفتهم كغنم لا راعي لها.

فتبسم المختار وقال: أنا واللّه، راعيها الذي يحسن رعايتها، ويقيم أودها، فلما انتهى إلى نهر الحيرة وذلك يوم الجمعة، نزل عن راحلته واغتسل فيه ولبس ثيابه واعتم بعمامة وتقلَّد سيفه ثم ركب فرساً له وأقبل حتى دخل الكوفة نهاراً جهاراً، فجعل يمر بمجالس القوم فيسلم ويقول: ابشروا بالفرج فقد جئتكم بما تحبون، فأنا المسلط على الفاسقين؛ والطالب بدماء الطاهرين، ثم جاء الى المسجد الأعظم فنزل وصلّى فيه ركعتين والناس يستشرفونه، ويقولون: هذا المختار، وما قدم واللّه إلاّ لامر عظيم، ثم جلس وصلّى الظهر والعصر، ونهض وعليه ثياب رثة فخرج إلى دار مسلم بن المسيب.

٧ـ وذكر محمد بن إسحاق: إنه أخذ من محمد بن الحنفية كتاباً إلى إبراهيم بن مالك الأشتر أن يسمع للمختار ويطيع له، وزوّر أربعين كتاباً من لسان محمَّد بن الحنفية إلى أربعين شيخاً من مشايخ الكوفة في معنى ذلك، فأوَّل من زوّر الكتب المختار[1].

قال: ولما وصل إلى القادسية عدل عنها إلى كربلاء واغتسل ولبس ثياب الزيارة وسلم على قبر الحسين واعتنقه وقبله وبكى وقال: ياسيدي! آليت بجدك المصطفى، وأبيك المرتضى، وأُمك الزهرا، وأخيك الحسن المجتبى، ومن قتل معك من أهل بيتك وشيعتك في كربلا لا أكلت طيب الطعام؛ ولا شربت لذيذ الشراب؛ ولا نمت على وطيء المهاد، ولا خلعت عن جسدي هذه الأبراد؛ حتى أنتقم لك ممن قتلك أو أُقتل كما قُتلت، فقبح اللّه العيش بعدك.

ثمَّ ودع القبر وركب وسار إلى الكوفة وقدم ليلاً فسلم الكتاب إلى إبراهيم وإلى المشايخ، وكانت الشيعة قد تحرَّكت قبل قدومه، وكثر بينهم التلاوم والندم على ما فرطوا في أمر الحسين ﷺ من خذلانه، وعلموا أنه لا يغسل عنهم ذلك إلاَّ أن يخرجوا فيقتلوا من قتله وشرك في دمه حيث كان في مشارق الأرض ومغاربها، وقد فزعوا إلى خمسة نفر من خيار الشيعة ومن أصحاب علي ﷺ سليمان بن صرد الخزاعي، وكان صحابياً، والمسيب بن نجبة الفزاري، ورفاعة بن شداد البجلي، وعبد اللّه بن سعد الأزدي، وعبد اللّه بن وال التميمي، فاجتمع هؤلاء الخمسة في بيت سليمان بن صرد فاول من تكلم منهم المسيب بن نجبة، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال: إنَّ اللّه تعالى اختبرنا في غير موطن من مواطن ابن بنت نبينا

(١) ان صح ذلك فلعله من خدع الحرب التي يرى وجوبها.

محمد صلى الله عليه وآله فوجدنا كذابين، وذلك أنَّ الحسين كتبنا إليه وأتتنا رسله وسألنا النصر فبخلنا عليه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا: فلا نصرناه بأيدينا؛ ولا دفعنا عنه بألسنتنا؛ ولا قويناه بأموالنا؛ ولا طلبنا له نصرة من عشائرنا، فخبروني الآن ما عذرنا غداً عند الله؟ وما حجتنا عند أبيه محمد، وقد قتل ولده وحبيبه وريحانته بين أظهرنا؟ لا والله، ما لنا غير أن نخرج ونقتل من قتله أو شرك بدمه أو أعان على قتله فعسى الله أن يرضى عنا بذلك.

ثم تكلم سليمان بن صرد وكان شيخ القوم، فقال: أما إنه دهر ملعون، قد عظمت فيه الرزية وشمل فيه الخوف والمصيبة، وذلك إنا كنا نمد أعيننا إلى قدوم أهل البيت، ونمنيهم النصرة ونحثهم على المصير إلينا، فلما قدموا علينا عجزنا وونينا، وتربصنا حتى قتل في جنبنا ابن نبينا وسلالته وسبطه وعصارته، وبضعة من لحمه ودمه، وهو في ذلك يستصرخ فلا يصرخ، ويدعو فلا يُجاب، ويستغيث فلا يغاث، ويسأل النصفة فلا يعطى، اتخذه الفاسقون غرضاً لسهامهم؛ ودرية لرماحهم، حتى قتلوه ثم سلبوه وانتهكوا حرمته بعد أن قتلوا ولده وأهل بيته وشيعته، ألا فانهضوا واتقوا الله تعالى فقد سخط عليكم، ولا ترجعوا للحلائل والأبناء حتى يرضى عنكم، ولا أظنه يرضى دون أن تناجزوا من قتله، وشرك في دمه أو خذله فلا تهابوا الموت، فوالله، ما هابه أحد إلاّ ذل، فانهضوا وكونوا كبواقي بني إسرائيل، إذ قيل لهم: اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ألا فاشحذوا الصفاح، وركّبوا أسنة الرماح، وجدوا في الكفاح، وأعدوا ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ولا تهنوا عن لقاء الفاسقين، فأجابه الناس إلى ذلك، ثم إنهم قلّدوا أُمورهم سليمان بن صرد، وعزموا على الخروج، وكتبوا إلى شيعة البصرة وشيعة المدائن، وسألوهم المعاونة على

ذلك، فاجابوهم لها.

قال: ثم بعث المختارُ إلى وجوه الشيعة فدعاهم، وقال لهم: إني قد جئتكم من ولي الأمر، ومعدن الفضل، وصي الوصي، والإمام المهدي محمد بن علي بن الحنفية الرضي، بعثني إليكم أمينا ووزيراً وعاملاً واميراً، وامرني بأن أُقاتل المحلّين، واطلب بدم ابن بنت رسول العالمين.

فقالت له الشيعة: يا أبا إسحاق! انت أهل لذلك، ولكن الشيعة قد بايعوا سليمان بن صرد وانت تعلم أنه شيخ الشيعة اليوم فلا تعجل في أمرك.

فسكت المختار واقام بالكوفة ينتظر ما يكون من أمر سليمان، وعلم عبد اللّه بن الزبير أنّ المختار صار إلى الكوفة فاتقى أن يفسد عليه البلد، فعزل عامر بن مسعود بن أُمية عن الكوفة وولّى عليها عبد اللّه بن يزيد الأنصاري، وقدم معه إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد اللّه على خراج الكوفة فجاءه رؤساء الكوفة وسلموا عليه وهناؤه بالامارة، فقال لهم: ياأهل الكوفة! ما يبلغني عن سليمان بن صرد واصحابه؟ فقالوا: إنه يطلب بدم الحسين بن علي عليهما السلام، فقال الأمير: نعم ما رأى سليمان، وانا أسال اللّه أن يعينهم على ذلك ويقتل الفاسقين المحلّين.

ثم قاموا وخرجوا وبقي عنده رجل من شيعة بني أُمية، يقال له: يزيد ابن الحرث، فقال له: أصلح اللّه الأمير إنّ سليمان بن صرد يريدُ أن يخرج عليك فاتقه على نفسك، فقال له: ولم ذلك؟ قال: لانه يطلب بدم الحسين، فقال الأمير: اللّه أكبر! أنا قتلت الحسين؟ لعن اللّه من قتل الحسين، وشرك في قتله، ومن لم تكن مصيبة الحسين دخلت عليه فليس بمؤمن، فندم الرجل على ما تكلّم به.

قال: ثم نادى سليمان بن صرد، فجعل الناس يخرجون من منازلهم على الخيل العتاق، وقد أعدوا الآلة والسلاح، وجعلوا يستطرقون أسواق الكوفة، والناس تدعو لهم بالنصر حتى إذا أتى النخيلة عسكر بها، ثم أشرف على عسكره فلم يعجبه لقلّة الناس، فدعا برجلين من أصحابه: حكيم بن سعد الكندي؛ والوليد بن غصين الكناني، فقال لهما: اركبا إلى الكوفة في مائة فارس، وناديا بأعلى صوتيكما: يالثارات الحسين! فمن أراد الجنَّة ورضا ربه والتوبة من ذنبه، فليلحق بسليمان بن صرد الخزاعي. ففعلا ما أمر به فأجابهما شرذمة قليلة، وقد كان قبل أن يقدم المختار عرض سليمان أصحابه، فكانوا ستة عشر ألفاً، فلما عرضهم في ذلك اليوم إذا هم أربعة آلاف يزيدون أو ينقصون.

فقال سليمان: ما أظن هؤلاء بمؤمنين، أما يخافون اللّه بالذي أعطونا من صفقة ايمانهم؟ فقال المسيب بن نجبة: إنه لا ينفعك الكاره، ولا يقاتل معك إلاَّ من أخرجته النية، فلا تنتظر أحداً واستعن باللّه وتوكل عليه، وقل: لا حولَ ولا قوة إلاّ باللّه.

فوثب سليمان قائماً على قدميه متكئاً على قوس عربية، فقال: أيها الناس! إنَّ من كان أخرجته معنا إرادة وجه اللّه وثواب الآخرة فذاك منا ونحن منه، ورحمة اللّه عليه حياً وميتاً، ومن كان يريد الدنيا وزينتها فلا واللّه ما معنا خزٌ ولا حرير، ولا ذهب ولا فضة، ولسنا واللّه نمضي إلى فيء نحوزه أو غنيمة نأخذها، وما هي إلا سيوفنا في رقابنا ورماحنا في أكفنا، ومعنا زاد بقدر البلغة، إلى لقاء عدونا ابن زياد وأصحابه المحلِّين، فمن كان ينوي غير هذا فلا يصحبنا. فقالوا بأجمعهم: ما أخرجنا واللّه إلاَّ التوبة من ذنوبنا، والطلب بدماء أهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله، وقد علمنا بأنا إنما نقدم على حد

السيوف وأطراف الرماح.

فقال لهم سليمان: رحمكم اللّه، فعليكم بطول الصلاة في جوف الليل، وذكرالله كثيراً على كل حال، وتقربوا إلى اللّه تعالى بما استطعتم، فإنكم لن تتوسلوا إلى ربكم بشيءٍ أكثر ثواباً من الصلاة والجهاد، لأن الصلاة عماد الدين، والجهاد سنام العلم والعمل.

ثُم أدلج سليمان بالناس ليلة الجمعة من شهر ربيع الآخر لخمس بقين أو مضين منه، حتى نزل على شاطئ الفرات بموضع يقال له: اقساس بني مالك ثم عرض الناس هناك، فإذا قد نقص منهم الف ومائة رجل، فقال لهم: أيها الناس! واللّه، ما أحبُّ أن من تخلف عنكم كان معكم، لانهم لو كانوا فيكم لما زادوكم إلاّ خبالاً، فاحمدوا اللّه على رجوعهم عنكم.

وسار تلك الليلة فاصبحوا وقد أشرفوا على قبر الحسين، فلما عاينوه رفعوا أصواتهم بالبكاء والنحيب، ورموا أنفسهم عن دوابهم، وجعلوا يقولون: اللّهم! إنا خذلنا ابن بنت نبينا، وقد أسأنا واخطانا فاغفر لنا ما مضى من ذنوبنا، وتب علينا إنَّك أنت التوابُ الرحيم، ثم تقدم رجلٌ منهم، يقال له: وهب بن رفعة الجعفي حتى وقف على القبر باكياً، ثم قال: واللّه، ما أشك أن صاحب القبر هو وجدُّه وأبوه وأمه وأخوه أفضل عند اللّه وسيلة يوم القيامة من جميع الخلق، الم تروا إلى ما فعل به وباهل بيته المحلّون؟ ولم يراقبوا فيه من ربه، ولا قرابته من نبيه، لكنهم جعلوه للنبل غرضاً، وغادروه لملك باغ مطعماً، فللّه الحسين وللّه يوم الحسين، لقد عاينوا منه يوم وافوه ذا وفاء وصبر، وعفاف وبر، وذا بأس ونجدة، وأمانة وشدَّة، فهو ابن أول المؤمنين، وابن بنت نبي ربِّ العالمين، قلّت حماته، وكثرت عداته، فويل للقاتل وملامة للخاذل، إن اللّه تبارك وتعالى لم يجعل للقاتل

حجَّة، ولا للخاذل معذرة، إلاّ أن يناصح اللّه في التوبة فيجاهد الفاسقين، وينابذ المحلِّين، فعسى اللّه عند ذلك أن يقبل التوبة، ويقيل العثرة، فإنه تواب رحيم أرحم الراحمين غافر للمذنبين. ثم أنشد:

تبيت النشاوى من أُمية نوّماً	وبالطَّف قتلى ما ينام حميمها
وماضيّع الإسلام إلا عصابة	تأمر نوكاها[1] ودام نعيمها
فاضحت قناة الدين في كف ظالم	إذا اعوجّ منها جانب لا يقيمها
واقسم لاتنفكّ نفسي حزينة	وعيني سفوحاً لا يجفّ سجيمها

قال: فضجوا بالبكاء والعويل والنحيب، وأقاموا عند القبر يومهم ذلك وليلتهم يصلُّون ويبكون ويتضرَّعون، ثم نادى سليمان بن صرد بالرَّحيل، فجعلوا يودعون القبر ويزدحمون عليه كازدحام الحجيج على الحجر الأسود وهم يقولون: اللّهمَّ! إنا خرجنا عن الديار والأموال والأهلين والأولاد نُريد جهاد الفاسقين الَّذين قتلوا ابن بنت نبيك، فارزقنا الشهادة، اللّهم! إنا نعلم لو كان الجهاد فيهم بمطلع الشمس أو بمغربها، وبمنقطع التراب لكان حقيقاً علينا أن نطلبه حتى نناله، فإن ذلك هو الفوز العظيم والشهادة التي ثوابها الجنَّة.

وساروا من قبر الحسين عليه السلام فلزموا الطريق الأعظم، فارتجز رجلٌ منهم وجعل يقول:

خرجن يلمعن بنا ارسالا	يحملن منا فتية أبطالا
وقد تركنا الأهل والأموالا	والخفرات البيض والحجالا
نريد أن نلقى بها إقبالا	الفاسقين الغدر الضلالا

(١) النوكى: الحمقاء جمع انوك وهو الاحمق.

لنرضي المهيمن المفضالا ونأمن العقاب والنكالا

فبينا هم يسيرون، وإذا كتاب أمير الكوفة عبد الله بن يزيد الانصاري إلى سليمان بن صرد فيه: أما بعد فإن كتابي إليكم كتاب ناصح لكم مشفق عليكم، وذلك أنكم تريدون المسير، بالعدد اليسير، إلى الجمع الكثير، والجيش الكبير، وقد علمتم أنّ من أراد أن يقلع الجبال عن أماكنها تكلّ معاوله، ولا يظفر بحاجته، فيا قومنا! لا تطمعوا عدوكم في بلدكم، فإنكم خيار قومكم، ومتى ظفر بكم عدوكم طمع في غيركم من أهل مصركم، فارجعوا إلينا فإن أيدينا وأيديكم واحدة في قتال العدو، فمتى اجتمعت كلمتنا ثقلنا على عدوكم وعدونا، فاقبلوا حين تقرأون كتابي هذا والسلام.

فكتب إليه سليمان: قد قرأنا كتابك أيها الأمير! وعلمنا ما نويت، فنعم أخو العشيرة أنت، غير أنا سمعنا الله تعالى يقول في كتابه: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم**﴾التوبة/١١١، واعلم أيها الأمير! إنّ المؤمنين استبشروا ببيعهم الذي بايعوا ربهم، وقد تابوا إليه من عظيم ذنبهم، وقد توجهوا إليه وتوكلوا عليه، وهو حسبهم ونعم الوكيل، واعلم أنّ لعبد الله بن الزبير أشكالاً يقاتلون معه، ولسنا من أشكال ابن الزبير، فإنهم يريدون الدنيا ونحن نريد الآخرة.

فلما قرأ الكتاب عبد الله أقبل على جلسائه، وقال: استمات القوم وربّ الكعبة.

قال: وعلم المختار أن سليمان بن صرد وأصحابه لا يرجع منهم أحد فجعل يبعث على الشيعة ويشاورهم في الخروج، وبلغ ذلك عمر بن سعد بن أبي وقاص، فدخل على الأمير عبد الله، فقال له: إن المختار صاحب فتنة، وقد بلغني أنّ قوماً من هؤلاء الترابية يختلفون إليه، ولست آمنه على

بلية، فابعث إليه الساعة وخلده في السجن، فإنك لا تدري ما يكون منه، فأرسل الأميرإلى إبراهيم بن محمد بن طلحة أن يهجم على المختار فيأخذه، فهجم عليه في داره فقال: ما الذي يبلغنا عنك يامختار؟ فقال المختار: كل ما بلغكم عني فهو باطل.

وأقبل عمر بن سعد على فرس له وقد أخرج المختار من منزله ملبباً، فقال: أوثقوه بالحديد وخلدوه في السجن إلى أن يستقيم أمر الناس، وإذا رسول الأمير أقبل إلى إبراهيم بن محمد، فقال: يقول الأمير: شد المختار كتافاً وامض به إلى السجن حافياً، فقال إبراهيم للرسول: ياهذا! ولم يفعل بالمختار هذا الفعال؟ لا والله، ما هذا جزاؤه من أمير المؤمنين ابن الزبير، وقد أبلى بين يديه البلاء الحسن، وقاتل القتال الشديد، فلماذا يفعل به هذا؟ وإنما أخذناه على الظن والتهمة، ثم أمر به إبراهيم إلى السجن فحبس، ومشى قومٌ من وجوه الكوفة، وقالوا للأمير: إنَّ المختار من شيعة آل محمد، وأنت عارف به قديماً وحديثاً، وإنما قدم علينا لأنه رأى من أمير المؤمنين جفوة فأحب أن يكون في ناحيتنا، ولم يظهر لنا ولا لك عداوة، فإن رأى الأمير أن يشفّعنا فيه، فعل منعماً، فأبى الأمير أن يشفعهم فيه فانصرفوا مغضبين، ثم قال المختار في السجن: أما ورب البحار، والنخل والأشجار، والمهامة والقفار، والملائكة الأبرار، والمصطفين الأخيار، لأقتلن كل جبار، بكل لدن خطّار، ومهنَّد بتار، حتى إذا أقمت عمود الدين، وشفيت غليل الصديقين من أولاد القاسطين، وبقية المارقين، وأدركت ثار أولاد النبيين، لم يكبر عليَّ زوال الدنيا، ولم أحفل بالموت إذا أتى إذ كان المصير إلى الجزاء، ثُمَّ كتب إلى عبد الله بن عمر كتاباً:

أما بعد فإني حبست مظلوماً، وظن بي الولاة ظنوناً كاذبة، فاكتب

رحمك اللّه إلى هذين الوليين الصالحين كتاباً لطيفاً لعلَّ اللّه تبارك وتعالى أن يخلّصني من أيديهما، بيمنك وبركتك، والسَّلام.

فكتب عبد اللّه بن عمر إلى عبد اللّه بن يزيد؛ وإبراهيم بن محمد:

أما بعد فقد علمتما بالذي بيني وبين المختار من الصهر والقرابة، والذي بينكما من المودَّة، فأسالكما بالذي بيني وبينكما إلا خليتما سبيله ساعةتنظرون كتابي هذا، والسلام.

فلما ورد الكتاب أرسل الأمير إلى المختار فأخرجه من السجن، ثم قالا له: اعطنا كفلاء، أنَّك لا تحدث في عملنا حدثاً واحلف بما نحلفك به، والزم منزلك، فتقدم عشرة من وجوه الشيعة فكفلوه، وحلف المختار بما حلّفوه به أن لا يخرج على عبد اللّه بن يزيد؛ وابراهيم بن محمد في عملهما ما كان لهما سلطان بالكوفة، فإن خرج فعليه ألف بدنة ينحرها عند رتاج الكعبة وعبيده واماؤه كلّهم أحرار، فحلف لهما وانصرف إلى منزله، ثم أرسل إلى من يثق به من إخوانه فدعاهم، فقال: قاتل اللّه هؤلاء القوم ما أحمقهم حين يظنون أني أفي لهم بأيمانهم هذه، أما حلفي باللّه فإنه ينبغي لي أني إذا حلفت بيمين فرأيت غيرها خيراً لي من يميني، فإني أفي بالذي هو خير لي وأكفر عن يميني وخروجي عليهم خيرٌ من كفّي عنهم فانا أكفر عن يميني وأخرج عليهم متى شئت، وأما الألف بدنة التي أنحرها عند رتاج الكعبة، فهي أهون عليَّ من بزاقة، وما ثمن ألف بدنة حتى يهولني أمرها، وأما عتقي لعبيدي وامائي فواللّه، إني لوددت التام أمري ولا أُريد أن أملك مملوكاً ما عشت، ولكني إنما أنتظر امر سليمان وأصحابه وما يكون منهم فانظر أمري، ثم سكت ولزم بيته.

[رجعنا] إلى اخبار سليمان بن صرد قال: فسار سليمان حتى صار إلى

هيت ثم إلى قرقيسيا، وبها يومئذ زفر بن الحرث الكلابي، فلما نظر إلى خيل المسلمين كانه اتّقى منهم، فامر بباب المدينة فأغلق، ونزل المسلمون بحذاء المدينة على شط الفرات، فدعا سليمان بن صرد المسيب بن نجبة فقال له: صر الى ابن عمك هذا زفر بن الحرث فاخبره: إنا لسنا نريده وإنما نريدُ الفاسق ابن زياد وقتلة الحسين بن علي عليه السلام فليخرج إلينا سوقاً نتسوق فيها.

فانطلق المسيب إلى زفر واخبره فأدناه زفر وأجلسه إلى جانبه وسأله عن الحال، ثم أمر أن يخرج إليهم سوق وأمر للمسيب بفرس وألف درهم، فقال المسيب: أما المال فلا حاجة لنا فيه لأنا ليس للمال خرجنا، وأما الفرس فإني احتاج إليه إن ظلع فرسي أوعقر تحتي، ثمَّ أمر زفر بأن يخرج إليهم الطعام الكثير وأرسل إلى كل رئيس منهم بعشرة من الجزر ودقيق وشعير وجميع ما يحتاجون إليه، فظل القوم يومهم ذلك واليوم الثاني مخصبين لا يحتاجون إلى شيء من السوق قد كفوا جميع ذلك إلاَّ أن يشري الرجل منهم ثوباً أو يحدّ سيفاً أو رمحاً، فلما كان اليوم الثالث نادى سليمان بالرحيل فخرج إليه زفر فقال له: إن ابن زياد سمع بخبركم فنزل الرقة وقد وجه إليكم بخمسة من قواده: الحصين بن نمير السكوني؛ وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري؛ وادهم بن محرز الباهلي؛ وربيعة بن مخارق الغنوي؛ وجبلة بن عبد الله الغنوي، وهم في عدَّة لا طاقة لكم بها، فقال سليمان: على الله توكلنا وعليه فليتوكل المؤمنون، فقال: نعم ما قلت، ولكن هل لكم أن أفتح باب مدينة قرقيسيا فتدخلوها، ويكون أمركم وأمرنا واحداً على ابن زياد؟ أو تنزلوا على باب المدينة ونعسكر إلى جانبكم، فإذا جاء ابن زياد قاتلناه جميعاً فعسى أن يظفرنا الله تعالى به، فقال سليمان: إنَّ هذا الذي تقول به قد عرضه علينا أهل بلدنا ولم نتبعه، وكتبه إلينا بعد ذلك أمير

الكوفة فابينا إلاّ أن نسير إليهم فيحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين.

فقال زفر: أما إذا أبيتم ذلك فاقبلوا مني نصيحة، اعلم انَّ القوم قد فصلوا من الرقة فبادروهم الآن إلى عين الوردة فانزلوها واجعلوا المدينة من وراء ظهوركم والرستاق بين أيديكم، فانظروا إذا أتوكم فلا تقاتلوهم في فضاء من الأرض فإني أخاف أن يحيطوا بكم لأنهم أكثر منكم باضعاف ولاتصفوا لهم صفوفكم، فإني لستُ ارى لكم رجّالة تحميكم؛ ولكن إذا وافوكم فعبوا كتائبكم واجعلوا منكم مع كل كتيبة كتيبة إلى جانبها فإن حمل على إحدى الكتيبتين فزالت، أعانتها الأخرى، فيكون ذلك أشد لصفكم واضعف لصفهم. وانا أسال الله تعالى ان ينصركم على هؤلاء الفاسقين.

فقال له سليمان: جزاك الله من رجل خيراً، فلقد أكثرت النزل، وأحسنت الضيافة، ونصحت في المشورة. فودَّعهم زفر وسار القوم حتى نزلوا عين الوردة فقام سليمان خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ياشيعة آل محمَّد! إنه قد أتاكم عدوكم الذي تجدون إليه المسير في آناء الليل وأطراف النهار، تريدون بذلك أن تطهروا أنفسكم بالتوبة النصوح إلى ربكم مما فرطتم في ابن بنت نبيكم، وقد جئتم إليهم، وأنتم اليوم في دارهم، فانظروا إذا لقيتموهم غداً فاصدقوا القتال واصبروا فإن الله مع الصابرين، ولا يولين احدٌ منكم دبره إلا متحرفاً لقتال او متحيزاً إلى فئة، ولا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا اسيراً إلاَّ أن يقاتلكم، ولا تدخلوا داراً إلاَّ بإذن اهلها فإنَّ هذه سنَّة امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في أهل هذه الدعوة، واعلموا أن مروان كانت ولايته تسعة اشهر، فعبث بها ابن زياد لمحاربتكم والآن قام ابنه عبد الملك فاقر ابن زياد على ما بعثه أبوه

مروان، وانظروا إذا أنا قتلت فأميركم المسيب بن نجبة، فإن قتل فعبد اللّه بن سعد، فإن قتل فأخوه خالد، فإن قتل فعبد اللّه بن وال، فإن قتل فرفاعة بن شداد، فإن قتل فامر بعضكم إلى بعض، ورحم اللّه من صدق ما عاهد عليه اللّه.

ثم دعا سليمان بالمسيب، فضم إليه أربعمائة فارس من أشدّ فرسان عسكره وقال له: سر حتى تلقى أول عسكرمن عساكر القاسطين فاحمل عليهم، فإن رأيت ما تحب فقاتل، وإلا فانصرف، فسار المسيب ليلاً حتى ابتلج الصبح فرأى أعرابياً، قال: ممن الرَّجل؟ قال: من تغلب، قال: غلبنا ورب الكعبة! قد أخذنا فالك من فيك، ما اسمك؟ قال: بشير، قال: بشرى وربّ الكعبة! كم بيننا وبين القوم؟ فقال: أما أدناهم فعلى ميل منكم وهم أربعة الآف رئيسهم شرحبيل، ومن ورائهم الحصين في أربعة آلاف؛ ومن ورائهم الصلت بن ناجية في أربعة آلاف، والعساكر متصلة بعضها ببعض، ومعظم العسكر بالرقة مع عبيداللّه بن زياد، فقال المسيب: لاحول ولا قوة إلا باللّه.

ثم سار حتى أشرف على عسكر شرحبيل، فلما نظر إليه، صاح: ياليوث العراق! كروا، فحملوا عليهم حملة رجل واحد، فانهزموا هزيمة فاحشةً، وقتل منهم خلقٌ كثيرٌ وجرح خلقٌ كثير، وألقى اللّه في قلوبهم الرعب، ثم رجع المسيب بأصحابه إلى سليمان بن صرد سالمين، وبلغ ابن زياد الخبر فغضب ووجه زهاء عشرين الفا الى عين الوردة وأصحاب سليمان ثلاثة آلاف ومائة رجل، فعبأ أهل الشام، فكان على ميمنتهم عبد اللّه بن الضحاك الفهري، وعلى ميسرتهم مخارق بن ربيعة، وعلى الجناح شرحبيل ابن ذي الكلاع، وفي القلب الحصين بن نمير، وعبأ أهل العراق، فكان على

ميمنتهم المسيب بن نجبة، وعلى ميسرتهم عبد اللّه بن سعد الأزدي، وعلى الجناح رفاعة بن شداد ، وعلى القلب سليمان بن صرد.

وزحف القوم بعضهم إلى بعض، فقال أهل الشام: ياأهل العراق! هلموا الى الجماعة والطاعة لأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، فقال أهل العراق: هلموا ياأهل الشام إلى طاعة أهل بيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وادفعوا إلينا ابن زياد لنقتله كما قتل الحسين ابن بنت رسول اللّه (عليه وآله السلام) فلما سمع أهل الشام منهم هذا الكلام حملوا عليهم واختلط القوم ورزق اللّه أهل العراق الظفر عليهم، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، فلما كان من الغد وكان يوم الجمعة اقتتلوا وانتصف بعضهم من بعض، فجعل سليمان ينادي بأعلى صوته: من يطلب بدم الشهيد ابن فاطمة فليبشر بكرامة اللّه ورضوانه فواللّه، ما بينكم وبين الشهادة ودخول الجنَّة والراحة من هذه الدنيا الدنية إلاَّ فراق هذه الأنفس الأمارة بالسوء، الا فمن أراد الرواح إلى ربه والتوبة من ذنبه فإلي إلي.

ثم إن سليمان كسر جفن سيفه وتقدم وهو يقول:

إليك ربي تبتُ من ذنوبي فقد أحاطت بي من الجنوب
وقد علا في هامتي مشيبي فاغفر ذنوبي سيدي وحوبي[١]

ثم حمل على القوم فلم يزل يقاتل حتى قتل جماعة كثيرة ثم قُتِلَ (رحمه اللّه)، فاخذ الراية المسيب بن نجبة، فقال: أيها الناس! إن سليمان قد صدق ووفى ماعليه، وبقي ماعلينا، ثم حمل على أهل الشام فجعل يطعن فيهم ويقول:

لقد منيتم باخي جلاد ثبت المقام مقعص[٢] الأعادي

(١) ـ الحُوب: بضم الحاء الاثم. (٢) اقعصه: قتله مكانه كقعصه.

أشـجـع من ليـث عرين عاد ليــس بـفـرار ولا حـيـاد

ولم يزل يقاتل حتى قُتِل (رحمه الله)، فتقدَّم عبد الله بن سعد بن نسيل الأزدي فاخذ الراية وهو يقول: رحم الله اخوتي **﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾**الاحزاب/٢٣، ثم حمل وجعل يطعن في أعراضهم ويقول:

ارحـم إلـهي عبدك التوابا ولا تـؤاخـذه فـقـد أنـابـا

وفـارق الأهـلـين والأحـبـابا يرجـو بذاك الأجـر والثـوابا

ولم يزل يقاتل حتى قُتِل (رحمه الله)، فتقدَّم أخوه خالد بن سعد فحمل الراية ونادى بأعلى صوته: أيها الناس! من أراد الحياة التي ليس بعدها وفاة، والراحة التي ليس بعدها نصب، والسرور الذي ليس بعده حزن، فليتقرب إلى الله تعالى بجهاد هؤلاء المحلين، ثم حمل عليهم وهو يقول:

قـد عـلمت ذات القوم الـرود أن لستُ بالوانـي ولا الرعديد

يومـاً ولا بالناكـص الحـيـود لكنـنـي المـقـدَّم فـي الجـنـود

ولم يزل يقاتل حتى قُتِل (رحمه الله)، فاخذ الراية عبد الله بن وال التميمي ووقف في الميدان وهو يقول: **﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء﴾**آل عمران/١٦٩، ثم حمل حملةً قاتل فيها قتالاً شديداً فقطعت يده اليسرى، فرجع حتى وقف قريباً من أصحابه، ويده تشخب دماً وهو يتلو: **﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للّذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم﴾**آل عمران/١٧٢. ثم حمل عليهم ثانياً وهو يقول:

نفســي فدتكم اذكروا الميثاقا وجـالدوهم واحـذروا النفاقا

لا كوفة نبغي ولا عراقا لا بل نريد الموت والعتاقا

ولم يزل يقاتل حتى قُتِل (رحمه الله).

قال: فبينا أهل العراق كذلك، وقد قتل منهم من قتل، وذلك عند زوال الشمس، وإذا بالمثنى بن مخرمة العبدي قد وافاهم في ثلاثمائة فارس من أهل البصرة، وكثير بن عمرو الحنفي في مائة وسبعين فارساً من أهل المدائن، فلما نظروا إليهم اشتدت عزيمتهم وقويت نفوسهم، وفرحوا بهم، ثم اجتمعوا في موضع واحد وكبروا وحملوا على أهل الشام، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً، وهزموهم هزيمةً قبيحةً، ثم تراجع أهل الشام واشتدَّ القتال وأخذ الراية رفاعة بن شداد البجلي وقال:

يارب إني تائب إليكا متكل ياسيدي عليكا

أرجو بذاك الخير من يديكا فاجعل ثواب أملي لديكا

ثم حمل ولم يزل يقاتل حتى جرح، فعاد إلى أصحابه مجروحاً فالتفت رجل من كنانة من أهل المدائن إلى أصحابه فقال: ياأهل العراق! والله، مالنا بهؤلاء القوم من طاقة، فارجعوا إلى بلدنا فعسى الله أن يكفينا أمرهم بغيرنا، فقال له عبد الله بن عوف الأزدي: بئسما قلت، والله، لو وليناهم الادبار ليركبن أكتافنا فلا نبلغ فرسخاً حتى نقتل عن آخرنا، فإن نجا منا ناج أخذه الأعراب وأهل القرى فقتلوه صبراً، أو اخذوه أسراً فيدفعوه إليهم، ولكن نقاتلهم في يومنا هذا الى الليل، فإن أمسينا واختلط الظلام ركبنا خيولنا ومضينا، فإن تبعونا رجعنا عليهم وعزمنا على الموت، وإن لم يتبعونا مضينا ولا اظنهم يتبعوننا.

قال: ثم حمل أهل الشام باجمعهم على أهل العراق فقتلوا منهم جماعة، قال: وتقدم رجل من أهل الكوفة من كندة يقال له: عبد الله بن

عزيز ومعه ابن له صغير اسمه محمد، فوقف بين الصفين فنادى: ياأهل الشام! هل فيكم احدٌ من كندة؟ قالوا: نعم، ما تريد؟ قال: انا رجل من كندة وهذا ابني فخذوه إليكم، فإذا قتلت فابعثوا به إلى قومكم بالكوفة فإنه لا بد لي من القتال حتى أموت، فنادوه: ياعم! لا تقتل نفسك، هلم إلينا وانت آمن.

فقال الشيخ: لا واللّه، ماكنتُ لارغب عما نويت به، وقد عزَّ علي مصارع إخواني الذين كانوا للبلاد نوراً وللدين أركاناً، فجعل ولده يبكي، فقال الشيخ لابنه: يابني! واللّه، لو كان عندي شيء آثر من طاعة ربي، لكنت أنت، ولو كان رضا ربي في قتلك لقتلتك واللّه في طاعته، ثم تقدم للقتال وهو يقول:

قد علمت كندة من أعلامها ... أهل النهى ومن ذي أحكامها
أهل عراقها وأهل شامها ... بانني الليث لدى زحامها

وحمل فقاتل حتى قُتل (رحمه اللّه)، وصار ابنه الى الشام، وتقدم عبد اللّه بن عوف الأزدي إلى الراية فرفعها وقال: أيها الناس! قد بلغني عن قوم منكم يريدون الهرب في ليلتكم هذه، لا واللّه، لا يراني اللّه وأنا أولي ظهري عن هذا العدو، دون أن أرد مورد إخواني، لاني قد علمت أنه ليس في هذه الدنيا عوض عن الآخرة.

ثم دنا من صفوف أهل الشام ومعه جماعة من الأزد وحمير وهمدان، فقال أهل الشام: أنتم آمنون فلا تقتلوا أنفسكم، فقال لهم كريب بن زيد الحميري: ياهؤلاء! إنا كنا آمنين في هذه الدنيا، ولكنا خرجنا لطلب الأمان في الآخرة، ثم التفت الى أصحابه وقال: احملوا عليهم فإنكم بحمد اللّه

على بصيرة ويقين.

فحمل على أهل الشام، وحمل أصحابه وكانوا قريباً من مائتي رجل فلم يزالوا يقاتلون حتى قُتِلوا عن آخرهم؛ فتقدم صحير بن حذيفة المولى وكان من خيار أهل الكوفة وزهادهم ومعه نيف وثلاثون رجلاً من بني عمه، فقال: ياقوم! لا تهابوا الموت فإنه لا قيكم، ولا ترجعوا إلى الدنيا التي خرجتم منها فإنها لا تبقى لكم، ولا تزهدوا فيما دعيتم إليه من ثواب ربكم، فما عند اللّه خير وابقى، ثم حمل أمام قومه وهو يقول:

بؤساً لقوم قتلوا حسيناً بؤساً وتعساً لهم وحينا
ارضوا يزيد ثم لاقوا شيناً ولم يخافوا بغيهم علينا

فقاتل هو وقومه من عشيرته حتى قتلوا ولم يبق منهم إلاّ رجلٌ كان يقاتلهم بشدَّة يتقونه منها، فقالوا له: ويلك من أنت فقد أعجزتنا؟ فقال: الويل لكم أنا من بني آدم! وحمل عليهم وهو يقول:

إني الى اللّه من الذنب أفر ولا أبالي كلَّ ما كان قدر
أنوي ثواب اللّه فيما قد أثر واضرب القرن بمصقول بتر

ثم حمل عليهم فاحدقوا به فقُتِل، فعرفه رجل من أهل الشام وقال: ويحكم! هذا عبد اللّه بن عبيد الرافعي، فارس مزينة قاطبة.

قال ولما هجم الليل عليهم قام رفاعة بن شداد، فقال: ياأهل العراق! إنكم قد علمتم أنا وافينا هذا الموضع ونحن ثلاثة آلاف ومائة رجل، ووافانا أهل البصرة والمدائن في أربعمائة وسبعين رجلاً، وقد بقي منا سبعمائة رجل، فإن صبحنا القوم غداً فقاتلناهم لم يبق منا أحد، وإنما أنا رجل منكم، وقد أحببتُ ان ارزق الشهادة والحق بإخواني، وقد أبت المقادير ذلك، فهاتوا آراءكم وتكلموا بما عندكم.

فقال القوم: رأينا لك تبع، والرأي أن نتنحى من بين أيديهم، فإنه لا طاقة لنا بهم، وأُخرى أنهم عرفوا حربنا فلا يتبعونا، ونحن نرجوا ن يتحرك المختار فيكفينا إياهم بعد هذا، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم.

فعزموا على التنحي، ودفنوا قتلاهم ليلاً، وسووا عليهم الأرض كيلا يعرفوا وينبشون وتؤخذ رؤوسهم، ثم إنهم ساروا ليلاً وأصبح أهل الشام فلم يروا منهم أحداً، فأخبروا الحصين بن نمير فلم يبعث خلفهم أحداً، وكتب بذلك الى ابن زياد بالرقة، ورجعوا إلى الرقة، وسار أهل العراق حتى صاروا إلى قرقيسيا، فأخرج لهم زفر من الطعام واللحم وغيره مما يحتاجون إليه كما أخرج أوَّلاً، وأرسل إليهم الأطباء فداووهم من جراحاتهم، فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى استراحوا ثم ساروا الى هيت، وقد مات منهم جماعة، ثم خرجوا يريدون الكوفة فما بلغوها إلا وهم خمسمائة أو أقل، فخرج عبد الله بن يزيد الأمير، فعزاهم عن إخوانهم، وخرج إليهم المختار فعزاهم، وقال لهم: ابشروا فقد قضيتم ما عليكم وبقي ما علينا، ولن يفوتنا ما بقي منهم إن شاء الله، ولئن أخر الله لي الأجل لأخذتُ ثاركم وثار إخوانكم عن قريب، فلا تعجلوا فإن الله مع الصابرين.

ذكر
خروج المختار وقتله قتلة الحسين عليه السلام

قال: وعزل عبد اللّه بن الزبير عبد اللّه بن يزيد الأنصاري عن الكوفة وولى عبد اللّه بن مطيع العدوي، وذلك في شهر رمضان سنة خمس وستين يوم الخميس لثلاث بقين من الشهر فدخلَ قصر الامارة فلما كان من الغد نادى في الناس أن يحضروا المسجد الأعظم ،فحضروا، وفيهم المختار وجماعة من أصحابه الَّذين كانوا بايعوه فصعد ابن مطيع المنبر وحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال: ياأهل الكوفة! إن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني أميراً عليكم وأمرني بحياطة مصركم وجباية فيئكم، وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلاَّ برضا منكم، وأن أستن فيكم بسنة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفّان، فاتقوا اللّه عباد اللّه، واستقيموا ولا تخافوا وخذوا على أيد سفهائكم، وإن لم تفعلوا فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، فواللّه، لأقيمن إود المرتاب.

فالتفت المختار إلى من حوله من الشيعة فقال: إنَّ ابن مطيع قد تكلَّم بما سمعتم، فقوموا إليه وردوا عليه ولا تمهلوه، فقام السائب بن مالك الاشعري فقال: أيها الأمير! إنا قد سمعنا كلامك وما أمرك به أمير المؤمنين، ونحن لا نرضى أن تحمل عنا فيئنا؛ ولكن يكون في فقرائنا، فأما ما ذكرت من سيرة عمر وعثمان فإنا لا نقول فيهما إلاَّ خيراً غير أننا نحب أن تسير فينا بسيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فليس هو عندنا بدونهما فان فعلت ذلك وإلاَّ فلست عندنا بامير، ولا نحن لك برعية.

وتكلّم عامة الناس بمثل ما تكلم به السائب، وقالوا له وهو يتكلَّم: أحسنت أحسنت، فواللّه، لقد ذهبت بفضلها، وقالوا له بعد ذلك: أحسنت لا يعدمك المسلمون! ثم تكلَّموا، فقال ابن مطيع: ياهؤلاء! اسكتوا فإنا لا نسير بكم إلاّ بما تحبون، ثم نزل عن المنبر ودخل منزله، فأتاه أياس بن مضارب العجلي وهو صاحب شرطته، وقال: أصلح اللّه الأمير إن هذا الذي اعترض عليك في المسجد هو من رؤساء أصحاب المختار، ولست آمن المختار أن يخرج عليك في عملك هذا، ولكن ابعث إليه الساعة فإذا جاءك فاحبسه في سجنك حتى يستقيم أمر الناس، فإنه غير مامون على بليته، ومعه قوم من أهل مصرك هذا قد بايعوه سراً، وكأني به قد خرج عليك ليلاً أو نهاراً فخذ حذرك منه، فدعا ابن المطيع برجلين من أصحابه وهما: زائدة بن قدامة والحسين بن عبد اللّه الهمداني، فقال لهما: انطلقا إلى المختار فادعوه لي فجاءا إليه ودخلا عليه وسلّما، ثم قالا له: أجب الأمير يا أبا إسحاق! فإنه يدعوك لامر ندب فيه واحبَّ مشورتك، وغمزه زائدة بن قدامة وقرأ: ﴿وإذْ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك﴾الانفال/ ٣٠.

ففهم المختار فقال: ياغلام الق عليَّ ثوباً ثقيلاً فإني أجد في بدني رعدةً

شديدةً، ثم رمى بنفسه على فراشه، وقال: ارجعا إلى الأمير فأعلماه حالي وما أجد في بدني من هذه القرة[١].

فقال زائدة: أما أنا ففاعل ذلك ياأبا إسحاق، فقال المختار: وأنت ياأخا همدان فاعذرني عنده فإنه خير لك عندي، فقال: افعل ذلك إن شاء الله، ولا أبلغ الأمير عنك إلاَّ ما تُحب، وخرجا، فقال الهمداني إلى زائدة: قد علمت أنك الذي غمزته، وكان قد تهيأ أن يصير إلى الأمير، وأمر بإسراج دابته والرأي ما فعلت، والله، إنا لا ندري ما يكون منه، ولعله يخرج حداً فلا يبدأ إلاَّ بنا، ثم دخلا على الأمير فاخبراه بعلَّة المختار فصدقهما ونسي ذكر المختار.

وقيل: بل بعث للمختار ثلاثة، ثالثهم مروان بن سهل ـ وكان من خيار الشيعة ـ فهجموا عليه داره، ومروان يقرأ: ﴿وإذ يمكر بك الذين﴾ الآية، فسمعه المختار وعلم أنه مطلوب، فخرج من الدار ولم يقدروا عليه، وتوارى إلى أن خرج، قال: وجعل المختار يجمع أصحابه ويقول، تهاوا وكونوا على أهبة من الخروج والطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام، فيقولون: نحنُ على ذلك، فانهض متى شئت.

ثم اجتمعت الشيعة في منزل عبد الرحمن بن شريح الهمداني، وقالوا: إنا قد بايعنا هذا الرجل، وقد زعم أنَّ محمد بن الحنفيه هو الذي أرسله إلينا، ولسنا ندري أصادق هو أم كاذب؟ فلا عليكم أن تبعثوا إلى محمد بن علي فتخبروه، فإن رخص في اتباعه اتبعناه وإن نهانا اجتنبناه، فخرج جماعة وقدموا على محمد فسلموا عليه فقال: ما أقدمكم مكة في غير وقت الحج؟ قالوا: جئناك لمهمة، قال: أعلانية هي أم سر؟ قالوا: سراً!

---

(١) القرة: البردة الشديدة من المرض.

فتنحى معهم فتقدم إليه عبد اللّه بن شريح الهمداني ـ وكان من وجوه الشيعة في الكوفة ـ، فقال: جعلت فداك إنكم أهل بيت خصكم اللّه بالفضل، وأماط عنكم الجهل، وأكرمكم بفضل النبوّة، وعظم حقكم على هذه الأمة، فلا يجهل حقكم إلاّ مغبون، وقد أصبتم بأبي عبد اللّه الحسين عليه السلام، وهي مصيبة قد خصّ بها المؤمنون، وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيد الثقفي فذكر: أنه قد جاءنا من قبلك وأنك أرسلته إلينا ليطلب بدم الحسين، وهو مقيم بين أظهرنا من قبل قتل سليمان بن صرد وأصحابه، وقد بايعناه وعزمنا على الخروج معه، غير أنا أحببنا أن نستطلع رأيك في ذلك، فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه، وإن نهيتنا اجتنبناه.

فقال محمد بن الحنفية: أما ما ذكرت من الفضل الذي خصنا اللّه به فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وهو ذو الفضل العظيم، وأما ما ذكرت من مصيبة أبي عبد اللّه فإن ذلك كان في الزبر الأولى والذكر الحكيم، وهي ملحمة كُتبت عليه، وكرامة من اللّه أهداها إليه لكي يُضاعف له الحسنات ويرفع له الدرجات، وأما ماذكرت من أمر المختار فواللّه، لوددتُ أن اللّه انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، فودّعه القوم وخرجوا وهم يقولون: قد رضي بذلك، ولولا أنه رضي لكان نهانا.

وسار القوم فدخلوا الكوفة، وكان المختار قد علم بخروجهم فشقّ ذلك عليه، وخشي أن يأتوا من محمّد بما يخذل عنه الناس، فلما جاءوا سألهم المختار فقالوا: قد أمرنا باتباعك والخروج معك فقال: اللّه اكبر! أنا أبو إسحاق، أنا مبيد الفاسقين، وقاتل المحلّين، وأعلمتُ الشيعة بعضهم بعضاً بالخير الذي جاء من محمد، فلم يبق بالكوفة شريف ولا وضيع ولا عربي ولا مولى ممن يعرف بمحبة أهل البيت إلاّ بايعه سراً ما خلا عبيد اللّه بن

الحر الجعفي وإبراهيم بن مالك الأشتر، فلما بلغهما أن محمد بن علي قد رخص الشيعة بالخروج معه، أحب عبيد اللّه بن الحر أن يسبق إلى بيعته فجاء إليه وبايعه وتباطأ إبراهيم بن مالك.

فقال المختار لأصحابه: ما تقولون في ابن الأشتر؟ فقالوا: هو سيد قومه اليوم بهذا المصر، فإن ساعدنا على أمرنا رجونا القوة على عدونا، فإنه رجل شريف بعيد الصوت في قومه، ذو عدد في عشيرته وعزّ، قال: فصيروا إليه وكلموه بما نحنُ عليه من الطلب بدم الحسين عليه السلام، فإن فعل وإلاّ صرت إليه بنفسي، فخرج إليه جماعة فيهم: أبو عثمان النهدي؛ وعامر الشعبي؛ وأشباههما من ذوي العلم، وصاروا إلى إبراهيم فدخلوا عليه فادناهم وقربهم، ورفع مجالسهم وقال: ألكم حاجة فتكلَّموا رحمكم اللّه؟ فقال يزيد بن أنس النخعي وكان من الأبطال ـ: ياأبا النعمان! إنا قد أتيناك في أمرٍ نعرضه عليك، فإن قبلته كان الحظ فيه لك، وإن تركته فقد أدَّينا إليك النصيحة، ونحنُ نحبُّ أن تكون كلمتنا مستورة.

فتبسّم وقال: إنَّ مثلي لا تخاف غايلته، ولا تخشى سعايته، ولا يتقرب إلى سلطانه، باتباع مصائب إخوانه، وإنما يفعل ذلك الصغار لا ذوو الأخطار، فقولوا ما أحببتم، فقال يزيد: صدقت لعمري، إنا ندعوك لأمرٍ قد اجتمع عليه الملأ من إخوانك، ندعوك إلى كتاب اللّه وسنة رسوله، والطلب بدماء أهل البيت، وقتال المحلّين والدفع عن المستضعفين من آل رسول اللّه رب العالمين، ثم قال أحمد بن شميط البجلي نحواً من ذلك، فقام لهم إبراهيم: قد أجبتكم إلى الطلب بدماء أهل البيت على أنكم تولوني هذا الأمر، فقال يزيد: إنَّك واللّه، لاهلٌ لذلك، ولكنا بايعنا هذا الرجل ـ يعني المختار ـ لأنه قد جاءنا من عند أبي القاسم محمد بن علي، فهو

الأمير والمأمور بالقتال، وقد أمرنا بطاعته وليس إلى خلافه من سبيل، فسكت إبراهيم ولم يجبهم، فانصرفوا عنه وأخبروا المختار، فسكت ثلاثة أيام، ثم دعا بجماعة ممن يثق بهم وخرج بهم ليلاً حتى أتى منزل إبراهيم بن مالك الأشتر، فاستأذن عليه ودخل فأُلقيت له الوسائد، وأجلس ابراهيم المختار على فراشه، ثم تكلّم فحمد اللّه واثنى عليه، ثم قال: أما بعد ياأبا النعمان! فإنني إنما قصدتك في وقتي هذا لأنك سيدُ قومك اليوم في هذا المصر، ولعله قد بلغك أني لم أصر الى أحد في منزله أدعوه إلى هذا الأمر سواك، وهذا كتاب المهدي محمد بن علي الوصي، وهو خير أهل الأرض اليوم، وابن خيرها قبل اليوم، وهو يسالك أن تنصرنا وتؤازرنا حتى ناخذ بدم أخيه الحسين وولده وإخوته وشيعته، فإن فعلت فقد أصبت حظك وأُوتيت رشدك، وإن أبيت فهذا الكتاب حجة عليك وسيغني اللّه المهدي وشيعته عنك.

فقال إبراهيم: وأين الكتاب؟ فقال المختار: ياشعبي! ادفعه إليه، فقام الشعبي إلى إبراهيم وأعطاه الكتاب، ففضَّه وقرأه، فإذا فيه:

من محمد المهدي بن علي الوصي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر، سلامٌ عليك.

أما بعد فقد وجهتُ إليك بوزيري وأميني الذي ارتضيته لنفسي المختار ابن أبي عبيد الثقفي، وقد أمرته بقتال عدوي والطلب بدم أخي وأهل بيتي، فانهض معه بنفسك وقومك وعشيرتك، فإنك إن أطعتني وساعدت وزيري كانت لك عندي يدٌ عظيمة، ولك بذلك أعنَّة الخيل من كل جيش غازٍ وكل مصرٍ وكل منبرٍ وثغرٍ غلبت عليه من أرض الكوفة، إلى أقاصي الشام ومصر، ولك بذلك عليَّ الوفاء وعهد اللّه وميثاقه، وإن أبيت ذلك هلكت

هلاكاً لا تستقيله أبداً، والسلام على من اتبع الهدى.

فلما فرغ من قراءة الكتاب قال: ياأبا إسحاق! إني كتبتُ إلى محمَّد قبل اليوم وكتب إلي فما كان يكاتبني إلاَّ باسمه واسم أبيه، وقد أنكرت في هذا قوله: المهدي!، فقال: صدقت ياأبا النعمان! ذلك زمان وهذا زمان، فقال: ياأبا إسحاق! فمن يعلم أنَّ هذا كتاب محمد بن علي؟ فقام بضعة عشر رجلاً من الشيعة فقالوا: نشهدُ أنَّ هذا الكتاب من محمد بن علي إليك.

فقال إبراهيم: حسبي بهم شهوداً، ابسط يدك ياأبا إسحاق! فبسط المختار يده فبايعه إبراهيم، ثم دعا بأطباق فيها فاكهة كثيرة فأكلوا منها، ثم دعا بشراب من عسل وخل فشربوا منه، ثم قال إبراهيم: ياغلام! عليَّ بدواة وبياض، فأُحضرت، فقال: ياشعبي! اكتب لي أسماء هؤلاء الشهود؟ فقال الشعبي: وما تصنع بهذا رحمك الله؟ فقال: أُحبُّ أن تكون معي أسماؤهم، فكتب الشعبي أسماءهم ودفعها إليه، ثم قام المختار فخرج إبراهيم مشيعاً إلى باب الدار، ومضى المختار إلى منزله، ولما أصبح أرسل على الشعبي، وقال: قد علمت أنك لم تشهد البارحة بما شهد به أصحابي، لا أنت ولا أبوك شراحيل، فما منعكما من ذلك؟ فسكت الشعبي ولم يجب، فقال المختار: تكلم ياعامر! أترى أنَّ هؤلاء القوم الذين شهدوا البارحة على حق أم باطل؟ فقال الشعبي: لا والله، ياأبا إسحاق! ماأدري غير أنهم سادات أهل العراق ومشيخة أهل هذا المصر وفرسان الناس وكبراء العرب، فما أظن أنهم شهدوا إلاَّ بالحقِّ.

فتبسم المختار وقال: إنهم والله، لم يجدوا بدّاً من ذلك، وعسى الله أن يأتي بالفرج لاهل بيت نبينا على يدي، ثم انصرف الشعبي إلى منزله

واعتقد أنَّ الكتاب كان مزوراً وأنَّ المختار هو الذي كتبه.

وذكر أبو مخنف: أنَّ عامر الشعبي قال: كنت والله، متهماً لشهادتهم، غير أنه كان يعجبني الخروج معهم، وكنتُ أرى رأي القوم في قتال قتلة الحسين، وأُحِبُّ تمام الأمر، ولم أطلع المختار على ما في نفسي، وجعل إبراهيم يختلف إلى المختار كل ليلة وينصرف إلى أن اجتمعت آراؤهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ست وستين، فوطنوا أنفسهم على ذلك، وأقبل أياس بن مضارب العجلي إلى عبد الله بن مطيع ـ وهو صاحب شرطته ـ، فقال: إن المختار خارج عليك لا محالة فإن إبراهيم الأشتر قد بايعه سراً، واشتمل ديوانه على بضعة عشر ألف رجل ما بين فارس وراجل، فخذ حذرك! فأرسلَ ابن مطيع إلى قواده فجمعهم في قصر الامارة، ثم أخبرهم الخبر وقال: أُريدُ منكم ان يكفيني كل واحد منكم ناحيته التي هو فيها، فإن سمعتم الأصوات قد علت في جوف الليل فوجهوا إليهم الخيل واكفوني أمرهم.

فقالوا: نفعل ذلك أيها الأمير! ولا يهولنك أمر المختار، فإنما بايعه شرذمة قليلة من هؤلاء الترابية، وخرجوا منه، فصار عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس الهمداني إلى جبانة السبيع من همدان؛ وصار كعب بن أبي كعب الخثعمي إلى جبانة بشير؛ وصار زحر بن قيس إلى جبانة كندة؛ وصار شمر ابن ذي الجوشن الضبابي إلى جبانة سالم؛ وصار عبد الرحمن بن منقذ إلى جبانة الصيدائيين؛ وصار يزيد بن الحرث بن رويم الى جبانة مراد، وصار شبث بن ربعي الى السبخة، فنزل هؤلاء القواد في هذه المواضع من الكوفة يوم الأثنين من شهر ربيع الآخر، في الآلة والسلاح، وخرج إبراهيم ابن الأشتر ليلة الثلاثاء إلى المختار، وقد بلغه أنَّ تلك الجبانات شحنت بالخيل

والرجال، وانَّ الشرط قد احاطوا بالأسواق، فسار في مائة رجل من بني عمه عليهم الدروع قد ظاهروها بالأقبية، حتى إذا جاوز دار عمرو بن حريث الى دار سعيد ين قيس، ثم الى درب أُسامة استقبلهم أياس بن مضارب العجلي صاحب الشرطة في نفر من أصحابه وفي أيديهم السلاح والحراب، فقال: من هؤلاء؟ فقال له إبراهيم: نحن هؤلاء، فامض لشانك! فقال أياس: وما هذا الجمع الذي معك يابن الاشتر؟ فوالله، إنَّ أمرك لمريب، وقد بلغني أنك تمرُّ هاهنا في كل ليلة بجمعك هذا، فوالله، لا تزايلني حتى آتي بك إلى الأمير عبد الله بن مطيع فيرى فيك رأيه، فقال إبراهيم: خل ويحك سبيلنا وامض لشانك، أنت تمضي بي الى الامير، ياماص بضر أمه[1]؟ قال: نعم! فقال إبراهيم: ياعدو الله! الست من قتلة الحسين بن علي؟ ثم التفت إلى رجل من اصحاب أياس يكنى ابا قطن الهمداني، فتناول رمحه من يده وطعن أياس طعنةً في صدره نكسته عن فرسه، ثم قال لاصحابه: انزلوا فخذوا رأسه، فنزل بعض أصحابه فاحتز راسه، ومر اصحاب أياس هرباً على وجوههم، واتى إبراهيم الى المختار فقال: قم أيها الامير! فقد كنا عزمنا على أن نخرج ليلة الخميس، وقد حدث امرٌ فلابدَّ معه من الخروج الساعة، فقال المختار: وما الامر رحمك الله؟ فحدَّثه الحديث، فقال المختار: بشرك الله بخير فهذا اوَّل الظفر.

ثم صاح المختار برجل من أصحابه فقال: ياسعيد بن منقذ! قم فاشعل النار في هراوي[2] القصب، وقم انت ياعبد الله بن شداد! فناد في الأزقَّة: يامنصور امت![3]، وقم انت ياسفيان بن ليلى فناد في الناس بها، وقم انت

(١) البظر: الفرج ـ فهي كلمة تقولها العرب إستحقاراً.
(٢) الهراوى: أعواد القصب وغيره المجموعة كالاطنان.
(٣) يامنصور امت: شعار في الحرب للنبي وعليٍّ (عليهما السلام).

ياقدامة بن مالك! فناد في الناس: يالثارات الحسين بن علي! ثم قال: ياغلام! عليَّ بدرعي وسلاحي، فصب الدرع على بدنه وهو يتمثل بقول مروان بن الحكم:

قد علمت بيضاء حسناءُ الكلل واضحةُ الخدين عجزاء الكفل

إني غداة الروع مقدام بطل لا عاجز فيها ولا وغد فشل

ثم خرج المختار من منزله على فرس له أدهم أغرّ محجَّل ومعه إبراهيم على كميت له أرثم[1] وقد رفعت بين أيديهم النيران في هراوي القصب، والناس ينادون من كل ناحية وجانب: يالثارات الحسين! فاجتمع الناس الى المختار من كل جهة، وجاءه عبيد الله بن الحر في قومه وعشيرته، وجعل إبراهيم بن مالك يدخل السكك التي فيها الأُمراء والقواد والجند الكثير، فيهجم عليهم هو والمختار وعبيد الله بن الحر، فيكشفونهم مرَّةً بعد أُخرى، والمختار يقول: اللّهم! إنَّك تعلم أنا إنما غضبنا لأهل بيت نبيك فانصرنا على من قتلهم وظلمهم، وتمم لنا دعوتنا إنَّك على كل شيء قدير.

فبينا هم كذلك وإذا بسويد بن عبد الرحمن من أصحاب عبد الله بن مطيع قد أقبل في خيل عظيمة وجحفل لجب، فنظر إليهم إبراهيم، وقال للمختار: مكانك أيها الأمير! ذرني وهؤلاء، ثم نادى إبراهيم في أصحابه: ياشرطة الله! اليَّ اليَّ، فأحاط به قومه من قبائل مذحج والنخع، فقال لهم: انزلوا عن دوابكم فأنتم أولى بالنصر والظفر من هؤلاء الفساق الذين خاضوا في دماء آل محمَّد صلى الله عليه وآله، فنزل القوم ونزل معهم إبراهيم، ثم دنوا من القوم فطاعنوهم وضاربوهم فهزموهم حتى بلغوا بهم الى الكناسة، فاستوى إبراهيم وأصحابه على دوابهم، وجاءوا إلى المختار على مسجد

(١) الارثم: الفرس الذي في طرف انفه بياض.

الأشعث بن قيس، ثم على مسجد جهينة، ثم بلغوه فرأوا شبث بن ربعي وحجار بن أبجر قد أقبلا بأصحابهما نحو المختار، فكبر إبراهيم وأصحابه تكبيرةً واحدةً وحملوا عليهم، فاشتدَّ القتال وكثرت القتلى من أصحابهما ثم انهزما بجنديهما حتى تفرقوا بالأزقة والسكك، ثم أقبل أبو عثمان النهدي في بني نهد، وبيده راية صفراء، وهو ينادي: يالثارات الحسين بن علي! إليّ إليّ أيها المهتدون! فثاب إليه الناس من كلِّ ناحية، فحمل على أصحاب عبد اللّه بن مطيع فاشتدَّ القتال، ولم يزل الناس في تلك الليلة الداجية المسدولة أطرافها في قتال شديد وحرب وطعن، حتى لقد نسوا واللّه فيها ليلة الهرير بصفين إلى أن أصبحوا، فنظر المختار إلى عمود الفجر قد طلع، فنادى في أصحابه وخرج بهم عن الكوفة حتى نزل في ظهر دير هند مما يلي بستان زائدة في السبخة.

٨ ـ وروى أبو مخنف: عن الوالبي؛ وحميد بن مسلم؛ والنعمان بن أبي الجند، أنهم قالوا: أتينا المختار في معسكره فصلّى بنا الفجر بغلس فقرأ بنا: ﴿والنازعات غرقاً﴾، و﴿عبس وتولى﴾ فما سمعنا واللّه إماماً قط أمَّ قوماً بأفصح لهجة منه، والتأم قومه هنالك وجاؤا أفواجاً إليه من النواحي والجوانب على كل صعب وذلول، وعبد اللّه بن مطيع يوجه إلى نحوه الزحوف كردوساً كردوساً، فأولهم زحف شبث بن ربعي في أربعة آلاف؛ ثم راشد بن أياس بن مضارب العجلي في ثلاثة آلاف؛ ثم حجار بن أبجر في ثلاثة آلاف؛ ثم الغضبان بن القبعثري في ثلاثة آلاف؛ ثم شمر بن ذي الجوشن في ثلاثة آلاف؛ ثم عكرمة بن ربعي في الف؛ ثم شداد بن المنذر في الف؛ ثم عبد الرحمن بن سويد في الف، واجتمع أصحاب المختار فكانوا عشرين الفاً أو يزيدون، واشرف رجل من أصحاب المختار على حائط

من حيطان الكوفة، فجعل ينظر في هذه العساكر، فقوم صلوا وقوم لم يصلوا بعد، وإذا إمام القوم يقرأ بهم سورة: ﴿إذا زلزلت﴾، فقال: أرجوا أن يزلزل اللّه بكم الأرض سريعاً. ثم قرأ: ﴿والعاديات﴾، فقال: ارجوا أن تكون الغارة عليكم سريعاً.

قال: وأقبل مسعر بن أبي مسعر الحنفي إلى المختار فقال: أيها الأمير! وافتك العساكر يتلو بعضها بعضاً مستعدين للحرب عازمين على الموت فاصنع ماأنت صانع.

فقال له المختار: لا تخف ياأخا حنيفة! فإن اللّه تعالى كاسر شوكتهم وهازمهم الساعة، وأصحرت العساكر إلى المختار، فكان كلما نظر إلى قائد من قواد ابن مطيع وجه إليه قائداً من قواده بمثل قوته وعدده، فاشتدَّ القتال وعلت الأصوات وارتفع الغبار، فجعل إبراهيم يحمل من ناحية؛ وعبيد اللّه بن الحر من ناحية أُخرى، والمختار تارة يحرض على القتال ويشجع الأبطال، وتارةً يحمل بنفسه على الرجال، حتى إذا كان وقت الضحى انهزم أصحاب ابن مطيع هزيمة شنيعة، وقتل منهم جماعة فصاح شبث بن ربعي: ويلكم ياحماة السوء! أتنهزمون من عبيدكم وأراذلكم؟ فتراجع الناس واقتتلوا ساعةً، ثم انهزموا ثانياً حتى دخلوا أزقَّة الكوفة، فوقف المختار على أفواه السكك، وأمر أصحابه بالنزال والقتال، فاقتتلوا هناك قتالاً لم يسمع بمثله، وجعل السائب بن مالك الأشتر اخو إبراهيم يصيح: ياشيعة آل محمد! إنكم كنتم قبل اليوم تقطع أيديكم وأرجلكم من خلاف وتسمل أعينكم، وتصلبون أحياء على جذوع النخل، وأنتم إذ ذلك في منازلكم لا تقاتلون أحداً من هؤلاء، فما ظنكم بهم اليوم بعد هذا القتل، فهم لو ظهروا عليكم ماذا يفعلون بكم؟ فاللّه اللّه، في أنفسكم وأولادكم وأهاليكم،

قاتلوا أعداء اللّه المحلّين فلا ينجيكم اليوم إلاّ الصدق واليقين والطعن الشزر، والضرب الهبر، ولا يهولنكم ما ترون من عساكرهم فإنّ النصر مع الصبر.

فلما سمع أصحابه ذلك رموا بأنفسهم عن دوابّهم وجثوا على الركب، وأشرعوا الرماح وجرّدوا الصفاح وفوّقوا السهام، فثار القتال، واصطفقوا بالسيوف اصطفاقاً، وتشابكوا مع الأعداء اعتناقاً، وصبر بعضهم لبعض، فقتل من الفريقين جماعة، ثم انهزم أصحاب ابن مطيع، فاقتحم المختار الكوفة، فتصايحت النسوان وعلت الأصوات بطلب الأمان، من العجائز والصبيان، من فوق السطوح وكل مكان، ونادوا: يا أبا إسحاق! اللّه اللّه في الحرم، فصاح المختار: لا باس عليكم الزموا منازلكم، فأنا المسلط على المحلين. وجعل عبد اللّه بن مطيع يصيح: إنّ من العجب عندي عجزكم عن عصبة منكم قليل عددها، خبيث دينها، ضالة مظلّة، يقاتلون على غير الحقّ، جراةً على هذا الخلق، كرّوا عليهم وامنعوا حريمكم ومصركم.

فبينا هو يحرض أصحابه ويشجعهم إذ بإبراهيم وعبيد اللّه بن الحر قد أقبلا في نحو أربعة آلاف فارس لا يرى منه إلاّ الحدق، فلما نظر إبراهيم إلى ابن مطيع صاح: أنا ابن الاشتر، أنا الافعى الذكر، ثم قال لأصحابه: شدّوا عليهم، فداكم أبي وخالي، ولا يهولنكم اسماء قوادهم شبث وحجار وسويد وفلان وفلان فواللّه، لو أذقتموهم شبا الرماح؛ وحد الصفاح؛ لما وقفوا لكم أبداً، احملوا عليهم فداكم أبي وأُمي. وحمل فتبعه ابن الحر وتبعه المختار وتبعه أصحابه معهم، حملةً واحدةً فانهزم أصحاب عبد اللّه بن مطيع الى باب المسجد الجامع، ودخل عبد اللّه وغلمانه وحشمه وخواص أصحابه قصر الامارة وأغلقوا بابه.

قال أبو مخنف: إنَّ رؤساء أهل الكوفة والقواد دخلوا معه القصر، غيرعمرو بن حريث فإنه فرَّ إلى البادية فما عرف له أثر، ولما أُغلق باب القصر تفرق الناس إلى منازلهم هاربين، وأقبلت أهل الخيل الى القصر فاحاطت به، فقال عبد الله بن مطيع: أيها الناس ربما غلب أهل الباطل على أهل الحق، فقد ترون غلبة المختار علينا فاشيروا برأيكم.

فقال له شبث بن ربعي: الراي أن تاخذ لنفسك من هذا الرَّجل أماناً ثم تخرج ونخرج معك بأمانك، وإلاَّ دام الحصار علينا في القصر ولم يشعر بنا احد، فقال ابن مطيع: ويلٌ لك ولرايك السخيف! أآخذ لنفسي أماناً وأُمور أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير مستقيمة بالحجاز وأرض البصرة والشرق عن آخرها؟ فقال شبث: أيها الأمير! فاخرج من القصر ولا يشعر بك أحد، وصر إلى من تثق به من أهل هذا المصر فتنزل عنده أياماً حتى يسكن شرُّ المختار وشر أصحابه فتخرج أنت وتلحق بصاحبك، ووافقه على هذا الرأي عامة من كان عنده من الرؤساء.

فعزم ابن مطيع على ذلك، فلما جاء الليل جمع ابن مطيع أصحابه وقال لهم: إني رأيت أن أخرج من هذا القصر، فلا يتبعني أحد، ثم خرج متنكراً في زي امرأة، فاخذ على درب الروميين حتى صار إلى دار أبي موسى الأشعري فدخلها، وعلم به آل أبي موسى فآووه وكتموا عليه أمره، وأصبح من كان في القصر من أصحابه يضجون ويطلبون الأمان، فأعطاهم إبراهيم الأمان فخرجوا بالأمان إلى المختار فبايعوه وأخبروه بخروج ابن مطيع، فقال المختار: وما علينا من ابن مطيع؟ ذاك رجلٌ كان بالكوفة أميراً فلم يجد بداً من القتال. ثم نادى المختار في الناس، فأعطاهم الأمان وبايعه الناس أجمعون، ثم فتح بيت مال الكوفة فوجد فيه تسعة آلاف درهم

ففرقها على النَّاس وحبس عنده ألف ألف درهم.

وذكر أيضاً أبو مخنف: أنَّ المختار سمع صوتاً عالياً يناديه ويقول:

امنن على اليوم ياخيرَ معد وخير من حلَّ بشحر والجند
وخير من زكى وصلّى وسجد بعد الرَّسول والوصي المعتمد

فسأل عنه، فقالوا: من السجن، فأحضره فإذا هو سراقة بن مرداس وكان قاتل قتالاً شديداً فحبس، فلما مثل بين يديه قال:

الا أبلغ أبا إسحاق إنا نزونا نزوةً كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئاً فكان خروجنا بطراً وحينا
لقينا منهم ضرباً طلحفي[1] وطعنا مكبداً حتى انثنينا
نصرت على عدوك كل يوم بكل كتيبة تنعى حسينا
كنصر محمَّدٍ في يوم بدر ويوم الشعب إذْ وافى حنينا
فاسجح إذ ملكت فلو ملكنا لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبَّل توبةً مني فإني ساشكر إذْ جعلت النقد دينا

قال: فعفا عنه، وهذا سراقة هو الذي قال للمختار: رأيتُ الملائكة يقاتلون معك، فقال له المختار: كذبت ياعدو اللّه! اخرج من الكوفة إلى أي بلدٍ شئت ولا تساكني في الكوفة، فخرج إلى البصرة.

قال: ثُمَّ نادى المختار: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس في المسجد، وخرج المختار من قصر الامارة إلى المسجد فصعد المنبر، وقال:

الحمدُ للّه الذي وعد وليّه بالنصر والظفر، وكتب لعدوه الخسر والخذل والختر، وجعل ذلك إلى آخر الدهر قضاءً مقضياً. ووعداً مأتياً، وقولاً

(١) الطلحفي: الضرب الشديد.

مقبولاً، وأمراً مفعولاً، وقد خاب من افترى، أيها الناس! إنَّه قد مدت لنا غاية، ورفعت لنا راية، فقيل لنا في الراية: أن ارفعوها ولا تضعوها؛ وفي الغاية: أن خذوها ولا تدعوها، فسمعنا دعوة الداعي، وقبلنا قول الراعي، فكم من باغٍ وباغية، قتل في الواغية، ألا بعداً لمن طغى، وجَحَد وبغى، وادبر وعصى وكذب وتولّى، ألا فهلمّوا عباد اللّه إلى بيعة الهدى، ومجاهدة الأعدا، والذبّ عن السعدا، من آل محمَّد المصطفى.

فأنا المسلّط على المحلّين، والطالب بدم ابن بنت الرسول الأمين، أما ومنشئ السحاب، شديد العقاب، سريع الحساب، منزل الكتاب، العزيز الوهاب، القدير الغلاب، لأنبشنَّ قبر ابن شهاب، المجتري الكذاب، المفتري المرتاب، ولأنفين الأحزاب، إلى بلد الأعراب.

أما والذي جعلني بصيراً، ونور قلبي تنويراً، لأحقرن بالبصرة دوراً، ولأنبشنّ بها قبوراً، ولأشفين بها صدوراً، ولأقتلن بها جباراً كفوراً، ملعوناً غدوراً، وكفى باللّه نصيراً. أما ورب الحرم، والبيت المحرم، والركن المستلم، والمسجد المعظم، ونون والقلم ليرفعن عن قريب لي علم، من الكوفة إلى ذي سلم، من العرب والعجم ولأتخذنَّ من تميم أكثر الاماء والخدم.

ثمَّ نزل عن المنبر فصلّى بالناس ودخل قصر الامارة فدخل إليه الناس يبايعونه على كتاب اللّه وسنَّة رسوله، والطلب بدماء آل محمَّد (صلّى اللّه عليه وعليهم وسلّم)، وهو يقول: تقاتلون من قاتلنا، وتسالمون من سالمنا، والوفاء عليكم ببيعتنا، لانقيلكم ولا نستقيلكم، حتى بايعه العرب والموالي على ذلك، واتصل المختار: انَّ عبد اللّه بن مطيع في دار آل أبي موسى الأشعري، فدعا عبد اللّه بن كامل ليلاً ودفع إليه عشرة آلاف درهم وقال

له: ادخل على عبد اللّه بن مطيع فاقرأه مني السلام، وقل له: يقول المختار: قد علمت بمكانك وليس مثلي يسيء إلى مثلك، وقد وجهت إليك بما تستعين به على سفرك فخذه والحق بصاحبك، فخرج عبد اللّه بن مطيع في جوف اللّيل. واستحى أن يصير إلى مكة من حيث عبد اللّه بن الزبير، فصار إلى البصرة وبها يومئذ مصعب بن الزبير من قبل أخيه، وخرج عمرو بن الحجاج الزبيدي هارباً إلى البادية لأنه كان ممن شهد قتال الحسين فلا يدري أخسفت به الأرض أم حصبته السماء، ثم نادى المختار: من أغلق بابه فهو آمن إلا من شرك بدم الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، واحتوى المختار على الكوفة، فعقد لأصحابه، وولاهم البلاد من: ارمينية؛ وآذربيجان؛ وإلران؛ وماهان إلى الري؛ وأصفهان؛ وجعل يجبي خراج البلاد، وكان محمد بن الأشعث الكندي عاملاً على الموصل من قبل ابن الزبير، فلما قدم عامل المختار عليه لم تكن لابن الأشعث طاقة، فخرج عن الموصل هارباً إلى تكريت ونزلها وكتب إلى عبد اللّه بن الزبير بذلك، فكتب إليه يعيره بهربه عن الموصل.

وبلغ المختار أنَّ محمد بن الأشعث بتكريت، فدعا ابنه عبد الرحمن ابن محمد وقال له: أنت في طاعتي، وأبوك في طاعة ابن الزبير، ماالذي يمنعه من المصير إليَّ والدخول في طاعتي؟ اما واللّه، لقد هممت أن أوجه إليه من يأتيني به قبل ثلاث فافعل به ما اضمره له في قلبي، أوليس هو من قتلة الحسين؟ أوليس هو الذي قال للحسين يوم كربلاء: وأي قرابة بينك وبين محمد؟ فقال له عبد الرحمن: أعزَّ اللّه الأمير أنا أخرج إليه بإذنك، فآتيك به شاء أو لم يشأ، ولا قوَّة إلاّ باللّه.

فاذن له المختار فخرج حتى قدم تكريت ودخل على أبيه فقال له:

ماوراءك يابني؟ فقال له: ورائي إنَّ هذا الرجل ظهر على الكوفة وسائر البلاد، وقد استوسق له الامر وأطاعه الناس جميعاً، وقد سال عنك وذكرك واخافُ أن يبطش بقتلة الحسين، فلم يغادر منهم أحداً، وأنت ممن أساء الى الحسين، وليس جلوسك هنا بشيء، لانه ليس معك جيش تمتنع به، وأنت بالكوفة أعزّ منك هنا.

فتبسم محمد وقال: يابني! إني قد علمت بانك لم تأتني وتعرض عليَّ هذا الرأي إلاَّ خوفاً من المختار، ثمَّ التفت إلى من كان عنده فقال: إنَّ ابني هذا له نخل بالكوفة على شاطئ الفرات، وإنما يريد أن أكون بالكوفة حتى يأمن هو في نخله وماله، ولا يضره ما يفعل بابيه، وأنا لست أُبالي بذلك النخل، كان أو لم يكن، ولم يزل عبد الرحمن يلينُ لأبيه تارةً ويشتدُّ تارةً، ويرغبه تارةً ويخوفه أُخرى حتى أجابه إلى ما أراد، وقدم معه الكوفة، ودخل على المختار وسلّم عليه؛ فقربه وأدناه ومنّاه. وجعل المختار يجلس غدوة وعشية فيقضي بين الخصمين بنفسه فإذا أعاقه عائق أمر شريحاً أن يجلس فيقضي، فقال له الناس: إنه عثماني الرأي، وأنه شهد على حجر بن عدي، وأنه لم يبلغ عن هاني بن عروة ما أرسله به إلى قومه، وأنه كان عليٌّ عليه السلام قد عزله عن القضاء، فخافهم شريح فتمارض، فجعل المختار مكانه عبد اللّه بن عتبة بن مسعود فمرض، فجعل مكانه عبد اللّه بن مالك الطائي واحب الناس المختار حباً شديداً ودر له حلب البلاد وحمل إليه الخراج من جميع عماله.

ثم إن المختار أرسل الى وجوه أصحابه فجمعهم عنده وقال: إنه واللّه، إني ليس يسوغ لي الطعام ولا أُحِبُّ أن أُروى من الماء وقتلة الحسين بن علي أحياء يمشون في الارض، وقد استوسق لي الامر؛ وأطاعني الناس بسببهم،

ولست واللّه بالناصر لآل محمد إن لم أطلب بدمائهم، وأقتل من قتلهم، وأذلُّ من جهل حقهم، وانتهك حرمتهم، فسمّوهم لي؛ لعليّ أن أطهر البلاد منهم، فجعل أصحابه يسمونهم رجلاً رجلاً، ويذكرون ما فعلوا، وجعل يؤتى بهم فمنهم من يقطع يديه، ومنهم من يقطع رجليه، ومنهم من يقطع رجله ويده، ومنهم من يسمل عينيه أو يقلعهما، ومنهم من يجدع أنفه، ومنهم من يقطع لسانه وشفتيه، ومنهم من يضربه بالسياط حتى يموت، ومنهم من يقطعه بالسيوف إرباً إربا، ومنهم من يضرب عنقه صبراً، ومنهم من يحرقه بالنار، ومنهم من يسلخ جلده، فلم يزل كذلك حتى قتل منهم مقتلةً عظيمةً.

وروى أبو مخنف: أنَّ سعد الحنفي دله على زياد بن مالك؛ وعمران ابن خالد؛ وعبد الرحمن البجلي؛ وعبد اللّه بن قيس الخولاني؛ وكانوا من المحلِّين، ومن جملة قتلة الحسين، فبعث إليهم عبد اللّه بن كامل فجاء بهم إليه، فقال لهم المختار: ياقتلة سيد شباب أهل الجنَّة! الا ترون اللّه قد آقاد منكم؟ فقد أصاركم الورس، إلى يوم نحس، وكانوا قد نهبوا الورس الذي مع الحسين، ثم أمر بهم أن يخرجوا إلى السوق، وتضرب أعناقهم، وأتى قوم من أعوان المختار إلى دار خولي بن يزيد الأصبحي فاقتحموها ودخلوا وكان خولي هو الذي احتزَّ رأس الحسينعليه السلام، وكانت له امرأة يقال لها: العيوف بنت مالك الحضرمي، وهي التي خاصمته إذ أدخل رأس الحسين عليها، فلما نظرت إلى أصحاب المختار قد دخلوا دارها قالت: ماشأنكم وما تريدون؟ فقال أبو عمرة صاحب شرطة المختار: لا بأس عليك نريد زوجك أين هو؟ قالت: لا أدري! وأشارت بيدها إلى المخرج فدخلوا عليه فإذا هو جالس وعلى رأسه قوصرة، فأخذوه وأتوا به إلى المختار فقالوا له: أيها

الأمير! هذا خولي الذي احتزَّ رأس الحسين.

فأمر به المختار فذبح بين يديه، ثم أمر بجسده فأُحرق بالنار، ثم أُتي برجلٍ يقال له: بجدل بن سليم الكلبي وأُدخل على المختار فقيل له: أيها الأمير! هذا بجدل الذي أخذ خاتم الحسين وقطع أصبعه، فقال المختار: اقطعوا يديه ورجليه وذروه يتشحط بدمه ففعل به ذلك، وجيء ذلك اليوم بستة نفر وهم الذي نهبوا مال الحسين، فأمر بهم فسلخت جلودهم وهم أحياء.

وذكر أبو مخنف: أنَّ المختار بعث إلى الحكيم بن الطفيل الطائي وهو الذي أصاب سلب العباس بن علي ورمى الحسين بسهم فتعلَّق بسرباله، فكان يقول: إنَّ السهم تعلق بسرباله وما ضرَّه، فقال له المختار: لنرمينك بنبال تتعلق بثوبك، فانظر هل يضرُّك ما تعلَّق؟ فرموه بنبال حتى سقط ميتاً.

مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص

٩ـ وذكر السيد أبو طالب، والامام محمد بن إسحاق، والإمام أحمد بن أعثم الكوفي، والإمام عبد الكريم، وكلّ واحد منهم ذكر زيادة على صاحبه، فدخل حديث بعضهم على بعض، قالوا: إنَّ المختار كان قد أمِن عمر بن سعد بشفاعة عبد اللّه بن جعدة بن هبيرة المخزومي، لأنه كان أكرم خلق اللّه على المختار، لصهره وقرابته من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال محمد بن إسحاق: كان عمر ختن المختار على ابنته، وقال الباقون: كان ختنه على أُخته، فكتب محمد بن الحنفية للمختار: إنَّك ذكرت أنك قتلت قتلتنا، وطلبت بثارنا، وقمت بأمرنا كيف ذاك؟ وقاتل الحسين عندك يغدو ويروح وهو عمر بن سعد؟

فقال المختار حين قرأ الكتاب: صدق واللّه، ثمَّ إنَّ المختار تحدَّث فقال: لأقطعنَّ واللّه، غداً رجلاً عظيم القدمين، غائر العينين، مشرف الحاجبين، من قتلة الحسين، يسرُّ بقتله المؤمنون والملائكة المقرَّبون، وكان الهيثم بن الأسود عنده، فلما سمع هذا الكلام، علِم أنه أراد عمر بن سعد فخرج وبعث بابنه إليه وقال له: قل له خذ حذرك فإنَّ المختار اليوم قال: كذا وكذا، وهو واللّه، لا يريد غيرك.

فقال له عمر: جزى اللّه أباك خيراً، كيف يريدني بهذا وقد أعطاني من العهود ما أعطاني؟ فلم يبرح من منزله، فدخل حفص بن عمر بن سعد على المختار فاجلسه إلى جنبه ودعا أبا عمرة فاسرَّ إليه: أن سر إلى عمر بن

سعد وقل له: أجب الأمير! فإن أتى معك فجيء به، وإن قال: ياجارية! هاتي ردائي، وياغلام! هات طيلساني، فاعلم أنه يدعو لك بالسيف، فاقتله وأتني براسه، فلم يشعر عمر بن سعد إلاّ وأبو عمرة رئيس شرطة المختار قد وافاه في أعوانه، فبقي متحيراً، ثم قال: ما شانكم؟ فقالوا: أجب الأمير! قال: إن الأمير قد علم بمكاني وقد أعطاني بالأمان، وهذا أمانه عندي قد أخذه منه لي ابن جعدة، وقد كتبه الأمير لي. فأُتي به وفيه:

بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم هذا أمان المختار بن أبي عبيد الثقفي لعمر بن سعد بن أبي وقاص، إنك آمن بأمان اللّه على نفسك وأهلك ومالك وولدك وأهل بيتك لا تؤاخذ بحدث كان منك قديماً، ما سمعت وأطعت ولزمت منزلك، إلاّ أن تحدث حدثاً جديداً، فمن لقي عمر بن سعد من شرطة اللّه وشيعة آل محمد فلا يعرض له إلا بسبيل خير، وشهد السائب بن مالك الأشتر؛ وأحمد بن شميط البجلي؛ وعبد اللّه بن كامل الهمداني؛ وعبد اللّه ابن شداد اليحصبي؛ ويزيد بن أنس الأسدي؛ وفلان؛ وفلان؛ وفلان؛ كلّهم شهدوا بالعهد والميثاق والأمان لعمر ابن سعد وولده إلا أن يحدث حدثاً جديداً وكفى باللّه شهيداً.

فقال له أبو عمرة: صدقت واللّه، ياأبا حفص! قد كنا حضوراً عند الأمير يوم كتب لك الأمان، غير أنه يقول إلاّ أن يحدث حدثاً، ولعمري، لقد دخلت المخرج مراراً، وأحدثت أحداثاً كثيرة، وليس مثل المختار من يغدر، ولكن عنى هذه الأحداث وليس ينبغي أن يعفو عنك بعد قتلك ابن رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فاجبه لعلّه يدعوك لغير هذا.

قال: فإني أفعل، ياغلام! هات طيلساني واعجل، فقال له أبوعمرة: ياعدو اللّه! ألمثلي يقال هذا؟ واستلّ سيفه فضربه ضربةً على رأسه فسقط على

قفاه فقال لأعوانه: خذوا راس عدو اللّه، فأخذوا راسه فجاء به حتى وضعه بين يدي المختار، وابنه حفص واقف بين يدي المختار، وهو ابن أُخته في رواية الجماعة أو سبطه في رواية محمد بن إسحاق، فقال المختار: أتعرف هذا الرأس ياحفص؟ قال: نعم، هذا رأس أبي ولا خير لي في العيش بعده.

وفي رواية عبد الكريم بن حمدان: انَّ أبا عمرة لما قتل عمر أسَرَ ابنه حفصاً، وجاء به إلى المختار مع الرأس فقال: الحقوا حفصاً بأبيه، فقال: أيها الأمير! ما شهدت كربلاء؟ قال: لا، ولكنك تفتخر بانَّ أباك قتل الحسين، فواللّه، لا تعيش بعده، فضربت عنقه صبراً، ثمَّ وضع الرأسين بين يديه وقال: هذا بالحسين وهذا بعليّ، ولا سواء وربّ الكعبة، ثم صلب جسديهما منكسين، وصبَّ عليهما النفط فأحرقا، ووجّه بالرأسين إلى المدينة، ومعهما ثلاثون ألف دينار، وكتب إلى محمد ابن الحنفية:

بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ـ للمهدي محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد الثقفي، سلام عليك، أما بعد: فإن اللّه تبارك وتعالى جعلني نعمة لأوليائكم ونقمة على قاتليكم وأعدائكم، فهم من فضل اللّه العزيز الحكيم بين قتيل وأسير وشريد وطريد، فنحمد اللّه على ذلك أيها المهدي حمداً يستوجب منه المزيد في العاجلة، والمغفرة والرحمة في الآجلة؛ وقد وجهت إليك برأسي عمر بن سعد وحفص بن عمر وقد قتلت ممن شرك في دم الحسين وأهل بيته من قدرت عليه ولن يعجز اللّه من بقي منهم، ولست ألتذّ بالمنام، ولا يسوغ لي الطعام، ولا يطيب لي الشراب ولا يبقى أحدٌ ممن شرِك في دماء أهل بيتك، وأنا أرجو أن يقتل اللّه عبيد اللّه بن زياد واصحابه المحلِّين على يدي؛ وقد وجهت إليك بثلاثين الف دينار، لتفرقها على من أحببت من أهل بيتك، واكتب إلي برأيك فيما أحببت حتى أتبعه، والسلام.

ثم دفع الكتاب والرأسين والمال الى مسافر بن سعيد الهمداني؛ وابن عمارة التميمي؛ وضمَّ إليهما عشرين رجلاً ووجّه بهما إلى محمد بن الحنفية وهو يومئذ بمكة، فبينا هو جالس في نفر من شيعته يتحدث ويقول: الا ترون إلى المختار يزعم: أنَّه من شيعتنا وأنه يطلب بدم الحسين! وقتلة الحسين عن يمينه وشماله على الكراسي يحدثونه؟ وقد بلغني عن عمر بن سعد وابنه حفص يروحان ويغدوان عليه، فما أتم كلامه إلا وكتاب المختار مع الرأسين والمال قد وافاه ووضع بين يديه، فقرأ الكتاب وحوَّل وجهه إلى القبلة وخرَّ ساجداً، ثم رفع رأسهُ وبسط كفيه وقال: اللّهم! لا تنس هذا للمختار، وأجزه عن أهل بيت نبيك أفضل الجزاء.

ثم أخذ بعض المال وفرَّقه في مكة، وأرسل الباقي إلى المدينةففرق في أهل البيت وغيرهم من المهاجرين والأنصار، ولما أحرق المختار الجسدين وبعث بالرأسين أمر بإحراق داري عمر بن سعد وابنه حفص فأُحرقا جميعاً.

١٠ـ وذكر أبو مخنف في تاريخه الكبير: أنَّ عبد اللّه بن دباس جاء إلى المختار فاخبره: أنَّ في القادسية فرساناً من قتلة الحسين عليه السلام فبعث إليهم المختار مالك بن عمرو النهدي وكان من رؤساء أصحابه فأتاهم وقبض عليهم وجاء بهم عشاء إلى المختار، وهم: عبد اللّه بن النزال الجهني؛ ومالك بن بشير البدي؛ وحمل بن مالك المحاربي؛ وكانوا فرسان عبيد اللّه بن زياد، فقال لهم المختار: ياأعداء اللّه وأعداء رسول اللّه وأعداء آل اللّه! أين الحسين بن علي؟ أدوا إليَّ الحسين، قتلتم من أمركم اللّه بالصلاة عليه في صلواتكم؟ قالوا: رحمك اللّه، بعثنا عبيد اللّه بن زياد ونحن كارهون قتاله، فأمنن علينا واستبقنا، فقال لهم المختار: فهلا مننتم على الحسين واستبقيتموه؟ ثم قال لمالك بن بشير البدي: انت صاحب برنسه؟ فقال عبد اللّه بن كامل:

نعم، هو صاحب البرنس، فقال المختار: اقطعوا يديه ورجليه، ودعوه فليضطرب حتى يموت، ففعل به ذلك فلم يزل يضطرب حتى مات، وأمر عبد اللّه بن كامل فقتل عبد اللّه بن النزال الجهني، وامر مسعر بن أبي مسعر الحنفي فقتل حمل بن مالك المحاربي.

ثم عزم المختار على هدم دار أسماء بن خارجة الفزاري وإحراقها لأنه عمل في قتل مسلم بن عقيل، فجعل يقول: اما وربّ السماء والماء، وربّ الضياء والظلماء، لتنزلن نار من السماء حمراء دهماء سحماء، ولتحرقن دار أسماء، فبلغ ذلك أسماء فقال: قد سجع ابو إسحاق بداري فليس لي مقام هنا بعد هذا، فخرج أسماء الى البادية هارباً وارسل المختار إلى داره ودور بني عمه، فهدَّمها عن آخرها، ثُمَّ دعا برجل من أصحابه يقال له: حوشب بن يعلى الهمداني فقال له: ويحك ياحوشب! انت تعلم أن محمد ابن الأشعث من قتلة الحسين بن علي وهو الذي قال له بكربلاء ما قال، واللّه، لا يهنيني النوم ولا القرار، ورجل من قتلة الحسين يمشي على الارض، وقد بلغني أنه في قريته التي هي جنب القادسية فسر إليه في مائة رجل من أصحابك فإنك تجده لاهياً متصيداً، أو قائماً متبلداً؛ أو خائفاً متلدداً؛ او حائراً متردداً؛ فاقتله وجئني براسه.

فخرج حوشب في مائة رجل من أصحابه وفرسانه حتى صار إلى قرية محمد بن الأشعث، وعلم محمد بن الاشعث أنه لا طاقة له بحوشب بن يعلى، فخرج من باب له آخر في جوف الليل هارباً ومضى نحو البصرة إلى مصعب بن الزبير فكتب حوشب إلى المختار بذلك، فكتب إليه المختار: إنك قد ضيعت الحزم والفرصة ولم تاخذ بالوثيق، فإذا فاتك الرَّجل فاهدم قصره وبيته، وخرب قريته وائتني بأمواله جميعاً، ففعل ذلك كله.

وبلغ محمد البصرة فقال له مصعب: ما وراءك يابن الأشعث؟ قال: ورائي الترك والديلم، هذا المختار قد غلب على الأرض جميعاً، وهو يقتل الناس كيف شاء، وقد قتل واللّه الى ساعته هذه ممن يتهم بقتل الحسين بن علي أكثر من ثلاثة آلاف رجل من فرسان العرب وشجعانهم وساداتهم وكبرائهم، وقد أراد قتلي فهربت إليك خوفاً منه، فهذا ما ورائي.

وكان عبد اللّه بن همام سمع أبا عمرة صاحب الشرطة ينال من عثمان ابن عفان قبل مجيء المختار؛ فضربه بسوطه، فلما ظهر المختار خاف واستر حتى استأمن له عبد اللّه بن شرار، فجاء إلى المختار ذات يوم فمدحه بقصيدة طويلة منها قوله:

وفي ليلة المختار ما يذهل الفتى ... ويلهيه عن رود الشباب شموع
دعا يالثارات الحسين! فاقبلت ... كتائب من همدان بعد هزيع
ومن مذحج جاء الرئيس ابن مالك ... يقود جموعاً عقبت بجموع
ومن أسد وافى يزيد لنصره ... بكل فتى حامي الذمار منيع
وسار أبو النعمان للّه سعيه ... الى ابن أياس مصحراً لوقوع
بخيل عليها يوم هيجا دروعها ... وأُخرى حسور غير ذات دروع
فكرت خيول كرة أثقفتهم ... وشد باولاها على ابن مطيع
فآب الهدى حقاً الى مستقرّه ... بخير إياب آبه ورجوع
إلى الهاشمي المهتدي المهتدى به ... فنحن له من سامع ومطيع

فقال المختار لأصحابه: احسنوا جائزته فوصلوه، واحسنوا إليه، ذكر الابيات أبو مخنف.

رجعنا الى أخبار ما تقدم وكيفية قتل عبيد اللهّ بن زياد قال: ثُمّ دعا

عبد الملك بن مروان بعبيد اللّه بن زياد بعد قتل سليمان بن صرد الخزاعي وأصحابه فضم إليه ثمانين الف رجل من أجناد أهل الشام وشجعانهم، وقال له: يابن زياد! أنت تعلم أن أبي مروان قد أمرك بالمسير إلى العراق فتقتل أهلها حتى يستقيموا، ثم إن الموت عاجله وأدركه فمضى لسبيله، وقد وليتك أنا هذا الجيش الكثيف، فسر نحو الجزيرة والعراق، فإذا فرغت من أمر المختار فصر إلى مصعب بن الزبير بالبصرة فاكفني أمره وشرَّه، ثم صر إلى أخيه عبد اللّه بن الزبير بالحجاز، فاكفني أيضاً أمره وشره، فإذا فرغت من ذلك فلك جميع ما غلبت عليه بسيفك من أرض الشام إلى مطلع الشمس.

فسار عبيد اللّه ومعه ثمانون ألفاً ما بين فارس وراجل حتى نزل الجزيرة، ثُمَّ أرض نصيبين، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن سعيد الهمداني وهو عامل المختار على الموصل وما والاها، فكتب بذلك الى المختار يخبره، وخرجت مقدمة ابن زياد في عشرين ألفاً نحو الموصل فخرج عامل المختار إلى تكريت، فكتب إليه المختار:

بلغني كتابك وما ذكرت فيه من أمر عدو اللّه ورسوله عبيد اللّه بن زياد، ولقد أصبت في تنحيك من بين يديه إذ كنت لا تقوم لجيشه، فانظر لا تبرح من مكانك حتى يأتيك أمري، ثم دعا المختار برجل من سادات الكوفة وشجعانها وهو يزيد بن أنس الأسدي، وقال له: يايزيد! إنَّ هذا عبيد اللّه بن زياد قد أقبل في المحلين وابناء القاسطين، فسر إليه أنت في المؤمنين، واطلب بدم ابن بنت الرسول الأمين. فقال له يزيد بن أنس: أيها الأمير! ضم إليَّ ثلاثة آلاف رجل ممن أنتخبهم أنا وخلني والوجه الذي يوجهني اللّه تبارك وتعالى إليه، فإن احتجت إلى مدد فأنا ساكتب لك بذلك ولا قوة

إلاّ بالله.

فقال له: اخرج إذن وانتخب رحمك الله من شئت وأحببت على بركة الله وعونه، فخرج يزيد بن أنس وجعل ينتخب القائد بعد القائد والرجل بعد الرجل، حتى انتخب ثلاثة آلاف من سادات فرسان العراق وشجعانهم، وانفصل من الكوفة؛ وخرج المختار يشيعه حتى إذا صار إلى دير أبي موسى التفت إليه المختار، وقال له يوصيه: يايزيد! انظر إذا لقيت عدوك نهاراً فلا تنظرهم إلى الليل، وإن أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها البتة، وليكن خبرك عندي كلّ يوم، فإن احتجت إلى مدد فاكتب إليَّ بذلك سريعاً. فقال يزيد له: أيها الأمير! إني ما أُريد منك أن تمدني إلاّ بالدعاء الصالح، فكفى به لي مدداً إن شاء الله.

وكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد الهمداني بتكريت:

أما بعد: فقد وجهت إلى ما قبلك يزيد بن أنس الأسدي وهو من قد علمت في البأس والشدَّة، فإذا قَدِم عليك فخل بينه وبين البلاد، وكن تحت رايته مطيعاً له، والسلام.

فسار يزيد بن أنس حتى صار إلى تكريت، فصار إليه عبد الرحمن بن سعيد في ألف رجل مقاتل، فصار يزيد في أربعة آلاف فارس، وأقبل حتى نزل على خمسة فراسخ من الموصل، وبلغ ذلك عبيد الله بن زياد فوجَّه إليه بقائد من قواد أهل الشام وهو ربيعة بن مخارق في ثلاثة آلاف فارس، واتبعه بقائد آخر وهو حملة بن عبد الله الخثعمي في ثلاثة آلاف فارس، وأقبل القوم حتى نزلوا بحذاء يزيد بن أنس، واعتلَّ يزيد بن أنس في تلك الليلة علّةً شديدةً، وأصبح موعوكاً لما به من المرض، فدعا بحمار له أسود مقطوع الذنب والأذنين بصري، فاستوى عليه وجعل يجول في عسكره

وغلمانه يمسكونه من ضعفه كيلا يسقط، وهو يوصيهم، ويقول لهم: ياشرطة اللّه! اصبروا تؤجروا، وصابروا عدوكم تظفروا، وقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً، وبعد فقد ترون ما بي من العلّة، فإن هلكت فاميركم ابن عمي ورقاء بن عازب الأسدي، فإن أُصيب فعبد اللّه بن ضمرة الغنوي، فإن أُصيب فمسعربن أبي مسعر الحنفي، ثم نزل عن الحمار وجلس على كرسي، وقال للناس: ياأهل العراق! إن شئتم قاتلوا عن دينكم، وجدّوا في طلب دم ابن بنت نبيكم، وإن شئتم قاتلوا عن أنفسكم وعن أميركم.

فدنا القوم بعضهم من بعض واقتتلوا ساعةً ثم حمل ورقاء بن عازب على رجل من أهل الشام فضربه ضربةً منكرةً فسقط عن فرسه قتيلاًوصاح: ياأهل العراق! احملوا معي، فحملوا فانهزم أهل الشام هزيمة قبيحةً ووضع أهل العراق السيف في أكتافهم نحواً من خمسة فراسخ، وأسروا منهم زهاء ثلاثمائة رجل، وأُتي بهم ليزيد بن أنس، فامر بضرب أعناقهم فأوقفوا بين يديه وهو لما به، فَضُرِبت أعناقهم، وهو يومئ بيده: ان لا تتركوا منهم أحداً فاستوفوهم.

واشتدّت العلّة بيزيد فتوفي في بعض الليل، فجهز وصلّى عليه ورقاء ابن عازب، واقبره ليلاً واصبحوا في حزن على صاحبهم، فقال لهم ورقاء: ياأهل العراق! ذروا هذا الجزع فكلُّ حيٍّ ميت، فلا تشربوا قلوبكم الكدر فتهنوا، وهذا عدو اللّه وعدوكم عبيد اللّه قد التام إليه عسكره؛ وعسكر آخر من الجزيرة وغيرها ولا اظنّ ان لكم به طاقة؛ فإني أعلم أنا ان قاتلناهم خاطرنا على انفسنا لكثرتهم، وإن هزمنا ما جاءنا لم ينفعنا، لكثرة مددهم.

قالوا له: ايها الأمير! فالراي أن ننصرف عنهم لا سيما وقد نكانا[1] فيهم بالأمس، فوافقهم وانصرفوا في جوف الليل نحو العراق، وبلغ ذلك اهل الكوفة فأرجفوا وقالوا: قتل يزيد أميرهم. وأُبيد عسكره، واغتم المختار ولم يدر ما قصتهم، حتى علم أنهم انصرفوا لموت صاحبهم، فطابت نفسه وقدم أصحاب يزيد فأخبروه بما كان، فدعا أبا النعمان إبراهيم بن مالك الأشتر فعقد له وضمَّ إليه أصحاب يزيد وغيرهم من فرسان أهل الكوفة ورجالهم، وقال له: سر إلى عدو اللّه وعدوك وناجزهم وطالعني باخبارك بليلك ونهارك، فإن رأيت امراً لا طاقة لك به فلا تلق بيدك إلى التهلكة واكتب إليَّ حتى أمدّك بما تكتفي به من خيل ورجال، وكن في كل امر ذاكراً للّه تعالى في كل حال، وعجّل السير وناجز عدوك وحاكمهم الى اللّه، صحبك اللّه وسلّمك، وردّك سالماً غانماً، فسار إبراهيم بن مالك في أصحابه، وهو يقول:

أما ورب المرسلات عـرفا حقاً وربِّ العاصفات عصفا
لتعسفن بالعدو عسفا حتى نسوم القاسطين خسفا
زحفاً إليهم لا نملّ الزحفا حتى نلاقي بعد صف صفا
وبعد ألفٍ في النزال ألفا فنكشف الظالم عنا كشفا

وعسكر ابراهيم بموضع يقال له: حمام أعين ثم ارتحل حتى نزل على خمسة فراسخ من الموصل، وعبيد اللّه بن زياد بالموصل قد أخذ خراجها وفرقه في أصحابه، وهو يومئذٍ في ثلاثة وثمانين ألفاً وخرج بهم فنزل

---

(١) نكانا: اضررنا، ومعنى الجملة ـ إن قاتلناهم وهزمناهم جاءهم مدد لايبقي علينا. لانا قد اضررناهم بالنكاية بالامس.

قريباً من معسكر إبراهيم، وإبراهيم يومئذٍ في نحو عشرين ألفاً، وكان في عسكر ابن زياد رجل من الأشراف من بني سليم وهو عمير بن الحباب السلمي، فأرسل إلى إبراهيم: إني قد عزمتُ على المصير إليك والكينونة معك، فإن أعطيتني الأمان وافيتك الآن، فأرسل إليه إبراهيم: إنه قد أعطيتك الأمان ولك عندي الكرامة ما رزقني الله السلامة، فهلمّ إلينا آمناً مطمئناً، فخرج عمير في جوف الليل في ألف رجلٍ من قومه ومواليه حتى صار إلى إبراهيم، فأكرمه وبرّه وبرَّ أصحابه وفرّق عليهم مالاً.

فبلغ ذلك ابن زياد فأقلقه وقال: يخرج رجل من عسكري في ألف فارس لا يعلم به أحد، إنَّ هذا الأمر يتبع، ثم إن إبراهيم قال لعمير: إني رأيتُ أن أُخندق على عسكري خندقاً، فما الذي ترى؟ فقال له عمير: إنَّ القوم يحبون أن يطاولوك، فإن خندقت كان خيراً لهم في المطاولة، وإن ناجزتهم كان خيراً لك، فقد ملؤا منك رعباً فصادمهم بخيلك ورجالك، فإنك على حقٍّ، فالله ناصرك وهم على باطل، فهو تعالى خاذلهم، ومظهرك عليهم.

فقال إبراهيم: قد اختبرتك وعلمتُ أنك ناصحٌ، فهذا ما أشار به الامير، وعزم عليه الضمير، وقال عبيد الله بن زياد لأصحابه: إني لأعجب من هذا الغلام يعني إبراهيم ومسيره إليّ بهذا الجيش، وعهدي به بالأمس في الكوفة يلعب بالحمام، ولعلّ أجله قد اقترب، وبات كلٌ من الفريقين ساهرين، لما يدبرونه غداً، ولاسيما جيش أهل العراق فإنهم علموا أن اميرهم إبراهيم يناجز أهل الشام، فلما كان وقت السحر صلّى إبراهيم في أصحابه بغلس، وعبّأ أصحابه، فجعل على ميمنته سفيان بن يزيد بن معقل الأزدي؛ وعلى ميسرته علي بن مالك الجشمي؛ وعلى أعنَّة الخيل الطفيل بن

لقيط النخعي؛ وعلى الرجّالة مزاحم بن مالك السكوني، فوقف بهم وتقدمت الرجّالة، وجعل إبراهيم يقف على كل كتيبة فيوصيهم ويعهد إليهم وينهاهم عن الخور والفشل، ثم زحف رويداً حتى أشرف على تلّ، فنظر في عسكر القوم وتأمّلهم، فرآهم غارين لم يتحركوا ولم يظنوا أن أهل العراق يناجزونهم، فلما نظروا إلى الخيل وافتهم، بادروا إلى خيولهم وقدّموا الرجالة بين أيديهم، وكانت الخيول ستين ألفاً، والرجالة اثنين وعشرين ألفاً، فعبأهم ابن زياد فجعل على ميمنته شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري؛ وعلى ميسرته ربيعة بن مخارق الغنوي؛ وعلى جناح ميمنته عبداللّه بن مسعدة الفزاري؛ وعلى جناح ميسرته حملة بن عبد اللّه الخثعمي؛ وفي القلب يومئذ الحصين بن نمير السكوني، ثم انقض عليهم أهل العراق قائلين: اللّهم إنا خرجنا ثائرين بدماء أهل بيت نبيك، فانصرنا عليهم كيف شئت وأنى شئت ياربَّ العالمين! وتنادوا: يالثارات الحسين، وتواقفوا رأي العين.

وتقدم عوف بن ضبعان الكلبي على فرس له أدهم ونادى: ياشيعة آل أبي تراب! ياشيعة المختار الكذاب! ياشيعة ابن الأشتر المرتاب! من كان منكم يدل بشجاعة وشدَّة فليبرز إليّ إن كان صادقاً، ثم جال بين الصفين وهو يقول:

إني ابن ضبعان الكريم المفضل ... ليث النزال في مثار النسطل
من عصبة تبرأ من دين علي ... كذاك كانوا في الزمان الأوّل

فما لبث عوف بن ضبعان حتى خرج إليه الأحوص بن شداد الهمداني وهو يقول:

أنا ابن شـدّاد على دين علي لست لمروان بن ليلى بولي
لأوقـدنَّ نارها في الجحفل ثم أخوض النار حتى تنجلي

فجعل الشامي يشتم الأحوص، فقال الأحوص: دع عنك هذا إن كنتَ عربياً، فإن الذي بيننا أجلُّ من الشتم، أنتم تقاتلون عن بني مروان، ونحن نطلب بدم ابن نبيّ الرحمن، فادفعوا إلينا ابن زياد لنقتله ببعض موالينا الذين قتلوا مع الحسين، ولا نراه واللّه كفواً له، فقال الشامي: جربناكم يوم صفين عند التحكيم، فحكمناكم وعدوتم علينا ظالمين.

فقال الأحوص: إنَّ الحكم في الخديعة لا يتخذ فاصلاً في الشريعة، ما اسمك أيها الرجل؟ قال: مُنازل الأبطال! قال: ما أقرب اسمك من اسمي، فانا مقرب الآجال! ثم حمل عليه الأحوص فالتقيا بضربتين، سبقت ضربة الأحوص منها فسقط الشامي قتيلاً، وجال الأحوص وصاح: ياقتلة الحسين هل من مبارز؟ فخرج داود بن عروة الدمشقي على كميت له مقنعاً بالحديد وهو يقول:

أنا ابن من قاتل في صفينا ولم يكن في دينه غبينا
بل كان في إيذا مكينا مجرباً يوم الوغى حرونا

فجاوله الأحوص وهو يقول:

يابن الذي قاتل في صفينا ولم يكن في دينه غبينا
كذبت بل كان به مفتونا لا يعرف الحق ولا اليقينا

ثم صعد له الأحوص فضربه ضربةً، ألحقته بصاحبه وعاد إلى صفه، فخرج الحصين بن نمير السكوني فجعل يقول:

ياقـــادة الكوفـــة أهل المكر	وشيـعة المختار وابن الأشـتر
هل فـيكم قـرن كـريم العنصـر	مجرب في بأسه ذو مفخر؟
يبـرز نحوي عـامداً لا يمتـري	فيستقي الحتف بكاسٍ ممقر[1]

فخرج إليه شريك بن خريم التغلبي، وهو يقول:

ياقاتل الشيخ الكريم العنصـر	بكربلاء في التـقـاء العسكر
أعني حسيناً ذا السنا والمفخر	نجل النبي المصطفى من حيدر
خـذها إليك من خزبر قسـور	ضـربة قـرم ربعيّ مـضـريّ

فتقدم إليه الحصين فالتقيا بضربتين، فما كذب التغلبي، أن ضربهُ ضربةً على أم رأسه فخرَّ منها صريعاً قتيلاً، فكبّر أصحاب التغلبي، ودخل أهل الشام شيء عظيم من الجزع عليه، فتقدم إبراهيم ابن الأشتر على فرس له غرّ محجّل، حتى وقف بين الصفين، ونادى بصوته ـ وكان جهوريّ الصوت ـ: الا ياشرطة اللّه وشيعة الحق! وأنصار الدين! وقاتلي المحلّين! وأبناء القاسطين! لا تطلبوا أثراً بعد عين، فهذا عبيد اللّه بن زياد قاتل الحسين الذي فعل وفعل (وجعل يعدد مساوءه) ما جاءكم به اللّه عزوجل في هذا المكان إلا لهلاكه، فتقدموا إليه رحمكم اللّه ونصركم، ثم حمل على أهل الشام وجعل يضرب سيفه في أعراضهم قدماً قدماً ويقول:

قد علمت مذحج في اليوم الجلل	إني ذو البـاس إذا القـرن نكل
والأروع المقـدام إن نكس فـتل	أضرب في القوم وإن حال الأجل
وأعتلي رأس الطرماح[2] البطل	بالذكر البتّار ما فيه فلل

(١) الممقر: المرّ.

(٢) الطرماح: الطويل.

وحمل معه أهل العراق باجمعهم حملةَ رجلٍ واحد فاصطفقوا بالصفاح، وتطاعنوا بالرماح، وتراموا بالسهام، وإبراهيم يقول لصاحب رايته: تقدَّم فداك أبي، فالحق امامك، واللّه ناصرك، وصاحب الراية يتقدَّم وأهل العراق خلفه، وحان وقت الصلاتين، وما صلّى القوم إلاّ بالإيماء، حتى إذا كان وقت اصفرار الشمس، انهزم أهل الشام هزيمةً قبيحةً وولوا الأدبار، فأخذ السيف أكتافهم، وقهقر بقيتهم إلى الموصل ونظر إبراهيم إلى رجل عليه بزّةً حسنةً، درع سابغة وعمامة خزّ دكناء، وديباجة فوق الدرع، وقد أخرج يده من الديباجة وفيها صفيحة مذهبة، فقصده إبراهيم لتلك الصفيحة، وللفرس الذي تحته، فلم يلبث أن ضربه ضربةً شرَّقت بيديه وغرّبت برجليه، فامتد إبراهيم منعطفاً من سرجه، ورجلاه في الركاب إلى الارض، وتناول الصفيحة وغار الفرس فما لحقه، وكان الظلام من الغروب ومن القتام قد ترك الناس لا يبصر بعضهم بعضاً.

فتراجع أهل العراق من نحو الموصل إلى معسكرهم لا يطاون إلاّ على جسد قتيل، وأصبحوا وقد فقد منهم ثلاثة وسبعون رجلاً، وأصبح أهل الشام وهم عشرة آلاف رجل وثمانمائة رجل وعامتهم جرحى، وقد فقد منهم سبعون ألفاً فبذلك يقول بعض الشعراء في إبراهيم بن مالك الأشتر؛ والمختار بن أبي عبيد يمدحهما:

فجزى إبراهيم ثم أبا إسحا	ق عنّا الإله خير الجزاء
وجزى اللّه شرطة اللّه خيراً	عن بني هاشم بحسن البلاء
إذ تعشَّوا منهم بسبعين الفاً	أو يزيدون قبل وقت العشاء
قتلوا الفاسق اللعين جهاراً	في فريق من سائر الأحياء
وشفوا منهم غليل صدور	وعلى ربّنا تمام الشفاء

ثم قال إبراهيم لأصحابه: إني تبعت البارحة رجلاً وقد اختلط الظلام في يده هذه الصفيحة، وتحته فرس جواد، فقتلته وأنا أشمّ منه رائحة المسك، فاخذتُ الصفيحة وفاتني الفرس، فقال بعض أصحابه: أصلح اللّه الأمير! الفرس أنا أمسكته وسأجيئك به فقد جعله اللّه لك، قال إبراهيم: إنَّ بزته حسنة، ولامته كاملة، فانظروه بجانب شاطىء الفرات بموضع كذا وكذا، فذهب القوم فإذا هو عبيد اللّه بن زياد فأتوا برأسه ووضعوه بين يديه، فلما رآه عرفه وقال: اللّه أكبر! وخرَّ ساجداً، ورفع رأسه وهو يقول: الحمدُ للّه الذي جعل قتله على يدي، فبذلك يقول بعض الشعراء من أصحاب إبراهيم:

فدى لغلام من عرانين مذحج ... جريء على الأعداء غير نكول

أتاه عبيد اللّه في شرّ عصبة ... من الشام واستجلى بخير قبيل

فلما التقى الجمعان في حومة الوغى ... وجرَّ الردى في الحرب فضل ذيول

فولى عبيد اللّه خوفاً من الردى ... وخشية ماضي الشفرتين صقيل

فيعلوه إبراهيم بالسيف فاصلاً ... فطاحَ على البوغاء شرَّ قتيل

جزى اللّه خيراً شرطة اللّه أنهم ... شفوا بعبيد اللّه كل غليل

ثم أمر إبراهيم برأس عبيد اللّه بن زياد ـ؛ ورأس الحصين بن نمير السكوني؛ ورأس شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري؛ ورأس ربيعة بن مخارق الغنوي؛ ورؤوس أشباههم من رؤساء أهل الشام؛ فقورت ونقضت، وكتبت الرقاع بأسماء أصحابها وبعث بها إلى المختار، وكتب له يخبره بالواقعة كيف فعل بالمحلِّين، وقتلة أهل البيت؟ وكيف أباد خضراءهم؟ فوردت الرؤوس على أهل الكوفة تنيف على سبعين رأساً

يقدمها رأس عبيد اللّه بن زياد فاستقبلتها الشيعة فرحين، يحمدون اللّه الّذي أهلكهم وشفى صدور المؤمنين، وكان المختار قبل مجيء الرؤوس يقول: سيأتينا الفتح غداً في رأس ابن مرجانة، فلمّا ورد في غد، زعم بعض من لا علم له: أنه يعلم الغيب، وافتتن به خلقٌ من أهل الكوفة، حتى قال الشعبي: ياقوم! لا يفتننكم الشيطان، ما ذلك إلاّ فراسة مؤمن فقد قال رسول اللّه ﷺ: فراسة المؤمن لا تخطئ.

ثم إن المختار بعث برأس عبيد اللّه بن زياد، ورأس الحصين بن نمير؛ ورأس شرحبيل بن ذي الكلاع إلى محمَّد بن الحنفية وصلب باقي الرؤوس حول الكوفة، وكتب إلى محمَّد ومع الكتاب ثلاثون ألف دينار:

بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيم للمهدي محمَّد بن علي، من المختار بن أبي عبيد سلام عليك، أما بعد ـ فأحمد الله الذي أخذ لك بالثأر، من الأشرار، المطلوبين بالأوتار، فقتلهم في كل فج بقهر، وأغرقهم في كل نهر، وأهلك أولياءهم بالقهر، فشفى اللّه بذلك قلوب المؤمنين، وأقرّ عيون المسلمين، إذ أهلك المحلّين، وأبناء القاسطين، وإذا أنزل بهم ما أنزل بثمود وعاد وغرقهم تغريق فرعون ذي الأوتاد، الذين طغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، لقد قتلوا أشر قتلة، ومثل بهم أقبح مثلة، وقد وجهتُ إليك برأس ابن زياد من ذوي الإلحاد، ليكبت بذلك الأعداء ذوو الأحقاد، ويفرح ذوو الولاء والوداد، ووجّهت معها ثلاثين ألف دينار، لتنفقها على أهل بيتك وشيعتك، والسلام.

فلما ورد الكتاب على محمد قرأه على أهل بيته، فحمدوا اللّه وصاموا له شكراً وأمر محمد أن تصلب الرؤوس خارج الحرم، فمنعه عبد اللّه بن الزبير، فدفنت.

ثم سار إبراهيم بن مالك فنزل الموصل واحتوى على الجزيرة وجبى الخراج فقسم على أصحابه جملةً منه، وأرسل فاضله إلى المختار فصارت الكوفة وسوادها إلى المدائن والجزيرة بأجمعها من ديار ربيعة ومضر إلى المختار، وصارت الشام وأرض مصر إلى المغرب إلى عبد الملك بن مروان، وصارت الحجاز واليمن بأجمعها إلى عبد اللّه بن الزبير.

وذكر أبو مخنف: أنَّ المختار (رحمه اللّه) بعث بعد ذلك عبد اللّه بن كامل إلى مرة بن منقذ العبدي قاتل علي بن الحسين عليه السلام ـ وكان بطلاً شجاعاً ـ فاحاط بداره فخرج مرَّة وبيده رمح وهو على فرس جواد فتجاول مع ابن كامل، فضربه ابن كامل بالسيف فأبان يده اليسرى، ثم تعاورته أصحاب ابن كامل فقتلوه، ثم بعث المختار عبد اللّه بن كامل هذا إلى يزيد بن رقاد قاتل عبد اللّه بن مسلم بن عقيل، وكان يقول: رميته بسهم فاتقاه بيده، فشك يده إلى جبهته، فأنبته بعد ما مات فما قدرت واللّه أن أنزع سهمي من جبهته، فتركته مثبتاً فيها، فلما أحاط عبد اللّه بن كامل بداره خرج شاهراً سيفه، وكان بطلاً مقداماً، فقال ابن كامل لأصحابه: لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح، ولكن ارشقوه بالسهام كما رمى ابن عم رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فرشقوه حتى سقط، فأمر عبد اللّه بنار فأحرقوه بها وهو حي.

قتل الشمر بن ذي الجوشن

ودعا المختار بعبد الرحمن بن عبيد الهمداني وقال له: بلغني عن شمر ابن ذي الجوشن الضبابي أنه خرج من الكوفة في نفر من غلمانه ومن تبعه هارباً، فاخرج أنت في طلبه فلعلك تأتيني به حياً أو برأسه، فإني لا أعرف في قتلة الحسين أعتى منه ولا أشدّ بغضاً لأهل البيت، وضمَّ إليه عشرة من أبطال أصحابه، وقال له ولهم: أُنشدكم اللّه إلا أقررتم عيني بقتله، وشفيتم غليلي بذلّه، فلقد أكمدني بفعله.

فخرج عبد الرحمن في أصحابه العشرة يسألون عنه، فقيل: إنَّه قد نزل في جنب قرية على شاطئ الفرات يقال لها: الكلتانية ومعه قوم قد صحبوه من قتلة الحسين وهم آمنون مطمئنون، فرحل عبد الرحمن بهم إليه، فلما أشرف عليه عَلِم أن الخيل خيل المختار، فوثب قائماً يتأمَّلهم فنظروا إليه وعرفوه، فكبّروا وأحاطوا به وبأصحابه، وكان شمر متزراً بمنديل وكان أبرصاً، والبرص على سائر جسده، فكأنه ثوب ملمع، فأخذ رمحه ودنا من أصحاب المختار وحمل عليهم وهو يقول:

نبهتم ليثاً هزيراً باسلاً ... جهماً محياه يدق الكاهلا

لم يك يوماً عن عدونا كلا ... إلاَّ كذا مقاتلاً أو قاتلا

فتقدم إليه عبد الرحمن بن عبيد وهو يقول:

ياأيها الغادر وابن الغادر ... وقاتل الحسين ذي المفاخر

ابن النبي الطيب العناصر ... وابن الوصي الطاهر ابن الطاهر

منيت من شيعته بثائر ... يطعن في الضلوع والحناجر

أشـجع من ليث عـرين خـادر فـأبشـر بخـزي وبموت حـاضـر

ثم طعنه عبد الرحمن في نحره فسقط قتيلاً، فنزل إليه واحتزَّ نحره وقتل أصحابه جميعاً، واخذ أموالهم وأسلحتهم ودوابهم، وجاء برأسه ورؤوس أصحابه إلى المختار، فلما نظر المختار إليه خرَّ ساجداً، وقال: ياعبد الرحمن! أقر اللّه عينك بلقاء رسول اللّه صلى الله عليه وآله في الجنّة، ثم أمر برأس الشمر فنصب في رحبة الحذائين أزاء المسجد الجامع، فمثل به الصبيان برمي الحجارة والقذارة، وأمر المختار لعبد الرحمن بعشرة آلاف دينار وولاه حلوان.

١١ـ وذكر ابن إسحاق قصة المختار مع ابن زياد بسياقة أُخرى، فنحن نذكرها مجملاً ونبين الصحيح فيما بعد، قال: لما هرب المختار من ابن زياد أمير الكوفة إلى مكة دخل على عبد اللّه بن الزبير فبايعه، فلما جنَّ الليل دخل على محمد بن الحنفية فبايعه سراً، وكان المختار يحب الصيد، فكان كل يوم يركب للصيد، فلما كان في بعض الأيام خرج متصيداً فإذا هو برجل على ناقة يجدُّ السير، فقصده المختار فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من الكوفة، فقال: وإلى أين؟ قال: إلى مكة أُريدُ المختار بن أبي عبيد، قال: وما تريدُ منه؟ قال: جئته ببشارة، قال: فها أنا المختار فأخرج من عمامته كتاباً إليه من جملة من شيعة الكوفة، يسالونه القدوم عليهم ليأمروه عليهم، ويطلب بثار الحسين بن علي عليه السلام.

فقال: ما فعل عبيد اللّه بن زياد؟ قال: إن أهل البصرة شغبوا على عامله وكسروا سجنه ونهبوا أمواله، وقد خرج من الكوفة إليهم. قال: فمن خلف بالكوفة؟ قال: عمرو بن حريث في أربعة آلاف، فخلع المختار على البشير ما كان عليه من الثياب واللباس، وردَّه إلى الكوفة، ودخل المختار

على عبد اللّه بن الزبير، فأخبره بخروج ابن زياد من الكوفة إلى البصرة وما حدث في البصرة، وأنه بقي في الكوفة عمرو بن حريث في أربعة آلاف، وقال له: ابعث معي مائتي فارس، فأنطلق بهم إلى الكوفة، وأقتل ابن حريث، وآخذ الكوفة وأجبي خراجها واحمله إليك واخطبُ لك فيها.

فأجابه ابن الزبير وعرض عليه عسكره، فانتخب منه مائتي رجل من شجعانهم، فلما جُنَّ الليل دخل على محمد بن الحنفية واخبره بما كان من أمر البصرة والكوفة، وقال له: أُريدُ منك كتابين: كتاباً إلى إبراهيم بن مالك الأشتر، وكتاباً إلى محمَّد بن الأشعث ليسمعا كلامي ويطيعاني وينتهيا إلى امري حتى آخذ الثار من قاتلي الحسين بن علي عليه السلام، فكتب كتابين له، فخرج المختار إلى منزله، وزوَّر اربعين كتاباً إلى أربعين شيخاً من مشايخ الكوفة عن لسان محمد بن علي، وخرج من مكة ليلاً ومعه مائتا فارس، فجعل يسير الليل، ويكمن النهار، حتى ورد القادسية، فعاج لكربلاء وزار الحسين وبكى، ثم قال: يابن رسول اللّه! لا خلعت ثيابي هذه حتى انتقم ممن قتلك وقاتلك او أُقتل.

ثُمَّ ودَّع القبر وسار حتى صار بجبانة الكوفة، وذلك في أوَّل الليل ودخل الكوفة وحده، ومعه اثنان وأربعون كتاباً فقصد إبراهيم وقرع بابه، ففتح له ودخل، فلما رآه إبراهيم اعتنقه وقرَّبه وقال: ياأبا إسحاق! من أين جئت؟وأين كنت؟ قال: من مكة وفي مكة. قال: كيف خلفت سيدنا محمد بن علي؟ قال: بخير وهو يقرأ عليك السلام، وأعطاه كتابه إليه فتناوله إبراهيم وقبّله وبكى، ثم فضَّه وقراه وعجب بما فيه فحرَّك راسه، فقال المختار: ممَّ حركت راسك، لعله ثقل عليك أن تبايعني؟ فناولني الكتاب فلا حاجة لي في بيعتك، ولكن لا تكن عليَّ كما لم تكن لي، فقال

إبراهيم: سبحان اللّه ياأبا إسحاق! بل السمع والطاعة لأمر سيدنا محمد، مد يدك، فمدَّها فبايعه وأخذ مواثيقه، وكان إذا ركب إبراهيم ركب ثلاثمائة فارس معه من مواليه وموالي أبيه، فلما بايع المختار قال إبراهيم: قم معي إلى محمد بن الأشعث ندفع إليه الكتاب، فقاما إليه وقرعا الباب، فلما دخلا أجلسهما وجلس فأعطاه المختار الكتاب ففضه وقرأه، فحرَّك رأسه كما فعل إبراهيم، فقال له المختار كما قال لأبراهيم فقال: ظننت أن سيدنا محمد يامرك بالبيعة لي فحرّكت رأسي، ثم بايعه محمد، فقال لهما المختار: قوما معي فإن معي هذه الكتب ندفعها إلى مشايخ الكوفة وهي أربعون كتاباً. فقاما معه حتى فرق تلك الكتب إلى أهلها وأخذ منهم البيعة، ثم إنَّ المختار جمعهم في منزل إبراهيم فدبروا في قتل عمرو بن حريث خليفة عبيد اللّه، وكان عمرو في أربعة آلاف وكان مع المختار مائتا فارس؛ ومع إبراهيم ثلاثمائة؛ ومع محمد بن الأشعث مائتان، ثم قال للمشايخ: أخبروني كم يركب معكم؟ فقالوا: شأنك والقوم فإنَّ كل واحد يكفيك محلّته ودربه، فكبّر المختار وقال: الآن آخذ بثار آل محمَّد ورب الكعبة.

ثم قال لمحمد بن الأشعث: اركب الآن في أصحابك وأخرج بعلّة الصيد، وانتح بعسكرك الحيرة، واركب أنت ياإبراهيم! إذا انتصف النهار وادخل على ابن حريث، وقل له: إنَّ أهل البصرة قد هزموا الأمير عبيد اللّه ابن زياد وإني خارج إلى نصرته، فماذا تأمر؟ ثم إنك إن تمكنت فاقتله، ثم اضرب بطبله فكل من خرج من أعوانه وأصحابه فضع السيف فيهم، ومن هرب منهم إلى الحيرة، فاقتله أنت يامحمد! ومن هرب إلى الجبانة قتلته أنا في عسكري، ومن هرب منهم في السكك والأزقَّة فاقتلوهم أنتم أيها المشايخ! وغلّقوا الدروب جيداً واستوثقوا من المحال.

فاجتمع رأيهم على ذلك وتفرّقوا ورجع المختار إلى عسكره ولم يعلم أحداً من أهله، فلما أصبحوا خرج محمد بن الأشعث إلى الحيرة بعلّة الصيد. ووكل كل شيخ في دربه ومحلته من يعتمده من أهله وأعوانه يتوقعون الصيحة، فلما انتصف النهار ركب إبراهيم في قومه حتى أتى قصر عمرو بن حريث ثم دخل وعليه سلاحه، فاستقبله الحاجب فقال: ما شأنك في هذا الوقت وفي هذا الزي؟ قال: إنَّ أهل البصرة هزموا الأمير عبيد اللّه وأنا خارج لنصرته فأخبر الحاجب الأمير ـ وكان نائماً في بيت الخيش ـ[1] فخرج مغموماً متغير اللون وعليه غلالة كتان منسوج بالذهب وفي رجليه نعلان، فلما صار في صحن الدار اعتنقه وأخبره الخبر وجلسا يتحدَّثان، فنظر إبراهيم إلى رمح في وسط الدارمغشى بالديباج، فسأله عنه، فقال: هذا الرمح الذي حمل رأس الحسين من الطف إلى الشام يفتخر به ابن زياد ومن يوالي آل سفيان، فاستأذن أن يراه، فقال عمرو بن حريث: ياغلام! ائت به إلى إبراهيم، فأخذه إبراهيم وهزَّه ثم طعن به عمرو بن حريث فأخرج السنان من وراء ظهره واستلَّ سيفه وقتله، وقتل الحاجب والغلمان، وارتفعت الصيحة في الدار فلم يخرج إليه أحد إلا قتل، ثم ضرب الطبل، فركب عسكر ابن حريث إلى القصر فمن لقيه إبراهيم قتله. ومن فرَّ إلى الحيرة قتله ابن الأشعث، ومن فرَّ إلى الجبانة قتله المختار، ومن هرب إلى السكك والمحال قتله المشايخ، حتى لم ينجُ منهم أحد، فبايع حينئذ أهل الكوفة المختار واحتوى على خزائن ابن زياد، ووضع الديوان فكتب فيه اثني عشر الف مقاتل، وقوي أمره. وبلغ ذلك عبيد اللّه بن زياد فعرض ستين ألف رجل، وجاء بهم إلى الكوفة لحرب المختار، فنزل بباب الكوفة بموضع

---

(١) بيت الخيش: يوضع فيه الثلوج بين الخيش للتبريد في الحرّ.

يقال له: بين النهرين، الفرات والوادي.

فنادى المختار: ياأهل الكوفة! قاتلوا عن ابن بنت نبيكم واطلبوا بثاره، أو قاتلوا عن كوفتكم وعيالكم وأموالكم، فواللّه لئن ظفر ابن زياد بكوفتكم هذه ليحرقنها وينسفنها، فبايعه ذلك الوقت ستة آلاف رجل فصار عنده ثمانية عشر الف، فخرج المختار إليه فراسله بالصلح، فأبى المختار، وبقي العسكران متقابلين شهرين حتى بذل ابن زياد العراق للمختار فلم يقبل، فقال له بعض قواده: ما هذا الحال أيها الأمير! فقد اذللتنا على كثرتنا؟ فقال: أعلم أني كنتُ صبياً وكان المختار أصغر مني فوقعت بيننا خصومة بسبب حمامة فضربني المختار وأسقطني على الأرض وجثا على صدري، وقال لي: لأقتلنك ولن يكون قتلك إلاَّ على يدي إن شاء اللّه، فأنا من ذلك اليوم أتخوف منه على نفسي، ثُمَّ إني سالتُ المنجم عن طالعي وموتي، فاخبرني: إني أُقتل على يدي رجل له صفته، فقتلت المنجم بسبب ذلك، حتى لا يخبره فيقوي عزمه، ثم صممَّ الحرب مع المختار، فأرسل المختار جاسوساً يستعلم أخبار ابن زياد بقيامه وقعوده وحركاته كلّها، فاخبره: أنه صلّى فقرأ في صلاته في الركعة الأولى: ﴿**إذا وقعت**﴾، وفي الثانية: ﴿**إذا زلزلت**﴾.

فكبّر المختار، وقال: وقعت بهم الواقعة؛ وزلزلت بهم الأرض، ثم إنَّ المختار عبأ عسكره فجعل على الميمنة إبراهيم بن مالك، وعلى الميسرة محمد بن الأشعث، ووقف هو في القلب، وعبأ ابن زياد عسكره على ماكان يعبىء به، وكان المختار لا يحارب إلاَّ حين تزول الشمس اقتداءً بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما أن قرب الزوال، دعا المختار برجل من أصحابه، وقال له: استأمن ابن زياد واتبعهم، فإذا خلع عليك وقرَّبك،

فصر إلى صاحب العلم وأسر إليه: إنَّ المختار يعرفك محباً لآل محمد وهو يطالب بدم ابنه الحسين، ويقول لك: إذا دنوت من عسكر المختار، فنكس العلم ساعةً، فإن أنت فعلت جزيتَ من اللّه ورسوله، وجعلت لك ولاية البصرة، فاستأمن الرجل وأكرمه ابن زياد لمعرفته به، فدنا من صاحب العلم وأسرَّ إليه ما أراده المختار، فقال له: ارجع إليه، وقل له: إني فاعل ذلك، فاحمل أنت على القلب، فلما التحم القتال وحمل إبراهيم في الميمنة؛ ومحمد بن الأشعث في الميسرة؛ وحمل هو في القلب، واستحرَّ الضرب، نكس صاحب العلم علمه فانكسرت النفوس وارتعدت الفرائص، فولوا مدبرين وأسّر إبراهيم ابن الأشتر عبيد اللّه بن زياد، وجاء به إلى المختار، فلما أُوقف ابن زياد بين يدي المختار خرَّ ساجداً شكراً للّه تعالى، ثمّ جلس فضرب بسيفه جبين ابن زياد كما رماه ابن زياد بعمود من حديد فشج جبينه، ثمَّ قطع يديه ورجليه، ثم رأسه، ثم صلبه، ثم أحرقه بالنار.

والصحيح من استيلاء المختار على الكوفة وقتل ابن زياد ما ذكرناه أولاً أنه استولى كما تقدَّم، وقتل إبراهيم ابن زياد بالموصل، لأنَّ أصحاب التواريخ والنسّابين قد اتفقوا على أنه لم يكن لبني أُميَّة ولاية بالعراق من سنة أربع وستين، وهي السنة التي مات فيها يزيد وهرب ابن زياد من العراق إلى الشام، إلى سنة اثنين وسبعين وهي السنة التي دخل عبد الملك بن مروان فيها العراق، وقتل مصعب بن الزبير وولى فيها الحجاج بعد قتله عبد اللّه بن الزبير.

وكان خروج المختار ومقتل ابن زياد سنة ست وستين، وكان ابن زياد في هذه السنةفي الشام هارباً من العراق، فكيف يكون أميراً على البصرة؟ والبصرة كانت ولايتها من السنة التي مات فيها يزيد وهي سنة أربع وستين

في يد عبد اللّه بن الزبير إلى سنة اثنتين وسبعين، فالصحيح من سياق قصة المختار ما ذكرناه أولاً.

ولما قتل إبراهيم بن الأشتر عبيد اللّه بن زياد، واستولى على أرض الجزيرة، اقام هناك وأعرض عن المختار، فكان المختار يكاتبه فلا يجيبه، فلمّا نظر مصعب بن الزبير إلى أنَّ المختار قد بقي في شرذمة قليلة من أهل الكوفة، وأنَّ إبراهيم بن الاشتر معرض عنه لا يجيب كلامه ولا يسمع له، اغتنم الفرصة في ذلك، وكتب إلى المهلب بن أبي صفرة، وكان يحارب الأزارقة بامره، فاستدعاه واعطى الكتاب إلى محمد بن الأشعث فقال: سر إليه فليس له احد سواك، فإنه إذا نظر إليك رسولاً علِمَ انَّ الأمر جدٌّ فلا يتخلف، وانظر أن لا تفارقه أو تشخصه معك، فاخذ محمد بن الأشعث الكتاب وسار إلى المهلب، وهو يومئذ بسابور من أرض فارس يحارب الأزارقة، فلما قرأ الكتاب قال: ياسبحان اللّه! اما وجد الأمير بريداً سواك؟ فقال ابن الأشعث: واللّه، ما انا ببريد لاحد غير انَّ نساءنا وأبناءنا وعقرنا ومنازلنا في يد المختار، قد غلبنا عليها واجلانا عن بلدنا، ونحنُ نرجو أن تعود إلينا بعونك.

فدعا المهلب باصحابه وقال: إن الأزارقة لا يريدون إلاّ ما في أيديهم، والمختار يريد ما في أيديكم، فذاك أولى بالدفع والنفع، وولى عليهم ابنه المغيرة وسار في الف رجل من فرسانه حتى قدِمَ البصرة فقربه مصعب واجلسه معه على سريره، ثم امره بالتاهب لمحاربة المختار، ثم أمر مصعب أصحابه أن يعسكروا عند الجسر الأعظم، وخرج مصعب وخرج الناس معه من البصرة، وجعل على كل قبيلة رئيساً يقتدون برايه، فجعل على قريش عمرو بن عبيد اللّه التيمي وعلى تميم كلها الاحنف بن قيس، وعلى أهل

العالية قيس بن الهيثم السلمي، وعلى بكر بن وائل مسمع الجحدري، وعلى عبد قيس مالك بن المنذر العبدي، وعلى كندة محمد بن الأشعث، وعلى مذحج عبيد اللّه بن الحر الجعفي، وعلى قبائل الأزد المهلب بن أبي صفرة.

فبلغ ذلك المختار فقام في الناس خطيباً فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد ياأهل الكوفة! فإن أهل مصركم بغوا عليكم، كما قتلوا ابن بنت نبيكم، قد كانوا لجأوا إلى أمثالهم من الفاسقين الملحدين فاستعانوا بهم عليكم، لما علموا أن ابن الأشتر قد خذلني، وقعد عن نصرتي، وقد بلغني أنهم خرجوا من البصرة يريدون قتلي، ليضمحل الحق وينتعش الباطل، ويقتلوا أولياء اللّه، الا فانهدوا مع الأحمر بن شميط البجلي فإني ارجو ان يهلكهم اللّه تعالى على أيديكم، فأجابه الناس من كل جانب: سمعنا واطعنا! فخرج بهم الأحمر حتى عسكر بموضع يقال له: حمام أعين، ثم رحل حتى نزل المذار في قريب من ثلاثة آلاف فارس.

وأقبل مصعب حتى نزل قريباً منه في سبعة آلاف فارس وراجل، ودنا القوم بعضهم من بعض، وتقدم عباد بن الحصين الحبطي فنادى: ياشيعة المختار! أنا أدعوكم إلى بيعة أمير المؤمنين عبد اللّه بن الزبير، فقال له عبد اللّه ابن كامل الهمداني: ونحن ندعوكم إلى بيعة المختار وأن نجعل هذا الأمر شورى بين آل الرسول، فمن زعم أنه أحقٌ بهذا منهم برئنا منه في الدنيا وهو في الآخرة لمن الخاسرين، وجاهدناه حق الجهاد عن الدين، فلما سمع مصعب ذلك غضب، وقال: احملوا عليهم؛ فحمل عباد بن الحصين على أصحاب المختار فلم يزل أحد من موقعه، ثم حمل ابن الأشعث فلم يزل أحد من موقعه، فصاح ابن الأشعث: ياأهل العراق! إلى متى، وحتى متى نحن

أذلاء مشردون عن بلادنا، مطرَّدون عن أهلنا وأولادنا، فكرّوا عليهم كرةً صادقةً، فكرّوا عليهم فقتل الأمير الأحمر بن شميط وانهزم أصحابه إلى الكوفة.

فنزل بالمختار أمرٌ عظيم من مقتل أصحابه، فكتب إلى إبراهيم بن الأشتر أيضاً فلم يجبه، وأقبل مصعب حتى نزل بواسط ثم أمر أصحابه الرجّالة فقعدوا بالسفن، وساروا في نهر يخرجهم إلى الفرات، وبلغ ذلك المختار فأمر بكل نهر يحمل من الفرات فسدَّه، فبقي أصحاب مصعب في الطين، فخرجوا من السفن وساروا على الظهر حتى نزلوا حروراء، وخرج المختار من الكوفة حتى نزل بأزائهم، وقال: ياله من يوم لو حضرني فيه ابن الأشتر، ووالله، ما من الموت بدّ، ثم اختلط الفريقان بالحرب، فأرسل مصعب إلى المهلب: ما تنتظر أن تحمل على من بأزائك، فالتفت المهلب إلى أصحابه، وقال: يظن الأمير أنا نلعب ولا يعلم باني ما قاتلت قتالاً أشدّ من هذا، ثم حملوا على أصحاب المختار فكشفوهم، فصاح المختار: أين أصحاب الصبر واليقين؟ فثاب إليه زهاء خمسمائة رجل ما فيهم رجل إلاّ وهو يعد برجال، فجعلوا يقاتلون قتالاً لم تسمع الناس بمثله، فالتفت رجل من أصحاب المختار يقال له: عبد الله بن عمرو النهدي، فقال: ويحكم! أروني الموضع الذي فيه محمد بن الأشعث فإنه والله ممن قاتل الحسين وشرِك في دمه، وقال له: أي قرابة بينك وبين رسول الله.

فقالوا له: هو في الكتيبة الحمراء على فرس له أدهم فقال: بلى والله، قد رأيته فذروني وإياه، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللّهم! إني على ما كنتُ عليه بصفين، اللّهم! وإني ابرأ ممن قتل آل بيت نبيك محمد أو قاتلهم أو شَرَكَ في دمائهم، وحمل حتى خالط أصحاب مصعب فجعل يضرب

ويقتل فيهم وهو مع ذلك يلاحظ الموضع الذي فيه محمد بن الأشعث حتى إذا أمكنته الفرصة حمل عليه فضربه ضربة على راسه فجدله قتيلاً، فاحاط أصحاب مصعب بعبد اللّه بن عمرو هذا فقتلوه.

وكان المختار قد قتل بالكوفة خلقاً كثيراً من أهل الكوفة حتى قيل: إنه قتلَ سبعين ألفاً ممن قتل أو قاتل الحسين عليه السلام فتركه أصحابه لما في نفوسهم من الذحل على أقربائهم، وتحولوا إلى مصعب، فلما رآى المختار ذلك نزل عن فرسه، ونزل معه شيعة آل الرسول الخلّص، فبركوا على أفواه السكك، فلم يزالوا يقاتلون من المغرب الى الصبح، ثم قال له بعض أصحابه: أما أخبرتنا أنا نقتل مصعباً، فقال: بلى، أما قال اللّه عزّوجلّ: ﴿**يمحو اللّه مايشاء ويثبت وعنده أُم الكتاب**﴾الرعد/١٣.

ولما أصبح دخل قصر الامارة وكان قد أخطأ رجلٌ من أهل الكوفة فضرب عبيد اللّه بن علي عليه السلام وكان في عسكر مصعب فقتله ولم يعرفه، وأقبل مصعب نحو الكوفة، حتى دخلها في جيشه، والمهلب عن يساره، فقال له: يا أبا سعيد! ياله من فتح ما أهناه لولا قتل محمد بن الأشعث، وجاءت الخيل حتى أحدقوا بالقصر فحاصروا المختار وأصحابه حصاراً شديداً حتى بلغ منهم العطش مبلغاً عظيماً، وكانوا بذلوا في الراوية من الماء الدينارين والثلاثة، وكانت النساء يأتين فيدخلن القصر بالطعام والشراب إلى أقربائهن، فبلغ ذلك مصعباً فمنع النساء ثم قطع عنهم الماء، فكانوا يمزجون ماء البئر بالعسل فيشربونه من العطش، وكان أصحاب مصعب ينادون المختار: يابن دومة! كيف ترى ما أنتَ فيه من الحصار؟ هذا جزاء من خالف أمير المؤمنين عبد اللّه وطلب الأمر لغيره.

فأشرف عليهم المختار ثم قال: ياجند المرأة، وأتباع البهيمة! أتعيروني

بدومة وهي من بنات سادات ثقيف؟ نعم، أنا ابن دومة، حسناء الحومة، لا يسمع فيها لومة، أما واللّه، لو كان من يعيرني بدومة من إحدى القريتين لما عدا، ولكن إن كنتم رجالاً كما تزعمون، فاثبتوا لي قليلاً فواللّه لأقاتلنكم قتال مستقتل قد آيس من الحياة. ثم صبَّ عليه درعه وسلاحه واستوى على فرسه وتمثل بقول غيلان بن سلمة الثقفي:

ولو يراني أبو غيلان إذ حسرت	عني الهموم بأمر ماله طبق
لقال رعباً ورهباً يجمعان معاً	غنم الحياة وهول النفس والشفق
والموت أحمد شيء للكريم إذا	طغى له الدهر والآجال تحترق

ثم أمر بباب القصر ففتح وخرج في نحو مائتي رجل ممن يقي بهم فكرَّ على أصحاب مصعب حتى هزمهم وركب بعضهم بعضاً، فنظر إليه رجل من أهل البصرة وهو يحيى بن ضمضم الضبي ـ وكان فارساً طويلاً إذا ركب خطت رجلاه الأرض من طوله، ولم يكن في عسكر مصعب أفرس منه ـ، فحمل على المختار ليضربه فاستقبله المختار وضربه على جبينه فخرَّ صريعاً وحملت الكتائب على المختار من كل جانب، فجعل يحاربهم ويرجع إلى ورائه حتى دخل القصر فأحاطت الخيل بالقصر، وحاصروه أشدّ الحصار، فتمثل السائب بن مالك الأشعري بقول عبد اللّه بن حذاق:

هل للفتى من بنات الدَّهر من واق	أم هل لهُ من حمام الموت من راقِ
كأنني قد رماني الدهر عن عرض	بنافذات بلا ريش وأفواقِ
وغمضوني ولم يألوا بنعيهم	وقال قائلهم أودى ابن حذاقِ
وقد دعوا لي أقواماً وقد غسلوا	بالماء والسدر جثماني وأعلاقي
ورجلوني وما رجلت من شعث	والبسوني ثياباً غير أخلاقِ
ورفعني وقالوا أيما رجلٌ	حامي الحقيقة قد وافى بميثاقِ

وأرسلوا فتية من خيرهم نسباً ليدخلوني ضريحاً بين أطباق
هون عليك ولا تولع باشفاق فإنما مالنا للوارث الباقي

فسمع المختار هذه الأبيات من السائب، فقال له: للّه در عبد اللّه بن حذاق، ما أجود هذه الابيات! اما واللّه، لولا ما نحن فيه، لاحببتُ ان احفظها، واللّه، ياسائب! لو كان لي عشرة من مثلك لقهرت مصعباً وأصحابه.

ثم قال لأصحابه: اخرجوا بنا ويحكم حتى نقاتل هؤلاء فنقتل كراماً، وواللّه، ما انا بآيس إن صدقتموهم القتال، ان تنصروا عليهم. فأجابه أصحابه إلى ذلك، وقالوا: ما الرأي إلاّ ما رايت، وليس يجب علينا أن نعطي بايدينا، ويحكم هؤلاء في دمائنا، فاعزم على ما انت عليه عازم من أمرك، فها نحن بين يديك.

فبعث المختار إلى امرأته أم ثابت بنت سمرة بن جندب الفزارية، فارسلت إليه بطيب كثير وحنوط، فقام واغتسل، ثم افرغ عليه ثيابه وتحنط، ووضع ذلك الطيب في رأسه ولحيته، وقام أصحابه ففعلوا ذلك، وقال له بعض أصحابه: ياأبا إسحاق! مامن الموت بدّ؟ فقال: لا واللّه، ياابن أخي! ما من الموت بد، وقد رايت واللّه عبد اللّه بن الزبير بالحجاز وبني أُمية بالشام ومصعباً بالعراق، ولم اكن بدون واحد منهم، وإنما خرجتُ بطلب دماء أهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وقد واللّه، شفيتُ نفسي من أعدائهم، وممن شرِك في دمائهم، ولستُ أُبالي بعد هذا كيف أتاني الموت. ثم استوى على جواده وقال:

لما رأيت الامر قد تعسّرا وشرطة اللّه قياماً حسرا
شددت في الحرب عليّ مغفرا وصارماً مهنداً مذكرا

معتقداً أني سألقى القدرا	أن يقتلوني ويروني المنكرا
فقد قتلتُ قبل هذا عمرا	ونجله حفص الذي تنمرا
وابن زياد إذ أقام العشيرا	والأبرص القيسي لما أدبرا
وقد قتلتُ قبل هذا المنذرا	من كل حيٍّ قد قضيتُ وطرا

١٢ـ وذكر السيد أبو طالب، بإسنادي إليه، عن محمد بن زيد الحسني، عن الناصر للحق الحسن بن علي، عن محمد بن خلف، عن عمر ابن عبد الغفار، عن أبي نصر البزاز مولى صعصمة بن صوحان العبدي، عن أبيه، قال: رأيتُ المختار خرج من القصر، والسيف في يمينه وفي يساره الترس، وهو يهدر كما يهدر البعير، ويقول:

إن تقتلوني تقتلوا مشمرا	رحب الذراعين شديداً حذرا
محمداً قتلته وعمرا	والأبرص القيس لما أدبرا
أخا الجيم إذ طغى واستكبرا	من كل حيٍّ قد قضيتُ وطرا

قال: فواللّه العظيم، ما ارتفع له شيء إلا ضربه فجدله، حتى جاءه عبد الكبير بن شبث بن ربعي، فضرب يده فانقطع فاعتوروه بالرماح حتى قتلوه.

وزاد السيد أبو طالب في روايته أجزاء من كتابه على هذه الأبيات وأسندها إلى المختار، وهي:

لما رأيت الأمر قد تغيّرا	شددت في الحرب عليَّ مغفرا
وصارماً محدداً مذكرا	وشرطة اللّه قياماً حسرا
يسعون حولي جاهدين صبرا	أن يقتلوني يجدوني حذرا
محمداً قتلته وعمرا	وابن سعيد وقتلتُ المنذرا
والأبرص القيس لما أدبرا	من كل حيٍّ قد قضيت وطرا

قال السيد أبو طالب: يعني بقوله محمداً ـ محمد بن الأشعث ـ، وعمرا ـ عمربن سعد بن أبي وقاص ـ، وابن سعيد ـ عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس الهمداني ـ، والمنذر ـ المنذر بن حسان الضبي ـ، والأبرص القيس ـ شمر بن ذي الجوشن الضبابي ـ.

ثم جاء مصعب بعد قتله فاحاط بالقصر على أهله، وأمر برأس المختار فجزَّ، وبيديه فقطعتا وعلقتا على عضادتي باب الجامع، فكانتا عليها إلى أن جاء الحجاج وقتل مصعباً، فامر بهما فأُنزلتا.

ثم أمر مصعب برأس المختار فنصب في رحبة الحذائين، ونادى أصحاب القصر: افتحوا الباب ولكم الأمان، ففتحوا فاخذوهم وأوقفوهم بين يدي مصعب، فنظرهم وقال: الحمد للّه الذي أمكنني منكم ياشيعة الدجّال! فقال رجل منهم وهو بحير بن عبد اللّه السلمي: لا واللّه، ما نحنُ بشيعة الدجال، ولكنا شيعة آل رسول اللّه، وما خرجنا بأسيافنا إلا طلباً بدمائهم، وقد ابتلانا اللّه بالأسر وابتلاك أيها الأمير بالعفو والعقاب، وهما منزلتان: منزلة رضى ومنزلة سخط، فمن عفا عفي عنه، ومن عاقب فلا يعدو القصاص، وبعد، فإنا إخوتكم في دينكم، ونحنُ من أهلِ قبلتكم وعلى ملتكم، ولسنا من الترك ولا الدَّيلم، وقد كنا أمنا ما كان من أهل الشام فما لأهل العراق، فاصفح إذا قدرت، فكأنَّ مصعباً رقَّ لكلامه، فوثب جماعة من عتاة الكوفة وقالوا: أيها الأمير! إنَّ هؤلاء هم الذين قتلوا آباءنا وأبناءنا وإخواننا، وفي إطلاقك إياهم فساد عليك في سلطانك وعلينا في أحسابنا.

فقال مصعب: فشأنكم إذن بهم، فانحوا عليهم بالسيوف، فقتلوهم جميعاً، ثم دخل مصعب القصر وجلس على سرير المختار، وأرسل إلى

امرأتي المختار: أُم ثابت بنت سمرة بن جندب الفزارية، وعمرة بنت النعمان ابن بشير الأنصارية، فقال لهما مصعب: ما تقولان في المختار؟ فقالت الفزارية: أقول فيه كما تقولون، فقال مصعب: إذهبي فلا سبيل لي عليك، وقالت الأنصارية: ولكني أقول كان عبداً مؤمناً محباً للّه ولرسوله ولأهل بيت رسوله، فإن كنتم قتلتموه فإنكم لم تبقوا بعده إلاّ قليلاً، فغضب مصعب وامر بها فقتلت، فقال بعض الشعراء في ذلك:

إنَّ من أعجب العجائب عندي ... قتل بيضاء حرَّة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم ... إنَّ للّه درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا ... وعلى المحصنات جرُّ الذيول

ثم بعث مصعب براس المختار إلى عبد اللّه بن الزبير، فامرعبد اللّه براس المختار فنصب بالأبطح، وكان قبل ذلك أبى أن ينصب محمد بن الحنفية راس ابن زياد خارج الحرم، ثم أرسل عبد اللّه بن الزبير إلى ابن عباس فقال له: يابن عباس! إنَّ اللّه قد قتل المختار الكذاب، فقال ابن عباس: رحم اللّه المختار! فقال: كأنَّك لا تحب أن يقال: الكذاب؟

قال: فإن المختار كان محباً لنا عارفاً بحقنا، وإنما خرج بسيفه طالباً لدمائنا، وليس جزاؤه منا أن نشتمه ونسميه كذاباً.

ثم كتب مصعب إلى إبراهيم بن الاشتر:

اما بعد فقد قتل اللّه المختار الكذاب وشيعته الذين دانوا بالكفر، وكادوا بالسحر، فاقبل إلينا آمناً مطمئناً، ولك أرض الجزيرة وما غلبت عليه بسيفك من أرض العرب، ما بقيت وبقي سلطان ابن الزبير، ولك بذلك عهد اللّه وميثاقه.

وكتب أيضاً عبد الملك بن مروان من الشام إلى إبراهيم مثل ذلك

ومناه، فكتب إبراهيم إلى عبد الملك بن مروان: إنه مامن قبيلة بالشام إلاّ وقد وترتها يوم ابن زياد، فلا آمنهم وإنما قبيلتي بالعراق، وبعض الشرّ أهون من بعض، وصار إلى مصعب فخلع عليه مصعب، وأجلسه معه على سريره.

وكتب إلى أخيه عبد اللّه بذلك، فسرّ بمقدم إبراهيم، ثم إن مصعباً أعاد المهلّب إلى حرب الأزارقة، وبقى عبد اللّه بن الزبير يجدّ في مناوأة محمد بن الحنفية وابن عباس وبقية أهل البيت، حتى حبسهما إذ لم يجيباه إلى البيعة، وكان قبل ذلك حبس محمد بن الحنفية في قبَّة الشراب، فعلم المختار بذلك فأرسل إليه أبا عبد اللّه الجدلي في جيش عظيم فخلّصه، وتوعد ابن الزبير أن أخافه، فأمسك ابن الزبير الى أن قُتِل المختار، فعاد إلى ما كان عليه من العداوة، حتى قال يوماً لابن عباس: إنه قد قتل المختار الكذاب الذي كنتم تمدون أعينكم إلى نصرته، فقال ابن عباس: دع عنك المختار فإنه قد بقيت لك عقبة تأتيك من الشام، فإذا قطعتها فأنتَ أنت، وإلا فأنت أهون من كلب في درب المسجد.

فغضب وقال: إني لم أعجب منك، ولكن أعجب مني إذ أدعك تتكلم بين يدي بملء فمك، فتبسم ابن عباس، وقال: تكلّمت واللّه، بين يدي رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وعند أبي بكر غلاماً، وعند عمر وعثمان وعليّ رجلاً، وكانوا يرونني أحقّ من نطق، يسمعون رأيي، ويقبلون مشورتي، وهؤلاء الذين ذكرتهم بعد رسول اللّه خير منك ومن أبيك، فازداد غضبه، وقال له: لقد علمت أنك ما زلت لي ولاهل بيتي مبغضاً، ولا زلت لكم يابني هاشم! منذ نشأت مبغضاً، ولقد كتمت بغضكم أربعين سنة، فقال ابن عباس له: فازدد في بغضنا، فواللّه، ما نبالي أحببتنا أم أبغضتنا؟

فقال ابن الزبير: اخرج عني فلا أراك بعد هذا تقربني، فقال ابن عباس: أنا زاهد فيك من أن تراني عندك، ثمَّ عاد ابن الزبير فقال: ذر عنكَ هذا وارجع الى ابن عمك ـ يعني محمّد بن علي عليه السلام ـ وقل له: فليخرج من جواري ولا يتربص، فإني لا أظنه سالماً مني أو يصيبه ظفر، فقال ابن عباس: مهلاً، يابن الزبير! فإن مع اليوم غداً، فقال ابن الزبير: صدقت مع اليوم غد، وليس يجب عليك أن تكلمني في رجل ضعيف سخيف ليس له قدم ولا أثر محمود، قال: فتنمر ابن عباس غضباً وقال: ليس على هذا صبر يابن الزبير! والله، إن أباه لخيرٌ من أبيك، وأنَّ أُسرته لخير من أُسرتك، وانه في نفسه لخيرٌ منك، وبعد فرماه الله بك إن كان شراً منك في الدنيا والدين.

ثم نهض مغضباً وخرج وهو يقول: لأنملة من محمد بن الحنفية أحبُّ إلي من ابن الزبير وآل الزبير، وأنه والله، لاوفر منهم عقلاً، وأفضل ديناً وأصدق حياءً، وأشد ورعاً، ثم خرج ابن الزبير في عدَّة أصحابه، وقام في الناس خطيباً فقال: أيها الناس! إنَّ فيكم رجلاً أعمى الله بصره يزري على عائشة أُم المؤمنين، ويعيب طلحة والزبير حواري رسول الله يريد بذلك ابن عباس، وكان ابن عباس حاضراً في المسجد، فلما سمعه وثب قائماً وقال: يابن الزبير! أما ما ذكرت من أم المؤمنين عائشة فإنَّ أوَّل من هتك حجابها أنت وأبوك وخالك طلحة، وقد أمرها الله أن تقرَّ في بيتها فلم تفعل فتجاوز الله عنها ورحمها، وأما أنت وأبوك وخالك فقد لقيناكم يوم الجمل، فإن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم المؤمنين، وإن كنا كفاراً فقد كفرتم بفراركم من الزحف.

فقال ابن الزبير: اخرج عني ولا تجاورني! فقال ابن عباس: نعم

والله، لاخرجن خروج من يفلاك ويذمك، ثم قال ابن عبَّاس: اللّهم! إنك قادر على خلقك، قائم على كلِّ نفس بما كسبت، اللّهم! إنَّ هذا الرجل قد أبدى لنا العداوة والبغضاء، اللّهم! فارمه منك بحاصب، وسلّط عليه من لا يرحمه، ثُمّ خرج ابن عباس ومحمد بن الحنفية وأصحابهما من مكة إلى الطائف.

وكان ابن عباس يقول: أيها الناس! لو فسح لي عن بصري لكان لي ولابن الزبير ولبني أمية شان، الا وإنَّ الله عزَّوجلّ قد حرم هذا الحرم منذ خلق السماوات والأرض، وهؤلاء القوم قد أحلّوه، ولكن انظروا متى يقصمهم الله، ويغير ما بهم. فقيل: أتعني ابن الزبير أم الحصين بن نمير السكوني؟ فقال: بل أعنيهما وأعني يزيدبن معاوية، فلم يزل بالطائف يذكر أفعال ابن الزبير إلى أن أدركته الوفاة، فصلّى عليه محمَّد بن علي عليه السلام ودفنه بالطائف بوادي وج منها.

١٣ـ وذكر القتيبي: أنَّ وفاته سنة ثمان وستين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وضرب محمد على قبره فسطاطاً، وقال: مات والله، رباني هذه الأمة، وبقي بعده محمد في الطائف لا يرى ابن الزبير ولا يذكره.

وقال أصحابه: أنه دخل شعب رضوى مع أربعين من أصحابه، فلم ير لهم أثر ولا سمع عنهم خبر، وقيل: لما قتل ابن الزبير واستقر الامر لعبد الملك بن مروان وولى الحجاج العراق، بايع محمد بن الحنفية عبد الملك على أن لا تكون للحجاج عليه ولاية، فأجابه عبد الملك وأحسن إليه والتمسه أن يزوره في كل سنة مرة، فأجابه محمَّد، وكان يجيزه في كلِّ سنة بمائتي ألف درهم، ثمَّ نزل محمَّد المدينة حتى مات.

وذكر القتيبي: أنَّ محمداً توفي أيضاً بالطائف سنة اثنتين وثمانين وهو

ابن خمس وستين سنة، ولنذكر لتمام المطلب هنا:

مقتل مصعب ،وعبد الله ابني الزبير

كان عبد الملك بن مروان يهمه أمر العراق، فأجمع رأيه أن يدخلها بنفسه، وتهيأ للمسير إليها، ولبس سلاحه، ودعا بكرسي فجلس عليه، فأتته امرأته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ومعها جواريها حتى وقفت بين يديه، فقالت: أنشدك الله، ياأمير المؤمنين! إن غزوت آل الزبير في هذه السنة، فقد علمت أنهم أشأم بيت في قريش.

فقال لها: ويحك قد أزمعت على السير، ولابدَّ لي من ذلك، فإما أن يبيدني آل الزبير أو أُبيدهم. فبكت عاتكة فتبسم عبد الملك، وقال: قاتل الله كثيراً كأنَّه نظر إلينا فقال:

إذا ما أراد الغزو لم يثنِ عزمَهُ   حصان عليها نظم در يزينها
نهتـهُ فلمَّا لم ترَ النهي عاقـهُ   بكت فبكى مما عناها قطينها

ثم دعا أخاه أبان بن مروان فاستخلفه على الشام، وخرج إلى العراق ومعه ثلاثة وستون ألفاً من أهل الشام ومصر، فبلغ ذلك مصعب ابن الزبير، فخرج من الكوفة وعسكر على عشرة فراسخ منها، واغتمَّ غماً شديداً، فدعا بعبد الله بن أبي فروة مولى عثمان بن عفان، فاستشارهُ في المحاربة، فأشار عليه أن يستخلف على عمله ويلحق بأخيه عبد الله بمكة، وقال: إنَّ الناس يخذلونك، فاقل له: إني أكرهُ أن تتحدَّث العرب: بأني كعتُ عنه[1]، ولكن هل لك أن تسير معي؟

(١) كاع: رجع خائفاً.

قال: لا، والله لا يتهيأ لي ذلك، فلا تجشمني من الأمر مالا أُطيقه.

فسار مصعب حتى التقى بعبد الملك بدير الجاثليق، فعبأ عبد الملك أصحابه، فجعل على ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية، وعلى ميسرته خالد بن يزيد بن معاوية، وعلى القلب أخاه محمد بن مروان، وعبأ مصعب أصحابه، فجعل على ميمنته حمزة بن يزيد العتكي، وعلى ميسرته عبد الله بن أوس الجعفي، وعلى القلب إبراهيم بن مالك الأشتر، فحارب يومئذٍ إبراهيم محاربةً شديدة حتى أصابته نيف وثلاثون ضربة وطعنة، فصرعوه عن فرسه، واحتزوا رأسه، وأتوا به إلى عبد الملك، فلما قُتِلَ إبراهيم تضعضع ركن مصعب، فالتفت إلى قطن بن عبد الله، فقال: تقدم، فقال قطن: ما أرى ذلك صواباً، قال: لِم؟ قال: لأنَّ القوم كثير، ثم قال مصعب لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد الهمداني ـ: لو قدَّمت رايتك قيلاً، فقال: ما رأيتُ أحداً فعل ذلك فافعل، فرمي مصعب عند ذلك بالسهام، حتى أُثخن بالجراحات، وكاد أن يسقط عن فرسه، فتقدم عيسى بن مصعب، فقاتل بين يدي أبيه حتى قُتِل، وبقي مصعب لا يقدر أن يُحرك يداً ولا رجلاً.

فقال محمد بن مروان: لا تقتل نفسك يامصعب! فقد آمنتك بأمانِ أمير المؤمنين، فقال: إنَّ أمير المؤمنين بالحجاز، فحمل عليه عبد الله بن ظبيان التيمي، فقتله وأخذ رأسه، ووضعه بين يدي عبد الملك، ثم أمر عبد الملك أن يؤخذ رأس مصعب؛ ورأس ابنه عيسى؛ ورأس إبراهيم بن الأشتر، فيطافُ بها في أجناد الشام، ثم قدم الكوفة في أجناد أهل الشام، ونادى في الناس بالأمان، ثم دعاهم إلى بيعته فبايعوا طائعين.

ثمَّ إنَّ الحجاج بن يوسف رأى في منامه أنه كان يسلخ عبد الله بن

الزبير حتى أخرجه من جلده، فاخبر بذلك عبد الملك، فأمره أن يسير إلى مكة وضمَّ إليه ستة آلاف فارس: ألفين من أهل الشام؛ وألفين من مصر، وألفين مِن العراق، وقال: انظر ياحجاج! أن لا تطأ الحرم بالخيل والجنود، ولكن انزل حيث شئت من أرض الحجاز، وامنع ابن الزبير الميرة، وخذ عليه الطرق.

فوثب إبراهيم بن الأسود النخعي، فقال: ياأمير المؤمنين! قد بعثت هذا الغلام الثقفي إلى مكة فمره أن لا يهتك أستارها، ولا ينفر أطيارها، وأن ياخذ على ابن الزبير شعابها وجبالها، حتى يموت فيها جوعاً وعطشاً، أو يخرج عنها مخلوعاً. فقال عبد الملك: قد أوصيناه بذلك، ولن يجاوز أمرنا إن شاء اللّه تعالى.

فسار الحجاج ونزل على بئر ميمون وقطع الميرة على ابن الزبير، وطال ذلك، فلم يطع ابن الزبير، فكتب الحجاج بذلك إلى عبد الملك، فكتبَ إليه: أن اعطه الأمان، فإن لم يخرج فجدّ في حربه، فدعاه الحجاج إلى الأمان فلم يقبل، فحاربه حتى التجأ إلى المسجد، فدخلوا عليه المسجد فقاتلهم حتى قُتِل وقتل أصحابه، فأمر الحجاج بعبد اللّه بن الزبير فَصُلِب منكساً، وكان مقتله سنة ثلاث وسبعين وهو ابن ثلاث وسبعين أيضاً.

ولما قُتِل وقف عليه عبد اللّه بن عمر فبكى واستغفر له، وقال: أما واللّه، يابن الزبير! لئن علتك رجلاك اليوم فطالما قمت عليها في ظلمة الليل بين يدي ربك، وإني لأسمع قوماً يزعمون: أنك شرُّ هذه الأمة، فلقد افلحت أُمة أنت شرّها.

وجاءت إليه أُمه أسماء في اليوم الثالث، وهي مكفوفة، فقالت: اللّهم! إني راضية عنه فارض عنه، ثم جاءت إلى الحجاج، فقالت له: أما

آن لهذا الفارس ان ينزل؟ فقال: أما روحه فصارت إلى جهنم، وأما جثمانه ففي طريق البلاغ، فقالت: كذبت، ياحجاج! فامر بجثة ابنها فحطت عن خشبتها، فحملت إليها فغسلتهُ وكفنته ودفنته، ولم تلبث بعده حتى لحقت به.

وهرب عروة بن الزبير من الحجاج، فصار إلى عبد الملك، فآمنه وأكرمه، فقال له الحجاج: إنَّ أموال أخيه عنده، فزجره عبد الملك، وقال: لاسبيل لك عليه.

١٤ـ وأخبرني صدر الحفاظ أبو العلا الحسن بن أحمد الهمداني ـ إجازة بها ـ، أخبرني محمود بن إسماعيل الصيرفي، أخبرني أحمد بن محمد بن الحسين، أخبرني أبو القاسم الطبراني، حدثني محمد بن عبد الله الحضرمي، حدَّثني عبيد الله بن إسماعيل الهباري، حدثني سعيد بن سويد، عن عبد الملك بن عمير، قال: دخلت على عبيد الله بن زياد فرأيتُ رأس الحسين بن علي عليه السلام قدّامه على ترس، فما لبثتُ إلاَّ قليلاً حتى دخلتُ على المختار، فرأيتُ رأس عبيد الله بن زياد قدَّامه على ترس، ثُمَّ ما لبثتُ إلاّ قليلاً حتى دخلتُ على مصعب بن الزبير فرأيت قدّامه رأس المختار على ترس، ثمَّ ما لبثتُ والله، إلا قليلاً حتى دخلتُ على عبد الملك بن مروان فرايتُ قدَّامه رأس مصعب بن الزبير على ترس.

١٥ـ وذكر الإمام أحمد بن أعثم الكوفي؛ والإمام عبد الكريم بن حمدان هذا الحديث، عن الشعبي قال: كنتُ جالساً بين يدي عبد الملك بن مروان فجيء له برأس مصعب ووضع بين يديه، فقلت: ما أعجب هذا الاتفاق! فقال: ماذلك؟ قلت: ياأمير المؤمنين! دخلتُ هذا القصر فرأيتُ عبيد الله في موضعك هذا، ورأس الحسين بين يديه، ثم دخلتهُ والمختار فيه

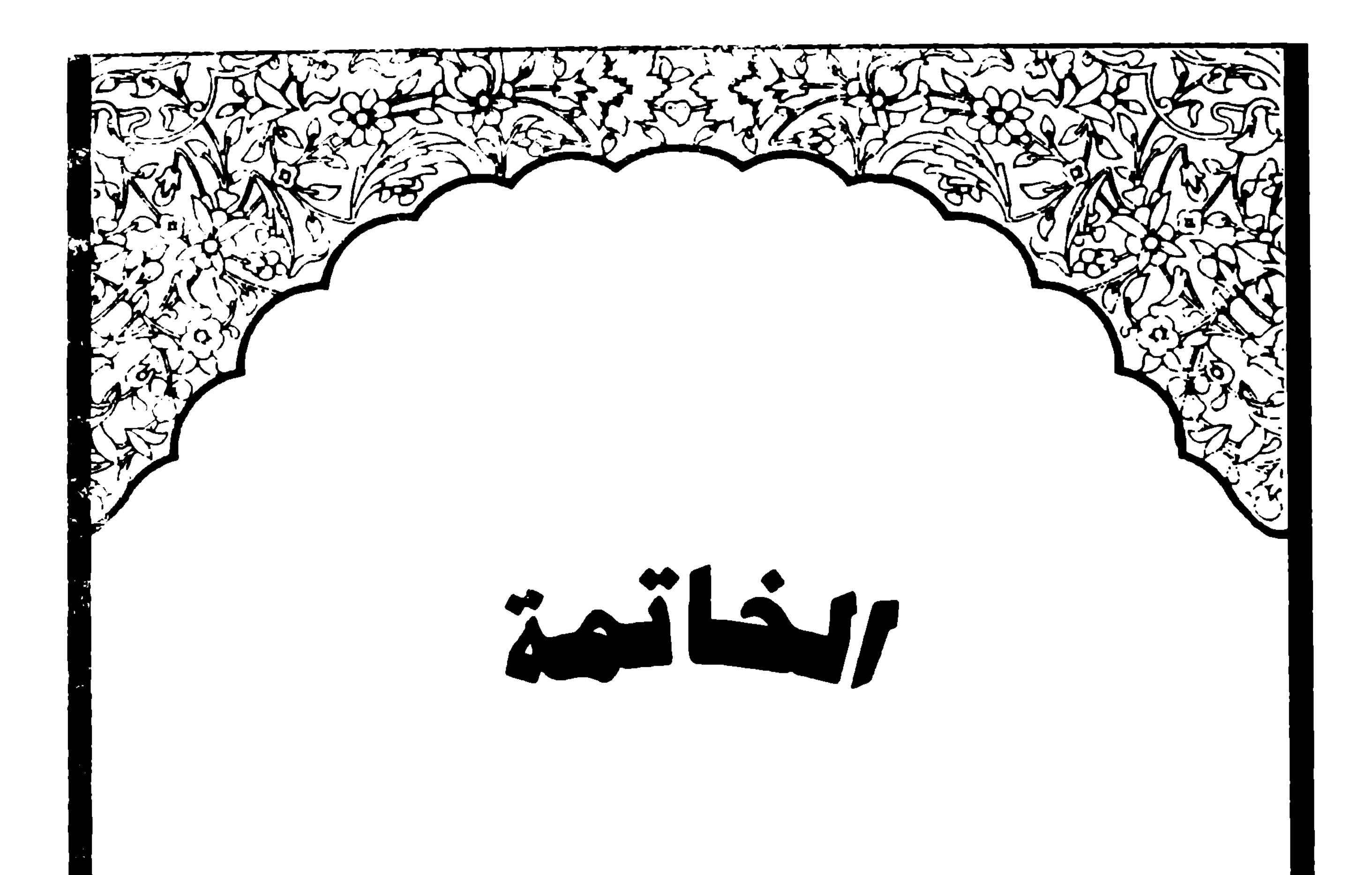
وراس عبيد الله بن زياد بين يديه، وساق الحديث على هذا الترتيب، فقام عبد الملك، وقال: للّه، ياشعبي! في أمره تدبير.

وزاد عبد الكريم: قال الشعبي: ورأيتُ الحجاج بن يوسف قاعداً على كرسي من ذهب بين يدي عبد الملك فغلبني البكاء، فقال لي عبد الملك: ماذا يُبكيك؟ فساق الحديث، قال: فزبرني الحجاج، وكاد أن يبطش بي، فنهاه عبد الملك، فخرجت سالماً.

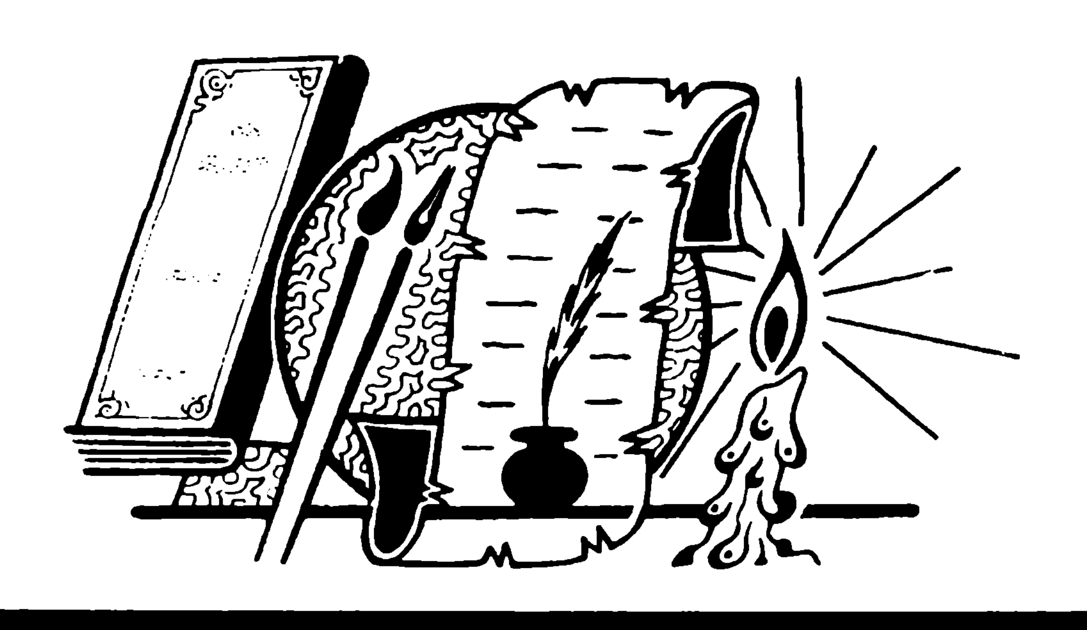
١٦ـ وقال محمد بن إسحاق: إن محمد بن هانئ دخل عليه فلما رأى راس مصعب ضحك، فقال الحجاج: م ضحكت يابن هانئ؟ قال: من عجب، قال: فاخبرني به فقد شغلت قلبي، فقال: رايتُ في هذا المجلس، وساق الحديث إلى آخره، فتطيّر الحجاج من ذلك، وانتقلوا إلى قصر آخر.

اقول: ولا ينافي ذلك بأن يكون محمد بن هانئ كان حاضراً، وكان عبد الملك بن عمير حاضراً، وكان الشعبي حاضراً، أو يقول كل واحدٍ هذا القول، ويجاب بما أُجيب أصحابه.

[انتهى والحمدُ للّه ربّ العالمين]



الخاتمة



الخاتمة

بقلم الاستاذ فضيلة الشيخ
محمد كاظم آل شبير الخاقاني

بسم الله الرحمن الرحيم

تنحدر قوافل البشر سيّالة فتقاً بعد رتق من الرحمة المطلقة الفعلية وهي نَفَس الرحمن الى ساحة التعيّن في الاعيان، خارجة من كتم العدم باذن موجدها الفياض، تتجلى فيها الأنوار جمالاً وجلالاً على اختلاف مراتبها أداءً لحق ربوبيته، تتخطى الأيام في ساحة كونها تسوقها الأقدار قضاء لحكمته وبياناً لرحمته لترسم جريها في قوسي النزول والصعود طالبة في عروجها مدارج الأبد. وقد جئت في مسيرة الكون أحث السير مع السائرين بوجد وحنين اصطحب الأجيال لاصبح خيالاً لايتحدث عنه الركبان ووهماً لاتحكي وحشة فراقه الوديان، في ديار الحزن والأسى، كأني لم أكن جزتُ مع الركب مخاوف الاحلام، وخضت في جنبهم بحور الأوهام وطربت في كهفم لوتر الانغام، وقدبت أخاطب النفس بعد ربيع أُنسها ومحافل جهلها قائلاً: لِمَ لا أذكر اليوم في حفل ولا مقام، ولا في جبل أو سهل ولا

في برّ أو بحر؟ اسلمتني كوارث الحدثان لخلسة صمت مؤلمة وغربة ديار موحشة وقد كنت من قبل ذلك ابصرت نفسي وأنا على حافة الطريق أساير ركب السلام متعثر الخطى أكبو تارة، واجدّ السير تارة اخرى، في يوم قدر عظيم أُخِذَت فيه العهود وابرمت المواثيق وقيل (للمخفين جوزوا وللمثقلين حُطّوا) شاهدت فيه أقواماً كنت اظنهم من الأوتاد رايتهم يهوون الى أسفل درك من الجحيم لايصدّهم عن ذلك عرفانهم ولا يمنعهم منه سواد جباههم، ولايسترهم دونه حنك تيجانهم، يتسابقون الى الهاوية في كل مكان وزمان الا إنّهم خلفاء الشياطين باسم رب العالمين.

فقلت: يالله وملء الحشا حسرة الفراق واشواق الحنين في ديار الغفلة بعد الالفة،كيف أصبحت الأجيال فتقاً بعد رتق، وكثرة بعد وحدة وريباً بعد جزم وجهلاً بعد علم، وكفراً بعد ايمان وغواية بعد فطرة ثلّة منها اقرّت لأنوار الملكوت وقوامها الاعظم راح يركع لصنم الناسوت.

فوقفت أُحِدّ النظر في قارعة الطريق متهماً للبصر فيما يرى وللاذن فيما تعي، وللعقل فيما يعقل، وللفؤاد فيما يلمس من حقائق الأمور التي أضحت تجري مقلوبة على السن العارفين مسايرة لمرضاة الطغاة الجائرين وذلك لمساً لواقع أمر كاد أن يكون من أحاديث الغابرين لمتابعة السلف الخاطئين حيث يقول عزّ من قائل: ﴿**وما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين**﴾ آل عمران/ ١٤٤.

أجل انه كان انقلاباً على الأعقاب، عم الحاضر والغائب على اختلاف مراتب الردة في ميادين الحكمة علماً وعملاً، إلا بعض الأوتاد الذين أرادهم الله حجج حق على بريته يرثون النبيين والأوصياء الطاهرين الذين يقول في

حقهم إمام المتقين (بلى لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجة اما ظاهراً مشهوراً واما خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا واين ذا اولئك والله الاقلون عدداً والأعظمون عند الله قدرا يحفظ الله بهم حججه وبيناته حتى يودعوها نظرائهم إلى قوله ﷺ (اولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة الى دينه آه آه شوقاً إلى رؤيتهم).

هؤلاء لاتعيّنهم الألقاب التي باتت تتطور بتطور الزمان لأنهم مظاهر القرآن وروح العرفان لاتؤنسهم العناوين ولا تخدعهم مدارج العلم لأن العلماء كثيرون فكم من عالم قتله جهله وعارف بقطب رحى الاسلام ينتقض عليه فتله في يوم ينفع الصادقين صدقهم، أجل هكذا يكون نتاج الجهد إذ غربلت الأمم وان هوّن الخطب على النفس في ميادين الوهم والخيال ان كل واحد منا يظن واقع الأمر حكما يخص قوماً آخرين. فكم بت أنظر الى مزالق أقدام كانت مناراً للهدى وسبيلاً للرشاد كيف أضحت ترسم حجب الغفلة بعد صحو من العيش، كانت فيه النخبة التي انتخبت فكيف حارت بعد الايمان واسرّت بعد الاعلان، ونكصت بعد الاقدام فملئت من مشهدهم رُعباً، كاد أن يلقى بي الى هوة حضيض ظلمات اليأس من كبوة عقبات الأوهام خوفاً من انتقاض الجزم في ميادين العلم والعزم في ميادين العمل، فقلت ياالله! كيف يامن أمثالي خواتيم الأمور وهاهم أسود الوغى صرعى في مخالب الذئبان، فوقفت لدهشة المصاب أسلي النفس بهدير الآهات واقوّي اللب بسيل العبرات، لا أدري الى أي ركن وثيق أو خفض سحيق تأخذ بي مطارق الاقدار وتسلك بي مسالك الأسرار التي جف القلم عند أعتاب مدارجها وأقرّ اللب بالاستسلام عند بعض هضبات عروجها.

أجل وقفت على مصارع أقوام كانوا للحق أنصاراً (قد تحملوا الكد والتعب

وناطحوا الأمم وكافحوا البهم) انظر اليهم والحزن ملء جوانحي مجزّرين صرعى في وديان الظلمات كأنهم لم يشربوا من عذب فرات ماء رويّا ولم يذوقوا من فيض أنوار عسلا نقيا.

بلى والله قد عاشوا في ظل مدرسة حق لاريب فيها لم يشهد لها الكون من نظير، أعواماً تسطع عليهم أنوار الملكوت، وتنتشر في ربوعهم كنوز اللاهوت. فتركتهم في مواطن قتلهم أشلاء تمزقهم الذئبان يأتون يوم القيامة تحت راية إمامهم قائد المنقلبين على الأعقاب، فرحت أتابع السير مع الاجيال، وهم يتلوا بعضهم بعضاً انظر الى الرايات كأنها السيل المنحدر تساق الى منازل كدحها ومحافل وجدها، كل منها يظن وقفة الكون اجلالاً لهيبته وتكريماً لبريق رايته وأنا أنظر الى تهافت المضطهدين تحت أقدام الجائرين أنينهم جرم وصراخهم كفر وارتداد، وأشاهد تكسّر أضلاع البؤساء والمحرومين كيف تهمل في سلة من النسيان وتكون وهماً حتى في محافل الأديان الا عند عباد الله المخلصين، فكم قد راح يسبح المترفون في بحر من دماء ودموع اليتامى والمساكين؟! حتى مرّ على هذا المشهد الرهيب أعوام بات الصمت يخرس حناجر البلغاء الصادقين وفَخَرَ التاريخ لأنه يكتب تحت ظلال سيوف الجبارين والماكرين، وتسلّق في هذه الاعوام الذئبان الأعواد باسم سيد المرسلين ﷺ وأخذ يتسابق الشعراء لمدح قادة المنافقين والعلماء يوجهون أفعال الشياطين، والخطباء يخطبون طمعاً لما في أيدي الولاة الظالمين.

وقد شاهدت في هذا المطاف أمراً عجبا كيف أصبح الطليق أميراً للمؤمنين والطريد وزيراً للخلفاء الراشدين والمتخلف عن نداء الحق مثالاً للصديقين. فلما أمعنت النظر وجدت الخرق متسعاً بأعين السالكين،

لاتحدده الازمان ولا تقيّد ملاعب خيله المذاهب والأديان، فرجعت بعد رسم الوهم أملاً زهيداً، ألمس طرفاً من الموازين الحاكمة بواقع أمرها آيساً من كل منطيق وعربيد، أنظر مواقع النجوم لعلي أُشاهد قمراً منيراً حجبته عن الابصار غيوم الأوهام، فرأيت أن صبر الصابرين خير من أمل الآملين لبزوغ شمس الحقيقة قبل صباح المتقين لأنه قد يكون من تسويل النفس طمعاً لرغيف الغاصبين.

وها أنا قد كنت قبل اليوم وقفت وقفة في مسالك السائرين أردد التجوال انظر مواقع الأمور وسير الليالي في مقاطع الدهور، حينما تركت اخوان الصفا بعد التخبط في الظلمات صرعى، حائراً لا أعرف للنجاة سبيلاً حتى ظننت أنه قد انطفأت مصابيح الهدى واستسلمت دعائم الحق لمطارق الكفر والشقى، إذ بي في هذه البرهة من الزمن العضوض اسمع صوتاً يملأ الكون ضجيجاً، يهب فوق أركان الملكوت فتضطرب له الأجساد تحت ثرى الناسوت، وتطير شوقاً لهمس انغامه أصحاب اللب في مسالك اللاهوت وهو يصيح: (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك)، من بعدما ودّع ديار الهجرة متوجهاً نحو بيت الله الحرام قاصداً بعد ذلك التحلل من مناسكه شوقاً لاسلافه الكرام وسعياً لتحكيم موازين الحق والسلام لمّا اقيمت الحجة بوجود الناصر.

فاسرع كالطيف يتم الحجة على حشد المسلمين يحث السير نحو كعبة العاشقين وحرم سيد الوصيين وامام الموحدين، وقائد الغر الميامين على أمير المؤمنين عليه السلام فبت أساير ركب السلام وهو يمرّ على صفحات الدهر ليرسم فيها خطى النبيين التي كادت أن تندرس على أيدي الولاة الظالمين باسم شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، فرحت انظر الى كواكب الاسحار مشرقة تطل من

وراء الحجب على مرابع الظلمات يكاد سنا برقها أن يتوّج ظلمة العدم حُلل الانوار، بلى رحت أكدح مع الكادحين استلهم انغام الأزل واستنشق عبير الجنان يأخذ بي طرب الوصال الى منازل الوالهين وينقلني الشوق الى كعبة العارفين ويقلّبني الوجل عن مضاجع الجاهلين، فقلت سبحان ربي، كيف يغمض الطرف من يعانق أسرار الملكوت؟

أجل هب ركب السلام مسرعاً يلبي نداء البائسين، ويؤمن روع الخائفين ويبث نسيم الخلد فوق ديار الناسكين انه لمشهد عظيم، وخطب جسيم، انقدحت منه مشاعل العلم وتعاطفت عنده محامل السلم، فبات يهز أركان الطاغين ويسكت هدير الظالمين فقلت في أيام فرحتي وسروري وطربي قولاً يشبه مقالة الشعراء لأُوقف مطيتي لحظة تتاح لي فيها القوى لمتابعة السير:

دعيني ايا سلمى او اللوم فاقصدي ... فاني في درب الهوى غير معتد
دعيني ايا سلمى الغرام وغرّدي ... بربع فتى احلامه طيف معضد
فكم قد روينا من أحاديث للهوى ... ليال بوجد الواله المتوقد
وصغنا أناشيد الغرام صبابة ... بدمع كضوء اللؤلؤ المتفرّد
فقلت لها صُرم الفؤاد عن المها ... أيا سلمُ من بعد الرشاد المسدّد
ولا راح يلهيني بانغامه الهوى ... اذا ما استدير الكأس من ناعم اليد
طربت ولم أطرب لخد مورّد ... ولا هاجني طيف لحسناء أغيد
طربت لذكراي البشير ولم أكن ... لا طرب الا من مناقب امجد
احن الى ربع به آل احمد ... وابعد عن قصر العذول المشيّد
فبت يناغيني الفؤاد بحبهم ... ويرسم لي من حبهم كل سؤدد
يهيمون طلابا الى المجد والعلي ... ويبكون اشواق الفراق المبدد
رأيت بني الزهراء للمجد قادة ... هداة مع الكرار في كل مشهد
رأيت بني الزهراء والفخر أحمد ... هداة لمن قد كان للحق يهتدي

ثم رحت أتابع السير مسرعاً فرأيت كيف راح الحسين عليه السلام يرسم خطى النبيين، التي كادت أن تندرس على أيدي الظالمين باسم شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله قائلاً: (اهلي مع اهليكم ونفسي مع أنفسكم)، ليكون درساً يعرف به دعاة الحق عن الكاذبين على طول مسيرة السائرين، يجسّد عليه السلام بذلك خطى الصدق التي كنا نعيشها في عهد سيد النبيين حيث يقول باب مدينة العلم عليه السلام: (كنا إذا حمي الوطيس لذنا برسول الله صلى الله عليه وآله)، وانه صلى الله عليه وآله كان إذا اشتد الامر جعل أهل بيته درعاً يقي بهم المسلمين فيقول صلى الله عليه وآله: (تقدّم ياعلي تقدم ياحمزة تقدم يافلان ويافلان) من أهل بيته وبني عمومته، فرأيت كيف كان منهج الصادقين الذين لايأمرون أحداً بشيء إلا من بعد كونهم فيه أسوة للآخرين، ورأيت كيف رسموا خطى الحق بأفعالهم قبل الأقوال.

بلى هكذا كان يتهافت الصادقون الى الجنان قبل السواد الأعظم تحكيماً لموازين العدل وتثبيتاً لقيم الشرع وهذه هي نفس المشاهد التي شاهدنا معالمها في يوم بدر وحنين وأُحد والجمل وصفين، لنميز راية الحق من راية الضلال لاصحاب القبب المحصّنة ونزّال القصور المطنطنة، الذين طالما أكثروا الكلام وخدعوا الانام ليكونوا خلفاء الشياطين يعرفهم طلاب اليقين الذين كانوا آية صدق للمتقين حيث يقول تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين**﴾العنكبوت/ ٦٩.

فرحت أتخطى الأجيال على طول الزمن أتأمل في رايات الحق والباطل فعرفت أن لكل من الفريقين مظاهر يعرفها الناظر بفراسة الايمان قبل أن ياتي يوم ﴿**يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام**﴾ أو تكون ﴿**سيماهم في وجوههم من أثر السجود**﴾، لمن شاهد بُعد الحقيقة

للانسان في أبعاد عالم شهادته وبرزخه وآخرته وإلا فجمع المرآئين قد يشوّه حقيقة الصادقين.

ثم قلت في نفسي ياعجبا أين كانت جماهير المسلمين حينما بلغتهم الدعوة، وقد جاءوا يعاهدون الله تعالى في بيته الحرام يظهرون له التلبية، فكيف عن داعية الحق تخاذلوا؟ وعن منهج الصواب حادوا حتى ارتفع سدهم المنيع فأخذهم السيل، فابيحت نسائهم وقُتلت أشرافهم واحرقت كعبة العشاق التي كانوا يطوفون حولها بألسنتهم، وأخذت البيعة منهم بانهم عبيد للشياطين بدلاً من عبادة رب العالمين، في حين انهم ماكانوا يترددون في ضلالة الشجرة الملعونة وان كانوا من قبل ذلك للأنفس خادعين وللظلمة باسم النور تابعين.

فآه آه أين طلاب الهوىٰ من امام المتقين وباب مدينة النبيين؟.

ثم أخذت أساير ركب السلام انظر الى كوكبة من الابرار ليس لها على وجه الأرض من نظير يقدمها خليفة الرحمن وامام الانس والجان، تسير بعزم تزول منه الجبال على قلة العدد وخذلان الناصر. فأمسكت مطيتي، تطوف بي الأفكار أعدد القوم كراراً وتكراراً، مخاطباً للنفس هل بات يصدقني البصر فيما يرى؟ أم صرت من جهد متاعب السفر وطول الطريق أعيش خطأ للحس فيما يروي حتى بلغت مرتبة الجزم واليقين بان جمع الهاشميين على كثرة العدد اذا كان يوم العروج وزلزلت الأرض زلزالها يكون متجسداً بسبعة عشر من الفتيان، وان عساكر المسلمين يوم الفزع الأكبر يمثلها في الصدق مايقل عن الستين!! فارجعت البصر بعد دهشة المصاب كرة أخرى انظر الى الامم وهي تمر مرّ السحاب على صفحات الدهر تروي بصريح فعلها: (ان الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم

يحوطونه مادرّت معايشهم فإذا محّصوا بالبلاء قلَّ الدّيانون) وانهم على دين ملوكهم يرسمون لهم الحق باطلاً والباطل حقاً وهم على ذلك من الشاهدين. وقد لمست أن بالقوة والسلطان تضييع المقاييس، فكم من جائر ماكر البسته العامة لسلطانه حلل العظماء والمتقين؟ وكم من سفير حق صادق انزله الدهر منازل المتهمين واجلسه مجالس الخائفين؟

فلمّا حكت لي حوادث الأيام طرفاً من حقايق الأمور وكنت في هذا الحال قد أبصرت حدثاً عظيماً يُطل على مسيرة الأمم رغم تاريخها الطويل وهو خروج الحسين عليه السلام ببنيه وأخوته وبني أخيه وجل أهل بيته داعياً للصلاح وسنن النبيين التي اندرست بواسطة الولاة الجائرين باسم سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، أوقفت عند ذلك مطيتي تاركاً السير انظر مابين الحرمين مكة والكوفة أتفرس ماذا أصبح يرسم القدر فشاهدت جند الحق والسلام كيف راحوا يرسمون سبل النبيين بافعالهم قبل الأقوال، يتقدمون ميادين الوغى ليكونوا أسوة نميز بهم الصادقين عن الكاذبين الذين عاشوا الترف والقصور وهم يلقون بأبناء الآخرين الى محارق الموت على عبر التأريخ.

فنظرت إليه عليه السلام فإذا به يخرج من حرم الله تعالى قائلاً: (لان أقتل والله بمكان كذا أحب إليّ من أن استحل بمكة) وفي موضع آخر راح يقول: (إن أبي حدثني أن بها كبشاً يستحل حرمتها فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش) كل ذلك حفاظاً لحرمة وكرامة البيت الحرام وان كان هو المثال الأعظم لرسم حقايق الشرع حتى لايتعرّض أحد بعده لهتك حرم الله تعالى.

فرحت انظر حتى إذا ما أراد الخروج من مكة ناداه أصحاب عمرو بن سعيد ـ والي مكة ـ: ياحسين الا تتقي الله تخرج من الجماعة وتفرّق هذه الأمة؟!

فقال عليه السلام: (لي عملي ولكم عملكم وانتم بريئون مما أعمل وأنا بريئون مما تعملون). أجل انه عليه السلام ممن إذا خاطبه الجاهلون قال سلاما، وكيف لا يكون له عمل الصالحين وأوصياء النبيين، ولهم عمل المفسدين وخلفاء الشياطين.

فعرفت عندها أن التقوى بالسن عبيد الدنيا الماكرين هي السكوت عن معالم الدين حتى تمحق بأيدي الجبارين بمشهد ومنظر من فقهاء السلاطين وان الجماعة هي الكثرة التي تنعق مع الناعقين التي ذمها الكتاب المجيد في كثير من الآي المبين وان العصا التي لايجوز شقها هي عصا المنافقين والظالمين.

وعرفت أيضاً أن المتسلط على الرقاب يكون أميراً للمؤمنين ولو كان في فعله وقوله يجسّد خطى الفراعنة الطاغين وان المخالف له من البغاة المرتدين ولو كان محمداً سيد المرسلين صلى الله عليه وآله.

فيالها من عظيم مدرسة يدرّس فيها الشياطين دروس حق بأعين أبناء الدنيا الغافلين. ثم رحت انظر كتاباً لعمرو بن سعيد يعيذ فيه الحسين بن علي عليه السلام من الشقاق بأعين الجبارين الذي هو شقاق لعبيد الدنيا وجمع الخونة والماكرين المتلبسين بلباس الدين فلما انقضى ذلك الكتاب تأملت بعد ذلك كتاباً آخر أجاب به الحسين عليه السلام جمع الظالمين والانتهازيين على طول تاريخ البشر قائلاً: أما بعد فانه لم يشاقق الله ورسوله من دعا الى الله عزوجل وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين.

ولما رأى ابن سعيد كما هو ديدن الظلمة الماكرين أن التهديد لايثني الحسين عليه السلام عن عزمه وان حجته لاتقاوم حجج الحسين عليه السلام حاول أن يدخل من باب آخر مكراً وخداعاً وهو باب الترغيب واعطاء الامان.

فأجابه الحسين عليه السلام: إنّك دعوت إلى الأمان والبرّ والصلة، فخير الامان أمان الله ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة.

ثم راح الحسين عليه السلام يخطب الناس قائلاً: أيها الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرَم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباده بالاثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ألا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن واظهروا الفساد وعطّلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله.

فقلت في نفسي: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ويابن أمير المؤمنين عليه السلام إن كان الرآئي لجور سلطان ولم يغير عليه بفعل أو قول يكون حقاً على الله أن يدخله مدخله فما حال من سولت لهم أنفسهم فأصبحوا يرون جور الجائرين عدلاً وصلاحاً، وإذا كان عدم التغيير بعد مشاهدة الجور للجائرين مقتضياً لاستحقاق أن يدخل الله الرآئي مدخل الظالم فما يكون شأن من يوجّه أعمال الجائرين وهو من العلماء والعارفين ويدعي أن تلك الاعمال من سنن النبيين وخلفائهم الطاهرين.

فأخذ الحسين عليه السلام يجد السير حثيثاً نحو الكوفة وقد كتب عبيدالله بن زياد الى عُمر بن سعد أن لقيت حسيناً وقد نزل هو وأصحابه على حكمنا واستسلموا فابعث بهم إليّ سلماً وإن أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثّل بهم فإنهم لذلك مستحقون فإن قُتل حسين فأوط الخيل صدره وظهره فانه عاقّ مشاق قاطع ظلوم.

أجل هكذا يجب أن يرسم الشرع القويم على أيدي ولاة أمراء المؤمنين

من بعدما سقطت قوائم الحق واعيدت سنن الجاهلية في يوم السقيفة باحياء منطق السيف واماتة الحرية حتى أصبح شرعاً يقتدى به على طول التاريخ باسم الدين فكم من سنة أميتت، وآية فسّرت بالشهوات والرغبات وكلام حق أطلق أُريد منه الباطل وهكذا .... .

فرحت أمد الطرف أتابع الأيام وهي تسري لهول مطلع عظيم يزداد بذلك القلب اضطراباً يكاد أن يؤدي به ذلك إلى الهلاك حينما صكت مسامع الكون في اليوم التاسع من المحرم عصراً كلمات قائد جيش الضلال عمر بن سعد قائلاً: ياخيل الله اركبي وابشري بالجنة ثم زحف بهم بعد صلاة العصر والحسين‏عليه السلام جالس على باب فسطاطه حتى مرت به خيل لابن سعد تجول حوله، فقرأ‏عليه السلام: ﴿**ولايحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم انما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين**﴾آل عمران/١٧٨. وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب حتى جاءهم العباس‏عليه السلام قائلاً: أن أبا عبدالله يسالكم أن تنصرفوا هذه العشية حتى ينظر وتنظرون.

ولما كان اليوم العاشر من المحرم من بعد ما أطلت الشمس على أراضي كربلاء لتظهر بنورها الوضاء صراع الحق مع الباطل قدّم الحسين‏عليه السلام أول فداء للحق الذي رسمه قبل ذلك رسول الله‏صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين‏عليه السلام ولده شبيه رسول الله‏صلى الله عليه وآله علي الأكبر قبل كل قتيل من أهل بيته فضلاً عن أصحابه.

وقد بيّن لنا‏عليه السلام من هو الامام قائلاً: فلعمري ما الامام إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله والسلام.

فبعد هذا المشهد العظيم والخطب الجسيم أعيتني طوارق الدهور

فابدت لي بعض حقائق الامور حتى صرت عالماً علم اليقين بأن الحق في هذه الدار باطل والباطل حق وان حديثها بات يروى بأبخس الأثمان، فعقدت العزم على ترك الام في ميادين جريها ساعياً الى معانقة الكهوف تلبسني لباس العزلة اقضي ماتبقّى من قليل صبابة الايام بعيداً عن مسالك الانام في ديار الغفلة خوفاً من أن يؤدي بي مواصلة السير الى جري القلم في سوح ملاعب خيل العامة أو الخاصة فاتهم بحيف وعدوان لا تصلحه التوبة ولا تطفئ لظى جمره المُثْلَة، فاصبح هدفا لمواقع السهام، ترميني تارة بمخالفة السلف وشق عصا المسلمين بأعين العامة وأخرى بعدم قبول مقالة المشهور بمنظار الخاصة أو الرفض لمناهج الدين والشك في صحة اخبار المخبرين والنقد لحديثهم عن الجبارين بترك القول عن حياة صنوف الخلق أجمعين من أنهم كيف عاشوا وكيف الى مزالق الانحطاط عادوا بعد رقيهم في عهد قائدهم الأعظم وانه كيف راحت الاقلام تجري لمدح الظالمين أداء لحق الاسخياء المنعمين جزيل العطايا من بيت مال المسلمين.

فأوقفت جري القلم مخافة أن تترى عليّ السهام كشئابيب المطر حتى اغلظ القلم لي الخطاب وكرّر علي العتاب فاطلقت له طرفا من العنان خجلاً وحياء من أن اتهم عنده بالجبن والنفاق أو بالعجز عن متابعة السباق فراح يجري مقيداً ببعض القيود يرسم سطراً من كتاب خطّه القدر بدماء الشهداء والاحرار، فوقفت مبهوتاً أكاد أن أكون من المعدمين أنظر جري القلم فيما يرسم من حقائق الامور ويروي من كوارث الدهور، ويسطر من نوادر المقدور من عجب عجاب لحديث عهد بالاسلام يروي عشرات الألوف من الأخبار التي ما ادعى رواية عشر معشارها السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار فعلمت أن أمة تصدّق في نقل الحديث مالا يعقل أمرها لمريب في

بقية مسالك الطريق ثم تابعت قراءة الأحرف بدقة وامعان فوجدت فيها أن من لم يبايع السلطان تضرب عنقه قربة لله رب العالمين لأنه يكون من المرتدين ولو كان من أعظم الأوتاد المتقين هذا كلّه شريطة أن يكون هذا القدر من قضاء العدل كافياً لاطفاء حقد الحاقدين وإلا فمن حق المتهم بعد موته ان يودع في زنزانة الكفر والنفاق وان تستباح عرسه ليلة قتله لسيف المسلمين تحكيماً لاركان رسالة سيد المرسلينﷺ، لأن الممتنع من البيعة أصبح من المفسدين في الأرض المحاربين لله تعالى والخلق أجمعين حتى وقفت متحيراً، فقلت أين هذا من بيعة حق بعد نص على رؤوس الاشهاد تزدحم إليها الناس ثلاثة أيام متوسلين ثم يترك المتخلف عن البيعة وإن كان شاذاً نادراً، وهو يمشي مابين صفوف الثائرين تجري عطاياه كبقية المسلمين.

ثم وجدت القلم يرسم ما حكى التاريخ من اجلال لاكابر المجرمين الذين اظهروا في الأرض الفساد وقتلوا العباد وهو يغض الطرف عن حياة المحرومين وأنين الثائرين في سجون الظالمين توجّه اليهم التهم وتنال منهم الأمم جهلاً منهم متابعة لاقلام الخائنين التي جرت لارضاء الفراعنة الجبارين فعرفت أن مابقي من قليل زاهر من حقائق الأمور في بعض سطور التأريخ كان بمشيئة الله تعالى إقامة للحجج وإتماماً للبيان وإلا فتأريخ يكتب لمرضاة الحاكمين يجب أن لايرسم الا خطى الجبارين ويلبسهم فوق ملابس الأنبياء والصالحين.

ولمّا وجد القلم الجري لرسم مزال اقدام الآخرين مع غض الطرف عن اضطراب قدم النفس في مسالك الهداة المعصومين‏عليهم السلام قد يكون حيفاً في محكمة الصادقين راح يرسم كيف تقيّدت محافل العلم في مواطن الاستنباط التي هي في غير ضروريات الدين والمذهب وهي الموارد التي فتح

المعصومون أبوابها لجولان خيل السالكين تكريماً لحرية الرأي وتنمية لمسيرة خطى العلم والفقه والاجتهاد لكي لا تصاب الشريعة بالجمود ويبقى الباب مفتوحاً أمام نقد فطاحل العلم لاحتمال اختلاف الآراء أو خطأ البعض منها وراح يرسم أنه كيف أصبح الاستبداد في ميادين العلم سبباً لعدم ابداء الرأي مخافة هجمة العامة بايعاز بعض اصحاب المصالح أو الذين يرون الجزم لآرائهم وخطأ آراء الآخرين وحياً لا محل للنقاش فيه حتى جوّز البعض لانفسهم العدوان على أكابر العلم وراح يمزّق صفوف المؤمنين للمذهب الواحد بدلاً من أن يكون داعية سلام بين الموحدين.

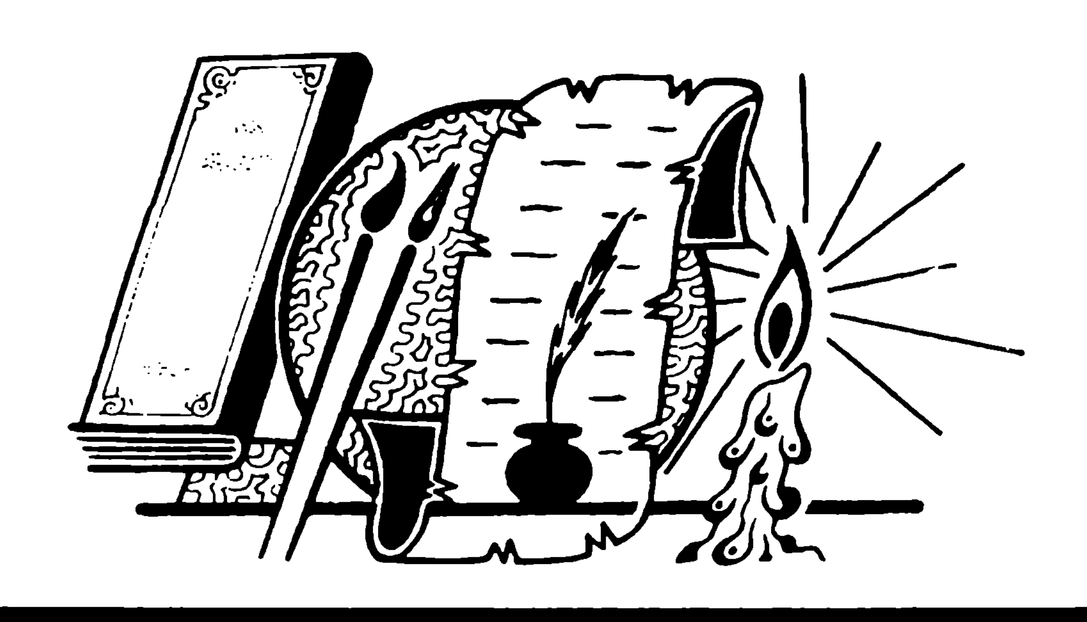
ثم راح القلم يسري ليرسم مواطن كثيرة من مصاديق ما يهب الأمير مما لايملك على حساب الضعفاء والمحرومين والكثير من الأمور الأخرى فلمّا انتبهت إلى ذلك حاولت أن القي بالنفس على عنانه حتى كففته عن السير خوفاً من أن يكون ذلك مستمسكاً لبعض الجاهلين لإيراد النقد على مسلك الصادقين بدلاً من المنتسبين الى الهداة المهديين عليهم السلام.

فوقفت في آخر المطاف انظر دنيا الغرور كيف راح ابنائها لثمن بخس يرسمون لوحة الكون طبقاً لمذاق الطاغين وقد راحت الاقلام تشوّه التأريخ وتدس الكثير من الأكاذيب حتى كاد أن يكون الكثير منها لايطابق عقلاً ولا شرعاً، وأخذت الكتب تملء من الأوهام والخرافات مما يحتّم على السالكين سبل الحق أن ينظروا بدقة وامعان سعياً وراء الحقيقة ليمتاز الحق عن الباطل ثم لتبذل الجهود لتفسير التاريخ حتى يصبح بياناً لسيرة المعصومين عليهم السلام وتحذيراً من مسالك الجبارين وفقنا الله تعالى وإياكم لمراضيه إنّه ولي التوفيق.

محمد كاظم الخاقاني

قم المقدسة ١/شوال/١٤١٨هـ

فهارس الكتاب



فهرس الجزء الأول

فهرس الجزء الثاني